سيكولوجية الشخصية

محدداتها . قياسها . نظرياتها

تأليف

دكتور سيد محمد غنيم

كلية الآداب — جامعة عين شمس

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت

سيكولوجية الشخصية

محدداتها . قياسها . نظرياتها

تأليف
دكتور سيد محمد غنيم
كلية الآداب — جامعة عين شمس

الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

« إني رأيت أنه لا يكتبُ أحدٌ كتاباً في يومه ، إلا
قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زِيدَ
هذا لكان يُسْتَحسَن . ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ،
ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العِبَر .
وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جُملة البشر »

العماد الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مع التقدم السريع الذى طرأ على علم النفس فى العصر الحديث ، أصبح موضوع الشخصية من الموضوعات التى تحتل مكانا هاما بين فروع هذا العلم . فبعد أن كان الكاتب يمر مروراً سريعاً على هذا الموضوع ، ولا يكاد يشغل نفسه به ، إلا فى بعض فقرات أو فصل من فصول كتابه ، أصبح هذا الموضوع اليوم يشغل إهتمام الكثيرين من الباحثين فى علم النفس ، كما أصبح يؤلف فيه العديد من المؤلفات المتخصصة فى هذا الفرع ، وأفردت له كذلك المجلات العلمية الخاصة التى تنشر فيها أحدث الدراسات المتصلة بالشخصية .

وموضوع الشخصية من الموضوعات التى تتطلب من القارىء إلماما بفروع علم النفس الأخرى، كالتعلم والإدراك والتفكير والذكاء والدراسات الأخرى التى تتصل بالتحليل النفسى والطب النفسى . ولذا يجىء تدريس هذا الفرع من فروع علم النفس عادة بالجامعات وغيرها بعد أن يكون الطالب قد قطع شوطا فى دراسته لعلم النفس وألم ببعض فروعه . وقد حاولنا فى هذا الكتاب تقديم بعض الجوانب الهامة التى يحتاج إليها القارىء فى دراسته للشخصية وبما يلقى المزيد من الضوء على هذا الموضوع .

والكتاب فى صورته الحالية مقسم إلى أبواب ثلاثة يعالج كل منها موضوعاً عاماً . والرابطة واضحة بطبيعة الحال بين هذه الأبواب الثلاثة . الباب الأول يعالج موضوعات عامة عن الشخصية وتعريفها ثم يدرس محددات الشخصية : الوراثية منها والبيئية كما يعرض أيضاً لموضوع نمو الشخصية

وتطورها مع تقدم السن بالفرد من الطفولة حتى الكبر ، ثم بناء الشخصية على نحو ما تنظر إليه المدارس المختلفة التي تعرضت لدراسة هذا الموضوع .

والباب الثاني يختص بدراسة قياس الشخصية . وقد تعرض المؤلف فيه إلى العديد من الاختبارات الموضوعية والإسقاطية . وقد توخينا في هذا العرض لهذه الإختبارات ، وقوف القارىء على الإختبار وأهميته والجوانب المختلفة التي يقيسها في الشخصية . وهذا بالطبع لا يحول دون اتجاه القارىء إلى التدريب الكافي على الإختبارات من حيث طريقة إجرائها وتطبيقها وإستخراج نتائجها وتفسيرها إذا أراد إستخدام أى منها إستخداما عملياً .

والباب الثالث عرض فيه المؤلف لبعض نظريات الشخصية كنظرية التحليل النفسي ونظرية يونج وأدلر وبعض النظريات الحديثة في التحليل النفسي كنظرية كارين هورني وسوليفان وكذلك بعض النظريات الأخرى كنظرية المثير والاستجابة على نحو ما أوضحها دولارد وميللر ونظرية السمات على نحو ما أوردها جوردون البورت وأخيراً نظرية الذات على نحو ما جاءت عند كارل روجرز . ولا يمكن بالطبع في مثل هذا الجزء من الكتاب أن نعالج كل نظرية منها بشيء من الإفاضة ، فهذا مجاله كتاب خاص بالنظريات .

وإنما قدمنا موجزاً لكل نظرية يكفي لإلقاء الضوء عليها ، وأهم المبادىء الأساسية التي تستند إليها في نظرتها للشخصية .

ونرجوا أن يكون في مادة هذا الكتاب ما يفيد القارىء العربي ويوقفه على الجوانب المتعددة لهذا الموضوع .

والله ولى التوفيـــق . .

القاهرة سنة ١٩٧٢

دكتور سيد محمد غنيم

محتويات الكتاب

الموضوع	ص
الباب الأول : الشخصية : تعريفها . محدداتها . نموها وبناؤها	١
الفصل الأول : موضوعات عامة فى دراسة الشخصية	٢
الفصل الثانى : تعريف الشخصية	٤٤
الفصل الثالث : محددات الشخصية	٥٩
الفصل الرابع : محددات الشخصية (تابع) محددات عضوية الجماعة	١٥٠
الفصل الخامس : محددات الشخصية (تابع) محددات الدور والموقف	١٤٠
الفصل السادس : نمو الشخصية	١٦٥
الفصل السابع : بناء الشخصية	٢١٤
الفصل الثامن : بناء الشخصية فى ضوء نظرية المثير والاستجابة	٢٥٨
الفصل التاسع : بناء الشخصية فى ضوء نظرية السمات	٢٧٣
الفصل العاشر : بناء الشخصية فى ضوء نظرية التحليل العاملى	٢٩٤
الباب الثانى : قياس الشخصية	٣٢٣
الفصل الحادى عشر : مقاييس الميول والاتجاهات	٣٢٩
الفصل الثانى عشر : مقاييس الشخصية	٣٦٨
الفصل الثالث عشر : مقاييس التقدير والملاحظة والمقابلة	٤٢٥
الفصل الرابع عشر : الطرق الإسقاطية	٤٦٠
الفصل الخامس عشر : اختبارات الأداء	٥٠٩

الموضوع	ص
الباب الثالث : نظريات الشخصية	٥٢٧
الفصل السادس عشر : التحليل النفسى والشخصية . نظرية فرويد	٥٢٨
الفصل السابع عشر : نظرية يونج	٥٧٠
الفصل الثامن عشر : الفرد أدلر	٥٩٣
الفصل التاسع عشر : الشخصية فى نظريات التحليل النفسى الحديثة	٦٠٩
الفصل العشرون : الشخصية فى ضوء نظرية المجال	٦٤١
الفصل الحادى والعشرون : الشخصية فى ضوء نظرية المثير والاستجابة	٦٧١
الفصل الثانى والعشرون : نظرية السمات عند جوردون البورت	٧٠٧
الفصل الثالث والعشرون : نظرية الذات عند كارل روجرز	٧٤٠
المراجع العربية	٧٧٢
المراجع الافرنجية	٧٧٥

الباب الأول

الشخصية

تعريفها . محدداتها
نموها وبناؤها

الفصل الأول

موضوعات عامة فى دراسة الشخصية

مقدمة :

موضوع الشخصية من الموضوعات التى تحتل مكاناً هاماً فى علم النفس الحديث . وهذا الموضوع هو نتاج طبيعى لفرعين هامين من فروع علم النفس وتعنى بهما علم النفس التجريبى وعلم النفس الإكلينيكى . وقد استمد الكثير عن طبيعته من هذين الفرعين . وكأى صغير ، أخذ ينمو ويشتد ساعده شيئاً فشيئاً حتى تمكن من الوقوف على قدميه كفرع هام من فروع علم النفس . ومع ذلك ، فهو وثيق الصلة أيضاً بغيره من فروع العلم الأخرى . . كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرهما . . .

ويتضح دور علم النفس التجريبى فى بيان إمكانية دراسة السلوك الإنسانى وتحليله تحت ظروف من الضبط والدقة على النحو الذى نجده فى معامل علم النفس وفى الدراسات التجريبية الأخرى ولم يكن عامل الضبط قائماً بالطبع حين كان علم النفس كله فرعاً من فروع الفلسفة القديمة ، وإنما بدأ مع أول دراسة معملية دقيقة تمت فى أول معمل لعلم النفس التجريبى بمدينة ليبتزج بألمانيا على يد « ولهلم ڤنت » عام ١٨٧٩ .

ولكن سرعان ما أثار علم النفس التجريبى الإحباط لدى الكثيرين من المشتغلين بعلم النفس . ذلك أن علماء علم النفس التجريبى كرسوا جهودهم لتحليل محتويات الشعور على أمل اكتشاف العناصر العقلية البسيطة على نحو ما فعل علماء الكيمياء فى محاولتهم اكتشاف العناصر الكيميائية الأولية . هذا

من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الدراسة قد أغفلت جانباً آخر لا يقل أهمية عن دراسة محتوى الشعور . فقد أوضح فرويد أن علماء نفس الشعور أغفلوا دراسة مكون هام من مكونات النفس الإنسانية يعد أكثر أهمية وتأثيراً فى دراسة السلوك ، ونعنى به « اللاشعور » .

فليس غريباً إذن أن تصدر الكثير من المفاهيم المتصلة بالشخصية عن الأطباء النفسيين ، وهم — كما نعلم — لا تربطهم رابطة قوية بعلم النفس التجريبى . ومن ألمع الأسماء فى هذا الصدد « بيير جانيه » و « سيجموند فرويد » و « الفرد أدلر » و « كارل يونج » و « كارين هورنى » و « هارى ستاك سوليفان » وغيرهم كثيرون .

فلقد استمد فرويد مثلا ملاحظاته الأساسية ونظريته من خبرته الإكلينيكية الواسعة مع مرضاه الذين كانوا يعانون من اضطرابات انفعالية . وأدى تعمقه فى الأمراض النفسية إلى تكوين اتجاهات من التفكير بدت مخالفة كل المخالفة لاتجاهات التجريبيين الذين كانوا يبحثون عن العناصر العقلية للعقل الشعورى . وليس من العسير على الفهم أن ندرك اختلاف هذين الاتجاهين من اتجاهات التفكير .

وزاد الاهتمام بعلم النفس المرضى زيادة ملحوظة تحت تأثير فرويد ، ليس فقط من ناحية كثرة عدد المشكلات التى أصبح على عالم النفس التصدى لدراستها ، بل وأيضاً من ناحية الدراسة النقدية للمناهج والطرق المستخدمة . وكان من نتيجة ذلك أن رحب الكثيرون باتساع مجالات اهتمامهم ، إلى مجالات جديدة لم تكن مطروقة من قبل فى علم النفس التجريبى .

ولكن الكثيرين من الباحثين لم ينظروا بارتياح إلى طريقة فرويد فى البحث ، ونعنى بها استخدام الأسلوب الإكلينيكي الذى يعتمد أساساً على

بالتنويم بمعالج واحد ، وبصورة فردية مع مرضاه ، مما يتنافى مع معايير الضبط الواجب توافرها للدراسات العلمية ، وكذلك تعذر تكرار الملاحظات التي يجريها الباحث أو الباحثون الآخرون ، وإمكان إعادة التجربة تحت نفس ظروف الضبط والدقة .

في مثل هذه الظروف ، ظهرت جماعة من علماء النفس العلمي هم « علماء نفس الشخصية » يتعاطفون مع أنواع المشكلات التي يهتم بها عالم النفس المرضي ، ولكنهم في الوقت نفسه يحاولون إخضاع هذه المشكلات والدراسات إلى أصول البحث العلمي التجريبي ، ويفرضون عليها معايير الضبط والدقة . لا ينكرون فائدة المنهج الإكلينيكي كوسيلة للوصول إلى فروض ، ولكنهم في الوقت نفسه يصرون على مراجعة صدق هذه الفروض بوسائل البحث التجريبية المنظمة الدقيقة . وكان من نتيجة ذلك أن أصبح عالم نفس الشخصية يستخدم أدوات القياس ، واستخدام المجموعات التجريبية والضابطة في بحثه ، والقابلية لإعادة الملاحظات واختيار العينات المناسبة إلى آخر هذه الاعتبارات التي نهتم بها في البحوث التجريبية ، كما كان من نتيجة ذلك أيضاً أن أصبح عالم نفس الشخصية على وعي ومعرفة بوجود مشكلات كثيرة هامة تتصل بالشخصية السوية ، أغفلها عالم النفس المرضي الذي ركز اهتمامه على الحالات المرضية وحدها . وبعبارة أخرى .. إن عالم النفس الشخصية ، شأنه شأن عالم النفس التجريبي ، أخذ يتطلب الدقة والضبط والمعالجة الكمية واستخدام أساليب القياس الدقيقة ، ولكنه في الوقت نفسه يحس بالحاجة إلى معالجة مشكلات تخرج عن نطاق الدراسات المعملية التجريبية التقليدية ، وتمت بصلة إلى الإنسان في سوائه وانحرافه .

عرض تاريخي لدراسة الشخصية :

اختلف اهتمام الناس بموضوع الشخصية ابتداء من الإنسان القديم حتى

علماء النفس فى العصور الحديثة . وسوف نعرض باختصار لمدى اهتمام الناس بهذا الموضوع ، فى مختلف العصور .

الإنسان القديم :

لا نتوقع أن نجد فى التاريخ المسطور عن الإنسان ما يبين لنا متى وكيف بدأ الاهتمام بالمشكلات التى تندرج اليوم تحت موضوع الشخصية . وليس ثمة شك أن الاهتمام العملى بنواحى الشخصية ومشكلاتها قديم ، رغم أن الأمر قد تطلب سنوات طويلة جداً قبل أن يصبح مثل هذا الاهتمام موضوع دراسة علمية دقيقة . وقد يكشف ذلك عن المقاومة العميقة من جانب الإنسان لدراسة نفسه دراسة موضوعية وبشكل طبيعى .

ولا بد أن يكون الإنسان القديم قد لاحظ :

(ا) الفروق الموجودة فى أنماط السلوك للناس من حوله .

(ب) ما قد يكون عليه هذا السلوك من ثبات نسبى أحياناً .

(حـ) ومن تغير أحياناً أخرى .

وهذه النواحى الثلاث يمكن النظر إليها باعتبارها من الخصائص الأساسية التى أقيم عليها علم دراسة الشخصية . وربما يكون هذا الإنسان القديم قد فكر بعمق أيضاً فى مشكلة التنبؤ بسلوك الآخرين ، حيث أن وجوده هو ، يتوقف إلى حد بعيد على التنبؤ بسلوكهم . ولكن ليس ثمة أساس يمكن الاستناد إليه فى القول بأن الإنسان القديم كانت لديه فكرة علمية ، ولو بسيطة ، عن السلوك . ومع كثرة ما للعلم من خصائص ، فإن خاصيته الأساسية هى إمكان إيجاد تفسير للظواهر الطبيعية من داخل الطبيعة ذاتها ، ودون الالتجاء إلى قوى خارجية عنها . ولم يكن هذا الاتجاه العلمى واضحاً فى تفسير السلوك فى العصور القديمة . فالرجل البدائى كان يرد ألوان السلوك المختلفة إلى قوى

خارجة عن الطبيعة وتفوق الطبيعة أحياناً كثيرة . فهو قد لاحظ السلوك المرضى ، ولكنه فى تفسيره له ، كان يعزوه إلى وجود أرواح شريرة أو إلى قوى تفوق الطبيعة ، بدلا من البحث عن العلل الطبيعية لهذا السلوك . وحتى اليوم ، ورغم أننا نحاول فهم السلوك السوى والمرضى بالأسلوب العلمى ، إلا أنه لا يزال بيننا من هو أبعد ما يكون عن التفسير العلمى لمثل هذا السلوك .

عند الإغريق :

وكان اليونان القدامى أكثر تفاؤلا من حيث قدرة الإنسان على فهم سلوكه والتحكم فيه . فسقراط مثلا (٤٦٩ — ٣٩٩ ق . م) كان يعتبر الوظيفة الأساسية للإنسان هى « أن يعرف نفسه » وذلك تحقيقاً لتلك الحكمة المسطورة على معبد دلفى « إعرف نفسك » .

وكانت نظرة سقراط إلى العالم الطبيعى بعيدة تماماً عن النظرة العلمية . فكان يعتقد أن أحداثه وتغيراته ترجع إلى الآلهة الذين يخفون المعرفة الضرورية عن الإنسان . ومن ثم فلا جدوى لدراسة مجالات الفلك والطبيعة وما إليها ، ولذلك وجه سقراط اهتمامه نحو الإنسان . فإذا لم تكن هناك فرصة لمعرفة العالم الطبيعى ، فلنعرف أنفسنا . ومن هنا اتجه سقراط إلى معرفة الذات ، ودعا إلى ضرورة معرفة الإنسان لنفسه كهدف أسمى للمعرفة . وربما كانت المشكلات الانفعالية التى واجهت سقراط هى أحد الأسباب التى دفعته إلى الاتجاه نحو معرفة نفسه . فاهتمام الفرد بدراسة الشخصية قد يصدر عن مشكلات التوافق مع الآخرين ، كما قد تزداد حساسيته لمشكلات الشخصية بزيادة خبرته فى التوافق معهم .

وقد وضع أفلاطون (٤٢٨ — ٣٤٨ ق . م .) الكثير من القضايا المثيرة للفكر فيما يتصل بالطبيعة الإنسانية . فى « الدفاع عن سقراط » أورد

على لسان سقراط «أن الحياة التي لا تعرف ، ليست جديرة بأن تسمى حياة» .
ومن أفكاره أيضاً تقسيم قوى النفس إلى : شهوية ومركزها البطن ، وغضبية ومركزها القلب ، وعاقلة ومركزها الدماغ . وهذا يقترب مما يقوله المحدثون في تقسيمهم للظاهرة النفسية إلى إدراك ووجدان ونزوع . وربما كانت فلسفة أفلاطون بوجه عام أقوى المؤثرات في بقاء واستمرار فكرة القناع «برسونا» في تعريف الشخصية عبر هذه الأجيال العديدة . ووجهة نظر أفلاطون تمثل أصدق تمثيل الفلسفة المثالية التي لا تزال قائمة حتى الآن ، والتي لا يمكن أن نسقطها من الحسبان أو أن نقلل من قدرها عند دراسة مشكلة الشخصية .
فلا يزال البعض يعتقد أن الشخصية هي مجرد الواجهة التي يفترض أن يكمن وراءها جوهر ما . ولعلنا نلمس في كتابات أفلاطون الكثير من الأفكار التي جاءت بعد ذلك بقرون عديدة عند فرويد . فليس من الصعب على القارىء — كما يقول إريك فروم — أن يلمس التشابه الواضح بين ما كتبه أفلاطون في الجمهورية وما كتبه فرويد عن الأحلام في كتبه العديدة .

أما أرسطو (٣٨٤ — ٣٢٢ ق . م) فقد قدم الكثير من الأفكار عن الإنسان . وربما كانت الفكرة التي تهمنا هي تلك التي يشير فيها إلى العقل باعتباره صفحة بيضاء تنقش على جدرانه الداخلية الخبرات المختلفة التي تمر بالفرد وقد كانت هذه الفكرة هي جوهر فلسفة جون لوك (١٦٣٢—١٧٠٤) ، ولا يزال صداها يتردد عند بعض المفكرين .

وقول أرسطو أن العقل يولد صفحة بيضاء خالية من كل نقش ، وأن ما ينقش عليه هو نتيجة الخبرات المختلفة التي تمر بالفرد ، يقربه من مذهب أنصار البيئة الذين يذهبون إلى أن الشخصية تتحدد أساساً بالعوامل البيئية والاجتماعية والخبرات المختلفة التي تمر بالفرد في حياته . فسمات شخصية الفرد تتحدد بالخبرة والتجربة . ولعل هذا الرأي أقرب إلى ما يأخذ به حالياً

علم النفس الأمريكي . ومع ذلك لانستطيع أن ننكر الاستعدادات الفطرية والموروثة ، أو التكوينات البيولوجية التي تلعب دوراً هاماً في تكوين الشخصية ونموها . فسمات شخصية الفرد ليست نتاج الخبرة وحدها ، وإنما هي محصلة عوامل عديدة ، تكون الخبرة إحداها . ومع ما لفكرة أرسطو من أهمية وتأثير ، فلا يسعنا قبولها كأساس سليم لفهم الشخصية .

أما بقراط (٤٦٠ — ٣٧٠ ق . م .) - أبو الطب عند اليونان القدماء .. فكان أول من جعل المشكلات السلوكية والسيكاترية موضع اهتمام الأطباء ودراستهم ، بعد أن كانت تعزى إلى تدخل الآلهة وإلى قوى أخرى تفوق الطبيعة . وقد قدم تفسيرات بيولوجية لهذه المشكلات . وكانت قدرته ... في قوة ملاحظاته وتسجيله لهذه الملاحظات وفي استبصاره العلمي . وقد ... الفروق في الأمزجة بين الناس وقدم نظريته المعروفة لتفسير هذه الفروق . لقد أرجع الاختلافات بين الناس في النواحي الانفعالية أو في الأمزجة إلى اختلافات ، فيما أسماه باسم « الكيمياء الحيوية للجسم » . وأقام تقسيمه على أساس تقسيم الفيلسوف « أنبا دوقليس » للعناصر الأربعة للكون وهي : التراب ، والهواء ، والنار ، والماء . وقسم أبقراط الأمزجة إلى أربعة تقابل العناصر الأربعة . فهناك « المزاج السوداوى » و « المزاج الدموى » و « المزاج الصفراوى » و « المزاج البلغمى » . وهذه الأمزجة لو اختلطت بنسب متكافئة ، كان الشخص سليما من الناحية النفسية ، أما إذا تغلب إحداها ، حدث المرض . ورغم أن جوهر النظرية قد اختفى ، إلا أن شكلها ظل باقياً . فنحن اليوم بدلا من التحدث عن الأخلاط ، نتحدث عن الهرمونات وغيرها من المواد الكيميائية الحيوية التي تؤثر في السلوك الذي نلاحظه .

أما ثيوفراسطس (٣٧٢ — ٢٨٧ ق . م .) — أحد تلاميذ أرسطو — فكان أول من بدأ محاولة رسم صور كلامية الأنماط العامة للإنسان . وهذا

العمل صعب ولا شك ، حتى ولو كانت المادة المناسبة لذلك تحت تصرف الشخص ، إذ يتطلب مهارة وقدرة لغوية فائقة . وكان ثيوفراسطس أحد الممتازين فى وصف الشخصية . ويقول روباك فى كتابه « شخصية الخلق ١٩٣١ » : إن بعض الأساطير الإغريقية القديمة تذهب إلى أن ثيوفراسطس قام بكتابه « شخصياته » وهو فى سن التاسعة والتسعين بعد تأمل طويل فى تلك المشكلة المحيرة ، والتى يلخصها فى قوله : « لماذا تتفاوت شخصياتنا نحن معشر اليونانيين كل هذا التفاوت الملحوظ ، نحن الذين تظلنا سماء واحدة ، وتلقينا تعليماً متشابهاً » . وقد قدم لنا ثيوفراسطس صوراً عديدة للشخصيات التى قام بتصويرها على هذا النحو ، وكان يتبع فى كل منها نفس النمط : تعريف السمة ، ثم وصف الشخصية التى تسود لديها هذه السمة وتعبر عن ذلك بطرق مختلفة . ومن الواضح أن ثيوفراسطس لم يصف كل الأنماط الإنسانية ، كما أن هناك تداخلاً ملحوظاً فى تلك الأنماط التى قام بوصفها ، كما لم يقدم بياناً كيف تنمو هذه الشخصيات وتتطور . ولكن رغم هذه المآخذ ، فإن شخصيات ثيوفراسطس قد رسمت ببراعة فائقة حتى أن الإنسان يمكنه أن يتعرف على مثل هذه الأنماط بين معارفه أو المحيطين به ، ولقد قدم البورت فى كتابه « الشخصية » (١) للسيكولوجيين المعاصرين بقوله : « ليس ثمة شك أن تصويرات ثيوفراسطس الذكية الواضحة للأنماط الإنسانية قد خلقت له شهرة دائمة ، وكانت بمثابة النموذج الذى يحتذيه المقلدون فى هذين الألفين من السنين » . ولقد وصف ثيوفراسطس أنماطاً من الشخصيات التى عاشت فى عصره ، بدلا من التركيز على وصف شخص واحد بالذات . كما أفادنا فى ناحية أخرى لم نصل إليها إلا فى القرن العشرين . فقد أوضح أنه لا بد

---

(1) Allport, G. Personality : a psychological Interpretation, New York : Holt. Rinehart and Winston, 1937 .

أن يصحب أى تعميم لصفة ما أمثلة محسوسة ، وسلوك يمكن ملاحظته ، وبواسطته يمكن التعرف على الصفة أو السمة . وهذا أقرب إلى أسلوب التعريفات الإجرائية التى تحدث عنها بردجمان عام ١٩٢٨ (١) .

ولقد تبع أسلوب ثيوفراسطس بعض الكتاب المحدثين من أمثال شوسر وبن جونسون وجوزيف إديسون وريتشارد ستيل وصموئيل جونسون ، وجورج إليوت وصموئيل بتلر وغيرهم .

عند الرومان :

إن ما أضافه الرومان فى مجال الشخصية كان محدوداً ولا يقاس بما قدمه اليونان . ومع ذلك ، لا تخلو هذه الفترة من أهمية بالنسبة لاضطرابات الشخصية والمرض النفسى وكيفية تداول المرضى العقليين . لقد كانت الخرافات فيما يتصل أسباب المرض النفسى تعم المجتمع الرومانى ، كما كان الحال بالنسبة لجميع العصور القديمة . ومع ذلك ، كانت هناك أصوات تدعو إلى اتخاذ اتجاه طبيعى نحو علاج المرض العقلى وضرورة معاملة المرضى معاملة إنسانية .

وربما كان أهم ما يعنينا فى هذه الفترة هو ما يتصل بأصل كلمة « شخصية » . فاليونان — رغم نظرتهم الموسعة للشخصية — لم يبتدعوا اللفظ نفسه . فالمصطلح الانجليزى Personality أو الفرنسى Personalité والذى يبدو أنه ظهر فى القرن الرابع عشر — يرجع فى الأغلب إلى الأصل اللاتينى Personalitas الذى ظهر فى العصور الوسطى ، والذى يرجع بدوره إلى اللفظ اللاتينى القديم Persona « برسونا » ومعناه : القناع الذى كان يرتديه الممثل على المسرح ليعطى المتفرجين انطباعاً بالدور الذى يقوم به ، أو ليخفى معالم

(١) محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسى . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة — ١٩٥٩ .

شخصيته الحقيقية ويظهر بمظهر آخر والتعريف بالانطباع الذى يحدثه الفرد في الآخرين هو أحد التعريفات العديدة التي تعرف بها الشخصية والتي تشير إلى المظهر الخارجي الذى تبدو عليه الشخصية .

ثم هناك تعريفات شيشرون للفظ الشخصية والتي حولت اللفظ من معناه الحسى إلى معنى مجرد له صور متعددة . وقد أشار البورت فى كتابه الشخصية (١٩٣٧) إلى معان أربعة مختلفة وردت فى كتابات شيشرون تشمل جميع الأفكار الحديثة لهذه الكلمة على نحو ما سنوضح فى حديثنا عن « تعريف الشخصية » (١) .

في العصور الوسطى :

ويدخل الفكر فى عصور مظلمة فى أوروبا خلال القرون الوسطى ومع ذلك ، فهذه الفترة لم تخل من آثار طيبة عند العرب ، ففى الوقت الذى كان فيه المرضى العقليون يعانون صنوف العذاب وعدم الرعاية الطبية ، ويعاملون معاملة غير إنسانية فى مختلف البلاد الأوروبية ، كان العرب يقومون بحركة إنسانية واسعة النطاق من أجل هؤلاء . ويكفى أن نشير إلى أن من أوائل مستشفيات الأمراض العقلية فى العالم ، كانت مستشفيات بغداد عام ٧٠٥ م ، ومستشفى قلاوون بالقاهرة عام ٨٠٠ م ، ومستشفيات دمشق وحلب عام ١٢٧٠ م . هذا فى الوقت الذى لم تظهر فيه هذه الحركة الإنسانية فى أوروبا وأمريكا ، إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حين كرس « تشارلس بيرز » — الذى كان طالباً بجامعة ييل وأصيب بلوثة عقلية شفى منها وألف كتاباً سماه « عقل وجد نفسه » — ثروته من أجل الدعوة إلى ضرورة توفير الأطباء لعلاج هؤلاء المرضى ومعاملتهم معاملة إنسانية .

(١) انظر الفصل الثانى من الكتاب .

فى العصور الحديثة :

وقد ظل علم النفس أجيالا طويلة فرعاً من فروع الفلسفة ، ولم يستقل عنها إلا بعد أن أصبح له موضوعه الخاص به ، ومنهجه الخاص به ، وبعد أن ظهرت التجارب المعملية المضبوطة والدقيقة على يد « جوستاف فخنر » (١٨٠١ — ١٨٧٧) و « ولهلم فنت » (١٨٣٢ — ١٩٢٠) . وقد ركز هذا العلم التجريبى الجديد جهوده لدراسة العقل الإنسانى عامة والعمليات العقلية الشعورية كالإدراك والتذكر والتفكير والنسيان والتخيل والتصور وغيرها . وفى نفس هذا الوقت كان الأسلوب العلمى يأخذ طريقه إلى ميدان الطب النفسى لدراسة مشكلات الشخصية الشاذة أو غير العادية . وكانت المساهمات التى قدمها هذان الفرعان — وغيرهما — بداية ظهور علم نفس الشخصية على نحو ما سوف نوضح فيما بعد .

وفى هذه الأثناء ظهرت بعض النظريات والأفكار التى تعد بمثابة نقط ارتكاز هامة أفادت فروع العلم المختلفة ، وانعكس أثرها واضحاً على دراسة الشخصية فيما بعد . ومن هذه :

(١) نظرية التطور لدارون (١٨٠٩ — ٨٨٢) :

ويعتبر كتابه « أصل الأنواع (١٨٥٩) » نقطة تحول ملحوظة فى تفكير الإنسان وفى نظرته لطبيعته الخاصة . فكان لهذا الكتاب تأثير ملحوظ فى علم النفس العلمى الذى كان قد بدأ يأخذ سبيله إلى الظهور ، كما كان له تأثير أيضاً على دراسة الشخصية فيما بعد . لقد غيرت نظرية دارون من نظرة الإنسان لنفسه . وكانت الملاحظات العديدة التى جمعها لتدعيم نظريته تفوق بكثير جهود السابقين عليه ، وجعلت من العسير على الباحثين إغفال وجهة نظره . كما أن تقدم العلوم البيولوجية فى ذلك الحين كان قد بلغ درجة

جعلت آراء داروين تأتى فى حينها ، ومن ثم وجدت أرضاً خصبة تنمو فيها .
وثمة مبدآن هامان يمكن استخلاصهما من نظرية داروين ، كان لهما انعكاسهما فيما بعد على دراسة الشخصية . وهذان المبدآن هما الفروق العادية بين الناس ثم البقاء والتوافق .

أما الفروق العادية بين الناس ، فمن الملاحظ أن علماء البيولوجيا قبل داروين ، كانوا يميلون إلى توكيد ناحية التشابه بين الأفراد داخل النوع الواحد . أما ما هنالك من فروق ملحوظة ، فلم يكن أمامهم سوى إغفالها أو إنكارها باعتبارها شوائب تخرج على القانون العام . أما داروين فقد نظر إليها على أنها حقيقة واقعة وطبيعية ومتوقعة . فالفروق الفردية موجودة إذن على جميع مستويات مقياس التطور النوعى .

ولقد أدرك علماء النفس — بعد ذلك — أهمية هذا المبدأ الذى ينطبق لا فقط على التركيب التشريحى والعمليات الفسيولوجية ، بل وأيضاً على الأنواع المختلفة من العمليات العقلية والسلوك . وكان سير « فرنسس جالتون » من أوائل من أدرك أهمية هذه الحقيقة فى دراسة العمليات العقلية والسلوك .

والغريب أن علماء النفس التجريبى الأول الذين اهتموا بدراسة العقل عامة ، لم يوجهوا اهتمامهم لدراسة هذه الفروق الفردية ، واعتبروها خروجاً على القانون العام الذى يبحثون عنه ، وأنها شوائب وأخطاء فى القياس يمكن إغفالها . ولم يكن طلاب البحث يجدون التشجيع من أساتذتهم لدراسة مثل هذه الفروق الفردية ، إلى أن قام « جيمس ماكين كاتل » — أحد تلاميذ فنت ورغم معارضة أستاذه أول الأمر — بدراسة الفروق الفردية فى زمن الرجع ، وأوضح بالتجربة ، وبما لا يدع مجالا للشك ، وجود فروق فردية واضحة بين الأفراد المختلفين ، وحتى لدى الفرد الواحد باختلاف ظروفه وأحواله .

والبوم أصبحت الفروق الفردية حقيقة مسلم بها في دراستنا للسلوك ، بل وتعتبر بمثابة إحدى الركائز الهامة التي تقوم عليها دراسة الشخصية .

والمبدأ الثاني — وهو البقاء والتوافق — أوضحه دارون في فكرته عن الانتقاء الطبيعي وبقاء الأصلح . ولقد وجه دارون الانتباه إلى كيف يتوافق ... مع بيئته . وقد أصبحت عملية التوافق هذه إحدى النقاط ... سة الشخصية . حتى أن « البورت » يذكر التوافق الاجتماعي ... ع من التعريفات العديدة التي تعرف بها الشخصية . فالشخصية ، في نظر هؤلاء الذين يأخذون بالتعريفات « الحيوية الاجتماعية » والتي تأثرت إلى حد واضح بفكرة دارون — هي تلك الميول الثابتة عند الفرد ، والتي تنظم عملية التوافق بينه وبين البيئة ، أو هي « تكامل أنظمة العادات التي تمثل خصائص توافقات الفرد مع البيئة » . فخصائص الشخصية تنمو نتيجة محاولة الفرد إقامة علاقة مؤثرة بينه وبين البيئة ، فالتغيرات التي تطرأ سواء في عالم الفرد الخارجي أو الداخلي تدفعه إلى تعديل سلوكه من أجل البقاء ، ومن أجل إشباع حاجاته الأساسية وتجنب التوترات المختلفة غير المرغوب فيها . ثم إنه — نتيجة لنمو أساليب متميزة استجابة لهذه التغيرات — يمكن أن نلاحظ وجود نمط ثابت من الاستجابة عند الفرد ، مما يمكننا من القول بوجود سمات معينة للشخصية .

(ب) العلوم الطبيعية والقياس :

والعلم الطبيعي موضوعي ، تجريبي ، منطقي ، وكمي . وجميعها صفات تهدف إليها فروع العلم المختلفة بما فيها علم النفس . ولقد بدأ العلماء المحدثون يهتمون بشكل واضح بالكشف عن القوانين الطبيعية التي تخضع لها الظواهر . واستندوا في دراستهم إلى الملاحظة والتجربة واعتمدوا على الأدوات

وأجهزة القياس الدقيقة ، ورفضوا فى تفسيرهم للظواهر الطبيعية الرجوع إلى أية مفاهيم ميتافيزيقية أو فلسفية . وما يهمنا نحن — فى علم النفس عامة وعلم نفس الشخصية خاصة — ليست هذه القوانين الطبيعية الخاصة التى توصل إليها علماء الطبيعة كل فى فرع تخصصه . بل كيف أمكن الإفادة من الاستخدام الدقيق للقياس والأساليب الكمية والرياضية — فى تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة . لقد اتضح أثر العلوم الطبيعية على علم النفس فى الاتجاه إلى التجارب المقيدة المضبوطة ، ونبذ التفسيرات الفلسفية والميتافيزيقية ، ثم فى استخدام وسائل القياس المختلفة فى دراسة الظواهر الإنسانية . ولكن رغم إدراك علماء النفس لأهمية القياس فى العلم ، إلا أنهم لم يفيدوا منه فى دراسة الشخصية إلا متأخراً . عندما بدأ هذا الاتجاه يظهر مع بداية القرن العشرين نتيجة الجهود الكبيرة التى قام بها كبار الباحثين فى هذا الميدان .

فى انجلترا ، كان جالتون من أوائل من أدرك أهمية الفروق الفردية ، واستخدم الإحصاء كوسيلة للدراسة ، ووصل إلى فكرة المنحنى الاعتدالى . ووضع بذلك أسس القياس العقلى ، كما وصل إلى فكرة معاملات الارتباط وفكرة المحكات التى تستخدم فى قياس صدق الاختبار ، والذى يعنى أنه يقيس ما وضع لقياسه .

وقد ساهم من أتى بعده بجهودهم الكثيرة فى النواحى الرياضية والإحصائية ووضعوا طرق معاملات الارتباط والتحليل العاملى . والتى ظهرت نتائجها واضحة فى مجال الذكاء فى بداية الأمر ، ثم بعد ذلك فى مجال الشخصية . ومن أبرز الباحثين فى هذا الاتجاه فى انجلترا «هانز ج . ايزنك» (١٩١٦ —) ، وفى أمريكا رايموند كاتل وبول جيلفورد .

هاتان الركيزتان — ونعنى بهما نظرية داروين والعلوم الطبيعية والقياس —

ظهرت آثارهما واضحة فى فروع علم النفس التى مهدت السبيل لظهور الشخصية ، وبخاصة فى علم النفس التجريبى وعلم النفس الإكلينيكى . وهذا يدعونا إلى إلقاء المزيد من الضوء على مدى مساهمة كل من علم النفس التجريبى وعلم النفس الإكلينيكى فى دراسة الشخصية .

١ - علم النفس التجريبى :

لقد أفادت دراسة الشخصية من هذا الفرع فى ناحيتين : الأولى أن أعمال علماء النفس التجريبى قد دعمت الاعتقاد - فيما بعد - فى إمكان قياس وتحليل العمليات النفسية داخل إطار مطالب المعمل الدقيقة . وإذا كانت الجهود موجهة فى أول الأمر إلى دراسة الإحساس ، والإدراك ، والتصور ، والتخيل ، ورد الفعل ، أكثر مما اتجهت إلى دراسة الشخصية ، إلا أن هذه الجهود قد ساهمت بالطبع فى تمهيد الطريق أمام استخدام القياس والتجريب فى المجالات السيكولوجية الأخرى . والناحية الثانية : أنه من خلال الدراسة التجريبية المضبوطة ، ظهرت فكرة دراسة الفروق الفردية على أساس تجريبى على نحو ما فعل جيمس ماكين كاتل (١٨٦٠ - ١٩٤٤) ، وبذلك وضع أساس أحد المبادىء الهامة فى دراسة الشخصية على أساس تجريبى .

وقد أخذت فكرة إمكان قياس العمليات العقلية ، سبيلها إلى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر ولم يكن الدافع إليها بالطبع هو فكرة التطور (على نحو ما حدث فى انجلترا) أو الروح المعملية المضبوطة (على نحو ما حدث فى ألمانيا) ، وإنما كان الاهتمام بالأطفال غير العاديين وضعاف العقول ، وضرورة إيجاد الوسائل العملية للتعامل معهم .

فقد أدرك المربون فى فرنسا فى أواخر القرن الماضى أن وجود التلاميذ ضعاف العقول وغير العاديين فى فصل واحد مع التلاميذ العاديين ، فيه مضيعة

للوقت والجهد والمال ، ولا يفيد أية مجموعة منهما الفائدة المرجوة . وكانت تلك هي المشكلة التي واجهت وزارة التربية في فرنسا في ذلك الحين ، بعد أن أصبح التعلم إجبارياً . وقد لجأت الوزارة إلى الفرد بينيه (١٨٥٧ - ١٩١٢) وكان طبيباً يهتم بمشكلة القياس العقلي . ووضع بينيه لذلك مقياساً بسيطاً ١٩٠٥ أمكن بواسطته التمييز بين التلاميذ العاديين وغير العاديين . وكان هذا هو أول مقياس عقلي يوضع على أساس علمي . وقد أدخل عليه بينيه تعديلين أحدهما ١٩٠٨ ، والآخر سنة ١٩١١ ، كما أدخلت على المقياس الفرنسي تعديلات أخرى عديدة كان أهمها ذلك التعديل الذى قام به ترمان بجامعة ستانفورد (١٩١٦) والذى عرف باسم « مقياس استنفورد - بينيه للذكاء » ثم تعديل ترمان وميريل (١٩٣٧ و ١٩٦٠) . وكان هذا النجاح الذى أحرزه بينيه في قياس الذكاء دافعاً قوياً لوضع الكثير من الاختبارات الأخرى المتنوعه . والتى مهدت السبيل إلى وضع مقاييس الشخصية فيما بعد . وقد ساهم علماء النفس الأمريكان في هذا الصدد مساهمة فعالة . فقام « روبرت وودورث » - وهو من الرعيل الأول لعلم النفس التجريبي في أمريكا - بوضع أول اختبار لقياس الشخصية وكان الهدف منه التمييز بين العاديين وغير العاديين من المجندين خلال الحرب العالمية الأولى .

ولم يقف الأمريكان عند حد استخدام الاختبارات في قياس الشخصية بل ساعدهم تطور التجريب عندهم واستخدام الأجهزة الدقيقة على إمكان قياس الشخصية في المعمل مثلما يدرسون الإحساس والإدراك والتعلم وغيرها من العمليات العقلية الأخرى . وتعني الدراسة المعملية للشخصية ملاحظة وتسجيل السلوك تحت ظروف من الضبط والدقة . وقد أوضح علماء النفس الأمريكان أن من الممكن إقامة تجارب مقيدة ومضبوطة على

الشخصية ، تحدد فيها متغيرات مستقلة وتابعة ، ويمكن مقارنتها من حيث الدقة والضبط بالتجارب الأخرى التى تجرى داخل المعمل بالنسبة لعلم النفس التقليدى .

٢ - علم النفس الإكلينيكى :

أما علاقة علم النفس الإكلينيكى بالشخصية فعلاقة وثيقة . والحقيقة أن جانباً كبيراً من دراسات الشخصية استمر وثيق الصلة بمشكلات المرض النفسى . حتى أن تعريف الشخصية السوية كان يتم بطريقة سلبية ، أى عن طريق خلوها من المرض النفسى ، على نحو ما كان عليه الحال بالنسبة للصحة الجسمية . ولكن فى السنوات الأخيرة . لم يعد علم الطب والصحة النفسية قاصرين على الاهتمام بالمرض ، بل أخذت تعريفاتهما تصاغ فى عبارات إيجابية ، كما بدأ كل منهما ينمى الوسائل والطرق لتحسين صحة الإنسان النفسية والبدنية على حد سواء ، ومن هنا لم يعد علم دراسة الشخصية قاصراً هو الآخر على مجرد الاهتمام بالشذوذ والحالات الشاذة ، بل أخذ يدرس الشخصية السوية كما يدرس الانحراف سواء بسواء .

ومن المحتمل أن تكون فكرة الشخصية قد ظهرت نتيجة حيرة المجتمع بالأفراد الذين تنحرف أنماط سلوكهم بشكل ملحوظ عما هو عادى ومتقبل من المجتمع ، فكما نصبح حساسين لانحراف درجة الحرارة بشكل ملحوظ عما هو عادى ، فكذلك نصبح حساسين لانحراف أنماط السلوك بدرجة ملحوظة أيضاً عما اعتدناه فى أنفسنا وفى الآخرين .

والحقيقة أن كثيراً من النظريات التى نقابلها فى مجال الشخصية قد صدرت أساساً خلال العمل الإكلينيكى فعلم نفس الشخصية يعتمد إلى حد بعيد على نتائج الدراسات الإكلينيكية التى لم يكن الهدف منها هو دراسة الشخصية ،

بقدر ما كان هدفها تخفيف آلام المرضى النفسيين وعلاجهم . ففرويد وأدلر ويونج وسوليفان وغيرهم كانوا أطباء نفس إكلينيكيين ، قبل أن يكونوا واضعي نظريات في الشخصية .

ولكن هذه الدراسات الإكلينيكية — رغم ما زودت به دارسي الشخصية من أفكار واستبصارات هامة عن العمليات اللاشعورية والميكانزمات الدفاعية وغيرها — قد أوقفت الباحثين على جوانب الضعف في الشخصية أكثر مما أوقفتهم على جوانب القوة فيها ، كما انطوت على صعوبة أخرى بالنسبة لدارسي الشخصية تتجلى في الميل إلى تعميم النتائج والنظريات التي وصل إليها من دراسته للحالات المرضية على الحالات السوية . ومن هنا تبدو الحاجة إلى وضع علم نفس للشخصية يكون رد فعل لزيادة الاهتمام الإكلينيكي بالمرض النفسي ، ويهتم في الوقت ذاته ، بجوانب القوة ويدرس الأسوياء إلى جانب دراسة الحالات الشاذة ، حتى يكون الباحث على حذر من الوقوع في خطأ التعميم من الحالات المرضية وحدها . ولكن هذا لا ينفي الفائدة الكبيرة التي استمدها علم نفس الشخصية من علم النفس الإكلينيكي ومن مفاهيمه ونظرياته .

وقد ظهر الاتجاه الحديث في دراسة المرض النفسي أول ما ظهر في فرنسا . وكان تأثير « جان شاركو » عظيما . وقد ركز اهتمامه على دراسة الهستيريا ، وعلى التنويم المغناطيسي وطبيعته وفائدته في العلاج . وقد أثارت دراسات شاركو اهتمام بعض تلاميذه النابهين وعلى رأسهم « فرويد » الذي تجاوز تأثيره جميع الأطباء النفسيين الذين عملوا في دراسة المرض النفسي .

ومع فرويد ندخل المجال الحديث للتفكير في الشخصية . لقد أدرك فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٦) كغيره من الباحثين في الشخصية ، ضرورة وجود نظرية شاملة في الشخصية كأساس للعمل العلاجي الذي كان يمارسه كطبيب . ومع

ذلك لم تقف اهتماماته العقلية عند هذا الحد ، بل تعرض لكثير من المشكلات ذات الصلة الوثيقة بطبيعة الإنسان وأساليب معيشته ، وما قد يتعرض له من إحباطات وأثر ذلك كله فى شخصيته .

لقد كان اهتمام فرويد موجهاً فى بداية الأمر إلى دراسة علم الأعصاب ، ولكنه سرعان ما أدرك أن مرضاه لا يشكون من اضطرابات عضوية فى الجهاز العصبى ؛ وإنما من أعراض ترجع إلى اضطرابات انفعالية ناجمة عن الخبرات المختلفة التى تمر بالفرد ، ومن ثم فهى اضطرابات وظيفية وليست عضوية . فالمفاهيم العصبية ليست مفيدة جداً سواء فى تشخيص أو علاج مثل هؤلاء المرضى . وفى محاولته فهم وعلاج هذه الاضطرابات النفسية ، وصل إلى كثير من الأفكار والمفاهيم الثورية فى الإنسان

وكان فرويد وزميله « بروير » (١٨٤٢ - ١٩٢٥) ، وهو طبيب نمسوى ، يعالجان مرضاهما عن طريق التنويم المغناطيسى . ولكن سرعان ما تبين لهما عدم كفاية هذا الأسلوب من أساليب العلاج ، فليس من السهل استخدامه مع جميع الحالات . كما أنه تبين لهما أنه على الرغم من أن الأعراض الهستيرية قد تختفى بالتنويم ، إلا أنها مع ذلك إما أن تعاود الظهور مرة ثانية أو أن يحل محلها أعراض أخرى . ولذلك استخدم فرويد طريقة « التداعى الحر » حيث كان يطلب من مرضاه أن يخبروه بكل ما يرد على أذهانهم من أفكار مهما بدت لهم تافهة أو غير مناسبة أو مخجلة . وكان يعتقد بالتعاون الإيجابى من جانب المريض ، وأن هذا التعاون يساعد على كشف الأسباب الخفية لمشكلات المريض . ومن ثم مساعدته على التغلب على أنواع الصراع عنده .

ولم يكن الأسلوب الذى اتخذه فرويد فى العلاج هو الذى لفت نظر الناس إليه ، بل إن محتوى النظرية هو الذى جذب الانتباه إليه بشكل أوضح . فقد ذهب فرويد إلى أن الجنس يلعب دوراً هاماً فى الهستيريا وأنواع العصاب

الأخرى . وكانت مثل هذه الأفكار بمثابة صدمة بالنسبة للكثيرين . وليست نظريته فى الجنس هى موضع اهتمامنا هنا ، وإنما الذى يهمنا هو ما يمكن أن نستخلصه من هذه النظرية بالنسبة لدراسة الشخصية . فمن غير الممكن أن ندرس الشخصية دراسة عميقة ، دون معرفة التفاصيل الدقيقة للغاية من حياة الفرد ، وهى مسائل يفضل الكثيرون تركها دون مساس . ولقد حطم فرويد ـ أكثر من أى مفكر آخر فى وقته ـ الحواجز والتابو، الذى حال بين الإنسان والتطلع إلى ماضيه ليفسر به حاضره ، ومن ثم يعرف نفسه معرفة كاملة ودقيقة . والجدير بالذكر أيضاً أن فرويد لم يقف عند حد وصف الظواهر المرضية على نحو ما يفعل الكثيرون غيره ، بل تعمق فى دراسة أسباب هذه الظواهر ومعرفة وظيفتها بالنسبة للمريض . وهذا يتطلب قيام نظرة ديناميكية للمرض النفسى كان لها أثرها أيضاً فى نظرته للشخصية .

وإذا كان علم النفس القديم قد ركز اهتمامه على تحليل محتويات العقل الشعورى ، فإن فرويد وجه اهتمامه إلى الجانب الآخر من النفس البشرية والذى اعتبره أكثر أهمية من الشعور ونعنى به اللاشعور . وقد شبه فرويد الشعور واللاشعور بجبل من الثلج ؛ الجزء الذى يظهر منه على سطح الماء ـ وهو الذى يقابل الشعور ـ جزء بسيط لا يكاد يذكر ، إذا قورن بالجزء الآخر الغائر فى أعماق المحيط وهو الذى يقابل اللاشعور . ومعنى ذلك بالنسبة لدراسة الشخصية ، أن الإنسان إذا كان عارفاً أحياناً بأسباب قيامه ببعض الأفعال ، فإنه فى كثير من الأحيان يأتى أفعالا لا يعرف سبب أدائه لها . ودراسة الحالات العديدة التى قام بها فرويد جملته يؤكد ضرورة الرجوع إلى العمليات اللاشعورية . وبذلك يكون فرويد قد أضاف « بعد العمق » للشخصية وهو ما كانت تفتقر إليه من قبل .

ثم إن فرويد لم يقف عند دراسة الحالات المرضية وحدها ، بل درس

سلوك الناس فى مواقف الحياة العادية ، ووجد الكثير من الأدلة التى تدعم فكرة أن هذه العمليات العقلية ليست قاصرة فحسب على الحالات المرضية ، بل إنها تظهر أيضاً لدى العاديين ، كنسيان اسم شخص ما ، أو فلتات اللسان أو القلم ، وأهمية ذلك بالنسبة لدراسة الشخصية هى أنه حطم الحواجز القائمة بين العادى والشاذ . ومن ثم وجد ما يبرر له تعميم النتائج التى وصل إليها من دراسته للعصابيين على العاديين .

وكما أكدت أعمال فرويد الاتصال بين الشذوذ والسواء ، فقد أكدت الاتصال أيضاً بين الطفولة والكبر . فالسنوات الأولى من حياة الطفل تعتبر فى نظره بمثابة مفتاح شخصية الكبار . وهذا الاتصال بين الطفولة والكبر أصبح خاصية مميزة للاتجاه الحديث فى دراسة الشخصية .

ومن الممكن القول بأن دراسة الشخصية قد أصبحت حقيقة بفضل فرويد ونظريات التحليل النفسى ، فبالإصرار على ضرورة الكشف عن الجوانب الخفية فى حياة الفرد وتحطيم الحواجز بين العادى والشاذ ، وإدراك الصلة الوثيقة التى تربط بين الطفولة والمراهقة ، ومعرفة أهمية العمليات اللاشعورية ووضع الكثير من المفاهيم الأخرى ، أمكنهم إرساء الأساس لعلم دراسة الشخصية (١) .

الحركات الحديثة التى مهدت لظهور « علم نفس الشخصية »

وبعد هذا العرض التاريخى ، يحسن أن نركز على الحركات الكثيرة التى

---

(١) انظر أيضاً : Baughman, E. Earl and Welsh George Schlager : Personality : A Behavioral Science. Prentice-Hall Inc. Englewood Cliffs, New Jersey 1962 chp. 3.

Cattell, Raymond. The Scientific Analysis in Personality. Penguin Books 1967. chp. 1.

ظهرت فى ميدان علم النفس والتى مهدت السبيل أمام ظهور هذا الفرع الخاص الذى عرف باسم « علم نفس الشخصية » والذى يركز على دراسة الفردية . ولقد ساهمت هذه الحركات بدرجة كبيرة أو صغيرة فى هذا السبيل . ولعل أهم هذه الحركات هى علم النفس الفارق و« سيكلوجية الأنماط » و« سيكلوجية الجشتلت » و « علم النفس الإكلينيكى » ، وسوف نلق نظرة سريعة على كل حركة منها لنبين كيف مهدت السبيل لظهور هذا الفرع من فروع علم النفس .

(١) علم النفس الفارق :

وهو ما درجنا على تسميته باسم « سيكلوجية الفروق الفردية » وقد بدأ ظهوره فى أواخر القرن الماضى وتطور وازدهر فى هذا القرن ويعتبر معظم علماء النفس هذه الحركة من الحركات التى مهدت لسيكلوجية الشخصية وشاركتها نموها واتساعها . ومن المعروف أن علماء الفلك قد ساهموا بدور كبير فى اكتشاف الفروق الفردية بين الناس ، ووصل « بسل » إلى فكرة المعادلة الشخصية ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه علماء النفس التجريبي من أمثال فنت يبحثون عن القانون العام الذى تخضع له الظواهر السيكلوجية . وقد سبق أن أشرنا إلى أن كاتل قد أوضح بما لا يدع مجالا للشك وجود فروق فردية واضحة بين الناس فى زمن الرجع وغيره من الظواهر وقد خطا « جالتون » خطوات واسعة إلى الأمام بهذه الفكرة ، فلم يقصر الدراسة على زمن الرجع والنواحى المحسوسة ، وإنما درسها بالنسبة لنواحى أخرى كالذكاء والتذكر والخلق واستخدم الأساليب الإحصائية فى الدراسة مما استحق معه أن يسمى باسم « مؤسس علم النفس الفارق » .

إن الذى يهمنا هنا هو بيان مدى اهتمام علم النفس الفارق بالفرد . لنفرض أننا طبقنا عدداً من الاختبارات فى الذكاء أو سمات الشخصية أو الميل العصابى

وغيرها على عدد كبير من الناس . إن من المفيد أن نعرف أين يقع الشخص (ا) ، أو الشخص (ب) بالنسبة للمجموع العام من الناس أو بالنسبة لمجموعة التقنين وإذا أمكن أن نعرف تقديراتهما ، فإن من الممكن أن نرسم بروفيلا خاصاً لكل منهما . واوضح أن من مزايا هذه الطريقة أنها تركز اهتمامها على موضع الفرد بالنسبة للمجموع العام من الناس . وقد نجد عدداً قليلا جداً من رسوم الشخصية — أولا نجد أياً منها — يشبه تخطيط شخصية الفرد (ا) وبهذه الطريقة يمكن أن نشخص أو نوجه أو نرشد الشخص ، أى يكون فى إمكاننا أن نعرف شيئاً عن جوانب القوة أو الضعف عند الفرد . ومثل هذه الدراسة هى نوع من الاهتمام بالفردية التى هى هدف دراستنا للشخصية .

ولكن رغم أهمية الخطوة التى خطاها علم النفس الفارق ، إلا أن ارتباطه بالنظرة التقليدية لعلم النفس لا يزال واضحاً ظاهراً فهو : (١) يسير على نفس النمط الذى يسير عليه علم النفس العام ، فنختار ظاهرة أو صفة مفردة يقتنع بإمكان دراستها مستقلة . أى أنه يهتم بالصفة المفردة الواحدة ، أكثر مما يهتم بالفرد ككل ، ويقوم بدراسة توزيع هذه الصفة على المجموع العام من الناس الذين أمكن تطبيقها عليهم ، بشكل يسمح بمعرفة الفروق الفردية أو الانحرافات الظاهرة عن المتوسط أو عن القانون العام بالنسبة لهذه الصفة أو تلك . (ب) يضاف إلى ذلك أن علم النفس الفارق قد أغفل دراسة الفرد كفرد . فالفرد فى نظره وسيلة وليس غاية . إنه يركز اهتمامه على توزيع السمة أو الوظيفة التى أمكن عزلها ودراستها ، وليس حول الفرد الذى يمتلك هذه السمة أو هذه الوظيفة . (حـ) يضاف إلى ذلك أيضاً أن البروفيل الذى يحدد لنا موضع الفرد بالنسبة لمعايير الجماعة فيما يتصل بالسمات المختلفة التى أخذت موضوعاً للدراسة ، لا يكشف شيئاً عن التنظيم الداخلى لهذه

السمات، أو للفرد نفسه فالبروفيل قد يكشف عن سمات الشخصية ، ولكنه في الوقت نفسه لا يكشف عما هنالك من تنظيم داخلي بينها .

(ب) دراسة الأنماط :

ودراسة الأنماط تقف موقفاً وسطاً بالنسبة لمشكلة الفردية ولا شيء أكثر من ذلك . فعالم نفس الأنماط قد تخلى عن فكرة المتوسطات والانحرافات عنها ، لأنه يريد وضع تصنيفات للطبيعة البشرية . ولكنه في الوقت نفسه ، لم يصل إلى اكتشاف الحقيقة الهامة في دراسة الشخصية ونعني بها الفردية أو أن كل فرد يعتبر وحدة في ذاته ومن هنا كان الموقف الوسط الذي اتخذته نظرية الأنماط . فالنمط لا يعني شيئاً أكثر من أن بعض الناس يشبهون أناساً آخرين في سمات معينة فمن الممكن مثلا القول بأن هذا الشخص (ا) يندرج تحت النمط المنطوي أو تحت النمط المنبسط أو المتعادل ، أو أنه من النوع التسلطي أو أنه من النوع المخي الأساسي أو من النوع البدين أو الهزيل أو الرياضي إلى آخر هذه الأنماط التي يمكن أن يندرج تحتها أي فرد .

فالمشكلة بالنسبة لنظرية الأنماط هي أنه من الممكن أن نصنف الفرد تحت عديد من الأنماط ومع ذلك لا نمس الفرد نفسه كفرد . فهذا الشخص (ا) مثلا يشبه هذه المجموعة من الناس في الانطواء ، كما يشبه مجموعة أخرى في بعض الخصائص الجسمية ، ويشبه هذه المجموعة الثالثة في بعض الصفات العقلية أو الخلقية . كل هذا دون أن نمس الشخص نفسه . أي أننا ربطنا بين وظائفه العقلية مثلا ووظائف مشابهة لها عند أفراد آخرين ، ودون أن نفكر في ربطها ببقية الوظائف العقلية عند الفرد نفسه ، أو ببقية الوظائف الحيوية الخاصة به هو بالذات كفرد . ومعنى ذلك بعبارة أخرى ، أن علم نفس الأنماط - شأنه شأن علم النفس العام — يتعامل مع صفات مجردة ومميزته

الوحيدة — كما يقول البورت — هى أن السمات المجردة التى يدرسها لا ينظر إليها على أنها موزعة توزيعاً اعتداليا كلياً عاماً ، وإنما توجد لدى بعض الناس فقط .

(د) علم نفس الجشتلت :

ويعتبر علم نفس الجشتلت ثورة على علم النفس القديم الذى كان يهتم بدراسة العناصر الجزئية المستخلصة من خبرة الفرد . وقد ركزت نظرية الجشتلت اهتمامها على الكليات بدلا من الجزئيات ، ووضعت مجموعة من القوانين الهامة تتصل بعملية الإدراك الحسى . وقد لقيت هذه القوانين اهتماماً كبيراً من الباحثين فى علم النفس ، وانتقلت بعد ذلك إلى مجالات أخرى كالتعلم وعلم النفس الاجتماعى ودراسة الشخصية ؛ وقد حددت هذه المدرسة العلاقة بين الكل والجزء . فالإدراك أساسا هو إدراك لكليات وليس إدراكا لجزئيات ، وأن الجزئيات ليس لها قيمة فى ذاتها ، وإنما تستمد قيمتها وخصائصها فى الكل الذى تنتمى إليه . وقد كان لمثل هذه الأفكار فى مطلع هذا القرن صدى كبيراً فى كثير من مدارس علم النفس المعاصرة .

وأهمية هذه النظرية بالنسبة لموضوع الشخصية هى أنها نقلت الاهتمام من الجزئيات المستقلة المنفصلة إلى دراسة الكليات أو شبكة العلاقات والوظائف داخل الكل أو داخل المجال الحيوى . ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح فى عبارة « كوهلر » أحد مؤسسى هذه المدرسة : « قد يكون من المفيد أن ندرس مئة قلب مجتمعة ولكن من الأفيد — من الناحية الوظيفية — أن ندرس قلباً واحداً فى علاقته بالرئتين ، أكثر من أن ندرسه فى علاقته بالقلوب الأخرى » . ويعلق البورت على ذلك بقوله : إن كلا من علم النفس العام وعلم النفس الفارق ، اهتما بالقلوب بعيـــدة عن وضعها الطبيعى . أما سيكلوجية الجشتلت فقد هدفت إلى تركيز الاهتمام على وظائف الكائن الحى

البعض من حيث هي كل ، ومن حيث علاقتها بعضها ببعض داخل إطار هذا الكل الذي تنتمي إليه .

وثمة ناحية أخرى يمكن أن تفيد منها سيكلوجية الشخصية من نظرية الجشتلت ونعني بها ذلك التمييز الذي وضعه « كيرت ليفين » — أحد أقطاب مدرسة الجشتلت والذي طبق مبادئها على علم النفس الاجتماعي ودراسة الشخصية فقد ميز بين النمط العلّي genotype والنمط الوصفي phenotype . فنحن حين نلاحظ تشابهاً في مظهر مظاهر السلوك لدى أفراد مختلفين ، فإن هذا التشابه يكون نمطاً وصفياً ظاهرياً ، دون أن يكون بالضرورة نمطاً علّياً أو يرجع إلى نفس النمط العلّي . فما قد يبدو لنا أنه نفس النتيجة أو نفس الأثر ، فإنه قد يرجع إلى أسباب أو علل مختلفة اختلافاً جوهرياً . فقد يكون هناك شخصان منطويان (وهذا هو النمط الوصفي الظاهري) ، لكن سبب الانطواء عند أحدهما قد يرجع إلى عوامل وراثية ، بينما قد يعزى عند الآخر إلى خبرات مؤلمة مرت به . وبالعكس قد يؤدي نفس النمط العلي الواحد ... ولنكن مثلا عاهة من العاهات — إلى جعل نمط حياة أحد الأفراد يتصف بالخجل والانزواء والإحساس الزائد عن الحد بالذات ، بينما يؤدي بالآخر إلى التعويض الذي قد يتخذ مظاهر إيجابية كزيادة بذل الجهد والنجاح في العمل ، أو قد يتخذ مظاهر سلبية كالتسول مثلا . وهذا التمييز الذي وضعه ليفين يسمح لنا بالنظر إلى الشخصية بشكل أكثر مرونة ويجعلنا نفسرها داخل إطار مجالها الحيوي الذي توجد فيه ، ودون الاقتصار على الربط بين المثير والاستجابة وحدهما ؛ فنفس السبب الواحد قد يحدث — لدى الأفراد المختلفين — آثاراً مختلفة متناقضة .

وإذا كانت الإفادة من بعض قوانين مدرسة الجشتلت بالنسبة لدراسة الفرد بقواضحة ظاهرة ، إلا أن موضع اهتمام هذه المدرسة قد تركز أساساً

على موضوعات كالإدراك والبحث عن القوانين العامة الكلية التى تخضع لها هذه العملية . ولم يكن موضوع الشخصية أو الفرديه مثار اهتمام حقيقى لديهم . حقيقة إن القليلين من أنصار هذه المدرسة — من أمثال كيرت ليفين — مَنْ وجه اهتمامه شطر الشخصية ، ولكن الأكثرية ، لم تهتم بدراسة هذا الموضوع داخل مجال بحثهم .

(د) علم النفس الإكلينيكى :

يقوم نفر كثير من علماء النفس اليوم بالعمل الاكلينيكى ، فيعملون فى مستشفيات العلاج النفسى ومراكز الخدمة الاجتماعية والمدارس والمؤسسات والسجون والقوات المسلحة كإخصائيين نفسيين . ويطلق على عملهم هذا اسم « إكلينيكى » لأنهم — كالأطباء — يتعاملون مع الحالات الفردية ، أملا فى الوصول بهم إلى حالة التوافق أو الصحة النفسية . وعلى الرغم من أن عالم النفس الإكلينيكى يحتاج إلى دراسة وإعداد فى علم النفس العام وعلم النفس الفسيولوجى والتجريبى والاجتماعى — وجميعها تتعامل مع معايير عامة وجمعية — إلا أن تركيزه الأساسى ينصب على الفرد الذى يقوم بدراسته .

وقد يبدو هذا حلا لمشكلة الفردية . فعالم النفس الإكلينيكى يعنى بالفردية أكثر مما يعنى بها علماء النفس الآخرون الذين يهتمون بالبحث فى المبادىء العامـــة ، ولكن قليلا من التعمق فى موقف الإكلينيكى ، يوضح لنا أن الأمر أكثر تعقيداً من هذه النظرة السطحية . فكثير من علماء النفس الإكلينيكى لا يتقدمون إلى أبعد من مرحلة علم النفس الفارق فهم يعطون الاختبارات ويضعون الدرجات على بروفيل ويغفلون - فى الأغلب - الفرد من حيث هو فرد ، والذى ينتهى به الأمر إلى أن يصبح فى نظرهم مجموعة من الأرقام والدرجات .

وباختصار . فعلى الرغم من أن علم النفس الإكلينيكى يهتم بدراسة الحالات الفردية ، إلا أن الأسلوب الذى يتبعه فى دراسة الفرد ، ينتهى به إلى الاقتراب من الفروع الأخرى لعلم النفس التى تطبق الاختبارات وتقارن نتيجة الفرد بالمعايير الموضوعية فالانحراف عن المعايير الكلية أو الجمعية لا يزال هو الشغل الشاغل لعلم النفس الإكلينيكى .

ومع ذلك فإن الإكلينيكى يعترف أن الكائنات الإنسانية لا يمكن معرفتها تماماً من خلال الدراسة الإحصائية . فالإنسان نمط فرد فى ذاته . وقد دعا هذا إلى قيام مبحث آخر جديد يختص بدراسة الفردية وهو ما أسماه البورت باسم « علم نفس الشخصية Personalistic Psychology (١).

(هـ) علم نفس الشخصية :

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الاهتمام بالفردية وقيام علم يختص مجاله أساساً بدراسة الشخصية . والنظرة الرئيسية لهذه المدرسة هى أن كل وظيفة عقلية تكون متضمنة أو كامنة فى حياة شخصية . وليس هناك — بالمعنى المحسوس لهذه الكلمة — أشياء مثل الذكاء أو الإدراك المكانى أو التمييز اللونى ، وإنما هناك أفراد قادرون على القيام بمثل هذه الوظائف أو هذه الألوان من النشاط أو لديهم مثل هذه الخبرات وليس من الصواب أن نتحدث عن نمو مهارة ما أو محصول لغوى أو معرفة ، إلا داخل إطار الشخص ككل . فهذه جميعها تعتبر جزءاً من نموه ، وهى تستمد خصائصها وصفاتها من الكل الذى تنتمى إليه كما يقول الجشتلت . ومن خلال نمو الفرد ، تنمو هذه المهارة ويتسع هذا المحصول اللغوى للفرد .

---

(1) Allport G.W. Pattern and Grouth in Peraonality. New York. Holt, Rinehart and Winston 1961. pp. 15 - 21.

والحقيقة أن جميع الحركات السابقة قد ساهم كل منها بقدر فى ظهور علم دراسة الشخصية وتطوره . وأصبح هذا العلم فرعاً هاماً من فروع علم النفس ، وأفردت له المجلات العلمية الخاصة مثل Personality ، كما أفردت له المجلات الأخرى مثل الـ Psychological Abstract و Annual Review of Psychology مكاناً خاصاً تحت اسم « الشخصية » . بل أصبحت هناك مجلات أو دوريات تختص كلها أو جزءاً منها على الأقل ، بأبحاث الشخصية . وبدأت تظهر الكتب العديدة عن نظريات الشخصية ومحدداتها وبنائها ونموها .

يقول ميرفى (١) « إنه إذا كان عالم النفس يؤكد الوظائف الأكثر تعقيداً ، ويرغب فى أن يرى جميع العلاقات والروابط الداخلية داخل الكائن الحى العضوى دفعة واحدة ، وكذلك تسلسل القوانين التى تحكم هذه العلاقات ، فلابد أن يهتم ويعنى بسيكلوجية الشخصية . فسيكلوجية الشخصية يمكن أن تكون إذن هى هذا الفرع الخاص من علم النفس العام الذى يؤكد الشكل والعلاقات العضوية داخل هذا الشكل » . ويذهب « البورت » الذى أكد وحدة الفرد إلى أبعد من ذلك بقوله : « سوف يأتى اليوم الذى ننظر فيه إلى الصياغات السيكلوجية على أنها غير صادقة ما لم تكن تلائم الأنماط الشخصية للوظائف والاتجاهات . فعلم النفس العام الجيد سوف يصبح إذن « نظرية فى الشخصية » .

وقد لا نذهب فى الوقت الحاضر إلى مثل هذه النظرة البعيدة التى ذهب إليها البورت ، وإنما تدعو إلى ضرورة الاهتمام بفردية الكائن الحى العضوى أو وحدته ، مثلما نهتم بالمبادىء أو القوانين العامة . وليس فى هذا الاهتمام بالفردية الذى تدعو إليه سيكلوجية الشخصية أى إغفال للقوانين العامة للسلوك ، وبخاصة إذا

---

(1) Murphy, G. : Personality : A. Biosocial Approach to Origins and Structure. New York. Harper and brothers Publishers 1947.

نظرنا إلى هذا الفرد ككل ، وإلى ما هنالك من تنظيم دينامى بين أجهزته النفسية والجسمية المختلفة .

الشخصية بين العلم والفردية :

وعند دراسة موضوع الشخصية تعترضنا مشكلة فى غاية الأهمية ، ونعنى بها نظرة العلم إلى هذه الدراسة . إن علم النفس — منذ أصبح علماً من العلوم — صار موضوعه دراسة الظواهر النفسية وملاحظتها ، والكشف عن القوانين العامة للسلوك وقد وجه اهتمامه نحو ظواهر وعمليات معينة كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل والتصور والانفعال وغيرها ، وقام بملاحظتها على عدد كبير من الأفراد ، واستخلص القانون أو القوانين العامة التى تخضع لها هذه الظواهر أو هذه العمليات . وعن طريق عمليتى التجريد والتعميم ، أمكن لعلم النفس أن يبلغ أهدافه ، وأن يصوغ القوانين العامة للسلوك على نحو ما فعلت العلوم الأخرى كعلم الطبيعة بالنسبة للمادة موضوع دراستها .

وفى الطرف الآخر ، هناك حقيقة ثابتة لا يمكن إغفالها أيضاً فى دراسة الشخصية ألا وهى الفردية . إن التفرد هو السمة المميزة لكل فرد . فالإنسان مخلوق فريد فى قوى الطبيعة ومن المستحيل أن نجد شخصيتين متشابهتين تمام التشابه ، حتى التوائم المتماثلة . والناس فى تفردهم أشبه ببصمات الأصابع . فمن المستحيل أن نجد بصمتين متشابهتين لشخصين مختلفين . وعلم نفس الشخصية يركز اهتمامه على الفردية المميزة لهذا الشخص عن ذاك الآخر . فنحن حين نقوم بدراسة الشخصية ، لا نكون فى الحقيقة ، إزاء شخص مجرد ، بل إزاء شخص محدد بالذات ، أى إزاء فرد يعتبر مشكلة بالنسبة لنا ، كما أن حل هذه المشكلة ، يكمن فى هذا الفرد بالذات . فالخاصية المميزة للإنسان هى فرديته ، أعنى اعتباره مخلوقاً فريداً فى الطبيعة ، وأنه مستقل مكانياً عن غيره من الأفراد ولا يشبه تماماً أى فرد آخر ، وأنه يسلك فى مجاله الخاص فى الحياة ، وعلى طريقته الخاصة ، وأنه يخضع فى سلوكه لعوامل متعددة كالجينات والتكوينات

البيولوجية والغددية والتى تختلف اختلافاً كبيراً من شخص لآخر ؛ هذا بالإضافة إلى اختلاف الظروف البيئية التى يعيش فيها . وهذا كله من شأنه أن يجعل النمط مميزاً فريداً لكل فرد . ومعنى ذلك أن المعرفة السيكلوجية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تغفل دراسة هذه الفردية ، وإلا فإنها لا تصبح معرفة سيكلوجية بالمعنى الدقيق ، طالما أن كل سلوك هو سلوك فرد بالذات ، ندخل معه فى علاقات وصلات ؛ سلوكى وسلوكك باعتبارى أو باعتبارك شخصية متميزة مستقلة عن الآخرين .

تلك هى المشكلة التى تواجهها دراسة الشخصية . فعلم النفس ـ كعلم ـ يميل إلى إغفال دراسة الفردية على أساس أنه لا يعنى إلا بدراسة المبادىء العامة التى يمكن استخلاصها من دراسة حالات جزئية عديدة ، ووضع معايير عامة يمكن أن تنطبق على الحالات الجزئية . فهدف علم النفس ـ كعلم ـ هو القانون العام وليس الفردية . وبعبارة أخرى ، فإن المشكلة التى واجهت دراسة الشخصية هى : هل هذه الدراسة علم أم فن وتكنولوجيا وتاريخ حياة (١) .

إن الخبرة العملية لعالم النفس فى الوقت الحاضر تقوده إلى البحث عن عمليات مشتركة بين الأنواع وإهمال النمط المتفرد للنمو . وعلى حين يعرف عالم النفس أن موضوع الشخصية من الموضوعات الهامة التى يضطلع بدراستها ، فإن عاداته فى التفكير والاستدلال تقوده إلى أن يدرس العقل عموماً ، بدلا من دراسة أى عقل خاص . ثم إنه بالإضافة إلى سعيه وراء القوانين العامة للسلوك ، تدفعه عادات تفكيره أيضاً إلى انتزاع جانب واحد من طبيعة الفرد ويعكف على دراسته فهو يقتطع جانباً ويخصه بالبحث ثم يعود إلى جانب آخر بعد ذلك ويخصه بالبحث وهكذا . وهو لا ينظر إلى هذه الجوانب على أنها متشابكة

---

(1) Alport. G. W. : Personality. A Psychological Interpretation. New York. Holt 1937.

Allpotr. G.W. : Pattern and Growth in Personality. New York Holt. 1961.

أو متفاعلة فيما بينها داخل الفرد الواحد ، بقدر ما يهتم بالنظر إليها من حيث هي خصائص متشابهة أو مختلفة لدى الأشخاص المختلفين . وتكون النتيجة أننا غالبا مانرى شخصية الفرد باعتبارها رسماً بيانياً رسم بواسطة مجموعة من الإحداثيات الخارجية ، وليس بينها وبين بعضها علاقة أو استمرار فى الزمان وليس فيها حركة أو حياة وليس فيها تغير أو تفرد .

ويمكن أن نوضح المقصود من ذلك بمثال نستمده من البورت . لنأخذ الرئتين مثلا . رئتى ورئتيك . فليست هناك علاقة وظيفية حيوية بين رئتى ورئتيك أو بين عمليات الهدم والبناء فى المخ عندى . وعمليات الهدم والبناء فى المخ عندك ، ولكن رئتى تؤثران فى عمليات الهدم والبناء عندى ، كما تؤثر رئتيك فى عمليات الهدم والبناء عندك حاجتى إلى البوتاسيوم تتفاعل مع حاجتى إلى الصوديوم . وهذه الحاجات يمكن أن تقارن بالحاجات الكيميائية الحيوية عندك ، ولكن ليس لها علاقة وظيفية عضوية بحاجاتك ، إنها استعداداتى الوراثية وخبراتى السابقة ومزاجى وقدرتى العقلية وانفعالاتى ودوافعى وذاكرتى وخيالى ، هى التى تمتزج معاً فى وظائف فردية وتخرج نظاماً موحداً فريداً يتألف من عدد كبير من الأنظمة الثانوية .

إن العلم يقوم أساساً على دراسة سرعة نبضى ومقارنتها بسرعة نبضك ، مقارنة انفعالاتى بانفعالاتك وانفعالات الآخرين ، مقارنة طولى بالمعايير الموضوعة للطول على عينة كبيرة ومختلفة للأفراد فى البيئة . والعلم نادراً ما يوجه نظره نحوى كفرد ليدرس العلاقة بين نبضى وانفعالاتى من حيث هى نمط متفاعل بحجة أن العلم يهتم فحسب بالقانون العام .

أما علماء نفس الشخصية — وفى مقدمتهم البورت - فيرون أنه لفهم خاصية من خصائص سلوك فرد ما ، فإن طريقة دراسة هذه الخاصية ليست هي دراسة آلاف آخرين من الأشخاص لبيان مدى تشابه هذا الشخص مع

غيره من الأشخاص ، وإنما الأفضل هو أن ندرس هذا الجانب من شخصية هذا الفرد في علاقته بشخصيته ككل (١).

وهكذا يعارض علماء نفس الشخصية - وفي مقدمتهم البورت - إغفال العلم لدراسة الفرديه ، فهم يرون أن إبعاد الفرديه نهائياً من الدراسة ، يعد إغفالا للحقيقة الهامة التي تقوم عليها الشخصية وبعبارة أخرى ، إن علم النفس يضحي إذن تحت ظروف الرغبة الملحة للوصول إلى القوانين العامة على نحو ما يفعل علم الطبيعة - بالهدف الأساسي من الدراسة وهي دراسة الفرد . ويعارض البورت في هذا الصدد أيضاً وجهة النظر التي يقررها « أيزنك » والتي تذهب إلى أن الفرد في نظر العالم ، ليس سوى نقطة تقاطع عدد كبير من المتغيرات الكمية . وهذه العبارة تعني في نظر البورت أن الباحث لا يهتم بالعلاقات أو الروابط المتبادله بين الأجهزة المختلفة المكونة لشخصية الفرد ، وإنما ينحصر اهتمامه فحسب في الأبعاد المستقلة التي بواسطتها يمكن مقارنة مختلف الأفراد بعضهم ببعض . فهو يهتم بالقلوب عموما (قلبي وقلبك) والرئتين عموماً (رئتي ورئتيك) دون أن يعنى بالتفاعل المتبادل بين قلبي ورئتي أو قلبك ورئتيك . إنه يهتم ببعض السمات (كالانطواء مثلا) عندى وعندك ويقارن درجة كل منهما بالأخرى ؛ ولكنه لا يهتم بكيف تتفاعل هذه السمة مع غيرها من السمات التي توجد عندى أو توجد عندك . ومع ما لدي أو لديك من قيم وأساليب الحياة . فالعالم حسب هذه النظرة لا يهتم بنظام الشخصية ككل ، بل بالأبعاد المشتركة بين الأفراد فاهتمام العالم إذن موجه نحو دراسة الفروق بين الأفراد وليس نحو دراسة الفروق داخل الشخص الواحد ويعلق

(1) Sanford, Nevitt: Personality: Its place in Psychology. in Koch, Sigmund (ed) Personality: A study of Science vol 5. Mc. Graw-Hill Book Comp 59y. 91pp: 488-592.

البورت على رأى إيزنك بقوله : « كيف تستقيم مثل هذه النظرة التى يذهب إليها إيزنك وتعريفه الذى أورده فى كتابه « بناء الشخصية الإنسانية » من أنها « تنظيم أكثر أو أقل ثباتاً واستقراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه » والذى يملى على الفرد تكيفه المميز مع البيئة (١) .

ولقد عرضت عدة حلول لهذه المشكلة بين العلم والفردية :

فهناك الرأى الذى يذهب إلى أن العلم يختص بالعمومية ، بينما الفن والدراسات التكنولوجية والتاريخ فتختص بالفردية . وهذا الرأى يقرر صراحة أن من الضرورى أن نعترف بحدود العلم ، وأنه فى ضوء هذا التحديد لا يمكن أن تدخل ضمنه دراسة الفرد كفرد . فمجال هذه الدراسة هو الشعر والدراما وتاريخ الحياة . أى أن العلم على حق فى استبعاده لدراسة الفردية .

ولكن مثل هذا الرأى يدعو ـ فى نظر البورت (٢) ـ إلى اليأس . فعلم النفس ـ وهو الذى لايزال علماً ناشئاً ـ يبغى السيطرة على كل الظواهر المجردة والمحسوسة . ويعتبر من السابق لأوانه أن يقتصر موضوع علم النفس على البحث عن القانون العام وحده ، وإغفال الفرد الذى تجرى فيه هذه الظواهر النفسية بشكل فريد ومتميز . ولسنا فى حاجة إلى توكيد أن الفرد هو الذى يحيا باستمرار هذه الظواهر النفسية التى هى موضوع دراسة العلم ، والتى يحاول أن يستخلص القوانين التى تخضع لها كالإدراك والتذكر والتفكير والتصور والتخيل وغيرها . وأنه بدون هذا الفرد لا يمكن أن تقوم مثل هذه الظواهر

---

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. Holt 1961. Footnote p. 8. see also. H. J. Eysenck : The Scientific study of Personality. New York Macmillan 1952, and The Structure of Human Personality London: Methuen.1970.

(2) Alport G. Pottern and Growth in Personality. N. Y. Holt. 1961. pp. 11-12.

والعمليات ولعل هذا الرأى الذى يذهب إليه البورت يتفق ورأى « صموئيل بيلى » الذى انتقد - منذ أكثر من قرن مضى - علم النفس لاهتمامه فقط بكل ما هو عام بين أفراد الجنس البشرى ومعالجته للشخصية بشكل عارض وباقتضاب ، بما لا يتناسب وأهمية الموضوع .

وثمة رأى آخر يذهب إليه جيلفورد (١) . يقول جيلفورد بإمكان قيام نظامين متميزين ومنفصلين فى علم النفس . أحدهما يكرس نفسه لدراسة القوانين العامة nom· thetic ، والآخر يكرس نفسه لدراسة الحالات الخاصة أو الفردية idiographic فالأول يهتم بدراسة القوانين العامة التى تنطبق على المجموع العام من الناس ، وهو بهذا المعنى يمثل النظرة غير الشخصية فى علم النفس ؛ بينما الثانى يعنى بالأفراد ومن ثم يمثل النظرة الشخصية التى تهتم بالفرد .

ويذهب جيلفورد إلى أن وجهة النظر غير الشخصية والبحث عن المبادىء العامة تمت بصلة إلى العلم الأساسى ، على حين أن الاتجاه الشخصى والاتجاه نحو الفرد والحالات الجزئية ، فيمت بصلة إلى الفن والدراسات التكنولوجية . فى العلم ينظر إلى الحالة الفردية باعتبارها مجرد فرصة للقيام بملاحظات جديدة ، وبدون تكرار الظاهرة ودراستها على حالات عديدة ، لا يقوم العلم . وعند بلوغ العلم هدفه النهائى ، يميل إلى التعميمات على حالات أخرى تندرج تحت نفس أنواع الظواهر التى سبق دراستها . أما الاتجاه الآخر ، وهو الاهتمام بالجزئيات ، فهو طبيعى ، وذلك عند التعامل مع مشكلات عملية تتصل بهذه الحالات الخاصة ، كمشكلات التكيف الشخصى ومشكلات التكيف المهنى ومشكلات السلوك والتربية وغيرها . وفى هذا المجال ، يمكن للباحث

---

(1) Guilford, J. Paul. : Personality. New York, Mc Graw - Hill Book Company 1959.

التكنولوجى أن يفيد - بل هو يفيد بالفعل - من المعلومات والأفكار التى تستمد من الاتجاه نحو المبادىء العامة . وقد يشعر الباحث التكنولوجى بأن على العالم - من أجل أن يكون عوناً له - أن يتخذ وجهة النظر الشخصية . فما يحتاج إليه التكنولوجى هو معلومات أكثر عن النوع الذى يدرسه ، ولكنه يكون مخطئاً بالفعل إذا تطلب من العالم أن يتخذ وجهة النظر الفردية . فالمعلومات التى تتصل بالقوانين والمبادىء العامة تسهم كثيراً فى فهم الأفراد ؛ بينما المعلومات التى تتصل بالحالات الجزئية أو الخاصة لا تقدم شيئاً عن الناس عامة وإنما تتصل مباشرة بالحالات الفردية .

ويرفض البورت مثل هذا الفصل الحاد بين هذين الاتجاهين داخل علم النفس ؛ ومن ثم يوافق على رأى السيكاترى الفرنسى « عزام Azzam » الذى كتب منذ سنوات طويلة فى كتابه « الشخصية بين الصحة والمرض » أن علم الشخصية لا يمكنه أن يسير بالعموميات وحدها على نحو ما هو الحال بالنسبة لعلم النفس ، ولا بالخصوصيات وحدها على نحو ما هو الحال بالنسبة للفن ؛ إنه يحتل مكاناً وسطاً بين الاثنين » . فليس ثمة سبب يحول بيننا وبين التعلم من كل تعميم عن الطبيعة الإنسانية وفى نفس الوقت نتنبه للمفاهيم والطرق التى تمكننا من فهم نمط الفردية (١) .

وثمة رأى ثالث يقدم لحل مشكلة العلم والفردية ، ويقوم على أساس مقارنة الفرد بمجموعات ثلاثة من المعايير التى أوضحها كلوكهون وموری وشنيدر فى كتابهم : الشخصية فى الطبيعة والمجتمع والثقافة (٢) . لقد ذهب هؤلاء إلى أن كل إنسان هو فى بعض نواحيه :

---

(1) Alport G. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt. 1961 p. 12.

(2) Kluckhohn, C. Murray, H.A. and Schnider, D. M. : Personality in nature, Society, and culture. New York, Knopf 1953 p.53.

(ا) يشبه كل الناس (معايير كلية عامة)

(ب) يشبه بعض الناس (معايير جمعية)

(ج) لا يشبه أى إنسان (معايير خاصة فردية) .

ويعتقد البورت أن هذا الرأى - رغم ما قد يمكن أن يوجه إليه من مآخذ - صادق ومفيد فى حل مشكلة العلم والفردية . فهو رأى صادق من حيث أن علم نفس الشخصية يمكن أن يفيد من كل هذه المعايير الثلاثة على النحو التالى :

(ا) المعايير الكلية : فنحن حين نقول إن شخصاً ما طويل القامة أو سريع الحركة والنشاط ، أو أن نسبة ذكائه هى ١٢٠ مثلا ، إنما نقارن سلوكه أو ذكائه بالمجموع العام من الناس الذين نعرفهم أو قمنا بقياس أطوالهم أو سرعة نشاطهم أو ذكائهم فهناك معايير موضوعة ويقاس الفرد بالنسبة لها .

(ب) المعايير الجمعية : والمعايير الكلية هى فى الحقيقة أقرب إلى أن تكون معايير جمعية ، فنحن حين نقارن شخصاً ما فى سمة جسمية أو عقلية أو خلقية مثلا ، إنما نقارنه بمعايير « الجماعة » التى ينتمى إليها ، وليس بمعايير عامة للناس جميعاً ، فإذا قلنا إن هذا الشخص نسبة ذكائه ١٢٠ أو ٨٠ مثلا ، كان معنى ذلك أنه أعلى أو أقل من متوسط عينة التقنين .

وهذه المعايير الجمعية مهمة على وجه الخصوص حين نتحدث عن شخص ما مثلا بأنه مثال « رجل العمل » أو أنه من النوع الرياضى ، أو أنه من نوع حالات الهوس والاكتئاب . ومثل هذه العبارات تعنى أن لديه مجموعة من الصفات التى لا تختلف كثيراً عن الصفات التى توجد لدى غالبية أفراد الجماعة التى يقارن بها . وبالمثل حين نقول إنه ليس رياضياً ، أو أنه شاذ ، فهذا يعنى

أنه لا ينتمي إلى جماعة مرجعية معينة نريد مقارنته بها . وسواء كان يشبه أو يختلف عن مجموعة ما ، فإننا نستخدم المعايير الجمعية هنا كأساس لتقدير طبيعة الفرد .

(ﺟ) المعايير الفردية : وبعد أن نصبح أكثر ألفة بشخص ما ، فإننا نبني توقعاتنا بالنسبة له على أساس وجود تنظيم معين لشخصيته يتسم بالثبات النسبي ونتخذ من أنماط سلوكه واتجاهاته وميوله معياراً للحكم على سلوكه . وهنا تكون حقائق السلوك التي يتميز بها الإنسان من وجود فروق فردية بين الناس ، ووجود قدر من الثبات النسبي والتغير في سلوك الفرد ، ماثلة أمام أعيننا في الحكم على شخصيته . فإن طابق سلوكه توقعاتنا ، فإننا نقول إن ذلك يتفق وسماته المميزة له ، وإذا لم يتطابق سلوكه وتوقعاتنا عنه ، فإننا نقول إن سلوكه لا يتفق وطبيعته .

ومن الواضح أن المعايير الكلية والجمعية هي موضع اهتمام العلم الذي يعني بالقوانين والمبادىء العامة ، بينما المعايير الفردية فإنها تردنا إلى مفهوم العلم الذي يهتم بدراسة الحالات الفردية . وسيكولوجية الشخصية لا يمكنها أن تقوم على العموميات وحدها ، ولا على الخصوصيات وحدها ، وإنما تشغل مكاناً وسطا بينهما تفيد من كل منهما على السواء .

ويقبل البورت مثل هذا الرأي ولكن مع توكيد أنه رغم أن الفرد له صفات وخصائص مشتركة مع جميع أفراد الجنس البشري ومع أفراد الجماعة التي ينتمي إليها ، إلا أنه ينسجها جميعا في نظام فريد متميز . فالشخصية إذن هي نظام كلي موحد . ومن حيث هي كذلك ، فإنها تصبح موضوعا للدراسة العلمية .

والواقع أن ليس ثمة تعارض حقيقي بين النظرتين الكلية والفردية في دراسة

الشخصية . فالفرد من حيث هو فرد يمكن أن يكون موضوعاً للدراسة العلمية التي تهدف إلى البحث عن القوانين العامة التي هي موضوع هذه الدراسة . والحقيقة أننا نفيد من معرفة هذه القوانين العامة عندما نستخدمها في توضيح أسباب السلوك الفردي عند هذا الشخص أو ذاك ، والذي يحيا الظواهر النفسية بطريقة فريدة متميزة ، والذي يعتبر هو في ذاته كلا من حيث تنظيمه وتعقده .

لماذا تعزى الشخصية إلى الإنسان ؟ :

وتقفز إلى الذهن أحياناً بعض التساؤلات المحيرة ، والتي قد لا يجد لها الإنسان جواباً شافياً . من ذلك مثلا : هل يقتصر مفهوم الشخصية على الإنسان وحده ؟ ؛ وهل يمكن أن نعزو للحيوانات شخصية كما نعزوها إلى الإنسان ؟ ؛ وهل للجمادات أيضاً شخصية ؟ . إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات قد تتضح لنا إذا نحن بحثنا خصائص السلوك الإنساني ، والتي في ضوئها نعزو للإنسان شخصية .

إن أول حقيقة تستلفت النظر هي وجود الفروق الفردية الواضحة بين الناس . فليس ثمة شخصان لهما نفس أنماط السلوك تماماً ، حتى ولو كانا توأمين متشابهين وهذه الفروق الفردية نلمسها واضحة في النواحي الجسمية والمزاجية وفي الذكاء وغير ذلك من مظاهر السلوك الإنساني . والفردية التي يتميز بها الإنسان هي التي جعلت الملاحظين للسلوك البشري يذهبون إلى أن الناس يسلكون بشكل يختلف كل عن الآخر ، لأن لكل منهم شخصيته التي تختلف عن شخصية الآخر . ولو كان جميع الناس متشابهين تماماً وفي كل شيء ، لما كان ثمة احتمال لظهور مفهوم الشخصية إلى الوجود .

أما الحقيقة الثانية التي يتميز بها السلوك الإنساني فهي أن ثمة ثباتاً إلى حد ما

فى سلوك الفرد ، بشكل يسمح لنا أن نتنبأ بسلوكه المقبل . فإذا لم يوجد هذا القدر المعقول من الثبات فى السلوك ، لما أمكن أن نعرف الناس من يوم لآخر ، ولما أمكن التنبؤ بسلوكهم فى ضوء خبراتنا السابقة بهم . حقيقة قد يبدو على الفرد بعض مظاهر السلوك الغريبة أو غير المنتظرة منه ، وفى مثل هذه الأحوال نجد أنفسنا نميل إلى تبرير مثل هذه التصرفات غير المتوقعة بقولنا « إنه ليس طبيعيا اليوم » أو « أنه على غير عادته » أو « أنه ليس هو هذا الإنسان الذى نعرفه » . فكأن هناك نمطا ثابتا إلى حد ما من السلوك متوقع من الفرد ، وفى ضوئه نتعامل معه ونفسر سلوكه وبسبب هذا القدر المعقول من الثبات فى السلوك ، ظهر الاعتقاد بأن من المفيد إقامة نظام نفسر على أساسه أفعال الفرد وتصرفاته ونتنبأ بها فى مستقبل علاقاتنا به . ومثل هذا النظام الذهنى هو الشخصية .

والحقيقة الثالثة والتى قد تبدو متعارضة مع الثانية ، فهى أن السلوك الإنسانى قابل لأن يتعدل ويتغير فالإنسان ليس جامداً فى سلوكه وتصرفاته . ولو كان سلوكه من النوع الجامد الذى تحدده الغريزة وحدها على نحو ما نجد عند المستويات الدنيا من الحياة ، لما أمكن أن نصادر على وجود الشخصية . وهذه القابلية للتعديل والتغير هى التى تتجلى فيما يكون عليه الإنسان من مرونة فى السلوك ، ونتيجة لما لديه من ذكاء ، وهى التى تجعل عملية التطبيع الاجتماعى وتعلم ألوان السلوك المختلفة ممكنة . فهذه القابلية للتعديل والتغير هى التى تساهم بقدر ملحوظ فى اختلاف مظاهر السلوك من فرد لآخر ، وتجعل شخصيته تختلف عن شخصية الآخر . وليس ثمة تناقض فى الحقيقة بين قابلية السلوك للتعديل والتغير وما تكون عليه أنماط سلوك الفرد من ثبات نسبى على نحو ما يتضح لنا فى سمات الشخصية .

تلك أهم الخصائص التى يتميز بها السلوك الإنسانى ، والتى على أساسها

صادر الناس على وجود الشخصية بالنسبة له . فإذا كان الناس متشابهين إلى درجة كبيرة ، وإذا كان سلوكهم لا يتصف بالثبات النسبى الذى يسمح لنا بقدر من التنبؤ عما سيكون عليه سلوكه فى مواقف أخرى ، وإذا كان سلوكهم من النوع الجامد الذى لا يقبل التعديل والتغير نتيجة الخبرة والتعلم ، لما أمكننا التحدث عن وجود الشخصية .

فى ضوء تلك الخصائص نستبعد الشخصية عن الجمادات . فالكائنات العضوية وحدها هى القادرة على القيام بالسلوك . وأما بالنسبة للحيوانات ، فالحقيقة أنها تتميز بخصائص شبيهة بتلك التى سبق الإشارة إليها وهى الفروق الفردية والثبات النسبى فى نمط للسلوك والقابلية للتغير نتيجة الخبرة والتعلم . ولذلك يرى البعض ، كى يتسقوا مع أنفسهم ، يذهبون إلى القول بأن للحيوانات - أو على الأقل الحيوانات العليا - شخصية . فهناك فروق فردية واضحة بين أفراد الشمبانزى ، كما أن لها أنماطاً ثابتة نسبيا من السلوك ، كما أن سلوكها قابل للتغير بشكل ملحوظ نتيجة بالتعلم والخبرة . أما الحيوانات الدنيا ، فإن سلوكها تحدده الغريزة إلى درجة كبيرة ، ومن ثم يصعب أن نقول بأن لها شخصية .

وقد أثار البورت [١] (١٩٦١) هذا السؤال : هل للحيوانات شخصية ؟ وقد أجاب قائلا بشىء من التحفظ ، بالإيجاب . فالحيوانات لديها - حسب تعريفه للشخصية - أشكالا مبدئية من الأجهزة النفسية الجسمية المورونة والمكتسبة ، والتى تملى على الحيوان نشاطه الخاص (المميز) وإن كنا لا نعرف شيئا عن أفكاره ويقف البورت عند هذا الحد ولا يذهب إلى أبعد

---

(1) Allport G.W. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt; Rienhart and Winston 1961.

من ذلك . ذلك أن الفردية النفسية الجسمية للحيوانات الدنيا بدائية إلى درجة كبيرة ، ولا يمكن أن تفيدنا على نحو ما نجد فى شخصية الإنسان ، بل إنه يذهب إلى القول بأن الفرق بين أى نوعين من الحيوانات الفقرية التى هى دون البشر ، ليس أكبر من الفرق بين أى إنسان وآخر . فالتكوين المعقد بشكل هائل للمخ الإنسانى — على عكس ما تجد فى الفقريات الأخرى الأبسط تكوينا — يؤيد هذا القول .

ورغم ماقد يذهب إليه بعض علماء النفس من عزو الشخصية إلى المستويات العليا من المملكة الحيوانية ، إلا أنه عالم نفس الشخصية لم يحرس أى جهد من جانبه لدراسة هذه الناحية ، حيث اقتصرت البحوث والدراسات فقط على الإنسان وحده . ولذا سوف نقصر حديثنا هنا عن شخصية الإنسان وحده .

الفصل الثانى

تعريف الشخصية

كان الاهتمام بالفرد فى المجتمعات القديمة قليلا ولذا كان من الطبيعى أن يقل الاهتمام بدراسة الشخصية لعلاقتها الوثيقة بالفردية . ومع تطور المجتمعات وتعقد المشكلات الإنسانية فى العصور الحديثة وظهور الاتجاهات الديمقراطية ، أخذ الاهتمام بالفرد يزداد بشكل ملحوظ ، كما أخذت الحاجة تظهر بوضوح لفهم طبيعة الشخصية الإنسانية .

ولفظ « شخصية » من الألفاظ الدارجة على لسان معظم الناس . فكثيراً ما نسمع شخصاً يصف شخصاً آخر بقوله : « إنه شخصية جذابة ، أو شخصية سمجة ، أو شخصية قوية ، أو شخصية ضعيفة ، أو لا شخصية له ، أو أن له شخصيات متعددة . ولشيوع اللفظ على ألسنة الناس وفى الكتب والمجلات والصحف اليومية ، أصبح يبدو لنا بسيطاً ومفهوماً لا يحتاج إلى تعريف أو إيضاح . وقد يكون ذلك صحيحاً إلى حد ما من الناحية العملية . فقلما يسألك إنسان عما تعنيه بقولك « شخصية » ، ولكن الأمر يختلف اختلافا كبيراً إذا انتقلنا إلى مجال العلم . فإذا سألت شخصاً أن يحدد لك اللفظ تحديداً دقيقا ، فإنك تصل إلى تعريفات مختلفة وكثيرة للفظ ، تختلف من شخص إلى آخر ، ومن باحث إلى آخر . ولذلك كان من الضرورى أن نحدد اللفظ ، إذ هو فى الواقع غير محدد ، على عكس ما يبدو لمعظم الناس .

وتعريف الشخصية مسألة افتراضية بحتة ؛ فليس هناك تعريف واحد صحيح ، والباقى تعريفات خاطئة والوقوف عند تعريف مقبول يرتضيه

الباحث يقتضى منه دراسة مختلف التعريفات التى وضعت لدراسة الشخصية ، ومن الطبيعى أن يكون لمصطلح واسع الانتشار « كالشخصية » تعريفات كثيرة متعددة ومختلفة . لقد أورد « جوردون البورت » فى كتابه الشخصية (١٩٣٧) (١) ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية ، وبعض هذه المعانى لاهوتى ، وبعضها فلسفى وبعضها اجتماعى ، وبعضها سيكولوجى .

ـ ويذهب البورت إلى أن كلمة « شخصية » Personality بالإنجليزية أو Personalité بالفرنسية أو Personlichkeit بالألمانية تشبه إلى حد بعيد « personalitas » فى اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى . أما فى اللاتينية القديمة ، فقد كان لفظ « برسونا » Persona وحده هو المستخدم . ويتفق الجميع على أنه كان يعنى « القناع » . ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليونانى القديم ، إذ اعتاد ممثلو اليونان والرومان فى العصور القديمة ارتداء أقنعة على وجوههم لكى يعطوا انطباعا عن الدور الذى يقومون به ، وفى الوقت نفسه لكى يجعلوا من الصعب التعرف على الشخصيات التى تقوم بهذا الدور . فالشخصية ينظر إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات ، أو من ناحية كونها غطاء يختفى وراءه الشخص « الحقيقى » ويتفق هذا القول مع التعريفات التى تنظر إلى الشخصية من ناحية الأثر الخارجى الذى تحدثه فى الآخرين ، وحيث ينصب الاهتمام على المظهر الخارجى أكثر مما ينصب على التنظيم الداخلى . ومع مرور الزمن ، أطلق لفظ « برسونا » على الممثل نفسه أحياناً ، وعلى الأشخاص عامة أحياناً أخرى ، وربما كان ذلك على أساس أن « الدنيا مسرح كبير ، وأن الناس جميعاً ليسوا سوى ممثلين على مسرح الحياة » .

---

(1) Allport G. : Personality : a Psycholgical Interpretation New york. Holt. 1937.

ولعل أقوى المؤثرات فى استمرار وبقاء فكرة القناع هذه عبر الأجيال القديمة ، فلسفة أفلاطون التى تمثل أصدق تمثيل الفلسفة المثالية ، والتى مازالت قائمة حتى الآن ، إذ لا يزال البعض يعتقد أن الشخصية « هى مجرد الواجهة التى يفترض أن يكمن وراءها جوهر ما » .

وقد ورد لفظ الشخصية — على نحو ما أوضح البورت — فى كتابات شيشرون بأربع معانى مختلفة تستمد جذورها من فكرة المسرح . والجدير بالذكر أن هذه المعانى تشتمل على جميع الأفكار الحديثة لهذه الكلمة . فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها :

(ا) الفرد كما يظهر للآخرين ، وليس ما هو عليه فى الحقيقة . وهى بهذا المعنى تتصل بالقناع .

(ب) مجموع الصفات الشخصية التى تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة . وهى بهذا المعنى تتصل بالممثل .

(ح) الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة سواء كان دوراً مهنيا أو اجتماعيا أو سياسيا .

(ى) الصفات التى تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية . وهى بهذا المعنى تشير إلى المركز الكبير الذى يحتله الفرد مثلا حين نتحدث عن شخص ما بأنه « شخصية كبيرة » ، وبسبب هذه الدلالة التى تتصل بالقيم ، فإننا لا نقابل مثل هذا التعريف الأخير عادة بين التعريفات العلمية ، وإن كنا نقابله فى الاستعمال الدارج حين نشير إلى شخصية ما ذات حيثية ومكانة .

- ولقد اكتسب لفظ الشخصية فى اللغة الدارجة معانى كثيرة مختلفة ، كما عرف أيضا تعريفات علمية كثيرة فإذا نظرنا إلى التعريفات الدارجة ، نجد أن أكثرها شيوعا هى تلك التى تنظر إلى الشخصية من حيث قدرة

الفرد على التأثير فى الآخرين ، وذلك على نحو ما يتضح مثلا حين نتحدث عن شخص ما بأنه قوى الشخصية ، ونقصد بذلك أن له تأثيراً واضحاً على الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم . وكان من الطبيعى أن يرتبط بمثل هذه التعريفات بعض الصفات الأخرى كالعدوانية مثلا . فالشخصية القوية قد تتضمن أن لديه من القوة ما يجعله يفرض نفسه على الآخرين ، بينما الشخصية الضعيفة ، فإن من السهل التأثير عليها أو بعبارة أخرى أنها تفتقر إلى نواحى القوة التى تمكنها من فرض تأثيرها على الغير .

وإلى جانب هذه التعريفات الدارجة ، هناك تعريفات أخرى علمية . ويجدر بنا أن نشير إلى بعض هذه التعريفات التى قدمها بعض علماء النفس ، فقد تكشف لنا عن الاتجاهات التى سار فيها تفكير هؤلاء العلماء فى نظرتهم للشخصية . لقد أورد ستاجنر(١) بعض هذه التعريفات من ذلك مثلا تعريف « مورتن برنس » Morton Prince (١٩٢٤) للشخصية بأنها « مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية ، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة » . ومثل هذا التعريف يعطى أهمية للنواحى الداخلية فى الشخصية . أما تعريف كمف Kemph (١٩١٩) للشخصية فهو أسلوب التوافق العادى الذى يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة » . ومثل هذا التعريف يعطى اهتماماً لأسلوب توافق الفرد مع البيئة .

أما فلويد البورت Floyd Alport فقد أشار فى كتابه علم النفس الاجتماعى (٢) (١٩٢٤) ، إلى أن الشخصيه هى « استجابات الفرد المميزة

---

(1) Stagner, R. : Psychology of Personality : Mc. Graw-Hill Book Company Inc. New York 3rd ed 1961.

(2) Allport, Floyd. : Social Psychology. Boston, Mifflin 1924.

للمثيرات الاجتماعية ، وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية فى البيئة . ولقد لفت وطسن الأنظار إلى الخلق باعتباره جزءاً من الشخصية . فالشخصية تتضمن - فى نظره - ليس فقط هذه الاستجابات (ويعنى بها الخلق والعرف) ، بل وأيضاً التوافقات الشخصية للفرد وقدراته وكذلك تاريخ حياته .

— وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات التى قدمها بعض علماء النفس ، نجد أنها تمايز فى مجموعتين : إحداهما تنظر إلى الشخصية « كمثير » أى من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير فى الآخرين ، والأخرى تنظر إلى الشخصية « كاستجابة » ، أى من حيث السلوك الذى يستجيب به الفرد وما يقوم به من أفعال فى المواقف البيئية المختلفة . والحقيقة أن ليس ثمة تعارضاً حقيقياً وضرورياً بين هاتين المجموعتين . فتأثير فرد ما فى الآخرين وقيمة هذا التأثير ، إنما هو دالة أو وظيفة لسلوكه واستجاباته أيضاً ، ومع ذلك ، فهناك فروق واضحة بين هذين النوعين من التعريفات وقد يكون من المفيد أن نناقش — مع ستاجنر — هذين النوعين من التعريفات ، فقد لا يصلحا معاً لوضع أساس لتعريف علمى سليم للشخصية مما قد يمهد السبيل إلى وضع تعريف آخر أكثر دقة .

١ — الشخصية كمثير :

وتعريف الشخصية كمثير ليس قاصراً على التعريفات الدارجة ، بل نجده أيضا لدى بعض علماء النفس . وهذه نتيجة طبيعية لمواقف الحياة اليومية التى يفيد فيها استخدام مثل هذه الفكرة . من هذا القبيل ما أورده « جوردون البورت » تحت اسم « التعريفات الحيوية الاجتماعية » التى تركز على المظهر الخارجى للفرد ، وقدرته على التأثير فى الآخرين ، أو ما يعرف باسم « قيمة المثير » . ومن أمثلة هذا النوع من التعريفات قوله : « الشخصية هى مجموع

ما يحدثه الفرد من تأثير فى المجتمع ، أو « هى العادات أو الأفعال التى تحدث أثرها بنجاح فى الآخرين ، أو هى « تأثيرك فى الآخرين » . وهذا النوع من التعريفات وثيق الصلة أيضاً بالمعنى الأصلى للقناع أو الغطاء الخادع . فكثيراً ما نلجأ فى حياتنا اليومية إلى أن نغلف أنفسنا وذواتنا الحقيقية بغلاف خادع ونلبسها ثوباً آخر لتبدو للعالم فى مظهر يتفق والجماعة .

ويستند المؤيدون لهذا النوع من التعريف بالتأثير الخارجى ، إلى أنه من خلال الأحكام التى يصدرها الآخرون علينا ، ومن خلال تأثيرنا فيهم ، يمكننا أن نعرف شخصياتنا . إذ كيف يتسنى لنا أن نعرف أنفسنا ، مالم نحدث أثرنا فى الآخرين . هذا صحيح . ولكن الأخذ بمثل هذا التعريف يثير صعوبات ومشكلات كثيرة منها :

١ — أنه يشير إلى أجزاء معينة فقط من نمط حياة الفرد ، وعلى وجه الخصوص إلى حيويته وقدرته على التعبير والتأثير فى الآخرين .

٢ — أنه ينظر إلى الشخصية من حيث قدرتها على التأثير فى الآخرين ، وليس من حيث تنظيمها الداخلى فنظرته إذن نظرة سطحية خارجية . وهذا العيب يظهر فى كتابات هؤلاء الذين يأخذون بوجهة النظر الحيوية الاجتماعية والتى تتعارض مع وجهة النظر الحيوية الفيزيقية التى تذهب إلى أن الشخصية هى — من الناحية السيكولوجية — الفرد كما هو ، بصرف النظر عن الأسلوب الذى يدرك به الآخرون سماته أو بصرف النظر عن تقديرهم لهذه السمات .

٣ — أن التطبيق الجامد لوجهة نظر الشخصية كمثير ، يؤدى — كما يذهب ستاجنر أيضاً — إلى موقف غريب كل الغرابة ، يكون فيه للفرد الواحد عدداً غير محدود من الشخصيات : شخصية بالنسبة لكل فرد من الأفراد الذين يتصل بهم ؛ لأن كل واحد منهم سوف يتأثر بشخصيته تأثيراً مختلفاً ،

وسوف تكون لشخصيته قيمة تأثيرية مختلفة . فالشخص الواحد سوف لا يقيم بنفس النظرة من أمه وزوجته وموظفيه وزملائه ومنافسيه . فتعريف الشخصية على هذا النحو يكون مستحيلا .

٤ ــ إن الأثر الكلى الذى يحدثه الفرد فى المجتمع سوف يؤدى إلى تمييز خطير بين درجات أعلى أو أقل فى الشخصية . فالأفراد المختلفون لهم درجات مختلفة متفاوتة من الفاعلية والتأثير فى المجتمع الذى يعيشون فيه . فإحدى نجوم السينما التى تكثر الصحف نشر صورها يكون تأثيرها على هذا الأساس أكبر من تأثير العالم الذى يكرس كل حياته ووقته فى القيام ببحوثه العلمية فى معمله وبعيداً عن الأضواء . ولذلك نجد أن وجهة النظر الحيوية الفيزيقية تعارض فكرة التأثير هذه ، وتجعل لكل إنسان شخصيته بصرف النظر عما يحدثه من تأثير فى الآخرين . فالتأثير ليس بأى حال من الأحوال معياراً لوجود الشخصية .

٥ ــ إن من المستحيل أن ننكر أن لكل فرد صفات وخصائص متميزة وشخصية مستقلة عن ملاحظات الناس له . صحيح أن الإنسان لا يعيش بمعزل ـ فى العادة ـ عن الآخرين ، بل يعيش فى مجتمع . ولكن ليس من الضرورى أن يقوم الناس بملاحظة الفرد حتى تصبح له شخصية . حقيقة إننا نفيد من الملاحظات التى يقدمها الآخرون ، والتأثيرات التى تحدثها فى الآخرين كجوانب نكتسب منها معلومات عن شخصية الفرد . ولكن هذه الملاحظات وهذه التأثيرات ليست هى المصدر الوحيد للمعلومات ، ولا ينظر إليها فى العادة على أنها هى الشخصية . فالشخصية شىء نسلم بوجوده حقيقة داخل الفرد ، بصرف النظر عن تأثر الآخرين به . « إن حياة شخص ما فى جزيرة نائية بعيداً عن الناس تحت ظروف خاصة لا تنفى عنه وجود الشخصية » .

لهذه الأسباب وغيرها يعترض « جوردون البورت » بشدة على هذا النوع من التعريفات ، ويذهب إلى أنه لا يفيد عالم النفس كثيراً . فما لم ينظر الباحث إلى الشخصية نظرة مباشرة كما يفعل مع أية حقيقة موضوعية أخرى ، فسوف يخضع لاعتبارات السمعة والمكانة والتقديرات الخاطئة والشائعات والفاعلية الاجتماعية .

٢ — الشخصية كاستجابة :

وتلافياً للصعوبات التي واجهت علماء النفس في تعريف الشخصية كمثير ، ظهر كرد فعل اتجاه آخر ينظر إلى الشخصية كاستجابة . فهذا « فلويد البورت » في كتابه السابق الذكر « علم النفس الاجتماعي » يعرف الشخصية بقوله « إنها استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية ، وأسلوب توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة » . فشخصية الفرد إذن هي دالة أو وظيفة لسلوكه واستجاباته للمواقف المختلفة .

والحقيقة أن هذا النوع من التعريفات يعتبر — كما يقول ستاجنر — تقدماً ملحوظاً بالقياس إلى الاتجاه السابق . ذلك أن الشخصية أصبحت ترتبط هنا بمظاهر موضوعية سلوكية يمكن دراستها وقياسها بمختلف وسائل القياس التي يستخدمها علم النفس العلمي .

ولكن يعترض على مثل هذه التعريفات بالاستجابة بأن التعريف قد يصبح عاماً وشاملا يغطي جوانب أكثر مما يمكن التعامل معه في الواقع . فتعريف وطسن الذي يذهب إلى أن الشخصية هي كل ما يفعله الفرد من أنشطة يمكن ملاحظتها على مدى فترة طويلة من الزمن تكفي للوصول إلى معرفة ثابتة عنه يعتبر من هذا القبيل .

كما أن تعريف جاثرى (١) للشخصية بأنها العادات ونظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية والتى تكون ثابتة وتقاوم التغير، يثير أيضاً بعض المشكلات. فهو يتحدث عن نظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية فماذا يكون عليه الأمر بالنسبة للعادات التى ليست لها أهمية اجتماعية. فبعض الناس مثلا اعتاد الوقوف أمام المرآة والضحك لصورهم عندما يكونون على انفراد وهى عادة من الواضح أن ليس لها قيمة اجتماعية، وإن كانت ذات دلالة بالنسبة لشخصية الفرد.

ثم إن الشخص الواحد حتى حين يواجه بنفس المثير، لا يستجيب دائماً بنفس الاستجابة. كما أن شخصين مختلفين قد يستجيبان بنفس الأسلوب أو نفس الاستجابة، ولكن لأسباب مختلفة تماماً. فعدم الثبات فى استجابات الفرد الواحد أحياناً، وتشابه استجابات الأفراد المختلفين أحياناً أخرى، يوحى بضرورة تعديل نظرتنا للشخصية كاستجابة.

وربما كان «جاثرى» يهدف من وراء تعريفه هذا إلى الجمع بين التعريفات التى تنظر إلى الشخصية كمثير، وتلك التى تنظر إلى الشخصية كاستجابة. فقوله «ذات الأهمية الاجتماعية» يبدو أنه يرادف «التأثير الذى يحدثه الفرد فى الآخرين». فكأنه يريد أن يحتفظ بالميزة العملية للتعريفات الدارجة، ويعدل أو يضيف فى الوقت نفسه المزايا العلمية للاتجاه الذى يرتبط بالسلوك الذى يمكن إخضاعه للبحث التجريبى.

وتعريف الشخصية بالاستجابة قريب من هذا النوع من التعريفات التى

---

(1) Guthrie, E. R: Personality in terms of associative learning. in J. Mc. V. Hunt. :Personality and behaviore disorders. New York, Ronald 1944.

أشار إليها «إيزنك» (١) بصدد حديثه عن نظريات تنظيم الشخصية، بالتعريفات التجريبية التي تؤكد «الأفعال السلوكية» في مقابل تعريفات أصحاب النظريات التي تؤكد المفاهيم الدينامية.

ومن الممكن القول بأن معارضة الاتجاهين السابقين في تعريف الشخصية كمثير أو كاستجابة، ترجع إلى أن كلا منهما يؤكد الجوانب السطحية الظاهرية للشخصية. فهي تعريفات أقرب إلى تعريفات القناع أو الواجهة التي تحدث أثرها في الآخرين. أما جوهر الشخصية أو تنظيمها الداخلي الذي يكمن وراء هذه الواجهة، فهو ما تغفله هذه التعريفات. ولذلك اتجهت الدراسة نحو التركيب أو التنظيم الداخلي للشخصية والذي يمكن أن يستدل عليه من السلوك الظاهري للفرد.

٣ — الشخصية كمكون افتراضي داخلي:

ويفضل معظم علماء النفس تعريف الشخصية كوحدة موضوعية أو كشيء له وجود حقيقي. فهم يسلمون أن الإنسان متصل بالعالم المحيط به، يتأثر به ويؤثر فيه في كل مرحلة من مراحل حياته. وعلى ذلك، فالشخصية لها تاريخها الماضي وحاضرها الراهن. فهي - على حد قول وليم شتيرن - «وحدة دينامية متعددة الأشكال».

وهذا النوع من التعريفات ينظر إلى الشخصية باعتبارها تنظيما داخليا يمكننا من تفسير مظاهر السلوك المختلفة للفرد. فهي نوع من الوحدة الداخلية التي تحدث التآزر والتكامل بين جميع أفعال الفرد. ومن قبيل هذا النوع من التعريفات تعريف «وارن» بأن الشخصية هي التنظيم العقلي الكامل للكائن الحي في أية مرحلة من مراحل نموه وهي تتضمن كل مظهر من مظاهر

---

(1) Eysenck, J. H.: The Structure of Human Personality. London, Methuen 1970.

الشخصية الإنسانية : عقله ، ومزاجه ، ومهارته ، وخلقه ، وكل اتجاه كونه خلال حياته(١) » وكذلك تعريف إيزنك للشخصية بأنها « التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه ، والذى يحدد توافقه المميز للبيئة التى يعيش فيها . وهو يعنى بالخلق التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمراراً للسلوك النزوعى الإرادة . بينما يعنى بالمزاج التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمراراً لسلوكه الوجدانى (الانفعال) ، ويعنى بالعقل التنظيم الأكثر ثباتاً واستمراراً للسلوك المعرفى « الذكاء » ، على حين يعنى بالجسم التنظيم الأكثر أو أقل ثباتاً واستمراراً للتكوين البدنى والغددى والعصبى للفرد (٢) .

— غير أن بعض علماء النفس المحدثين يعارضون مثل هذه النظرة إلى الشخصية كتركيب أو تكوين داخلى ، وذلك على أساس ان مثل هذا التكوين الداخلى « لا يمكن إخضاعه للدراسة العلمية » فنحن لا يمكننا أن نعرف « الوحدة الدينامية المتعددة الأشكال » والتى نقول عنها إنها توجد حقيقة . فالتركيب الداخلى - حتى إذا كان له وجود حقيقه ، لا يمكن دراسته مباشرة (وقد أدت هذه النظرة إلى البحث عن تعريفات إجرائية للشخصية . فقد ذهب البعض إلى أن ما نعرفه عن الشخصية هو فحسب « إجراءاتنا » فتعريف الشخصية حسب هذه النظرة لا يكون مفيداً من الناحية العلمية ما لم يوضع فى عبارات إجرائية ، أى فى عبارات تسمح بملاحظة الظاهرة وإعادة خلقها كى تتسنى دراستها دراسة تجريبية مبنية على الملاحظة والقياس . ويسمى هذا النوع من التعريف « بالتعريف الإجرائى » ، نظراً لأنه يقتصر على العمليات أو الإجراءات التى يقوم بها العالم أو الباحث للحصول على الظاهرة التى

---

(1) Warren, H.C. (ed). Dictionary of Psychology. Boston. Houghton Mifflin 1934. p. 197.

(2) Eysenck, J. H.: The Structure of Human Personality. London. Methuen 1970.

يدرسها . وحسب هذا النوع من التعريفات الإجرائية تعتبر جميع التعريفات التى تحدد الشخصية من حيث هى تركيب داخلى خرافة ، أو هى مجرد تكوين ارتبط باسم من الأسماء . وقد قدم « ماك كليلاند » فى كتابه الشخصيه (١) مثل هذا التعريف الإجرائى . فالشخصيه هى ذلك « المفهوم الأكثر تناسبا لسلوك فرد ما فى جميع تفاصيله التى يمكن للعالم تقديمها فى لحظه ما » .

ومع أهمية التعريف الإجرائى للظاهرة ، إلا أننا نلاحظ اقترابه من التعريفات « بالأثر الخارجى » الذى يحدثه الفرد فى الآخرين . فالشخصية ليست سوى ما يقوم الآخرون بملاحظته وتسجيله من إجراءات يقوم بها الفرد وتأثير ذلك فى إدراكات الآخرين ـ الذين هم فى هذه الحالة ، العلماء . إن الشخصية ليست ظاهرة يمكن ملاحظتها مباشرة ، وإنما هى تكوين افتراضى نفترض وجوده ، وفى ضوئه يمكن أن نفسر مظاهر السلوك المختلفة . فعلى الرغم من أننا نقول أحياناً إننا نلاحظ شخصية فرد ما ، إلا أننا فى الحقيقة نلاحظ سلوكه ونستخدم هذه الملاحظات لعمل استدلالات عن شخصيته . فالشخصية هى على هذا الأساس مكون افتراضى أو هى تجريد علمى . وهذا ما يمكن أن نلحظه سواء بالنسبة للتفكير العادى أو التفكير العلمى .

وثمة موقف قريب من هذا الموقف الإجرائى ، وهو موقف هؤلاء الذين يذهبون إلى عدم الالتجاء إلى استخدام مفهوم الشخصية إطلاقا . فبعض أصحاب نظرية المثير والاستجابة مثلا يذهبون إلى أن ليس ثمة حاجة لأن نشغل أنفسنا بمتغيرات متدخلة أو وسيطة « كالشخصية » إذا أمكننا أن نعرف المثير والاستجابة . وهذه هى نظرة السلوكيين المتطرفين الذين لا يسمحون

(1) Mc Clelland, D. : Personality. New York. William Sloune Assoc. 1951.

إلا بدراسة السلوك الخارجي الذي يمكن ملاحظته وإخضاعه للدراسة .
أما الشخصية كشيء داخلي أو كمكون افتراضي فإنه لا يفيدنا في شيء وبالتالي لا وجود له .

وعلى الرغم من أن هذا يعد هدفاً لبعض علماء النفس ، إلا أن التكوينات الافتراضية أو التجريدات تعتبر مع ذلك حقائق موجودة في العلم . إن العلم يعالج فقط ما هو « حقيقة » . ولكن هذه الحقيقة قد تكون مجردة إلى حد بعيد . فليس هناك إنسان شاهد الألكترون مثلا . ولكن العالم يضع نظرية ما ، وفي ضوئها يذهب إلى أنه إذا كانت للألكترونات خصائص معينة ، فسوف تنتج عنها إذن نتائج معينة . وتصمم التجارب لملاحظة هذه النتائج . فالألكترون الحقيقي هو تجريد فقط ، وليس موضوعاً للتجربة . وبنفس الطريقة ، فإن الشخصية الحقيقية تجريد من ملاحظات عديدة لسلوك الأفراد المختلفين .
أما قيمة النظرية ، فهذه تتوقف على مدى نجاحها في مساعدتنا على فهم سلوك الفرد والتنبؤ بما سوف يقوم به .

وفي ضوء ما سبق ، يمكن أن نحدد الصفات المختلفة التي يجب أن يشتمل عليها المفهوم البسيط للشخصية ، وهذه أهمها :

١ — الشخصية وحدة مميزة خاصة بالفرد حتى ولو كانت هناك سمات مشتركة بينه وبين غيره من الأفراد .

٢ — الشخصية تنظيم وتكامل حتى ولو لم يتحقق هذا التكامل دائماً ، فهو هدف يسعى الفرد دائماً إلى تحقيقه .

٣ — الشخصية تتضمن فكرة الزمن . فالشخصية لها تاريخ ماض وحاضر راهن .

٤ — الشخصية ليست مثيراً ولا استجابة وإنما هي مكون افتراضي .

وفي ضوء هذه الصفات يمكن تعريف الشخصية بأنها « ذلك التنظيم

أن تلك الصورة المميزة التي تأخذها جميع أجهزة الفرد المسئولة عن سلوكه خلال حياته . وربما كان تعريف جوردون البورت (١) تعريفاً مناسباً لهذا الغرض . فبعد أن استعرض البورت شتى التعريفات ، وصل إلى تعريف فى ضوء المتغيرات الوسيطة أو التكوينات الافتراضية وقد عرف الشخصية بقوله « هى ذلك التنظيم الدينامى الذى يكمن بداخل الفرد والذى ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التى تملى على الفرد طابعه الخاص فى السلوك والتفكير » .

ومن الواضح أن هذا التعريف يتجنب الكثير من الصعوبات التى واجهتنا فى التعريفات السابقة . فهو يدرك الطبيعة المتغيرة للشخصية وذلك فى قوله « ذلك التنظيم الدينامى » ، كما أنه يركز الاهتمام حول الجانب الداخلى أكثر من اهتمامه بالمظاهر الخارجية السطحية . ويمكن أن نوضح المفاهيم الأساسية التى يتضمنها هذا التعريف (٢) .

فالتنظيم الداخلى يبعد التعريف عن النظرة الدارجة التى تنظر إلى الشخصية باعتبارها مجرد مجموع أجزاء . والمشكلة الأساسية فى علم النفس هى التنظيم العقلى (أى تكوين أنماط أو أنظمة متسلسلة من الأفكار والعادات التى توجه النشاط دينامياً) . فالتكامل والعمليات التنظيمية الأخرى تعتبر ضرورية لتفسير نمو وبناء الشخصية . ومن هنا كان من الضرورى أن يتضمن التعريف فكرة التنظيم . وهذا اللفظ يتضمن أيضاً العملية البديلة لاختلال التنظيم أو عدم التنظيم ، وبخاصة عند الشخصيات الشاذة التى تتميز بعدم التكامل الواضح الملحوظ .

---

(1) Allport. G. W.: Pattern and Grouth in Personality. New York. Holt, Rinehart and Winston 1961. pp. 28-29.

(٢) أنظر أيضاً د . محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسى . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٩

أما النفسية الجسمية فتذكرنا بأن الشخصية ليست كلها عقلية ، أو كلها عصبية (بدنية) . فتنظيمها يتضمن عمل كل من « العقل » و « الجسم » فى وحدة لا سبيل إلى انفصامها .

أما الأجهزة فتعنى وجود نظام معقد من العناصر التى تكون فى تفاعل متبادل . فالعادة نظام ، وكذلك المشاعر والسمات وأسلوب السلوك . وهذه الأنظمة كامنة فى الكائن الحى العضوى . فالأنظمة أو الأجهزة هى « إمكانياتنا للنشاط » .

وكلمة تملى على الفرد نتيجة طبيعية لوجهة النظر الحيوية الفيزيقية فالشخصية شىء ، وتفعل شيئاً . فالأجهزة النفسية الجسمية الكامنة ، حين تستدعى للعمل ، إما أن تحرك أو توجه النشاط الخاص أو التفكير . وجميع الأجهزة التى تمثل الشخصية يمكن النظر إليها كنزعات محددة ، وهى عندما تستثار بالمثيرات الملائمة تحدث تأثيرها الموجه على كل الأفعال التوافقية والتعبيرية التى بواسطتها تعرف الشخصية .

أما الطابع الخاص فمن المعروف أن كل سلوك وكل فكر يمكن أن يعتبر طابعاً مميزاً للفرد . وحتى الأفعال والمفاهيم التى يبدو فى الظاهر أننا نشارك فيها الغير هى فى الحقيقة فردية مميزة .

أما السلوك والتفكير فهما يشيران إلى كل ما يمكن لفرد ما القيام به . إن كل ما يفعله الفرد هو فى الأصل من أجل التكيف مع البيئة المحيطة به . وليس من الحكمة أن نعرف الشخصية فقط فى ضوء التكيف . فنحن ليس فقط نتوافق مع البيئة ، بل وأيضا نفكر ملياً فيها . فنحن نهدف إلى السيطرة عليها ونحج أحيانا . فالسلوك والتفكير إذن يدفعان إلى البقاء والنمو . فهما أساليب توافق واتساع تثيره المواقف البيئية التى توجد فيها ، والتى تختارها وتوجهها دائما الأجهزة النفسيه الجسميه التى تؤلف وتشكل شخصياتنا .

الفصل الثالث

محددات الشخصية

يذهب كلوكهون وموري وشنيدر فى كتابهم «الشخصية فى الطبيعة والمجتمع والثقافة» إلى أن كل إنسان هو فى بعض نواحيه :

(ا) يشبه كل الناس .

(ب) يشبه بعض الناس .

(جـ) لا يشبه أى إنسان .

أولا : أما أنه يشبه كل الناس ، فهذا ما نلمسه فى نواحى متعددة منها : أن بعض محددات الشخصية عام بين الناس جميعاً . فهناك مظاهر وسمات مشتركة فى الإرث البيولوجى لجميع الناس ، وفى البيئة الطبيعية التى يعيشون فيها ، وفى المجتمعات والثقافات التى ينتمون إليها . ومع كون هذه الحقيقة بالغة الوضوح ، فإن هذا الوضوح نفسه هو الذى يجعلنا نؤكد أهميتها ، لأننا نميل عادة إلى الالتفات إلى كل ما هو غير عادى ، وإلى أن نبرز الاختلافات والفروق بين الأفراد والمجتمعات بعضها وبعض ، ونغفل الإرث المشترك بينهم جميعاً . ومن الممكن أن يتكشف جانب كبير وهام من المحددات غير المعروفة للشخصية ، إذا ما وجهنا اهتمامنا إلى دراسة هذا القدر المشترك بين الناس جميعاً .

فكل فرد منا له نفس التكوين العضوى والبيولوجى الذى للآخرين . فكل فرد منا لديه نفس الأجهزة العضوية المختلفة التى يشترك فيها الناس جميعاً كالجهاز الهضمى والتنفسى والغددى وغيرها من الأجهزة . كما أن كل فرد منا

يمر بخبرة الميلاد ، ويتعلم أن يتحرك فى البيئة التى يعيش فيها ، ويكتشف هذه البيئة ، ويحمى نفسه من التغيرات الطبيعية ومن الإحباطات الخطيرة التى قد يتعرض لها . كما أن كل فرد منا يخبر ضغط الحاجات الأولية ويتعلم طرق خفض هذه الحاجات وهو يقوم بهذا كله — منذ ولادته حتى وفاته — كعضو فى مجتمع . وهو إذا كان يشارك النوع الحيوانى فى بعض هذه النواحى إلا أن له حاجاته الخاصة . فهو يشارك أفراد جنسه فى اعتدال القامة ، وفى نمو وتطور جهازه العصبي الذى يسمح له بالقيام بالكثير من العمليات العقلية المعقدة كالكلام والتعلم على مستوى عال (١) .

وبالإضافة إلى ذلك ، فهو يشبه كل الناس من حيث هو كائن حى اجتماعى ، عليه أن يتكيف مع الجماعة التى يعيش فيها ، ويخضع لشروط التفاعل والعلاقات المتبادلة مع الآخرين فى المجتمع ، كما أنه يشبههم جميعاً من حيث أنه يخضع مثلهم لمتطلبات الثقافة ، فكل إنسان يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة ، ويعيش فى عالم ملىء بالتهديدات التى قد تعرض حياته للخطر . ولا شك أن النوع الإنسانى كان من الممكن أن يتعرض للانقراض ما لم تكن هذه الحياة الاجتماعية . فالتكيف الإنسانى للبيئة الخارجية يتوقف على هذا السند المتبادل الذى هو الحياة الاجتماعية ، كما يتوقف أيضا على الثقافة . وإذا كانت بعض أنواع الحشرات والحيوانات تعيش معاً فى جماعة ، دون أن يكون لها مثل هذه الثقافة ، فإن قدرتها على الحياة تكمن فى أنماط السلوك الغريزى الموروثة . أما الحيوانات العليا والإنسان ، فإن عاداتها وسلوكها أقل جموداً ، ويمكنها أن تتعلم الكثير عن طريق الخبرة . والمجتمعات الإنسانية تعتمد فى وجودها على الثقافة التى يمكن أن تعتبر مستودعا كبيرا نودع فيه حلول المشكلات

---

(1) Kluckhohn, C. ,Murray, H. A. and Schneider, D. M ,: Personality In Nature, Society and Cnllture. New York, Knopf. 1953.

التى قد يواجهها الإنسان . فهى ملتبثة ليس فقط بما نتعلمه من الأحياء فى المجتمع ، بل وأيضا من خبرات السابقين وخبرات أناس يحيون فى مجتمعات وشعوب أخرى .

ثم هو بالإضافة إلى هذا وذاك ، يشبه كل الناس من حيث تعرضهم جميعا لنواحى الإشباع والحرمان فهم جميعا يتعرضون لنواحى الإحباط فى البيئة المادية (كالجو والعوائق المادية والطبيعية) ونواحى الإحباط المتصلة بالنواحى الفسيولوجية (من مرض وعجز بدنى) ، كما قد تعنى الحياة الاجتماعية بالنسبة لهم وجود بعض التضحيات وتحمل بعض المسئوليات .

ومع كون هذه الحقائق موجودة ومعروفة فى الحياة الإنسانية ، إلا أنها نادراً ما ينظر إليها باعتبارها ظاهرة تستحق الالتفات ؛ فنحن نميل إلى اعتبارها خلفية ، نسلم بها كالهواء الذى نستنشقه سواء بسواء .

ثانياً : أما أنه يشبه بعض الناس ، فهذا ما نلاحظه فى تشابه بعض سمات شخصيته مع أعضاء الجماعات أو مع أعضاء معينين من جماعات معينة . فالبحارة مثلا ، بصرف النظر عن المجتمعات التى ينتمون إليها ، يميلون إلى أن تكون بينهم صفات مشتركة ونفس القول يصدق على بدو الصحراء . كما أن رجال الفكر والرياضة بينهم فى الأغلب سمات مشتركة .

ونحن حين نتحدث عن الأنماط ، إنما نعنى ضمناً أن هذا الفرد يشبه مجموعة معينة من الناس تتصف بصفات خاصة ، وذلك على نحو ما نتحدث عن شخص معين بأنه من النمط البدين أو الهزيل أو الرياضى أو أنه من النمط المنطوى أو المنبسط ، إنما نشير فى هذه الحالة إلى تشابهه مع بعض الناس فى صفات جسمية أو نفسية معينة . ونحن حين نتحدث عن مجموعة الأعراض العصابية أو الذهانية عند أفراد مجتمع ما ، فإن هذا يذكرنا أيضاً بأفراد آخرين

يعانون من نفس هذه الأعراض فى مجتمعات أخرى لوجود قدر مشترك ، من الصفات بين هذه المجموعات المرضية المختلفة .

ثالثا : أما أنه لا يشبه أى إنسان ، فهذا ما يتضح من أن لكل فرد طريقته وأسلوبه الخاص فى الإدراك والشعور والسلوك والذى يطبعه بطابع معين لا يتكرر لدى أى فرد آخر وبنفس الصورة وقد يرجع ذلك فى ناحية منه إلى هذا التجمع الفريد للإرث البيولوجى الذى يرثه الفرد من الأبوين ، كما قد يرجع أيضا إلى التفاعلات العديدة المتتابعة بين الكائن الحى النامى والمواقف البيئية المختلفة منذ الولادة وما بعدها . ثم إن الخبرات المختلفة التى يتعرض لها كل فرد منا ، قد تسهم إلى حد بعيد فى هذا الاختلاف الظاهر فى شخصية كل فرد فهذا طفل عانى فى طفولته آلام الضياع والجوع ، وذاك آخر فقد أمه فى الوقت الذى هو فى أمس الحاجة إلى حبها وحنانها ورعايتها ... جدته المسنة ، وذاك ثالث يتزوج أبوه من زوجة أخرى ويترك لها أمر رعاية الطفل ، وقد تسىء معاملته وتقسو عليه ، ورغم أن شخصيات الأطفال الذين يمرون بمثل هذه الخبرات والمشكلات قد تتشابه فى بعض نواحيها ، إلا أن شخصية كل فرد منهم تختلف اختلافا واضحا عن شخصية الآخر ، بسبب أن الموقف المؤلم يكون له تأثير فريد ومتميز فى كل منهم ، وبسبب أن كل شخصية تستجيب بطريقة فريدة ومتميزة كذلك . وهكذا يمكن القول بأن كل شخصية هى صورة فريدة لا يمكن أن تتكرر ، ولا يمكن أن يكون هناك إنسان يشبه تمام الشبه أى إنسان آخر وقد أصبحت هذه الناحية حقيقة بالغة الوضوح لا تحتاج إلى مزيد من البيان والتفصيل . فالفروق الفردية بين الناس سواء فى النواحى الجسمية أو العقلية أو المزاجية ، أصبحت حقيقة مسلم بها . ولم تعد هذه الفروق — كما كان ينظر إليها البعض

قديما — شوائب وأخطاء فى القياس ، بل أصبحت حقائق علمية يسلم بها العلم .

وقد ذهب كلوكهون وموری وشنيدر إلى أن تكوين الشخصية يمكن النظر إليه فى ضوء محددات أربعة وما بينها من تفاعلات . وهذه (المحددات الأربعة هى :

(ا) المحددات التكوينية (البيولوجية)
(ب) محددات عضوية الجماعة
(حـ) محددات الدور الذى يقوم به الفرد
(ى) محددات الموقف

وهذا التصنيف يساعد — فى نظرهم — على معرفة من أى النواحى يشبه الفرد كل الناس أو بعض الناس ، أو لا يشبه أى إنسان على الإطلاق ، كما أنه يساعدنا أيضا على توضيح المحددات المختلفة للشخصية . وفى هذا الفصل سوف نعرض المحددات التكوينية وحدها ، أما بقية العوامل فسوف نعرضها فى الفصل التالى .

المحددات البيولوجية للشخصية :

يميل بعض علماء النفس إلى توكيد أن « الطبيعة الإنسانية » إجتماعية فى أساسها ، وأن الأساس البيولوجى للسلوك هو القدر المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى . ومع ذلك ، يجب أن نؤكد منذ البداية أن التأثيرات الاجتماعية يمكن أن تحدث أثرها فى الكائن الحى البيولوجى ، مثلما تحدث الاختلافات فى التكوين البيولوجى والجسمى للفرد ، واختلافات فى استجاباته للظروف الاجتماعية التى يعيش فيها . ولذلك — فحتى عالم النفس الاجتماعى — لا يمكنه أن يغفل أهمية الجوانب البيولوجية فى دراسة الشخصية .

الاتجاه البيولوجي في دراسة الشخصية :

يذهب « وليم روجر » (١) إلى أن إدخال المجال البيولوجي في دراسة الشخصية ، من شأنه أن يوسع أفقنا ونظرتنا لهذا المجال الجديد الذي لا يزال في المهد . ويستمد الاتجاه البيولوجي الكثير من أفكاره من علم البيولوجيا وعلم الفسيولوجيا وما يتصل بهما ، في نظرتهما للشخصية وكيف تتكون وكيف تنمو وكيف تتعدل . ويقول « إيزنك » في كتابه « الحقيقة والوهم في علم النفس (٢) » إن من الأهمية بمكان الربط بين علم النفس وبين علم وظائف الأعضاء وعلم الأعصاب والبيولوجيا ربطا وثيقا . وإذا كان ت . هـ . هكسلي قد قال إنه « لا أذهان بدون أعصاب » فقد قصد بهذا أنه لا توجد أحداث عقلية بدون الأحداث الفسيولوجية أو العصبية الكامنة وراءها ، والتي يمكن أن تفحص وتقاس بالعلم الفيزيقي . ولكن لا يزال بعيداً هذا اليوم الذي سنتمكن فيه من أن نحقق هذا بطريقة لا لبس فيها ، خصوصا فيما يتعلق بمفاهيم الشخصية » .

والكائن الحي وحدة متكاملة . ولكن سواء اتجه نظرنا ناحية الجهاز العظمي أو العضلي أو الدوري أو التنفسي أو الغددي أو العصبي أو حتى نحو الفحص الميكروسكوبي للدم ، فإن الفروق الفردية الواضحة بين الناس في هذه النواحي المختلفة ، هي أول ما يجذب انتباهنا . فهناك اختلافات مورفولوجية هائلة بين العاديين من الناس . فالأجهزة الجسمية تختلف اختلافا كبيرا من

---

(1) Roger, J. Williams. : The Biological Approach to the Study of Personality. In James. A Dyal : Readings in Psychology : Understanding Human Behavior. Mc. Graw-Hill 2nd ed 1967.

(2) Eysenck, J.H. : Fact and Fiction in Psychology. Pelican Book. Penguin 1965.

انظر أيضاً الترجمة العربية لكتاب الحقيقة والوهم في علم النفس ترجمة قدري حفني ورؤوف نظمي دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

الشكل والحجم . فالقلوب مثلا تختلف بعضها عن بعض مورفولوجيا ، كما تختلف فى قدرتها على ضخ الدم . والأمر بالمثل بالنسبة للغدد وغيرها .

وإلى جانب هذا التمايز الواضح فى النواحى المورفولوجية ، هناك أيضاً تمايز ليس أقل وضوحاً فى النواحى الفسيولوجية والكيميائية الحيوية . فقد وجد فى إحدى الدراسات للعصارة المعدية فروقاً واضحة فى مقدار ما تفرزه المعدة من هذه العصارة .

ثم إن العمل الرائد الذى قام به ثرستون على القدرات العقلية الأولية ، والذى يتضمن أن بعض الأفراد أقوى فى القدرة العددية منه فى القدرة على الطلاقة اللفظية أو التصور البصرى المكانى ، على حين أن البعض الآخر أقوى فى القدرة على الطلاقة اللفظية منه فى القدرة التذكرية أو الاستنباطية قد يفتح المجال أمام العديد من الدراسات التى قد تتجه إلى دراسة تشريح المخ الإنسانى لعلها تقف على أساس بيولوجى لهذه الاختلافات، إلى جانب الأساس السيكلوجى .

وإذا كان علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية يذهبون إلى أن الثقافة هى العامل الوحيد المؤثر فى شخصية الفرد ، وإلى أن التشابه بين أفراد المجتمع الواحد مرده إلى التنشئة الاجتماعية ، فليس معنى ذلك أن الفروق والتمايزات الموروثة والبيولوجية التى نولد مزودين بها قد ذبلت وانتهت نتيجة لتوافق الأفراد داخل الإطار الثقافى الذى يعيشون فيه .

والحقيقة أن الكائن الحى يمثل وحدة متكاملة لا يمكن الفصل فيها بين مكوناته البيولوجية والتأثيرات البيئية التى يخضع لها سواء قبل الولادة أو بعدها . وإذا كان للثقافة تأثير عميق فى حياة الفرد ، فإن للمحددات البيولوجية تأثير مماثل كذلك . ولكن المشكلة التى تواجه العلماء هى فى الدور النسبى لهذه العوامل البيولوجية والبيئية فى خلق الشخصيات المتمايزة . أما أنصار الاتجاه البيولوجى

فهم أقرب إلى توكيد العوامل البيولوجية على البيئية ، بينما أنصار الاتجاه الاجتماعي أكثر توكيداً للعوامل البيئية منهم للعوامل البيولوجية . ويمكن أن نشير هنا إلى موقف « وليمز روجر » الذي هو أقرب إلى توكيد العوامل البيولوجية ، وذلك في قوله « يبدو من المحتمل أن الجهاز الغددي المتميز لدى الفرد ، والتكوين المورفولوجي لمخه ، وجهازه العصبي المتميز ، يعتبر أكثر أهمية من التدريب على الإخراج أو الفطام أو غيره من العمليات التي تتخذ في تربية الطفل وتنشئته الاجتماعية . ومع ذلك لا يمكننا أن نقرر ، كحقيقة قاطعة ، أن الفروق في مورفولوجية المخ أو في الأجهزة الغددية ذات صلة كبيرة بالفروق في الشخصية . كما أنه ليس لدينا من ناحية أخرى دليلا علمياً قوياً ، على أن التدريب على الإخراج له أية آثار جوهرية على نمو الشخصية . فكل ما نقوله هو من قبيل الحدس فحسب . وعلى كل فلا تزال دراسة الشخصية في مرحلة طفولتها المبكرة » .

ويركز أنصار الاتجاه البيولوجي في دراسة الشخصية اهتمامهم على مجالات متعددة أهمها :

١ — دراسة الوراثة : فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية ، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم .

٢ — دراسة الأجهزة العضوية ، والعلاقة بين وظائفها وأنماط الشخصية .

٣ — دراسة التكوين البيوكيميائي والغددي للفرد .

وسوف نوضح كل نقطة على حدة :

أولا — الوراثة :

والكائنات الإنسانية — شأنها في ذلك شأن غيرها من الكائنات الحية —

تخضع لقوانين الوراثة . أما ما هي هذه القوانين وإلى أى مدى تحدث أثرها فى النواحى الجسمية والعقلية والمزاجية والشخصية ، فهذا ما بدأ العلم يكشف عن بعض خفاياه منذ أيام « تشارلس دارون » و « جريجور مندل » . وهذه المسألة بالغة التعقيد ولا يسعنا إلا الاعتراف مع تشارلس دارون بأن « موضوع الوراثة كله موضوع عجيب » . وقد يظهر الكثير من الخلط بين الباحثين فى الدور الذى تقوم به الوراثة فى تحديد السلوك ، ولعل مرجع ذلك افتقارهم إلى الكثير من الحقائق المناسبة فى هذا المجال . ويتعرض كتاب السير وتواريخ الحياة والروائيون إلى الكثير من ألوان النقد عندما يقررون مثلا أن شخصية ما قد ورثت — ليس فقط صفات جسمية معينة (كلون الشعر مثلا) ، بل وأيضاً صفات سلوكية معينة كذلك (كالثورات الاندفاعية) عن أحد الأجداد ، دون أن يستندوا فى ذلك إلى أدلة قوية تدعم أقوالهم وكثيراً ما نسمع من رجل الشارع أقوالا شبيهة بذلك سواء عن نفسه أو عن الآخرين وغالباً ما يعزو الفرد السمة السالبة عنده إلى عوامل الوراثة حتى يخرجها من نطاق قدرته على التحكم فيها وضبطها وإعادة تربيتها وتوجيهها . وإذا تركنا جانباً أقوال غير العلماء ، فإن الغالبية العظمى من علماء الوراثة يتفقون على أن التشابهات السلوكية داخل الأسرة الواحدة — إذا أخذت بذاتها — ليست دليلا كافيا للقول بأن الوراثة وحدها هى السبب فى حدوثها .

ومن الملاحظ أن علماء النفس الأمريكان لم يوجهوا اهتماما كبيراً لدراسة الأساس الوراثى للسلوك عند الإنسان والحيوان . إذا قورن ذلك باهتمامهم الكبير بدراسة التعلم وأثر البيئة فى تعديل سلوك الكائن الحى . وإذا كان الكثيرون منهم يدافعون عن الدور الذى تقوم به العوامل البيئية ، أكثر من دفاعهم عن دور العوامل الوراثية فى تحديد سلوك الفرد ، فمما لا شك فيه أن أية سمة من السمات جسمية كانت أو عقلية أو مزاجية ، لا يمكن أن تعزى

إلى العوامل الوراثية وحدها ، أو إلى العوامل البيئية وحدها ، وإنما تفاعل هذين العاملين معا . وللتقدير الكامل لهذه الحقيقة ، يجب أن نشير إلى أن بيئة الفرد التي نعنيها هنا تبدأ منذ اللحظة الأولى للحياة داخل الرحم ، وليست قاصرة فحسب — على نحو ما قد يفهم البعض — على البيئة الخارجية بعد الولادة . فالبيئة داخل الرحم — وهي التي تتحدد بشكل أولى بالنواحي الفسيولوجية للأم — تلعب دوراً هاماً في الحياة الجنينية للطفل . فالخلية الناتجة بعد الإخصاب وما تحمله من موروثات من جانب كل من الأم والأب ، لا يمكن أن يكتب لها الحياة مالم تتوفر لها مثل هذه البيئة المناسبة داخل الرحم بما فيه من حرارة ووقاية وتغذية ودفء إلخ . ومن المعروف أيضاً أن إصابة الأم بالحصبة الألمانية في الأسابيع الأولى من الحمل قد ينجم عنها إصابة الطفل بالصمم أو العمى .

ومع أن أية سمة هي نتيجة التفاعل المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية ، إلا أن الدور الذي تقوم به هذه العوامل يختلف من سمة إلى أخرى . فنحن نكون أميل إلى البحث عن العوامل الوراثية من أجل تفسير لون العينين أو لون البشرة ، بينما نكون أميل إلى الرجوع إلى البيئة لفهم أساليب اللغة التي يستخدمها الطفل أو سلوكه الجانح أحياناً . وقد نذهب إلى أن من الممكن في يوم من الأيام إحداث تغيير في لون العينين باستخدام الوسائل البيوكيميائية المناسبة خلال فترة الحمل ، ولكن حتى يأتي هذا اليوم ، فإن أثر البيئة لا يزال يبدو ضئيلا بالنسبة لهذه التغييرات .

ميكانزمات الوراثة :

ودراسة ميكانزمات الوراثة عند الإنسان محوطة بالصعوبات وذلك لتعذر إخضاعها للتجريب . وإذا كانت تجارب السلالات على الحيوان قد كشفت

عن بعض النتائج ، فإن من الصعب إجراء ما يماثلها على الإنسان . وحتى إذا تيسر القيام بذلك ، فثمة صعوبات أخرى تواجهنا فى هذا الصدد ، منها أن الإنسان أبطأ فى إنتاجه من الحيوان مما يجعل دراسة السلالات الإنسانية تحتاج إلى أجيال متعاقبة ، إذا قورنت بما تحتاج إليه دراسة السلالات الحيوانية — عند الفيران مثلا — من وقت قصير نسبياً . ومن هنا فإن كثيراً من معلوماتنا عن الوراثة مستمد من كائنات حية أخرى غير الإنسان .

ومن المعروف أن الخصائص التى يرثها الإنسان تتحدد منذ اللحظة الأولى التى يتم فيها اتحاد البويضة الأنثية بالحيوان المنوى الذكرى . وهذه الخصائص تتوقف على الجينات التى هى حملة الاستعداد الوراثى عند الفرد ، والتى هى عبارة عن بقع صغيرة مستديرة توجد على الكروموزومات . والخلية تتكون من ٤٦ كروموزوم نصفها مورث من جانب الأم ، ونصفها الآخر من جانب الأب . فهناك إذن ٢٣ زوجاً من الكروموزومات . وكل واحد من هذه الأزواج يأتى من جانب أحد الأبوين ؛ ومن المعروف أن ٢٢ زوجاً منها غير محدد للجنس ، أما الزوج المتبقى فهو المسئول أساساً عن جنس الفرد . وتعطى الأم دائماً ما نسميه باسم الكروموزوم المحدد للجنس ، وهو الكروموزوم X أما الأب فقد يعطى إما كروموزوم الجنس X أو الكروموزوم Y . فإنه أعطى الكروموزوم X كان الجنين أنثى . وإن أعطى الكروموزوم Y كان الجنين ذكراً (١) .

والجين السائد هو الذى يحدد الخصائص المحددة بصرف النظر عن الجين المتنحى الذى تقترن به . أما الجين المتنحى ، فهو على العكس ، يجب أن يتزاوج

---

(1) Darlington, : C. D. Genetics and Man. Penguin Books. 1966. chp. 15.

من جين آخر من نفس النوع قبل أن تتاح الفرصة للخصائص المرتبطة به أن تظهر إلى حيز الوجود. وهناك مجموعة من السمات يكون لها الغلبة باستمرار. فاللون البنى للعينين يكون له الغلبة على اللون الأزرق. كما أن الشعر المجعد يسود على الشعر المسترسل.

بعض الأساليب التي استخدمت في بحث العوامل الوراثية عند الإنسان :

١ — شجرة العائلة : وقد لجأ الباحثون إلى عدة طرق لدراسة الوراثة عند الإنسان أولها الملاحظة المباشرة للعائلة وقديماً كانت الدراسات التي من هذا النوع تشمل أعداداً كبيرة من الأقارب، ولكن الباحثين المحدثين لا يذهبون إلى مثل ذلك دائماً. فمن الممكن الوصول إلى معلومات مفيدة من دراسة أعداد قليلة من أفراد الأسرة وإخضاعهم للملاحظة الدقيقة. وتقل الأخطاء إلى أكبر قدر ممكن إذا اقتصرت الدراسة على هؤلاء الأعضاء الذين يمكن ملاحظتهم بدقة. وثمة مجموعات مزدوجة يكون لها أهمية في البحث كالأخ — الأخت — الوالدين — الطفل.

٢ — التوائم : ومن أهم الدراسات وأمتعها — وإن لم تكن دائماً قاطعة — تلك التي تجرى على التوائم. وطرق التحليل هنا تتطلب المزيد من الدقة قبل القيام بأية استدلالات، لأن بيئة التوائم المتشابهة — والتي هي في الأصل بويضة واحدة وانقسمت قسمين — يحتمل أن تكون أكثر تشابهاً من بيئات الإخوة العاديين. وقد اقترح جالتون مقارنة التوائم المتشابهة بالتوائم العادية غير المتشابهة — وهما بويضتان خصبتا في وقت واحد — من أجل دراسة آثار كل من البيئة والوراثة. وقد تم إجراء الكثير من الدراسات على تمايز هذين النوعين من التوائم. ومن الممكن الآن تصنيفهما بدرجة كبيرة من الدقة. ومع ذلك فالتوائم غير المتشابهة قليلاً ما تعطى معلومات عن وراثة

سمة معينة أكثر مما يعطيه زوج من الإخوة العاديين ، ولد أحدهما بعد الآخر في ولادات مختلفة .

٢ — وراثة بعض السمات العادية :

(ا) الذكاء : ووراثة الذكاء قد عولجت بطرق متعددة . فالدراسات القديمة التى قام بها جالتون اعتمدت على التقديرات النوعية أو الكيفية . ولكن بعد ظهور اختبارات الذكاء وانتشارها ، استخدمت الأساليب الإحصائية المختلفة فى معالجة نتائجها ، وأصبح من الممكن الاعتماد على التقديرات الكمية الدقيقة وإيجاد معاملات الارتباط بينها . ومن ثم ، ظهرت دراسات عدة على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، وعلى الإخوة العاديين والأقارب من درجات مختلفة ، وعلى أفراد لا تربطهم ببعض أية رابطة قرابة .

ودرجة التشابه العقلى للإخوة العاديين فى العينات العشوائية كانت فى الأغلب ٠,٥ ، رغم أنها فى بعض الدراسات كانت أقل من ذلك . وهذه الدراسات قد دعمتها تلك التى أجريت على التوائم ، والتى أوضحت أن التوائم المتشابهة الجنس أعلى ارتباطا من التوائم المختلفة الجنس . فعلى حين تبلغ معاملات الارتباط بين التوائم غير المتشابهة حوالى ٠,٧ إذا بها فى بعض الدراسات على التوائم المتشابهة تتراوح بين ٠,٨ و ٠,٩ . أما أنها لا تصل إلى الواحد الصحيح فهذا يشير إلى وجود تأثيرات أخرى تلعب دورها غير العوامل الوراثية .

(ب) المهارات الخاصة : ودراسة المهارات والاستعدادات الخاصة يمكن أن تمدنا بالكثير من المعلومات فى هذا الصدد . والمهارات والاستعدادات الخاصة كالقدرة الميكانيكية مثلا يمكن قياسها بسهولة كبيرة نسبيا . ومن ثم تصبح أسلوبا مناسبا للدراسة . ولكن القليل جداً من الدراسات هو الذى

أجرى فى هذا المجال ، إذا قورن بالعديد من الدراسات التى أجريت فى مجال الذكاء . ومن المهارات الخاصة التى درست ، القدرة الموسيقية ، على الرغم من تدخل عدد كبير من العوامل فى هذه المهارة كالإحساس الجمالى وإدراك النغمة والمهارة اليدوية .

ورغم المعرفة الجيدة بأن ثمة تشابها يوجد داخل بعض الأسر فيما يتعلق بالقدرة الموسيقية كأسرة موزرات وباخ وغيرهما من كبار الموسيقيين ، إلا أن القليل جداً من الدراسات الموثوق بها ، هو الذى أجرى فى هذا المجال .

٤ – وراثة الانحراف الإجتماعى لدى بعض الأسر :

ومن بين الأسر التى درست على نطاق واسع ، والتى استند إليها أنصار الوراثة فى القول بوراثة بعض مظاهر الإنحراف والضعف العقلى ، أسرة « الكاليكاك » ، وأسرة « الجوكس » . والأسرة الأولى تنسب إلى الجد الأكبر « مارتن كاليكاك » الذى كان جندياً فى جيش التحرير بأمريكا . وقد اتصل هذا الرجل بفتاة ضعيفة العقل ، وأنجب منها طفلا خرج ضعيف العقل . وبعد الحرب تزوج من فتاة من أسرة عادية وأنجب منها طفلا كان عادياً . وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرع لما يقرب من مائتى عام . وقد لاحظوا أن الفرع الذى ينتمى إلى الجد الضعيف العقل ، لم يكن به عادياً إلا عدد قليل جداً أما الباقون فكانوا ضعاف عقول أو مجرمين أو خارجين على القانون . أما الفرع الآخر فلم يكن به شاذاً إلا عدد قليل جداً ، أما الباقون فكانوا من قادة المجتمع وساسته ورؤسائه . أما أسرة الجوكس فهى أسرة اشتهر أفرادها بالإجرام والخروج على القانون بشكل استلفت نظر الباحثين .

وبعض الدراسات القديمة عن دراسة النزعات المضادة للمجتمع قام بها

جورنج (١٩٢٥) ويوجد ارتباط بين السمات الاجرامية لدى الأقارب المجرمين ، كما قام روزانوف (١٩٤١) بدراسة على التوائم اللذين كان أحدهما على الأقل متهما فى جريمة قتل . وقد كشفت هذه الدراسة عن اتجاه أو نزعة عائلية نحو الجريمة . وقد أجرى الكثير من البحوث فى ألمانيا وعلى مشكلات عائلة وكانت الدراسة تشمل الأسرة كلها وقد كشفت نتائج هذه الدراسات أيضاً عن وجود ارتباط ملحوظ بين أفراد الأسرة بالنسبة للنزعات أو الاتجاهات المضادة للمجتمع .

غير أن مثل هذه الدراسات جميعها ، يجب أن تؤخذ نتائجها بشيء كثير من الحذر ، لأن معايير التلاؤم الاجتماعى تختلف من بيئة لأخرى ، ولأن البيئة ذاتها تعتبر عاملا هاماً جداً فى تشكيل شخصية الفرد فيما يتصل بنزعاته المضادة للمجتمع . ومن الملاحظ أن تحليل جماعات الناس الذين يعيشون فى مستويات اجتماعية واقتصادية منخفضة جداً تكشف غالباً على نسبة عالية من الاجرام ومن المحتمل جداً ـ كما حدث فى إحدى الدراسات التى أجريت بمدينه شيكاغو ، أنه إذا تحسنت الظروف الاقتصادية لهؤلاء الناس بشكل ملموس ، أن تقل هذه النزعات المضادة للمجتمع أو تختفى .

من كل ما تقدم نجد أن أدلة الوراثة وحدها ليست قاطعة فى وراثة السمات المختلفة عادية كانت أو منحرفة وأن هذه الأدلة لا تنفى أو تستبعد أثر العوامل البيئية . وهذا ما يدعونا إلى إلقاء المزيد من الضوء على مشكلة الوراثة والبيئة .

بين الوراثة والبيئة :

لقد احتدم النقاش بين علماء الوراثة وعلماء البيئة . وحاول كل منهما

أن يدافع عن وجهة نظره ويبين أهميتها وفى نفس الوقت يقلل من قيمة العوامل الأخرى.

فلقد كان من نتيجة النجاح الساحق الذى أحرزه علم البيولوجيا وعلم الطب وتأثرهما بنظرية «دارون» خلال المائة سنة الأخيرة، أن اتخذ أنصار الوراثة موقفاً متطرفاً، وأكدوا تأكيدا قاطعاً أهمية العوامل الوراثية.

ويمثل هذا الاتجاه تلك العبارة التى يقول فيها ويجام A.E. Wiggam «إن الوراثة — وليست البيئة — هى الصانع الرئيسى للإنسان ... ومن الممكن القول بأن كل ما يطرأ على العالم من تعاسة وهناء لا يرد إلى البيئة. فالفروق التى توجد بين الناس، إنما ترجع إلى الاختلافات فى الخلايا الجرثومية الموروثة التى نولد مزودين بها».

فالشخصية على هذا الأساس «معطاة بشكل محدد منذ الولادة فهى تفسر فى الأغلب كنتيجة لعملية نضج بيولوجى إلى حد بعيد».

وقد رد أنصار البيئة على هذا الموقف، بموقف متطرف كذلك، يتمثل فى عبارة وطسن المشهورة «إعطونى مجموعة من الأطفال الاصحاء سليمى البنية، وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب والمحامى والفنان والتاجر ورئيس العمل، بل والشحاذ واللص، بصرف النظر عن استعداداتهم وميولهم وقدراتهم وأعمال آبائهم وأصولهم الوراثية.

فليس ثمة شىء اسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المزاج أو التكوين العقلى ... الخ».

ومن الممكن القول بأن معظم علماء النفس يميلون إلى توكيد العوامل البيئية رغم أنهم لا يصوغون عباراتهم فى صيغ متطرفة على النحو الذى وجدناه عند وطسن. وقد يرجع سبب ذلك إلى ما يكون عليه الطفل فى بداية أمره

من مرونة وسرعة تعلم وسرعة اكتساب الكثير من العادات عن طريق الاقتران الشرطي أو غيره من عمليات التعلم، كما يرجع أيضا إلى تفضيل العلماء الرجوع إلى الأسباب الظاهرة، بدلا من الأسباب الخفية غير الظاهرة. فهم يميلون فى كل حالة تقريباً، إلى عزو خصائص الشخصية إلى الاقتران الشرطي والتقليد وغيره من صور التعلم وهى جميعها عمليات ظاهرة يمكن إخضاعها للتجريب ولما كانت التغيرات المحتملة فى المؤثرات البيئية لاحصر لها من حيث العدد، فمن الممكن الآن أن نرجع إليها جميع الاختلافات التى توجد بين الناس دون التورط فى البحث عن تفسيرات خفية وغيبية فى طرق الوراثة.

والحقيقة أن أنصار الوراثة لا يذهبون إلى أن الشخصية موروثة، بل يميلون إلى القول بأن ليس ثمة مظهر من مظاهر الشخصية يمكن أن يخلو من تأثيرات الوراثة، والتى تحملها الجينات ومعنى ذلك أيضا أنه إذا كانت كل خاصية تتأثر إلى حد ما بالجينات، فانها يمكن أن تتأثر أيضا بالظروف البيئية المحيطة: مادية واجتماعية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن هناك مجموعة كبيرة من العوامل يمكن الرجوع إليها فى تفسير شخصية معينة. وهذه العوامل تجمع بين العوامل الوراثية والبيئية معاً. فالعوامل الوراثية يمكن أن تمدنا باحتمالات كثيرة للغاية لتفسير كل من التشابهات والاختلافات بين الافراد داخل الاسرة. كما أن البيئة وما يتصل بها من عمليات تعلم، تمدنا كذلك باحتمالات أخرى لاحصر لها. وطالما أن كل صفة من المحتمل أن تتأثر بالمحددات الاساسية الكامنة فى الجهاز التكوينى، كما تتأثر فى الوقت نفسه بمجرى حياة الفرد فى بيئة مليئة بالمثيرات.

فمن المستحيل إذن عزو أية سمة مفردة من سمات الشخصية إلى الوراثة وحدها، أو إلى البيئة وحدها. فهما متضامنتان معاً منذ بداية الحياة. ومن الممكن القول إذن أن الشخصية هي دالة أو وظيفية للعوامل الوراثية والبيئية معاً، وأن العلاقة بين هذين العاملين ليست علاقة إضافة، بل هي علاقة ضرب وحاصل ضرب. بمعنى أنه إذا كان أحد طرفي العلاقة يساوي صفراً. كانت النتيجة تساوي صفراً كذلك ولا يكون ثمة وجود للشخصية. وهذا ما عبر عنه البورت بقوله الشخصية هي دالة (الوراثه) × (البيئة).

ولكن ثمة مشكلات كثيرة تظهر في تحديد أهمية كل من الوراثةوالبيئة ذلك أن الخصائص التي تحدثها الجينات، قد تحدثها أيضاً القوى الموجودة في البيئة. مثال ذلك في مجال الشخصية إن الفرد قد يكون عدوانياً أو منطويا إما بسبب الصفات الموروثة أو بسبب نواحي الإحباط المتكررة التي يتعرض لها في البيئة. والنتيجة المنطقية لذلك هي أن إحدى الشخصيات قد تحددها العوامل الوراثية أكثر من العوامل البيئية، بينما في حالة أخرى يكون تأثير العوامل البيئية أكثر وضوحاً من العوامل الوراثيه. وقد نصل إلى مثل هذه النتيجة بعد الدراسه المستفيضة لتاريخ حياة الفرد، ولكن من المستحيل صياغة قاعدة عامة تتصل بوزن كل من العوامل الوراثة والبيئية في حياةالفرد. فلدى بعض الناس قد يغلب تأثير التعلم على تأثير الوراثة، على حين لدى البعض الآخر قد يفوق تأثير العوامل الوراثية تأثير العوامل البيئية.

والحقيقة أن الوراثة هي في نظر الكثيرين بمثابة المشجب الذى يعلق عليه الباحثون تفسيراتهم حين يعجزون عنأن يجدوا تفسيراً آخر مقبولا يردون

إليه السلوك . وهم فى مأمن من التحقيق طالما أن اسلاف الفرد يكونون فى الأغلب فى موقف لايسمح لهم بالرد على مثل هذه التفسيرات. وإذا كان معظم علماء النفس مقتنعين بالدور الذى تلعبه الوراثة فى الذكاء إلا أنهم ليسوا كذلك فيما يتصل بجوانب الشخصية المختلفة . والواقع أن تقرير هذا الدور يتوقف إلى حد ما على التعريف الذى يتخذه الباحث للشخصية . فإذا نظر إليها على أنها النمط الداخلى من المعتقدات والتوقعات التى تكونها الذات فى صلتها بالبيئة ، فإن مثل هذا التعريف يفتح المجال أمام العوامل البيئية. أما الاتجاه الذى يؤكد ناحية المزاج - أى الاستجابات الانفعالية الوجدانية من حيث عمقها وسعتها فإنه يفتح المجال أمام الفروض الوراثية ، ولو أن الحقيقة هنا لاتزال غامضة إلى حد ما .

الدراسات المؤيدة للعوامل الوراثية :

أوضحنا أن جمع الحقائق اللازمة لتوكيد النواحى الوراثية عند الإنسان أمر بالغ الصعوبة . ومع ذلك ، فإن معظم الدراسات ركزت فى هذا الصدد على نواحى ثلاثة :

(ا) مقارنة التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والأخوة العاديين .

(ب) مقارنة التوائم المتشابهة الذين فصلت بينهم ظروف الحياة منذ الطفولة المبكرة .

(حـ) الدراسات التى أجريت على الحيوانات .

وسوف نشير باختصار إلى كل منها :

(ا) دراسات التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والإخوة العاديين :

قام الباحثون بدراسات متعددة على التوائم بحكم اتحاد وراثتهم

فى العادة . وقد أدت نتائج البحوث إلى اتفاق واضح بين التوائم فى الصفات العقلية المختلفة . غير أن البعض يعترض على الأخذ بهذه النتائج كما هى نظراً لاتفاق التوائم أيضاً فى البيئة منذ اللحظة الأولى التى تبدأ فيها الحياة داخل الرحم ، بمعنى أن أى تشابه بين التوائم يمكن أن يعزى إلى الوراثة مثلما يمكن أن يعزى إلى البيئة .

وقد ميز الباحثون فى دراساتهم بين نوعين من التوائم : توائم متشابهة أو متحدة وهى حالة فريدة فى علم الحياة يكون فيها لشخصين نفس التكوين الوراثى حيث تكون هناك بويضة واحدة انقسمت قسمين . أما التوائم غير المتشابهة أو المختلفة فهى الناشئة عن إخصاب أكثر من بويضة فى وقت واحد وتنمو كل منها منفصلة عن الأخرى وواضح إذن أن نمط الجينات أو حملة الاستعداد الوراثى يكون متفقاً تماماً فى حالة التوائم المتحدة .

ويقول أيزنك «فى كتابه «الحقيقة والوهم فى علم النفس » (١): إذا ماقدرنا أن هذه السمة موروثة كلية ، فلا بد عندئذ من أن تظهرها التوائم المتشابهة بنفس الدرجة من الدقة ، بينما التوائم غير المتشابهة وهى تتقاسم السمات الموروثة بدرجة أقل بكثير ، لابد أن تختلف كلا التوأمين كثيراً عن بعضهما بالرغم من أن هذا الاختلاف أقل بالطبع من ذلك الموجود بين أناس لا يربطهم ببعض رابطة . أما إذا كانت السمة لاترجع بأى حال إلى الوراثة، حيث تكتسب البيئة بالنسبة لهذه السمة كل الأهمية ، فإن التوائم المتطابقة ينتظر ألا تبدى أى تشابه يزيد عما لدى التوائم غير المتشابهة . وتثار المشكلة بشكل ظاهر حين تواجه بسمة تتحدد جزئياً بالوراثة وجزئياً بالبيئة .

---

(١) ايزنك : الحقيقة والوهم فى علم النفس ، ترجمة قدرى حفنى ورؤوف نظمى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ففى مثل هذه الحالة لابد أن تكون التوائم المتشابهة أكثر تطابقاً من التوائم غير المتشابهة ، ولكن الاختلاف سيكون أقل مما لو كانت السمة موروثة كلية . وفى امكاننا أن نستخدم الاختلاف فى التطابق بين التوائم المتشابهة فى جانب والتوائم غير المتشابهة فى جانب آخر لكى نقدر بدقة ما للوراثة من أهمية فى تحديد هذه السمة .

وعلى ذلك ، يمكن أن نعرف الوزن النسبى لكل من الوراثة والبيئة ، إذا قارنا درجة التشابه بين زوج من التوائم المتشابهة وزوج من التوائم غير المتشابهة . وقد قام «هولزنجر» بحساب معامل الارتباط للصفات الجسمية (الطول والوزن.. إلخ) والصفات العقلية (الذكاء والتحصيل الدراسى .. إلخ) والصفات الخلقية (قوة الضبط والاندفاع فى تنفيذ الرغبة ... إلخ) فى مجموعة فى التوائم المتحدة ووصل إلى النتائج الآتية (١) .

الصفات	متوسط معامل الارتباط للتوائم المتحدة	متوسط معامل الارتباط للتوائم المختلفة	الفرق
جسمية	٠,٩٤	٠,٥٨	٠,٣٦
عقلية	٠,٨٨	٠,٦٤	٠,٢٤
خلقية	٠,٤٧	٠,٤٥	٠,٠٢

وتدل هذه النتائج عن أن الفرق بين مجموعتى التوائم يرجع بعضه إلى الوراثة ، كما تدل على أن بعض الصفات العقلية أكثر خضوعا لآثار البيئة من الصفات الجسمية وأن الصفات الخلقية أكثر من كل من الجسمية والعقلية قابلية للتأثر بالبيئة .

(١) د . عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤، ص ٣٥

ويعزز هذه النتائج ما قام به ايزنك(١) فى دراسة على التوائم المتحدة، وغير المتحدة من حيث درجة التشابه فى الذكاء والإنبساط والنشاط التلقائى وقد وصل إيزنك إلى النتائج الآتية :

الصفات	التوائم المتحدة	التوائم المختلفة
التشابه فى الذكاء (الارتباط)	+٠,٨٢	+٠,٣٨
التشابه فى الانبساط	+٠,٥٠	−٠,٣٣
التشابه فى النشاط التلقائى	+٠,٩٢	+٠,٧٢

أن درجات التوائم المتحدة، فى الذكاء ومقاييس النشاط التلقائى متشابهة إلى حد بعيد والارتباط بينهما عال، كما لو كان الواحد منهما، قد أعاد إجراء الاختبار نفسه مرة أخرى. أما بالنسبة للتوائم غير المتحدة، فإن درجة التشابه بينهما أقل بدرجة ملحوظة. فإذا نظرنا إلى سمات الشخصية نجد أن الوراثة تحدث إلى حد ما بعض التشابه وإن كان أقل درجة من المقياسين الأخيرين.

ويجب أن نشير هنا أيضا إلى الوزن الكبير للوراثة فى تحديد مقاييس النشاط التلقائى، طالما أن أسلوب الاستجابة التلقائى هام فى تحديد سمات الشخصية الأخرى. ولقد أوضح باحثون آخرون أن التوائم المتشابهة أكثر تشابها من التوائم غير المتشابهة فى الميول المهنية وأنماط التداعى الحر وفى غيرها من الصفات الأخرى للشخصية. وعلى هذا الأساس يتبين أن اختلافات الوراثة تلعب دوراً رئيسياً فى تحديد الشخصية.

وفى دراسة أخرى قام بها كاتل وبليوت وبيلوف على ٥٢ زوجا من التوائم المتشابهة و ٣٢ زوجاً من التوائم غير المتشابهة و ٩١ زوجاً من الأخوة العاديين

(1) Eysenck, H. J.: The Inheritance of extraversion—introversoion, Acta Psychol. 1956., 12., 95—110.

الذين يربوا معاً و٣٦ زوجاً من الأطفال الذين لا تربطهم رابطة ولكن تربوا معاً فى بيئة واحدة و٤٠٠ طفلا أخذوا من المجموع العام من الناس أعنى لا تربطهم ببعض أية رابطة كما لم يربوا معاً فى نفس البيئة . وقد أمكن بهذه العينة إجراء مقارنات عديدة بين المجموعات المختلفة (١).

وقد وصل كاتل وزميلاه إلى النتائج الآتية :

١ — أن الوراثة أكبر وزنا من البيئة فى تحديد سمات مثل السيكلوثيميا (سهل المعاشرة ، عطوف معبر عن نفسه) ضد الشيزوثيميا (عدوانى، ناقد).

٢ — أن الوراثة أكبر وزنا من البيئة فى تحديدهما أسماه باسم السيكلوثيمى المغامر (الذى يميل إلى مقابلة الناس ، ومواجهتهم . المندفع . اللطيف) ضد الشيزوثيمى المنعزل (الخجول . الجبان . العدوانى المكبوت).

٣ — أن الوراثة أكبر وزنا فى تحديد الذكاء ، وهذه النتيجة الأخيرة لا تثير الدهشة وربما كانت تثير الشك فى المنهج إن كانت غير ذلك .

٤ — أن البيئة كانت أكثر تأثيراً وفاعلية فى سمات مثل الرقة والعصابية العامة وقوة الإرادة والتحكم فيها والجدية والتزمت . أما فى التوازن النسبى فى وزن الوراثة والبيئة فقد أتضح فى سمات مثل السيطرة والخلق الإجتماعى والتطابق النشط .

ويرى ستاجنر (٢) أن من الصعب أن نخلص بنتيجة من مثل هذه الدراسة

---

(1) Catfell. Raymond, B. Duncan B. Blewett and John R. Beloff: The inheritance of personality : a multiple' variance determination of approximate nature-nature ratios for primary personality Factors in Q-data. Amer. J. hum. [Genet, 1955 7, 122-146.

(2) Stagner R.: Psychology of personality. Mc Graw-Hill Comp. 1961. p. 366

التى قام بها كاتل وزميلاه بسبب التسمية المختلطة إلى حد ما للسمات . ومن المفروض فى ضوء المهج المستخدم أن تكون كل سمة من السمات مستقلة عن الأخرى . ومن هنا فان تداخل الأسماء والصفات الوصفية قد أدى إلى صعوبة الفهم. ومن الممكن فى نظر ستاجنر أن نتوقع من الناحية المنطقية أن السمات التى تتضمن تعبئة الطاقة والاستجابة الانفعالية يمكن أن تكشف عن وزن أكبر للوارثة، بينما الميل إلى الاجتماع والخلق والتشابه فى النمط يمكن أن يكشف عن وزن أكبر للبيئة والخبرة . وهذه الصورة المبسطة التى قدمها ستاجنر تتفق مع بعض المادة التى قدمها كاتل وتتناقض مع بعضها الآخر . والحقيقة أن الأمر لا يزال يحتاج إلى مزيد من البحث لتوضيح الوزن النسبى لكل من الوراثة والبيئة بالنسبة لهذه السمات .

(ب) التوائم المتشابهة التى نشأت فى بيئات مختلفة . وقد قام بعض الباحثين بالفصل بين التوائم وتربيتهم فى بيئات مختلفة من حيث أسلوب المعاملة والتعليم والمستوى الاجتماعى والإقتصادى . والفكرة الرئيسية التى تقوم عليها هذه الدراسات هى أنه إذا كانت الجينات هى التى تحدث الأثر الفعال والأساسى ، فمن المتوقع أن نجد التشابه قويا وواضحا بين التوأمين حتى ولو اختلفت أساليب التنشئة وخبرات الحياة لكل منهما اختلافا ملحوظا ومثل هذه الدراسات لم تجر على عينات كبيرة ، وإنما تمت على عدد قليل جداً من التوائم . وقد تبين من دراسة هذه الحالات القليلة ، أن التوائم التى فصلت لا يزال الشبه بين واحد منهما والآخر كبيراً جداً فى الخصائص التشريحية ، وفى الأمراض والاضطرابات الغددية . أما بالنسبة للذكاء فكانت النتائج مختلفة إلى حد ما . فقد كان التشابه كبيراً ، فى معظم الحالات ، بينما فى عدد قليل من الحالات

أدت المقادير المختلفة من التربية إلى اختلاف ظاهر بين التوائم . وفي مجال الشخصية كان التشابه ملحوظاً ، ولكن ليس إلى الحد الذي يعزى كله إلى الجينات .

وعلى العموم يمكن القول بأن النتائج التي تجمعت في هذا الصدد تشير إلى أن الوراثة تلعب في تشكيل « المواد الخام للشخصية » — إذا استعرنا مصطلح البورت — دوراً أكبر مما تحدثه بالنسبة للجوانب الأخرى .

ومن الدراسات الهامة في هذا الصدد تلك التي قام بها « نيومان وفريمان وهولزنجر » . فقد أجروا تجاربهم على ٥٠ طفلا من التوائم غير المتشابه من نفس الجنس و٥٠ طفلا من التوائم المتشابهة ، وربوهم معاً . كما قاموا أيضاً بدراسة الفروق بين ١٩ زوجاً من التوائم المتشابهة الذين تربوا في بيئات مختلفة ومعظم هذه التوائم الأخيرة إنفصل كل توأم منها عن أخيه سنوات طويلة (من ١٢ سنة إلى ٥٣ سنة) ودرسوهم وهم كبار كاملي النمو . وكان نصف هؤلاء قد انفصل التوأم عن أخيه خلال السنة الأولى من الحياة و ٧ منهم أنفصل التوأم عن أخيه في سن الخامسة ولم تكن هنالك فروق جوهرية بين هؤلاء الأخوة من حيث الدين أو التكوين السلالي ، كما أن البيئات المنزلية لم تكن مختلفة اختلافاً جوهرياً(١) .

وقد أشار نيومان إلى دراسة قام بها على فتاتين من التوائم المتشابه وقد تربت كل منهما منفصلة عن اختها ابتداء من سن ١٨ شهراً والتقيتا ثانية وهما في سن ١٨ سنة . وقد عاشت الأولى في أسرة من الطبقة الوسطى في أحد أحياء

---

(1) Newman, H. N., Freeman, F N and K.L. Holzinger: Twins, a study of heredity and environment, Chicago, Univer. of chicago Press 1937. see also : E.L. Thorndike : Herdity and Environment, Engenical News 1944. , 29. , 39 -45.

لندن المزدحمة بالسكان ، وحيث كانت مستويات المعيشة — بسبب الحرب العالمية الثانية — منخفضة نسبياً . على حين نشأت الثانية فى بيئة اجتماعية على مستوى اقتصادى عالى حيث عاشت فى كندا لدى إحدى الأسر من الطبقة العالية ونالت حظاً من التعليم الأكاديمى .

وقد لاحظ نيومان وفريمان وهولزنجر عند دراستهم لهاتين الفتاتين أنهما تتشابهان فى المزاج والثبات الإنفعالى ، ولكن كان الإختلاف واضحاً بينهما فى النمو التحصيلى والعقلى . وواضح أن الفروق الملحوظة فى التربية والبيئة الثقافية كان لها أثر كبير فى اختلاف الفتاتين فى التحصيل العقلى وهما فى الأصل متشابهتان فى ناحية المواهب الموروثة . ومع ذلك ، فقد أوضح مولان وبيركس(١) أن ليس كل التوائم المتشابهة التى نشأت فى بيئات مختلفة يظهر لديها اختلاف واضح ملحوظ فى النواحى العقلية . ولكن الحقائق تشير على وجه العموم إلى أهمية البيئة فى نمو مختلف مظاهر الشخصية .

ويمكن أن نشير أيضاً إلى تلك الدراسة التى قام بها شيلدز J. Shields الذى حصل على عدد كبير من هذه التوائم بعد نداء عن طريق التلفزيون ، فوجد أن التوائم المتشابهة مازالت شديدة التشابه مع بعضها أكثر من التوائم الأخوة ، رغم أن الأخيرة قد نشأت معاً . وقد وجد شيلدز عندما قارن قوائمه المنطابقة التى نشأت سوياً مع تلك التى نشأت منفصلة أنه فيما يتعلق بالذكاء والإنبساطية والعصابية ، فإن التوائم التى نشأت منفصلة عن بعضها ، كانت أكثر تشابهاً من التوائم التى نشأت معاً . وفى هذا تزكية كاملة لطريقة التوائم وإجابة مفحمة على النقد الموجه للدراسات التى تستخدم المقارنات

---

(1) B.S. Burks and A. Roe: Studies of Identical twins reared apart. psychol. Monogr. 1949, 63. No. 5.

بين التوائم المتطابقة والأخوية عندما ينشأ كلا النوعين معاً (١) .

(ح) الدراسات التي أجريت على الحيوان :

والاختبار النقدي لأية نظرية تقول بوراثة جوانب معينة من الشخصية الإنسانية ، يمكن أن يتم في ضوء التجارب التي تجرى على الحيوان . ولاستخدام الحيوانات في هذا النوع من الدراسة ميزتان : الأولى : أن من الممكن ضبط العوامل الموروثة خلال عملية انتقاء السلالات وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة للإنسان . الثانية : أن من الممكن فرض ضوابط دقيقة على البيئة أبعد بكثير مما يمكننا القيام به بالنسبة للإنسان . فمن الممكن مثلا إخضاع الحيوان لظروف أو ضغوط مخيفة أو غير مخيفة وبشكل لا يتيسر القيام به بالنسبة للإنسان .

وتوحي البحوث التي أجريت على حيوانات متعددة كالقطط والفران والكلاب والشمبانزي وغيرها ، وجود أنماط ثلاثة متميزة من السلوك والذي يمكن رده إلى عوامل وراثية وهي الخوف والعدوان والميل إلى الاجتماع ، فتكوين الكائن الحي يجعله — على ما يبدو — يستجيب — وحسب الظروف التي يوجد فيها — باستجابات الخوف أو العدوان أو الاجتماع مع الغير دون حاجة إلى تعلم كيفية القيام بمثل هذه الاستجابات ، فلم يتعلم الفأر مثلا أن يصرخ في موقف الخوف أو يقرض ويعض في موقف الغضب أو يتحرك تجاه فأر آخر عندما يبحث عن الدفء والطمأنينة . وليس من شك أن التعلم يعدل من صورة هذه الاستجابات ، كما يحدد أيضاً أنواع المواقف التي تقدر على إثارتها . ولكن التعلم نفسه لم يخلقها أو يوجدها . فالأنماط الأساسية تتوقف على عوامل جبلية لم تتضح بعد وضوحاً كافياً .

(١) ايزنك : الحقيقة والوهم في علم النفس ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

وسوف نشير باختصار إلى نماذج من هذه الدراسات والتي تفيد أن الخوف والعدوان والميل إلى الاجتماع مكونات هامة للمزاج .

الخوف : هل ثمة دليل على أن بعض الأفراد يولدون أكثر استعداداً للخوف من البعض الآخر ؟

إن إحدى الوسائل لدراسة هذه المشكلة ، هي افتراض وجود فروق فردية في الخوف ، وأن هذه الفروق تقوم على أسس وراثية . فإذا كان الفرض صحيحاً ، فإن من الممكن ، خلال عملية انتقاء السلالات أن نحصل على سلالات تختلف بعضها عن بعض في هذه الناحية . وقد قام « كالفن هول[1] » بجمع المادة التي تدعم هذا الفرض .

حدد « هول » أولا المقصود باستجابة الخوف . واستناداً إلى الملاحظات التي قررها الباحثون الذين يستخدمون الفيران في تجاربهم المعملية ، تبين له أن أحسن وسيلة لإحداث الخوف عند الفأر هي وضعه في مكان غريب عليه كما تبين له أيضاً أن الفأر يكشف عن خوفه بمقدار ما يفرزه من إخراج ومن امتناعه أو كفه عن تناول الطعام . وهذا سلوك شبيه بما نجده أحياناً عند الإنسان .

وقد استخدم « هول » ما أسماه باسم « الموقف المفتوح » أو غير المقيد ، حيث كان يضع الفأر وحده في مدخل مضيء قطره حوالي ٨ بوصات ، وكان الطعام في متناول يده ، وكان يترك الفأر وحده في هذا الموقف يومياً لمدة دقيقتين ، ولفترة ١٢ يوماً متتابعة وكان يلاحظ سلوك الإخراج وتناول الطعام خلال هذه الفترة . وقد أمكنه الحصول على تقديرات أو درجات

---

(1) Hall, Calvin S. : Temperament : a Survey of Animal Studies. Psychol. Bull. 1641. 38. 909-943.

لسلوك الحيوان بالنسبة لهاتين الناحيتين اللتين يمكن اتخاذهما كمقياس للخوف عند الفأر . ولما كان معامل الارتباط بين درجات هذين المتغيرين من السلوك مرتفعة ، فقد اكتفى هول باتخاذ سلوك الاخراج كمقياس للظاهرة التى يقوم بدراستها . ومن ملاحظاته أيضاً أن معظم الفيران عندما توجد فى مواقف كهذه يزداد عندها مقدار ماتدره من بول ، ولكنها بعد عدة محاولات ، تبدأ فى التكيف مع الموقف ويصبح الاخراج عندها عادياً . وبالطبع يختلف عدد المحاولات اللازمة لحدوث مثل هذا التكيف من فأر لآخر داخل المجموع العام من الفيران .

وبملاحظة الفيران فى الموقف المفتوح ومراقبة أدلة الخوف والقلق عندها ، أمكنه الكشف عن تلك التى تكون درجاتها مرتفعة نسبياً فى أدلة الخوف ، وكون منها مجموعة سميت باسم « المجموعة الإنفعالية » وهى مجموعة هيابة شديدة الخوف كما أمكنه فى الناحية الأخرى ، تكوين مجموعة ثانية تكون درجاتها منخفضة نسبياً فى أدلة الخوف وسماها باسم « المجموعة غير الانفعالية » . وقد قام بتربية كل مجموعة منها على حدة ، وكان يسمح بالتزاوج داخل المجموعة الواحدة ولا يسمح بالتزاوج بين المجموعات . وقد اتبع نفس الأسلوب بالنسبة للأجيال المتعاقبة . فكان يستبعد فى المجموعة الانفعالية أقلها درجات فى أدلة الخوف ، ومن المجموعة غير الانفعالية أعلاها درجات ، ولا يسمح لها بالاختلاط لإنجاب الجيل التالى إلا وفق النظام المتبع فى التجربة . وهكذا حتى وصل إلى الجيل التاسع حيث لاحظ قدراً من الثبات فى النتائج . فكانت درجة المجموعة الانفعالية حوالى ١٠ درجات ، بينما درجة المجموعة غير الانفعالية لم تزد كثيراً عن درجة واحدة . وبعبارة أخرى أنه كلما تقدمت تجربة التهجين ، فان السلالتين تتباعدان أكثر وأكثر حتى ابتعدتا عن بعضهما تماماً قرب النهاية .

وقد اختبر كلفن هول الفرض القائل بأن هذه الفروق يمكن أن ترجع إلى عوامل أخرى غير الوراثة . فقام بتهجين المجموعتين ابتداء من الجيل العاشر ، وقد تشابهت نتائج التهجين مع جيل الآباء الأصلى .

وخلاصة القول إن حقيقة إمكان استخدام التهجين لإنتاج سمة معينة كالخوف ، تكفى لإثبات أن الوراثة تلعب دوراً قوياً فى تكوين هذه السمة ويذهب ايزنك فى سياق تعليقه على تجربة هول قائلا « إن تحديد هذه السمة فى الفيران لا يعنى بالطبع أن ما يصح لدى الفأر يكون صحيحاً بالضرورة لدى الإنسان ، ولكننا نعرف أنه حتى لدى الإنسان ، فان التبرز والتبول كثيراً ما يكونا نتيجة انفعالات الخوف الشديد القوية . ولذلك فهناك تشابه وثيق بين الاثنين . وقد رأينا أن هناك طرقاً أخرى مثل طريقة التوائم قد أظهرت حين طبقت على الإنسان ، أن الإنفعالات أو العصابية موروثة فى حقيقتها . ولهذا يمكن القول إنه فى الإمكان استخدام هذا النوع من الطرق المطبقة على الحيوان لدعم الدلائل المستخلصة من التجارب التى تجرى مع الآدميين (١) .

العدوان : ونحن فى الأغلب نستجيب للإحباط بالعدوان . ويبحث الإنسان عاده عن وسائل مناسبة لضبط العدوان داخل الأسرة وفى المجتمع ومع ذلك ، فالسؤال الذى تبادر إلى الذهن هل الإنسان عدوانى بطبعه أم أن الظروف هى التى تجعله عدوانياً ، وهل هو يبحث عن المواقف التى يسلك فيها بشكل عدوانى أم يجب أن يستثار من أجل أن يصبح عدوانيا ؟ وحتى إذا كانت الاستثارة ضرورية فهل يختلف الأفراد ـ بسبب العوامل التكوينية ـ فى استعدادهم للإستثارة وباختصار هل العدوان مكون مزاجى ؟

لقد أكد علماء النفس منذ وقت بعيد أهمية الإحباط فى تحليلهم للعدوان

(١) ايزنك : الحقيقة والوهم فى علم النفس ، مرجع سابق ، ص ٦٨

عند الانسان . وقد أقام « دولارد وميللر »(١) نظريتهما على أساس أن الاحباط يولد العدوان » . ومع ذلك فى عالم الحيوان ، هناك من الأدلة ما يوحى بأن السلوك العدوانى يتأثر إلى حد كبير بالعوامل الوراثية . فمن بين أنواع خاصة من الحيوانات نلاحظ باستمرار وجود فروق طبيعية فى السلالات فى ناحية العدوان . والناس عادة يختارون سلالات معينة من الكلاب ، لأنهم يكونون على ثقة ـ بدرجة معقولة ـ من درجة ونوع العدوان الذى يكشف عنه كبار الحيوانات من هذه السلالة . ومن الممكن أن نشير إلى تجربة قام بها « فردريكسون »(٢) لمعرفة أساس العدوان عند الحيوانات . لقد قام بهذه التجربة على الفيران . وكانت المشكلة موضوع البحث هى هل الفأر بطبعه عدوانى ودون ما حاجة إلى وجود أى استثارة ملحوظة تدفعه إلى العدوان لقد ربيت أزواج ثلاثة من ذكور الفيران ، أخذت صغيرة من بطن واحدة وفطمت عن الرضاعة بعد الأسبوع الثالث ثم وضعت منعزلة لمدة يومين قبل وضعها فى أقفاص التجربة . وكان قفص التجربة يتكون من غرفتين ا ، ب بينهما ممر حـ . وكان يوضع فى كل غرفة فأر ويسمح له بالتحرك بحرية داخل الغرفتين والممر . وكان الطعام والشراب متوفراً باستمرار أمامهما . وكان كل فأر يظل بالقفص لمدة عشرين دقيقة كل يوم وفى الأيام الأولى من التجربة لم يبد أى من الفأرين أى سلوك عدوانى ، بل العكس كانا متحابين ومع ذلك ، فى اليوم الحادى عشر بدأ أحد الفأرين يقاتل الآخر . وفى اليوم

---

(1) Dollard, John. etal: Frustration and Aggression. New Haven, Conn.: Yale Univer. Press 1939.

(2) See Baughman, E Earl. 2 Welsh, George.. Personality: A Behavioral Science. New Jersey Prentice - Hall Inc 1962 chp. 5.

الثالث عشر بدأ الفأرين يتقاتلان ولقد استمر القتال بينهما فى الأيام التالية إلى أن انتهت التجربة . ومع ذلك لم تبد أنثى هذه السلالة من الفيران ، أى عدوان ملحوظ ، رغم ظهور العدوان عندها حين تتغير الظروف وتصبح فى حالة جوع .

إن مثل هذه التجارب لا تجيب عن كل الأسئلة الخاصة بالعدوان ، ومع ذلك ، فهى تجعلنا ننظر إليه كشىء أكثر من مجرد استجابة إلى إحباط الدافع أو الحاجة الأولية . ونعتقد أن الأدلة الكثيرة تشير إلى أن العدوان مكون من مكونات المزاج وهو مكون يظهر تحت ظروف الاحباط ، مثلما يظهر أيضاً تحت ظروف ليس فيها إحباط .

الميل إلى مشاركة الجماعة :

لقد شغلت دراسة الخوف والعدوان جانباً كبيراً من اهتمام السيكلوجيين أما المظاهر الإيجابية لاستجابة الانسان واهتمامه بالمخلوقات الأخرى ، فلم تحظ بكثير من الاهتمام . وإذا كان لدينا نمط استجابة كامن يدفعنا إلى الهرب مما هو مخيف ، وآخر يدفعنا إلى الهجوم على ما هو غير مرغوب فيه ، أفليس من الممكن أن يكون لدينا أيضاً استعداد ثالث يدفعنا إلى مشاركة الآخرين من نفس النوع . أن مثل هذا الاتجاه الإيجابى نحو الآخرين من أجل إشباع الحاجات نتيجة التفاعل الاجتماعى مع الآخرين هو مانسميه بسلوك «مشاركة الجماعة» .

ويبدو أن التجارب على عضوية الجماعة أصعب بكثير من التجارب على الخوف والعدوان وقد يرجع ذلك إلى صعوبة وضع معايير صدق للحكم عما إذا كان الحيوان يشارك فى الحقيقة عضوية الجماعة . فمثلا كيف نعرف — عندما يقترب شمبانزى من آخر — ما إذا كانت تحركه عضوية الجماعة أم الجنس أم أية حاجة أخرى . ولعدم وجود التجارب فى هذا الصدد ، يكتفى

الباحثون بالملاحظة العادية لسلوك الحيوان ولو رجعنا إلى تجربة فردريكسون السابقة الذكر نلاحظ أن الفأر في الأيام الأولى كان يتجه تلقائياً نحو الفأر الآخر ويبدى نحوه التعاطف. واستمر الحال على هذا المنوال لفترة بين ١٠-١٢ يوماً. ورغم أنه قد بدأ العراك، إلا أنهما لم يتعاركا باستمرار أو تخليا عن سلوك المشاركة من حين لآخر، فهل يختلف كثيراً هذا التناوب في سلوك الفيران بين العدوان والمشاركة في عضوية الجماعة عن سلوك صغار الأطفال الذى نلاحظه عادة والذى ينتقل فيه الطفل من الشجار إلى المصالحة والانضمام إلى الجماعة، وهل يختلف هذا كثيراً عما نلاحظه أحياناً في سلوك الكبار.

وبعد أن أشرنا إلى الدراسات المتصلة بالوراثة عند الانسان والحيوان، فإن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو كيف تحدث التأثيرات الوراثية أثرها في تشكيل سمات الشخصية. يذهب أيزنك إلى أن أهمية هذه الدراسات الخاصة بالوراثة إنما ترجع إلى أنها تشير بقوة إلى ضرورة وجود بعض الجذور البيولوجية خلف الشخصية والسلوك. ومن الواضح أنه لا يمكن تصور أن سمات الشخصية مثل الانبساطية والانفعالية يمكن أن تورث دون التسليم بوجود بعض الأسس الفسيولوجية والبيوكيميائية والعصبية التى تنتجها بالفعل أو على الأقل تشكلها المورثات الحاملة لاستعداداتنا الوراثية، وبعبارة أخرى فاننا لا نقول بأن السلوك نفسه هو المورث ولكن تركيبات معينة في الجهاز العصبي المركزى أو الجهاز العصبي المستقل هي التى تورث بدورها عند ما تتفاعل مع البيئة تلعب دوراً هاماً في تحديد السلوك (١)

ونختتم حديثنا عن الوراثة بقولنا إن لكل فرد منا نمطاً وراثياً فريداً.

(١) ايزنك : الحقيقة والوهم في علم النفس ، مرجع سابق ص ٦٨ .

أعنى أساساً وراثياً لهذه الشخصية الفريدة النامية . والنظرة الحديثة فيما يتعلق بالتأثيرات الوراثية هى أنها يمكن أن تحدد الصفات العامة أو صفات الجماعة أو الصفات المميزة للفرد .فنحن جميعاً بشر بحكم وراثتنا ، ونحن بيض أو سود، طوال القامة أو قصار القامة بحكم وراثتنا ، كما أن لنا وجوهنا وأصواتنا وملامحنا الأخرى المميزة ، أيضاً بحكم محدداتنا الوراثية . غير أن مثل هذا القول لاينفى الدور الهام الذى تقوم به البيئة . ففى التوائم المتشابهة يوجد بينها بعض الفروق التى ترجع إلى التعلم والتأثيرات الاجتماعية الأخرى . وكلما أصبحت الوظائف أكثر تعقيداً ، زادت الفروق التى يمكن أن تعزى إلى البيئة . فالنزعة إلى الخوف بسهولة ، يمكن أن تكون موروثة ، ولكن عدد الأشياء التى تثير الخوف والقلق ، وعدد مرات الإنسحاب من المواقف العادية يمكن أن تتأثر تأثيراً عميقاً بواسطة عملية التعلم والاكتساب من البيئة .

ثانياً : دراسة الأجهزة العضوية وعلاقة وظائفها بأنماط الشخصية :

وللثدييات جهاز عصبى مركزى يتكون أساساً من مسالك عصبية طويلة تصل مابين كل أجزاء الجسم والمخ . . وبالإضافة إلى الجهاز العصبى المركزى هناك الجهاز العصبى المستقل الذى يختص بأنشطه لا إرادية معينة لازمة لاستمرار حياة الكائن . فهو مثلا الذى ينظم دقات القلب ويجعلنا نستمر فى التنفس ونحن نيام ، وهو الذى يتحكم فى مساحة إنسان العين كرد فعل للضوء الساقط على العين ، كما أنه هو الذى يتحكم فى درجة توصيل الجلد للكهرباء فيزيدها فى حالة الاضطراب أو الانفعال أو الخطر ويقللها فى حالة السكينة . وهذا الجهاز العصبى المستقل ينقسم بدوره إلى قسمين السمبثاوى والباراسمبثاوى . والأول هو جهاز الطوارىء الذى يعد الجسم للقتال أو للهرب والذى يوقف الهضم ويزيد من دقات القلب ويزيد من معدل سرعة التنفس

ويعد الجسم بطرق عديدة أخرى لمواجهة الأوضاع الخطيرة التي تواجه الفرد. والجهاز الباراسمبثاوى متناقص في عمله لعمل الجهاز السمبثاوى ويؤدى إلى آثار عكسية تماماً . فهو يبطىء من سرعة التنفس ويقلل من دقات القلب . وله فى كل الأحوال الأثر العكسى الكامل للجهاز العصبى السمبثاوى وهو جهاز حيوى لكى يعيش الكائن الحى عيشة هادئة آمنة تحفظ له بقاءه (١) .

وبسبب هذه العلاقة الوثيقة بين نشاط الجهاز العصبى المستقل والانفعال أخذ علماء النفس منذ سنوات بعيدة يبحثون عن الروابط بين الاستجابات التلقائية والسمات المزاجية . ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى دراسات كمف (١٩١٩)(٢) و دارو (١٩٣٢)(٣) و فريمان (١٩٤٨)(٤) على وجه الخصوص .

إن استجابة الجسم للإحباط ثم عودته إلى حالة التوازن الداخلى من الأمور الهامة بالنسبة للشخصية . لقد فرض فريمان على مفحوصيه إحباطات تجريبية معينة ، ثم قاس عودتهم إلى حالة التوازن الداخلى خلال نشاط الجهاز العصبى المستقل . وقد كشفت الدراسة عن وجود عمليتين مترابطتين هما عملية اثارة الحافز أو الدافع والأخرى هى التحكم فى تفريغ الطاقة . فالأشخاص الذين تكون لديهم إثارة الحافز قوية يمكنهم بسرعة تعبئة طاقتهم ، استجابة لوجود المثير المخيف أو المهدد (أو هدف ايجابى وإن لم يدرس فريمان هذه الناحية) . أما هؤلاء الذين يكون تحكمهم فى تفريغ الطاقة

---

(١) ايزنك ، المرجع السابق .

(2) Kempf E. J. Autonomic functions and the Personality. Nervment Dis. Monogr. 1919 no. 28.

(3) Darrow. C.W. Reaction Tendencies relating to Personality. in K.S. Lashley: Studies in the Dynamics of behavior. Chicago: Univer. of Chicago Press 1932.

(4) Freeman. G. L. Energetics of Human Behivior. Ithaca, New York. Cornell Univer. Press 1948.

عالياً ، فإنهم يحولون دون التعبير عن إثارة هذه الطاقة فى فعل صريح ، إلا إذا كان احتمال النجاح فى العمل مؤكداً . وقد توصل فريمان من ذلك إلى وضع نظرية تصنف الناس من الناحية المزاجية وفق موضعهم من متغيرات ثلاثة هى: إثارة الدافع والتحكم فى تفريغ الطاقة ، والقدرة على التميز (وهذه الأخيرة تعتبر ضرورية نظراً لأن الفرد يستخدم معلومات من البيئة ، كما أن الإثارة تتوقف على إدراك المثيرات الدالة . أما التحكم فيتضمن تقييم نتائج العمل) .

فمن المحتمل أن نجد أشخاصاً تكون استثارة الحافز عندهم قوية سريعة ، بينما تحكمهم فى تفريغ الطاقة ضعيف . وهؤلاء من السهل عليهم ارتكاب الجريمة ، كما أن قدرتهم على التوافق مع البيئة وضبط النفس تكون ضعيفة (على نحو ماهو الحال لدى السيكوباتين) وبالمثل يمكن أن نجد أشخاصاً تكون إستثارة الحافز عندهم ضعيفة وقدرتهم على التحكم فى تفريغ الطاقة قوية ، وهؤلاء يبدون كما لو كانوا لايريدون عمل أى شيء ما ، أى كما لو كانوا متبلدين، وهم يخافون من محاولة القيام بأى عمل ، فهم أقرب إلى الشخصيات المرضية .

أما النوع الثالث الذين تكون استثارة الحافز عندهم قوية وقدرتهم على التحكم فى تفريغ الطاقة قوية كذلك ، فهؤلاء أكثر نجاحاً ، لأن الفرد منهم يبذل جهداً وطاقة دون أن تذهب هذه الطاقة أو هذا الجهد هباء . وهو يعتمد بالطبع على قدرته على التمييز أو الذكاء .

وثمة رأى آخر يذهب إلى أنه على الرغم من أننا جميعاً نتشابه فى ميكانزمات الجهاز العصبى المستقل وفى الوظائف العامة للاستجابة ، إلا أن لكل فرد منا ميل إلى أن ينمى لنفسه نمطاً ثابتاً من الاستجابة للمثير الذى يؤدى إلى اثارة الجهاز العصبى المستقل فهذا الشخص مثلا يستجيب لمواقف التهديد بحدوث تغيرات فى سرعة ضغط الدم ، وذلك الآخر بسرعة دقات القلب والثالث

بتغيرات فى استجابة الجلد للجلفانومتر وهكذا وقد ذهب إلى هذا الرأى الذى ينادى بالتخصص فى استجابة الجهاز العصبى المستقل كل من جون ليسى وفان ليه (١) J. Lacey and Van Leh وقد يبدوا هذا الرأى غريبا، ولكنه يبدو مقبولا مع ذلك . فلدينا ميكانزمات كلامية متشابهة . ولكن لكل منا عاداته الكلاميه الخاصة والمميزة له عن بقية الأفراد .

وإذا كان من السهل أن ندرس الجهاز العصبى المستقل بسبب ارتباطه المباشر بالظواهر الإنفعالية وظواهر إثارة الحافز ، إلا أن من المهم ألا ننسى أن نشاط هذا الجهاز نفسه — والذى يعمل من ذاته بدون تدخل منا وفى بعض الأحيان بغير علمنا يخضع نتيجة اتصاله بالجهاز العصبى المركزى لتكييف وتنظيم سيطرة المخ .

لقد أشار بافلوف إلى نظرية الإثارة والكف اللاحق . وقد أجرى تجاربه على الكلاب ، ومن ثم فهى قليلة القيمة بالنسبة للإنسان ، وإن كانت قد وجهت الانتباه إلى الدراسات على الإنسان . فقد قدم إيزنك (١٩٥٥ — ١٩٥٦) نظرية عن الإنطواء — الانبساط تقوم على إفتراض اختلاف الناس فيما بينهم فى عملية الكف اللاحق .

والفكرة الرئيسة عند أيزنك هى فكرة « كف الإستجابة » فمعظم الناس حين يطلب إليهم مواصلة الاستمرار بعمل بسيط والقيام به عدة مرات متتالية سرعان ما يظهر لديهم نوع من المقاومة . ويختلف الناس فيما بينهم فى سرعة

---

(1) Lacey, John. I. and Ruth Van Leh: Differential emphasis in somatic response to stress psychosom Med '1952. 14. 71-81.

(2) Eysenck. Hans. J.: Cortical inhibition: figural after effect and theory of Personality, J. abnorm. soc. Psychol. 1955. 51. 94-106

(3) Eysenck, Hans. J. :The Inheritance of extraversion-introversion. Acta. Psychol., 1956. 12. 95-110.

تكوين هذه المقاومة وقوتها . وعلى هذا الأساس صاغ ايزنك نظريته لتفسير اتجاهات معينه فى الشخصية، ونظريته فى الواقع جديرة بالاهتمام وإن لم تقدم شيئا عن الأساس الفسيولوجى الذى تقوم عليه .

وقبل عام ١٩٥٠ لم تكن الدراسات التى استخدم فيها رسام المخ الكهربى Electroencephalogram "E.E G." بذات قيمة كبيرة ، كما لم تكن نتائجها مشجعة ولكن فى السنوات الأخيرة كانت نتائج هذه الدراسات ذات أهمية كبيرة . فقد وجد ارتباط موجب بين الذبذبة ألفا وتقديرات المزاج (+٠,٤٦) فالأشخاص الذين تكون الذبذبة ألفا عندهم عالية يعطون تقديرات عالية فى النواحى المزاجية ، إذ يكونون أميل إلى الاندفاع وأحوج إلى الضبط والتحكم ، بينما الأشخاص الذين تكون عندهم الذبذبة ألفا منخفضة ، يكونون أميل إلى الحذر والتروى وإلى الكف . كما كشفت دراسات شبتون ووالتر (١٩٥٧) وويز (١٩٥٧) (١) عن أن الأشخاص الذين يعطون أنواعا مختلفة من الاستجابات فى رسم المخ يكشفون عن أنواع مختلفة من السلوك الصريح . ومع ذلك ، فإن المادة التى بأيدينا والتى تتصل بالشخصية لا تزال تحتاج إلى مزيد من الدراسات والإيضاح .

وثمة ناحية حديثة ، ولكنها جديرة بالاهتمام ، ونعنى بها إصابات المخ وأثرها فى الشخصية . إن الإصابات التى تصيب المخ قد تؤثر فى الشخصية بشكل مباشر وأولى أو بشكل غير مباشر وثانوى عن طريق استجابات نفسية معقدة كالخوف الشديد أو الجبن . مثال ذلك ، قد يصاب الشخص بعمى نصفى Hemianopsia نتيجة إصابة فى المنطقة القذالية بمؤخرة الرأس ولا يلاحظ أبداً هذا العيب البصرى لكن بعد أن يوضح الفحص النيرولوجى وجود هذه المنطقة العمياء ، فإن الفرد قد يصبح أكثر انشغالا بالحالة وأكثر قلقا ،

---

(1) See Stagner, Ross: Psychology of Personality. p. 377.

وقد يخاف من عبور الشارع ، وقد يضيق بالتالى من نطاق علاقاته الإجتماعية مع الناس . وفى هذا المثال نجد أن الإصابة ذاتها لم يكن لها فى بداية الأمر تأثير مباشر على الشخصية ولكن الخوف الذى أثير حول إكتشاف الإصابة هو الذى أحدث رد الفعل السيكلوجى فى أوضح صورة .

وإصابات المخ تتباين وتختلف تبعاً لنوع الإصابة التى إما أن تكون نتيجة حادث أو إلتهاب أو نتيجة ورم أو نزيف أو إنسداد أو زيادة أو نقص فى التغذية من أية جهة ، وكذلك تبعاً لجزء المخ أو المنطقة الخاصة التى لحقتها الإصابة . وهذه الإصابات يكون لها تأثير واضح على الشخصية . فأورام المخ قدمت للإكلينيكى قدراً كبيراً من المادة التى تتصل بعمل المخ ووظيفته . ومن الدراسات التى أوضحت أثر الإصابة على إستجابات الفرد ماقام به هارور أيركسون ، بعيادة بنفيلد التابعة للمعهد النيرولوجى بمدينة مونتريال مستخدما إختبار بقع الحبر لرورشاخ على مجموعات من ٢٥ مريضاً بأورام المخ . وقد كشفت الدراسة أن إستجابات المرضى للإختبار تختلف اختلافاً كلياً عن إستجابات العاديين . فقد كشفوا عن ضيق أو تحديد ظاهر جداً فى الإستجابة سواء بالنسبة للعدد الكلى للإستجابات أو بالنسبة لقائمة خاصة من قوائم الإختبار ، مما يكشف عن ضيق فى الشخصية إلى درجة كبيرة .

وبعد إزالة الورم كشف الإختبار عن تحسن فى تقديرات الأفراد إلى حد ما . وقد كشف التشخيص الفارق الذى استخدم فيه إختبار رورشاخ عن فائدة كبرى فى التمييز بين تغيرات الشخصية التى ترجع إلى إصابة المخ وحالات ذهان الهوس والإكتئاب والفصام والعصاب . ولكن مثل هذه الدراسات لاتزال فى بدايتها وتحتاج إلى المزيد من الدراسة .

وصدمات المخ ورضوضه قد تؤثر فى جوانب الشخصية . فالضربة التى قد تصيب الرأس قد تحدث تغييراً دقيقاً فى الشعور ، وينتقل الفرد من حالة

الوعى ووضوح المعرفة إلى حالة عدم الوعى الكامل أحيانا . وقد يعزى ذلك إلى إرتجاج بسيط simple concussion فى المخ . وقد يعود الشعور بعد عدة ثوان ولا يترتب على هذه الضربة أية تأثيرات مرضية . أما إذا كانت الضربة قوية وعنيفة فقد تحدث رضوضاً فى المخ contusion وتطول فترات فقدان الوعى وتترك آثاراً بعدية واضحة عادة .

والأشخاص الذين يتعرضون لإرتجاجات أو رضوض متعددة فى المخ قد يكشفون عن صورة أكلينيكية متميزة . فبعد كل إصابة وخصوصا بعد الإصابة الثالثة أو الرابعة يشكو المريض من صداع مستمر يزداد مع كثرة إستخدام العينين . كما يتجنب المريض إتخاذ وضع الميل إلى أحد الجوانب بسبب إزدياد الصداع أو الشعور بالدوخة . كما قد يصحب ذلك سرعة القابلية للتعب ونقص المبادأة والخمول . وقد يكشف الفحص النفسى عن ضعف بسيط فى القوى العقلية فى مجالات كالذاكرة والحفظ والانتباه ويزداد الأمر وضوحا بإزدياد الحالة . وقد يبدو المريض خلال السنة الأولى من إضطرابه قلقاً غير ثابت ويتجنب القيام بأى نشاط أو جهد. وأحسن دليل إيجابى للكشف عن مثل هذه الحالات هو رسام المخ الكهربى ، وكذلك التاريخ الدقيق الذى قد يكشف عن الإصابات المتكررة . وقد كشف « هب وبنفيلد » عن حالة شاب أصيب فى الفص الجبهى الجانبى وهو فى سن السادسة عشرة وظل عشرة سنوات يعانى من إصابته بالصرع . وأجريت له عملية جراحية وهو فى سن السابعة والعشرين ، وقد تغيرت حالة المريض من شخص قلق مضطرب متبلد غير مبالى ، صرعى كثير النسيان ، إلى شخصية لطيفة محبوبة من المرضى . ولم تكن تأتيه النوبة الصرعية إلا مرتين فقط كل ١٥ شهراً .

وبالإضافة إلى الأورام والإصابات هناك أيضا التهابات الدماغ . فالإلتهاب السحائي الشديد قد يحدث تغيرات ملحوظة وحادة فى الشخصية

إذ يصبح المريض قلقا مضطرباً ، يفقد التحكم والضبط تماما ، يصرخ ويعتدى ربما بسبب الصداع الشديد .

ثالثا : دراسة التكوين البيوكيميائى والغددى للفرد :

وتكشف دراسة الأشخاص الذين يعانون من إختلال فى إفرازات الغدد عن أدلة قاطعة على وجود تأثيرات واضحة للهرمونات فى الشخصية. وقد ذهب البعض إلى وضع نظريات خيالية تذهب إلى أن الشخصية العادية هى أيضا نتيجة إفرازات الغدد. ومن بين هؤلاء الذين بالغوا فى أهمية إفرازات الغدد الصماء فى تحديد الشخصية « لويس برمان » (١) الذى نشر كتابين هما « الغدد منظمة الشخصية » والثانى « خلق جديد فى الكائنات الإنسانية (٢). وقد ذهب إلى أن علم دراسة الغدد يلعب دوراً رئيسياً فى تحديد الشخصية يفوق الدور الذى يلعبه أى عامل آخر . وقد ذهب أيضا إلى أن العصابى والذهانى بل والمجرم هم فى الحقيقة ضحايا إضطرابات إفرازات الغدد ويمكن علاجهم عن طريق علاج الغدد ذاتها . كما أشار إلى إمكانية التحكم فى عملية النضج من خلال التحكم فى افرازات الغدد الصماء . ولكن البعض من أمثال هوسكينس Hoskins يقف موقفا معارضا ويرد على ذلك بقوله « إن الأمر يتطلب منا قبل أن ننظر إلى علم النفس وعلم الإجتماع وعلم الإجرام على أنها جوانب خاصة لعلم الغدد ، أن نقوم بجمع الكثير جداً من الحقائق التى تؤيد هذا الرأى وبشكل أكثر مما هو موجود لدينا الآن » (٣) .

---

(1) Bermân, Louis: The glands regulating Personality (2nd ed) New York, Macmillan 1928.

(2) Berman, Louis: New Creations in Human Beings, New York, Doubldav 1938.

(3) Hoskins, R.G. : Endocrinology. New York Morton 1941.

وقد أخذت دراسة العلاقة بين وظيفة الغدد والشخصية صوراً متعددة كان أقدمها الملاحظة الإكلينيكية لأشخاص يعانون من نقص إفرازات الغدد . ثم أتت بعد ذلك الدراسات التى أجريت على أشخاص أزيلت بعض الغدد عندهم لأسباب طبية أو مرضية . وأخيراً أتت الدراسات التجريبية التى تجرى على أشخاص يحقنون بهرمونات تحت ظروف تجريبية دقيقة مضبوطة ثم ملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات . وكانت معظم التجارب التى تجرى على الحيوانات فى هذا الصدد تنصب على إزالة الغدد دون أن تكون هناك أسباب مرضية بالطبع . وقد أمكن الوصول إلى حقائق على جانب كبير من الدقة والاهمية تتصل بطبيعة النتائج المتوقعة عند وجود زيادة أو نقصان فى هرمون غدة بالذات .

ومع ذلك ، فإن الدراسات لم تتوصل إلى أى نمط واضح محدد لآثارها على الشخصية ، بل أصبح الموقف فيما يتصل بالشخصية غامضاً ومعقداً . وقد علق كليجهورن Cleghorn (١٩٥٢) على ذلك بقوله « لا يمكننا أن نعزل أثر التغيرات فى البيئة الكيميائية الداخلية عن الزاد الوراثى للفرد ، وعن خبراته السابقة (أنظر ستاجنر : سيكولوجية الشخصية ص ٢٧٩) ومع ذلك ، فهناك العديد من الدراسات التى أجريت على بعض الغدد والتى وصلت إلى نتائج هامة ، من ذلك مثلا :

الغدة الدرقية : Thyroid Gland

وتوجد فى مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة . ووظيفتها تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين الذى يؤثر فى عمليات النمو وعمليات الهدم والبناء . كما أنها تؤثر وتتأثر بإفراز غيرها من الغدد الصماء وخاصة الغدة النخامية . والإضطرابات التى تصيب وظيفة الغدة الدرقية تكون إما بنقص إفراز

هذه الغدة أو زيادته . والأشخاص الذين يعانون من نقص إفراز الدرقية يكونون أميل إلى الخمول والبلادة والغباء ، وكأنهم فى سبات عميق ؛ كما أنهم من النوع المكتئب المتبرم الكثير الشك وهى صورة أقرب إلى المزاج الفصامى عند كرتشمر . أما الأشخاص الذين يعانون من زيادة إفراز الدرقية فيلاحظ عليهم الميل إلى زيادة التوتر العصبى وشدة الإستثارة والقلق ، كما تزداد لديهم شدة إستجابة الجهاز العصبى المستقل ، فيكون المريض كثير الحركة زائد النشاط لا يستقر له قرار ويكاد يكون فى حالة توتر مستمر .

ومن الممكن القول بأن ما يعترى إفراز الدرقية من نقصان أو زيادة يؤثر فى الحالة الانفعالية والعكس أيضا صحيح . فقد بينت الدراسات السيكوسوماتية أن التوتر الانفعالى المستمر يؤدى إلى تضخم الدرقية وزيادة إفرازها مما يزيد بدوره من شدة الانفعال وحدته . وكذلك قد يؤدى الإنهباط المزمن إلى خفض نشاط الغـــدة الدرقية . وفى ضوء هذه الملاحظات لا نستطيع الجزم بأن الشخصية خاضعة فى تكوينها وتطورها للغدد الصم خضوعا حتميا ، بل يجب النظر إلى الشخصية بوصفها وحدة جسمية نفسية تتبادل فيها آثار العوامل الانفعالية والعوامل البيولوجية » (١) .

الغدة الأدرينالية أو فوق الكلوية : The Adrenals (Supra-Renal Glands)

وهناك فوق كل كلية توجد غدة تعرف بالكظر أو بالغدة الأدرينالية . وتتكون كل غدة من عضوين متميزين خارجى ويسمى القشرة Cortex ، وداخلى ويسمى اللب Medulla وكل من هذين الجزءين يختلف تماما عن الآخر من حيث بنائه ووظيفته وهرمون القشرة يساعد على مواصلة بذل الجهد العضلى وعلى مقاومة العدوى . ويترتب على ضعف نشاط هذا الهرمون ونقصه

---

(١) دكتور أحمد عكاشة : علم النفس الفسيولوجى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ، ص ١٣٢ .

الإحساس بالضعف والكسل وعدم الإهتمام بالجنس الآخر وهبوط عام في الحيوية والنشاط وفساد الحكم وعدم الميل إلى التعاون وقلة الصبر ، بينما يترتب على زيادة نشاط هذا الهرمون زيادة مظاهر الحيوية وزيادة مظاهر الرجولة سواء عند المرأة أو الرجل .

أما هرمون اللب واسمه الأدرينالين فيسبب زيادته عن حد الاتزان إزدياد ضربات القلب وإزدياد عمل الرئتين وإزدياد إفراز السكر من الكبد وإزدياد إفراز العرق وإتساع حدقة العين وإندفاع الدم للمخ والعضلات بحيث ينشط العضلات الخارجية ويحدث تأثيراً مضاداً على بعض الأعضاء الداخلية كالمعدة . فكأن وظيفة الأدرينالين هي تنشيط الكائن الحي تنشيطا عاما ، وغايتها أنها في حالة وقوع الكائن الحي في مأزق يريد التخلص منه إما بالهرب أو المقاتلة والهجوم، تساعده على سرعة التخلص أو سرعة المقاتلة، فوظيفة الأدرينالين يزيد من كفاءة الكائن الحي لتحقيق هذه الغاية (١) .

الغدد الجنسية : Gonads or Sexual Glands

وهي الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الأنثى . وتفرز هذه الغدد التناسلية هرمونات أهم وظائفها هي الخواص الجنسية الثانوية (خشونة الصوت عند المراهق ونبت الشعر في مواضع مختلفة من الجسم) . وكذلك من الصفات السيكولوجية الميل الاستقلالي والميل للإعتداء وحب الزعامة والميل للمخاطرة والميل نحو الجنس الآخر . أما عند الفتاة فتتضح هذه الخواص الجنسية الثانوية في نبت الشعر في مواضع معينة من الجسم أيضاً وكبر الثديين ونشاط الغدد اللبنية والميل إلى الجنس الآخر . وهذه الهرمونات بنوعيها موجودة في كل من الرجل والمرأة . غير إنه تتغلب الهرمونات الذكرية عند الرجل

---

(١) دكتور عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية.

والهرمونات الأنثية عند الأنثى ويعزى إلى هذا فى نظر بعض المفكرين وجود الصفات الأنثية عند بعض الرجال وبعض الصفات الذكرية عند بعض النساء .

ويلاحظ إنه فى حالات الإخصاء فى الحيوان ، أن يصبح الحيوان أكثر ميلا إلى الهدوء وأقل عدوانا وأقل نشاطا . والدراسات التى أجريت على الأغاوات من الرجال أوضحت أنها تفقدهم الكثير من صفات الرجولة ، فتقلل من مستوى الطاقة ومن الإستجابات الإنفعالية وتجعلهم على قدر من نعومة الصوت والخول والإنصراف عن النزعات الجريئة (١) .

وقد لوحظ فى الحيوانات أن زيادة نشاط غدد الجنس عند الذكور يؤدى إلى زيادة الدافع الجنسى وإلى زيادة ملحوظة فى الميل إلى السيطرة والعدوان . ومن الممكن ملاحظة مثل هذه الآثار على الشخصيات الإنسانية نتيجة حقن البعض بهرمونات ذكرية ، وإن كانت النتائج لا تزال تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة .

والخلاصة ، أن الغدد لها تأثير واضح على سمات الشخصية . ولكن ليس معنى ذلك أن هناك ارتباطا بين سمات معينة فى الشخصية وهرمونات غددية معينة كذلك . فنفس الهرمون الواحد قد يؤدى إلى إضطرابات مختلفة عند الأفراد المختلفين . فهرمون الكورتيكوتروفين Corticotrophin والذى يرمز إليه بالرموز ACTH أختصاراً للمصطلح Adrenocorticotrophic Hormone قد يسبب هوساً أو إكتئابا .

وقد سبق أن أوضحنا فى بدء حديثنا عن المحددات البيولوجية أنه بالاضافة إلى ما تحدثه الغدد من نتائج فى الشخصية فإن التكوين البيوكيميائى للجسم يحدث

---

(١) المرجع السابق .

تأثيراً واضحاً كذلك. وقد ذهب العالم البيوكيميائي المشهور «وليمز روجر»(١) إلى أن كل فرد هو فى بعض نواحيه فريد متميز فى تكوينه البيوكيميائى، فلكل فرد وظائفه الغددية المتميزة وحاجاته الغذائية الخاصة كذلك. فما يعد وجبة غذائية مناسبة لفرد ما، قد لا تكون كذلك بالنسبة لفرد آخر.

وبذلك نكون قد أوضحنا المحددات البيولوجية فى الشخصية والتى عرضنا فيها لأثر الوراثة ودراسة الأجهزة العضوية وعلاقة وظائفها بأنماط الشخصية ثم أخيراً لدراسة التكوين البيوكيميائى والغددى للفرد. ولكن الشخصية لا تخضع للعوامل البيولوجية وحدها بل هناك مجموعة أخرى من العوامل ليست أقل تأثيراً ووضوحاً فى تكوين الشخصية وهى ما ندمجه تحت المحددات البيئية بأنواعها المختلفة.

(2) Roger. J. Williams: The Biological Approach to the Study of Personality. In James, A. Dyal: Readings in Psychology: Understanding Human Behavior. Mc Graw-Hill 2nd. Ed 1667.

الفصل الرابع

محددات الشخصية (تابع)

محددات عضوية الجماعة

عرضنا فى الفصل السابق المحددات التكوينية للشخصية ، وأوضحنا الدراسات التى تعطى أهمية كبيرة لنواحى الوراثة والأجهزة العضوية للفرد وعلاقة وظائفها بأنماط الشخصية ثم التكوين البيوكيميائى والغددى للفرد . وفى هذا الفصل والفصل الذى يليه نعرض للمحددات الاجتماعية التى تحدث أثرها فى شخصية الفرد . وسوف نلقى الضوء على المكونات الثلاثة الباقية التى أشار إليها كلوكهون وموراى وشنيدر وهى : محددات عضوية الجماعة والدور الذى يقوم به الفرد ثم محددات الموقف .

محددات عضوية الجماعة :

وإذا كانت التكوينات البيولوجية للفرد تحدد إلى درجة كبيرة شخصية الفرد ، وتجعلنا على يقين من القول بوجود فروق فردية مزاجية ملحوظة لدى الأفراد المختلفين ، تؤثر بدورها تأثيراً واضحاً فى نمو شخصية الفرد ، إلا أن الشخصية ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التغير منذ الولادة. فمن الخصائص الأساسية للإنسان ، قدرته على التغير نتيجة ما يمر به من خبرات وتعلم . وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلى درجة كبيرة بغرائزه، بحيث لا نحتاج إلى معرفة الشىء الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه ، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث نحتاج إلى معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التى نشأ فيها من أجل الحكم على سلوكه ونمو شخصيته . وبدون هذه المعرفة ، يتعذر علينا فهم حتى أبرز الخصائص فى شخصية الفرد .

وفى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن من المتعذر علينا تفسير سلوك الفرد ونمو شخصيته ، دون أن ندخل فى الإعتبار البيئة التى نشأ فيها . ولسهولة دراسة هذه المؤثرات فى الشخصية ، قسم لويس ثورب(١) البيئة إلى أقسام ثلاثة هى فى الحقيقة مترابطة بشكل وثيق ، وهـــذه الأقسام هى البيئة الطبيعية والثقافية والإجتماعية .

أما البيئة الطبيعية فيتضح أثرها إذا نظرنا إلى إختلاف أساليب تكيف الناس ومعيشتهم وطرق مواجهتهم للحياة فى البيئات المختلفة . فعلى الرغم من تشابه الناس فى حاجاتهم ودوافعهم الأساسية، إلا أننا نلاحظ أن ثمة إختلافاً واضحاً بينهم فى طرق مواجهتهم وإشباعهم لهذه الحاجات. فالبدو فى الصحراء، والأسكيمو فى المناطق القطبية ، هم إلى حد بعيد نتاج هذه البيئات الطبيعية المختلفة، فنمو أجسامهم وطرق معيشتهم وأساليب حياتهم تأثرت إلى حد بعيد بالبيئة الطبيعية المحيطة بهم . فالجو والحرارة يجعلان بعض الناس سمر البشرة ، على حين يجعلان البعض الآخر بيض البشرة .

أما البيئة الثقافية فلها تأثير واضح جداً فى نمو الشخصية . فأثر الثقافة فى تكوين الشخصية لا يمكن إنكاره . والبيئة الثقافية أو الحضارة التى تنبع من البيئة ، يعتبرها البعض العامل الأساسى فى تشكيل الشخصية بالمعنى الدقيق . وقد ورد فى ذلك العديد من الأقوال منها مثلا : « إنه بدون الحياة الثقافية لا يكون لدينا أفراداً ، بل كائنات حيه عضوية أو ذوات سيكو بيولوجية » ، « إن عامل التطبيع الإجتماعى هو الذى يحول الفرد من كائن حى بيولوجى إلى كائن حى إجتماعى يعيش فى بيئة يؤثر فيها ويتأثر بها » ، « إن الشخصية لا يمكن

---

(1) Thorpe, Louis P. and Schmuller, Allen M.: Personality: An Interdisciplinary Approach. New Jersey, D. Van Nostrand Company. 1965.

عزلها عن الإطار الحضارى الذى نشأت فيه بنوع من الجراحة التى تقضى على حياة الفرد ».

أما البيئة الاجتماعية ، فإن المجتمع الإنسانى يعرف عامة بأنه جماعة منظمة تعيش فى مكان معين وتشترك فى مجموعة من الاتجاهات وإنماط السلوك والأهداف . وتعتبر الجماعة الاجتماعية بالنسبة للفرد أحد النقاط الهامة فى نمو شخصيته فالمجتمع على نحو ما يقرر أكرمان Ackerman هو البيئة أو الوسط الغذائى الذى تنمو فيه وحدة الفرد وشخصيته بالتدريج وجوهر كل مجتمع هو الذى يشكل محتوى هذه الوحدة . وحين ينمو الفرد، فإنه يصبح فى الوقت نفسه وحدة فردية وإجتماعية معا. وهذان المظهران لوحدة الشخصية يتمثلان فى المظاهر الأكثر إستمراراً والأقل قابلية للتعديل فى بناء الشخصية .

الثقافة :

إن الهدف هنا هو دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية . ولكن يجدر بنا أن نشير أولا إشارة مختصرة إلى المقصود بالثقافة . فالثقافة لها تأثير واضح فى تشكيل شخصية الفرد . فالاسترالى المولد تختلف شخصيته عن شخصية الأمريكى وشخصية أبناء فرنسا تختلف عن شخصية المستوطنين الفرنسيين فى كندا مثلا . وحتى الإختلافات فى الثقافات الفرعية من شأنها أن تحدث إختلافات واضحة بين الافراد . فشخصية نجوم السينما تختلف عن شخصية العلماء الذين يكرسون حياتهم للعلم، على الرغم من إنتمائهم جميعاً لمجتمع واحد.

لقد قدمت تعريفات كثيرة للثقافة . « فهى أساساً نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى بين أفراد مجتمع من المجتمعات، وتوفر أنماطا إجتماعية عامة مقبولة يستجيب الأفراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية ، وهى تنتقل من جيل إلى جيل فى المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال ، وهى محملة بالمعانى

التي يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز ، ولذلك فهي ليست فطرية ، وإنما يكتسبها الفرد من سياق نموه وسط الجماعة ولهذا فهي أساس يؤثر في تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هـــذه الجماعة ، وتعتمد في وجودها وإستمرارها على إستمرار المجتمع وإن كان هذا الوجود وهذا الإستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها » (١) .

ويعرف كلوكهون الثقافة بأنها « أساليب الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ – الظاهر منها والضمني ، العقلي منها واللاعقلي ، والتي توجد في وقت معين والتي تكون أساليب إرشاد وتوجيه لسلوك الأفراد في المجتمع(٢) » . فالثقافة هي بلا أدنى شك من محددات عضوية الجماعة ، بل هي أهمها جميعاً . وحين نقول أن الثقافة تحدد ، فإن هذا بالطبع أسلوب مجرد في التعبير . فالذي نلاحظه بالفعل هو التفاعل بين الأفراد بعضهم وبعض. فنحن لا نرى أبداً الثقافة ، مثلما لا نرى أبداً الجاذبية . فالثقافة مكون إفتراضي يساعدنا على فهم إنتظامات معينة في الأحداث الإنسانية، كما أن الجاذبية مكون إفتراضي يساعدنا على تفسير وفهم إنتظامات معينة في الأحداث الطبيعية .

وقد قدم « جان كلود فيللو » في كتابه « الشخصية (٣) » تعريفا للثقافة في قوله أنها « مجموعة المعايير والقيم ، ومعايير السلوك التي تترجم أسلوب حياة الجماعة » . ولهذه الفكرة اهمية وفائدة ملحوظة في تحليل التنشئة الإجتماعية

(١) د . محمد الهادي عفيفي : التربية والتغير الثقافي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤، ص ٦١.

(2) C. Kluckhohn & W. Kelley : The Concept of Culture. in Linton R. (ed): The Science of Man in the World Crisis, New York, Columbia Univ. Press, 1645 p. 97.

(3) Fillo. J. C. : La Personalité. Que Sais-Je ? No 758. Presses Uuiversitaires de France 1659.

للشخصية الفردية، كما أن لها بالإضافة إلى ذلك محتوى نفسي إجتماعي في أساسه، ولفظ « ثقافة » على نحو ما هو مستخدم في علم الإجتماع وعلم النفس الإجتماعي يعني كل ما يشارك أو يدخل مباشرة في سلوك أعضاء الجماعة. فلفظ « ثقافي » يمثل إذن « الجانب الإجتماعي » ، على نحو ما هو موجود في ألوان السلوك الفردية. ويقول هيرزكوفيتز M.J. Herzkovitz أحد الرواد الأول للأنثروبولوجيا الثقافية « الثقافة هي أسلوب حياة الناس ، بينما المجتمع هو المجموع المنظم للأفراد الذين يتبعون اسلوبا معينا في الحياة » . وببساطة يمكن القول بأن المجتمع يتكون من أفراد ، وأن الأسلوب الذي يسلكونه هو الذي يمثل الثقافة .

ويذهب البعض(١) إلى تقسيم محتوى الثقافة إلى ثلاثة أقسام على أساس مدى إشتراك أفراد الجماعة في عناصر كل قسم منها . وهذه الأقسام هي :

١ — عموميات الثقافة : وهي الأفكار والعادات والتقاليد العاطفية المختلفة وأنماط السلوك وطرق التفكير التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع العاقلون . وهذه العموميات تختلف من ثقافة إلى أخرى . وهي التي تكون الأساس العام للثقافة التي تتميز به عن ثقافة أخرى . وعموميات الثقافة هي التي تؤدي إلى تشكيل نمط مشترك من الإتجاهات يمتاز به أفراد ثقافة ما عن غيرها من الثقافات ؛ كما أنها تؤدي إلى ظهور الإهتمامات المشتركة التي تجمع بين هؤلاء الأفراد . وهذه حقيقة سيكلوجية هامة تبنى على أساسها وحدة الجماعة وأهدافها المشتركة .

٢ — خصوصيات الثقافة : وهي العادات والتقاليد والأنماط السلوكية

---

(١) د. محمد لبيب النجيحي : الأسس الاجتماعية للتربية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢ م

المختلفة المتعلقة بمناشط إجتماعية بينها تأثير متبادل والتى حددها المجتمع للقطاعات المختلفة منه أثناء تقسيمه للعمل بين أفراده . والعناصر الثقافية التى تشتمل عليها خصوصيات الثقافة هى فى معظمها خاصة بالمهارات اليدوية وبالمعرفة الفنية . وخصوصيات المعرفة رغم أنها تكون قاصرة على جماعات معينة فى المجتمع ، إلا أن فائدتها تعم جميع الأفراد . فجماعات الأطباء والمهندسين والمحامين لكل منها خصوصياتها الثقافية التى تميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى ، ومع ذلك فأنشطتها تعم فوائدها المجتمع كله .

٣ — متغيرات الثقافة : وهى تلك العناصر التى نجدها بين أفراد معينين ولكنها لا تكون مشتركة بين أفراد الثقافة جميعهم ، بل أنها لا تكون سائدة بين طبقة لها تنظيم إجتماعى معين . أى أن هذه العناصر ليست من العموميات بحيث يشترك فيها جميع أفراد المجتمع ، وليست من الخصوصيات بحيث يشترك فيها أفراد طبقة اجتماعية أو مهنية أو حرفية معينة . وهذه المتغيرات تمثل إستجابات مختلفة لمواقف متشابهة أو وسائل مختلفة لتحقيق أهداف متشابهة . وهذه المتغيرات تظل مترددة حائرة على سطح الثقافة حتى تتحول إلى خصوصية او عمومية فتثبت وتستقر .

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن نشير إلى صفات أساسية للثقافة منها :

(أ) إن الثقافة مستقلة نسبياً عن الأفراد الذين يحيونها ، ولو أنها لا تحيا بدونهم . فالثقافة تتخطى حياة الأفراد وحياة الجيل من أجل البقاء والإستمرار . إلا أنها لكى تبقى وتستمر لا بد أن تحيا فى أشخاص يحملونها وينقلونها فى نفس الوقت من فرد لآخر ومن جيل لآخر . ومن هنا أيضاً يمكن القول بأنه فى أية جماعة معينة ، لا يمكن أن يوجد شخص ما يمكنه أن يعرف كل تفصيلات الحياة فى الجماعة ، فلا يوجد فرد ما يستطيع أن يلم بكل ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه ، أو حتى بالثقافات الفرعية التى تعتبر أوسع

من أن يستطيع عقل أى فرد الإلمام بها نظراً لما تكون عليه من تخصص وعمق .

(ب) أن كل ثقافة تعتبر بالنسبة لأفراد الجماعة بمثابة النماذج والمعايير التى يصرحون بها ويتقاسمونها ويشاركون فيها ، وهى تكون ضاغطة بمقادير متفاوتة . وتعتبر الثقافة من الناحية الموضوعية ، وعلى نحو ما عبر « لينتون »(١) الصورة الإجمالية العامة للسلوك المكتسب المتعلم ونتائجه ، والذى يتقاسم عناصره المكونة له أعضاء جماعة معينة ، وتنتقل فيهم من جيل إلى آخر . وبالنسبة للفرد ، فإن أساليب السلوك والتفكير التى ينقلها المجتمع إلى الفرد تعتبر بمثابة معايير بالنسبة له ، تبين له ما هو مقبول وضرورى داخل الجماعة . وما هو ليس كذلك . ويمكن القول بأن الثقافة هى مجموع أساليب السلوك والتفكير التى تعتبر ضرورية لأية جماعة معينة .

(جـ) أن الثقافة مكتسبة ، تنتقل من جيل لآخر ومن عضو لعضو . ينقلها الأفراد والجماعات ومن خلال المؤسسات الإجتماعية والتفاعل الإجتماعى بين الأفراد والجماعات المختلفة . فهى إذن ليست فطرية . فما يبدو غريزياً فطرياً للبعض هو فى الواقع سلوك يقوم على الإكتساب والتعلم . ويرتبط بهذه الخاصية — ونعنى بها الإكتساب — خاصية أخرى من خصائص الثقافة وهى خاصية التراكم . فالتراث الإجتماعى والثقافة تتراكم عبر الأجيال وهى تنتقل من جيل لآخر . ونحن نبنى على أساس ما خلفه الآخرون لنا وما يتركونه لنا من تراث ، كما نخلف ثقافتنا وخبراتنا وتراثنا للأجيال التالية . وهكذا تستمر الثقافة مع ما يطرأ عليها من تعديلات وتغييرات تنشأ عن التفاعلات المستمرة عبر الأجيال .

---

(1) Linton, R: The Cultural Background of Personality. New York, Appleton Century Crofts., 1945.

الثقافة والشخصية :

وبعد هذه النظرة المختصرة للثقافة ، لنحاول الآن النظر فى مشكلة نمو الشخصية من حيث علاقتها بالثقافة وليس فقط من حيث هى إستعداد فى سبيل التكوين والتغيير . فالعلاقة المتبادلة بين الثقافة وتكوين الشخصية علاقة وثيقة . وهى تتم من خلال عمليات التفاعل بين الأفراد بعضهم وبعض ، وتفاعلهم مع البيئة التى يعيشون فيها . والأفراد لا تنمو شخصياتهم إلا فى محيط ثقافى وعن طريق إكتساب الأفراد للنظم والعادات والتقاليد التى تسود المجتمع الذى يعيشون فيه . وإذا كانت أساليب السلوك المكتسبة هى التى تسود حقيقة ، فإن عمليات الإكتساب هذه تأخذ عادة صورة التطبيع الإجتماعى أو التثقيف الإجتماعى . أى أن إحداث تكامل بين الفرد ونمط الثقافة السائد فى مجتمعه . ويعد المحيط الأسرى الذى يلعب دوراً هاماً فى مراحل الطفولة المبكرة — أحد العوامل الهامة فى عملية الانتقال .

وليس ثمة شك أن كل فرد فى المجتمع يجب أن يمر بهذه العملية الخاصة بالتطبيع الإجتماعى والتى بدونها لا يمكن أن يصبح الفرد فرداً فى الجماعة ، تلك العملية التى عن طريقها ومن خلالها يتعلم الفرد صور السلوك المقبولة اجتماعياً وبالتالى يعمل على تكييف نفسه مع نمط الشخصية التى يعتبر مرغوباً فيه إجتماعياً .

وعملية التطبيع الإجتماعى هى العملية التى بواسطتها ينتقل الفرد من كائن حى بيولوجى إلى كائن حى إجتماعى يعيش فى مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به . فعملية التطبيع الإجتماعى إذن هى عملية تكوين الشخصية الإنسانية ذات الطابع المعين العام والخاص . وهذه الشخصية الإنسانية يختلف تكوينها واتجاهاتها وقيمها من ثقافة إلى أخرى حسب مكونات هذه الثقافة وأنماطها .

ولكل مجتمع نموه التاريخي وأنماطه الثقافية العامة ومشكلاته القيمية وحاجاته ومطالبه . كما تختلف المجتمعات بعضها عن بعض حسب مستويات التعقيد أو البساطة مما ينعكس أثره بالتالى على شخصية الأفراد . فى المجتمعات البدائية تكون أساليب التنشئة الإجتماعية بسيطة وواضحة ،تقوم على التقليد والتلقين أكثر مما تقوم على التمييز والتفكير والإختيار . أما فى المجتمعات المعقدة ، فإن عملية التنشئة الإجتماعية تكون معقدة كذلك نظراً لتعقد المعايير والقيم والعادات وأساليب الحياة المختلفة . والمهارات الأساسية التى يجب على الفرد تعلمها لتحقيق أهداف المجتمع ومعاييره .

والشخصية الإنسانية حسب هذه النظرة هى تنظيم الفرد لأفكاره وأعماله وإتجاهاته فى العمل فى ضوء المعايير الإجتماعية والإطار الثقافى الذى يعيش فيه . وهذا التنظيم من شأنه أن يجعل شخصية الفرد وحدة فى أساسها . ولكن ليس معنى ذلك أن الفرد منفصل عن بقية أفراد المجتمع الذى يعيش فيه . فهناك مظاهر عديدة من الشخصية الإنسانية تكون مشتركة بين الفرد وبين الآخرين فى المجتمع ؛ بل هناك مظاهر معينة من الشخصية تكون مشتركة لا بين أفراد المجتمع فحسب ، ولكن بين الأفراد الإنسانيين بصفة عامة ، ومع هذا كله تبقى بعد ذلك الحقيقة الإنسانية وهى أن مجموعة الشخصية فى تنظيمها تختلف فى شخص منها فى الأشخاص الآخرين(١) .

ومرونة الكائن الحى الفرد تسمح لنا بالقول ، من حيث المبدأ ، أن كل فرد يمكنه أن يسيطر على أية حقيقة ثقافية إذا أتيحت له فرصة فهمها أو المشاركة فى المحيط الإجتماعى الذى توجد فيه . ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى هذا التحليل الذى قدمته « مرجريت ميد » عن أزمات المراهقة .

---

(١) المرجع السابق .

إن ستانلى هول وتلاميذه يذهبون إلى القول بأنها تتحدد بيولوجياً عند جميع المراهقين على حد سواء بصرف النظر عن الإطار الثقافى الذى يوجد فيه المراهق . فأزمة المراهقة فى نظر ستانلى هول — طالما أنها تتحدد بيولوجياً — تكون عامة لدى جميع المراهقين . فعدم الثبات والإستقرار الإنفعالى فى المراهقة هو إذن أمر حتمى يرجع إلى التغيرات البيولوجية والغددية التى تطرأ على المراهق خلال هذه الفترة بالذات ولكن دراسات « ميد » على قبائل الساموا وحيث لا قيود تفرض على الجنس على النحو الذى توجد عليه فى الشعوب والثقافات الغربية والمجتمعات المتقدمة ، أوضحت أن مثل هذه الأزمات لاوجود لها ، وأن فترة المراهقة فترة سرور وبهجة بالنسبة للمراهق وليست فترة شدة وعاصفة على نحو ما ذهب ستانلى هول . ويمكن القول بأن هذه الأزمات وهذه الشدة والعاصفة تتحدد عن طريق الثقافة التى يحيا فيها المراهق وليس عن طريق التكوين البيولوجى له . فالكائن الحى من المرونة بحيث أن هذه الخبرات الثقافية تجعله يمر بهذه الفترة الحرجة من حياته بهدوء ودون أزمات »

فالشخصية الإنسانية إذن تفهم فى ضوء الإطار الثقافى الذى يعيش فيه وفى ضوء التفاعل المتبادل بين الجزء والكل وإعتماد كل منهما على الآخر .

ومن الواضح أن المنظمات التى تقوم على تنشئة الطفل تتحدد فى عمليات التنشئة الإجتماعية بالشكل الدقيق الذى تتشكل فيه خبرات الطفولة عادة بطريقة ثابتة . فالطفل يواجه عادة بالعديد من مشكلات التكييف والتوافق مع البيئة فهناك المشكلات التى تتصل بحماية الذات والإبقاء عليها . فكل طفل يجب أن يتغذى وأن يلقى العناية من المحيطين به ، وأن يجنب الخطر والألم . والطريقة التى تشبع بها هذه الحاجات تؤثر فى نظرته للعالم والأشياء الموجودة فيه : هل هى مصدر خطر وقلق أم أنها ليست كذلك . ثم هناك أيضاً مشكلات

المحبة . فكل طفل محتاج لأن يحب وأن يُحب . وهو يتحمل أحياناً بعض ألوان العقاب من أجل أن يحتفظ بمحبة الآخرين له. ثم هناك أيضاً المشكلات التي تتصل بالكفاية ، أو المقدرة كالنجاح في إكتساب عادات حركية مختلفة ثم مشكلة الشعور بتقدير الذات ومشكلات الضبط والتحكم وغيرها .

وكل ثقافة لها معايير للسلوك تحتم أن ينشأ الطفل وفقاً لها . ومع ذلك تتحدد المشكلات الكبرى التي تواجه الطفل والطريقة التي يمكنه بواسطتها حل هذه المشكلات ومعايير السلوك هذه ، بأسلوب التنظيم العائلي الذي يمكنه أن يكشف عن أنواع لا حصر لها من التغير .

ولكن خبرات الطفل الإنفعالية لا تصدر فحسب عن البناء الأسرى ، بل هناك أيضاً الإتجاهات التي يكونها نحو من يرتبط بهم ويتقبل أوامرهم ونواهيهم . وقد كشفت الدراسات عن أهمية التقبل والنبذ أو الإهتمام وعدم المبالاة والسيطرة والخضوع ، ولكل ثقافة طرقها الخاصة في هذا الصدد .

والدراسات التي قامت بها « مرجريت ميد » و « روث بندكت » وغيرهما من الأنثروبولوجين ، من شأنها أن تلقي الضوء على هذه الناحية . فالطفل قد يحصل على قدر كبير أو قليل من العطف أو النبذ . ففي قبائل الآرابش (التي قامت ميد بدراستها في غينيا الجديدة) ، نجد الآباء يرتبطون بأبنائهم إرتباطاً وثيقاً . ومن ثم ينال الطفل الكثير من المحبة والعطف بعكس جيرانهم في النهر « المندجيمور » لا يعرف الطفل ما نسميه بالمحبة الوالدية ، كما أنه يعاني الكثير من الإهمال بل والعدوان من جانب الآباء .

ثم إن أفكار الكبار عن « طبيعة » الطفل تحدد الإتجاهات المختلفة في هذا الصدد . فالآرابش الذين تتركز تربية الطفل عندهم حول تهذيبه تهذيباً جيداً ، يذهبون إلى أن للطفل نفس الحقوق التي للكبار وأنه على قدم المساواة معهم وأنه إنسان مثلهم .

ومن ثم فإن القيود التى تفرض على الطفل فى حركاته ونشاطه قليلة ، فهو لا يخضع إلا فيما ندر للقيود والنظم .

ويذهب كيمبل يانج فى كتابه « علم النفس الإجتماعى » إلى ضرورة توافر عناصر معينة فى كل ثقافة من أجل أن نفهم تكوين الشخصية وهذه العناصر هى الإنتظام ودرجة الجمود والثبات فى التعلم ومقدار الإحباط الذى يتعرض له الطفل ومقدار الحب ومقدار الجزاء والضبط الخلقى وفكرة الذات التى تفرض على الطفل . وليست هذه القائمة بالقائمة الشاملة . فقد درس الباحثون أيضاً فى الثقافات المختلفة ، كيف يوضع الطفل فى القماط ، وكيف تلبى حاجاته وما هى التأثيرات الجسمية المختلفة التى يعانيها ، وهكذا فنوع العالم الذى يتصل به فم الطفل ليس واحداً تماما ، كما أن الإختلافات والفروق فى هذه الخبرات لها تأثير كبير على نمو شخصيته . ففى الثقافات المختلفة ، توجد إختلافات واضحة فى مدة الرضاعة من الثدى وكيفية تقديمه للطفل وعدد مرات الرضاعة وفى بعض الثقافات قد تستمر الرضاعة من الثدى سنوات على حين أن ثمة ثقافات أخرى تميل إلى التقليل أكثر وأكثر من فترة الرضاعة من الثدى . وبالمثل ، ففى بعض المجتمعات لا ترضع الأم طفلها إلا إذا بكى ، على حين أن فى مجتمعات أخرى كالمجتمعات الفرنسية مثلا تفرض الأم مواقيت محددة دقيقة على غذاء الطفل إيمانا منها بفائدتها لصحة الطفل .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن جميع هذه الأساليب المختلفة من المعاملة تؤدى إلى أنواع من الإحباطات أكثر أو أقل شدة ، وإلى تضمنات الذات بدرجة أكثر أو أقل جموداً ، وإلى أساليب متعددة من إدراك العالم والبيئة المحيطة ، وبعبارة أبسط تؤدى إلى أنماط مختلفة من الشخصية . ولقد أوضحت « مرجريت ميد » أثر إختلاف أساليب التربية وإختلاف الثقافات فى شخصيات الجماعات التى قامت بدراستها ، فبينما أطفال الأرابش يتميزون بالثقة

والطمأنينة ، إذ بأطفال قبائل المندجيمور يتميزون بالقلق وعدم الطمأنينة وذلك بسبب أن خبرات الطفولة كونت لدى المجموعة الأولى ميلا إلى النظر إلى البيئة نظرة ثقة وطمأنينة ، بينما كونت لدى المجموعة الثانية ميلا مستمراً نحو الدفاع عن الذات ضد كل تهديد خارجي يتهددهم . ومثل هذه السمات المميزة قد تستمر مع الكبر ، فاتجاهات الأمن والطمأنينة تميل إلى الإستمرار حتى لو واجه الفرد أحداثا تؤدى إلى إحباطات شديدة قاسية ، كما تميل اتجاهات عدم الثقة إلى الإستمرار حتى لو واجه الفرد مواقف يشعر فيها بالإرتياح والأمن والطمأنينة .

الشخصية الأساسية :

وإذا وجدت معايير ثقافية متماثلة داخل ثقافة معينة تتصل بأساليب تنشئة الطفل ، فإن من الممكن القول بأنها سوف تخلق أساليب مشتركة للإستجابة ، يمكن أن تعد مسئولة بدورها عن هذا القدر المشترك من السمات الأساسية فى الكبر ، بين أفراد المجتمع الواحد أو أفراد الثقافة الواحدة . فالضغوط المنتظمة التى يتعرض لها الأفراد فى نمط ثقافى معين، تؤثر بالضرورة فى نمو شخصية الأفراد وتؤدى إلى ظهور سمات معينة مشتركة بين كثير من هؤلاء الأفراد داخل هذه الثقافة . وعندما يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة والرجولة، يمكن أن تصبح له شخصية تعكس ما أسماه البورت باسم « الشخصية القومية » . وقد أشار كاردنير(١) إلى جوهر الشخصية الأساسية عندما أراد أن يعبر عن الفكرة القائلة بوحدة ضرورية فى جوانب الشخصية التى تتكون تحت ظروف ثقافية مشتركة .

وقد حدد كاردنير نمط الشخصية الأساسية بقوله : إنها الصورة العامة

(1) Kardiner, A. : The Individual and his Society, New York, Columbia Univ. Press. 1939.

الشخصية التي يشارك فيها المجموع العام من أفراد المجتمع نتيجة الخبرات الأولى التي مروا بها جميعاً . وتضمن هذه الفكرة النواحي الآتية :

١ — أن الثقافة تحدد ما يلقنه الآباء للأبناء وطريقة تلقينهم إياهم .

٢ — أن الثقافات المختلفة لها أساليبها المختلفة في تنشئة الطفل وتربيته والدروس المختلفة التي يتلقنها الأطفال .

٣ — إن خبرات الطفل المبكرة تترك آثاراً مستمرة في نمو شخصيته .

٤ — إن الخبرات المتشابهة تميل إلى إنتاج شخصيات متشابهة داخل الثقافة الواحدة .

ويذهب جوردون البورت[١] إلى القول بأن هذه الفكرة تتضمن دورة مستمرة متصلة من جيل إلى جيل ودون إنقطاع . فالثقافة تحدد الأهداف والأساليب التي تتبع بوجه عام في تربية الطفل وتنشئته وهذه تؤدي بدورها — وداخل الإطار الثقافي ذاته — إلى تكوين نمط الشخصية الأساسية . ويعمل الكبار بدورهم على تدعيم وإستمرار ونقل هذا التقليد الثقافي الذي يجدونه عادياً ومتوارثاً بوجه عام .

وحسب هذه الفكرة التي قال بها كاردنير ، فإن الشخصية الأساسية Basic Personality تتحدد بواسطة الجماعات الأولية — كالأسرة وعاداتها في التربية وتقاليدها ونظمها الأساسية — كما تتحدد بالجماعات الثانوية — كالمدرسة والمنظمات الإجتماعية الأخرى — « الدين والعرف والقيم والمثل » « بشكل تصبح معه بمثابة همزة الوصل في التفاعل المتبادل بين الفرد والجماعة » .

غير أن هذه الفكرة التي وضعها كاردنير عن الشخصية الاساسية تثير

---

(1) Allport, G. : Pattern and Growth in Personality. New York, Holt, 1961.

بعض الغموض. فقد ذهب « جان بالانديه » Jean Balandier إلى أن الشخصية الأساسية ليست هي المقام المشترك بين جميع الأفراد في جماعة معينة ، أنها أقرب إلى أن تكون نتيجة إستدلال وإستنتاج فهو يتساءل : هل نفهم هذه الشخصية باعتبار أن لكل فرد شخصية أساسية إلى جانب شخصيته الذاتية الفردية على نحو ما يقول كاردنير ، أم نفهمها باعتبارها نوعاً من العقل الجمعي عند دوركيم من حيث هو حقيقة إجتماعية مستقلة عن الفرد . لقد أعتقد ميكائيل دوفرين Mikel Dufrenne أن في إمكانه حل هذا الغموض والذي ظهر في قول كاردنير ، وذلك بقوله أن الشخصية الأساسية هي « معيار » أو هي نوع من المثال أو النموذج الضروري ولكنها بهذا المعنى لن يكون لها محتوى حقيقي محسوس . ويذهب فيللو(١) في حديثه عن الشخصية الأساسية إلى أن في إمكاننا الابقاء على هذه الشخصية الأساسيه إذا نظرنا إليها ببساطه على أنها مجموع السمات المشتركة بين الأعضاء الآخرين في الجماعه والتي توجد بين السمات الاخرى الا كثر اصالة وفرديه .

وقد علق البورت على فكرة الشخصية الأساسيه بأنها فكرة سليمه تساعدنا على فهم أسباب التشابه الموجود بين الشخصيات المختلفه داخل الثقافه الواحدة، وكذلك على فهم أسباب الإختلاف بينهم . ولكن هذه الصورة العامة تعتبر في نظره واسعة وتقريبية فحسب لاتفسر لنا الإختلاف الموجود داخل طبقة رجال الأعمال مثلاً أو طبقة الزراع في المجتمع الواحد .

ولقد أوضح البورت فكرته هذه بمثال لطفل فرنسي مثلا . فإذا عرفنا أنه نشأ من طبقة متوسطه في أسرة باريسية ، فمن الممكن التنبؤ (على وجه التقريب) ، أنه سوف يتلقى نمطاً معيناً من التدريب على النظافه والنظام

---

(1) Fillo J.C.: La Personalité. , Presses Univeriairca de Francs. 1959.

والتقاليد والقيم الإجتماعية وفى ضبط العدوان ونمو النواحى المزاجية والعادات الإقتصادية والنظرة العامة للأمور . وعندما يكبر هذا الطفل ، فإن من الممكن النظر إليه كنموذج فرنسى لجميع سمات الشخصية القومية الفرنسية .

ولكن المشكلة هنا هى أننا نخلط بين الثقافة الحقيقية والبناء الثقافى فنحن ننسى أن تربية هذا الطفل لا تتفق تماماً ونموذج البناء الثقافى ، وأن النتاج أو التكوين النهائى لشخصيته سوف يتأثر بحالاته المزاجية الموروثة وخبراته المستفادة فى البيئة . ومن ثم فقد ينتهى به الأمر إلى تكوين يختلف إلى حد ما عن البناء الثقافى النمطى للبيئة الفرنسية . ففكرة الشخصية الأساسية الجمعية فكرة قد تؤدى إلى الخطأ مالم ندخل فى الإعتبار الإختلافات والتباينات الموجودة دائماً فى الثقافة الحقيقية المرنة وفى أساليب تربية الطفل .

إن الأبحاث والنظريات التى تتصل بالشخصية الأساسية ترتبط إرتباطا وثيقا بنظرية فرويد . فطالما أن المعالم الرئيسية للشخصية توضع أسسها فى السنوات الأولى من حياة الطفل ، فإن فى التدريب الأساسى الأولى الذى يلقاه الطفل فى هذه المرحلة يكمن التكوين الهام للشخصية الأساسية . والواقع أن ما يتلقاه الطفل فى هذه المرحلة أن هو إلا مجموعة من العادات والقواعد التى تتصل بالوظائف والحاجات الجسمية والتى تنعكس آثارها على شخصيته : كيف ينام ، وأين ينام ، وكيف تتم عملية الرضاعة ، وهل يرضع فى مواقيت محددة أم حسب حاجته إلى الرضاعة ، ومتى يفطم وكيف يفطم ، وهل يوقع به العقاب وكيف يعاقب ، وماذا يحدث إذا اشتدت سورات غضبه أو إذا بلل نفسه أو إذا تبرز على نفسه ، وكيف تسير عادات التدريب على الإخراج إلى آخر هذه الأمور . والإجابة عن هذه الأمور التفصيلية يبحث عنها هؤلاء الذين يذهبون إلى أن الشخصية الأساسية يتم وضعها فى هذه السنوات الأولى من حياة الطفل .

والحقيقة أن فكرة الشخصية الأساسية — والتي تؤدي بدورها إلى فكرة الشخصية القوميه — لها قيمتها وأهميتها سواء أخذنا بنظرية التحليل النفسي أم لم نأخذ بها . فأي نوع من التدريب المنسق الموحد خلال هذه المراحل الأولى من الحياة ، من شأنه أن يؤدي إلى قدر من التشابه في نمط شخصيات الأفراد .

وخلاصة القول : أن الثقافة تشكل الشخصية أساساً ، لأنها تقدم حلولا جاهزة ومدروسة من قبل لكثير من المشكلات التي يواجهها الفرد في الحياة في هذه الثقافة . ولا يمكننا أن ننتظر من الطفل أن يخترع لغة مثلا أو يكون أخلاقاً أو حتى علماً جديداً كل الجدة ، بل لا بد أن يعتمد على خبرات الجنس البشري الذي ينتمي إليه فالثقافة تمد الفرد بالحلول السابقة المختزنة والتي فيها نجد الحلول لكثير من المشكلات التي يمكن أن نواجهها .

والعناصر المكونة لثقافة ما يجب أن تكون منسقة منطقياً أو متطابقة في المعنى إلى حد ما ، وإلا فإن حملة الثقافة يحسون أنهم مدفوعين أو منساقين على غير هدى وفي عالم خواء . وكذلك بالنسبة للشخصية ، يجب أن يكون السلوك منتظماً بدرجة معقولة أو يمكن التنبؤ به ، وإلا فإن الفرد سوف لا يحصل على الإستجابات المتوقعة من الآخرين وبعبارة أخرى ، أن الحياة الإجتماعية أو المعيشة في عالم إجتماعي تتطلب إقامة معايير « داخل الفرد » ويكون متفقاً عليها بشكل عام بين الأفراد الذين يحيون معاً ويعملون معاً في جماعة واحدة .

ولكن الثقافة ليست التأثير الوحيد الذي يفرض بشيء من الثبات تقريباً على جميع أفراد جماعة ما منظمة وثابتة نسبياً . فهناك عوامل أخرى قد يكون لها تأثيرها ، ولكن معرفتنا بها ليست واضحة ومحدودة من ذلك مثلا

الآثار التي تفرضها الضغوط المستمرة للبيئة الطبيعية على الشخصية ، هل المعيشه مثلا فى بيئة ممطرة باستمرار ، تجعل الناس أميل إلى الاكتئاب والسلبية بينما المعيشة فى بيئة معتدلة مشمسة تجعلهم أميل إلى الإبتهاج والحيوية ، وما هى التأثيرات المختلفة للمعيشة فى دار فى بطن جبل والمعيشة فى سهل منبسط أو على هضبة .

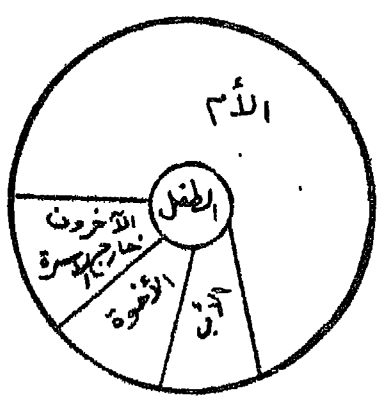
الأسرة كبيئة تعليمية :

ومن الأمور الأساسية فى دراسة الشخصية معرفة الشىء الكثير عن الأسرة التى نشأ فيها الفرد ، التى تعكس عليه ثقافة المجتمع الذى نشأ فيه ، وذلك قبل أن نفسر تفسيراً صحيحاً لماذا كشف هذا الفرد عن هذه الخصائص أو هذه السمات المميزة له . فأسرة الفرد تلعب دوراً هاماً وجوهرياً فى تشكيل شخصيته فهى التى تنمى وتجدد فى العادة الوسائل العديدة لخبراته وهى التى من خلالها تتم عملية التطبيع الإجتماعى التى تلعب دوراً كبيراً فى تشكيل شخصية الفرد . وعالم الطفل يكون فى بداية الأمر قاصراً على هذه التأثيرات الهامة الصادرة أساساً من داخل الأسرة . فهى التى تشكل بالتدريج شخصيته من خلال العديد من الخبرات التى يتلقنها من هذه البيئة الصغيرة ، ولكن الطفل بدوره – ونتيجة للتفاعل المتبادل بينه وبين الأسرة – يبدأ يحدث أثره فى الأسرة ويعدل من نمط العلاقات القائمة داخلها .

وليست علاقات الطفل واحدة بجميع أفراد الأسرة فتأثير الأم لا يعادله تأثير آخر خصوصا خلال الفترة الأولى من حياة الطفل ، ثم يبدأ يظهر تأثير الاب والاخوة . ثم هناك أيضا الاخرون خارج نطاق الأسرة . والشكل التالى يمثل علاقة الطفل بأفراد أسرته وبالآخرين فى المجتمع الخارجى خلال

السنوات الاولى من حياته ، وفيه يتضح اختلاف التأثير الواقع على الطفل ومدى الدور الذى يقوم به كل فرد فى حياته .

والجدير بالذكر أننا لو رسمنا تخطيطات متعددة لأطفال عديدين ، فإن الأمر يتطلب منا تعديل هذا الشكل بالنسبة لكل طفل . فكل طفل يختلف نمط علاقاته مع الآخرين ، عن الطفل الآخر .



وليس ثمة نمط محدد من حيث علاقة الطفل بالوالد أو الوالدة أو الأخوة كما أن الخبرات الأساسية للطفل الأول تختلف بالضرورة عن الخبرات الأساسية للطفل الأخير ، أو الطفل الوحيد . وحتى بالنسبة للطفل الواحد ، يختلف نمط علاقاته بالآخرين باختلاف السن وغيره من العوامل فمع تقدم السن بالطفل ، يصبح تأثير جماعات الرفاق خارج الأسرة أكثر أهمية وبشكل متزايد ، وقد يفوق تأثير الآباء أحياناً . فالأهمية النسبية لكل من الأب والأم والآخرين تختلف باختلاف مرحلة النمو وباختلاف الجنس .

وقدر كبير من معرفتنا عن نمو شخصية الفرد يرجع إلى فرويد . فمن خلال أساليب التحليل النفسى ، والتى تتضمن التداعى الحر وتحليل الحلم وميكانزمات التحويل المختلفة ، وغيرها من الأساليب ، تمكن فرويد من سبر غور لا شعور شخصيات مرضاه ، وأن يعيد بناء تاريخها الحياتى ولقد أوضحت الخبرات الإكلينيكية العديدة ومعالجة العصابيين ، أن ما يعانونه من مشكلات

نفسية وآلام . إنما يصدر عن صراع الكبت وإخفاء اشتهاءات اللذة الطفلية المتصلة بالوظائف الجسمية الأساسية . وبالطبع ليس لدى العصابي أية معرفة بطبيعة هذا الصراع ، وإنما هو يلاحظ آثاره السطحية كالأعراض المرضية وغيرها من المتاعب التي يعاني منها . ومع ذلك ، فما أن نكشف عن هذه الإشتهاءات والرغبات ، إلا ونجدها وثيقة الإرتباط بالنواحي الجنسية . فهي قد دفعت بعيداً عن الشعور، لأنها غير مقبولة من المعايير الإجتماعية والشخصية الشعورية . ولذا فإنها تكبت في أعماق اللاشعور . وهذه الأعراض تبدو موجودة لدى العصابيين ، لأن دوافعهم الطفلية قد وجهت توجيها غير سليم في طفولتهم المبكرة . فبسبب التدليل الزائد أو عن الحد أو القسوة الزائدة عن الحد أو الإحباطات المتكررة والتي تتدخل وتتعارض مع العمليات الطبيعية للنضج والإعلاء ، فإن هذه الدوافع غير المقبولة تصبح قوية وتظهر في أعراض مرضية على نحو ما يذهب فرويد .

وليس ثمة شك أن خبرات الطفولة يكون لها تأثير واضح على شخصية الفرد بعد ذلك ، بل إنه قد يكون من الصعب أحياناً على الخبرات التالية أن تحدث فيها تعديلا جوهرياً في بعض الأحيان . فالطفل الذي يبدأ ينظر لنفسه على أنه غير مرغوب فيه أو منبوذ من أفراد الأسرة، قد يجد من الصعوبة بمكان تغيير نظرته لنفسه بعد ذلك ، حتى ولو مر بخبرات عديدة مغايرة في الكبر . فالخبرة المبكرة تكون ذات تأثير بارز احيانا في نمو شخصية الفرد ، كما أن حدود ومحتوى هذه الخبرات يتحدد إلى درجة كبيرة عن طريق الأسرة .

لقد قامت « مرجريت ريبل (١) » بملاحظات إكلينيكية على عدد كبير

(1) Ribble M. : Infantile Experiences in Relation to Personality Development. in Hunt J. Mc. V. : Personality and Behavior Disorders. vol. I. New York, The Ronald Press Company, 1944. p.p. 621—651.

من الأطفال (٦٠٠ طفل) لمدة طويلة من الزمن . وكان الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو ملاحظة استجابات الطفل التي قد ترتبط باضطرابات الشخصية فيما بعد . وقد ركزت اساساً على النزعات النكوصية أو الإنسحاب والنزعة إلى السلبية والإستجابات الزائدة للإحباط وإلى التغيير في حياته الروتينية . وكانت تحاول معرفة ما إذا كانت هذه الإستجابات موجودة بدرجة مرضية عند الولادة أم أنها نمت وتطورت نتيجة الخبرات غير الملائمة بعد ذلك كما درست أيضاً كيف تتكون العلاقة الأولية بين الطفل وأمه وأهمية هذه العلاقة بالنسبة لنمو حياته الوجدانية والإجتماعية بعد ذلك .

وكان منهجها هو ملاحظة التتابعات في نمو علاقة الطفل بالأم خلال فترات طويلة من الزمن ، بدلا من دراسة الإستجابات المباشرة لأى موقف مصطنع وغير طبيعي وقد أجريت الدراسة على أطفال ولدوا في مستشفيات ثلاثة للولادة تختلف فيها أساليب الرعاية للطفل ، كما درست أيضاً أطفالا ولدوا في بيوتهم . كما قامت أيضاً بدراسة شخصيات مجموعة صغيرة متعاونة من الآباء ، قبل وبعد ولادة الطفل ، لمحاولة إلقاء الضوء على البيئة الوجدانية التي قد تؤثر على الطفل ؛ كما درست أيضاً بعض الأمهات المتعاونات . فبحثت طفولتهن والإشباع الوجداني في الزواج ومدى ترحيبهن لتقبل دورهن الأنثوى على نحو ما يتحدد في أنشطة حياتهن اليومية . كما درست نفس هذه النواحي عند الآباء . وبالإضافة إلى ذلك ، درست « ديبل » أيضاً العلاقة غير المباشرة للآباء بالطفل عن طريق الدعم الوجداني الذي كان يعطيه للأم أثناء فترة الحمل والشهور الأولى من حياة الطفل .

وقد أعطت إهتماماً كبيراً لحالات القلق عند الطفل ، كما لاحظت علامات الأمن وعدم الأمن والحصول على اللذة إلى آخر هذه العوامل المختلفة

ذات التأثير البالغ فى نمو الطفل من خلال علاقته بالأم والمحيط الذى يعيش فيه .

وقد كشفت هذه الدراسة أن كثيراً من صفات شخصية الطفل وثباتها يتوقف على الإرتباط الوجدانى بالأم . فهذه الرابطة هى بمثابة الشحنة الوجدانية التى تنمو بالتدريج من خلال الإشباعات المتكررة التى يستمدها من الأم . وقد درست طبيعة هذه العلاقة النامية ، وأشارت إلى وجود أنماط ثلاثة من الخبرة الحسية ذات التأثير فى تكوين هذه العلاقة وهى الخبرة اللمسية والخبرة الحركية . الإحساس بوضع الجسم والصوت . وقد أكد الباحثون أهمية هذه الخبرات الحسية المختلفة وإن لم يوضحوا أهميتها الخاصة فى تكوين العلاقة الشخصية بين الطفل والأم . فالإحساس باللمس قد يكون واضحاً نسبيا حول الرأس والوجه . ولكنه يحدث الإستجابة السريعة عند الطفل الصغير إذا استثيرت المنطقة الفمية . كما يجد الطفل الأشباع الحركى حين ترفعه الأم أو تهزه بين يديها ويكون الإحساس بوضع الجسم ظاهراً وواضحاً أيضاً ، وقد ذهب البعض إلى أن الخوف من السقوط يمكن التغلب عليه بشكل طبيعى بواسطة إحساس الطفل بالراحة فى الموضع ، ويرتبط بهذه الناحية الأخيرة أيضا سماع الطفل لصوت الأم . فهو عند سماعه صوتها تهدأ ثورته الإنفعالية ويختفى البكاء .

ونادراً ما يصرح – حتى لدى خبراء نمو الطفل — أن مثل هذه الأنشطة الأولى البسيطة للأم تعتبر عاملا حيوياً هاماً فى إحداث تكامل الشخصية بعد ذلك . ولقد وجدت ريبل أن الأمهات المضطربات إنفعاليا واللاتى يرفضن الطفل — شعورياً أو لاشعورياً — غير قادرات على القيام بدور الأمومة . ومن الملاحظ أن صغار الأطفال الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين يفتقدون

تجاه هذه الرعاية ، إما أن يصبحوا سلبيين أو تبدو عليهم أعراض الاكتئاب . وقد تظهر هذه السلبية حتى عند صغار الأطفال فى صورة رفض الرضاعة أو فقد الشهية للطعام أو العجز عن تمثل الطعام . كما تتضح أيضاً فى كثير من ألوان النشاط الأخرى كرفض اللعب أو رفض مشاركة الأطفال الآخرين نشاطهم . أما صورة الإكتئاب فقد يكون لها تضمنات أشد وقعاً من السلبية . فى موقف الرضاعة مثلا قد يستجيب الطفل للموقف بحركات قليلة ثم سرعان ما يغط فى سبات عميق لا يستيقظ منه إلا الرضعة التالية ، بل قد تلجأ الأم إلى إيقاظه قسراً .

كل هذا يشير إلى أثر الأسرة فى نمو شخصية الطفل وبخاصة أثر الأم فى السنوات الأولى من حياة الطفل ، وهذا الاثر لا يمكن إخفاؤه بل إن آثاره تتضح بعد ذلك فى سلوك الكبار .

وفى دراســـة قام بها ستوت Stott (أنظر ثوريب ص ١٤٨) حول العلاقة بين توافق الشخصية والموقف الاسرى لأطفال بيئات مختلفة ، وجد ميـــلا ملحوظا إلى أن الأطفال الذين هم من بيوت يرحب فيها الآباء بأصدقائهم ويقضون معهم أوقاتا طيبة ويشاركونهم أفراحهم ومتاعبهم أن يكونوا أكثر توافقا من الناحية الشخصية وأكثر نجاحا من الناحية الإجتماعية .

ويصف الأفراد الذين من هذا النوع بأن لديهم كفاية ومقدرة شخصية وإحساساً بالمسئولية الشخصية فى علاقاتهم بزملائهم ويقول ستوت « إن الوظيفة الهامة فى حياة الأسرة الحديثة هى وظيفة نفسية من حيث طبيعتها : فحياة

الأسرة تواجه المطالب الإنسانية الأساسية بصورة مباشرة أكثر مما يمكن أن يحدث في أي مجال آخر في الحياة . وفي حياة الأسرة يتوفر الإطمئنان والاستثارة والتوجيه الذي يحدد إلى درجة كبيرة ما إذا كان الطفل سوف ينمو شخصية حسنة التوافق ومفيدة من الناحية الاجتماعية » .

ووجهة النظر هذه يؤكدها سول Soul (المرجع السابق) الذي يعتقد أن كل فرد هو تجمع وجداني فريد حول نواة هي لب الشخصية ، يصدر عن التأثيرات الدينامية والخبرات التي تمر به في طفولته . وهذا التجمع الوجداني الفريد يشكل نمو الشخصية ويكون بمثابة مفتاح لفهم مشكلاته الوجدانية . والأمر يتطلب في نظره بيتاً مستقراً وأماً حنونة عاقلة من أجل إخراج شخصية متزنه متوافقة .

الأسرة وحاجات الطفل:

وعن طريق الأسرة يشبع الطفل حاجاته النفسية إذا أريد له أن ينمو نمواً نفسياً سوياً . فكما تعتبر التغذية والظروف الصحية الملائمة أمراً ضرورياً لنمو جسم سليم ، فكذلك تعتبر الخبرات النفسية المناسبة أمراً ضرورياً كذلك لنمو شخصية سوية متكيفة . فالطفل يواجه في المنزل أولا ، المواقف التي تؤدي إلى ظهور التوتر ، كما أنه يتعلم فيه أيضاً كيفية مواجهة هذه المواقف وكيف يعمل على خفض حدة التوتر .

والرعاية المعقولة التي ليس فيها إفراط أو تفريط ، يكون لها أثر واضح في تنمية شخصية الطفل بصورة متوافقة . أما الطفل الذي يلقى المزيد من التدليل أو الذي يلقى المزيد من الإهمال والنبذ ، فإنه يكون أكثر تعرضا لمشاعر القلق وعدم الطمأنينه .

وطالما أن الطفل يحتاج إلى قدر معقول من الرعاية النفسية والبدنية من الوالدين ، فإن المنزل يعتبر فى هذه الحالة أحد المحددات الهامة فى نمو شخصية الطفل . فالأسرة تكون فى مركز رئيسى يدعم أو يهدد مشاعر الطفل بالطمأنينة . فإذا كانت ظروف البيت من النوع الذى يدعم توافق شخصية الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يسير فى سبيل النمو الصحيح . أما إذا عجز المنزل عن أن يقدم للطفل الإستجابات الإنفعالية المناسبة والشعور بالأمن ، فسوف ينمى عنده ميكانزمات دفاعية معينة يكون الهدف منها أحياناً التغلب على مشاعر عدم الأمن . وكما يقول « برور » Brower إن الطفل الذى لم يتعلم الحب فى المنزل ، يستحيل عليه أن يصدق الآخرين أو أن يثق فيهم ثقة تامة . فهو قد أوذى وتعرض للألم ، ولا يريد أن تتكرر معه مثل هذه الخبرات المؤلمة . فمن لدغ مرة يخاف العقارب بعد ذلك .

أسلوب المعاملة ونمط الشخصية :

أشار علماء النفس إلى أسلوب معاملة البيت والنمط المقابل له فى شخصية الطفل وسلوكه . فالنبذ كنمط من أساليب المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية عدوانية سيئة التوافق لديها مشاعر عدم الطمأنينه ، شخصية خانعة سادية . أما الرعاية الزائدة عن الحد ، فإنها تخلق شخصية أسلوبها طفلى ، واتطوائيه ، ليست لديها القدرة على تحمل المسئولية ، تعانى من صعوبات التوافق . والآباء المسيطرون قد يؤدى سلوكهم إلى طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع فيكون من النوع الاتكالى ، الخجول المؤدب . أما الآباء المتقبلون لأبنائهم فقـــد يطبعون شخصياتهم بطابع المتقبل للناس إجتماعياً ، المتوافق ، الواثق فى المستقبل .

وليس أول على أثر سلوك الوالدين فى شخصية الأبناء ، ما نراه فى أحيان كثيرة

من أن الأبناء غير المتوافقين نفسياً يأتون من بيوت منهارة و بيوت كان فيها الصراع أو الإحتكاك مستمراً بين الأبوين ، أكثر مما يأتون من بيوت كانت فيها العلاقات طيبة بين الآباء . وعند ما يكون جو المنزل من النوع الذى يكثر فيه النزاع والشقاق ، فإن الطفل غالباً ما يوزع ولاءه بين الأب والأم . وفى معظم الأحيان ، لا يكون ثمة تعاون بين الآباء فيما يتصل بالأمور الحيوية التى يجب تدريب الطفل عليها وقد يتعلم الطفل إستغلال أحد الوالدين ضد الآخر أو قد يهملهما معا . وفى أغلب الأحيان ، يكون الابوان فى حالة من التوتر الإنفعالى مما يجعل تصرفاتهما تتسم بالرعونة والحمق ويجعل أسلوب كلامهما مع الطفل فيه جفاء وخشونة كما تكون طريقة حديثهما مع الطفل مقتضبة ، ومثل هذا السلوك من جانب الأبوين من شأنه أن يخلق التوتر الإنفعالى فى الطفل ، ومن ثم يعوق إحساسه بالأمن الذى هو حاجة اساسية لتكامل شخصية الفرد .

والسؤال الآن إلى أى مدى تظل آثار خبرات الطفولة المبكرة قائمة فى الفرد ؟ لم يجمع علماء النفس بعد المادة الكافيه التى تسمح بالإجابة الشافية على مثل هذه الأسئلة ولكن هناك بعض الأفكار التى تقوم على الحدس . إن قدراً كبيراً من سلوك الإنسان يمكن أن يستدل عليه من المؤثرات الخارجية والظروف التى يعيش فيها . فإذا ظلت هذه المؤثرات والظروف قائمة وثابتة نسبياً لفترة طويلة ، فإن الاحتمال كبير أن يظل سلوك الفرد ثابتاً نسبياً . كذلك فالشخص الذى ولد وترب فى نفس البيت ومع نفس الأصدقاء وفى نفس المدينة وفى بيئة مستقرة نسبياً ، من المحتمل أن يكشف عن تغيرات أقل فى شخصيته من ذاك الآخر الذى أنتقل كثيراً من مكان لآخر ودفعته الظروف إلى التوافق مع بيئات كثيرة متعددة فالبيئة المستقرة نسبياً من شأنها أن تخلق نوعاً مستقراً نسبياً من الشخصية

وبالمثل يعتبر سن الفرد وقت حدوث التغير فى البيئة عاملا هاماً ، فالاستجابات المتعلمة لفترة طويلة من الزمن تكون أكثر مقاومة للإنطفاء والتغير ، من أنماط السلوك التى مارسها الفرد مرات قليلة نسبياً . وشخصية الرجل ذى الخمسين ربيعاً أقل قابلية للتغير وأكثر مقاومة له عن شخصية المراهق فى الخامسة عشرة من عمره . وليس معنى ذلك ان رجل الخمسين لا يتغير بالطبع أو لا يمكنه أن يغير سلوكه . إنه يغيره ، ولكن التغيرات التى تحدث لا تكون فى الأغلب الإستجابات الأساسية المتأصلة والتى أصبحت مميزة لشخصيته .

والطفولة المبكرة والمتأخرة هامة بلا شك بالنسبة لنمو الفرد بعد ذلك ، على الأقل لأنها تكون فى أوائل الحياة . فى الطفولة يتعلم الطفل أن يتوافق مع بيئته وأن يتفاعل مع الناس . وهذا التعلم يمكن أن يكون ثابتاً ومستقراً اذا كانت البيئة متماسكة ومنسقة ، وإذا كان الثواب والعقاب يقدمان بنفس الطريقة الثابتة المنسقة الصحيحة . وجانب كبير من تعلمنا المبكر يكون أيضاً أنفعالياً . فبالإضافة إلى المهارات الحركية المتعددة . تكتسب أيضاً استجابات وجدانية عريضة ، نحب ونكره ونكوّن اتجاهات نحو الأشياء والأشخاص الذين نتعامل معهم وتكون هذه الإستجابات الوجدانية المتعلمة من النوع الذى يقاوم الإنطفاء إلى حد بعيد .

التطبيع الإجتماعى وأثره فى شخصية الطفل :

والتطبيع الإجتماعى للطفل يعتبر إحدى الوظائف الأساسية للأسرة . فهى المسئولة الأولى عن تعليم الطفل كيف يسلك ، بحيث يمكنه أن يتكيف مع الثقافة التى يعيش فيها والذى تعد الأسرة جزءاً منها . ولتحقيق هذا الهدف فإن على الأسرة أن تعلم الطفل متى وكيف يكبت دوافعه الفطرية ، ومتى وكيف يعبر عنها . فجميع الأطفال مثلا يبدون سلوك الخوف ، ولكن

الأسرة تبدأ منذ وقت مبكر تعلم صغارها كيف يخفون هذه الاستجابة أو كيف يبدونها بشكل مقبول إجتماعيا . والأمر بالمثل بالنسبة للعدوان وحب الإستطلاع . ويمكن القول بأن الأسرة هى العامل المسئول عن تنمية نواحى التحكم أو الضبط الكامن فى كل طفل . فعن طريق تعلم الطفل تناول الطعام والإخراج والتعبير عن العدوان والحب وغيرها من الأشياء داخل الحدود التى تفرضها الثقافة ، أن يصل الطفل إلى الحد الذى يمكنه عنده الدخول فى الإطار الثقافى للمجتمع الكبير الذى يعيش فيه.

وليس ثمة شك فى اختلاف الأسر بعضها عن بعض داخل المجتمع الواحد ، كما أن ليس ثمة شك أيضا فى اختلاف المجتمعات واختلاف الثقافات . وهذه حقائق أوضحها علماء الأنثروبولوجيا ، كما أوضحها علماء النفس كذلك . ورغم أن تكوين الأسرة ليس واحداً فى كل مكان ، إلا أن أسرة الفرد هى فى العادة التى تحدد نمو شخصيته وترسى أساسها .

ولقد قام الأنثروبولوجى « جون هوتينج » والسيكلوجى « ارفين تشيلد » بمقارنة تقارير جمعت عن تربية الطفل فى المجتمعات البدائية ، بالمادة التى جمعاها من الأسر من الطبقة الوسطى فى الولايات المتحدة خلال عام ١٩٤٠ . وكان اهتمامها ينصب على دراسة كيف أن تدريب الطفل وتربيته فى كل من هذه الثقافات ترتبط بخصائص شخصية الكبار . وقد أعطى الباحثان اهتماما خاصا للتدريب على التغذية وضبط عملية التبول والسلوك الجنسى وضبط العدوان ونمو الاستقلال والاعتماد على النفس فلاحظا مثلا فيما يتصل بالتغذية ، أن الامهات فى كل المجتمعات البدائية تقريبا أكثر تسامحا فى اشباع الطفل من من الأمهات الأمريكيات ، باستثناء نساء جزر المركيز اللائى يعتقدون أن الرضاعة تقلل من جاذبيتهن . كما لاحظا أيضا أن معظم المجتمعات البدائية

تستمر فيها الرضاعة حتى العام الثانى أو الثالث بينما يتم الفطام فى المجتمع الأمريكى خلال العام الأول .

وكذلك بالنسبة للتدريب على التبول . فبعض القبائل البدائية تبدأ التدريب فى سن مبكرة جداً بحيث تتوقع من الطفل ضبط المثانة خلال النصف الثانى من السنة الأولى وإلا أوقعت به العقاب الشديد على نحو ما نجد عند قبائل « التانالا » فى مدغشقر . والأمر بالمثل بالنسبة للسلوك الجنسى . فالطفل فى كل مكان شغوف بإستطلاع جسمه وتكشف المواضع التى تجلب اللذة . وبعض المجتمعات تتسامح فى مثل هذا السلوك ، بينما بعضها الآخر يفرض على الطفل الكثير من الضبط . وكذلك بالنسبة للعب مع الجنس الآخر . فبعض القبائل البدائية تفضل فصلا تاما بين البنين والبنات فى اللعب حتى فى مراحل الطفولة وكذلك بالنسبة للعدوان ، فلا يوجد مجتمع واحد خال من السلوك العدوانى . ومع ذلك تختلف المجتمعات فيما بينها إختلافا ملحوظا فى مقدار ونوع العدوان الذى تسمح به للطفل .

وبالمثل بالنسبة للإعتماد على النفس والإستقلال ، فالأطفال فى أى مجتمع يجب أن يتعلموا بالطبع ، أن يصبحوا أكثر استقلال واعتماداً على أنفسهم مع تقدم السن وقد يكون هناك علاقة مباشرة بين تعقد المجتمع وطول فترة الإعتماد على الأسرة فى المجتمعات الحديثة ، حيث الثقافة أكثر تعقيداً وحيث إعداد الفرد لدوره فى الحياة يتطلب فترة طويلة من الزمن ، نجد أن الطفل فى المدنية الحديثة أكثر اعتماداً على الأسرة ولفترة أطول من الطفل فى المجتمعات البدائية .

وبعض المجتمعات التى تدلل الطفل وتسمح له بالسلوك الاتكالى خلال سنوات طفولته الأولى ، تغير من اتجاهها نحوه — وبفجاة أحياناً — عندما يكبر ويصبح قادراً على الإستقلال والإعتماد على النفس.

وليست ثمة شك أن مثل هذه الدراسات عبر الثقافات(١) ، والتى يمكن أن تتم بين شعوب بدائية وأخرى متحضرة ، أو بين شعوب من ثقافات مختلفة تكون ذات أهمية كبيرة . ومع ذلك ، فمن الواضح أننا نواجه مباشرة عند القيام بمثل هذه الدراسات بالاختلافات الواضحة بين الثقافات الفرعية داخل هذه المجموعات الكبيرة . ومثل هذه الصعوبات تجعل التعميم ، بالنسبة للمجتمع الكبير ، أمراً صعباً .

وعلى كل حال يمكن القول بأن الأسر فى الثقافات المختلفة تقوم بمسؤليتها فى تنشئة الطفل بأساليب مختلفة من التدريب . وهذه الأساليب التى تتبعها الأسرة فى تنشئة صغارها ، تهدف من ورائها إلى تنمية صفات الشخصية التى ترى أنها ضرورية ومقبوله وهامة فى الكبر .

والسؤال الآن ما أثر هذا التدريب فى تشكيل الشخصية ؟

تتضح أهمية هذا التدريب فى نواحى أهمها : الضبط وتنمية الذات ونمو فكرة الذات عند الطفل ، وسوف نشير باختصار إلى كل ناحية منها :

(ا) الضبط :

إن إمكانية الطفل على ضبط سلوكه تكون كامنة لديه . وهو يكشف بأدلة بسيطة عن هذه الإمكانيات فى حياته المبكرة . ذلك أن الطفل فى بداية أمره يستجيب مباشرة للمثيرات المختلفة التى تفرض عليه . فهو يصرخ ويهز يديه ورجليه ويتبول ويتبرز وينام ويعبر عن أى سلوك آخر يتطلبه الموقف بشكل مباشر . ولكن الإستمرار فى القيام بمثل هذه الألوان من السلوك والإستجابات المباشرة بعد مرحلة الطفولة المبكرة ، أمر لا يمكن لأى مجتمع أن يتحمله حتى أبسط المجتمعات البدائية . ومن هنا

(1) Price - Williams D. R. : Cross - Cultural Studies, Penguin Books, 1969.

يؤخذ الطفل بنوع من التدريب ويشجع على ضبط دوافعه التى نعلم أنه قادر على التحكم فيها ، وكثير من أساليب تنشئة الطفل وتدريبه تهدف إلى تحقيق هذه الغاية ، أعنى تنمية نظام من الضبط المناسب لدى الطفل . وقد اعتبر فرويد هذه العملية النواة أو الجزء المسيطر فى الشخصية كلها .

ويستخدم الآباء أساليب شتى لبلوغ هذه الغاية وتنمية عملية الضبط عند الطفل . فأحيانا يلجأون إلى الثواب وأحيانا إلى العقاب ، وأحيانا إلى التعليل والتفسير ، وأحيانا إلى المثال والنموذج الذى يحتذيه الطفل . ومع ذلك فبعض الآباء يعقدون المشكلة بالنسبة للطفل . كأن ايكون سلوكهم تجاه الطفل لا يتسم بالثبات والإستقرار . فيقبلون منه اليوم نفس السلوك الذى رفضوه بالأمس ، مما يوقع الطفل فى حيرة من أمره . كما أن البعض الآخر يخلق مشكلات للطفل كأن يسمح له بالقيام — أو أن يشجعه على القيام — بألوان من السلوك تتنافى ومعايير المجتمع الكبير . ففشل الآباء فى تحقيق الضبط المناسب على السلوك العدوانى عند الطفل من شأنه أن يخلق للطفل مشكلات عديدة مع المجتمع عندما يكبر .

(ب) تنمية السمات :

هناك أهداف أربعة يهدف الآباء إلى تحقيقها فى تنشئة الطفل وبدرجات مختلفة من الوعى الشعورى من جانب الآباء أنفسهم . وهذه الأهداف هى :

١ — محاولة تيسير نمو السلوك الطبيعى والتلقائى للطفل والذى يعتبرونه سلوكا مقبولا (كالخوف من الأشياء الضارة والمخيفة) .

٢ — محاولة إستبعاد السلوك الطبيعى والتلقائى للطفل والذى يعتبرونه سلوكا غير مقبول (كالخوف من الأشياء العادية والمألوفة) .

٣ — محاولة تنمية بعض أنماط السلوك المقبولة ولو لم يكن لدى الطفل إتجاه تلقائى نحوها (كالأمانة أو الرجولة عند الذكور) .

٤ — إتخاذ المقاييس الوقائية التى يمكن أن تؤدى بعدها إلى عدم تكوين بعض إنماط السلوك غير المقبولة رغم أن الطفل لم يكشف بعد عن مثل هذه النزعات (كعدم الأمانة) .

فالآباء فى تربيتهم للأبناء يحاولون عادة تنمية السمات المقبولة ، وفى نفس الوقت يحولون دون تنمية السمات غير المقبولة . وعندما يبلغ الطفل مستوى القدرة على ضبط سلوكه والتحكم فيه ، فإنه يستطيع أن ينمى بنفسه العديدمن السمات التى تشكل شخصيته .

ويحاول الآباء فى بعض الأحيان إستثارة السمات التى يرون أنها تعبر عن نفسها بشكل طبيعى وتلقائى ويتطلبون من الطفل التمييز بين المواقف المختلفة التى يكون فيها مثل هذا السلوك مقبولا ، والتى لا يكون فيها مقبولا . فالطفل مثلا قد لا يعبر عن خوفه الطبيعى فى بعض المواقف التى تتطلب منه بالضرورة مثل هذا التعبير (حين تكون هناك سيارة مسرعة متجهة نحوه مثلا) ، بينما يعبر عن مثل هـذا الخوف وبصورة واضحة فى مواقف ليس فيها أى خطر محقق عليه (كسقوط شىء ما محدثا صوتا عالياً بالقرب منه) . فجزء من تدريب الآباء للأبناء يتصل بربط الإستجابات الفطرية والمتعلمة بالمثيرات المناسبة لها .

وعند عملية تدريب الطفل على ضبط نفسه ، قد تنمى الأسرة بعض الإتجاهات بطريقة لا شعورية . فمثلا عند تدريب الطفل على عادات التغذية أو الإخراج ، قد تصر الأسرة على توكيد ناحية النظافة ، فيتكون لدى الطفل إتجاها عاما نحو النظافة ويصبح هـذا الإتجاه أحد سمات شخصيته البارزة . وبالمثل قد تتكون لدى الطفل ، نتيجة إستجابة لمطالب الآباء فى مواقف أخرى ، صفات السلبية أو العناد أو مقاومة السلطة والتى تتضح فى مجالات عديدة من سلوكه بعد ذلك . وقد يدرك الآباء أن كثيراً من سمات شخصية

أبنائهم ، هي نتيجة فرعية للأساليب التي اتبعوها في تربيتهم لهؤلاء الأبناء .
ولعل هذا هو أحد أسباب تعقد أساليب التربية اليوم وبشكل جعلها موضع إهتمام الكثيرين من الباحثين وعلماء التربية وعلماء النفس والإجتماع .

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك بعض السمات التي لا تظهر بصورة عرضية ، وإنما يحاول الآباء عن قصد تنميتها لدى الأبناء نظراً لما يرون فيها من نواحي إيجابية يحبون غرسها في نفوس أبنائهم . فبعض الآباء يعطي سمات معينة قيمة كبيرة ، ومن ثم يحاولون تنميتها لدى الأبناء . فإذا كان الأب مثلا يعطي وزناً كبيراً لصفات الجدية والخشونة والقوة عند الذكور ، فقد يسلك بشدة وصرامة مع أبنه ، إعتقاداً منه أن ذلك سوف يجعل منه شخصاً جاداً صارما ويخلق منه رجلا . غير أن مثل هذا الأسلوب وإن أفاد أحيانا ، فقد لا يفيد أحيانا أخرى . وحتى إذا أثمر مع الطفل ، فقد تنجم عنه نتائج فرعية لم تكن في حسبان الآباء . فقد ينشأ الطفل جاداً وصارما ، ومع ذلك يبدي مشاعر الكراهية والإحتقار لسلوك الآباء الجاف نحوه إبان طفولته ومعاملتهم له بجفاء وقسوة .

وعلى العموم ، فالآباء وهم يربون أبناءهم ينظرون إلى الشخصية من ناحية السمات ويصفون الإبن مثلا بأنه ذكي نشط أو غبي كسول ، بأنه أمين أو خائن ، حساس متقلب المزاج أو ثابت إنفعالياً ، بأنه يوثق به أو بأنه لا يعتمد عليه . وكما يحاول الآباء تنمية بعض السمات الإيجابية وعن قصد كالأمانة مثلا ، فإنهم يحاولون بالمثل وقاية الطفل من بعض السمات الأخرى التي يعتبرونها ضارة (كالخيانة مثلا) فيحولون دون تنميتها لدى الطفل

(ج) نمو فكرة الذات عند الطفل :

وإذا كانت الأسرة تؤثر في الطريقة التي ينضبط بها الطفل سلوكاً وفي

السمات التي ينميها أو يستبعدها ، فإنها تمده أيضا بالخبرات التي منها يكوّن فكرته عن نفسه وعن الآخرين . وفكرة المرء عن نفسه هي نمط إدراكه لذاته . وعندما يريد الفرد أن ينقل إلى الآخرين جوهر مفهومه لذاته ، فإنه في العادة لا يقدم هذا المفهوم في كلمة واحدة ، بل في مجموعة من العبارات التي يصف بها ذاته وحتى بهذه الطريقة ، فإنه يكشف فحسب عما يعرفه عن ذاته . ولكن من الممكن أيضا الإستدلال عن فكرة المرء عن نفسه من سلوكه الذي نلاحظه والذي يتميز عن الصورة اللفظية التي يقدمها الفرد عن نفسه . فقد يكشف هذا السلوك عن مشاعر الذنب أو عن أنه يستحق توقيع العقاب ، رغم أنه لا يعبر لفظياً عن مثل هذه الأفكار .

والواقع أن الطفل يتعلم أن يرى نفسه من خلال ملاحظته كيف يستجيب الآخرون لسلوكه . وبهذه الطريقة يضع أساس فكرته عن نفسه . فإدراك الطفل لكيفية استجابة الآخرين لسلوكه ، يمده بمعرفة ما إذا كان هذا السلوك حسنا ومقبولا أم أنه غير مقبول وسيء . ومن هذه المعرفة يمكنه أن ينمي فكرته عن أي شخص هو . فالطفل إذن يؤثر بسلوكه في الآخرين ، ومن استجابتهم لهذا السلوك وأثره فيهم ، يمكنه أن يكوّن فكرة عن نفسه ولما كان أفراد الأسرة هم الذين يسيطرون في السنوات الأولى من حياة الطفل على بيئته السلوكية ، فمن الواضح إذن أنهم يقدمون له الخبرات الأساسية التي من خلالها يكون فكرته عن نفسه . وتعتبر إتجاهات الآباء في هذه المرحلة ذات أهمية بالغة في تكوين هذه الفكرة . فإذا كان الجو السائد في المنزل هو النبذ مثلا فقد يميل الطفل إلى تفسيره بأنه غير متقبل من أفراد الأسرة وأنه غير جدير بمحبة الكبار ، أو أنه غير مرغوب فيه من جماعة الأسرة وسوف يدمج الطفل هذا الإعتقاد في فكرته عن نفسه . أما إذا كان الجو العام السائد في الأسرة هو المحبة ، فإنه يوحي للطفل بأنه متقبل وأنه جدير

بمحبة الآخرين له وأنه مرغوب فيه من أفراد الأسرة . وسوف يدمج الطفل أيضا مثل هذا الإعتقاد فى فكرته عن نفسه .

والحقيقة أن مثل هذه الإتجاهات التى يكونها الفرد عن نفسه فى هذه الفترة المبكرة من حياته ، تكون ذات أهمية كبيرة ، لأن من الصعب تعديلها متى تكونت وتأصلت فى النفس . فكم من أشخاص نعرفهم ونعرف مقدار ما يتمتعون به من ذكاء وقدرة تكفى لشق طريقهم فى الحياة بنجاح ، ومع ذلك فإحساسهم بضعف ذواتهم وعدم تقديرهم لأنفسهم حق قدرها ، يحول دون بلوغهم مستوى الكفاية والقدرة . ولذا نجدهم لا يعزون ما أصابهم من نجاح إلى ما لديهم من مواهب وذكاء بقدر ما يعزونه إلى الحظ والصدفة .

وفى ضوء ما تقدم يتضح لنا مقدار ما تسهم به الأسرة فى بناء شخصية الفرد ودور هذه الأسرة فى نقل الثقافة إليه وتشكيلها لشخصيته داخل الإطار الثقافى للمجتمع الذى يعيش فيه .

الفصل الخامس

محددات الشخصية (تابع)

محددات الدور والموقف

فى الفصلين السابقين تحدثنا عن العوامل التكوينية البيولوجية وعن عضوية الجماعة كمحددات هامة للشخصية، وفى هذا الفصل نعرض لمحددين آخرين هما الدور الذى يقوم به الفرد ثم محددات الموقف.

الدور الذى يقوم به الفرد :

وهذا هو العامل الثالث الذى أشار إليه كلوكهون وموري وشنيدر فى حديثهم عن محددات الشخصية. ولهذا العامل أهميته. ذلك أننا فى دراستنا للشخصية، كثيراً ما نركز إهتمامنا على الفرد، محاولين أن نفهم كيف ينمى الأنماط المنتظمة من الإستجابات والتى نستدل منها على سماته وفكرته عن ذاته كما نستخدم عادة التكوينات الإفتراضية لتفسير سلوك الفرد، فنقول إن فلانا يسهل التأثير عليه لأن ذاته ضعيفه مثلا ولكن فى غمرة إهتمامنا بهذه التكوينات الإفتراضية للشخصية فى تفسير السلوك، قد ننسى الظروف البيئية التى يعيش فيها الفرد. ومن هنا كان من المفيد أن ندرس فكرة الدور الذى يؤديه الفرد فى الحياة، طالما أن الدور يشير إلى كل من الفرد والمحيط الإجتماعى الذى يوجد فيه. فمفهوم الدور يذكرنا بإستمرار، أنه لفهم سلوك فرد ما، يجب أن نتنبه فى الوقت نفسه إلى خصائص شخصيته وإلى الموقف الإجتماعى الذى يوجد فيه.

وفكرة «الدور» تمدنا بأداة تفيد خصوصاً فى تحليل عملية التطبيع الإجتماعى

والتثقيف . وكما أوضح «جورج ميد» ، فإنها تسمح لنا بربط السلوك الفردى بمعايير جماعة معينة تتصل بالسلوك «المتوقع» من الفرد حسب سنه وجنسه وتخصصه المهنى والوظيفى وحالته المدنية . وحتى لو لم يكن هناك دائماً تطابق مع النمط المثالى للسلوك المتوقع من الفرد ، إلا أن الفرد يعرف ويدرك مثل هذا النمط المثالى من السلوك سواء بالنسبة له أو للآخرين .

فالدور هو نوع متشكل من المشاركة فى الحياة الإجتماعية او هو ببساطة — كما عبر عنه جوردون البورت — مايتوقعه المجتمع من الفرد الذى يحتل مركزاً معيناً داخل الجماعة .

ويحدد كل مجتمع من المجتمعات الأدوار الإجتماعية التى يتوقع من أفراده القيام بها فى حياتهم العادية . لنأخذ أسرة ما على سبيل المثال . إن الأب ينتظر منه أن يترك المنزل فى الصباح لكى يذهب إلى عمله ليمد الأسرة بالمال الذى تحتاج إليه وأن يقوم برعاية الأطفال وتوجيههم والإشراف عليهم عندما يكون بالمنزل والأم ينتظر منها أن تقوم بدور آخر يتلخص فى أداء الواجبات المنزلية ورعاية الصغار وإعدد الطعام وتهيئة الجو العائلى الطيب . أما الأولاد فدورهم يتلخص مثلا فى إطاعة الآباء وأداء واجباتهم المدرسية . والإبن الأكبر يتوقع منه أن يساعد أباه فى رعاية أخوته الصغار والمشاركة فى تحمل المسئولية فى الأسرة . والولد الذكر يتوقع منه أن يقوم بدور الصبية العاديين بينما تعد الفتاة للقيام بدور الأنثى وتعلم أعمال البيت . وهذا التفاعل المتبادل بين هذه الأدوار المختلفة دقيق للغاية ويكون مانسميه باسم النظام الإجتماعى للأسرة .

والطفل عندما يتعلم القيام بدوره فى الأسرة يتعلم فى الوقت نفسه الأدوار التى يقوم بها الأب والأم والأخوة الكبار فأدوارهم متبادلة مع دوره . وهم

فى نظرة بمثابة نماذج يقوم بتقليدها . وتحدث جميع هذه الأدوار أثراً هاماً فى عملية التطبيع الإجتماعى والتثقيف الذى يحتاج إليه فى حياته بعد ذلك (١).

ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار فى حياته الإجتماعية . فالأب مثلا بعد خروجه من المنزل والذهاب إلى عمله يقوم بدوره كموظف أو كعامل أو كمهندس أو طبيب، أى أنه يقوم بالدور الذى يتوقعه منه المجتمع فى مجال العمل . وهو حتى يعود إلى بيته نجده يمارس دوره كأب من حيث الإشراف على تربية الأبناء ورعاية الأسرة، ثم بعد ذلك قد يكون عضواً فى ناد ويشارك فى ألوان النشاط المختلفة لهذا النادى أو قد يكون عضواً فى جماعة دينية إلى آخر هذه الأدوار العديدة التى يقوم بها فى المجتمع . والأمر بالمثل بالنسبة للأم والأولاد ولأى فرد آخر فى الحياة . فحياة كل فرد يمكن النظر إليها على أنها سلسلة من الأدوار المتتابعة التى تربط الفرد بمجموعة من النظم الإجتماعية المختلفة . ولكن قد يحدث أحياناً صراع وتعارض بين هذه الأدوار المختلفة التى نقوم بها فى حياتنا . وكثيراً ما نسمع عما يظهر من تعارض أحياناً بين دور المرأة الموظفة ، أعنى بين ما يتطلبه منها دورها كأم من رعاية الأطفال والإشراف على تربيتهم وبين دورها كموظفة .

ويحسن أن نميز بين لفظين يستخدمان أحياناً بمعنى واحد . الأول هو المركز أو الوظيفة Position والثانى هو الدور role فالمركز هو المكان الذى يحتله الفرد فى المجتمع على أساس العمر أو الجنس أو المولد أو المهنة أو الزواج، بينما الدور هو السلوك الذى يقوم به الفرد فى كل مركز إجتماعى يشغله . وكل من المركز والدور نتاج إجتماعى ولا يوجد أحدهما بدون الآخر . وقد عرف لينتون(٢) المركز بأنه المكان الذى يشغله فرد معين فى نظام معين فى وقت

---

(1) Mead G. H. : Mind, self and Society. Chicago : Univer. of Chicago Press, 1934.

(2) Linton. R : The Caltural Background of Personality. New York, Appleton Century Crofts 1945, pp. 76-77.

معين بينما الدور الإجتماعى هو المجموع الكلى للأنماط الثقافية التى ترتبط بمركز معين .

ومن المعروف أن المؤسسات والمنظمات أو الجماعات يكون بها عادة مراكز عديدة تساعد فى مجموعها على تحديد طبيعة هذه المؤسسة أو المنظمة أو الجماعة وتسيير العمل فيها بانتظام . ويحتل الأفراد عادة هذه المراكز . ونحن عندما نريد وصف مؤسسة ما . فإننا نصفها عن طريق وصف المراكز التى أوجدتها لتحقيق أهداف هذه الجماعة . فهناك رئيس مجلس الإدارة ، وهناك المدير ونائب المدير والسكرتير والحارس الخ . ومن الممكن القول بأن كل هؤلاء الأشخاص يحتلون مراكز معينة ولكن لا يمكن القول بأنهم يحتلون أدواراً معينة غير أنه فى تحركهم وعملهم فى مراكزهم، يحاول كل فرد منهم أن يقوم بالدور الذى يتوقع منه أو الدور الذى يراه متفقاً والمركز الذى يشغله . وقد يحتل شخص ما مركزاً من المراكز ، ولكنه يفشل فى القيام بالدور الذى يتطلبه منه هذا المركز ، أو الدور الذى يتوقعه الناس من شاغل هذا المركز . فهو مثلا رئيس مجلس إدارة مؤسسة ما ، ولكنه لا يقوم بدوره كرئيس مجلس إدارة على نحو ما هو متوقع منه . ولنأخذ مثالا آخر أقرب إلينا من الناحية النفسية . الإبن الأكبر فى الأسرة والذى يحتل مركز الولد الأكبر ، ينتظر منه أن يقوم بدوره كإبن أكبر وأن يتحمل قدراً من المسئولية مع الآباء . أما إذا كان سلوكه طفليا أو من النوع الإتكالى الذى لا يوثق فى قدرته على تحمل المسئوليات البسيطة التى تتطلبها الأسرة منه فمن الممكن القول أنه غير قادر على القيام بالدور الذى يتفق ومركزه فى الأسرة . وباختصار يمكن القول بأن المركز يرتبط ببناء جماعة ما أو منظمة ما، بينما الدور فيرتبط بسلوك الشخص الذى يشغل مركزاً ما .

وغنى عن البيان أن الأدوار الإجتماعية التي يقوم بها الأفراد تختلف

باختلاف الثقافات التي يحيون فيها فدور الولد في المجتمعات الحضرية المتقدمة يختلف عن دور الولد في المجتمعات الريفية. فبينما لا يزال ينظر إلى الولد في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة في المجتمعات الحضرية والمتقدمة على أنه لا يزال صغيراً، يقوم بدور الصغار في مثل سنه، ويحتاج إلى قدر من رعاية الأسرة والوالدين له، إذ بزميله الذي في مثل سنه في المجتمعات الريفية ينظر إليه على أنه قد أصبح رجلا أو على عتبه الرجولة وأنه قادر على القيام بأدوار الكبار. ولذا يعهد إليه بالكثير من الأعمال التي يقوم بها الكبار في الأسرة من فلاحة للأرض ورعاية الحيوان في الحقل وكانت بعض الأسر الريفية إلى عهد قريب تزوج أبناءها في مثل هذه السن المبكرة، وفي هذا اعتراف واضح منها بأنه قد بلغ مبلغ الرجال. والأمر بالمثل بالنسبة للفتاة.

ويميز البورت (١) معان أربعة للدور هي: —

١ — توقعات الدور: وتكمن توقعات الدور في النظام الإجتماعي وهي بمثابة ما تقرره الثقافة أو الثقافات الفرعية من توقعات الفرد سواء كان أبا أو أماً أو تلميذاً أو صانعاً أو طبيباً أو مهندساً الخ. وبعبارة أخرى أنها تقرر ما هو متوقع من كل فرد يشغل مركزاً معيناً داخل النظام الإجتماعي.

٢ — تصور الدور: هي الصورة التي لدى الفرد — أباً معيناً أو مدرساً معيناً أو طبيبا معينا — عن دوره الذي يقوم به وهل تتفق أو لا تتفق وتوقعات الدور. ومن الممكن القول على وجه العموم أن الأب أو المدرس يعرف تماما ما هو متوقع منه، ولكن المشكلة تكمن في ماذا يتوقع هو من نفسه. فهو يحدد دوره على طريقته الخاصة. فقد يعتقد أب من الآباء أن دوره هو الإشراف الجيد وفرض الرقابة على ابنه المراهق، بينما يعتقد أب آخر أن

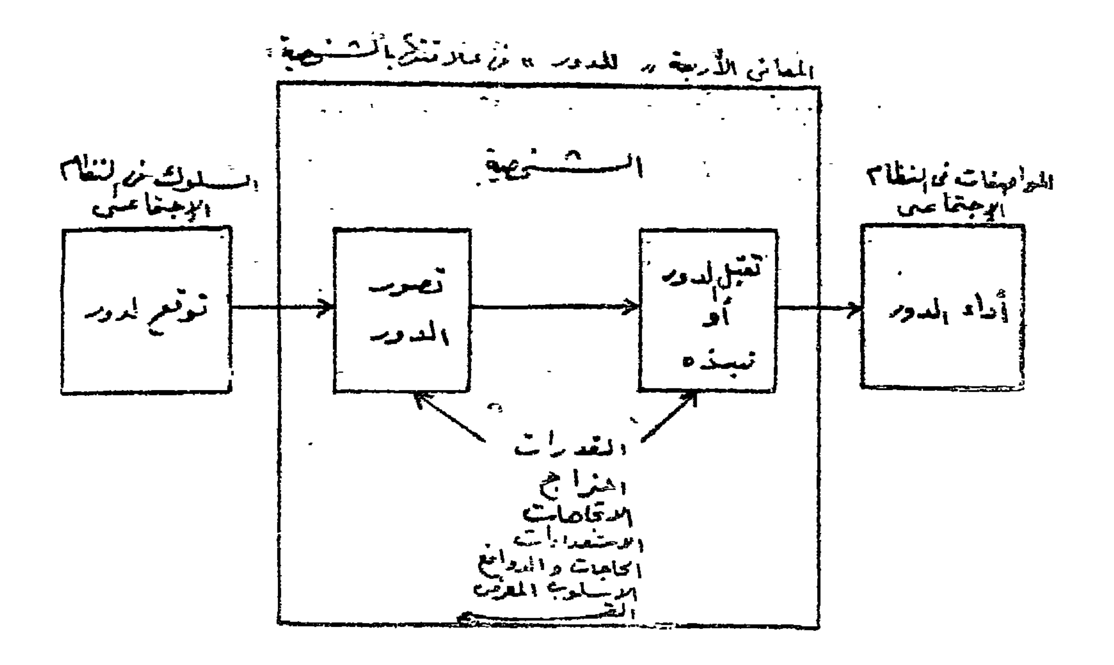
---

(1) Allport. G : Pattern and Growth in Personality. New York, Holt., 1961, chp. 8.

دوره هو التوجيه وترك الحرية للإبن أن يعبر عن نفسه . وقد يتصور مدرس من المدرسين أن أداءه لدوره يقتضى منه أن يكون حازماً شديداً ، يوقع العقاب على التلميذ المخالف داخل الفصل ، بينما يتصور مدرس آخر أن دوره هو دور الأب المتسامح الذى يأخذ بيد أبنائه التلاميذ ويعاونهم على مواجهة الصعوبات التى تواجههم فى حياتهم المدرسية . وتصور كل فرد منا للدور الذى يقوم به ، يتوقف على عوامل عديدة كاتجاهات الفرد واستعداداته ودوافعه وقيمه وغيرها .

٣ — تقبل الدور : بعض الناس يتقبل أحياناً الدور الذى يقوم به (سواء حدد هذا الدور فى ضوء توقعات الآخرين أو فى ضوء فكرتهم عن أنفسهم) والبعض الآخر لا يشغل نفسه كثيراً بهذا الدور الذى يقوم به ، بينما البعض الثالث قد يكره أحياناً الدور الذى يقوم به فى الحياة . فبعض السيدات يرحبن ويحببن دورهن فى الحياة كأمهات بينما البعض الآخر كارهات لدورهن هذا ، ساخطات عليه . والبعض يرحب بالوظيفة التى يقوم بها وينظر إليها نظرة تقبل ، والبعض الآخر كاره لها وللدور الذى يقوم به .

٤ — أداء الدور : وأداء الفرد لدوره الذى يتوقع منه أو اختاره فى ضوء فكرته عن نفسه يتوقف على عوامل عديدة منها هل هو متحمس له أم غير متحمس ، هل هو متعاون أم كاره ، وتوقعات الدور وحـــدها لا تكفى ، فتوقعات الدور تختلف باختلاف الأفراد أنفسهم . فتوقعات دور التلميذ تختلف عن توقعات دور الأم أو دور الموظف أو دور الطبيب ، ولذا فإن أداء الدور يتوقف على العوامل السابقة المختلفة من توقعات الدور وتصور الدور وتقبل الدور وما يصحب ذلك كله من سمات شخصية الفرد التى تساعده فى أداء دوره . والشكل الآتى قدمه ألبورت لتوضيح موضع هذه المفاهيم الأربعة للدور :



وبالنظر إلى هذا الشكل يتضح أن هناك معنيين لمفهوم الذات يتصلان بالنظام الاجتماعي (وليس بالشخصية) الأول هو توقع الدور الذي يمكن إعتباره فقط كنموذج خارجي ومثير (ويمكن إعادة تفسيره وتقبله أو رفضه بواسطة الفرد) والثاني هو أداء الدور الذي يمكن إعتباره نقطة التقاء نظام الشخصية والنظام الإجتماعي والأداء يتم عن طريق الشخص ولكنه يؤثر في النظام الإجتماعي، ويمكن أن يقيم كجزء من النظام الإجتماعي. وهناك معنيان آخران للدور يتصلان بالشخصية وهما: تصور الفرد لدوره وكيفية تحديده له في الحياة والآخر تقبل الفرد لدوره أو نبذه إياه.

ويمكن القول بوجه عام، إن هؤلاء الذين يدركون أدوارهم على نحو ما يدركها المجتمع، والذين يتقبلون أدوارهم في الحياة، هم اناس يميلون إلى تقبل البناء الإجتماعي القائم. اما الذين يبغون إعادة تحديد دورهم

أو يكرهون القيام بهذه الأدوار — سواء من حيث مفهومه الشخصى أو الإجتماعى ، فهم أناس ثائرون على دورهم فى الحياة ومتمردون عليه ، وغير متقبلين للنظام الإجتماعى الذى يعيشون فيه بوجه عام . ولكن ليس معنى ذلك أن كل شخص راض عن دوره ومتقبل له يعتبر من النوع المحافظ وأن كل شخص ثائر على دوره ، غير راض عنه يعتبر من النوع المتحرر ، بل تبدو هذه كنزعة عامة تسير فى هذا الإتجاه فحسب .

كيف يكتسب الطفل دوره فى الحياة :

إن الطفل حديث الولادة لا يولد مزوداً بذخيرة من الأدوار التى يقوم بها فى حياته ، وإنما هو يكتسب هذه الأدوار خلال عملية نموه وتربيته . فجزء هام من عملية نموه وتطبيعه الإجتماعى يتلخص فى تعلم كيفية القيام بمجموعة من الأدوار التى سوف تساعده على أن يحدد نفسه ودوره ككائن حى فرد متميز عن غيره من الأفراد . فهو يتعلم ليس فقط النواحى المتصلة بعملية التغذية والإخراج وضبط العدوان والإعتماد على النفس ، بل ويتعلم أيضاً الكثير من ألوان النشاط الأخرى التى أطلق عليها « بوهمان وولش » اسم سلوك الدور Role - Behavior (1) وليس ثمة شك أن قدراً كبيراً من هذا التعلم يتم داخل جدران الأسرة . وهذا التعلم يتم عادة إما بشكل مقصود أو بشكل عارض أو عن طريق التقليد . ففى التعلم المقصود يحاول حملة الثقافة فى المجتمع نقل أفعال ومعلومات معينة إلى الطفل متخذين من التدعيم وسيلة لذلك . فبعض الثقافات تؤكد ناحية الثواب من أجل بعث الطفل على القيام بالسلوك المرغوب فيه على حين يؤكد بعضها الآخر ناحية العقاب من أجل منع الطفل عن القيام بالسلوك غير المرغوب فيه .

---

(1) Baughman , E. E. & Welsh, G. S. : Personality : A Behavioral Science. Prentice Hall. New Jerpy 1962.

أما التعلم العارض فغيه يلتقط الطفل الوانا من السلوك ويتعلمها حتى ولو لم يكن لديه قصد تعلمها أما التقليد فيقتصر على الحالات التى يقوم فيها الفرد عن وعى ومعرفة بتقليد سلوك الدور الذى يريد القيام به وذلك بتقليد شخص آخر .

وأيا كانت الوسيلة المتبعة ، فإن الطفل يكتسب من خلالها الونا عديدة من سلوك الأدوار المختلفة التى يقوم بها فى حياته . ولعل أول دور يقوم به الفرد داخل الأسرة هو دوره كطفل . ويتحدد هذا الدور بيولوجيا وثقافياً بالطريقة التى يتربى بها الطفل وبالتفاعلات مع الآخرين واستجاباتهم لمظهره وسلوكه . ومع النمو تبدأ أهمية الجنس تظهر فى تحديد الدور الذى سيقوم به الطفل فى حياته ، كما يتخذ الجنس أهمية كبيرة فى نظر القائمين فى تربية الطفل بمعنى ضرورة أن يسلك الولد كولد والبنت كبنت . وقد يشغل الآباء عادة بتعليم أولادهم الذكور القيام بدور الذكور والبنات القيام بدورهن كإناث ، وهذا التدريب نفسه يتأثر إلى حد بعيد بمفهوم الآباء انفسهم عن دور كل من الذكور والإناث فى الحياة . وهناك بعض المفاهيم الشائعة التى قد تحدث أثرها فى تربية الآباء للأبناء وفهمهم لدور كل من الجنسين . ففى بعض الثقافات يسود الإعتقاد أن البنات هن الجنس الأضعف وأنهن الجنس الأسرع نضجا وأن الأولاد الذكور هم الأكثر ميلا إلى العدوان وقد تؤثر هذه المفاهيم الشائعة فى نظر الآباء لدور كل من الجنسين ونظرتهم له .

وإذا كان عامل الجنس عامل محدد للدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة فهناك أيضا عامل آخر هو الطبقة الإجتماعية التى ينتمى إليها الفرد . فسلوك دورنا الإجتماعى يتوقف إلى حد بعيد على عضوية الطبقة الإجتماعية التى ننتمى إليها وإن كان بعض الأفراد يمكنهم الإنتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أخرى وإذا كان المركز الإجتماعى للفرد يتحدد إلى درجة كبيرة

ن المجتمعات البدائية بعامل السن والجنس ، فإن الأمر يختلف فى المجتمعات الحديثة حيث تلعب عوامل أخرى تعد أكثر أهمية من السن والجنس مثل الأسرة التى ينتمى إليها وحظها من الثراء والجاه أو نوع العمل الذى يقوم به الفرد أو حظه من الذكاء وما لديه من استعدادات وقدرات الخ .

ماذا يعنيه القيام بسلوك الدور بالنسبة لنمو الشخصية :

يتضح ذلك فى نواحى :

١ ـ الضبط : وترجع إحدى الإستدلالات الهامة على نمو الشخصية إلى قدرة الفرد على الضبط والتحكم فى تشكيل سلوكه . فنحن نستدل على هذا النمو ، من حكمنا على قدرة الفرد على القيام بعديد من الأدوار وما يتطلبه كل منها من الوان السلوك المختلفة . وقد سبق أن ذكرنا أن الطفل الصغير فى بداية عهده بالحياة يكون له دور واحد هو دوره كطفل ، ثم مع النمو والنضج وتعرضه للمواقف المختلفة ومروره بالعديد من الخبرات فى مواقف الحياة الإجتماعية وتفاعله مع الآخرين ، فإننا نتوقع منه أن ينمى سلوكه بشكل يتفق والأدوار التى يفترض منه القيام بها فى المواقف المختلفة . فإن جاءت توقعاتنا فى محلها ، قلنا أن الفرد قادر على تشكيل سلوكه بنجاح وفاعلية، فالقيام بسلوك الدور معناه إذن وجود قدر من الضبط والتحكم وقدرة على تشكيل سلوك الفرد بما يتفق والأدوار التى يفترض القيام بها وليس ثمة شك أن مثل هذا الضبط يمكن أن يعد مقياساً من مقاييس نمو الشخصية .

٢ ـ تنمية السمات : وثمة علاقة وثيقة بين سمات الشخصية وسلوك الدور . والواقع أنه إذا ركزنا الإهتمام عند الحديث عن سلوك شخص ما على البيئة ، فإننا فى هذه الحالة نتحدث عن سلوك الدور الذى يقوم به الفرد ، أما إذا ركزنا الإهتمام على الشخص نفسه ، فإننا نكون أميل إلى

الحديث عن سمات هذا الشخص . وليس من شك أنه خلال تعرض الفرد المتكرر لأنواع معينة من المواقف ، فإنه ينمي طرقاً ثابتة للإستجابة لهذه المواقف ، وهذه الطرق هي التي تزودنا بأساس للإستدلال على وجود سمات معينة عنده .

وقد تواجهنا بعض الصعوبات أحياناً عند تفسير سلوك الدور الذي يقوم به فرد معين . فقد نواجه أحياناً ببعض ألوان السلوك المتعارضة أو المتناقضة في الظاهر ، فالشخص قد يكون قاسياً وصارماً مع مرؤسيه ، رقيقاً رحيماً مع زوجته وأولاده ، ولكن من الممكن تفسير ما قد يبدو من تعارض في الظاهر في سلوك الفرد بالرجوع إلى فكرة مطالب الدور فهذا الشخص الذي نصف سلوكه بالشدة والقسوة مع مرؤسيه ، نجد أن مطالب الدور الذي يقوم به كرئيس عمل وما يقتضيه منه هذا الدور من حسن سير العمل هي التي تدفعه إلى أتخاذ مثل هذا الموقف المتشدد مع مرؤسيه ، بينما هو نفسه يقوم في البيت بدوره كأب وهو دور يتطلب منه أن يكون رحيماً بأبنائه عطوفاً عليهم . فما قد يبدو لنا أحياناً أنه تناقض ، إنما يرجع في الحقيقة إلى أننا لا ندخل في الإعتبار مطالب الدور الذي يقوم به الفرد . والحقيقة أن عجزنا عن التقدير الصحيح لمطالب الدور وخصوصاً فكرة الشخص عن السلوك الصحيح للدور الذي يقوم به هو الذي يوقعنا في الخطأ في الحكم وتوكيد عدم الثبات في السلوك وسمات شخصية الفرد .

٣ — نمو فكرة الذات : ونحن في قيامنا بسلوك الدور ، إنما نصدر في سلوكنا عن نظرتنا لانفسنا وفكرتنا عن ذواتنا ، وما نعتقد أنه يمثل مطالب الدور الذي نقوم به . ومن الطبيعي أن يتعرض الطفل في نموه لعديد من مطالب الدور حتى ينمو نمواً سليماً . فاذا استمر المحيطون به ينظرون إليه كطفل رغم تقدم السن به ورغم ما طرأ عليه من نمو وتغير جسمي ، فقد

يحدث له تثبيت عند هذا المستوى الطفلي . وفي بعض المواقف نجد أنفسنا مرتبطين بفكرتنا عن أنفسنا ، ولكن في الوقت نفسه ، نريد أن نراعي مطالب الآخرين . وقد يوقعنا سلوك الدور أحياناً في صراع . فقد يصر البعض على عمل ما يعتقد أن يتفق وفكرته عن نفسه ، على حين أن البعض الآخر يميل إلى « مسايرة » الجماعة ، بينما يحاول البعض الثالث أن يجد حلا وسطاً لا يترتب عليه فقدان تقدير المرء لذاته أو البعد عن الآخرين .

محددات الموقف :

وأخيراً نأتي إلى المحدد الرابع من محددات الشخصية على نحو ما وضعها كاوكهون وموري وشنيدر ونعني به محددات الموقف . وما أكثر المواقف التي يمر بها الفرد في حياته وما أكثر تأثيرها في شخصيته . وبالطبع لا يمكن النظر إلى الشخصية كما لو كانت مستقلة عن المواقف التي تمر بها أو توجد فيها . ففي العمليات البيولوجية أو الفسيولوجية تتطلب وجود أجهزة داخلية أو عوامل بيئية ومواقف تتحقق فيها ، فعملية التنفس مثلا تتضمن وجود رئتين داخليتين وفي الوقت نفسه وجود هواء خارجي لازم لعملية التنفس ، وعملية الهضم هي الأخرى تتضمن وجود الإحساس الداخلي بالجوع وفي الوقت نفسه تتطلب وجود الطعام اللازم لإشباع هذا الدافع . وبهذه العوامل الداخلية والخارجية معاً يتم إغلاق دائرة السلوك . وكما يقول جون ديوي[1] إن الأمانة والمحبة والشجاعة والبخل والمكر وعدم تحمل المسئولية أو تحملها ليست ممتلكات خاصة بالفرد ، بل هي توافقات أو تكيفات فعلية لقدرات الفرد مع قوى البيئة . فليس ثمة شيء يمكن أن يعد ذاتياً أو شخصياً دون

(1) Dewy, J.: Human nature and Conduct. New York. Modern Library 1950 . p., 16

أن يكون فى الوقت نفسه إنعكاساً للبيئة المادية والإجتماعية والثقافية والمواقف التى يمر بها الفرد .

ولعل هذا القول يذكرنا بما قاله « وليم جيمس » فى حديثه عن تنوع الذوات ، بأن لكل فرد منا ذوات متعددة بقدر ما هناك من جماعات متعددة من الناس تهتم بمعرفة رأيهم فينا أو بعبارة أخرى بقدر ما هنالك من مواقف متعددة نتعامل معها .

وليس من شك أن سلوك الفرد قد يتعدل حسب ظروف الموقف الذى يوجد فيه . وقد ذهب البعض إلى أن استجاباتنا لإختبارات المواقف أو الاستفتاءات أو أسئلة المقابلة قد تختلف حسب ظروف الموقف . فلو أن سؤالا مثل « هل تحب مخالطة الغرباء » قد وجه لشخص متقدم لشغل وظيفة تتطلب حسن التعامل مع الناس ، فقد يجيب بالإيجاب ، لا لشىء إلا للحصول على الوظيفة ، بينما قد يجب بالنفى لو أن نفس هذا السؤال قد وجه إليه طبيب نفسى يقوم بمعالجته ، لأن الغرباء يثيرون فى نفسه القلق والإضطراب ويجعلونه يحس بمشاعر النقص .

وهناك العديد من الأمثلة على إختلاف السلوك باختلاف المواقف . وهناك نزعة ملحوظة لدى الباحثين النظريين إلى القول بأن ليس ثمة « ثبات داخلى فى الشخصية » وأن كل شىء يتحدد بالموقف الذى يوجد فيه الفرد . وقد ذهب بعضهم إلى القول بأن لا معنى حتى لإجراء إختبارات الشخصية داخل الفصل أو داخل جدران المعمل ، لأنه ليس هناك ما ينبىء عما سيكون عليه سلوك هذا الفرد خارج الفصل او خارج المعمل أو فى مواقف جديدة غير متوقعة . وتجربة « هارتشورن وماى » على الأطفال تشير إلى ذلك . والفرد نفسه لا يعرف ما إذا كان يسلك بشجاعته أم ستخونه شجاعته ، هل سيتحمل مسئوليات جديدة أم سوف لا يقوى على تحمل هذه المسئوليات ومن هنا

يعطى هؤلاء اهتماماً كبيراً للمواقف المختلفة التى يوجد فيها الفرد . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن مثل هذه الآراء — ولو أنها تحوى جانباً من الحقيقة — إلا أنها لا تحوى الحقيقة كلها . فاختبارات الشخصية التى تجرى داخل جدران الفصل أو فى العيادات النفسيه تكشف عن قدر من الثبات فى الشخصية ينعكس أثره فى سلوك الفرد فى مواقف أخرى فى الحياة الخارجية أو فى المواقف الجديدة التى يمر بها .

وهناك حقائق ثلاثة أشار إليها البورت عند النظر فى محددات الموقف :

الحقيقة الأولى : أن معظم الناس عندما يواجهون بمواقف جديدة غريبة عليهم ، يميلون إلى التحفظ فى السلوك أو الإنسحاب أو بعبارة أخرى يميلون إلى تجنب إتخاذ موقف إيجابى نشط . أما فى المواقف المألوفة فأنهم يكونون عادة أكثر فاعلية ونشاطاً وتعبيراً عن أنفسهم . وفى ضوء هذه الحيقة فإننا نميل إلى تحقيق ذواتنا ، وإذا عجزنا عن ذلك — على نحو ما قد يحدث فى المواقف الغريبة — فإننا نميل إلى الانسحاب .

الحقيقة الثانية : أن صغار الأطفال « موقفيون » أكثر من الكبار . فهم يحيون الموقف المباشر الذى يمرون به فهم فى حالة مرحهم ، يمرحون بصخب ، وفى حاله خوفهم يخافون بشدة . كل ذلك حسب المواقف المباشرة وكأنهم يفتقرون إلى « الشخصية الداخلية » حتى يمرون بمثل هذه المواقف ، ومن الواضح أن الكبار عامة أقل خضوعاً للموقف من الأطفال .

الحقيقة الثالثة : أن معظم الناس يقومون بدور كبير فى خلق المواقف التى يستجيبون إليها فالشخص الذى يحب الحفلات والإجتماعات يسعى إلى عقد هذه الحفلات والإجتماعات . وقد يفسر مرحه وسروره بأنه نتيجة للموقف ولكن اليس الموقف نفسه نتيجة لعوامل تتصل بشخصيته هو أيضاً .

وباختصار أن المواقف التي نجد فيها أنفسنا ، غالباً ما تكون نتيجة مباشرة لشخصياتنا .

ولكن هل يمكن تحديد مقدار ما يرجع من السلوك إلى « الشخصية الداخلية » ومقدار ما يرجع منه إلى « الموقف الخارجي » وإخضاع ذلك إلى الدراسة التجريبية ؟ .

لنفرض أننا جمعنا مجموعة من الناس فى مكان واحد واعطيناهم عملا مشتركاً لأدائه ، فإننا نلاحظ ميل البعض إلى تزعم الجماعة وقيادتها وميل البعض الآخر إلى اتخاذ موقف التبعية . فهل القيادة والتبعية هنا ترجع إلى سمات معينة فى الشخصية أم هى نابعة عن الموقف الذى يوجد فيه الفرد .

وفى مجموعة الدراسات الدقيقة التى قام بها « مان Mann » انتهى إلى أن « الشخصية الداخلية » هى بالطبع شرط القيادة والزعامة بالنسبة للفرد . فالأذكياء ، حسنو التوافق والذين يسهل عليهم الاندماج مع الآخرين ، هم أكثر ميلا إلى أن يصبحوا قادة فى الجماعة ويدعم مثل هذا القول وجود سمات أخرى مثل السيطرة والذكورة وغيرها . ورغم نظرتنا إلى مثل هذه الإتجاهات ، على أنها أتجاهات صحيحة إلا أنها ليست صفة العمومية بحال من من الأحوال . « فالشخصية الداخلية » هى أحد العوامل المحددة للقيادة ، ولكنها ليست بالتأكيد العامل الوحيد فالموقف الذى يوجد فيه الفرد يلعب دوراً هاماً فقد يكون الفرد قائداً فى موقف ، تابعاً فى موقف آخر ، رغم توفر شروط القيادة لديه فى كلا الحالين . وفى المواقف غير المتشكلة - كالمناقشات المفتوحة مثلا — فإن سمات الشخصية تكون أكثر وضوحاً فى تحديد الدور الذى يقوم به الفرد أما فى المواقف التى تتصل بمشكلات فنية أو ميكانيكية ، فإن دور السمات الشخصية فى هذه الحالة يكون أقل .

وإذا كانت الشخصية (كنظام من السمات الداخلية) ليست هي المحدد الوحيد للسلوك فى الجماعات الصغيرة ، فما الذى نحتاج إلى معرفته أيضاً من أجل التنبوء بدقة بما سيقوم به الفرد من سلوك .

لقد وجد « كوش » أن هناك علاقة ثابتة (ولكن ليست كبيرة) بين حاجات الفرد وسماته وبين مايقوم به داخل الجماعات . وكانت السمات التى قاسها تتضمن القلق والتعبير الانبساطى عن الانفعال والعدوان والسيطرة والمسايرة والتفاؤل .

حقيقة إن من المفيد معرفة موضع الفرد من هذه السمات ، ولكن لكى يكون التنبوء بما سيكون عليه سلوك الفرد وسط جماعة ما ، على درجة كبيرة من الثقة، يلزم أن نعرف أيضاً : (ا) الأساليب الدفاعية التى يستخدمها الفرد (ب) كيف يدرك الآخرين فى الجماعة ؛ هل يحبهم وهل يظن أنهم يشبهونه ؛ هل يظن أن الجماعة جديرة بالتقدير ؛ (جـ) ما الضغط الفعلى الواقع عليه ، هل ينتظر منه قيادة الجماعة أو ما هو الدور الذى يقوم به داخل هذه الجماعة .

إذن يلزم معرفة محددات الموقف إلى جانب معرفتنا بسمات شخصية الفرد من أجل أن يكون التنبؤ بالسلوك أكثر دقة . ومن هنا يذهب البورت إلى وضع شروط أربعة لنتمكن من التنبؤ بما يستطيع الفرد القيام به فى موقف من المواقف .

١ — خصائص الشخصية المستمرة .

٢ — الأساليب الدفاعية التى يستخدمها الفرد ودرجة تخليفه لذاته .

٣ — كيف يدرك الموقف الراهن ومقدار تبينه لهذا الموقف

٤ — ما الدور الفعلى الذى يقوم به فى الموقف وما الدور المنتظر منه القيام به(١) ،

وبشىء من التعمق نلاحظ أن الشرطين الثالث والرابع يتوقفان على الشرطين الأول والثانى . فلا يمكن لشخص ما أن يدرك الموقف الراهن أو أن يقوم بما يتطلب منه فعلا ، إلا فى ضوء قدراته وإستعداداته أى أن الشخصية ذاتها تعتبر عاملا متضمناً فى الموقف ذاته .

وقبل أن نختتم حديثنا عن الموقف ، يمكن أن نشير إلى أن محددات الموقف ، قد تتضمن أشياء يمكن أن تتكرر مرات عديدة ، مثلما تتضمن أشياء قد تحدث مرة واحدة . فمن المعروف لنا جميعاً أن اكتمال جماعة الأسرة يلعب دوراً هاماً فى تشكيل شخصية الفرد وهذه التأثيرات الأسرية ترتبط بما تقرره الثقافة من أدوار يقوم بها الآباء والأبناء لكن قد تحدث أحداثاً فردية ليست ذات طابع عام ، ومع ذلك يكون لها تأثير محدد بالنسبة لشخصية الأفراد . من ذلك مثلا الطلاق أو كون الأب متقدماً فى السن على الأم بكثير ، أو أن عمل الأب يقتضيه التغيب عن البيت افترات طويلة من الزمن أو كون الطفل هو الطفل الوحيد أو الطفل الأول أو الطفل الأخير أو كونه الذكر الوحيد على مجموعة من الأناث أو الأنثى الوحيدة على مجموعة من الذكور . فمثل هذه المواقف الخاصة تلعب دوراً هاماً كذلك فى تحديد شخصية الفرد .

توافق المحددات بعضها على بعض :

تلك هى المحددات الأربعة للشخصية كما وضعها كلوكهون وموري وشليدر وهى المحددات التكوينية ومحددات عضوية الجماعة ومحددات الدور ومحددات الموقف ولكن هذه المحددات لا تعمل مستقلة إحداها عن الأخرى بل تعمل متوقفة أحدها على الأخرى فهناك أرتباط واضح بين هذه العوامل بعضها وبعض

(1) Allport, G. : Pattern and Growth in Personality. New York, Holt, 1961. p. 179-180.

وهذا الإرتباط يتضح لنا فى عديد من الأمثلة . فالعلاقات بين المحددات الثقافية والدور والمحددات التكوينية تتضح حين نلاحظ مثلا أن الطفل فى كل مجتمع يتطبع إجتماعياً بصورة مختلفة حسب جنسه ذكراً أو أنثى وكذلك حسب سنه . ومن هنا نجد تمايزات بين شخصيات الرجال والنساء من ناحية وبينها وبين شخصيات الأطفال الكبار والصغار من ناحية أخرى .

كما أن العلاقة ظاهرة وواضحة بين المحـــددات التكوينية والمحددات البيئية والثقافية والإجتماعية . فتكوين الإنسان نفسه حيوان ثديى له القدرة على إنتاج الجنسين ، يخلق لديه الإستعداد الأساسى لإرساء مبادىء الحياة الإجتماعية كما أن طفولة الإنسان الأولى وما هى عليه من ضعف وما تحتاج إليه من رعاية طويلة الأمد لعلها أطول مدة طفولة بين الكائنات الحية جميعها، تدفع الإنسان إلى تكوين الجماعات الأسرية . ومن خلال قيام هذه الجماعات الأسرية تحدث عملية اجتماعية مختلفة كالتلاؤم والتنافس والميل إلى المشاركة وغيرها ، وجميعها تتم داخل الإطار الثقافى للأسرة التى يعيش فيها الطفل .

ثم إن الإتجاهات التى تظهر فى المجتمع نحو بعض أفراده أو بعض جماعاته كالإتجاهات نحو النساء والأطفال والعجزة والمسنين والضعفاء ، سوف تتأثر أيضاً بعوامل كالسن والجنس ، كما تتأثر أيضاً بنسبة المواليد والوفيات السائدة فى وقت معين وبالإطار الثقافى السائد فى المجتمع .

والأرتباط واضح أيضاً بين المحددات التكوينية وكل من عضوية الجماعة ومحددات الموقف . ورغم أن التوائم المتشابهة قد تختلف بدرجة قليلة جداً من الناحية التكوينية والبيولوجية وأنها تشارك فى أنشطة الجماعة التى تبدو متشابهة فى الظاهر ، فإن العامل الموقفى قد يحدث آثاراً مختلفة فى خبرات كل منها ، فى تفاعله الإجتماعى مع الجماعة . فلو أن أحد التوأمين فصل عن أخيه لسبب أو لآخر ، ونشأ فى بيئة تختلف كثيراً عن بيئة أخيه ولقى تعليماً

مدرسياً عالياً بينما حرم الآخر من هذا القدر من التعليم ، فإن الإحتمال كبير أن نجد أختلافاً واضحاً بينهما فى خبراتهما رغم تقاربهما فى النواحى التكوينية والذكاء .

المحددات خارج الأسرة :

ومن الملاحظ أن معظم علماء النفس الذين اهتموا بدراسة محددات الشخصية ، قد ركزوا اهتمامهم على الفرد والمحددات البيئة داخل نطاق الأسرة ، على حين أن هناك عوامل أخرى كثيرة خارج الأسرة تسهم بدور فعال فى تحديد خصائص الشخصيه . وهذه العوامل كثيرة ومتعددة وتتفاعل بدورها مع غيرها من المحددات . وسوف نقصر الإشارة هنا على ثلاثة من هذه العوامل تلعب دوراً هاماً فى تشكيل شخصية الطفل وتسهم بدور فعال مع الأسرة فى القيام بذلك وهذه العوامل هى : ١ — المدرسة والمدرس ؛ ٢ — جماعة الرفاق أو الشلة ؛ ٣ — وسائل الإعلام المختلفة .

١ — المدرسة والمدرس :

والمدرسة هى البيئة الثانية ذات التأثير المباشر فى الطفل بعد الأسرة . وتهتم الدول الحديثة اليوم أن يمر كل طفل فيها على الأقل بمرحلة الإلزام حتى يتلقى الحد الأساسى من المعرفة الذى يجب أن يتلقاه كل مواطن . ولكن تأثير المدرسة لا يقف عند حد مرحلة الإلزام ، بل يستمر بعدها إلى المرحلة الاعدادية والثانوية والجامعية .

وثمة مجموعة كبيرة من العوامل تؤثر تأثيراً واضحاً فى نجاح الطفل فى هذه البيئة الثانية . ولعل أهمها المقدرة اللغوية والذكاء وتفاعل التلميذ مع الآخرين وإحساسه بالنجاح أو الفشل . فاللغة هى الوسيلة الأساسية للتفاهم بين التلميذ ومدرسيه وزملائه ، كما أنها الوسيلة الأساسية لنقل الثقافة والخبرة . فالكلمات

هى أدوات نقل المعرفة ، وعن طريقها يحاول المدرس أن ينمى أنماط السلوك المرغوب فيها لدى الطفل . وبالإضافة الى المقدرة اللغوية ، فإن الذكاء أو القدرة العقلية العامة تساعد الطفل على حسن التكيف ومسايرة المستوى التعليمى المطلوب وأنه ينمى شخصيته فى ضوء تفاعله الناجح مع هذه البيئة . ومن الواضح أن التلاميذ الأغبياء ومن هم دون المتوسط فى الذكاء قد يجدون صعوبة فى التكيف مع هذه البيئة المدرسية ، ومن ثم فإنهم يحتاجون إلى تعليم من نوع خاص . وبالإضافة لما تقدم من عوامل هناك التفاعل مع الآخرين ومدى مشاركة التلميذ فى النشاط داخل الفصل وخارجه واحساسه بالكفاية نتيجة النجاح فى الدراسة ومن المعروف أن النجاح يولد النجاح عند الطفل ، أما الفشل فقد يشعره بالنقص وقد يدفع به إلى اتخاذ أساليب دفاعية أخرى أو أن يسلك سلوكا جانحاً أحياناً .

وشخصية المدرس من العوامل الهامة ذات التأثير البالغ فى شخصية التلميذ داخل الفصل وخارجه فهو الشخص الثانى الهام بعد الأب الذى يكون له تأثير فعال عند الطفل كما أن الطفل يحاول أن يتوحد لا شعورياً مع المدرس . ويتفق الجميع تقريباً على قبول فكرة أن المدرس بسلوكه يعتبر نموذجاً يحتذيه الطفل . وكثيراً ما يتعرض المدرس للنقد من جانب الآباء إذا انحرف فى سلوكه عن المعايير الدقيقة التى يجب أن يتحلى بها أو يجب أن يكون عليها فى نظر الآباء .

ولكن هل إلى هذا الحد تؤثر شخصية المدرس فى شخصية تلميذه . تذهب « مارى أمانورا » فى دراسة لها نشرت ١٩٥٤ — وأشار إليها بوهمان وواش فى كتابهما الشخصية (١٩٦٢) — إلى أن التلاميذ ومدرسيهم يميلون إلى تبعية شخصية متشابهة فقد قامت بتطبيق مجموعة من مقاييس التقدير ، على عدد من المدرسين والتلاميذ ، تقيس ٢٢ سمة من سمات الشخصية .

أما المدرسون فقد قام بتقديرهم ثلاثة أو أربعة من زملائهم بينما التلاميذ فقد قام ثمانية منهم بتقدير زملائهم فى جزء من البحث ، وقام مدرسوهم بذلك فى جزء آخر ووفق نفس المقاييس . وقد وجدت إرتباطات دالة ولكنها ليست مرتفعة ، مما يوحى بوجود قدر من التشابه بين شخصية التلميذ ومدرسه . إن المدرس النشط قد يستثير النشاط فى تلاميذه ويبعثهم إلى الميل الإجتماعى والتعاون والمثابرة وغيرها من الصفات .

ولا يمكن بالطبع أن نقلل من أثر المدرس على التلميذ . فهو مصدر سلطة بالنسبة إليه . وغالباً ما يتقبل التلميذ أفكار استاذه وآراءه دون تمحيص أحياناً . وفى تجربة أجريت على ١٧٣ طفلا ممن تقع أعمارهم بين السابعة والثالثة عشر ، طلب من الأطفال المقارنه بين ثلاثة خطوط مختلفة الطول وخط معيارى ثابت وتقرير أيها مساو بالضبط للخط المعيارى الثابت وكان كل طفل يقوم بالتجربة بمفرده ويسجل أجاباته كتابة . وفى جزء ثان من التجربة شارك فيها ٦٧ طفلا من هؤلاء الأطفال وكان كل طفل يجلس فى هذا الجزء من التجربة إلى جوار أحد اساتذته . وكان هناك اتفاق سابق مع الاستاذ أن يعطى أجابات خاطئة فى سبع مجموعات من الأثنى عشرة مجموعة التى يجرى عليها التجربة . فإن غير الطفل إجاباته فى هذه المجموعات السبعة ، اعتبر ذلك دليلا على أنه يتبع رأى مدرسه ويغير من أجاباته السابقه المدونة . وقد وجد أن حوالى ٤٣ ٪ من الأطفال غيروا رأيهم واتبعوا رأى مدرسيهم . بينما الآخرون لم يسايروا بطريقة عمياء أساتذتهم . وقد كشفت الدراسة أيضاً أن صغار الأطفال أكثر تأثراً بأحكام مدرسيهم من الأطفال الكبار وإذا كانت التجربة قد أوضحت وجود بعض الإتفاق والإختلاف بين التلاميذ ومدرسيهم فى عملية الإدراك الحسى ، إلا أن الأمر داخل الفصل قد يختلف عن ذلك كثيراً . فقلما يناقش التلميذ

صدق المعلومات الدراسية التي يقدمها له استاذه، وقلما يُعمل عقله أو حواسه فيما يقدمه المدرس من علاقة ويتقبل هذه المعارف على أنها حقائق ثابتة لاتقبل المناقشة . ومن ثم يتقبلها دون تمحيص فى أغلب الأحيان ومن هنا يتضح لنا مـــدى التأثير الذى يحدثه المدرس فى التلاميذ وخاصة بالنسبه لصغارهم .

٢ — جماعات الرفاق :

ومع نمو الطفل إجتماعياً ، تتسع دائرة إتصالاته . فيخرج من نطاق الاسرة واللعب داخل المنزل مع إخوته ، إلى جماعات الأصدقاء والرفاق خارج المنزل . ويولى الآباء إهتماما كبيراً باصدقاء أبنائهم وزملائهم فى اللعب نظراً لما لهؤلاء من تأثير ملحوظ فى سلوك أبنائهم . وتقتصر صداقات الطفل فى مرحلة ماقبل المدرسة على جيرانه ممن هم فى مثل سنه . وقد يصبح الأولاد فى هذه المرحلة تحت الإشراف المباشر للآباء ولكن ما أن ينمو الطفل ويدخل المدرسة الإبتدائية حتى يقل الإشراف المباشر للآباء وتزداد فرص تأثر الطفل برفاقه بشكل أكثر .

والطفل فى المدرسة الإبتدائية ، تدور علاقاته المتبادلة مع الآخرين حول قطبين : مدرسيه وزملاء فصله . وهو وإن تأثر كثيراً بمدرسه إلا أنه ينظر إليه عادة على أنه شخص كبير ، وأنه مصدر سلطة ، وأنه يخافه ويرهبه . أما زملاء الفصل فهم شيء آخر بالنسبة له ، وارتباطه بهم يختلف عن إرتباطه بمدرسه . وإذا كان تأثير المدرس يظل ساعات خلال اليوم الدراسى أو العام الدراسى. فتأثير الزملاء قد يستمر طويلا حيث ينتقل الأطفال فى الأغلب معاً من سنة إلى أخرى ويستمر إتصالهم ببعض سنوات عديدة .

وليس ثمة شك أن تأثير الشلة فى بعض الأحيان يكون أقوى من تأثير

الكبار أو الوالدين على الطفل فلو حدث صراع بين معايير الكبار ومعايير الشلة ، فإن الطفل يكون أميل إلى مسايرة معايير الشلة . وقد ينظر إلى ذلك على أنه توكيداً لإستقلاله فى النمو عن الوالدين ، ولكن يمكن النظر إليه أيضا باعتباره إرتباطا بالشلة وحتى لايشعر بالعزلة عن الجماعة التى ينتمى إليها .

وتقبل جماعة الرفاق للطفل له تأثير قوى فى نموه الإجتماعى . ويبدو أن الفرد لديه حاجة ملحة لتقبل الآخرين له ، وأن هذه الحاجة هى التى تدفعه إلى أن يحاول باستمرار إلى الإرتباط بالجماعة ومسايرتها وعمل ما يعتقد أن الجماعة تريد عمله .

٣ — وسائل الإعلام :

ووسائل الإعلام الحديثة أصبحت تلعب دوراً هاما فى تنمية شخصية الأفراد والتأثير فيهم بشكل ملموس . وليس من السهل التحكم فى الوسائل الكبرى للإعلام من كتب ومجلات وصحف وإذاعة وتلفزيون وسينما وغيرها . والمعرفة التى لدينا عن كيفية تأثير وسائل الإعلام المختلفة فى الشخصية لاتزال تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث ، كما لاتزال البحوث الخاصة بتأثير التلفزيون على شخصية الطفل فى بدايتها . ولكن طالما ان هذه الوسائل تحيط بنا جميعاً وتحدث أثرها بصورة أو باخرى ، فلا بد من دراستها وبحثها وإن كانت الحقائق التامة لاتزال تحتاج إلى مزيد من البحث .

الكتب والمجلات والصحف :

إن تأثير القراءة واضح فى تكوين عقلية الفرد وشخصيته ونحن كثيراً ما نميل إلى تصديق الكلمة المكتوبة أو المطبوعة فى كتاب أو صحيفه . وسن التحصيل هى السن التي يكون فيها الفرد عادة أكثر استعداداً لاستيعاب

الكثير من المعلومات التي في الكتب . ويقل الإهتمام بالقراءة إلى حد ما ، بعد أن يبدأ الفرد يكسب قوته وتشغله شواغل الحياة ، لدرجة تقتصر معها قراءة البعض على المجلات والصحف اليومية التي تعالج موضوعات يميل إلى قراءتها .

وليس من شك أن القراءة هي التي تفتح أبواب المعرفة أمام الطفل ، وقد توحى له بسلوك الدور الذى لم يكن قد فكر فيه بدونها ، قد توحى له بالمراكز التي يأمل الوصول إليها يوما ما عندما يكبر . وقد يبدأ في إعداد نفسه لها ، ومن ثم تساهم القراءة في تنمية نظام القيم عنده . وبعبارة أبسط ، أن القراءة توسع من مدارك الفرد وتوقفه على كثير من حقائق العالم المحيط به . والكتب لها تأثير واضح كذلك على اتجاهات القارىء . وعندما تكون الآراء والأفكار التي يقدمها الكتاب لا تتفق وإتجاهات القارىء أو إتجاهات الجماعة التي ينتمي إليها فإنها قد تثير عنده موجة من النقد .

التلفزيون والسينما والراديو :

قلما تتحدث اليوم عن أثر الإذاعة في سلوك الفرد وتنمية شخصيته . ولكن الإهتمام يتركز في الوقت الحاضر على السينما والتلفزيون وبخاصة هذا الأخير باعتباره الشاشة الصغيرة التي دخلت معظم البيوت والتي يتجمع حولها الأطفال والتي يتأثرون بها تأثراً مباشراً في كثير من الأحيان . وقد ترتفع من حين لآخر أصوات تحذر من الآثار الضارة التي تتركها هذه الوسائل البصرية والسمعية الحديثة في عقول الصغار وما قد يترتب على ماتعرضه من مناظر في نفوس المراهقين والشباب . ولكن لنتساءل هل حقيقة لهذه الوسائل البصرية السمعية كل هذا التأثير القوى ؟

ليس ثمة شك أن الوسائل السمعية البصرية قد أخذت تحدث أثرها

كوسائل تعليميه هامة طالما أنها موجهة نحو أهداف تعليمية مرسومة . ولكن الجدال يدور حول مايعرضه التلفزيون عادة ، والبحوث لاتزال قليلة فى هذا الصدد . إن المعارضين للتلفزيون — وهم قلة الآن بعد أن أصبح وسيلة الترفيه فى البيت — يذهبون إلى أن له مساوىء من الناحية الجسمية والخلقية والتربوية والإجتماعية . إذ يحبس الطفل بين جدران أربعة ويحرمه لفترة طويلة من الزمن من الخروج فى الهواء الطلق . كما قد يعرض عليه أفلام الجريمة والعنف والسرقة والجنس مما قد يحدث انطباعا سيئا فى نفوس الصغار . ثم أن الطفل بالإضافة إلى كل ذلك يكون مشاهدا مستقبلا وسلبيا لايقوم بأى نشاط إيجابى ولايكتسب خبرات إجتماعية كتلك التى يمكن أن يكتسبها من اللعب مع زملائه . أما المؤيدون فيذهبون إلى أن التلفزيون يوسع من مدارك الطفل ويفتح أفاق المعرفة أمامه ويخلق لديه الكثير من الإهتمامات ويستثير لديه الأفكار المتنوعة العديدة ويثرى خياله ويجعل الروابط بين أفراد الأسرة أقوى خلال الإجتماعات التى يحضرونها معا ، إلى آخر هذه الأفكار التى تشير إلى أن هذه الوسائل الحديثة إذا أحسن توجيهها يكون لها تأثير قوى على شخصية الطفل .

الفصل السادس

نمو الشخصية

ونحن حين نتحدث عن نمو الشخصية فإننا نعنى ضمنا أنها ظاهرة تكوينية وأنها عملية نمائية مستمرة ، وأن هناك نظاما تتابعيا من التغيرات التى تطرأ عليها خلال مراحل نموها وتطورها ونحن فى دراستنا لهذا النمو ، نتتبع ظهور هذه التغيرات وتطورها ابتداء من المراحل الأولى للحياة حتى الكبر وقد ينصرف الذهن عند الحديث عن النمو إلى المراحل الأولى من حياة الفرد ابتداء من الطفولة المبكرة حتى المراهقة ، على اعتبار أن معظم تراكيب الشخصية تظهر وتتشكل خلال هذه السنوات الأولى من الحياة . لكن زاد الإهتمام أخيراً بالمراحل التى تلى المراهقة نظراً لكثرة المشكلات الإجتماعية والعملية المرتبطة بتقدم السن . والحقيقة أن بناء الشخصية متغير ومتطور باستمرار . وحتى مع كون التغيرات التى تحدث فى الحياة المتأخرة هامشية وبطيئة إلا أنه من الناحية المنطقية على الأقل ، يجب أن نهتم بها كذلك . فالحياة متصلة ، وما التقسيم إلى مراحل سوى أمر افتراضى نلجأ إليه فحسب بقصد التوضيح وتسهيل الدراسة .

دراسة نمو الشخصية :

يشير لازاروس (1) إلى أن دراسة النمو يمكن أن تسير فى اتجاهين يكمل إحدهما الآخر .

الأول : يركز على وصف التغيرات التى تطرأ خلال فترة زمنية معينة

(1) Lazarus, Richards. S. : Adjustment and Personality. (New York Mc Graw- Hill Book ComPany. 1961.

بالنسبة لخصائص أو تراكيب معينة ، وذلك على نحو ما تفعل النظرة الوصفية أو الشكلية فى النمو .

الثانى : يركز على دراسة الظروف الواقعية التى تؤثر فى اكتساب ونمو هذه الخصائص أو التراكيب وسوف نوضح كلا منهما ، وكيف يكمل أحدهما الآخر .

الاتجاه الأول يهتم أساسا بوصف التراكيب ونموها وتطورها والتغيرات العادية التى تطرأ عليها خلال مراحل نمو الفرد . وهذه التغيرات ينظر إليها عادة على أنها تحدث بطريقة منتظمة ، وليست بطريقة عارضة ؛ كما أنها يمكن أن تصنف وفق مراحل منتظمة كذلك . ورغم وجود فروق فردية واضحة بين الأفراد فى سرعة ونمط التغير ، إلا أن جميع الأفراد يمرون بنفس المراحل . وهذا التطور الذى يطرأ على التراكيب يخضع لقوانين بيولوجية عامة فهو يتبع نمطا عاما فى الظهور عند الكائن الحى ، كما أن من الممكن صياغة المبادىء العامة التى يسير عليها النمو سواء بالنسبة للكائنات الحية عامة أو الإنسان خاصة .

ويتضح هذا الإتجاه فى كثير من الدراسات البيولوجية والفسيولوجية وغيرها . فهو يمثل طريقة لتصنيف ملاحظات معينة يقوم بها العلماء على الكائنات الحية العضوية وأنسجتها فى ضوء مبادىء عامة للنمو . فمن الممكن مثلا أن نتتبع — على نحو ما فعل دارون — تطور الأشكال البيولوجية ابتداء من الكائنات الحية العضوية الدنيا إلى الكائنات الأكثر تطورا وتقدما . فمع التغيرات التى تطرأ على التراكيب التشريحية ، يمكن أن نلاحظ تغيرات مصاحبة فى نوع الوظائف التى تقدر هذه الكائنات الحية على أدائها والقيام بها فتنوع السلوك التوافقى مثلا يزداد بانتظام مع تطور الأنواع وتقدمها .

وبالمثل يمكن أن نفيد من هذا الإتجاه فى مجال الدراسات النفسية ، وفى

دراسة الكثير من العمليات كظهور العمليات الإدراكية والذهنية والحركية وتطورها ونمو الذكاء ونمو أساليب التكيف وغيرها . ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى الدراسات التى قام بها هاينز فرنر Heinz Werner وجان بياجيه Jean Piaget وغيرهما . فقد ذهب فرنر فى دراسته للنمو المعرفى إلى أنه يسير من العمومية والإبهام إلى زيادة التمايز والتخصيص حتى يبلغ درجة عالية من التكامل . ومن الممكن أن نجد فى سلوك الفرد ما ينطبق عليه مثل هذا القانون البيولوجى العام . فالطفل الصغير لا يكون فى بداية أمره قادراً على أن يميز الأشياء فى البيئة أو أن يميز نفسه عنها . ثم هو بالتدريج يبدأ يميز الأشخاص عن الأشياء والجمادات ، كما يمكنه بعد ذلك أن يتعرف على الأشخاص وحالاتهم المزاجية المختلفة ثم يمكنه أخيراً أن يدرك نفسه باعتباره متميزاً عن الذوات الأخرى المحيطة به . وكذلك الحال لو نظرنا إلى النمو الحركى عند الطفل نجد أن حركات الطفل تكون عامة ثم تبدأ بعد ذلك فى التخصص والتمايز . فالطفل الصغير حين يريد القبض على شىء ما ، إنما يتحرك بكل جسمه ، ولكن مع النمو يبدأ يستخدم اليدين ثم أطراف الأصابع فى عملية القبض . والأمر بالمثل بالنسبة لعملية أخرى كالكتابة .

وقد قام بياجيه بالعديد من الملاحظات والتجارب البسيطة على الأطفال ودرس الكثير من الأفكار التى تدور بذهن الطفل ، كما درس تطورها مع تقدم السن فدرس فكرة الزمان والمكان والعلية وغيرها . ولاحظ مثلا أن الطفل يعتقد من مشاهداته للقمر أن القمر يسير معه حيثما سار ، مما يشير إلى نوع من الخلط بين الذات والموضوع الخارجى ، كما لاحظ أيضا أن الطفل فى مرحلة ما من مراحل نموه ، يمكنه أن يميز تمييزاً صحيحاً بين يمينه وشماله ولكنه لا يمكنه أن يحكم حكما صحيحاً على يمين أو شمال شخص آخر يقف تجاهه ، فالطفل فى المراحل الأولى من النمو لا يستطيع أن يفصل

بين ذاته والأشياء الأخرى ويتصور نفسه يدور فى المكان . فإدراك الطفل وفهمه للمكان أدنى من النوع والذاتى المركز (١) Egocentric حسب الإصطلاح الذى وضعه بياجيه نفسه ، ويعنى به أن حكم الطفل يقوم على اتجاه جسمه هو بالنسبة للعالم ؛ ثم مع استمرار النمو يمكنه أن يرتب الأشياء إدراكيا فى المكان بصرف النظر عن وضع جسمه هو .

وهكذا يتضح لنا أن الاتجاه الأول فى دراسة النمو يتميز بالبحث عن التتابعات النمائية المنتظمة لعمليات النمو ووصف العمليات المتضمنة فيها بوجه عام دون محاولة البحث عن الأسباب العلية التى أدت إلى حدوثها أو الظروف التى تحدث فيها فهو لا يسأل نفسه ما هى الظروف التى تؤثر فى تقدم أو إعاقة التغيرات المميزة للنمو . فلا يسأل مثلا عن العوامل الفسيولوجية أو البيئية التى تعجل أو تحرف مظهراً من المظاهر النمائية . ومن هنا ، كان من الضرورى — لتكملة فهمنا لكيف ينمو بناء الشخصية — أن يظهر إتجاه آخر يهتم بدراسة الظروف والعوامل المؤثرة فى عملية النمو ، ومن ثم ضرورة الاهتمام بالمحددات المختلفة البيولوجية والاجتماعية لنمو الشخصية ومن الممكن أن نوضح ، بمثال مستمد من نظرية فرويد فى النمو النفسى الجنسى ، الفرق بين الاتجاهين وارتباط أحدهما بالآخر .

إن نظرية فرويد من الناحية الوصفية أو الشكلية تصادر على وجود مراحل نمائية عامة للغريزة يمر بها كل فرد ويستدل عليها من أنماط السلوك التى يكشف عنها الطفل خلال السنوات الأولى من حياته . ويسير هذا التقدم والنمو بشكل عادى يخضع لقانون بيولوجى عام ويمر فى مراحل منتظمة إبتداء من المرحلة الفمية حتى المرحلة التناسلية ماراً بالمرحلة الشرجية

(١) د . سيد محمد غنيم : اللغة والفكر عند الطفل . الكويت عالم الفكر ، المجلد الثانى العدد الأول ، ابريل — يوليو ١٩٧١ .

والقضيبية على نحو ما هو معروف لنا جميعاً فى نظرية فرويد للنمو النفسى الجنسى .

ولكن فرويد لم يقف مع ذلك ، عند حد الوصف ، بل وجه انتباهه إلى بعض العوامل والظروف الاجتماعية التى يمكن أن تعوق أو تحرف هذا المسار الطبيعى للغريزة . فالتدليل الزائد عن الحد والحرمان الزائد عن الحد من العطف والحنان خلال مراحل نمو الطفل ، قد يكون له آثاره الضارة على النمو النفسى للطفل ، وبالتالى على نمو شخصيته فيما بعد . فإذا استمرت الأم مثلا فى طريق التدليل الزائد بإشباع حاجة الطفل الفمية عن طريق الاستمرار فى الرضاعة إلى ما بعد السن الذى كان من المفروض أن تتوقف عنده الرضاعة بوقت طويل ، فإن تقدمه ونموه وانتقاله إلى المرحلة التالية — وهى المرحلة الشرجية — يمكن أن يعاق . وهذه الإعاقة قد تزداد نتيجة الخبرات المؤلمة والشديدة التى قد تصاحب المرحلة الشرجية كاتخاذ أساليب شديدة فى تدريب الطفل على ضبط عمليات الإخراج مثلا . بينما يسير جزء من الطاقة الحيوية الدافعة (الليبدو) إلى الأمام نحو المرحلة الشرجية ، إذ بجزء أكبر منها يظل ثابتا عند المستوى الفمى . وقد يكشف عن مصاحبات نفسية معينة تظهر آثارها واضحة فى سلوك الفرد وشخصيته .

أما ما هى هذه العوامل التى تؤثر فى النمو ، فإن من الممكن ردها إلى عوامل تكوينية وأخرى بيئية واجتماعية .

وفى حديثنا عن محددات الشخصية أشرنا إلى هذه العوامل التكوينية ، كما أشرنا إلى الدور الذى تلعبه الوراثة فى هذه الناحية وإلى الأساليب المختلفة التى تتبع فى مثل هذه الأحوال كدراسة تاريخ حياة بعض الأسر التى تتميز بخصائص وصفات معينة كأسرة الجوكس التى تميز أفرادها بالخروج على القانون

وارتكاب الجريمة ، وأسرة الـكاليكاك التي أتاحت دراستها نوعاً من المقارنة المثمرة بين فرعين مختلفين من أسرة واحدة ينتميان إلى جد واحد هو مارتن كاليكاك ، وكان أحد الفرعين يتميز أفرادها بالضعف العقلي والانحراف ، بينما كان الفرع الآخر عادياً . كما أجريت دراسات أخرى على أسر تميز أفرادها بالعبقرية . وبالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك الدراسات التي أجريت على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والإخوة العاديين ومن لا تربطهم ببعض أية رابطة قرابة .

وإلى جانب الدراسات الخاصة بالوراثة ، كانت هناك دراسات أخرى عن أثر العوامل الفسيولوجية في السلوك ، وهذا التأثير قد يكون مباشراً أو غير مباشر . ففي التأثير المباشر يمكن أن يتعدل السلوك العادي أو يتغير نتيجة تلف يصيب الأنسجة أو وظائف أو تركيب الجهـــاز العصبي . فاضطرابات عمليات الهدم والبناء التي تنشأ عن نقص إفرازات الغدد قد تؤثر بشكل ظاهر في السلوك : كالقلق الزائد أو التبلد والخمول . كما أن تلف أنسجة المخ نتيجة إصابات عضوية أو مرض (كالزهري مثلا) قد يحدث فساداً في السلوك التوافقي للفرد ، وبالتالي قد يحدث تغيرات ملحوظة في علاقة الفرد بالآخرين .

أما التأثير غير المباشر فيتضح أثره عندما لا تحدث العوامل الفسيولوجية المتضمنة آثاراً سلوكية معينة ، وإنما يكون لها نتائج وآثار اجتماعية تؤثر بدورها في شخصية الفرد وتغير من سلوكه ، فالإعاقة الجسمية مثال واضح لهذا التأثير غير المباشر . فقد تحدث استجابات مختلفة في الآخرين تجعل المعوق يشعر بالعجز ويحاول تعويض القصور عنده أو الإنسحاب من تكوين روابط اجتماعية أو التمسك بأهداب أحد أساليب التكيف العديدة .

وقد سبق أن أوضحنا أيضاً أن العوامل الفسيولوجية والتكوينية لا تحدث أثرها وحدها في نمو الشخصية ، بل هناك أيضاً العوامل البيئية

والإجتماعية . فالشخصية دالة أو وظيفة لهذين العاملين معاً على نحو ما أوضح البورت وغيره من الباحثين . وقد أدى زيادة الإهتمام بدراسة كل عامل على حدة إلى إغفال الأهمية النسبية للعامل الآخر والتفاعل المتبادل بينهما . فعالم النفس الفسيولوجى يميل إلى التركيز على ناحية الدراسة المستقلة للتغيرات الفسيولوجية ، بينما يميل عالم النفس الإجتماعى إلى التركيز على ناحية الدراسة المستقلة للعوامل الإجتماعية رغم معرفة كل منهما بالدور الهام الذى يحدث نتيجة التفاعل المتبادل بين هذين العاملين .

وفى دراستنا للمحددات الإجتماعية للشخصية أشرنا إلى محددات عضوية الجماعة ومحددات الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة ثم محددات الموقف . ومن الممكن أن نضيف هنا نقطتين : الأولى تتصل بطبيعة ومدى تأثير هذه العوامل فى السلوك وبالتالى فى نمو الشخصية والثانية تتصل بكيفية انتقال هذا التأثير .

أما فيما يتصل بطبيعة ومدى تأثير هذه العوامل الإجتماعية فى نمو الشخصية ، فإن النمط الثقافى كمكل له تأثير واضح فى سلوكنا وفى نمو شخصياتنا زمانياً ومكانياً . فالأنماط الثقافية — من الناحية الزمانية — قد تغيرت وتتغير باستمرار : فما كان مناسبا لزمان مضى ، قد لا يناسب الزمن الحاضر والمرأة إلى عهد قريب لم يكن لها حق التصويت فى كثير من بلدان العالم وكانت تفرض القيود على حريتها فى الحركة والعمل وعلاقاتها المهنية والزواج وهذه التغيرات الزمانية التى طرأت على النمط الثقافى العام ترتبط بتغيرات فى السلوك وفى خصائص الشخصية الأفراد الذين عاشوا ويعيشون تلك الحقب الزمانية المختلفة .

وإلى جانب الإختلاف الزمانى للأنماط الثقافية ، هناك البعد المكانى .

ولعل أحد الواجبات الهامة لعلماء الأنثروبولوجيا هو الكشف عن هذه الثقافات المختلفة فى أنحاء العالم ووصفها . وقد كشفت دراسات « مرجريت ميد » و « روث بندكت » وغيرهما من كبار الأنثروبولوجين عن اختلافات واضحة فى أنماط الثقافة فى القبائل البدائية وانعكاس ذلك كله على سلوك الأفراد وبالتالى على شخصياتهم .

أما كيف ينتقل هذا التأثير ، فان المجتمع يتبع على ما يبدو طريقتين فى التأثير على الفرد لعل أقلهما خطراً بالنسبة لنمو الشخصية هو طريق التربية الشكلية التى تتم عن طريق الجهد المنظم من جانب المنظمات الإجتماعية المختلفة ، والمدرسة بوجه أخص لتعليم الأجيال الجديدة تراث الأجيال القديمة وما يزيدون عليه من خبرات الجيل الذى يعيشونه . أما الطريق الآخر — ولعله آخرها نظراً لحدوثه فى سن مبكرة وتركه آثاراً ليس من السهل استئصالها من نفس الطفل — فيتم من خلال التربية غير الشكلية عن طريق عملية « التوحد » مع الكبار المحيطين به وخاصة مع الآباء وعن طريق هذه العملية يمتص الطفل الكثير من معايير الجماعة وقيمها وتترسب فى نفسه الأصول الثقافية التى يريد الكبار طبعها فى نفس الصغير .

وقد يحدث أحياناً صراع بين ما يتعلمه الطفل فى تربيته الشكلية التقليدية وما يكتشفه خلال وسائل الإمتصاص غير الشكلى . فقد يتعلم عن طريق اللفظ والتعبير أن الأمانة والنزعة الإنسانية أمور أساسية وضرورية ، ولكنه فى الوقت نفسه يكتشف أن الكبار من حوله يخدعون الناس أو يسلكون تجاه بعضهم البعض سلوكا يتنافى والنزعة الإنسانية . فهو من الناحية الشكلية يتعلم ما يجب أن يؤكده صراحة بإعتباره السلوك المناسب أو القيم الضرورية ولكنه من الناحية غير الشكلية يتمثل القيم الواقعية وأنماط سلوك الآباء الكبار حوله .

والواقع أن أهم وسائل نقل الثقافة تأثيراً فى نمو الشخصية هى العلاقة بين الطفل ووالديه . وتتضح أحد مظاهر هذه العلاقة فى أساليب تربية الطفل وتدريبه خلال حياته داخل الأسرة والتى تعكس بالفعل ثقافة الأسرة وثقافة المجتمع الكبير .

أما كيف يمتص الطفل الثقافة وتصبح جزءاً من ذاته وتشكل جانباً من نمو شخصيته ، فقد قدم الباحثون فى دراسة الشخصية إجابات كثيرة لتفسيرها ، نشير إلى أهمها :

إن فرويد مثلا قدم أفكاراً محددة عن كيف ولماذا يحدث الإمتصاص . فهو يعتبره جزءاً من عملية تكوين الأنا الأعلى . ويحدث التلبيه الأساسى لتكوين الأنا الأعلى عند الطفل (والذى يحوى الضمير والأنا المثلى) أثناء المرحلة القضيبية ، ويرتبط بالصراع حول عقدة أوديب والخوف المصاحب له من انتقام الأب . فقلق الإخصاء castration anxiety يؤدى بالطفل إلى البحث عن نوع من العلاقة الطيبة التى تستند إلى نوع من المهادنة مع الأب ، عن طريق إنكار الميل الجنسى نحو الأم وكبته ، وعن طريق التوحد مع قيم الأب فى عملية تعرف باسم التوحد الدفاعى أو التوحد مع المعتدى Identification with the aggressor . فعن طريق التوحد مع المعتدى وإدماجه وأن يصبح مثله ، يشعر الطفل أنه أصبح فى مأمن من أخطار الثأر والإنتقام ، وبذلك يتخلص من الخوف والقلق وعلى ذلك فالولد يمتص صورته عن الأب ويصبح شبيهه . وتقوم البنت بسلوك أو عملية مماثلة مع الأم . وعلى الرغم من أن المحللين النفسيين فى الوقت الحاضر يذهبون إلى أن تكوين الأنا يبدأ قبل نمو مشكلة أوديب ، ويمكن أن يتم مستقلا عنها ، فإن محاولة حل عقدة أوديب لاتزال هي حجر الزاوية فى التوحد مع قيم الآباء وإدماجها فى الذات .

وثمة تفسير آخر لعملية الإدماج هـــذه يأتى من جانب نظرية المثير والإستجابة فى التعلم . فالمؤيدون لهذه النظرية يذهبون إلى أن القلق له أهمية بالغة فى العملية العادية للتطبيع الإجتماعى . والآباء يعالجون القلق عند الطفل عن طريق الثواب (بالموافقه أو غيرها من الأساليب) إذا كان سلوك الطفل يتفق والنمط الثقافى ، وبالعقاب (عدم الموافقة أو غيرها من الأساليب) إذا كان سلوك الطفل لا يتفق والنمط الثقافى ، وعدم الموافقة يخلق القلق عند الطفل لأنه لا يكون بمثابه تحذير له أن الآباء قد يمسكون عن إشباع حاجاته الأولية أو قد يؤذونه بطريقة أو بأخرى .

وكلا التفسيرين السابقين يؤكد ناحية أساسية عن علاقة الطفل بوالديه هى عجز الطفل وقوة الآباء . فالآباء لهم أهمية كبيرة وهائلة فى نظر الطفل ، فهم الذين يدافعون عنه ويحمونه ، وهم مصدر كل ماهو سار أو ضار . وحسب نظرية فرويد ، فالطفل يخاف انتقام الأب ، لأن الأب قوى إذا قيس بضعفه هو ، وإلا فهم الخوف من الإنتقام . أما بالنسبة لنظرية التعلم والربط بين المثير والإستجابة ، فإن الآباء قادرون على إحداث القلق لأن الطفل يعتمد عليهم كلية من أجل أمنه وطمأنينته كما يؤكد الفرويديون المحدثون أيضاً ناحية الإحساس بالعجز وعدم الطمأنينة والإحساس بالوحدة عند الفرد وبخاصة وهو صغير السن .

ولكن مع نمو الطفل ، يقل تأثير الآباء . فمع المراهقة لم تعد مصادر القوة فى الطفولة تعمل بشكل مباشر . وتتوقف الطاعة هنا إلى حد بعيد على ما سبق أن حدث من امتصاص من قبل ويحس الأبناء عادة بالميل المتزايد إلى الاستقلال والاعتماد على النفس . ومع ذلك ، ورغم أن قوة الكبار وسيطرتهم قد قلت إلى حد كبير حين يصل الفرد إلى مستوى البلوغ . إلا أن الشخص الناضج لا يزال يدين بالفضل للكبار فى سيره فى طريق الأمن والطمأنينة

والخلاصة أنه يمكن النظر إلى نمو الشخصية فى ضوء هذين الاتجاهين الوصفى الذى يقتصر على وصف تراكيب الشخصية ونموها فى نظام متتابع والمراحل المختلفة التى تمر بها ، ثم الاتجاه العلّى الذى يحاول أن يبحث عن الظروف والأسباب التى أدت إلى أن يسير النمو المنتظم أو أن يحدث له إعاقات أو أن ينحرف عن سيره الطبيعى . والحقيقى أن النظرة السائدة اليوم هى تلك التى تجمع بين الإتجاهين : نصف ونفسر ؛ وبذلك نلقى الضوء على التغيرات وعلى التراكيب المختلفة التى تطرأ على نمو الشخصية .

هل للوليد شخصية :

وأول ما يتبادر إلى الذهن من أسئلة عن دراسة نمو الشخصية هو « هل للطفل الوليد شخصية؟ » . الحقيقة أن من الصعب الإجابة عن مثل هذا السؤال . لقد ذهب ستاجنر (١) فى ضوء تعريفه للشخصية بأنها « نمط الفرد الداخلى للانفعالات والأفكار والإعتقادات والتوقعات المتصلة بالشخص نفسه والبيئة التى تعيش فيها » إلى الإجابة بالإيجاب عن هذا السؤال . إن التمييز بين الذات والبيئة يحتمل أن يتحدد بوضوح فيما بعد ، وربما خلال العام الثالث من حياة الطفل . ومع ذلك فعلى أسس منطقية بحته ، يجب أن ترتبط الشخصية برباط وثيق بالكائن الحى العضوى . ومن ثم يمكن القول بأن لها نوعاً من الوجود منذ اللحظة الأولى للولادة . وبسبب الصدمة المؤلمة للولادة يمكن القول بأن الوليد يمكنه أن يعمم توقعاته على بيئته وأنها سوف تكون غير سارة وقاسية وهذا التوقع يخضع بلا شك للتعديل السريع ، نتيجة الخبرات السارة التى تمر فى الأغلب بينه وبين الأم بعد ذلك .

ومن الميلاد وما بعده تبدأ الفروق الفردية فى الشخصية تكون ملحوظة.

---

(1) Stagner, R : Psychology of Personality. New York. Mc Graw-Hill Book Company Inc. 1961.

فالأطفال يختلفون فى كمية الصراخ والابتسامة والنشاط الحركى ، كما يختلفون أيضا فى نوع المثيرات التى تثير هـذه الأنشطة . إنهم جميعا يخضعون لمبدأ حفظ التوازن الداخلى ولكن يبدو أن كل واحـــد منهم يقوم به على طريقته الخاصة .

وهناك من علماء النفس من يخالف هذا الرأى . مثلا سوليفان (١) فى ضوء نظريته عن العلاقات الشخصية المتبادلة يذهب إلى أن الشخصية لاتتكون فى سن مبكرة . وأن من الممكن أن تتغير فى أى وقت عندما توجد مواقف جديدة تضمن علاقات شخصية متبادلة وذلك لأن الـكائن العضوى البشرى على درجة كبيرة من المرونة والقابلية للتشكل .

أما البورت (٢) فقد أخذ موقفا وسطا تقريبا . فهو يذهب إلى أن من الصعب القـول بأن للوليد شخصية نظراً لإفتقاره إلى التنظيم الأساسى للأجهزة النفسية الجسمية . ومع ذلك يمكن القول بان الوليد لديه الإمكانيات المعينة للشخصية والتى تتمثل فيما لديه من قدرات مختلفة تسير فى سبيل التكوين والنمو . أى أن الوليد لديه « المادة الخام » التى تتكون منها الشخصية وأن هذا التنظيم للأجهزة النفسية والجسمية يحتاج إلى زمن .

أما المادة الخام التى يولد الطفل مزوداً بها والتى منها تنمو شخصيته فهى فى نظره ، الجسم والمزاج والذكاء . وهى نواحى ترتبط ارتباطاً كبيراً بالعوامل الوراثية وإن كان ذلك لا يبعد تأثرها بالعوامل البيئية المختلفة كالتغذية والصحة والمرض والتعلم .

وسوف نشير باختصار لهذه المكونات الثلاثة التى يعتبرها البورت

(1) Sullivan, H.S: The Interpersonal theory of Psychiatry. New York, Norton 1953.

(2) Allport, G.: Pattern and Growth in Personality. New York Holt, 1661.

بمثابة المادة الخام للشخصية ثم نوضح أثر كل من عاملى النضج والتعلم في نمو الشخصية .

إن علاقة النواحى الجسمية والمزاجية بالشخصية معروفة منذ أيام اليونان القدامى ولدى فلاسفتهم فى صورة الأنماط أو الأمزجة الأربعة . وفى حوالى سنة ٤٢٥ ق . م وصف أبقراط نمطين جسميين متقابلين أطلق على أحدهما النمط السكنى (السمين ، والقوى ، والعضلى) والنمط السُّلِّى (الطويل ، والنحيل ، والضعيف) . وقد وجد أن النوع الأول أميل إلى القابلية للإصابة بالسكتة القلبية ، بينما النوع الثانى يكون أميل إلى القابلية للإصابة بالسل . وقد وصف النوعين أو النمطين، باعتبارهما مختلفين من الناحية المزاجية والجسمية . وخلال القرون التى أعقبت ذلك ، ظهرت أنماط أقل أو أكثر تشابهاً بأنماط أبقراط ، بعضها يقول بتقسيمات ثنائية وبعضها يقول بتقسيمات ثلاثية .

وخلال القرن التاسع عشر ظهرت إحياءات لفكرة الأنماط القديمة وكان معظمها قريب من التقسيم الفرنسى الذى قال به روستان Rostan (١٨٢٨) والذى قسم الناس إلى أنماط ثلاثة هى : الهضمى أو الحشوى digestive والعضلى muscular والتنفسى — المخى respiratory-cerebral .

ولا تذكر فكرة الأنماط فى صورتها الحديثة إلا ويذكر اسم الطبيب النفسى الألمانى كرتشمر والذى تعتبر فكرته إحياء لفكرة المدرسة الفرنسية على نحو ما أوضحها روستان . غير أن كرتشمر أضاف مصطلحات جديدة تسمى النمط الحشوى باسم النمط البدين لأول مرة وأخذ بالتسمية « الرياضى » و « والواهن » بالنسبة للنوعين العامين الآخرين . وقد أدت دراسة كرتشمر إلى تقسيم الناس إلى نمطين كبيرين من أنماط الشخصية وذلك على أساس دراسة التكوين الجسمي والمزاجي للمرضى بالجنون الدورى

والفصام . فقد ربط بين الشخصية الدورية المزاج وبين النمط البدين جسمياً ، كما ربط بين الشخصية الفصامية المزاج والنمط النحيل . ومعنى هذا فى نظر كرتشمر أن أنماط الشخصية وأنواع المرض العقلى عنده ، هى أنماط بيولوجية تتحدد بالتكوين البيولوجى للفرد أى بما ورثه الفرد من صفات وخصائص جسمية وما ورثه من نسبة إفرازات الغدد وطبيعة تكوين جهازه العصبى . وهكذا وسع كرتشمر مفهوم النمط إلى ما وراء النواحى التكوينية المورفولوجية لتشمل النواحى المزاجية فى الشخصية وبذلك أفاد من عمله كطبيب عقلى فى الربط بين النواحى الجسمية والمزاجية والشخصية .

ولكن دراسة كرتشمر كانت تفتقر إلى الوسائل الدقيقة لقياس الصفات الجسمية ، كما أنه أغفل عاملا هاماً له تأثيره وهو عامل السن . فالحالات الفصام تميل إلى الظهور فى سن مبكرة عن تلك التى يظهر فيها عادة إضطرابات الهوس والإكتئاب ، وفى وقت تميل فيه بنية الجسم إلى الوهن والنحالة .

وثمة محاولة أخرى هامة قام بها شيلدون(١) . وقد بدأ دراسته لهذه المشكلة عندما كان يعد رسالة الدكتوراه التى تقدم بها ١٩٢٤ . وقد اتخذ شلدون منهجاً أكثر دقة وتفصيلا ولجأ إلى التصوير الفوتوغرافى لأعداد كبيرة جداً من الناس كان من بينهم حوالى أربعة آلاف طالب بالجامعة . وقد قسم شلدون الشخصية إلى أنماط مزاجية ثلاثة يقابل كل منها نمطاً جسمياً معيناً . وبذلك عاد إلى التقسيم الثلاثى الذى اصطنعه كرتشمر عند وضعه لنظريته (وهى : النمط : البدين والرياضى والنحيل) أما الأنماط الجسمية التى وضعها شلدون فهى :

١ ـ النمط الداخلى التركيب ويقابل النمط البدين عند كرتشمر . والفرد

---

(1) Sheldon, H. William : Constitutional Factors in Personality. in J. Mc V. Hunt : Personality and the Behavior Disorders, New York, The Ronald Press Company, 1944, vol. 1. chap. 17.

فيه أميل إلى الإستدارة الجسمية . فيكون قصير القامة ممتلئا . ولكنه ضعيف نسبياً من ناحية نمو العظام والعضلات .

٢ — النمط المتوسط التركيب ويقابل النمط الرياضي عند كرتشمر . والفرد فيه من النوع المتناسق المفتول العضلات القوى الجسم .

٣ — النمط الخارجي التركيب ويقابل النمط الواهن عند كرتشمر . والفرد فيه أميل إلى الضعف من الناحية العضلية ، كما يكون واهناً فى تكوينه الجسمى .

وكل نمط من هذه الأنماط الجسمية يقابله نمط مزاجى أساسى وذلك على النحو التالى :

١ — النمط الحشوى الأساسى ويرتبط عادة بالنمط الجسمى الداخلى التركيب . والفرد فيه يكون أميل إلى حب الراحة والاسترخاء ، والاستجابة بطء وحب الأكل ، كما يميل إلى الاختلاط والألفة بالآخرين والاحساس بالحاجة إليهم عندما يقع فى مشكلة : هذا بالإضافة إلى الميل إلى النوم العميق .

٢ — النمط الجسمى الأساسى ويرتبط عادة بالنمط المتوسط التركيب . والفرد فيه يكون أميل إلى توكيد الذات وحب الحيوية والنشاط البدنى والحاجة إلى المران وحب السيطرة والمخاطرة ، شجاع يميل إلى النشاط والعمل عند ما يستثار .

٣ — النمط المخى الأساسى ويرتبط عادة بالنمط الجسمى الخارجى التركيب والفرد فيه يكون أميل إلى التوتر فى أغلب الأحيان وإلى سرعة الاستجابة ، قلق ، مكبوت ، كتوم ، منطو فى تفكيره ، قليل النوم ، يميل إلى الوحدة والإنعزال عندما يقع فى مشكلة .

وقد ذهب شلدون فى دراساته الأولى إلى أن هناك درجة عالية من الإرتباط بين النمط الجسمى والنمط المزاجى ، وإن أوضحت الدراسات التى تلت ذلك مبالغة واضحة فيما ذهب إليه شلدون . وعلى العموم فهناك علاقة ظاهرة بين كل من التكوين الجسمي والمزاجي والشخصية .

أما الذكاء وهو المكون الثالث الذى أشار إليه البورت ، فليس ثمة شك فى وجود علاقة وثيقة بينه وبين الشخصية . والسبب الذى من أجله اعتبره البورت مادة خام للشخصية هو ارتباطه الوثيق بالجهاز العصبى المركزى، وهو جهاز مولد مزودين به شأنه فى ذلك شأن الجهاز الغددى الذى يكمن وراء البناء الجسمى والمزاجى .

ولا يمكننا القول إلى أى حد يختلف الجهاز العصبى عند فرد عنه عند آخر عند بداية حياة كل منهما . والواقع أن هناك اختلافات كبيرة فى عدد خلايا المخ الموجودة من حيث تنظيمها، وعمليات الهدم والبناء والوصلات والروابط بينها.

والدراسات التى ذهبت إلى وراثة الذكاء متعددة وهى تقوم أساساً على دراسة تاريخ حياة بعض الأسر التى يتميز أفرادها بالعبقرية أو الضعف العقلى (مثل أسرة الكاليكاك) وكذلك على الدراسات التى أجريت على الحيوانات والتى تشير إلى إمكان تربية أو تنشئة سلالات ذكية أو غبية من الفيران خلال أجيال قليلة عن طريق التربية المنتقاة للفيران (تجارب تايرون ١٩٤٠ على تعلم اجتياز المتاهات) ، ثم الدراسات التى أجريت على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والتى تشير إلى وجود ارتباط عال بين ذكاء التوائم المتشابهة (٩٠ر٠) ، على حين أن هذا الارتباط يكون أقل بين التوائم غير المتشابهة أو الأخوة العاديين (٥٠ر٠) ، وأخيراً تتبع دراسة طفل معين أو أطفال معينين منذ بداية حياتهم حتى سن متقدمة . وتقوم مثل هذه الدراسة التتبعية على افتراض أن الذكى سوف يكون فى مستقبل أيامه رجلا ذكياً ، بينما الطفل الغبى سوف يكون رجلا غبياً كذلك . ومن قبيل ذلك ما قام به سونتاج وباركر ونلسون (١) لدراسة « النمو العقلى ونمو الشخصية » : دراسة طولية . »

(1) Sontag L.W., Barker, C.T. &Nelson V.L. : Mental Growth and Personality development : a Longitudinal Study, Monogr. Soc. Res. Child Developm. 1658, 23, No 68.

والتى قاموا فيها بقياس ذكاء نفس الأطفال سنة بعد أخرى إبتداء من سن الثالثة حتى سن الثانية عشرة . وقد كشفت هذه الدراسة أن الذكاء على نحو ما تقيسه اختبارات الذكاء فى سن الثالثة لا ينبىء جيداً عما سيكون عليه عند ما نعيد قياسه فى سن الثانية عشرة ، إذ كان معامل الإرتباط بينهما ٤٦ر٠ ، بينما كان معامل الإرتباط بين نسب الذكاء فى سن السادسة وسن الثانية عشرة حوالى ٧٣ر٠ وكان الإرتباط بين نسب الذكاء فى سن الحادية عشرة وسن الثانية عشرة حوالى ٩٠ر٠ .

والذى يهمنا من هذه الدراسة هو البحث عن الأسباب التى أدت إلى فقد بعض الأطفال أو كسبهم درجات فى نسب الذكاء فى الأعوام المتتالية . وقد وجدت علاقة واضحة بين ذلك وسمات الشخصية . فهؤلاء الذين كسبوا درجات أكثر كانوا من النوع الذى يتميز نمط شخصياتهم بسمات كالإعتماد على النفس والمبادأة والميل إلى المنافسة ، بينما هؤلاء الذين فقدوا بعض درجاتهم كانوا فى الأغلب يتميزون بسمات عكس ذلك .

إذن فالعلاقة بين الذكاء والشخصية لا يمكن إنكارها . واستغلال المواهب العقلية لدى الفرد يحتاج إلى دفعة من الجوانب المختلفة للشخصية ، فى دراسة تتبعية قام بها « ترمان وأوديتى » على ٧٥٠ طفلا من الموهوبين استمرت عشرين عاما بعد قياسهم عقلياً لأول مرة ، لاحظ الباحثان أن بعض هؤلاء الأطفال قد نجح نجاحاً ملحوظاً فى شق طريقه فى الحياة ، بينما فشل بعضهم الآخر . وقد درس الباحثان أسباب ذلك رغم ارتفاع ذكاء كل من المجموعتين . وقد أمكن الكشف عن سمات مختلفة للشخصية لدى أفراد كل من المجموعتين . فالمجموعة التى شقت طريقها فى الحياة ، كانت تتميز بأنها أكثر اهتماماً بعملها ، كما قدرهم زملاؤهم بأنهم أكثر مثابرة وثقة بالنفس وأنهم أكثر تكاملا فى تحقيق أهدافهم . ومعنى ذلك أن القدرة العقلية كـ

تعمل بكفاية يجب أن يصحبها سمات معينة للشخصية تدفعها إلى زيادة بذل الجهد والنشاط.

ومعنى ذلك أيضاً أن الذكاء لا يتحدد كلية بعمل الجهاز العصبي المركزي والعوامل الوراثية ، بل أن الدوافع وسمات الشخصية الأخرى يمكن أن تغير في النتيجة. فالمعاملة في البيت والإستثارة في البيئة والتشجيع والثواب والعقاب كلها عوامل تسهم في تقديم مستوى أعلى من الأداء بالنسبة لطفل عنه بالنسبة لطفل آخر.

تلك هي المواد الخام التي منها يتكون بناء الشخصية. أما إلى أي حد تخضع لتأثير العوامل الوراثية أو البيئية ، فقد سبق أن أوضحنا أن الشخصية أو أي نظام آخر كالعادات والسمات ، هي دالة أو وظيفة للوراثة والبيئة معاً ، وأن العلاقة بين هذين العاملين ليست علاقة إضافة ، بل علاقة ضرب وتضاعف. فإذا كان أحد طرفي العلاقة يساوي صفراً ، كان معنى ذلك أن الناتج يساوي صفراً.

النضج والتعلم:

وإذا كان للوراثة تأثير هام على تشكيل الشخصية، وبخاصة فيما يتصل بتلك النواحي التي تعتبر بمثابة المادة الخام للشخصية، فإن الشخصية لها تاريخ ، إبتداء من هذه المادة الخام ويمر بفترة من النضج تنمو خلالها بالتدريج على نحو ما يحدث بالنسبة للقدرات الجسمية والعقلية المختلفة. ومع النضج يسير التعلم ويقوم على أساسه. ومن هنا يتبين لنا أن هذه المادة الخام التي يولد الفرد مزوداً بها ، يطرأ عليها التعديل نتيجة عوامل متعددة. وتكون نتيجة هذا كله استجابات مميزة للفرد، تجعل منه شخصية لها خصائصها وصفاتها المميزة له.

والنضج هو التفتح الطبيعي الذي يطرأ على الكائن الحي دون ما حاجة إلى

تمرين أو تدريب أو بذل جهد من جانب الفرد. فالزاد الذي يولد الفرد مزوداً به يحتاج إلى فترة من النضج كي تتضح معالمه وآثاره. وهذا ما نلمسه بوضوح في نواحي كثيرة عند الكائن الحي ، فالجهاز العصبي ككل ينضج ويتفتح من ناحية قدرته على الاحتفاظ بآثار الخبرات والتكيف المعقول مع المواقف الجديدة. وليس يخفى علينا نواحي النضج التي تطرأ على النواحي الحسية الحركية عند الطفل والتي تظهر آثارها بوضوح في عمليات كالمشي وتسلق السلالم والقبض على الأشياء والكلام ، وتجارب «أرنولد جيزل» في هذا الصدد معروفة للجميع . فقد درب مجموعة من التوائم على صعود السلالم حين كان عمرهم ٤٦ أسبوعاً واستمر هذا التدريب لفترة ستة أسابيع ، ولمدة عشر دقائق يومياً . أما المجموعة الأخرى من التوائم فقد تركها دون تدريب أي تركها تنمو نموها الطبيعي ، وقبل نهاية المدة أعطاها تدريباً لفترة أسبوعين ولمدة عشر دقائق أيضاً ثم اختبر المجموعتين من التوائم في صعود السلالم . فلم يجد فروقاً محسوسة بين تلك المجموعة الأولى التي دربت قبل أن تصل إلى قدر كاف من النضج ، والمجموعة الثانية التي تركت تنمو نمواً طبيعياً وأخذت قدراً بسيطاً من التدريب ومن هنا يتبين أن التدريب الذي لا يقوم على أساس من النضج لا يكون مجدياً ، وأن التعلم يجب أن يساير النضج حتى يكون مثمراً ومفيداً .

ويساهم النضج في نمو الشخصية وذلك عن طريق كشف السمات الموروثة سواء من ناحية التركيب الجسمي أو مميزات المزاج والمواهب والقدرة العامة على التعديل الذكي للسلوك . وهذه كلها تنمو وفق قدرة نمائية كامنة لدى الكائن الحي .

أما كيف تنمو الشخصية فهذه أساساً هي مشكلة التعلم . إن التعلم يتضمن كل صور الاكتساب والتعديل التي تطرأ على الفرد خلال مراحل نموه . فنحن نتعلم ما لا حصر له من الأشياء . نتعلم المشي والكلام والعوم وقيادة السيارات

ونلعب الكرة ، ونتعلم أيضاً كيف نقرأ ونكتب ونجري عمليات وكيف نتذكر الحقائق المختلفة وأرقام التليفونات ونحفظ الشعر ، ونتعلم كذلك كيف نأكل وكيف نسلك في المواقف المختلفة ، نتعلم الأخلاق ونكتسب القيم والاتجاهات والميول والأفكار الجديدة والمعاني واللغات الأجنبية ، نتعلم الدوافع الجديدة المكتسبة في حياتنا ونواحي الطموح والآمال . وباختصار نحن نكتسب سمات شخصياتنا واتجاهاتنا ونرسم لأنفسنا أسلوبنا وفلسفتنا في الحياة .

وفي الحقيقة قد يتعذر على نظرية واحدة من نظريات التعلم الموجودة ، أن تفسر كل هذه الأشياء العديدة التي نتعلمها . فهي — على نحو ما يذهب البورت — تنظر إلى الحقائق من جانب واحد وتفتقر إلى النظرة العاملة التي تضم صوراً عديدة من التعلم . ونظرية التعلم التي نفسر في ضوئها نمو الشخصية ترتبط في الحقيقة بنظرتنا لطبيعة الإنسان . فإذا نحن نظرنا إليه على أن هناك قوى خارجية تجذبه وتدفعه ، فإن مبادىء التعلم التي نفسره في ضوئها تكون شبه ميكانيكية على نحو ما يتضح في نظرية «المثير والإستجابة» التي تركز على وجود قوى فسيولوجية بسيطة أو حوافز . وفي هذه الحالة يمكن أن نفسر نمو الشخصية في ضوء الآثار والإقتران الشرطي وإعادة التوازن وتعميم المثير والتدعيم والتكرار والأولوية والحداثة وكلها مبادىء معروفة في سيكلوجية التعلم . وهي مبادىء — تبدو في نظر البورت — مقبولة إلى حد ما في تفسير التعلم عند الحيوان وعند الطفل الصغير ، ولكنها تبدو قاصرة في تفسير التعلم عند الكبار وفي المراحل الأكثر تقدماً في نمو الشخصية والتي تتطلب النظر إلى الشخص النامي الناضج باعتباره يتقدم ويرتقي في ناحيتي التمايز والتكامل . والتعلم هو الذي يحدث هذين النوعين من التغير في البناء ، ويؤدي إلى تنظيم

تعين بين الأجهزة الأكثر دقة (السمات) في ترتيب هرمي لهذه الأجهزة داخل الشخصية ككل (تكامل) . وهذا يتطلب وجود مبادىء أخرى بالإضافة إلى نظام الحوافز وهي مبادىء تنظيمية معرفية على نحو ما يذهب البورت . ومن المفيد أن نشير باختصار إلى نظرية البورت في التعلم عن طريق الحوافز والمبادىء التنظيمية المعرفية وأثرها في بناء ونمو الشخصية :

(ا) التعلم عن طريق الحافز وخفض التوتر (١) :

يعتبر البورت الحافز Drive عاملا أوليا في خفض الحاجة . ويستمد الحافز مصدره من مثير عضوى داخلى له إلحاح خاص . ويقوى بشكل ملحوظ حتى يدفع الكائن الحى العضوى إلى القيام بالسلوك الذى يؤدى إلى خفض حدة التوتر الناشىء . فالمثير الذى يتطلب الإشباع يحدث حالة من التوتر وعدم الاستقرار داخل الكائن الحى . وهذا المثير إما أن يعبر عن حالة احتياج ونقص فى العناصر الكيميائية للجسم كنقص كمية الغذاء أو كمية السكر فى الدم ؛ أو يعبر عن زيادة الإستثارة الناشئة عن ضغط الفضلات او الإفرازات داخل الجسم كالحافز إلى التبول والإخراج أو الاشتهاء الجنسى . ونتيجة لوجود المثير من أى نوع كان ، يقوم الكائن الحى بالنشاط الذى يهدف من ورائه إلى خفض حدة التوتر الناشىء عن وجود الإستثارة . وإذا تساءلنا كيف تنتهى جميع هذه الدوافع إلى خفض الدافع أو الحافز ، فإن الإجابة عن ذلك هى أن التعلم هو المسئول عن ذلك . فالتعلم هو الذى يزودنا بالأساليب العادية التى نتخلص بها من حدة هذه التوترات .

وواضح أن مثل هذا الفرض الذى ذهب إليه البورت لتفسير الدوافع

---

(1) Allport, G.; Pattern and Growth in Personality., New York. Holt 1961 pp. 83-87.

يتجنب التضمنات الغائية والميكانيكية لنظرية الغرائز على الأقل على نحو ما عبر عنها مكدوجل . فالحافز ، فى نظر البورت ، ميكانزم خفض الحاجة ، كامن فى العمليات الفسيولوجية رغم أنه لا يعمل استجابة لمثيرات خاصة نوعية . وتعتبر الحوافز فى نظره . تفسيراً منطقياً لسلوك الطفل ، حيث أن الحاجات الأساسية الأولية عند الطفل تحدث عنده توترات يستجيب لها بطريقته الخاصة لخفض حدة التوتر الناشىء عنها . ولكن مفهوم الحافز عند البورت يفسر أساساً السلوك البسيط عند الطفل الذى تكون حركاته كبيرة وغير متمايزة . ومع ذلك عند ما يكبر الطفل تتحول هذه الحوافز إلى أنظمة دافعية متميزة ، تقدر بذاتها على تفسير الأنواع الجديدة من السلوك ، لأن التفسير بنظام الحوافز شبه الآلى ، قد يعرضنا للوقوع فى الخطأ عند تفسير ألوان السلوك الأكثر تعقيداً والتى نجدها عند الشخص النامى وذلك للأسباب الآتية :

١ — أنه يغفل كل نشاط عقلى يقوم به الفرد .

٢ — أنه لا يشير إلا إلى تلك الخصائص فى الجهاز العصبى التى يفترض أنها تظهر بشكل آلى .

٣ — أنه يهمل عوامل أخرى ذات أهمية بالنسبة لسلوك البالغ كحرية القصد والإختيار فى عملية التعلم .

٤ — أنه يهمل جهد الفرد ونزوعه وقدرته على إدراك الشىء المناسب أو صلاحية فعل معين للأغراض التى يهدف إليها .

٥ — أنه ليس فيه تفسير لتوجيه فكرة الذات أو صورة الذات ، وجميعها نواحى تغفلها فكرة الحافز رغم أهمية هذه الأفكار .

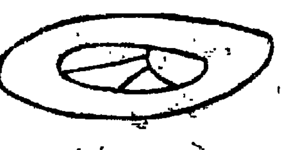
ومن ثم ينظر البورت إلى الشخص النامى باعتباره ينمو ويرتقى فى ناحيتين

هامتين هما التمايز والتكامل . والتعلم هو الذى يحدث هذين النوعين من التغير فى البناء ويؤدى إلى تنظيم يتميز بربط الأنظمة الأكثر دقة بعضها ببعض (التمايز) وبترتيب هرمى لهذه الأنظمة داخل الشخصية ككل (التكامل) .

(ب) التمايز والتكامل :

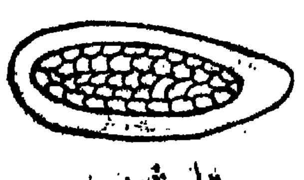
وفكرتا التمايز والتكامل من الأفكار الهامة التى أوضحها كيرت ليفين . ولو نظرنا إلى فكرة التمايز ، فإننا نلاحظ أن الطفل الصغير — إلى حد أكثر من الراشد — يمثل وحدة ديناميية ، بمعنى أنه يستجيب بكل جسمه للمثيرات المختلفة . فهو حين يريد أن يقبض على شىء ما ، إنما يتحرك بكل جسمه ويقوم بتلك الحركات الكبيرة للجسم . ثم هو بعد ذلك يكتسب بالتدريج القدرة على القيام باستجابات أكثر وأكثر تمايزاً ، فيستطيع استخدام اليد فى القبض على الأشياء ، ثم بعد ذلك يصبح أكثر وأكثر تمايزاً فيستخدم الأنامل فى قيامه بهذه العملية . وبذلك تصبح حركاته حركات دقيقة تتطلب إستخدام العضلات الدقيقة وحدها .

ثم إن الطفل — على عكس الراشد — لديه فحسب ثباتاً وظيفياً بسيطاً على حدود الأجهزة المختلفة . أما الراشد فإن حركاته وأساليب سلوكه واتجاهاته وسماته تكون أكثر تحديداً وثباتاً وأقل إختلاطاً بالنزعات غير المرتبطة بها . وقد أوضح ليفين فكرته هذه بالأشكال التوضيحية التالية :



الطفل فى سنيه الأولى

الطفل فى الطفولة المتأخرة



الراشد

فالحدود الفاصلة بين الأجهزة ضعيفة فى الطفولة المبكرة مما يجعل الطفل يستجيب ككل للمثيرات الخارجية ، هذا بالإضافة الى أن الحدود الفاصلة بين الطفل والعالم الخارجي أقل صلابة مما يجعل الطفل يستجيب لجميع أنواع المثيرات البيئية الخارجية . وهذا ما يتضح لنا فى الرسم فى شكل خطوط خفيفة سواء فى الداخل بين الأجهزة المختلفة أو فى الخارج والتى تفصل بين الطفل والعالم الخارجي . وواضح أن ضعف الحدود الفاصلة فى الطفولة يعوق نمو الوعي بالذات بشكل واضح خلال السنتين الأوليين من حياة الطفل . فهو لا يميز نفسه بوضوح كاف عن البيئة المحيطة به .

ويمكن أن توضح فكرة التمايز أيضا بمثال نستمده من نمـــو حياتنا الإنفعالية . لقد ذهبت « كاترين بردجز » فى تفسيرها لعملية النمو الإنفعالى عند الطفل إلى أن هناك فى البداية حالة من «التهيج العام» General excitement أو حالة من الإنفعالية العامة ، التى تأخذ مع النمو – فى التمايز التدريجى . ففى حوالى الشهر الثالث تتمايز هذه الحالة العامة إلى انفعالين كبيرين هما الابتهاج والضيق . وفى الشهر السادس يأخذ الضيق فى التمايز إلى الخوف والتقزز والغضب بالإضافة إلى حالة الضيق العامة . وفى حوالى نهاية العام يتمايز الابتهاج إلى حالتى الزهو والحب ، هذا بالإضافة إلى حالة الإبتهاج العامة . وهذا التمايز يفسر فى الحقيقة فى ضوء فكرة النضج الذى يطرأ على الكائن الحى والذى هو تفتح طبيعى لا يحتاج إلى تدريب أو مران أو كسب خبرة من جانب الفرد .

أما التكامل فهو شرط أساسى لعملية النمو . والتكامل فى بناء الشخصية يوحى بوجود تنظيم هرمى يبدأ من أبسط المستويات حتى أعلاها . وأبسط المستويات التى يبدأ عندها التكامل هو مستوى الأفعال المنعكسة

الشرطية وهى أبسط الأنواع المكتسبة أو المتعلمة من السلوك التكيفى . وهى تتضمن إحلال مثيرات ليس من طبيعتها أن تثير الإستجابة محل مثيرات أخرى من طبيعتها أن تثير الإستجابة ، نتيجة عملية إقتران شرطى . يلى ذلك مستوى أعلى هو مستوى العادات وهو مستوى تتكامل فيه الأفعال المنعكسة الشرطية ويتضمن على وجه الخصوص الإستجابات المدعمة ، كما يؤدى إلى صور نمطية من الإستجابة بالنسبة للمواقف المتكررة التى هى من نوع متشابه. أما المستوى الثالث فهو مستوى السمات . والسمات إستعدادات أكثر دينامية وأكثر مرونة تنتج على الأقل فى ناحية منها من تكامل العادات الخاصة التى تعبر عن ألوان متميزة من التكيف مع البيئة . ويدخل تحت هذا المستوى الإستعدادات التى تسمى بالمشاعر والاتجاهات والقيم والعقد والميول. وثمة مستوى رابع أعلى هو مستوى الذوات . والذوات أنظمة من السمات المتسقة فيما بينها . ولكن يبدو أنها تختلف فى المواقف المختلفه . ولقد أشار وليم جيمس الى أن هناك ذوات إجتماعية مختلفة بقدر ما هنا لك من جماعات مختلفة من الناس يهتم الفرد بمعرفة رأيهم فيه . وأخيراً هناك مستوى الشخصية وهو التكامل التدريجى — وإن لم يكن تاما بأى حال — لجميع الأجهزة التى تتصل بأساليب التوافق المميزة للفرد مع بيئاته المختلفة . وعلى هذا النحو من التمايز والتكامل يعرض لنا إيزنك فكرته عن تنظيم الشخصية والتى تبدأ بأبسط المستويات ، وهو مستوى الإستجابات النوعية ، ثم تتكامل فيما بينها حتى تصل إلى مستوى النمط (١) ، وكذلك ما عرضه البورت (٢) عن فكرة التكامل .

---

(1) Eysenck, H.J.: The Structure of Personality. London. Muthuen & Co LTD. 1970 chp. 1, p. 13.

(2) Allport, G.: Pattern and Growth in Personality. Holt. 1961 P. 101.

وفى ضوء فكرة التمايز والتكامل يتبين لنا قصور التفسير بالنظريات شبه الميكانيكية وضرورة الإلتجاء إلى مبادىء إضافية للتعلم . وقد أشار ألبورت إلى نوع من التعلم المعرفى أو التنظيمى يوضح فى ضوئه نمو الشخصية فى مراحلها الأكثر تقدماً وتطوراً

(ح) التعلم المعرفى (التنظيمى) :

والحقيقة أن عمليتى التمايز والتكامل هما نتيجة عملية تعلم معقدة . وإذا كانت المبادىء شبه الميكانيكية كالإشتراط والتدعيم والحافز يمكنها أن تفسر بعض أنواع التعلم ، إلا أنها لا تفسر تماما كل التغييرات العديدة التى تحدثها الخبرة فى نمو الشخصية . فهى فى الحقيقة تقدم فقط ، نقط بداية يمكن أن تفيد فى التعلم عند الحيوان والطفل ، ولكنها لا تفيد كثيراً فى تفسير التعلم عند الراشد . فكما يقول رازران Razran « إن العمليات شبه الميكانيكية يمكن أن تنطبق على المستوى غير الفطن ، من التعلم ، حيث تدع جانباً دور الفهم والقصد ومناسبته للذات » . ولذلك ، ومن أجل تنوع الأشياء التى يتعلمها الفرد مع نمو شخصيته من مهارات ومعرفة واتجاهات وميول وآمال ومخاوف وحب وكراهية الخ ، يقدم ألبورت مبادى أخرى تتطلبها عملية التعلم فى نمو الشخصية . وقد أشار ألبورت إلى الأهمية الكبرى للنواحى الآتية :

١ — الاستعداد للتعلم : إن الظروف التى يوجد فيها الفرد تخلق عنده إستعدادات قد تؤثر فى المجرى العام لعملية النمو . فالطفل الذى ينشأ فى بيئة غير مستقرة وغير ثابتة فى أساليب معاملتها له ، والتى أحياناً تمنحه العطف والمحبة وأحياناً النبذ والشدة ، لا يعرف أين يقف فى مثل هذه البيئة . فالعمل الذى قد يجلب عليه السخط والأذى ، قد يكون هو نفسه موضع الإستحسان والرضا . فمثل هذا الطفل تتكون لديه بذور الشك وعدم الثقة . وقد يصبح هذا اتجاهاً يؤثر فى نموه المقبل ، بعكس الطفل الذى ينشأ فى بيت يمنح الحب

والعطف ويتسم فيه سلوك الآباء بالثبات ، فإنه تتكون لديه ولا شك بذور الثقة ، وقد يصبح هذا اتجاهاً يمكن أن يؤثر فى نموه المقبل نتيجة تعميم خبرات المنزل على الآخرين خارج المنزل . وليس من شك أن بذور الثقة إذا ما تم وضعها خلال السنوات الأولى من حياة الطفل ، فإنه يسهل عليه بعد ذلك نقلها إلى المجتمع الخارجى فى علاقاته مع الآخرين خارج المنزل . كما يسهل عليه الإنتماء إلى جماعات أخرى خارج المنزل وبشكل يسهل معه حدوث الفطام النفسى والاستقلال الذاتى ، بينما بذور الشك ، قد تلازم الفرد طول حياته ، وقد تصبح استعداداً يحول بينه وبين تكوين روابط وثيقة مع المجتمع الخارجى .

٢ — الإستبصار : وهو المبدأ الذى تقوم عليه نظرية الإدراك والتعلم عند مدرسة الجشتلت . والإدراك هو عبارة عن إدراك العلاقات بين العناصر والأشياء وهو نوع من الفهم الفجائى أو الإدراك الفجائى لما تنطوى عليه المشكلة من دلالات ومعانى ، بعد عدة محاولات فاشلة قد تطول وقد تقصر . وتجارب الجشتلت فى التعلم كثيرة من أهمها تلك التى قام بها « كوهلر » على الشمبانزى وفيها أوضح كوهلر أن التعلم لا يتم عن طريق المحاولة والخطأ على نحو ما ذهب ثورنديك ، وإنما عن طريق الفهم وإدراك العلاقات . وتؤكد نظرية الجشتلت أن الحل الذى يصل إليه الفرد عن طريق الفهم والاستبصار فى موقف ما ، قد يفيد فى مواقف أخرى جديدة تختلف عن الموقف الأصلى بعض الإختلاف أى أن التعلم بالاستبصار ينتقل أثره إلى مواقف جديدة أخرى لأنه يعتمد على الفهم وعلى إدراك العلاقات بين عناصر الموقف . وليس من شك أن هذا المبدأ من مبادىء التعلم له أهميته فى نمو الشخصية وتطور إدراكها للمواقف الخارجية المختلفة وأسلوب مواجهة الفرد لهذه المواقف . فالأسلوب القائم على المبادىء الشرطية أو الإقترانية أقل تطوراً

وأضعف أثراً فى نمو الشخصية ، من الأسلوب القائم على الفهم والاستبصار .

٣ - التوحد أو التقمص : وعملية التوحد من العمليات الهامة فى نمو الشخصية . وقد اعتبرها فرويد المبدأ الهام فى عملية التعلم الذى نحتاج إليه فى تفسير نمو الشخصية وليس من شك أن الطفل فى مرحلة من مراحل حياته يتوحد بشخصية الأب . ومن خلال هذا التوحد يكتسب الكثير من القيم والاتجاهات وصور التفكير وأساليب السلوك وغيرها . وهو فى مراحل أخرى من نموه النفسى يتوحد بأشخاص آخرين خارج المنزل كشخصية مدرس محبوب أو زعيم سياسى أو دينى الخ . ولكن رغم أن كثيراً من الأشياء التى نفعلها والأقوال التى نقولها ونفكر فيها والإحساسات التى نحسها ، تتأثر بمبدأ التوحد ، إلا أنه مع ذلك لا نعتبره المبدأ الوحيد . بل هو أحد المبادىء الهامة فى نمو شخصية الفرد .

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن مبادىء التعلم التى تدخل فى نمو الشخصية ، تفيد فى الحقيقة من مختلف نظريات التعلم عند الإنسان ، ابتداء من الإقتران الشرطى واستخدام الحافز إلى أساليب التعلم التى تعتمد على الفهم والإستبصار وعوامل التنظيم المعرفى والتمايز والتكامل وغيرها .

الشخصية فى السنة الأولى :

أوضحنا أن الطفل يولد مزوداً بخامات مستعدة للعمل . وتخضع هذه الخامات لعوامل النضج والتعلم . كما أوضحنا بعض المبادىء الهامة التى تحدث أثرها فى شخصية الفرد كالإقتران الشرطى والتدعيم والحافز وخفض الحاجة والتى يكون لها أثرها الواضح فى الطفولة الأولى ، ثم مبدأ التكامل والتمايز والتنظيم المعرفى وجميعها يكون لها أثرها مع تقدم السن بالفرد . وفى ضوء هذا كله يمكن القول بأن الطفل فى بداية الأمر ليست له شخصية ، وإنما لديه إمكانيات وخامات منها تتكون الشخصية . فهو لم يتسم بعد بأساليب متميزة من التفكير والسلوك يمكن أن نحكم فى ضوئها على وجود الشخصية .

وتمثل الولادة حدثاً هاماً فى حياة الطفل . فهى خطوة أولى فى سبيل الاستقلال والتحرر . وإذا أمكننا أن نقدر مدى ما يقوم به الفرد فى سبيل تحرير نفسه من الإعتماد على الأم والبيت والقيود الثقافية ، لأدركنا أن الولادة هى الخطوة الأولى فى سبيل الإستقلال والإعتماد على الذات بشكل يتزايد ويستمر مع تقدم السن بالفرد . فهو مع الولادة يستقل كلية عن الأم فى عمليتى التنفس والإخراج كما يستقل منها جزئيا فى عملية التغذية .

وقد يكون من الصعب أن نحدد سناً معينة عندها تبدأ الشخصية فى الظهور . ولقد قام بعض علماء النفس بملاحظة أطفالهم حديثى الولادة ملاحظة دقيقة وسجلوا المظاهر المختلفة التى تبدو على الطفل ، وذلك بقصد الكشف عن التعبيرات الأولى المتميزة التى تشير إلى بداية ظهور شخصية الطفل . وكم كانت دهشتهم — رغم دقة الملاحظات — أن ليس ثمة بوادر تشير إلى ظهور شخصية الطفل حتى قبل الشهر الرابع .

وإذا كان طفل الأسابيع الأولى قد يتوقف عن البكاء ويتجه برأسه نحو ثدى الأم مما يمكن أن يعد سلوكا مميزاً للتوافق مع البيئة ، وإذا كانت الإبتسامة الإجتماعية الأولى فى حوالى الشهرين أو قبل ذلك تعتبر حدثا هاما فى حياة الطفل يدعونا إلى تأريخ بداية الشخصية بها ، إلا أنه فى حوالى الشهر الرابع تبدأ تظهر أساليب متميزة فى ألوان السلوك التى يقوم بها الطفل كمسك البزازة أو الوصول إليها وغيرها . وتكون هذه الأساليب فى النصف الثانى من السنة الأولى أكثر تميزاً . ولكن الإحساس بالذات يكون غير موجود حتى الآن . فالطفل لا يمكنه أن يميز بين ذاته والعالم الخارجى ويسلك بطريقة حسية حركية خالصة ويفتقر إلى الرموز اللغوية . ونادراً ما يعرف ما إذا كان هو الذى يتحرك أم أن الأشياء الأخرى المحيطة به هى التى تتحرك .

وقد أوضح جان بياجيه ذلك بشيء من التفصيل وخاصة في المراحل الأولى من المرحلة الحسية الحركية والتي تشمل فترة الطفولة المبكرة من حياة الطفل .

ومن الملاحظ أن صغار الأطفال يختلفون فيما بينهم اختلافاً ملحوظاً في الناحية المزاجية : فالأطفال حديثو الولادة يكشفون عن أساليب مختلفة من الإستجابة لنواحي الإحباط التي قد يتعرضون إليها في التغذية . وقد يكشف أحدهم عن ألوان من الاحتجاج الجسمي أضعاف أضعاف ما يكشف عنه الآخر . كما يختلف الأطفال فيما بينهم في نواحي البكاء والاستجابة للمثيرات المفزعة والمثيرات المحبطة . وفي استعدادهم للإبتسام والضحك وفي مستوى الطاقة والحركة وغيرها .

ولقد أكد أنصار مدرسة التحليل النفسي أهمية الخبرات التي تمر بالطفل خلال السنة الأولى من حياته ، وذهبوا إلى أنه لكي نحصل على شخصية غير عصابية وآمنة في مستقبل حياتها ، يلزم أن يتمتع الفرد في طفولته المبكرة بنواحي أهمها :

(ا) رضاعة طبيعية .

(ب) فترة حضانة طويلة بشكل مناسب .

(ج) فطام تدريجي .

(د) نظام رضاعة يراعى فيه حاجة الطفل .

(هـ) تدريب سهل وبطيء على عادات الإخراج والتبول .

(و) التحرر من الضغوط والقيود .

(ز) البعد عن العقاب .

(ح) نوم هادىء يحس فيه الطفل بالطمأنينة (نوم مع الأم) .

وقد وضعت هذه النواحي موضع الدراسة والتجريب ولكن لم تكشف الدراسات عن اتفاق تام بين الباحثين . فقد قام « سويل » بمقارنة شخصيات أطفال في سن السادسة مروا بمثل هذه الأساليب من التربية في طفولتهم المبكرة بشخصيات أطفال آخرين لم يمروا بها خلال نفس هذه الفترة الأولى من حياتهم . ولم تكن الفروق دالة بين المجموعتين في كثير من النواحي . وقد كشفت هذه الدراسة أيضا عن نتيجة تتعارض والفرض الأصلي للبحث ، فقد كشفت عن أن الأطفال الذين كانوا ينامون مع الأم خلال العام الأول من حياتهم ، أقل توافقا وأضعف في تكوين العلاقات والروابط الإجتماعية من الأطفال الآخرين من أفراد الأسرة . وهذه الدراسة توحي أن العلاقة بين هـــذه النواحي وسمات الشخصية التي تظهر بعد ذلك ليست واضحة ولا محددة .

وثمة دراسة أخرى قامت بها فريدا جولدمان (١) عن العلاقة بين الرضاعة بالثدي وظهور بعض السمات « الفمية » فيما بعد خلال حياة الفرد . ولقد أخضعت المادة التي حصلت عليها من الدراسة الدقيقة لمجموعة من الكبار للتحليل العاملي ، وكشف التحليل عن وجود علاقة واضحة ومحددة بين نوع الرضاعة بالثدي التي مر بها الفرد في طفولته المبكرة (فطام مبكر وفطام متأخر) وظهور سمات معينه للشخصية فيما بعد (والتي تتميز على التوالى بأنماط عـــدم الإشباع الفمي أو الاشباع الفمي) . ولقد وجدت مثلا أن مفحوصيها الذين فطموا من الثدي قبل الشهر الرابع من عمرهم كانت تبدو لديهم خصائص الكبار في التسامح والسلبية وتوقع الحرمان وجميعها خصائص تعكس عدم توقع شيء طيب من الناس حوله أو أنهم لا يمكن أن يكونوا مصدر لذة أو اشباع .

(1) Goldman-Eisler, Frieda,: The proplem of " orality " and of its origin in early childhood, J. ment. Sci. 1951. 97-765-782.

وعلى العموم ، فإن معظم الدراسات تشير إلى عدم وجود علاقة علية بين أساليب التدريب المبكرة وتكوين الشخصية فيما بعد ، كما لم تكشف معظمها أيضا عن إرتباطات واضحة ومحددة بين أساليب تدريب الطفل والاتجاهات الوالدية (١) وبمعنى آخر أن ليس ثمة فارقاً كبيراً فى نمو الشخصية فى مستقبل أيام الفرد ، بين أن يكون قد رضع رضاعة طبيعية أو أن يكون قد رضع رضاعة صناعية ؛ بين أن يكون قد اتبع أسلوبا محدداً فى عملية الرضاعة أو أن تكون الرضاعة حسب احتياجات الطفل ؛ بين أن يكون الفطام قد تم تدريجياً أو تم فجائيا . والحقيقة أن طفل السنة الأولى من الحياة يكون من المرونة والليونة بحيث يمكن أن يتشكل ويتكيف مع أساليب التدريب . فلا نكاد نجد مطابقة تامة بين ناحية أو أخرى من أساليب التدريب وبين سمات الشخصية التى تظهر بعد ذلك . ولمثل هذه النتيجة توصل أورلانسكى (٢) وكذلك لندسميث وشتراوس (٣) فى عرضهم لنتائج البحوث التجريبية والتى خلصوا منها إلى أن ما لديهم من مادة لا يسمح لهم بالقول بوجود علاقة ثابتة بين أساليب تدريب معينة وسمات معينة فى شخصية الكبار .

ولكن هناك دراسات أخرى لم تركز اهتمامها على أساليب خاصة منفصلة من أساليب تنشئة الطفل . وعلاقة ذلك بتكوين الشخصية فيما بعد ، وإنما ركزت على عامل آخر أكثر شمولا واتساعا ، وأمكن الكشف عن آثار إيجابية له فى سلوك الطفل وشخصيته فيما بعد ونعنى به نمط الأمومة وأسلوب رعايتها للطفل عامة وليس ثمة شك أن هناك أنماطا مختلفة من الأمهات ..

---

(1) Sears, E. Maccoby. E. and Levin, H.: Patterns of child Rearing. Evanston Ill.: Row. Peterson. 1957,

(2) Orlansky H.: Infant care and Personality : Psychol. Bull. 1649. 46. 1-48.

(3) Lindsmith, A. R. and Strauss, A. L.: Acritique of culture-Personality writings. Amer. Social res. 1950. 81—587—600

وقد كشفت برودى (١٩٥٦) (١) فى بحثها المتعمق ل ٣٢ أماً شابه وأطفالهن والتى وجهت فيها الاهتمام إلى نواحى التغذية والنظافة وتقديم الأشياء للطفل والتحدث إليه ، أن هناك أنماطا مختلفة من الأمهات . فهناك النمط الذى يشتمل على الأم الحساسة لحاجة الطفل الثابتة فى أسلوب معاملتها له والتى توجه قدراً كبيراً من الاهتمام إليه . وهناك بالإضافة إلى ذلك أنماطا أخرى تنحرف عن هذا النموذج كأن تكون غير حساسة إلى الطفل غير ثابتة فى أسلوب معاملتها له أو من النوع الذى تعطيه اهتماما زائداً عن الحد .

ويبدو أن الطفل الذى يحرم فى سنته الأولى من حنان الأم ولا يجد بديلا يقوم مقامها ويعوضه حنانها ، يتأثر تأثراً واضحاً ولفترة طويلة من الزمن وربما استمر ذلك طول حياته . وقد قام « جولدفارب » (٢) بدراسة مجموعتين من المراهقين الذين أبعدوا عن أمهاتهم منذ الشهور الأولى من الحياة . وقد عاشت المجموعة الأولى فى بيوت تكفلهم وترعاهم رعاية طيبة بينما عاشت المجموعة الثانية فى مؤسسات أو ملاجىء وقد ظلوا بها مدة طويلة من الزمن . وقد كشفت الدراسة عن وجود فروق دالة بين المجموعتين ليس فقط أن كانت المجموعة الثانية أقل فى القدرة العقلية ، بل أيضا أن ظهرت لديهم مجموعة ملحوظة من أعراض الحرمان الانفعالى . فقد كانت تبدو عليهم البلادة وعدم النضج الانفعالى . كما كانت تبدو لديهم توقعات أن يكون أسلوب الناس معهم بارداً جافاً ، من النوع الذى لا يبالى بوجودهم أو يكشف لهم عن محبة وعطف . وقد يكون ذلك طبيعيا بالنسبة لهؤلاء ،

---

(1) Brody, Sylvia : Patterns of mothering, : maternal Influence during infancy. New York. International Universities 1956.

(2) Goldfarb, W. : Effects of early institutional care on adolescent Personality J. exp. Edu. 1943. 12. 106-129.

فما أن توضع بذور مثل هذه الاتجاهات فى الطفولة المبكرة حتى تتأصل فى نفس الطفل ويصبح من الصعب عليه تعديلها وبخاصة إذا استمر فى مثل هذه الأجواء فترة طويلة من الزمن . وهذه النتائج وصل إليها أيضا باحثون آخرون فكشفوا عن الآثار الضارة التى تتركها عدم الرعاية من جانب الأم والتى قد يترتب عليها ضعف ثقة الطفل بالعالم الخارجى المحيط به . ولعل هذا هو الذى دفع « إريك أريكسون » (١) فى كتابه « الطفولة والمجتمع » إلى القول بأن أول وأهم أزمة فى حياة الإنسان هى أزمة الثقة . فما لم توضع بذور هذه الثقة فى علاقة الطفل بالأم ، فإن البداية تكون ضعيفة وغير موفقة . وقد يتعذر على الطفل بعد ذلك أن يثق فى الآخرين المحيطين به أو فى العالم الخارجى من حوله .

وقد أشارت « مرجريت ريبل » (٢) فى مقالة لها عن خبرات الطفولة وعلاقتها بنمو الشخصية إلى أهمية الدور الذى تقوم به رعاية الأم . فأوضحت أن صغار الأطفال الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين يفقدون فجأة هذه الرعاية تظهر لديهم أعراض المرض النفسى، فقد يصبح الفرد منهم سلبيا أو تظهر عليه بعض أعراض « السكوت الإكتئابى » . أما السلبية فانها تتركز حول الفم فى صورة رفض الرضاعة أو قد ترتبط بفقد الشهية أو العجز عن تمثل الطعام ، كما قد تظهر أيضا فى كثير من الوان السلوك والنشاط على نحو ما يتضح فى رفض الطفل مشاركة الآخرين العابهم ونشاطهم . أما « السكوت الإكتئابى » فقد تكون له آثار أكثر خطورة من السلبية . فعندما يوضع

(1) Erikson. Erik : The Child and Society. New York, Norton, 1950.

(2) Ribble, A.M. : Infantile Experiences in Relations to Personality Development. in Hunt J. Mc. V. : Personality and Behavior disorders, vol. I, The Ronald Press Company New York 1944 pp. 621-651.

الطفل على الثدى للرضاعة فقد يقوم بحركات قليلة من المص استجابة للموقف المثير ثم سرعان ما يسكت عن الرضاعة وتأخذه سنة النوم العميق الذى لا يستيقظ منه الطفل إلا عند الرضعة التالية . وغالبا ما تلجأ الأم إلى ايقاظه قسراً . وهذه الاستجابة من جانب الطفل هى فى نظر ريبل نتيجة الإحباط أو الإثارة الهامشية البسيطه جداً .

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن الأسلوب العام الذى يعامل به الطفل فى طفولته الأولى يكون له تأثير أكبر من الأساليب المفردة كل على حدة . وفى ضوء معرفتنا بهذه الأساليب العامة يمكن التنبؤ بما ستكون عليه شخصية الطفل عامة . وبطبيعة الحال لن يكون هذا التنبؤ كاملا نظراً للظروف المتغيرة باستمرار حول الفرد والتى يمكن أن تعدل من سلوكه وخصائصه . وعلى وجه العموم ، فانه عندما ينمو لدى الطفل الإحساس بالذات أو بصورة الذات ، تبدأ عملية النمو تسير فى طريقها . وقد أكد فرويد أنه عندما تنمو هذه القدرات إبتداء من سن الثالثة تقريبا — يمكن أن توضع الخطوط الموجهة للشخصيه فيما بعد . أى أن بناء الشخصية يمكن أن يتحدد على هذا الأساس إبتداء من سن الثالثة .

وباختصار ، يمكن القول بأن الطفل فى سنته الأولى ، يكون أكثر مرونة وأكثر ليونة ، كما أنه أسرع نمواً منه فى أية مرحلة مقبلة ، وليست لديه فكرة عن نفسه ولا ذكريات قديمة ولا عادات يستند إليها ، ولذا فإن كل ما يحدث من حوله بصورة تفصيلية ، أى كل ما يراه حوله ، وكيف يطعم وكيف يعامل وقت الإخراج والتبول ، يترك أثراً بسيطاً نسبياً فى نفس الطفل ، وفى الوقت نفسه ، فإن نمط رعاية الأم وأسلوبها ووجودها أو حرمان الطفل منها ، عطفها له أو نبذها إياه ، كل ذلك يترك آثاراً عميقة

فى نفس الطفل ويضع البذور الأولى للثقة بالآخرين والمجتمع الخارجى ، ويعد عاملا هاما فى بناء شخصية الفرد بعد ذلك .

والطفل فى السنوات الأولى من الحياة يعتمد إلى حد كبير على الأم . ومشكلة هذه السنوات الأولى هى إقامة هذا الاعتماد على أسس متينة وطبيعية . وإذاتم ذلك ، يصبح الطفل فى مستقبل أيامه فى موقف يسمح له بتحقيق ذاته. أما إذا لم تتحقق ذاته فإن حياة الفرد سوف تقوم على أسس من عدم الثقة . وليس من شك ، كما سبق أن أوضحناه أن الطفل الذى يفتقر إلى الثقة يكون دائم الشك فى الآخرين ومن الصعب عليه أن يتوافق توافقاً سليما مع المجتمع .

ومن الممكن أن نلخص رأى البورت فى تكوين الشخصية فى النقط الآتية :

١ — أن الشخصية من حيث هى أسلوب متميز من أساليب التكيف التى يقوم بها الفرد ، لا توجد عند الولادة ، وإن كان من الممكن القول بأن بذورها توضع مع الولادة .

٢ — أن أساليب التكيف المميزة المبكرة والتى على أساسها يمكن أن نفرق بين طفل وآخر تتضح فى شدة نشاطهم التلقائى وتكراره (النشاط الحركى) وفى تعبيراتهم الإنفعالية المزاجية . وكلا العاملين الجسمى والمزاجى تحدده العوامل الوراثية .

٣ — أنه ليس من المحتمل قبل بداية الشهر الرابع أن يكون الطفل قد نضج نضجاً كافياً وتعلم تكوين عادات متميزة للتكيف . ومع بداية النصف الثانى من السنة الأولى تبدأ استجابات الطفل التوافقية المتميزة مع العالم المادى والإجتماعى تظهر بوضوح .

٤ — أن الصفات المتميزة التي يمكن ملاحظتها في وقت مبكر من حياة الطفل تميل إلى الإستمرار وبشكل ملحوظ يسمح للملاحظ أن يتنبأ بما ستكون عليه شخصية الفرد في المستقبل .

ولكن هذه النتيجة الأخيرة يجب ألا تفهم أنها تعني أن شخصية الفرد تتحدد مرة واحدة وإلى الأبد خلال السنة الأولى من حياته . فمصير أي فرد لا يتحدد ولا يمكن أن يتحدد بمثل هذه الصورة في هذه السن المبكرة ، لأن الظروف التي يمر بها الفرد بعد ذلك يمكن أن تؤثر تأثيراً عميقاً في شخصيته فسوء الظروف الصحية وتغير الظروف الأسرية والخبرات المؤلمة التي يمر بها قد تغير بالفعل من مجرى نموه الذي اتضح في السنوات الأولى من حياة الطفل . يضاف إلى ذلك ، أن بعض ظروف الطفل قد تحول دون تكوين الإستعدادات بنفس الثبات الذي ستكون عليه في المراحل التالية . فقدرة الطفل على الإحتفاظ بالخبرات الشعورية لا تزال بسيطة بشكل لا يسمح له بتكوين معرفة بذاته . وهذه المعرفة بالذات تلعب دوراً هاماً وجوهرياً في تنظيم الشخصية . فهي لب الشخصية . كل ذلك يجعل قدرتنا على التنبؤ بما ستكون عليه الشخصية أقل ثباتاً إذا استندنا لما هي عليه أو ما مر بها فحسب خلال السنة الأولى من حياة الطفل .

ودراستنا لنمو الشخصية يقتضي التعرض لنقطة هامة هي دراسة فكرة الذات . فالذات — كما سبق القول — هي لب الشخصية ، بل هي لب كيان الفرد ووجوده . وفكرة الذات تنمو وتتطور وتمر بمراحل متعددة . وقد أوضح جوردون البورت في كتبه المختلفة نمو فكرة الذات . وسوف نشير باختصار إلى مراحل تكوين الذات عند الفرد ابتداء من الطفولة المبكرة حتى المراهقة

على نحو ما أوضحها البورت (١) .

مراحل نمو الذات :

(ا) الطفولة المبكرة : من المؤكد أن الطفل ليست لديه أية معرفة عن نفسه «كذات» . وهذا تكشف عنه الملاحظات العديدة التي قام بها علماء النفس من أمثال هاينز فرنر وجان بياجيه وغيرهما . فالطفل في بداية الأمر لا يمكنه أن يميز بين نفسه والعالم الخارجي ، فهو ينظر إلى جسمه كما لو كان شيئا غريبا عنه ، ويلعب بأصابع قدميه كما لو كانت لعبته . أي أنه ليست لديه أية معرفة عن وجود ذات جسمية أو ذات إجتماعية . فالحدود الفاصلة بين ما هو جزء منه ، وما ليس جزءا منه لم تتضح بعد . ويحسن أن نفرق بين الشعور والشعور بالذات . فهما ليسا مترادفين ، لا عند الطفل ولا حتى عند البالغ . فالطفل على الرغم من أنه يحس ويشعر بما يجرى لديه من حالات وتغيرات نفسية ، إلا أنه يفتقر في هذه المرحلة الأولى من عمره إلى الشعور بالذات أما البالغ فلديه الناحيتين معا وإن كانتا غير متماثلتين . فهو يشعر ؛ كما أنه يشعر بذاته .

والطفل يكتسب الشعور بالذات بشكل تدريجي خلال السنوات الأولى من حياته . وهذه المرحلة الأولى من حياة الطفل والتي تشمل على السنتين الأولين يسميهما بياجيه باسم «المرحلة الحسية الحركية» ، وفيها يستقبل الطفل انطباعات من العالم الخارجي ويستجيب لهذه الانطباعات دون أن

(1) Allport, G. : Personality : a psychological interpretation, New York. Holt, 1937.
: Becoming : basic considerations for a psychology of personality. New Haven. Comm. Yale. Univer. Press 1955.
: Pattern and Growth in personality. New York. Holt 1961.

تكون هناك ذات وسيطة بين هذه الإنطباعات وهذه الاستجابات . فهو يحس ويشعر ويستجيب للضغوط الواقعة على سطح الجلد ويستجيب للأصوات الهادئة الناعمة الصادرة عن الأم ، وردود الأفعال الحسية الحركية هذه تدخل فى « كل غير متشكل » أو « كل غير متمايز » من الذات والعالم الخارجى على حد تعبير بياجية .

ومع استمرار النمو يبدأ الطفل يكتشف جسمه . فنى حوالى الشهر الخامس أو السادس يمسك بأصابع اليدين والقدمين ويمسك بالأشياء الصغيرة المحيطة به ، ولكن الأشياء والأصابع التى تقبض عليها هى شىء واحد بالنسبة إليه ، شىء واحد لم يتمايز بعد إلى مكوناته . وهو عندما يحملق فى قدميه ، يحاول أن يمسك بها وأن يضع إصبع قدمه فى فمه ، وهو إن أصاب قدمه فهو يتألم دون أن تكون لديه أية فكرة عن أنه هو سبب ألمه . وقد تستثيره رؤية صورته فى المرآة وهو فى شهره الثامن تقريبا ، ويحملق فيها ، ويحاول اللعب معها دون أن يدرك أن هذه الصورة التى يراها هى صورته هو . والطفل فى العادة يميز صورة والديه فى المرآة قبل أن يستطيع أن يميز صورته هو بوقت طويل .

ثم هو حين يبدأ يتنقل فى أرجاء البيت بالزحف من مكان لآخر ، قد يصطدم بأشياء كثيرة تسبب له ألما فيبدأ يدرك بالتدريج أن هناك أشياء خارجية جامدة وأن الإصطدام بها يسبب له ألما . أى يبدأ يدرك أن هناك أشياء خارجية عنه وهو يصل إلى فكرة الشىء الخارجى الذى ليس هو قبل أن يتمكن من أن يدرك أن له ذاتا متميزة عن هذا العالم الخارجى بوقت طويل . وكما يدرك وجود الأشياء الخارجية قبل إدراكه لذاته ، فكذلك يدرك وجود الآخرين قبل إدراكه لذاته . فهو يتعرف على الوجوه المألوفة فى البيت من الأبوين والإخوة ، كما يتعرف على الغرباء عن البيت . وهذا التعرف على « الغير » يسبق أيضا التعرف على الذات .

ويذهب البورت إلى أن أول مظهر لفكرة الذات فى هذه المرحلة الأولى هو « الاحساس بأن له جسما » وأن هذا الجسم ، جسمه هو . فالطفل يستقبل سيلا من الأحساسات العضوية الداخلية ، كما أنه يتأثر أيضاً بالكثير من المثيرات العديدة الموجودة فى العالم الخارجى . وبالطبع لا يكون لهذه الأحساسات الجسمية أى أثر فى تكوين الذات مالم تكن متكررة . ومعرفة هذا التكرار للإستجابات البسيطة المتلاحقة يتطلب نضجاً مناسباً فى اللحاء بشكل يسمح بالاحتفاظ بآثار الخبرات السابقة . وكما ينمو الإحساس بالذات الجسمية من الإحساسات العضوية المتكررة التى تترك آثارها فى نفس الطفل، فإنه ينمو أيضا من الأحباطات المتكررة التى تصدر عن العالم الخارجى فالإحساس بالذات الجسمية هو فى نظر البورت وثيقة وجودنا . بمعنى أن احساساتنا وحركتنا تمدنا بمعرفة ثابتة عن وجودنا .

ولكن رغم ما للذات الجسمية من أهمة ، إلا أنها ليست كل شيء فى تكوين فكرت الذات عند الطفل فى هذه المرحلة الأولى من الحياة فهناك أفكار أخرى لها أهميتها .

هناك ثانياً هوية الذات واستمرارها : فأنت هو نفس الإنسان الذى كنت عليه وانت فى سن الثالثة أو الرابعة من عمرك رغم أن كل شيء يتصل بك ، حتى خلايا جسمك والبيئة المحيطة بك قد مرت بها تغييرات عديدة جداً . ثم أن كل فرد منا يتعرف على ذاتة . فأنا أتذكر بعض الأفكار والأحداث التى مرت بذهنى بالأمس ؛ وفى الغد سوف أتذكر بعض ما مر بى من أفكار وأحداث فى يومى وأمسى . وأنا على ثقة أيضاً من أن هذه الأفكار والأحداث تصل بشخص واحد هو أنا . ففكرة هوية الذات تعتبر بالغة الأهمية ، طالما أن التغير هو مع ذلك القاعدة الأساسية للنمو . فرغم

ما يطرأ على أفعالنا وأفكارنا من تغيير ، إلا أن الذات تبقى هى هى مستمرة ومتصلة .

وتلعب اللغة دوراً هاماً فى هذا الصدد . فعندما يبدأ الطفل التحدث والتعبير عن رغباته يستخدم من الألفاظ ما يشير إلى حاجاته ورغباته . وأنه ، أعنى « هو » يريد أن يأكل أو أن يشرب أو أن يحصل على لعبة ما . فلفظ أنا ، أو ما يشير إليه يعتبر عاملا واضحاً فى علاقته بالعالم الخارجى . ثم أن اسم الطفل الذى يتردد على مسمعه فى اليوم الواحد مرات عديدة ، قد يساعده أيضاً على أن يدرك ذاته كشىء متميز ومستقل . وهذا الاسم يكتسب معنى ودلالة بالنسبة للطفل فى عامه الثانى . ومع الاسم تأتى المعرفة بالوضع المستقل وأن له وجوداً مستقلا عن وجود الآخرين يتمثل فى هذه الذات الجسمية التى بدأ يحس بوجودها . وإلى جانب الاسم هناك أشياء أخرى يمكن أن تعد بمثابة نقط ارتكاز هامة للتعرف على الذات كالملابس والأشياء الخاصة . فبعض الأطفال فى سن الثانية أو الثلاثة قد يكشفون عن احساس بالهوية حين ينظرون إلى بعض ممتلكاتهم الخاصة كالحذاء الجديد أو شريط الرأس أو الفستان الذى ترتديه .

وإلى جانب الذات الجسمية وهوية الذات واستمرارها ، هناك ناحية ثالثة تلعب دوراً هاماً فى هذه المرحلة الأولى من تكوين فكرة الذات هى رغبة الطفل فى إثبات وجوده أو تقديره لذاته . ففى سن الثانية أو الثالثة يحاول الطفل القيام ببعض الأشياء بنفسه كدفع المشاية بنفسه أو تناول بعض الأشياء واللعب بها بنفسه ، وينتقل فى أرجاء البيت يستكشف ما فيه ويجد لذة كبيرة فى القيام بمثل هذه الألوان من السلوك والتى — إن أعيقت من جانب الكبار — يشعر الطفل كأنها ضربة موجهة لتقديره لذاته . بمعنى أن الذات قد أحبطت وأعيقت ، وينتج عن ذلك شعور بالضعف أو إحساس بالغضب ؛

ويحس الطفل بذاته ويكون واعياً بها لدرجة كبيرة ، ويكون هذا السلوك واضحاً لدى طفل هذه المرحلة حتى أن البعض يسميه الحاجة إلى الإستقلال الذاتي . وهى سمة ملحوظة وبارزة فى فكرة الذاتية عند طفل الثانية أو الثالثة ولذلك نجد أن نمو فكرة الذات يبلغ مرحلة حساسه فى حوالى سن الثانية أو الثالثة . وهذا مايتجلى فى ثورة المعارضة التى يتميز بها طفل هذه الفترة بالنسبة للطعام والملبس وإطاعة الأوامر وكل مايريده الآباء عادة فهو ينظر إلى أوامر الكبار كما لو كانت تهديداً يهدد تكامله . ولذلك تتضح عنده ظاهرة الرفض كما لو كان الرفض بقوله « لا » وسيلة لحماية الذات من كل ما يؤدى إلى تحقيرها .

وعلى ذلك فالمظاهر المميزة لنمو فكرة الذات فى السنوات الأولى فى نظر البورت هى :

١ — المظهر الأول : الأحساس بالذات الجسمية .

٢ — المظهر الثانى : هوية الذات واستمرارها .

٣ — المظهر الثالث : تقدير الذات .

ويذهب « جورج ميد » إلى أن الذات فى جميع مظاهرها وتكوينها هى نتاج اجتماعى . فهو يرى أن الأحساس « بالأنا » يتكون إلى حد بعيد من إتجاهات وكلام وإشارات وإيماءات الآخرين الذين يلاحظهم الطفل ويقلد حركاتهم وأفعالهم وأقوالهم ويستجيب لها . أى أن أحساس الطفل بذاته هو نتيجة لسلوك الآخرين نحوه . فالبعض يعامله كطفل أو كابن لهم ، والبعض يعامله كأخ ، والبعض كرفيق لعب ، والبعض ينظر إليه كشخص غريب عنهم . فهؤلاء جميعاً هم مرآة الذات والتى من خلالها يكوّن فكرته عن نفسه .

ولكن الذات لم يتم نموها بعد ، بل أنها تتطور سريعاً . وهو تطور لا يزال بعيداً عن الكمال .

(ب) مرحلة ما قبل المدرسة : لكن مرحلة ما قبل المدرسة - وهى الفترة ما بين الرابعة والسادسة - سرعان ما يفقد هويته ويختلط عنده الوهم بالحقيقة وتسيطر على العابه النوع المعروف باسم اللعب « الإيهامى » الذى يتوهم الطفل نفسه فيه فارساً أو شرطياً مثلا ، ويخلق له من الوهم والخيال أصدقاء : أطفالا كانوا أم حيوانات وفكرة الذات الجسمية تكون عنده أكثر وضوحاً لجميع أعضاء جسمه هى ملك خاص به وحده

كما أن طفل هذه المرحلة يكون ذاتى المركز إلى حد بعيد فالإطار المرجعى لتفكيره هى ذاته . فالقمر يتبعه فى كل مكان وحيثما سار . والله موجود ليحفظه ويحميه ، كما أن وجهة نظره تعتبر مطلقة . فالآخرون يفكرون على نحو ما يفكر هو . ولذا فهو ليس فى حاجة لأن يعبر عن وجهة نظره أو يفسر أقواله وعباراته للاخرين . ولكن مركزية الذات هنا ليست قائمة على معرفة بالذات أو أنها تدور حول الذات ، وإنما هى تصدر فحسب عن الطبيعة الشخصية لتفكير الطفل فى هذه المرحلة .

ومن ثم ، فإن هذه المرحلة تتميز فى نظر البورت بمظهرين جديدين بالإضافة إلى المظاهر الثلاثة السابقة التى تتميز بها السنوات الثلاث الأولى . وهذان المظهران هما :

٤ — المظهر الرابع : امتداد الذات واتساعها .

٥ - المظهر الخامس : صورة الذات .

فالذات تتسع لتشمل أشياء كثيرة ، كما يلعب الإحساس بالملكية فى نفس الوقت دوراً هاما . فهذه الكرة كرتى وهذه العراجة دراجتى ، وهذه أمى وهذا أخى وهذا بيتى الخ . وكلها تصبح إمتداداً للذات وتشير أيضا إلى اتساعها لتشمل العديد من الأشياء . وبطبيعة الحال لا تتسع ذات الصغير فى هذه

المرحلة لتشمل كل ما يحيط به فى دائرة عالمه الكبير على نحو ما نجد مثلا بالنسبة للكبار . وإنما أساس هذا الاتساع الكبير الذى سوف يحدث فيما بعد ، يتم وضع بذوره فى هذه المرحلة حينما يحس الطفل بتملك أشياء كثيرة

وبالإضافة إلى امتداد الذات وأتساعها ، تأخذ صورة الذات تتضح أكثر وأكثر . فعن طريق التفاعل المتبادل مع الكبار والوالدين يمكنه أن يقارن بين سلوكه الواقعى وما هو متوقع منه فهو ولد مشاغب ووالداه يريدانه ولداً هادئاً لطيفاً ولكن صورة الذات هنا ليست نامية على نحو ما فى المراهقة وعلى العموم فبذور فكرة الذات كما هى وكما يريد أن تكون عليه ، تكون موجودة فى هذه المرحلة .

(ج) مرحلة الطفولة المتأخرة : ومع دخول الطفل المدرسة الإبتدائية أى فى الفترة ما بين سن السادسة والثانية عشرة — يزداد إحساس الطفل بهويته وبصورة ذاته وبقدرته على امتداد الذات . وسرعان ما يتعلم الطفل أن ما هو متوقع منه خارج المنزل يختلف إلى حد كبير عما هو متوقع منه داخل المنزل . فمستويات الرفاق فى اللعب والمشى والكلام والملبس شىء جديد عليه . ثم هو يحاول أن يدمج نفسه مع جماعات الرفاق وأن يندمج مع الشلة وفى عالم الواقع ، كما يقل لعبه الإيهامى ويزداد إحساسه بذاته الواقعية ولذلك نجده يرتبط بالمعايير الخلقية وأحكام اللعب وقواعدها ويتبعها بكل دقة . ويكون راضياً عن نفسه إذا هو تكيف مع الواقع الخارجى والأحكام الخارجية وامتزاج مع الشلة ونمت صورة ذاته .

وهذه الفترة هى أيضا فترة نمو عقلى . وهى فترة تتميز بالمزيد من الرغبة فى المعرفة وحب الإستطلاع وكثرة الأسئلة والاستفسارات وهذه هى بداية

الإحساس بمظهر جديد من مظاهر نمو الذات وهو المظهر السادس عند البورت .

٦ — المظهر السادس : الذات منطقية عاقلة .

ووظيفة الذات هنا كوظيفة « الأنا » عند فرويد ، التي تحاول أن تجد حلا ومخرجا للمشكلات التي تخلقها النزعات الغريزية والنزعات المكبوتة (الهو) ثم الواقع أو البيئة الخارجية ثم الأوامر والنواهي التي تصدر عن الوالدين والمجتمع (الأنا الأعلى) . فوظيفة الذات العاقلة هي محاولة تجنب المشكلات والصعوبات التي تثيرها هذه النواحي الثلاثة ولكنها بالطبع ليست دائما عاقلة تماما ، بل تكون أحيانا مجرد ذات دفاعية تحاول خلق المعاذير والتبريرات كي لا تجرح الذات . فهي تنكر العوائق الموجودة القائمة وتتلمس وسائل الهروب ووضع الخطط التي هي مجرد حلول مزيفة لمشكلات الحياة .

(د) مرحلة المراهقة : وأخيراً تأتي مرحلة المراهقة ، وفيها يبحث المراهق من جديد عن ذاته . فهو في طفولته المبكرة قد أحس بهويته ولكنه فقدها ، إن شئنا القول ، في الأسرة وفي الشلة وفي الولاء لهما . والآن تصبح مشكلة المراهق هي البحث من جديد عن هويته .

وكثيراً ما تواجهه المراهق في هذا الصدد صعوبات جمة تزيد من مشكلاته في هذه المرحلة . فأسلوب معاملة الوالدين له مرة كطفل ، ومرة كرجل ، من أسباب مشكلاته وعدم استقراره فسلوكه وتصرفاته تكون أحيانا كسلوك الأطفال وتصرفاتهم ، ولكنه مع ذلك قد بلغ من الناحية الجسمية والجنسية مبلغ النضج الذي يكفي للنظر إليه كرجل .

وصورة المراهق عن ذاته تتوقف على الآخرين وتقبلهم أو نبذهم له .

وثورة المراهق وتمرده على السلطة لهما علاقة هامة ببحثه عن هويته وذاته . إنها محاولته الأخيرة للإستقلال الذاتى . وقد يلجأ المراهق إلى أساليب تكشف عن قلقه وعن بحثه عن شيء لم يصل إليه بعد . فألوان الزى التى يرتديها وتصفيف شعره بالصورة التى يقوم بها ، وتقليده للأبطال المختلفين ، كل ذلك تعبير عن القلق وعدم الإستقرار . وعادة ما ينظر الآباء إلى مثل هذا السلوك وهذه الخبرات نظرة بعيدة عن الإحترام والتقدير للمراهق ولذلك فهو يقوم به فى الأغلب خارج البيت وفى صحبة الزملاء .

ويكون الصراع حول الحاجات الجنسية واضحاً . وتتناقض وجداناته وعواطفه ويتذبذب أحيانا بين الإيمان والإلحاد . وقد يجد كثير من المراهقين فى الدين حلا لمشكلاتهم كما تظهر أهداف المستقبل واضحة جلية ويحتل التفكير فى المهنة التى يعد نفسه لها فى المستقبل جزءاً كبيراً من تفكيره ، كما أنه يرسم للمستقبل خطة موضوعة وهو بهذا يُدخل بعداً جديداً على ذاته لم يكن موجوداً من قبل فى الطفولة . وغالباً ما تكون آمال الشباب بعيدة ومستويات طموحة عالية جداً . ولكن مع تقدم السن سرعان ما يتكشف البعض أن ما لديهم من قدرات واستعدادات أقل مما لديهم من آمال وأحلام ، فيعدل من صورة ذاته ومن مستويات طموحه بما يتفق وقدراته واستعداداته وهذا دليل على مستوى عال من النضج . وعلى هذا النحو يضيف البورت البعد السابع فى تكوين الذات ونموها وهو .

٧ — المظهر السابع : الجوهر المميز .

وهذا المظهر الأخير يتميز بالاتجاه والقصد المعرفى مما يساعد على تحديد أهداف الفرد وليس من الضرورى أن تكون الأهداف جامدة وثابتة ، ولكن فقط يوجد هدف رئيسى يهدف الفرد إلى تحقيقه . وهذا المظهر الهام فى نمو الذات لم يكن موجوداً من قبل . فالطفل الصغير الذى يريد أن يكون

طياراً أو طبيباً ، ليس لديه الاتجاه المتصل والجهد المتكامل لبلوغ ذلك وتحقيقه أما الشاب فهو يرسم ويخطط ويحس بالهدف وينشط إلى تحقيقه . وبالطبع يحتاج هذا كله إلى قدر من النضج فى الشخصية قد لا تجده عند جميع المراهقين فالبعض قد يصل إلى مرحلة المراهقة دون أن يكون لديه إحساس واضح بالهدف . وهؤلاء فى الأغلب لا تكون شخصياتهم ناضجة ، ولذا فإحساسهم بالذات لا يزال لجاً أولياً .

ولكن هذه المظاهر المختلفة للذات ليست متباعدة . فهى جميعاً حالات تكشف عن الذات على نحو ما نحسها ونشعر بها . كل واحدة منها مرحلة من مراحل نمو الذات . ويمكن أن نربطها بعضها ببعض تحت اسم واحد . وقد اختار البورت لها اسم الذات الممتدة المميزة Proprium وقد أشار البورت إلى أنه لم يسمها الذات وكفى . لأن معظم الكتّاب يطلقون اسم الذات أو الأنا على مظهر واحد أو مظهرين من المظاهر السابقة . ولذا فهو يفضل أن يضع لها تسمية جديدة تضم هذه المظاهر المتعددة للذات .

٨ – المظهر الثامن : الذات العارفة

وبعد أن حدد البورت الوظائف الموحدة المميزة المتنوعة والتى تعتبر موجودة لدينا كلها ، يتساءل عما إذا كانت لدينا بالإضافة إلى ما سبق ذاتاً عارفة يمكن أن تضاف وظيفتها إلى كل الوظائف الأخرى للذات المعقدة المميزة وتتعداها وتدركها ؟ لقد ذهب وليم جيمس إلى أنه لا توجد لدينا مثل هذه الذات العارفة . فهى لا توجد كشىء له كيان يمكن تمييزه عن المجموع الكلى للخبرات ، أو يمكن انتزاعه من مجرى هذه الخبرات . فكل لحظة شعورية ترتبط وتتصل باللحظة السابقة . وعلى هذا فالذات العارفة توجد مضمحلة على نحو ما فى قوله « الأفكار نفسها هى الذات المفكرة » .

أما معارضو «جيمس» فيقولون إن مجرد سلسلة من الخبرات لا يمكن أن تتحول هي ذاتها إلى شعور أو وعي بهذه السلسلة كوحدة ، كما أن الأفكار الماضية لا يمكن أن تؤخذ بذاتها على أنها هامة أو مثيرة الإهتمام ، ما لم تكن هناك ذات تثير إهتمامها أو تكون هامة بالنسبة إليها . فالذات العارفة هي المحك النهائي وهي التي تبقى كسلم نهائي لا مفر منه .

وسواء أخذنا برأي جيمس أو رأي معارضيه ، فمن الملاحظ أن هناك اتفاقا بينهم في ناحية أن الوظيفة المعرفية ضرورية وحيوية بالنسبة للذات . فنحن لا نعرف أشياء فحسب ، بل إننا نعرف ونتعرف على « الملامح التجريبية لذاتنا الموحدة المميزة ؛ إنني أنا الذي لدى إحساسات جسمية ، وأنا الذي ألاحظ هويتي من يوم إلى آخر ، وأنا الذي ألاحظ وأفكر في توكيد ذاتي وإمتدادها ، وفيما أبديه من تبريرات ، كما أرقب اهتماماتي وكفاحي وهكذا . أفكر في وظائفي الخاصة الموحدة المميزة ، وأكاد أدرك وحدتها الأساسية وأشعر بارتباطها الوثيق على نحو ما بالوظيفة العارفة ذاتها »(١) .

ومع ذلك يتدارك البورت الأمر ويرى خطورة هذا القول إذا التزمنا بوجهة النظر العلمية فإذا صرحنا بأن الذات « عامل مستقل » داخل الشخصية هي التي تعرف وتريد وتهدف الخ ، ألسنا في خطر من خلق شخصية داخل الشخصية فإذا تساءلنا مثلا لماذا يعمل هذا الشخص بجد ، فإننا لا نفسر شيئاً إذا قلنا لأن ذاته تريد ذلك فقولنا أن الذات تفعل هذا أو ذاك ، وتريد هذا أو ذاك ، وترغب في هذا أو ذاك ، إنما يثير مجموعة من المشكلات الصعبة التي هي أقرب إلى الفلسفة منها إلى العلم . ولذا يذهب البورت إلى أنه

---

(١) ج . البورت : الصيرورة . ترجمة د . جابر عبد الحميد جابر ومحمد مصطفى الشعبيني تحت عنوان « نمو الشخصية » ١٩٦٣ .

فى بناء الشخصية ـ إذا فهم فهما صحيحاً ـ بما فى ذلك البناء الموحد المميز ـ سوف نجد التفسيرات التى نبحث عنها . فليس من الحكمة أن يتخلى عالم النفس عن مسئولياته فى تفسير مظاهر السلوك المختلفة ويعزو مشكلاتنا إلى وسائط داخلية أو إلى عامل خفى يحرك الخيوط على حد تعبيره . وإذا كان من الممكن ـ لأغراض فلسفية معينة ـ أن ننظر إلى الذات كوحدة متصلة ثابتة أو أن نهبها الخلود مثلا ، فإننا فى علم النفس يحسن أن نتجنب الفصل القاطع بين الذات « كعامل » ووظائف الأنظمة الموحدة المميزة داخل الشخصية (١) .

---

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt 1961.

الفصل السابع

بناء الشخصية

مقدمة :

الطبيعة الإنسانية — كأى طبيعه أخرى — تقوم على تراكيب ثابتة نسبيا. ونجاح أى علم يتوقف على قدرته على التعرف على الوحدات الأساسية التى يقوم عليها هذا العلم. فبدون معرفة العناصر الكيميائية التى يتكون منها علم الكيمياء، لتعذر قيام مثل هذا العلم. والأمر بالمثل لعلم الطبيعة فما كان يمكن أن يقوم هذا العلم بدون معرفة المادة موضوع دراسته وما كان يمكن أن يقوم علم الحياة بدون معرفة الخلية الحية التى يتكون منها الكائن الحى. فالعلم تحليلى والأمر ينطبق بطبيعة الحال على علم النفس. ولكن مشكلة هذا العلم أصعب بكثير من مشكلة العلوم الأخرى نظرا لطبيعة المادة التى يدرسها علم النفس وما هى عليه من تعقيد بالغ. ولذا فان البعض ينظر أحيانا إلى علم النفس باعتباره لا يزال متخلفا عن العلوم الطبيعية الأخرى حيث لم يصل بعد إلى اكتشاف الوحدات الأساسية التى تقوم عليها دراسته. ولقد قدمت ابتداء من القرن الماضى اقتراحات بوحدات كثيرة يقوم عليها علم النفس كالملكات والأفكار والغرائز والقوس المنعكس والاحساس والصور الذهنية والمشاعر والحوافز والعادات والعوامل والاتجاهات. غير أنه لم يكن ثمة اتفاق بين علماء النفس حول هذه الوحدات ولعل هذا الإختلاف فيما بينهم يرجع إلى إختلاف وجهات نظر كل منهم. فنجد «فنت» و «تتشنر» وهما من الذين اهتموا بدراسة الحياة العقلية الشعورية — اعتبروا الإحساسات والصور والمشاعر بمثابة الوحدات النهائية الأساسية. على حين أن بعض علماء النفس التجريبى يعتبرون المثير والإستجابة بمثابة الوحدات (كالحافز

والعادة) ، واتخذ علماء النفس الفسيولوجي تجمعات الخلية كوحدات ، بينما المهتمون بالإحصاء اتخذوا من العوامل وتجمعاتها وحدات لهم ، على حين اتجه علماء النفس الإكلينكي ناحية الحاجة ، بينما اهتم غيرهم من المشتغلين بدراسة الشخصية ناحية السمات والاتجاهات .

وقد كان هذا التعدد فى الوحدات ، مع ذلك ، مصدر خلط بين العلماء ولذا كان هناك رد فعل واضح من جانب بعض مدارس علم النفس الحديثة ممثلا فى مدرسة الجشتلت التى انكرت الاهتمام بالعناصر والجزئيات وأكدت فى الوقت نفسه أهمية المجال أو الصيغة الإجمالية العامة أو النمط العام . فالوحدات الجزئية فى نظر اصحاب هذه المدرسة لا أهمية لها فى ذاتها من حيث هى جزئيات لأن الجزء يستمد صفاته وخصائصه من الشكل الذى ينتمى إليه .

ومع ذلك ، فلابد من أن يكون هناك شيء ما يفسر لنا التكرار والثبات فى سلوك الفرد . ورغم أننا لا نذهب إلى القول بأن الوحدات يمكن أن توجد فى حالة نقية أو خالصة ، فإننا نجد مع ذلك أن الشخصية تمثل بناء ثابتاً نسبياً مع الزمن وفى مجالات ومواقف مختلفة . فكيف يمكن أن نفسر هذه الحقيقة ، ما لم نبحث عن نوع من التراكيب التى تقوم عليها الشخصية .

ولذلك بدأ البحث عن التراكيب المختلفة هذه منذ وقت بعيد . ومن المهم أن نعرف كما أوضح شيوى Shuey (١) ، أن معظم الأفكار التى ظهرت فى هذا الصدد ، كفكرة الأنماط مثلا ، لم تأت من علماء نفس أكاديميين ، بل من أناس آخرين كان معظمهم يشتغل بالطب أو الفلسفة . فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادى ، كانت نظرية الشخصية تفسر فى

---

(1) See Guilford. Joy Paul : Personality, New York. Mc Graw-Hill 1959. chp. 5.

ضوء الأمزجة الأربعة الأساسية التي قال بها ابقراط (٤٠٠ سنة ق . م)، وهي الدموى والسوداوى والصفراوى والبلغمى والتى تقابل العناصر الأربعة فى الطبيعة والتى قال بها أنبادوقليس سنة ٤٥٠ ق . م والتى هى على التوالى الهواء والتراب والنار والماء . وعلى الرغم من وضوح الصورة إلا أنه لا يمكن الأخذ بها كما يقول البورت . فهى تقيم علم الطبيعة والكيمياء الحيوية وعلم النفس على نفس العناصر الأربعة . وإذا كانت « وحدة العلم » يمكن بلوغها فى يوم ما ، فانها لن تكون على هذه الصورة المبسطة للغاية .

وحين فقدت الوحدات المزاجية بريقها ، ظهرت نظرية الملكات لتحتل مسرح الفكر ما يقرب من قرنين من الزمان (فى الفترة ما بين ١٦٥٠ — ١٨٥٠ م تقريبا) فكان ينظر إلى الطبيعة الانسانية على أنها مكونة من وحدات بسيطة سميت باسم الملكات . فكان هناك « قوى » الذاكرة والتفكير والتصور والتخيل الخ ولقد بحث فرانز جوزيف جول Gall (١٧٥٨ — ١٨٢٨) مؤسس علم الفراسة عن ملكات ذات صلة وثيقة بالصفات الشخصية كالغرور والصداقة . والجدير بالذكر فى هذا الصدد أن جول كان مهتما إلى درجة كبيرة بمشكلة الفروق الفردية وبحث عن تفسير لها بالرجوع إلى الملكات . ومع ذلك فلم يكن جول مقتنعا بالملكات التى صادر على وجودها علماء النفس فى أيامه فقد كتب يقول إننا لا نجد فى أى مكان رجلا أو امرأة يعجد بالفهم والإرادة والإنتباه والرغبة . . أن كل انسان — فيما عدا الأبله — يستمتع بكل هذه الملكات ومع ذلك فنصيب كل إنسان من هذه الصفات العقلية أو الخلقية مختلف .. . إننا نحتاج إلى ملكات يحدد توزيعها المختلف الأنواع المختلفة من الحيوانات وتفسر النسب المختلفة لها الفروق بين الأفراد . وبذلك يمكن القول بان جول قد سبق معاصريه بزمن

طويل فى معالجة مشكلة الفروق الفردية (١) .

وتحت تأثير دارون ، انتقل الإهتمام فى دراسة الشخصية من الملكات إلى الغرائز . ويعتبر وليم مكدوجل الممثل لهذا الإتجاه فى علم النفس مع بداية القرن العشرين . لقد نظر مكدوجل الى الغرائز باعتبارها الوحدات الأساسية التى يقوم عليها السلوك والتى فى ضوئه يمكن تفسير شخصية الفرد . وقد دعم فرويد هذا الإتجاه حين ذهب إلى القول فى تفسيره للسلوك والشخصية بوجود غريزتين هما غريزة الجنس وغريزة العدوان . غير أن نظرية الغرائز قد تعرضت إلى الكثير من النقد وخصوصا من جانب علماء الأنثروبولوجيا الذين هاجموها من ناحية عموميتها جميع أفراد الجنس البشرى ، كما تعرضت الى الهجوم من جانب بعض علماء النفس الذين رأوا فيها عودة إلى تقسيم النفس البشرية إلى أجزاء وبالتالى عودة إلى نظرية الملكات .

وقد تغيرت الصورة بعد ذلك وتعددت النظريات والآراء . فنادى السلوكيون على وجود الحوافز — وهى إلى حد بعيد اشتهاءات فسيولوجية — باعتبارها الوحدات الأساسية التى تقوم عليها الشخصية . بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بوجود الحاجات والتى هى — على عكس الغرائز — ليست فطرية بالضرورة وإنما هى مجرد اتجاهات أساسية للدوافع كالحاجة الى الخضوع والتحصيل والعدوان والسيطرة والعزلة وغيرها من الحاجات التى أوضحها مورى بشىء من التفصيل .

وهذه اللمحات التاريخية تفيدنا فى إعطاء صورة للبحث الذى بدأ منذ مايقرب من الفى سنة ، ولم يصل بعد الى نتيجة . وهناك اتجاهات واقتراحات

---

(1) Mackinnon, Donald, W.: The Structure of Personality. in J.Mc V. Hunt. (ed) Personality and the behaveior Disorders vol. 1, New York. The Roland Press Company 1944. p.p. 3-48.

تظهر باستمرار فى هذا المجال الغامض . فإلى جانب الغرائز والحوافز والحاجات والقيم ، هناك العادات وزملة العوامل والمكونات الشخصية والأنماط والأبعاد والسمات . وقد يفضل واحد أو أكثر من الباحثين أحد هذه الأنواع من الوحدات ويشرع فى وضع تعريفاته وتصنيفاته الفرعية لها. وحتى لو اتفق الباحثون حول تحبيذ نوع معين من الوحدات على غيرها ، فسوف يختلفون عادة حول الوحدات الخاصة التى يمكن تمييزها وادراكها تحت هذا النوع .

وسوف نعرض فى هذا الفصل والفصول التالية فى هذا الباب لبعض الوحدات الأساسية التى تقوم عليها دراسة الشخصية .

بناء الشخصية فى ضوء نظرية الأنماط

إن تصنيف الناس إلى أنماط هو الأسلوب الطبيعى الذى يلجأ اليه المبتدءون فى دراسة الشخصية . والرجل العادى يقوم أيضاً بتصنيف الناس الذين يعرفهم إلى أصناف ذو أنماط . ومثل هذا التصنيف يتجه نحو التقييم الإقتصادى ونحو امكانية التعرف السريع على الناس . فالرجل العادى يرى أن من المناسب أن يصنف الناس فى أصناف حتى يسهل عليه التعامل مع كل صنف حسب ما يتراءى له . فهو يسلك بطريقة ما مع من ينتمون الى نمط معين وبطريقة أخرى مع من ينتمون الى نمط آخر .

ويمكنه فى هذه الحالة أيضاً أن يتنبأ ويضبط سلوك الآخرين فى ضوء ما يظنه أنه يمثل النمط الخاص الذى ينتمون اليه . وليس مثل هذا العمل بالأسلوب الحديث . فقد ظهر بشكل واضح فى التصوير الإدبى للشخصية الذى بدأ عند ثيوفراسطس أحد تلاميذ أرسطو والذى قدم لنا ثلاثين صورة لشخصيات قام بتصويرها تصويراً أدبياً رئعاً اتبع فى كل منها نفس الأسلوب

الذى يتلخص فى تعريف السمة ثم وصف الشخصية التى تسود لديها هذه السمة وتعبر من نفسها بطرق مختلفة . ومن الواضح أن ثيوفراسطس لم يصف كل الأنماط البشرية . كما أنه كان هناك تداخل ملحوظ فى تلك الأنماط البشرية التى قام بتصويرها ووصفها . وقد تبع أسلوبه فى وصف أنماط الشخصية الكتاب المحدثين من أمثال شوسر ، وبن جونسون وجورج اليوت وصموئيل بتلر وغيرهم .

غير أن البعض قد خرج على هذه الصورة التى رسمها ثيوفراسطس فى رسم الشخصية . وكشف هؤلاء عن اعتقاد بأن لكل إنسان نمطاً ثابتاً يسلك وفقاً له ، بحيث تصبح جميع تصرفاته متسقة بعضها مع بعض ومتسقة كلها مع هـذا النمط العام للشخصية . ومن أبرز هؤلاء « جان دى لا بريير » (١٦٤٥ — ١٦٩٦) والذى كانت صوره الفنية التى قدمها فى الحقيقة وصفاً للأفراد أكثر منها وصفاً للأنماط. ومع ذلك كانت من العمومية لدرجة كبيرة تسمح بوضعها تحت التخطيطات الأكثر عمومية للشخصية . فبدلا من أخذ السمة البارزة وبيان كيف تكشف عن نفسها فى صور عديدة من السلوك على نحو ما فعل ثيوفراسطس ، فإن « دى لا برييز » صور التطابقات السيكلوجية للكثير من السمات لدى الشخص الواحد . فثبات سمات الشخصية والتعبير عنها فى أسلوب مميز من أساليب الحياة التى لها صفة العمومية كان واضحاً فى كتابات دى لا برييز .

وفى ذلك يقول ماكينون (١) إن من الممكن إن نلمس فى الكتابات التى تصور الشخصية تصويراً أدبيا اتجاهين ضمنيين فى بناء الشخصية . الأول يتمثل فى شخصيات ثيوافرسطس ويؤكد أهمية السمة السائدة كقوة دينامية موجهة

(١) المرجع السابق

ويعطى الشخصية ثباتها واستقرارها . والثانى يتمثل فى كتابات دى لا برير ويؤكد وجود أسلوب فريد مميز للحياة يطبع السمات المختلفة للفرد بطابع خاص يكشف عن نفسه فى كل ما يقوم به الفرد من أعمال .

ولكن أهم ما يمكن أن يؤخذ على هذا التصوير الأدبى للشخصية سواء ممثلا فى كتابات ثيوفراسطس أو كتابات « دى لا برير » هو أنه يكتفى بمجرد وصف أنماط الكائنات الإنسانية دون أن يكلف نفسه عناء البحث وراء العوامل المختلفة المتفاعلة فيما بينها والتى أدت بالشخص الى أن يصبح على هذه الحالة من الوصف الذى صارت اليه(١) .

وعبر الأجيال المتعاقبة ، حاول الباحثون وضع نظريات وطرق ووسائل لا حصر لها للحكم على الشخصية . وكان البعض قد رفض الوسائل والأساليب المعقدة التى كانت قائمة كأساليب الفراسة والتنجيم . وقد سار التقدير العلمى للشخصية سيراً بطيئاً لأنه كان يشق طريقه بصعوبة بالغة بين الخرافات والمعتقدات القديمة . وقد بدأ علم النفس دراسته على أسس علمية أكثر صلابة مما أدى الى اختفاء الكثير من الأفكار ذات الطابع الأدبى وتلك التى لا تستند الى أساس علمى متين كفراسة الوجه ودراسة الجمجمة ودراسة الخطوط والتنجيم وغيرها .

وفيما يلى عرض لبعض نظريات الأنماط ذات الأهميه فى دراسة الشخصية :

أولا : النظريات التكوينية :

إن إحدى الإضافات الحديثة التى صدرت عن « علم نفس المزاج » القديم ، هى تلك التى تعرف باسم « علم النفس التكوينى » . وعلى نحو ما قسم القدماء

---

(١) د . محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسى ص ٢٢

الناس إلى أنماط أربعة : دموى وسوداوى وصفراوى وبلغمى ، فكذلك يميل علم النفس التكوينى إلى إقامة أنماط الشخصية على أساس الخصائص المورفولوجية للجسم . فالشخصية هى فى نظره التعبير المنطق لاتجاه النمو الجسمى والفسيولوجى . وعندما أقام الأغريق القدماء نظريتهم فى بناء الشخصية على أساس سوائل الجسم كعوامل مسببة وعلّية ، فقد اقتربوا بذلك من بعض النظريات السائدة بدرجة أكثر مما كان متوقعاً . فمن المعروف أن الغدد الصماء ـ كالغدة الصنوبرية والغدة النخامية والإدرينالية وغدد الجنس وغيرها ـ تصب مباشرة فى مجرى الدم هرمونات تصل إلى كل خلية من خلايا الجسم وتستثير بذلك أو تكبت نشاط الأعضاء المختلفة .

وقد أقام بعض علماء النفس التكوينى نظرية تذهب إلى أن افرازات الغدد هى العامل المحدد لحدوث سمات الشخصية . وإذا كان الأقدمون قد ذهبوا إلى أنه عندما يكون المزاج دموياً ، فإن نسبة الدم فى الجسم تزيد على نسبة الأخلاط الأخرى ، فإن المحدثين قد حاولوا الربط بين سمات معينة وزيادة أو نقصان إفرازات بعض الغدد كالدرقية والإدرينالية وغيرهما . وتتجه بعض الجهود فى الطب الحديث إلى تصحيح بعض عيوب الشخصية وبعض الأمراض الجسمية بتزويد الجسم بهرمونات معينة بدرجة أكثر ، أو بخفض نسبة الإفرازات الداخلية للجسم . ولقد ظهرت بعض نظريات الأنماط التى تربط بين نواحى الشخصية ونمو الجسم . ويمكن أن نشير إلى أهم هذه النظريات :

١ ـ نظرية كرتشمر :

وضع السيكاترى الألمانى كرتشمر نظاماً قصد به وصف التراكيب الجسمية والمورفولوجية فى علاقتها بكل من الخلق والشخصية . وفى محاولته رسم صورة لنظريته ، وضع كرتشمر أنماطاً ثلاثة رئيسية للتكوين الجسمى هى :

النمط البدين: pyknic type ويتمثل فى الشخص الممتلىء الجسم ، قصير الساقين سميك العنق ، عريض الوجه .

النمط النحيل: asthenic type (وقد اطلق عليه فيما بعد اسم Leptosome phiysique) ويتمثل فى الجسم الطويل النحيل ، طويل الأطراف ، دقيق السمات ونحيلها .

النمط الرياضى: athletic type وهو أشبه بالنوع السابق سوى أنه قوى العضلات ممتلىء الجسم ويشبه الرياضيين فى تكوين بنيتهم .

وثمة نوع رابع أسماه كرتشمر باسم Dysplastic type ويتمثل فى تكوين الأشخاص الذين يقعون - ربما بسبب اختلال فى افرازات الغدد أو غيرها - فى مجالات خارج نطاق المجالات الثلاثة السابقة .

وكان كرتشمر يعتقد بوجود علاقة ملحوظة بين كل نمط من هذه الأنماط الجسمية الثلاثة الرئيسية وبين الصفات المزاجية والشخصية . ورغم أنه لا ينكر وجود فروق ملحوظة فى النواحى المزاجية بين الأفراد والأنماط المختلفة ، إلا أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن أنماط الجسم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنماط مزاجية وذهانية معينة . ولما كان كرتشمر قد استمد معظم مادته من دراسته لحالات الهوس والإكتئاب وحالات الفصام ، فأن من السهل أن نتبين سر ميله فى تقسيمه إلى هذين النمطين المزاجيين الذهانيين .

وبمساعدة المادة التى قدمها السيكاترى الألمانى «إميل كربلين» (الذى ساهم فى تصنيف الأمراض العقلية إلى كل من حالات الهوس والإكتئاب - بعد أن ضمهما معاً باعتبارهما عرضاً لحالة مرضية واحدة ، وحالات « الجنون المبكر » - والذى اسماه «بلويلر» فيما بعد باسم الفصام) ، فقد حاول كرتشمر أن يوضح المشكلة بالتمييز بين هذه الأنواع الكبرى للمرض العقلى وقد وضعت اهتماماته

فى بحوثه العلمية التى قام بها على مجموعتين أساسيتين من حالات الذهان وهما حالات الهوس والإكتئاب وحالات الفصام . وقد شخص المجموعة الأولى بأنها تكون فى حالة انبساط زائد وكثرة نشاط وحركة وهذاء عظمة (صورة الهوس) ثم تنتقل إلى حالة من القلق وبطء الإستجابة والإكتئاب الزائد (صورة الإكتئاب) . والشخص المصاب بهذا المرض يتصف بوجود فترات متناقضة متناوبة من الهوس والإكتئاب . أما حالات الفصام فتشترك أعراضها فى تبلبل الأفكار وعدم انتظامها وعدم المبالاة والتبلد العاطفى والهلوسة ، والسلبية والإضطراب الإنفعالى .

وقد بحث كرتشمر فى ما إذا كانت ثمة علاقة بين هذه الاضطرابات السلوكية والخصائص الجسمية المعينة . وكان السؤال الذى وضعه موضع البحث هو هل الأفراد الذين من نمط جسمى معين يميلون إلى تنمية اضطرابات عقلية من نوع معين . وإذا كان ذلك كذلك ، فكيف يمكن تصنيف هذه الأنماط ؟ وفى دراسة قام بها على ٤٠٠ مريض عقلياً وجد أن هناك علاقة واضحة وملحوظة بين النمط الجسمى والاضطراب العقلى . وقد كانت هذه العلاقة واضحة لدرجة جعلته يذهب إلى القول بأنه عندما تكون الحالة حالة فصام ، فإن الفرد غالباً مايكون من النوع النحيل ، أما إذا كانت الحالة هى حالة هوس واكتئاب ، فإن الفرد يكون أميل إلى البدانة .

ولقد وجه النقد إلى دراسة كرتشمر على أساس أنها تفتقر إلى الوسائل الدقيقة لقياس الصفات الجسمية كما أنه أغفل عاملا هاما له تأثيره وهو عامل السن . فحالات الفصام تميل إلى الظهور فى سن مبكرة عن تلك التى يظهر فيها عادة إضطراب الهوس والإكتئاب ، وفى وقت تكون فيه بنية الجسم أميل إلى الوهن والنحالة أعنى فى المراهقة المبكرة ، بينما حالات الهوس والإكتئاب فتكون أميل إلى الظهور فى سن متأخرة .

ب - الأنماط المورفولوجية ل نكاراتى :

وثمة باحث آخر فى علم النفس التكوينى حاول توضيح الإتجاه المورفولوجى بالنسبة للشخصية هو الإيطالى نكاراتى ، بالدراسات الانثروبولوجية التى قام بها الإيطالى فيولا viola . فحاول ربط بنية الجسم والذكاء فى ضوء مقاييس كمية . ورغم معرفته أن الذكاء عامل بالغ التعقيد لايمكن قياسه وسبر غوره بصفة واحدة أو حتى عدد من الصفات الجسمية ، فقد حاول وضع الدليل المورفولوجى . وقد ذهب فى تعليله لذلك إلى أنه إذا أمكن وضع مثل هذه القائمة من السمات الجسميه ، فإن ذلك قد يسهم فى فهم التنظيم العقلى للفرد .

وقد حاول صياغه الدليل المورفولوجى فى أبسط صورة على النحو التالى :

$$\text{الدليل المورفولوجى } (M.I.) = \frac{\text{طول الأطراف}}{\text{حجم الجذع}}$$

$$\text{Morphiological Index} (M.I) = \frac{\text{length of two limbs}}{\text{volume of trunk}}$$

وقد أمكن لنكاراتى التعرف على نمطين متميزين من الأنماط الجسمية هما :

النمط الذى يتميز بقصر الجذع مع نمو طبيعى للأطراف بشكل يجعلها تبدو معه وكأنها أطول من الطبيعى . وقد أسمى هذا النمط باسم microsplanchnic (وفى هذا النمط تفوق الأقطار الرأسية على الأقطار الأفقية فى الجسم ككل أو فى مكوناته : الجذع والأطراف ونسب الأطراف) .

أما النمط الثانى فيتميز بكبر الجذع مع نمو طبيعى للأطراف بشكل يجعلها تبدو معه وكأنها أقصر من الطبيعى . وقد أسمى هذا النمط باسم macrosplanchnic (وفى هذ النمط تكون الأقطار المستعرضة أكبر وتسود على الأقطار الرأسية فى الجسم ككل أو فى مكوناته : الجذع والأطراف ونسب الأطراف) .

وقد لاحظ نكاراتى فى ابحاثه أن الأذكياء يميلون إلى أن يكونوا طوال

نحفاء ويكون الجذع صغيراً والأطراف قوية . أما الأغبياء فهم على العكس يميلون إلى الضخامة وكبر الجذع كما تكون الأطراف أقل نمواً . وفى ضوء هذه الملاحظات يذهب نكاراتى إلى أن النمط الأول دليل على الذكاء ، بينما النمط الثانى فيرتبط بالغباء(١) .

وتعتبر نسبة الطول إلى الوزن فى الدليل المورفولوجى أو التكوينى عند نكاراتى ذات أهمية كبيرة فى الكشف عن النمط الجسمى وبالتالى تحديد نمط الذكاء . ومع ذلك فقد حاول نكاراتى توسيع فكرته فطبق الدليل التكوينى على العصابيين من أجل دراسة العلاقة بين الأنماط المورفولوجية والسمات المزاجية وغيرها من سمات الشخصية . ففى دراسة قام بها على ١٠٠ إيطالى من أعمار مختلفة تم سبق تشخيصهم على أنهم عصابيين وجد نكاراتى :

١ ـ أن عدد قصار وطوال الجذع بين حالات العصاب أكبر منه بين عدد مماثل فى نفس السن من الحالات العادية .

٢ ـ أن النمط قصير الجذع أميل إلى حالات النيراثينيا .

٣ ـ أن النمط طويل الجذع أكثر ظهوراً بين حالات الإضطراب النفسى الوجدانى .

وهذه النتائج تعنى أن النمط قصير الجذع أميل إلى التعب والعصبية والشعور بالإجهاد ، بينما النمط طويل الجذع أميل إلى عصاب القلق والهستيريا . أما النوع الذى يتناسب فيه طول الأطراف وحجم الجذع Normosplanchnics فلديه مقاومة ملحوظة لكل من التأثيرات المرضية الداخلية والخارجية . وبسبب هذه القدرة على مقاومة الإحباط والصراع ، فإن الفرد من النمط العادى يكون أميل إلى الثبات الإنفعالى .

---

(1) Naccarati. S.: The Morphologic Aspects of Intelligence. Archives of Pscyhology 1921. 6, 1-44.

ولكن نتائج الدراسات التي أجريت لمناقشة فكرة نكارانى لم تؤيد صحتها فقد قامت هيدبريدر Heidbreder(١) بفحص ١٠٠٠ طالب من الأمريكان البيض بجامعة مينسوتا بقصد معرفة هل هناك ارتباط بين النمط الجسمى ومستويات الذكاء. فبعد قياس أطوال وأوزان الأفراد، أوجدت معاملات الإرتباط بين الأدلة المورفولوجية ونتائج خمسة أختبارات ذكاء. فكان الإرتباط صفراً تقريباً. وقد انتهت إلى أن نتائج دراستها لاتؤيد مايذهب اليه نكارانى من وجود علاقة بين التكوين الجسمى والذكاء. وقد كشفت مثل هذه الدراسات عن نواحى الضعف الأساسية فى فكرة النمط التكوينى، وذلك أن معظم الناس لا يقعون تحت أنماط تكوينية افتراضية محددة على نحو مايذهب نكارانى وغيره من انصار فكرة الأنماط التكوينية.

(ح) الأنماط التكوينية لوليم شلدون :

وخلال السنوات العديدة التى اعقبت عام ١٩٣٨، قام شلدون بوضع نظريته عن الأنماط التكوينية والتى تعتبر أشهر النظريات فى هذا المجال. وتذهب هذه النظرية فى أبسط صورها إلى أن هناك مكونات جسمية ثلاثة أولية يقابلها مكونات مزاجية ثلاثة أولية كذلك. وقد عرض لهذه النظرية فى بعض كتبه(٢).

(1) Heidbreder, Edna. : "Intelligence and the Height - Weight Ratio. J. of Applied Pcychology 1936. 10., 52-62.

(2) Sheldon, William.H.: Varieties of human Physique. New York Harper 1940.

Sheldon, william. H. : Varieties of Temperament. New York Harper, 1942.

Sheldon, william. H, : Constitutional factors in Personality. In : J. Mc. V. Hunt. : Personality and the behavior Disorders. New York. Ronald, 1944.

وفى الجدول التالى نقدم وصفا مختصراً للغاية عن هذه الأنماط الجسمية وما يقابلها من أنماط مزاجية وسلوكية وقد جمعنا النمطين معا تحت اسم واحد لسهولة تذكره ووصف نمط الشخصية الذى يمكن أن توصف به يلى الجدول وصفا تفصيلياً لأهم المميزات السائدة لكل نمط جسمى / مزاجى على حدة. ويجب أن نشير هنا إلى أن النمط الخاص لا يكاد يوجد فى الطبيعة فمعظم الناس مزيج من هذه الأنماط. (أنظر الجدول على الصفحة التالية).

(١) النمط الداخلى التركيب / الحشوى الأساسى :

والصفات التالية هى أبرز صفات هذا النمط الجسمى / المزاجى على نحو ما يتضح فى سلوك أفراده. ولكن ليس من الضرورى أن تظهر كل هذه الصفات مجتمعة عند الفرد من أجل أن يندرج تحت النمط بل يكفى ظهور الكثير منها. وهذه الصفات هى :

١ — الاسترخاء فى الجلسة والحركة : فالشخص عندما يمشى تكون مشيته وئيدة هادئة. ويكون احياناً متثاقلا ومتمهلا. وهو حين يقف، يقف باسترخاء ويميل إلى الإستناد إلى حائط أو باب أو أى شىء آخر. وهو فى الأغلب يفضل الجلوس على الوقوف

٢ — حب الراحة البدنية : وهو ليس فقط يحب الجلوس، بل هو أيضاً فى جلسته يجلس مترهلا وفى حالة راحة تامة. كما أنه يميل إلى اختيار ملابسه من النوع المريح الواسع الفضفاض.

٣ — بطء الإستجابة : يحتاج إلى وقت طويل للاستيقاظ وارتداء ملابسه والانتقال من مكان لآخر. بطىء الحركة، بطىء فى عمله. لا يمكنه أن يدخل مع بقية الزملاء فى سباق جرى أو فى مباراة تنس مثلا لأن هذه الالعاب تتطلب السرعة والحركة.

علاقة النمط الجسمي بالنمط المزاجي والشخصية

النمط الجسمي		النمط المزاجي		الشخصية
النمط الداخلي التركيب	Endomorph	النمط الحشوي الأساسي	Viscerotonia	الداخلي / الحشوي
يميل إلى البدانة		يميل إلى الاسترخاء		Endo / Viscerotone
النمط المتوسط التركيب	Mesomorph	النمط الجسمي الأساسي	Somatotonia	المتوسط / الجسمي
يميل إلى القوة العضلية		يميل إلى توكيد الذات		Meso /Somatotonia
النمط الخارجي التركيب	Ectomorph	النمط المخي الأساسي	Cerebrotonia	الخارجي / المخي
يميل إلى النحافة والوهن		يميل إلى الكبت		Ecto / cerebrotone

٤ - حب الاكل : لديه شهية جيدة للطعام ويستمتع بالاكل ويميل إلى وجبات الطعام الدسمة المتعددة الالوان .

٥ - حب الاكل مع الجماعة : لايحب الأكل وحده ، بل يستمتع بمشاركة الآخرين طعامهم . ثم إنه يجد لذة كبيرة فى الشبع ولذا نجده يربت على بطنه معلناً عن أنه تناول وجبة ممتعة .

٦ - حب الحفلات الهادئة المهذبة : يحب الإجتماعات ويشارك فيها بنشاط كحفلات الزواج وأعياد الميلاد . ولا يهمه ما ينفقه فى إعدادها أو المشاركة فيها من وقت أو جهد .

٧ - حب الإجتماع مع الآخرين : يحب الناس ويألف الآخرين بسرعة ، كما يألفه الآخرون ومن ثم فإنه سرعان ما يكوّن صداقات مع الآخرين وهو من النوع الذى تعبر عنه كارين هورنى بحبه « للاتجاه نحو الناس » فهو يشعر بالتعاسة إذا أحس أنه غير مرغوب فيه .

٨ - الإهتمام بالناس أكثر من الاشياء : وهو عندما يزور معرضا علميا مثلا ، نجده يهتم بالاشخاص الذين فى المعرض أكثر من اهتمامه بالآلات أو الأدوات المعروضة .

٩ - الهدوء الإنفعالى : هادىء انفعاليا ، لا يميل إلى العجلة . فى الوقت متسع لأداء ما يريده من اعمال . ولذا لا يقلق كثيراً على إنهاء عمل ما اليوم .

١٠ - التسامح : يحب العفو عن أخطاء الآخرين واغتفارها .

١١ - الرضا عن الذات : كثيراً ما يعتقد أن الشر ينطوى ايضاً على شىء من الخير ، ولذا تجده يرضى بالكثير مما يحدث له من احداث .

١٢ - النوم العميق : يمكنه النوم فى مختلف الأجواء فلا تقلقه الأصوات

وقد يزعجه صوت المذياع ، أو التليفزيون مثلا . وإذا حدث شيء بالليل يستحق الذكر ، فقد يعاتب الآخرين فى الصباح بقوله : « لماذا لم توقظونى من النوم » .

١٣ — ذو صفة طيعة : فأية مشكلة يريد حلها ، فإنه يأخذ فيها رأى الآخرين . وعن طريق مشاركة إرادة الأغلبية ، يرى أنه قد اتخذ أحسن القرارات فى مثل هذه الظروف .

١٤ — هادىء : فمن السهل عليه أن ينقل مشاعره إلى الآخرين . يحب التحدث والكلام . أما الكتابة فمتعبة بالنسبة له .

١٥ — الشعور بالحاجة إلى الناس عندما يواجه مشكلة ما : فهو كالطفل الصغير لا يكتم سراً ، بل لابد أن يخبر به الآخرين . ولا يهمه أن يأتى العون من الآخرين . بل كل ما يهمه أنه أشرك الغير معه وبذلك يخفف من الحمل الملقى عليه .

١٦ — الاتجاه نحو الطفولة فى علاقاته الأسرية : يحب الحياة ويستمتع بها بصرف النظر عن عمره الزمنى . إنه إنسان حساس أيضاً لديه قدرة كبيرة على أن يرى ويسمع ويحب ويعيش ببساطة .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن « شلدون » يؤمن بالمتغير المتصل والذى يعنى أن كل فرد توجد لديه بعض هذه الخصائص مضافاً إليها خصائص من النمطين الآخرين ومع ذلك فإن البعض يكون أكثر ميلا إلى النمط الداخلى / الحشوى مما يجعلنا نسميه بهذا الاسم أو ننسبه إلى هذا النمط . ويذهب شلدون إلى افتراض تأثيرات واستعدادات تكوينية نحو نمط ما أكثر منها نحو النمطين الآخرين . أما الشخصية التى تحوى نسباً متعادلة من هذه الأنماط الثلاثة فهى نادرة الوجود .

(ب) النمط الداخلى التركيب / الجسمى الأساسى :

والنمط المتوسط / الجسمى يتميز بقوة العضلات والعظام . فهو قوى يشبه لاعب كرة القدم المحترف ، عضلاته قوية وجسمه قوى . ورغم أنه قد لا يبدو طويلا ، إلا أن مظهره يبدو قويا ويتميز هذا النمط بالخصائص الآتية:

١ — توكيد فى المشية والحركة : وبينما حركة النمط السابق هادئة متثاقلة ، إذ بحركة هذا النمط قوية فهو يدفع الباب أمامه ، لا يتمهل فى سير ، بل يسرع الخطى . ومن المستحيل أن يقف ساكناً لفترة طويلة فهو يحب الحركة باستمرار .

٢ — حب المخاطرة الجسمية : فبدلا من الرغبة فى الجلوس أمام منضدة مكتظة بالطعام أو الاستغراق فى نوم عميق هادى ، فإن هذا النمط يحب العمل يحب السير أو اللعب . أى يحب عمل أى شىء بدلا من الاستقرار والسكون . فهو يميل إلى الحيوية والنشاط . ولذا فمن أصعب الأمور عليه أن يحتجز فى سرير بالمستشفى .

٣ — حب السيطرة : وهذا النمط من النوع الذى يتلهف إلى القوة والسيطرة ولذا فهو من النوع الذى يتحرك ضد الناس على حد تعبير «هورنى» . وهو يميل إلى المنافسة . ومن المستحيل على هذا النمط أن يقوم بنشاط دون صراع مع الآخرين من أجل السيطرة .

٤ — حب المخاطرة والاعتماد على الحظ : فهذا النمط يميل إلى الأعمال التى بها مخاطرة كقيادة السيارة بسرعة كبيرة وكذلك القيام بألوان النشاط الأخرى التى بها قدر من الخطورة .

٥ — الأسلوب الجرىء فى معاملة الآخرين : فمعظم أحاديثه تكشف عن هذه الصفة . فهو يواجه أصحابه والغير بوجه عام بملاحظات نقدية مباشرة .

ويضعهم موضع الدفاع عن أنفسهم مما يجعله يحس بالموقف الأقوى وإذا كان النمط السابق يبذل جهده ليجعلك تحبه ، فإن هذا النمط يبذل جهده ليجعلك تحترم قوته .

٦ — الشجاعة البدنية فى النزاع : إنه جندى مثالى فى النزال ، لان بلوغ السيطرة على أقرانه هو هدفه الأسمى .

٧ — الصلابة أو القسوة من الناحية النفسية : إن ما يقوم به من عمل نحو الآخرين ، إنما هو لإشباع دوافعه الذاتية نحو السيطرة والقوة وليس لإبداء المحبة للآخرين .

٨ — خواف الأماكن المغلقة : لايحب الأماكن المغلقة ويميل باستمرار إلى الاماكن المفتوحه كالملاعب وغيرها .

٩ — عدم الإحساس بمشاعر الآخرين : والمناظر المؤلمة للوفاة مثلا قد لاتثير الكثير من الإضطرابات عنده فهو يهتم بكيفية حدوث الوفاة اكثر من اهتمامه أن هناك ضحية .

١٠ — صوت جهورى طليق : وهو عندما يتحدث يميل إلى الحديث بصوت عال ، ولذا يشعر بتقييد لحريته إذا وجد فى المكتبة أو السينما .

١١ — عدم المبالاة بالألم : إن آخر ما يصرح به هو أن هناك جرحا يؤلمه ويؤذيه فهو لايحب أن يصرخ علنا بأنه يتألم ، بل يحب أن يبدو أمام الآخرين بأنه قوى ورجل يتحمل الألم .

١٢ — حب الجلبة بوجه عام : يمكنك أن تسمعه وهو يدخل المنزل ويقفل الباب ويفتح الأدراج ويقوم بعمله ، وذلك بسبب ما يحدثه من جلبة وضوضاء .

١٣ ـــ النضج فى المظهر : يبدو بوجه عام أكبر من سنه . ولذا تجده وهو شاب يتعجل الرجولة ويحلق ذقنه قبل أن ينبت فيها الشعر .

١٤ ـ توكيد الذات والميل إلى العدوان : وإذا دخل فى شجار مع الآخرين يجب أن يعلن عن نفسه بأنه الرجل الوحيد فى المجموعة ولذا فهو يتحدى كل من يعارضه وفى صوت جهورى .

١٥ ـــ الحاجة إلى العمل عند ما يقع فى مشكلة : فإذا أخذ تقديراً منخفضا مثلا ، فانه لا يرضى بذلك ويذهب إلى أستاذه ويعلن عدم رضاه عن هذه الدرجه . فهو يريد أن يعمل شيئاً .

١٦ ـــ الاتجاه نحو أهداف وأنشطة الشباب : وهو عند ما يشارك فى أنشطة ترويحية مثلا ، يقوم بذلك لتحقيق أهداف معينة كتوكيد ذاته كأن يقذف بالكرة أبعد من غيره أو يحرز نجاحاً أكبر . فحياته من النوع الموجه نحو هدف .

(ح) النمط الخارجى التركيب / المخى الأساسى :

وغالباً ما يكون هذا النمط من النوع النحيل الوسيم الأنيق الملبس . كما أنه فى أغلب الأحيان من النوع المفكر المحب للعزلة . وهو يجد أن أحسن ما فى العالم كامن فى نفسه وداخل ذاته . وهذه هى أهم صفاته :

١ ـــ دقة فى المشية والحركة : دقيق فى مشيته وحركته ، أنيق فى ملبسه يرتدى ملابسه ببطء ودقة وقد يلقى نظرة أخيرة على زيه ليرى أن كل شيء على مايرام وكل عمل جسمى يقوم به يسير فى نظام . فهو عند مايقف ، يقف منتصبا وعند مايجلس ، يجلس معتدل القامه ، وهو حين ينام ، ينام مشدوداً ، ولا يبدو إلا نادراً فى حالة استرخاء جسمى .

٢ ـــ سرعة الاستجابة الظاهرة : أن كل استجابة يقوم بها تتم مباشرة

وبدنه ملحوظة فهو حين يلعب التنس مثلا ينتقل بخفه وسرعه ودقه فى أرجاء الملعب ولكن أيضا يلعب بقوة وعنف .

٣ ـ حب العزلة : هذا النمط يميل إلى الوحدة . ويحتاج إلى بعض الوقت كل يوم ينفرد فيه إلى نفسه وهو يستمتع بالأكل بمفرده ويحب الاستمتاع بالتسجيلات الموسيقية وحده والذهاب إلى المسرح وحده ، وحب الدراسة وحده . والوحدة هى الأمر المفضل لديه .

٤ — انتباه ويقظة عقلية زائدة : فالفرد من هذا النمط يعرف كم سلما صعد وكم سلما يتبقى حتى يصل إلى غرفته . وحتى فى المحاضرات المملة ، قلما يسرح فى أحلام يقظة أو نوم . فهو متيقظ عقلياً . ونشطاً ذهنياً باستمرار .

٥ — كتمان المشاعر وكبت الإنفعالات : وهذا النمط يعتقد أن الكشف عن المشاعر فيه نوع من الضعف فى التحكم والضبط والخلق ولذلك فقد تزامله فترة طويلة فى العمل أو تجاوره سنوات طويلة فى المسكن ومع ذلك تحس أنك لا تعرف عنه شيئاً .

٦ — ظهور مشاعر الخجل : وهو حين يتحدث اليك ، يتجنب النظر اليك مباشرة . كما أنه حين يضحك يقوم بذلك وبشىء من الوعى بالذات . ولا يسترسل فى ضحكه ويضحك باستحياء .

٧ — خواف الجماعات : لا يميل كثيراً إلى الجماعات ، ولهذا فهو يتجنب الجماعات الكبيرة من الناس ويفضل عليها الجماعات الصغيرة التى تربطه بأفرادها رابطة وثيقة . ويتركز دوره على الأنشطة التى يستمع فيها إلى قطعة موسيقية مسجلة أو التحدث بأقل قدر ممكن .

٨ — استغراق فى التفكير : يستحوذ عليه فكره إلى درجة كبيرة

وإذا شغلته مشكلة فقد يستغرق فيها بعمق وقد لا يهتم أو يتطلع إلى جماعة الزملاء الذين يمر أمامهم .

٩ - مقاومة الروتين والعادة : لديه نزعة إلى عمل الأشياء بشكل جديد يقاوم السلوك الروتيني المعطل .

١٠ - خواف الأماكن المفتوحة : لا يحب الأماكن المفتوحة أو الفضاء .

١١ - عدم القدرة على التنبؤ باتجاهاته : وبسبب أنه لا يكشف عن عملياته الفكرية التي تكمن وراء القرارات التي يتخذها . فمن الصعب التنبؤ باتجاهاته .

١٢ - عدم الصياح أو الحديث بصوت عال : وهو بوجه عام شخص هادىء ، يتحدث بصوت خفيض . لا يحب مع ذلك الكلام بكثرة

١٣ - حساسية زائدة للألم : إن الأشياء التي تؤلم هذا النمط يبدو أنها أكثر من تلك التي تؤلم النمطين الآخرين . فالألم بالنسبة له خبرة مؤلمة غائرة عميقة في النفس تترك آثاراً واضحة فيها . بينما الألم بالنسبة للنمط المتوسط/الجسمي فهو أمر يجب التغلب عليه وهو بالنسبة للنمط الداخلي/الحشوي فهو شيء سرعان مايعالج وينسى بسرعة .

١٤ - عادات النوم ضعيفة ويتعب بسرعة : فبسبب أنه لا يسترخي بهدوء فان النوم يكون صعباً بالنسبة اليه . فهو لكي يسترخي يجب أن يخفض من تحكمه في نفسه وعقله وهو أثناء النوم يتجول بذهنه في الأنشطة التي مرت به في يومه وأمسه ويعيد بناء مشكلاته وبذلك يبتعد أكثر وأكثر عن النوم الهادىء .

١٥ - الحاجة إلى الوحدة عند الإحساس بمشكلة : إذا صادفته مشكلة يجب

أن يصبح وحده ولا يعرف أحد من المحيطين به إلى أى حد تؤثر فيه المشكلة وما مدى ما يعانيه منها . وهو لا يحب أن يبدو ضعيفا أمام زملائه من الرجال وطالما أن ليست لديه قوة العدوان الذى ليس لدى النمط الثانى فلينسحب إذن داخل نفسه .

١٦ — الإتجاه نحو المراحل المتأخرة فى الحياة : نراه وهو شاب كأنه أكبر من سنه بكثير . تبدو عليه مظاهر الرجولة . بل والكهولة أحيانا فى سن مبكرة تراه رزينا هادئا مؤدباً حسن الهندام . يفضل الوحدة بينما أقرانه يمرجون .

مبدأ المتغير المتصل :

تلك هى الأنماط الثلاثة الأولية الخالصة عند شلدون . ولكنه فى دراسته لم وجد أن الأجسام البشرية ـ من الناحية الواقعية ـ لا تخضع لمثل هذا التقسيم لانماط خالصة مجردة وانما تشمل خصائص نمط من الأنماط على بعض سماته ومظاهر النمطين الآخرين . وقد أكد أيضا أن اتصال الصفات الجسمية ينطبق أيضا على النواحى المزاجية أو السلوكية . فليس ثمة شخص يبدو أنه يمثل تماماً نمطاً جسمياً ، أو مزاجياً واحداً . ولكن يحوى بداخله الخصائص الجسمية والسلوكية للانماط الثلاثة . فهو فى جزء منه داخلى / حشوى ، متوسط / جسمى مثلما هو أيضا خارجى / مخى . ولكنه يكون فى العادة أميل إلى أحد الأنماط منه إلى النمطين الآخرين رغم احتوائه على خصائصهما . ولذلك يقوم شلدون بوضع نظام عددى من سبع درجات أى أن له مدى من ١ إلى ٧ يمكن تطبيقه على النواحى الجسمية والمزاجية على حد سواء. والعدد الأول (من اليمين) يشير دائماً إلى النمط الداخلى التركيب / الحشوى الأساسى، بينما يشير العدد الثانى (فى الوسط) إلى النمط المتوسط التركيب / الجسمى الاساسى ، أما العدد الثالث (إلى اليسار) فيشير إلى النمط الخارجى التركيب /

المخى الأساسى . فالعدد ١ - ١ - ٧ يشير اذن إلى نمط منخفض جداً فى الداخلى / الحشوى ، منخفض جداً فى المتوسط / الجسمى ، بينما مرتفع جداً فى الخارجى / المخى .

والأمثلة الثلاثة الآتية لزيادة توضيح فكرة شلدون فى هذا الصدد .

المثال الأول : ٧ - ١ - ٧ : يمثل فرداً لديه مقادير متساوية نسبياً من خصائص النمط الداخلى / الحشوى والنمط الخارجى / المخى بينما خصائص النمط المتوسط / الجسمى عنده منخفضة جدا . ويمكن أن نفترض أن مثل هذا الشخص يكون من النوع المتناقض وجدانياً يبدو ممزقاً بين حب الناس والرغبة فى الوحدة . ومن المفروض أنه يتذبذب بين هذين الطرفين ، ويمكن أن نقول أيضا بأنه يميل إلى حد ما إلى أن يكون غير سعيد وقلقاً فى حياته .

المثال الثانى : ٧ - ٣ - ١ : يمثل شخصاً مرتفعاً فى النمط الداخلى / الحشوى ومتوسطا فى النمط المتوسط / الجسمى، منخفضا جدا فى النمط الخارجى/المخى إنه يعمل بتحمس النمط الحشوى الاساسى واهتياجه . ولكنه عندما يدفع بعيداً تحت ظروف معينة ، فقد يكشف عن عدوان النمط الجسمى الأساسى . ولكن شيئاً واحداً يبدو أنه لا يفعله أبدا هو أنه يعيش بمعزل عن الناس . فهو يريد أن يحبه الناس وإن فشل فى ذلك فقد يمارس سيطرته وقوته عليهم .

المثال الثالث : ١-٧-١ : وهذا مثال واحد للنمط المتوسط / الجسمى الذى لديه كل القدرات الجسمية والمزاجية للنمط المتوسط التركيب/ الجسمى الأساسى بشكل ظاهر وعلى نحو ما سبق أن أوضحنا

وفى دراساته للعلاقة بين النمط الجسمى والنمط المزاجى والسلوكى وجد شلدون معاملات ارتباط مرتفعة بينها ويمكن أن نشير إلى هذه المعاملات ففيها توضيح لمدى الإرتباط على نحو ما وجده شلدون .

معاملات الارتباط بين الجسم والسلوك

الأنماط السلوكية	الأنماط الجسمية		
	الداخلي التركيب (بدين)	المتوسط التركيب (رياضي)	الخارجي التركيب (واهن)
الحشوى الأساسي (يحب الناس)	٧٩ر٠		
الجسمي الاساسي (يتحكم ويتسلط فى الناس)	— ٢٩ر٠	٨٢ر٠	
المخي الاساسي (يتحاشي الناس)	— ٣٢ر٠	— ٥٨ر٠	٨٣ر٠

غير أن هذه النتائج التي توصل اليها شلدون أثارت الكثير من الدراسات التي أيد بعضها فروض شلدون ، بينما عارضه بعضها الآخر . ففي دراسة قام بها تشيلد(١) عن العلاقة بين الأنماط الجسمية وتقديرات الذات فى ضوء السمات المزاجية عند شلدون ، وصل تشيلد إلى ما يؤيد فروض شلدون بوجه عام فقد طلب إلى ٤٠٠ طالباً شخصوا حسب الأدلة القياسية للأنماط الجسمية عند شلدون ، أن يملأوا استفتاءات وضعت كمقاييس لتقدير الذات . وقد وصل تشيلد إلى مايؤيد ـ بوجه عام ـ فروض شلدون عن وجود ارتباطات بين النمط الجسمي وأنواع متعددة من خصائص الشخصية .

---

(1) Child L: The Relation of Somatotype to Self-Ratings on Sheldon's Temperament Traits, Journal of Personality, 1949, 50, 18, 440-453.

ومع ذلك فقد أضاف تشيلد إلى أن مقدار هذا الإرتباط لا يجيز اعتبار النمط الجسمى محدداً هاماً حقيقة للشخصية .

وفى بحث آخر قام به جانوف ومساعدوه (١) عن العلاقة بين النمط الجسمى وزمن الرجع ومقاومة الألم والسلوك التعبيرى ، على ٥١ طالبا من طلاب الجامعة ، انتهى الباحث وزملاؤه إلى القول بأن النمط الجسمى ليس محددا هاما لقياس زمن الوجع ومقاومه الألم .

ولكن شلدون يقوم هو الآخر بسلسلة من الدراسات المستفيضة لتدعيم تقسيمه الثلاثى للانسان حسب الأنماط الجسمية والمزاجية . ويذهب إلى أنه ليس هناك ارتباطا (واحد فى مقابل واحد) داخل هذه الصورة الإجمالية العامة . . ورغم أن شخصا معينا قد يكون عضليا إلى درجة أكبر مما نجده عند الآخرين ، إلا أنه ليس هناك نمط عضلى خالص . وقد كان شلدون أسرع إلى التصريح بأن الشخص المتوسط هو صورة مؤلفة من الأنماط الثلاثة ، وأن بعض الأشخاص هم إلى حد كبير يمثلون نوعا من التوازن بين هذه الأنماط . وبعبارة أخرى فإن تصنيفه هو مجرد وسيلة يمكن أن ندرس بها أنماط الشخصية ولا بد ـ كما يذهب شلدون ـ من وجود بعض المبادىء العامة التى بواسطتها يمكن دراسة الشخصية .

ولكن ثورب وسمولار (٢) يوجهان النقد إلى تلك الصورة الإجمالية العامة لشلدون من ناحيتين : الأولى افتراض أن السمات هى نتاج الجسم ونموه ، والثانية إغفال الدور الذى تقوم به البيئة فى تشكيل كل من الجسم ووظائفه ، ...

(1) Janoff., I. Z. et al : The Relation of Somatotype To Reaction time resistence to pain, and expressive movement. J. Pers. 1950, 18., 451-460.

(2) Thorpe L. and Schmuller, A : Personality : an inter-disciplinary Approach. New Ysrk., Van Nostrand Company Inc. 1965.

فشخص ما مثلا قد يكون دون العادى فى شبابه من الناحية العقلية (على نحو ما تكشف اختبارات الذكاء) ولكنه بعد ذلك قد ينمى ذكاءه إلى درجة أعلى بكثير . فحالته دون العادية فى البداية قد ترجع إما إلى عوامل جسمية أو وجدانية . وباختصار هناك العديد من العوامل المختلفة التى يمكن أن يقال أنها تساهم فى نمط سلوك الفرد . ثم أن هناك حالات عديدة لأشخاص من النوع الرياضى ومع ذلك لا يكونون أميل إلى العدوان والمنافسة بل يجدون المتعة فى الدراسة الأكاديميه والعلميه . والواقع أنه ليس ثمة دليل على وجود علاقة سبب ونتيجة بين النمط البدنى والمزاج . وحتى أعمال شلدون نفسها يمكن أن تكشف عن آثار العوامل الثقافية مثلما تكشف عن أثر العوامل الجسمية .

وبالإضافة إلى ماتقدم وبصرف النظر عن بنية جسم الفرد ، فإن التأثير الممكن للبيئة لا يمكن إغفاله والذى يعبر عن نفسه مادياً وثقافياً واجتماعياً . ففى الثقافة التى تتطلب الخضوع من جانب الطفل . فإن الشخص الذى يفترض أن لديه نزعات للسيطرة ، يميل إلى أن يعمل بخضوع وإلافإنه يواجه صعوبات ومشكلات مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها . فالسلوك يتغير ويتعدل عادة وفق مطالب الجماعة الاجتماعية الخاصة التى يعيش فيها الفرد .

ثانياً : الأنماط السيكولوجية :

(ا) أنماط « الميول المشتركة » لسبرانجر :

إن النظريات السابقة لأنماط الشخصية تقوم على أساس افتراض وجود علاقة بين الخصائص الجسميه والنواحى المزاجية عند الفرد . ومع ذلك فهناك نظريات تقوم على أسس سيكلوجية . ومن هذه نشير إلى نظرية الميول المشتركة لسبرانجر .

لقد ذهب سبرانجر (١) إلى أن من الممكن تصنيف الناس إلى أنماط سيكلوجية على أساس اشتراك الميول والقيم . وقد افترض سبرانجر مقدماً أن الميول السائدة للرجال والنساء هي تعبيرات عن خلقهم الموروث . فالشخصية في نظر سبرانجر ليست نتاج تفاعل بين الكائن الحي والبيئة . بل هي تتحدد بتكوينه الوراثي . وفي ضوء نظرته هذه ، افترض سبرانجر وجود ستة أنماط مجردة من الشخصيات . وقد أقام تقسيمه على أساس إحساسها الذاتي بالقيم، وهذه الأنماط الستة هي : النظرية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية . ومن الممكن وصف هذه الأنماط الستة من الشخصيات على نحو ما أوضحها سبرانجر في كتابه (أنماط الناس) على النحو التالي :

١ ـ النمط النظري : يهتم أساسا بالمواد العلمية والبحث الموضوعي عن الحقيقة ، والوصول إلى القانون العام في الظواهر العلمية وهذا النمط من الأفراد يميل إلى إهمال المسائل السياسية والإجتماعية .

٢ ـ النمط الإقتصادي: يهتم أساسا بالمسائل الإقتصادية والكسب والثروة والفائدة . وصورة هذا النمط تتمثل في رجال الأعمال .

٣ ـ النمط الجمالي : يحب الجمال في الصوت والشكل واللون والنسب . ويميل هذا النمط أساسا إلى أن يكون غير عملي ، وليس لديه الصبر على المسائل الإقتصادية والأمور المتعارف عليها بين الناس . وهو يتطلب الحرية والتحرر من القيود .

٤ ـ النمط الإجتماعي : يهتم أساسا بالنواحي الإنسانية عامة . يميل إلى مشاركة الآخرين وتقديم الخدمات لهم دون تفكير فيما ينتظره من جزاء أو ما يجنيه من وراء ذلك من نفع شخصي .

(1) Spranger E. : Types of Men. Halle , Niemyer 1928.

٥ — النمط السياسي : تحركه الرغبة فى القوة ، ويندرج تحت هذا النمط المهتمون بالشئون السياسية ومحركى السياسة ومصائر الشعوب وانتهاز الفرص لكسب السيطرة .

٦ — النمط الديني : يرى الله فى كل أمور الحياة ، ويد الله تدبر كل شئون الحياة .

ووجود مثل هذه الأنماط التى قال بها سبرانجر لا يثير الشك غالبا . وكثير من ميول الأفراد تتكامل بطريقة ما تجعلها تبدو بشكل ظاهر أنها ميول إجتماعية أو جمالية أو سياسية . ومع ذلك يمكن أن تثار اعتراضات عملية حول التحديد الضيق لأنماط الشخصية . فليست هناك ميول متباعدة ومستقلة بعضها عن بعض بمعنى أن الفرد يمكن أن ينتمى إلى نمط دون الآخر . وانما توجد الأنماط المختلفة لدى الفرد الواحد بدرجات متفاوتة كذلك . ثم أن أنماط استجابات الفرد ليست ساكنة أو تخضع لنسق موحد ، وانما هى تتذبذب على نحو ماتتطلب التوافقات من موقف لآخر . فالأشخاص الذين يتميزون بكونهم إجتماعيين فى بعض المواقف ، غالبا ما يكونون من النمط الاقتصادى فى مواقف أخرى . كما أن هؤلاء الذين هم فى الأغلب من النمط السياسى ، قد يكشفون عن ميول جمالية واضحة فى مواقف معينة ، فسلوكهم يتذبذب من نمط لآخر حسب طبيعة الموقف الذى يوجد فيه الفرد .

(ب) الأنماط السيكلوجيه عند يونج :

من الأفكار القليلة جداً التى تبناها علماء النفس المحدثون من بين العديد من المفاهيم التى قال بها يونج ، فكرته عن الأنماط السيكلوجية والتى تذهب إلى أن الشخصية تتحرك فى إتجاهين مختلفين : انطواء أو انبساط ، فهناك نوع

من الناس لحظة الإستجابة لمثير معين ، يتخذ فى أول الأمر موقف الإنسحاب أو الإحجام ثم بعد ذلك فقط يمكنه القيام بالإستجابة ، بينما هناك نوع آخر إذا وجد فى نفس هذه المواقف ، يقدم على اتخاذ الإستجابة وهو على ثقة أن سلوكه سليم بشكل واضح . أما النوع الأول فيتميز بعلاقة سلبية معينة للموضوع ، بينما يتميز النوع الثانى بعلاقة إيجابية به . النوع الأول يطابق الإتجاه المنطوى بينما النوع الثانى فيطابق الإتجاه المنبسط »(١) .

والإتجاه المنبسط يتميز باهتمام بالأحداث الخارجية وبالناس والأشياء وتكوين علاقات معهم والإعتماد عليهم . وعندما يصبح هذا الاتجاه عادة عند الفرد ، فإن يونج يصفه فى هذه الحالة بالنمط المنبسط وهو النمط الذى تحركه العوامل الخارجية ويتأثر إلى حد بعيد بالبيئة . والشخصية المنبسطة تتحرك تجاه الناس ، تجاه العالم الموضوعى غير التأملى وحياتها تتركز حول العمل .

أما الاتجاه المنطوى فهو على العكس إنسحابى ، يتجه نحو الذات ويتركز حول العوامل الذاتية . وحين يصبح هذا الاتجاه سائداً عند الفرد ، فإن يونج يصفه فى هذه الحالة بالنمط المنطوى ، وهو النمط الذى يفتقر إلى الثقة فى علاقته بالناس والأشياء ويميل إلى أن يكون غير اجتماعى ، يفضل التأمل على النشاط والعمل . والشخصية المنطوية تتحرك بعيداً عن الناس ، نحو الذات وتتركز حياتها حول الخبرات الشخصية إلى حد بعيد .

ورغم أن البحث السيكلوجى الحديث قد كشف عن وجود نمط ثالث

(1) Jung. C. G: Modern Man in Search of soul. New York. Harcourt, Brace & World 1933. p. 98.

أنظر أيضا :

————: Psychological Types. New York. Harcourt, Brace & World 1933.

بين الانطواء والانبساط ـ هو النمط المتعادل ـ فإن كثيراً من عامة الناس لا يزالون يتمسكون بالتقسيم الثنائي إلى انطوائي وانبساطي .

وفي محاولة يونج تقسيم الناس إلى أنماط كان يتعامل أساسا وسيكلوجية الشعور . فعندما نصف شخصا ما بأنه انطوائي أو إنبساطي ، فمعنى ذلك أن اتجاهه الشعوري هو هذا أو ذاك . ولكن الذي يحدث عادة هو أنه بينما يكون الشخص أنبساطيا شعوريا ، نجده انطوائيا لا شعورياً والعكس ، قد يكون الشخص منطويا شعوريا ومنبسطا لا شعوريا . فالشخص الجرىء في سلوكه الشعوري ،قدتتصف نزعاته اللاشعورية بالهدوء والتأمل والاتجاه إلى الخيالات والعكس بالنسبة للشخصية الانطوائية . وعن طريق العلاقات المتبادلة بين هاتين القوتين ، فإن الشخصية الكلية تقترب ـ على نحو ما يقول يونج ـ من نقطة وسط بين القطبين وبصورة أكثر مما توحي به الشخصية الظاهرة . وربما أمكن القول أن يونج لم يكن على خلاف كبير في الرأي مع هؤلاء الذين قالوا بوجود نمط وسط بين الانطواء والانبساط وهو النمط المتعادل وإن لم يضع يونج هذا المصطلح أو يستخدمه .

والتمايز في الاتجاه يبدو أنه موجود مع بداية الحياة حتى يمكن القول بوجود أساس فطري له . ويمكن أن نجد كلا الأطفال المنطويين والمنبسطين في الأسرة الواحدة مما يجعل الأمر صعبا بالنسبة للمنطويين إذ يميلون إلى أن يصبحوا في الظلال نتيجة كون أخوتهم من النوع الإجتماعي المنبسط .

والعلاقة المبكرة المميزة للطفل الإنبساطي هي سرعة تكيفه مع البيئة ، وإهتمامه الزائد بالأشياء المحيطة به ولا يشعر بوجود حواجز بينه وبين البيئة التي يعيش فيها ومن ثم فإنه أميل إلى اللعب بحرية والانتقال من مكان إلى آخر والتعلم خلال كل هذه الخبرات المباشرة التي يتلقاها من البيئة ولذا يكون مألوفا

لدى المحيطين به من آباء ومدرسين كما يقال عنه عادة بأنه حسن التوافق وقد يظن فيه أحيانا أنه أذكى مما هو عليه فى الحقيقة بسبب قدرته على أحداث التأثير الجيد فى الآخرين .

أما الطفل المنطوى فهو خجول متردد ، يكره المواقف الجديدة وهو يقترب منها بحذر وبخوف احيانا . ويفضل اللعب بمفرده ولا يكثر من الأصدقاء ويفضل صديقاً واحداً بدلا من العديد من الأصدقاء . وبسبب ميل الناس إلى تفضيل الإنبساط فإن أمثال هؤلاء الأطفال قد يثيرون القلق بالنسبة لآبائهم ولكنهم قد يكونون عاديين وأذكياء كأطفال النمط الأول ولكنهم يميلون إلى التأمل والتفكير ولديهم حياة تخيلية غنية .

والبالغ المنبسط إجتماعياً يقابل الناس فى منتصف الطريق ويهتم بما يحيط به من أناس وأشياء . يحب المنظمات والجماعات ويميل إلى المساهمة بالنشاط فيها . أما البالغ المنطوى فهو من الناحية الأخرى يحس بالوحدة والضياع فى المجتمعات الكبيرة ، إحساس يخشى أن يبدو غريبا بين الناس ولذا يكون الواحد منهم فى أحسن أحواله عندما يكون بعيداً عن الناس .

غير أن يونج ، فى الحقيقة ، لم يقف عند حد التقسيم الثنائى للأنماط ، بل ذهب إلى القول بوجود وظائف أربعة أساسية نستخدمها فى توجيه أنفسنا فى هذا العالم (وكذلك بالنسبة لعالمنا داخلى) . وهذه الوظائف هى الإلهام والإحساس والوجدان والتفكير . وكل فرد يستخدم إحدى هذه الوظائف بصورة أكثر كفاية وأكثر إستمراراً واتصالا من الثلاثة الأخرى فإحدى الوظائف تكون أكثر بروزاً وظهوراً من الوظائف الأخرى . وتسمى هذه الوظيفة الأكثر بروزاً بالوظيفة الأعلى ، بينما الأخرى بالوظائف الأدنى.
وفى ضوء هذه الوظائف الأربعة يصنف يونج الناس إلى أصناف أربعة

فهناك صنف من الناس تغلب عليه الناحية الفكرية وصنف آخر تغلب عليه الناحيه الوجدانية وصنف ثالث تغلب عليه الناحية الإلهامية أو الحدسية وصنف رابع تغلب عليه الناحية الحسية . والذى تغلب عليه الناحية الفكرية تقل عنده الناحية الوجدانية ، والذى يعتمد كثيراً على الإلهام لا يعتمد على الحس إلا قليلا . فالفكر يقابله الوجدان ، والحس يقابله الإلهام(١) .

ومن الممكن أن نجد بين هذه التقسيمات إلى الوظائف الأربعة تقسيمات وسطى . فنجد الإلهام الحسى الذى يقع بين الإلهام والحس ، وكذلك الحسى الوجدانى الذى يقع بين الحس والوجدان ، وهناك أيضاً الوجدانى المفكر الذى يقع بين الوجدان والتفكير ثم هناك أخيراً المفكر الإلهامى الذى يقع بين التفكير والإلهام .

فإذا أدخلناهذه التقسيمات الثمانيـة تحت النمطين الكبيرين ، الإنطوانى والانبساطى ، فإننا نحصل بذلك على ستة عشر نمطا: ثمانية منها خاصة بالانطوائى وثمانية منها خاصة بالانبساطى وإذا قصرنا نظرتنا هنا على الوظائف الأربعة الأساسية وحدها وادخلناها تحت النمطين الكبيرين ، فإننا نحصل على ثمانية أنماط نوضحها باختصار :

١ — الانبساطى المفكر : يتجه تفكيره نحو العالم الخارجى ويهتم بالحقائق والمادة . ويكون تفكيره مستمداً فى الأغلب من « الواقع » ولذا فهو أميل إلى أن يكون من النوع العملى الواقعى ويكون تفكيره مع ذلك إيجابياً . فهو ينتج شيئاً إما حقائق جديدة أو أفكار جديده . وهو عندما يقوم بعملية تحليل للمادة ، فإنه ينتهى أيضاً إلى عملية تركيب للعناصر التى قام بتحليلها . فهو يسير دائماً إلى مسالك أخرى جديدة وراء القيام بعملية التحليل . وحين

---

(١) د : عبد العزيز القوصى : علم النفس : أسسه وتطبيقاته التربوية . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ . ص ٣٥٢ .

تخضع حياة الفرد أساساً إلى الفكر وتصبح أفعاله نتيجة دوافع يحركها الفكر والعقل ، فإن من الممكن تسمية الفرد فى هذه الحالة بالنمط المفكر . والنمط الخالص لهذا النوع أكثر ظهوراً بين الرجال منه بين النساء اللاتى يكون التفكير من عادة طبيعة حدسية .

٢ - الإنطوائى المفكر : يهتم بالأفكار أكثر من اهتمامه بالحقائق . وقد وصف يونج هذا النمط الانطوائى المفكر بقوله : إن الحقائق الخارجية ليست هدف تفكيره أو مصدره على الرغم من أن الانطوائى يحب أحياناً أن يجعل الأمور كما لو كانت تبدو كذلك والنمط الانطوائى المفكر أكثر اهتماما بالعالم الداخلى منه بالواقع الخارجى . وقد يبدو الانطوائى المفكر شخصية غريبة . فهو بسبب انشغاله بالعالم الداخلى وأفكاره ، يعطى اهتماما قليلا للعلاقات مع العالم الخارجى . فهو لا يلاحظ ما يدور حوله أو يفهم كيف يفكر الآخرون أو كيف يحسون . أنه من النوع الخجول الصامت حتى فى صحبة الزملاء . ومن هذا النمط الكثير من الفلاسفة الذين يعيشون على التأمل والتفكير فى المشكلات العقلية والكونية .

٣ - الانبساطى الوجدانى : والإنبساطى الوجدانى حسن التكيف مع العالم الخارجى ، ولا يجد صعوبة فى التوافق مع البيئة وهو أميل إلى مشاركة الناس أفراحهم . يميل إلى مشاركة الأصدقاء ويحب دائماً أن يوجد مع جماعات كبيرة ويوجد فى كل نشاط اجتماعى . والنمط الوجدانى الذى يحس بعدم السعادة أو الظلم تكون لديه الرغبة الحقة فى المساعدة ، ويقوم بعمل اجتماعى ونشاط اجتماعى كبير . وهو يتجه إلى التعبير الملموس عن حياته الإنفعاليه فنجده يميل إلى مختلف الفنون كالرقص والتصوير والموسيقى والتمثيل وما إلى ذلك . وبانطلاقه فى التعبير الإنفعالى ، يبدو الفرد وكأنه يفرغ شحناته

الوجدانية فلا يتبقى منها شيء لحياته الخاصة . ومعنى ذلك إنك تجده أقرب إلى الفوران الإنفعالى فى الظاهر ، وأقرب إلى الخمود الإنفعالى فى الداخل (١)

٤ — الأنطوائى الوجدانى : وهذا النوع تحكمه العوامل الذاتية . وهذا النمط يختلف فى الظاهر اختلافاً كبيراً عن الإنبساطى الألوف الذى يصادق الناس ، إذ غالباً مايعطى الانطباع بالبرود وهذا النمط ينطوى على حالات وجدانية عميقة وعنيفة ، مع عدم القدرة على التعبير عنها بشكل ظاهر صريح. فهو يحب بقوة ويكره بعنف ويحزن بشدة ومع ذلك لا يعبر عن هذه النواحى الوجدانية فى أغلب الأحوال وذلك لأنه لايتصل بالناس الاتصال الذى يمكنه من أداء هذا التعبير . وهذا النمط يميل إلى العزلة وفيها يحيا حياته الانفعالية بمختلف صورها . والسيدات أقرب عادة إلى هذا النمط من الرجال .(٢)

٥ — الانبساطى الحسى : والنوع الحسى عامة يأخذ الأمور كما هى ، ويخبر الأشياء على ماهى عليه دون زيادة أو نقصان فلا يلعب الخيال دوراً فى خبراته ، كما لا يقوم الفكر بدور فى النظر بعمق إلى هذه الخبرات أو كشف غموضها . وهذا النمط هو اذن لاعقلى . فهناك منطق قليل فى خبرة الحواس . والشيء الواحد قد يثير احساسات مختلفة فى أوقات مختلفة . وهذا النوع سرعان ما يتسرب إليه الملل إذا قلت المؤثرات الحسية المحيطة به . فهو لايصبر على طعام واحد ولا يمكنه أن يعيش فى غرفة واحدة دون أن يغير من نظامها وأثاثها تغييراً يكاد يكون مستمراً . وهذا النمط يكون سطحياً فى حياته الفكرية الإنفعالية ، فلا نجده عميقا فى صداقته أو حبه أو كراهيته . وهو فى كثير من تصرفاته يبدو كالطفل الصغير السريع الملل ، المتشوق إلى التنويع ، القليل التعمق ، الكثير التنقل من شخص لآخر ومن لعبة لأخرى ومن مكان لآخر.

(١) المرجع السابق ص ٢٥٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٤٩ .

٦ — الأنطوائى الحسى : ويقوم أفراد هذا النوع بتأمل المحسوسات والإستمتاع بها فهم يحبون الإستماع للموسيقى ورؤية مناظر الطبيعة ومباهج الجمال فى صوره المختلفة ولكنهم يرون فى كل هذا انعكاسا لحالاتهم النفسية الوجدانية . فيرون فى تمايل الأغصان آلامهم ويرون فى قطرات الندى دموعهم وأحزانهم ويشهدون فى خرير المياه وانفجار البراكين فوران انفعالاتهم .

٧ — الإنبساطى الإلهامى : وهذا النمط يعيش أساسا خلال القدرة الحدسية والشخص من هذا النوع يكره الأشياء المألوفة ولا يحترم العادات ، وكل شىء يمكن أن يضحى به من أجل المستقبل ، والفرد هنا يصل فى سرعة إلى فكرة ويقوم من فوره بتنفيذها وبذلك يبدو فى تصرفاته الشىء الكثير من المغامرة . يقال إن كبار المغامرين ينتمون إلى هذا النوع . فهم يعتقدون اعتقاداً جازما لامرد فيه لهم عنه ، أنهم سيربحون وفى الحال يلقون بمالهم فى جرأة وغير تردد (١) .

وخطورة هذا النوع من الناس أنه يبذر الحب ولا يجنى الثمر ، إنه يسرف ويبدد حياته فى احتمالات . بينما يستمتع غيره فى ثمار نشاطه وأعماله . ومن المستحيل بالنسبة له أن يتم عملا إلى نهايته أو على الأقل إلى الحد الذى يكون عنده النجاح مؤكداً . ومن الطبيعى أن تكون علاقاته الشخصية بالناس صعبة جداً . فمن الصعب بالنسبه له أن يرتبط بامرأة واحدة . كما أن المنزل سرعان مايصبح فى نظره سجنا لابد أن يهرب منه .

٨ — الانطوائى الإلهامى : وحياة هذا النمط تتصل باللاشعور الحسى وبكل ما هو ذاتى وغريب وغير عادى بالنسبة للانبساطى ، بمعنى أن الانطوائى الالهامى لايهتم بالمؤثرات الحسية الخارجية . وهذا النوع من الناس يصل إلى

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥١

أحكامه في شيء من السرعة والعنف وبدون أن يعتمد كثيراً على الأدلة الحسية الواقعية . ولهذا نجده يكوّن رأياً من خبرة ضئيلة في شخص من الأشخاص . ويندفع إلى حب عنيف أو كراهية عنيفه على أساس الخبرة الضئيلة . وتجدهم ينقلبون عادة من حب شديد إلى كراهيه شديدة(١)

وهذا هو النمط الذى يرى الرؤيا ، ولديه إلهامات ذات طبيعه دينيه أو كونيه . ويبدو هذا النوع اليوم غريباً فى عالمنا هذا ، ما لم يجدوا سبيلا لربط خبراتهم بالحياة . وفى البيئات البدائيه وغير المتحضرة يكون لمثل هؤلاء القوم شأن كبير وقيمه واحترام .

(جـ) الأنماط عند إيزنك :

مفهوم النمط عند إيزنك (٢) : عرض إيزنك فى بحثه عن نموذج لوصف تنظيم الشخصية ، لمفهومين استخدما منذ أمد بعيد لدى هؤلاء الذين تعرضوا لمظاهر ثبات السلوك عند الإنسان ونعنى بهما مفهوم « السمة » ومفهوم « النمط » . والمفهوم الأول وجد تأييداً كبيراً عند « شتيرن » الذى ذهب إلى أنه ثمه ضرورة تحتم إقامة مثل هذا المفهوم من أجل تفسير هذا القدر من الثبات النسبي الذى نلاحظه فى سلوك الفرد . كما أصبحت فكرة السمة من الأفكار الشائعة جداً لدى علماء النفس من الأمريكان بفضل كتابات جوردون إلبورت وعلى نحو ما سنوضح بالتفصيل عند الحديث عن السمات .

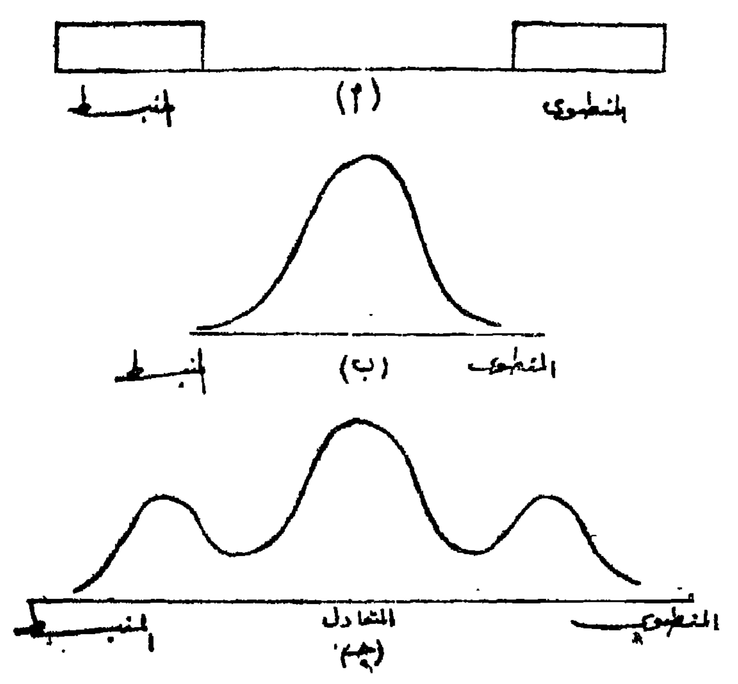
أما مفهوم النمط ، فقد دار حوله الكثير من الجدل وبخاصة بين علماء النفس الأمريكان وعلماء النفس الإنجليز . إذ لم يحرز هذا المفهوم نجاحاً كبيراً

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥١ .

(2) Eysenck, H.J. : The Structure of Human Personality. , Methuen & Co. LED. London 1970 p. 10.

لدى علماء النفس الأمريكان الذين شاركوا « ستاجنر » فى إعتقاده بأن الإنتقال من فكرة النمط إلى السمة يشبه بوجه عام تقدم علم النفس « كعلم » . وقد أوضح ستاجنر(١) . أن وجهات النظر التى أمكن لعلماء النفس الأمريكان التعبير عنها بالنسبة للأنماط السيكلوجية يمكن تجميعها تحت هذه الأنواع الثلاثة الموضحة فى الأشكال الآتية :



فالبعض لا يزال ينظر إلى الأنماط كما لو كانت خانات أو أصناف متباعدة تماما مع خطوط فاصلة بوضوح بينها على نحو ما هو موضح فى الشكل (أ) حيث يقسم الناس إلى نمطين منفصلين تمام الانفصال هما المنطوى والمنبسط . والبعض الآخر ينظر إلى مفهوم النمط باعتباره مماثلا إلى حد كبير أو صغير

(1) Stagner R.: Psychology of Personality. Mc Graw - Hill Book Company Inc. , New York , 1961. p. 266.

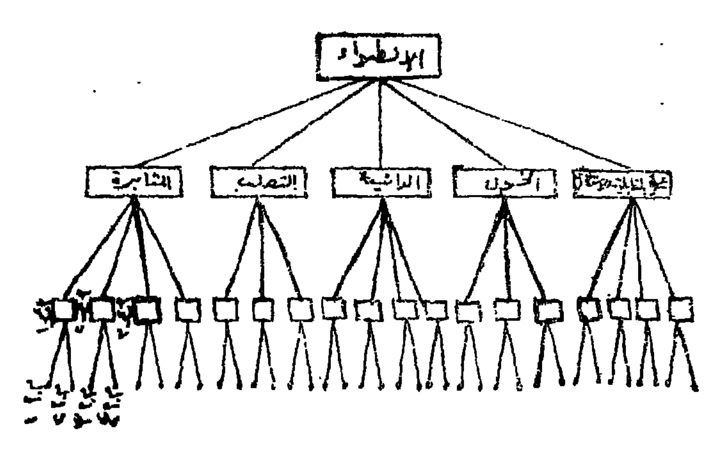
لمفهوم السمة بمعنى أن الأنماط المتباعدة توجد عند طرفى التوزيع ، بينما يخضع بقية الأفراد إلى التوزيع الإعتدالى ويتجمعون بين النمطين المتباعدين على نحو ما هو موضح فى الشكل (ب) . أما البعض الثالث والأخير فيذهب إلى أن الأنماط الحقيقية تختلف عن السمات من ناحية أن توزيعها متعدد القمم multimodal وأن الناس يتجمعون فى مواضع معينة تقترب من النمط الخالص على نحو ما هو موضح فى الشكل (ح) .

وقد ناقش إيزنك فكرة ستاجنر وأوضح أن ستاجنر أسقط من حسابه نقطتين هامتين فى الوصول إلى نتيجة تتصل بأهمية مفهوم النمط كنموذج لتنظيم الشخصية .

النقطة الأولى : وهى ما تتضح فى الشكلين (ب ، ح) ، هى أن هذين المفهومين المختلفين للنمط يرتبطان بالتوزيع الافتراضى للمجموع العام من الناس بالنسبة لهذا النمط ، أعنى إما أن يكون اعتداليا أو متعدد القمم . ولكن لا يمكن معرفة شكل التوزيع لأى نوع من الصفات العقلية دون تحديد سابق لمقياس مضبوط علمياً . وإلى أن يتم وضع مثل هذا المقياس الدقيق . فلا يمكن استخلاص أى شكل مناسب من أشكال التوزيع .

النقطة الثانية : أن التمييز بين توزيعات متصلة ومنفصلة (على نحو ما هو موضح فى التفرقة بين الشكلين (ب ، ح) من ناحية والشكل (أ) من ناحية أخرى تمييز صادق تماما ، ولكنه لا يصور بدقة نظريات وفروض هؤلاء الذين كانت لنظرياتهم أكبر الأثر فى فكرة الأنماط الحديثة ويخص بالذكر منهم يونج وكرتشمر . إن هذا التمييز الذى قدمه ستاجنر يصور بالفعل المفاهيم الخاطئة الواسعة الانتشار لأفكار كل من هذين الرجلين وغيرهما ممن ساهم فى هذا المجـــال .

وقد نظر أيزنك إلى النمط باعتباره مجموعة من السمات المترابطة ، مثلما نظر إلى السمة كمجموعة من الأفعال السلوكية أو نزعات الفعل المترابطة كذلك . وفى ضوء هذه النظرة ، فإن الفرق بين مفهوم السمة والنمط يوجد ، لا فى اتصال أو فى انفصال المتغير المفترض ولا فى شكل توزيعه . وإنما فى التضمن أو الشمول الأكبر لمفهوم النمط . وقد أوضح إيزنك فكرته عن النمط وعلاقته بالسمات والعادات والاستجابات النوعية فى الشكل الآتى :



فلدينا هنا مستويات أربعة من تنظيم السلوك . فى أدنى هذه المستويات توجد الإستجابات الخاصة أو النوعية م - ا$_1$ (مثير - استجابة) م - ا$_2$ - م - ا$_3$ وهكذا . وهذه تمثل أفعالا كاستجابات لاختبار تجريبي أو لخبرات الحياة اليومية التى تظهر مرة ولكنها قد لا تكون مميزة للفرد . أما المستوى الثانى ، فيمثل مستوى الاستجابة العادية (ا - ع$_1$ ، ا - ع$_2$ ، ا - ع$_3$) ، وهذا النوع من الاستجابات يميل إلى الظهور تحت ظروف متشابهة ، أعنى كتلك الإستجابات التى تظهر عند تكرار نفس الإختبار علي الفرد أو كتلك التى

تحدث فى مواقف الحياة العادية حين يستجيب الفرد بطريقة مماثلة . وهذا يعتبر فى نظر إيزنك أدنى مستوى للتنظيم . ومقدار التنظيم هنا يمكن أن يقاس فى ضوء معاملات الثبات ، أعنى فى ضوء احتمال أنه عند تكرار الموقف سوف يظــــل السلوك ثابتاً .

أما المستوى الثالث ، فإنه يلتتج عن تنظيم الأفعال المعتادة فى سمات س١، س٢ ، س٣ ، وهذه السمات - كالمثابرة وسرعة القابلية للاستثارة والتصلب هى مكونات افتراضية نظرية تقوم على الارتباطات البينية التى نلاحظها بين عدد من الإستجابات المعتادة المختلفة وهى بلغة التحليل العاملى كما يقول إيزنك تمثل عوامل جمعية group factors .

أما على المستوى الرابع ، فإن هذه السمات المختلفة التى تنتظم فى نمط وهو فى هذا المثال النمط المنطوى ، هذا التنظيم يقوم أيضاً على أساس الارتباطات التى نلاحظها بين السمات المتعددة التى تكون فيما بينها مفهوم النمط فنى هـذا المثال الذى يقدمه إيزنك ، فإن سمات المثابرة والتصلب والذاتية والخجل وسرعة القابليه للاستثارة وعديد غيرها من السمات ، تكوّن تجمعاً من السمات المترابطه فيما بينها ، وبذلك تسمح بظهور مكوّن افتراضى على مستوى أعلى هو ما نسميه هنا باسم « النمط المنطوى » .

ففكرة النمط — كفكرة السمة — تقوم إذن على أساس مستويات الإرتباط التى توجد بين الأفعال . أما مشكلة الاتصال والانفصال التى تحدث عنها ستاجنر . فليست مناسبة للتمييز بينهما ، هذا التمييز الذى يقوم فحسب على فكرة التضمن . ويذهب إيزنك إلى أن نموذج تنظيم الشخصية الذى يقدمه

مستمد مباشرة من كتابات علماء النفس من أمثال يونج وكرتشمر والبورت وليس فيهم من يمكن القول بأنه كان من المهتمين بصورة ظاهرة ، بأساليب القياس النفسي عامة . وبالتحليل العاملي خاصة .

ولكن ستاجنر يذهب مع ذلك إلى أن مثل هـــذا الإستخدام لفكرة النمط على نحـو ما أوضحها إيزنك لا تضيف جديداً ، بقدر ما يؤدى إلى الخلط والغموض ، وقد ظل هذا الخلاف بينهما قائما ، وعلى نحو ما يتمثل أيضاً فى اختلاف نظرة كل مدرسة من مدارسهما . فالمدرسة الأمريكية أميل إلى الأخذ بفكرة السمات بينما المدرسة الأنجليزية والأوروبية عامة لا ترى غضاضة فى القول بفكرة الأنماط . والحقيقة أن فكرة النمط — كما يراها إيزنك — إنما تمثل مستوى من مستويات التنظيم فى الشخصية ومن ثم فلا غضاضة فى القول بمثل هذه الفكرة .

ولكن قد يتساءل البعض هل نظرية الأنماط نظرية مفيدة ؟ وإذا كانت كذلك فتحت أى الظروف يمكن أن تعد مفيدة ؟ لقد أفادت نظرية الأنماط من ناحية توكيدها لمبدأ هام هو أن الأجزاء (الأفعال النوعية والعادات والسمات والاتجاهات) إنما تتحدد صفاتها وخصائصها بالشكل الذى تنتمى إليه . فمدرسة الجشتلت فى علم النفس — على نحو ما أوضح ميرفى وجنسين(١) — قد وضعت أساسا طيباً للاتجاه الطوبولوجى فى دراسة الشخصية . فالمكونات الخاصة بالتشكيلية العامة أو الصيغة العامة ، والعلاقة بين الشكل والأرضية ، والإغلاق تتفق جميعها وهذه

(1) Murphy, G. and Jensen F.: Approaches to personality, New York, Coward-McCann 1932.

النظرية التي تؤكد أن التنظيم الكلي إذا حدث ، يفرض قيوداً شديدة على مختلف الأجزاء المكونة لهذا التنظيم . ومن الممكن القول أيضاً بأن ليس فقط يحدد أجزاءه التي تنتمي إليه ، بل وأيضاً أن الأجزاء يمكن أن تحدد الشكل المكونة له . وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الشخصية هي نتاج النمو التاريخي الفرد ، مثلما هي دالة للتفاعل بين الكائن الحي العضوي والبيئة .

وثمة ناحية أخرى في صالح نظرية الأنماط يمكن أن تقوم بمثابة دفاع عنها فإذا سلمنا بأن الأنماط الخالصة نادرة الوجود ، أفليس من الممكن أن تكون دراسة مثل هذه الحالات المتطرفة ذات أهمية بالغة بالنسبة للسيكلوجي من حيث أنها تلقي المزيد من الضوء وبدرجة أكبر بكثير مما يمكن أن تحصل عليه دراسة الحالات التي تقع في المتوسط العام للمجموع الكلي من الناس . لقد ذهب «ليفين» إلى أن القوانين العلمية يمكن أن تفيد أحسن فائدة من دراسة حالة خالصة فريدة ، أكثر مما تفيد من دراسة متوسط عدد كبير من القوانين . وهذه النظرة قد تكون في صالح نظرية الأنماط ، وإن تعارضت مع الاتجاه الإحصائي . فدراسة الحالات الشاذة أو المتطرفة تلقي الكثير من الضوء على الحالات العادية أو السوية . ولعل في دراسات التحليل النفسي وعلم نفس الشواذ وعلم النفس الإكلينيكي ما يؤيد ذلك .

غير أن ستاجنر يذهب إلى القول بأنه ربما كانت القيمة الوحيدة الكبرى للوصف بالأنماط هو اعتبارها بمثابة نقط ارتكاز مرجعية للشخصيات ، فالدراسة الدقيقة لنظريات الأنماط كتلك التي قال بها يونج وكرتشمر وسبرانجر وشلدون وجانيش وغيرهم ، من شأنها أن تزود السيكولوجي بعلامات أو نقط مرجعية معينة . وبذلك يمكنه أن يوجه نفسه ، في دراسته لأي فرد ، بمقارنة

هذه الشخصية والأنماط المعيارية ، ملاحظا نواحى معينة تستدعى إلى الذهن النمط المنطوى أو الحشوى الأساسى أو الشبقى الفمى . وبذلك يمكنه أن يصل ذهنيا إلى وصف أكمل دائم للشخصية مما لو لم تكن لديه مثل هذه الأطر المرجعية . ومع ذلك فقد لا نجد واحدة من نظريات الأنماط يمكن أن تفيده فى فهم أصل بنية الشخصية أو وضع تخطيط لتقديم النصح أو العلاج للحالة التى يقوم بدراستها .

الفصل الثامن

بناء الشخصية فى ضوء نظرية المثير والإستجابة

درج الناس منذ القديم على وصف السلوك وتفسيره فى ضوء السمات : كالمثابرة وسرعة القابلية للايحاء والشجاعة والمواظبة وغيرها ، أو وصفه فى ضوء أنماط معينة كالنمط الاجتماعى أو الرياضى أو العقلى أو المنطوى أو المنبسط.. وقد أخذ علم النفس التقليدى فى أغلب نواحيه بمثل هذه المفاهيم ، فقدم لنا سمات مثل السيطرة والمثابرة والخضوع ، كما قدم لنا أنماطاً مثل الإنطواء — الإنبساط ، الشيزوثيميا — السيكلوثيميا وغيرها .

غير أن هذا التقبل السهل لمثل هذه المفاهيم قد واجهته موجة عنيفة من النقد من جانب علماء النفس السلوكيين الذين جاءت نظريتهم كثورة عنيفة على علم نفس الملكات الذى كان يؤمن بدرجة كبيرة بأهمية نظام التدريب الشكلى وإمكانية نقل أثره من موقف معين إلى مواقف أخرى بصرف النظر عن العلاقة بين هذه المواقف .

ولقد بدأ علماء النفس السلوكيين اهتمامهم بمشكلات التعلم ، ثم وسعوا مجال اهتمامهم بعد ذلك ليشمل أيضاً مجال الشخصية . وكنتيجة لذلك ، اتجه اهتمامهم كلية نحو الطريقة التى تحدث بها الاستجابة عند وجود مثير خاص .

وقد درسوا بدقة وإمعان طبيعة الإستجابات ، وأنماطها ، وكيف تثبت وتقوم كعادات ، وما نوع الأدلة ، أو المثيرات التى تصاحب السلوك الذى نلاحظه ، فهم إذن وضعيون . والوحدة الأساسية فى نظرهم هى ارتباط المثير — الاستجابة . ويعتبر التعلم الترابطى عندهم الوسيلة التى بواسطتها ينمى الفرد أنماط سلوكية خاصة هى التى تعرف باسم الشخصية .

ونظرية بناء الشخصية على نحو ماعبر عنها الإتجاه السلوكى ، أقرب إلى أن تنظر إلى الشخصية باعتبار أن ليس لها بناء ثابت دائم . فالشخصية ليست شيئاً أكثر من مجرد تجميع عناصر المثير — الإستجابة .

ولقد عبر ماكينون (١) عن موقف نظرية المثير والإستجابة بقوله « وحسب هذه النظرية ليست هناك سمات عامة إطلاقاً للشخصيه ، وأن ليس هناك أشكال عامة وثابتة للسلوك يمكن أن تفسر - إن وجدت - ثبات السلوك وثبات الشخصية ، بل كل ماهنالك هو مجموعة من العادات النوعية هى عبارة عن روابط خاصة بين مثيرات معينة واستجابات متعلقة بها . فلا معنى إذن أن نتحدث عن أشخاص عدوانيين أو منبسطين أو مثابرين أو متسلطين لأن مثل هذه السمات ليست صفات للأشخاص ، ولكنها صفات للسلوك الذى يصدر عن هؤلاء الأشخاص فى مواقف خاصة . فإذا سلك شخص ما مثلا بشكل عدوانى فى موقف أو مواقف معينة ، فان كل مانستطيع أن نستنتجه من هذا هو أنه سوف يسلك على هذا النحو فى نفس المواقف أو فى مواقف مشابهة . وبقدر مايكون هنالك من تشابه فى المواقف المختلفة ، بقدر مايكون هناك من احتمال ظهور السلوك على نفس النحو الذى سبق أن ظهر عليه » .

فهذه المدرسة تذهب إذن إلى أن ليست هناك نزعات سلوكية داخلية وأن ليست هناك سمات عامة تتميز بها شخصية الفرد ، وإنما السمات تمثل السلوك الذى يستمد بواعثه من المواقف المثيرة الخاصة ، وأن سمات الشخصية هى مجرد تجميعات خاصة للسلوك بطرق خاصة متميزة . وهذه النزعات يجب أن تتعلم وتكتسب . وكما يقول باتيسون إن السلوك الإنسانى كله على نحو

(1) Mackinnon, Donald. W ,: The Structure of Personality. In J.Mc V. Hunt (ed) Personality and the Beharior Disorders, vol. 1, New York. The Ronald Press Company 1645 pp. 3-48.

ما نعرفه . . . إما أنه متعلم أو معدل عن طريق التعلم . والتعلم هو إلى حد بعيد عملية علاقات متبادلة بين الأشخاص .

وبسبب وقوف الكثيرين من علماء النفس موقف الشك من وجود قوى داخلية أو فطرية كدوافع للسلوك فإن نظرية السمات الموحدة Unitary traits قد تعرضت لكثير من الهجوم . فهي حين ينظر إليها من ناحية السلوك المكتسب أو المتعلم، فإنها تعتبر بمثابة أسماء مناسبه لتصنيف الأفعال الخاصه التى يقوم بها الأفراد فالسمات ليست ممتلكات للفرد ذاته بقدرماهي أنماط فى السلوك المرغوب فيه أو غير المرغوب فيه ، وفق المعايير التي يضعها القائم بتقدير هذه الأنماط فى السلوك . وهذا التعريف يقدم تفسيراً لعدم الثبات الظاهر أحيانا فى السلوك البشرى . فالرجل قد يكون لطيفا مع أهل بيته ، ولكنه أشد ما يكون قسوة فى المعاملة مع مرؤسيه . والطفل قد يكون صادقاً فى معاملته مع أبيه ، ولكنه يكذب بإستمرار مع مدرسيه .

ونظراً لهذا الموقف الذى أتخذته مدرسة المثير — الإستجابة من فكرة السمات فى بناء الشخصية ، وإنكارها للسمات العامة ، وتوكيدها الناحية الخصوصية ، والربط بين المثير والإستجابة فى صورة روابط مستقلة ونوعية أو عادات ، فقد سميت هذه المدرسة بإسماء متعددة . فقد أطلق عليها البعض اسم نظرية « العادات النوعية » (١) أو « النظرية النوعية فى الشخصية (٢) » أو « النظرية المضادة للسمات » . وكما سبق الإشارة ، فإن هذه النظرية قد ظهرت ، من الناحية التاريخية ، وقت الثورة العنيفة على علم نفس الملكات الذى يؤمن بدرجة كبيرة بأهمية نظام التدريب الشكلى وإمكانية نقل أثره من موقف معين إلى مواقف أخرى بصرف النظر عن العلاقة بين هذه المواقف . ولقد تزعم

(1) Specific Habits.
(2) Theory of Specificity
(3) Anti - Trait Theory

هذه الثورة ضد نظرية الملكات أولا وليم جيمس ثم ثورنديك . وقد قادهما البحث إلى القول بأن أثر التدريب فى موقف معين لا ينتقل إلى موقف آخر بهذه الصورة التى وصفتها نظرية الملكات . وكان من نتيجة ذلك أن وضع ثورنديك نظريته المعروفة باسم « نظرية العناصر المتماثلة » التى تذهب إلى أن أثر التدريب فى موقف معين يمكن أن ينتقل إلى موقف آخر، بقدر ما هنالك من عناصر متماثلة أو مشتركة فى الموقفين » .

وقد أوضح ايزنك (١) ، استناداً إلى ما كتبه البورت بصدد النظرية النوعية فى الشخصية ، وجود مصادر ثلاثة أصلية استمدت منها هذه النظرية قوتها وهى :

المصدر الأول . هو نمط ثورنديك فى تفسير عملية التعلم والذى ساد خلال الحقب الأولى من هـــذا القرن . فالتعلم يفسر فى ضوء الروابط بين المثير والإستجابة على نحو ما نجده فى تفسير الفعل المنعكس الشرطى . وهذه الروابط تدرك بالطبع على أنها روابط نوعية تماما . وإذا كان تنظيم الشخصية هو إلى حد بعيد مسألة تعلم ، فإن خصوصية أو نوعية عملية التعلم ، يجب أن تتجلى إذن فى النتاج النهائى للتعلم ؛ أعنى فى شخصية الراشد . وإذا كانت نظريات المثير والإستجابة فى مجال التعلم قد عارضتها نظريات أخرى أكدت أن التعلم هو جزء من مشكلة أكبر من مشكلات التنظيم وبخاصة التنظيم الإدراكى ، إلا أن هذه النظريات غير النوعية والتى كانت قـــد دخلت حديثا فى مجال نظريات التعلم ، ومن ثم كانت إلى حد ما أقل أثراً من الناحية التاريخية ــ لم تكن قد وصلت بعد فى مجال وصف الشخصية إلى نفس القدر من القوة الذى وصلت اليه النظريات التى تقول بالنوعية أو الخصوصية .

---

(1) Eysenck, H.J , : The structure of Human Personality. London Methuen & Co , LTD. 1970

المصدر الثاني وهو وثيق الصلة بالمصدر الأول، يتصل بالدراسات الخاصة بمشكلة انتقال أثر التدريب التي ألمحنا إليها منذ حين . فقد قام ثورنديك ببحث مع وود ورث عن أثر التحسن في وظيفة عقلية ، على قدرة الوظائف العقلية الأخرى على الأداء وقد استنتجا من هذا البحث أن التحسن في أية وظيفة عقلية واحدة ، لا يؤدي بالضرورة إلى تحسن القدرات التي يطلق عليها نفس الإسم ، بل قد تضربها ومعنى ذلك أن التحسن في تذكر الشعر ، لا يؤدي بالضرورة إلى تحسن في التذكر بوجه عام ، بما في ذلك تذكر الشعر والنثر والأرقام والأسماء والأشكال إلخ » .

كذلك يذكر ثورنديك أن التحسن في أية وظيفة عقلية ، قلما يؤدي إلى نفس القدر من التحسن في أية وظيفة عقلية أخرى بصرف النظر عن مدى ما بينهما من تشابه ، ذلك لأن إنتاج كل مجموعة من الوظائف العقلية يتشكل بطبيعة المادة في كل حالة خاصة .

وقد أرجع ثورنديك أسباب انتقال أثر التدريب إلى ناحيتين :

(ا) أن انتقال أثر التدريب يرجع إلى تطابق عناصر المادة في الموضوعين، موضوع التعلم الأول ثم الموضوع الجديد الذي ينتقل إليه أثر التعلم .

(ب) أن انتقال أثير التدريب يرجع إلى تطابق طريقة التعليم (١)

ويمكن إذن القول حسب ثورنديك إن التعلم نسبياً وأن ليس هناك أي أثر عام للملكات التي يفترض أن مثل هذا التدريب الشكلي يؤدي إلى تحسنها ، وأن آثار الانتقال التي يمكن ملاحظتها ، تعزى لا إلى عمل الملكات العقلية العامة الواسعة ، بل إلى ما هنالك من عناصر مشتركة معينة بين النشاط الأصلي

---

(١) د . رمزية الغريب : التعلم . دراسة نفسية ، تفسيرية ، توجيهية . القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٦٧ ص ١٢٠ .

والنشاط الجديد الذى ينتقل إليه أثر التعلم . ومن أجل ذلك سميت نظرية ثورنديك باسم « نظرية العناصر المتماثلة » . وعلى حد تعبيره يمكن القول بأن «تغيراً فى وظيفة ما ، قد يحدث تغيراً فى وظيفة أخرى، فقط إذا كانت هناك عناصر معينة مشتركة بين هاتين الوظيفتين » . فالتدريب على الجمع يمكن أن يؤدى إلى تحسن فى عملية الضرب ، لأن هناك عناصر مشتركة متماثلة فى جزء منها بين هاتين العمليتين . وبنفس الصورة يمكن النظر إلى نمو الشخصية على أنه تدريب نوعى لترابطات الفرد ، وليس تحسنا عاماً لوحدات عقلية أكبر أو « ملكات » .

المصدر الثالث: يقول بالخصوصية فى تنظيم الشخصية فهو ليس أقل خطراً وتأثيراً من سابقيه ويتمثل فى هذه المعالجة التجريبية المباشرة للمشكلة من جانب هارتشورن وماى (١٩٢٨ و١٩٢٩ و ١٩٣٠) . فقد قاما بتجربة على عدة آلاف من الأطفال من مختلف طبقات المجتمع الأمريكى ، بقصد قياس بعض السمات الخلقية لديهم كالأمانة والتعاون وقد أتيحت الفرصة أمام الأطفال للقيام بألوان من السلوك غير الأمين والغش وتحت ظروف تجعل اكتشاف ذلك يبدو مستحيلا من جانب الطفل ، وإن كانا فى الحقيقة قد اتخذا كل الظروف التجريبية المضبوطة فى إجراء التجربة ، ولقد وجد « هارتشورن وماى » أن معاملات الارتباط بين الاختبارات منخفضة جداً . ووصلا إلى نتيجة هى أن سلوك الفرد خاص ومقيد بالموقف الذى يكون فيه ؛ لا بسمات عامة ثابتة لدى الفرد . فالأطفال الأمناء أو المثابرون أو المتعاونون أو المتحابون فى موقف واحد من مواقف الاختبار ، ليسوا دائماً أمناء أو مثابرين أو متعاونين أو متحابين فى مواقف أخرى . ومن ثم فقد وصلا إلى أن الشخصية لا تتكون من سمات عامة ثابتة ، ثباتاً مطلقاً أو حتى ثباتاً نسبياً ، بل هى مجموعة من العادات

النوعية أي يتوقف على نوع الموقف . وقد قبل هذا الرأي على نطاق واسع باعتباره الوضع النهائي في جانب نظرية النوعية .

ومع ذلك ، يرى أيزنك أن هذه المصادر الثلاثة السابقة ليست بمنأى عن النقد فقد تعرضت نظرية المثير والاستجابة لكثير من النقد من جانب هؤلاء الباحثين الذين تأثروا بنظرية الجشتلت والمجال من أمثال كوهلر وكفكا وليفين وطولمان وغيرهم ممن وضعوا نظريات تذهب إلى تفسير الحقائق دون الإلتجاء إلى الروابط النوعية التي قال بها ثورنديك ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لمشكلة انتقال أثر التدريب والعناصر المتماثلة . ولقد انتقد ألبورت نظرية العناصر المتماثلة بإفاضة بالغة ، وأوضح أن فكرة « العنصر » فكرة غامضة في كتابات الذين أخذوا بوجهة نظر ثورنديك وأن فكرة « التماثل » المزعوم لهذه العناصر هي مجرد تبرير « بعدي » للظواهر التي نلاحظها دون أن يكون له أية قيمة تنبؤية أو إمكانية للتحقق والإثبات . وبذلك ألقى الكثير من الشك على تماسك وجهة النظر هذه ككل والتي يستتبع الأخذ بها القول بأن سلوك الإنسان يمكن النظر إليه كحزمة مفككة من العادات النوعية غير المترابطة والمستقلة بعضها عن بعض .

أما تجربة هارتشورن وماى فقد أثير حولها الكثير من الشك . فقد ذهبت هذه التجربة إلى القول بأن الطفل الذي يسلك بغير أمانة في موقف ما ، ليس من الضروري أن يسلك كذلك في موقف آخر . فالطفل قد يغش مثلا في الامتحان ولكنه قد لا يغش في موقف اللعب ، وقد يكذب مع أبيه ولكنه قد لا يكذب مع أخيه . ومن تحليلهما للمادة التي حصلا عليها استنتجا أن اختباراً ما في الخداع قد لا يكشف كثيراً عن الخداع كصفة عامه ، وأن ما يكون هنالك من تشابه في سلوك الأفراد في المواقف المختلفة ، هو بقدر مايكون

هنالك من تماثل بين هذه المواقف . وفسرا نتائجهما - كما سبق أن رأينا - على أنها دليل ضد القول بوجود سمة عامة للخداع ، وهذا ما عبرا عنه بقولهما « إن أمانة أو عدم أمانة فرد ما تتكون من مجموعة من الافعال والاتجاهات التي تصدق عليها هذه المصطلحات الوصفية (الامانة وعدم الامانة) فليس هناك أطفال أمناء وأطفال غير أمناء ولكن هناك أفعال أمينة وأفعال غير أمينة . وبعبارة أخرى إن ما يسمى بالسمات العامة ليست سوى مجموعة من العادات النوعية أكثر منها سمات عامة . وقد علق ماكينون على أبحاث هارتشورن وماى بأنها كانت بمثابة ضربة لنظرية السمات .

ولكن إلبورت ينتقد النتائج التي وصل إليها هارتشورن وماى رغم ما قد يكون لها من بريق أخاذ بالنسبة للبعض . وأهم هذه الإنتقادات :

١ — أن نتائج هذه الدراسة لم تثبت عدم وجود سمات لدى الاطفال ، وإنما فقط أن عدم الأمانة ، على نحو ما تقاس ، ليست نفسها سمة . فالطفل الذي لديه عادة سرقة النقود ، قد يفعل ذلك لانه يريد أن يدخر بعض المال لشراء أدوات أو لشراء لعبة أو لينتقم بطريقة مضادة للمجتمع أو لانه يشعر بتقدير أقل من الناحية الاجتماعية من جانب زملائه . ولذا فهو يريد أن يشتري لهم الحلوى ليزيدوا من تقديرهم له . والطفل الذي يكذب ، قد يقوم بذلك لانه خائف من العقاب أو لانه لا يحب أن يؤذي مشاعر أستاذه أو لانه في حاجة ملحة إلى التقدير والمحبة .

فكل ما كشف عنه البحث هو أن الفكرة المجردة عن الامانة ليست سمة قوية لدى الطفل بنفس قوة الإستعدادات الشخصية الاخرى . ولكن البحث لم يثبت مع ذلك أن سرقة النقود أو الكذب عادات منفصلة غير مرتبطة بأي تراكيب أعلى في تنظيم شخصية الطفل الذي يسرق أو يكذب .

٢ — انتقد إلبورت النتائج التي وصل إليها هارتشورن وماى على أساس أن هذين الباحثين شرعا فى دراسة صفات خلقية تصبح أكثر تعقيداً عن طريق الموافقة أو عدم الموافقة الاجتماعية ، واللبنات الخلقية ليست هى اللبنات الاساسية فى الشخصية وبخاصة فى الطفولة حيث لا يكون ضمير الطفل قوياً بدرجة ظاهرة فى هذه السنوات الاولى من الحياة .

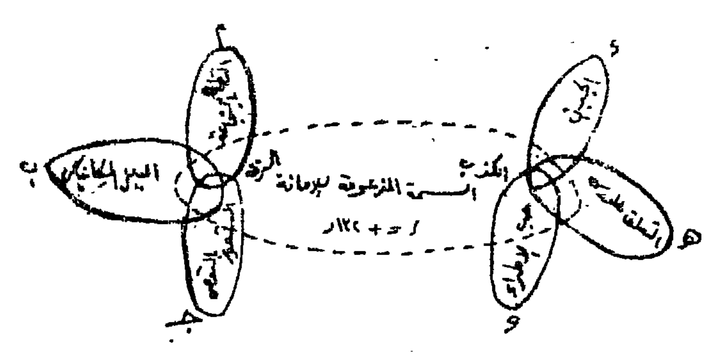
٣ — يضاف إلى ذلك أنه طالما أن مثل هذه السمات التى تظهر فى المجتمع كالامانة وضبط النفس يجب أن تكتسب وتتعلم ، فإننا لا نتوقع أن نجدها كسمات عامة لدى صغار الاطفال . ومن هنا فإن قصر عينة الدراسة على صغار الاطفال الذين كانوا بالصفوف ما بين الصف الخامس والصف الثامن ، ليس اختياراً موفقاً ومع ذلك ، فمما يجدر ملاحظته حتى بالنسبة لهذا المدى العمرى الضيق ، فإن هناك من الادلة ما يكشف عن أن الاطفال يصبحون أكثر ثباتاً واستقراراً ، كلما تقدم السن بالطفل وبخاصة بالنسبة للتمثل الاجتماعية الإيجابية .

٤ — وربما كانت أهم نقطة فى نقد إلبورت لدراسة هارتشورن وماى ، هى أنه على الرغم من أن معاملات الإرتباط بين الاختبارات المختلفة التى طبقت على الاطفال كانت منخفضة بشكل يوحى أن الاطفال ليست لديهم سمات عامة للخداع أو الغش أو غيرها من الصفات التى قاما ببحثها ، فإنها مع ذلك لم تثبت أن ليست هناك سمات أخرى أوسع للشخصية . فالكذب قد لا يرتبط بالسرقة ، وبهذا المعنى قد لا يكون ثمة دليل على وجود سمة عامة للخيانة . ولكن كلتا العادتين قد تكونان جزءاً متكاملا فى سمات أخرى أوسع لم توضع موضع البحث .

والشكل الآتى الذى يقدمه البورت (١) يمثل فكرة هارتشورن وماى

(1) Allport G. : Pattern and Growth in personality. New York, Holt. 1961. p 316.

اسمة عدم الامانة وكذلك السمات الاخرى التى لم نبحث فى دراستهما ولكن وصف إلبورت إمكانية وجودها .



الشكل البيضاوى المنقط يمثل السمات على نحو ما أدركها هارتشورن وماى . أما الأشكال المتصلة غير المنقطة فتمثل السمات الشخصية الممكنة التى اغفل الباحثان دراستها

وقد أوضح البورت فكرته على النحو التالى :

الطفل (ا) قد يسرق نقوداً بسبب أن لديه سمة شخصية قوية نحو التظاهر بالشجاعة وليحظى باعجاب أفراد الشلة أو على نحو ما يقرأ فى المجلات أو كما يرى فى السينما ، بينما الطفل (ب) يسرق لأنه يهتم اهتماما خاصا وملحاً بشراء بعض الأدوات الميكانيكية بشكل يدفعه إلى شراء قدر منها بأكثر مما تسمح به نقوده . أما الطفل (ج) فإنه يعانى من إحساس عميق بالنقص الاجتماعى . ولذا فهو يسرق النقود ليشترى بها حلوى لزملائه كى يحظى بتقديرهم له .

أما الطفل (د) ، فإنه لا يسرق وإنما يكذب ويغش ، لا لأن لديه سمة عامة لعدم الأمانة ، بل لأن لديه سمة عامة لعدم الأمانة ، بل لأن لديه سمة عامة هى الجبن الخوف من العواقب . والطفل (ه) يكذب لأنه يخاف أن يجرح مشاعر أستاذه الذى يحبه ويقدره ، والطفل (و) يكذب لأنه شديد التوق إلى الإطراء . فكل طفل من هؤلاء يسلك على نحو ما فعل تجاه هذه الاختبارات لا لأن لديه عادات نوعية ، وإنما لأن لديه بعض السمات العميقة المتميزة .

ويقول ماكينون إن كل ما كشفت عنه اختبارات هارتشورن وماى هو أن السمة الخاصة بالأمانة على نحو ما تحدد فى ألفاظ خلقية عادية ، وعلى نحو ما تختبر فى مواقف متفق ومتعارف عليها ، ليست واحدة من تلك التى يمتلكها الأطفال بدرجات فردية ثابتة ، وخاصة مع وجود نزعة أخرى ملحة قوية لدى الطفل ، للتعبير عن سمة أخرى غير الأمانة عن طريق سلوك الكذب والسرقة فالأطفال ليست لديهم جميعا نفس السمة ولكن لديهم مع ذلك سماتهم الذاتية (١) .

ويذهب البورت إلى أن القول بوجود التخصيص أو التعميم فى بناء الشخصية يتوقف إلى حد بعيد ليس فقط على تفسير الحقائق الكمية ، بل على المناهج المستخدمة فاستخدام مجموعة كبيرة من الأطفال وإجراء إعداد كبيرة من الاختبارات عليها ، يعد أسلوبا مختلفاً كل الاختلاف عن دراسة عدد قليل من الأطفال دراسة متعمقة وفى سن أكثر نضجا .

وكم ندهش من اختلاف النتائج التى تصل إليها بهذا المنهج أو ذاك الآخر فيما يتصل بثبات السمات ، كسمة الامانة والغش . وقد أشار البورت فى هذا الصدد إلى دراسة قام بها ماكينون بالعيادة النفسية بجامعة هارفارد على مجموعة قليلة من الاشخاص الا كثر نضجاً (طلاب جامعة) ، ووصل فيها إلى نتائج تختلف عن تلك التى وصل إليها هارتشورن وماى . فقد أجريت التجربة على ٩٣ طالباً وكانت عبارة عن مجموعة من المشكلات التى يتطلب حلها أن ينفرد الفرد بنفسه لمدة ساعة . وكانت إجابات هذه المشكلات مسجلة فى الكراسة . وقد ترك الفاحص الاشخاص أحراراً فى الالتزام أو الخروج على

---

(1) Mackinnon. D.: The Structure of Personality. in Hunt J. Mc. V. ed Personality and the Behavior Disorders, New York Roland Press Comp. 1944. vol. 1, pp 3-48.

بعض الممنوعات التي تقوم على رؤية حلول المشكلات أو المسائل التي يحاولون القيام بها والمسجلة في آخر الكراسة . وكان المجرب يجلس في غرفة تسمح بالرؤية من جانب واحد . وبذلك يمكنه أن يرى كل حالة يحاول فيها الطالب أن يغش ويرجع إلى كراسة الإجابة في المشكلات غير المسموح فيها الرجوع إلى الكراسة . وقد أمكن لماكينون الكشف عن نمطين مختلفين ، وإن كان كل منهما متسق وثابت داخليا بالسمات الشخصية . نمط يحترم الاوامر ولا يفكر في الخروج عليها ونمط آخر كان يخرج على هذه الاوامر كلما تسنح له فرصة لذلك .

وقد تجلت حقيقة ثبات السمة في تجربة ماكينون في قيامه بالتنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد ، وذلك بعد حوالى خمس دقائق كان يقضيها معه في مقابلة خاصة . وفي ضوء هذه الانطباعات الاولى ، كان يتنبأ بما إذا كان الشخص سوف يخرج على التعليمات أوسيلتزم بها وقداستخدم هذا الاسلوب مع ٧٤ شخصا ، وثبت صحة التنبؤ في ٦٩ ٪ من الحالات . وكان النجاح أكثر في ناحية عدم الغش .

وبالتأكيد ، فان جزءاً كبيراً من السلوك يكون خاصا بالنسبة للموقف الذي يحدث فيه . ولكن القول بمثل هذه الخصوصية في السمات ليس معناه إنكار الثبات في الشخصية . فعلى الرغم من القول بوجود الخصوصية أحيانا ، فإن البورت يصر على أن العمومية هي التي تسود في تنظيم الشخصية .

٦ — وقد أشار البورت أيضا إلى أن تفسير النتائج الإحصائية المعقدة كان إلى حد بعيد افتراضيا وتعسفيا . فعلى حين فسر هارتشورن وماى نتائجها على أنها تشير إلى خصوصية السمة ، إذ بنا نجد أن موللر Maller (١٩٣٤)

والذى عمل معهما فى البحث ، يرى فى نفس المادة دليلا على وجود سمة عامة للخلق رمز إليها بالرمز C وعرفها ، بأنها استعداد للامتناع عن الكسب المباشر من أجل كسب لاحق ولكنه أكبر . فهناك إذن افتراضان متعارضان صدرا عن نفس المادة ، أحدهما يقول بالخصوصية والآخر يقول بالعمومية وذلك حسب تفسير وتقييم مصفوفة معاملات الإرتباط .

هذا وقد أشار البورت فى مواضع أخرى إلى أن مناهج البحث التى أدت إلى القول بخصوصية السمة ليست مناسبة لبيان نواحى الثبات الاساسية فى الشخصية . لانه إذا كان مثل هذا الثبات موجود ، فإنه يوجد فقط فى نمط أو أسلوب الشخصية ككل وليس فى متغيرات تتنوع بطريقة تعسفية وتقاس بواسطة اختبارات واستفتاءات . ولكن حتى مثل هذه الاختبارات والاستفتاءات رغم كونها غير مناسبة ، فإنها تكشف عن بعض مقاييس الثبات فهل هناك أى معنى آخر لمعاملات الثبات النصفية للمقاييس والتى كانت تتراوح بين ٧٥و٠ ، ٨٥و٠ .

والسؤال الذى يثار الآن هو ، إذا صرفنا النظر جانبا عن بحث هارتشورن وماى وما أحاط هذا البحث من ظروف وملابسات تتصل بصغر سن العينة وما إلى ذلك ، فهل نظرية المثير والاستجابة تنكر ثبات السلوك .

يقول شافر ولازاروس (١) أن الكتاب ساروا أحيانا وراء اعتقاد خاطىء بأن أنصار المثير والاستجابة ينكرون ثبات السلوك ، والمثل الواضح لهذا الخلط الذى ظهر فى هذا الاتجاه هو ما ورد فى عبارة ماكينون التى سبق الإشارة إليها عند بدء الحديث عن هذه النظرية والتى يقول فيها أنه حسب نظرية المثير والاستجابة ليست هناك سمات عامة للشخصية ، كما أنه ليست هناك صور عامة

---

(1) Shaffer, Wilson and Lazarus, Richard : Fundamental Concepts in Clinical Psychology , New York , Mc Graw-Hill, 1952 p.171.

وثابتة للسلوك والتي - إن وجدت - قد تفسر ثبات السلوك وثبات الشخصية ، ولكن هناك روابط مستقلة ونوعية للمثير والاستجابة أو عادات .

ويقول شافر ولازاروس أنه عند مناقشة هذه العبارة ، من الصعب أن نرى كيف أن السمة تختلف بالضرورة عن مفهوم العادة عند السلوكى ، سوى أنه - ربما - من ناحية أن الأخيرة (العادة) تفترض وجود خاصية مكتسبة أو متعلمة ، بينما مفهوم السمة قد لا يتضمن شيئاً عن مصدره فكلا من السمة والعادة أو نظام العادة هي استعدادات للعمل بطرق معينة إذا وجدت مواقف مثيرة معينة . والمثير ، على نحو ما أوضحنا - قد يكون بالغ التعقيد ، وقد يكون بالغ العمومية بحيث أن نزعة الاستجابة تبدو موجودة فى نوع كبير من المثيرات وعلى ذلك فمن الخطأ القول بأن علماء نفس المثير والاستجابة ينكرون العمومية . فأحد الاعتقادات الكبرى لنظرية التعلم هى حدوث تعميم المثير والاستجابة وقد استند شافر ولازاروس إلى بعض العبارات التى أوردها جاثرى وهو من كبار المدافعين عن نظرية المثير والاستجابة .

يقول جاثرى « . . . إن الشخصية يمكن تعريفها أنها تلك العادات ونظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية الثابتة والتى تقاوم التغير » .

وكثير من العادات قد ينظر إليها على أنها عابرة بمعنى أنها قد يتوقع أن تتغير بسهولة مع التغيرات العامة فى البيئة . فنحن نغير محل إقامتنا ولا نجد أية صعوبة فى كسر عادة الذهاب إلى البيت القديم . وفصول السنة تتغير ونحن نغير ملابسنا لتتلاءم مع هذه الفصول . وهناك عادات أو نظام عادات ينظر إليها على أنها أكثر عمقاً . فربة البيت التى كونت عادة النظام والترتيب فى البيت ، تظل ثابتة عندها حتى أننا نتوقع أنها لا ترتاح إلا بعد أن تعيد إلى البيت نظامه الذى اعتادت عليه . والرجل السخى الكريم قد يجعلنا نحكم ، أن نقص دخله سوف لا يؤثر كثيراً على عادة سخائه .

وأنظمة العادات العميقة التي تكون الشخصية قد تتكون تحت عديد من الظروف . ولما كانت العادات هي دائماً توافقات للتغير ، لذا فإن الشخصية ينظر إليها باعتبارها تقوم على توافقات مكتسبة أو متعلمة .

وفي ضوء ذلك يقول شافر ولازاروس : إن من الواضح أن علماء نفس المثير والاستجابة يجدون في الاستجابات وأنماط الإستجابات ، الخصوصية مثلما يجدون فيها العمومية والثبات ، لأن نفس الاستجابة قد اكتسبها الفرد وتعلمها بالنسبة لمواقف مثيرة عديدة . يضاف إلى ذلك ، إن عالم نفس المثير الإستجابة يذهب إلى أنه عند الإستجابة لحالات البواعث والدوافع ، تكون روابط المثير والاستجابة هي أكثر الوحدات ملاءمة لوصف الشخصية . ويعتقد عالم نفس المثير أن من الضروري أن ندرس تكوين هذه الروابط من خلال مبادىء التعلم . والحقيقة أنه بموجب استخدام أية مكونات افتراضية كالبواعث أو قوة العادة ، فإن معادلته تصبح في الواقع هي المثير — الكائن العضوى — الإستجابة S.O R. . أى أنه يصادر على أنه المتغير الوسيط بين المثير والإستجابة هو الكائن الحى العضوى الذى له خصائص معينة مفترضة وكثير من نظريات المثير والاستجابة اليوم تتضمن ما هو أكثر من مجرد الروابط الآلية بين المثير والاستجابة وتميل إلى أن تصبح بدرجة أكثر أو أقل نظريات المثير — الكائن الحى العضوى — الاستجابة .

الفصل التاسع

بناء الشخصية فى ضوء نظرية السمات

مفهوم السمة من المفاهيم الهامة فى نظرية الشخصية . ونحن نادراً ما نسأل عن وجود هذه السمات باعتبارها الوحدات الأساسية للشخصية . فى حديثنا الدارج بعضنا مع بعض نفترض وجود هذه السمات حين نصف شخصاً بأنه أمين ومواظب على عمله ومتفان فيه ، ولكنه خجول ومنطو على نفسه . وعالم النفس يستخدم أيضاً مثل هذه المصطلحات فى وصفه للشخصية أو فى قياسه لها . ولكنه يدرك أن مثل هذه الأفكار الدارجة عن السمات قد تكون مدعاة للخطأ ، وأن موضوع السمات من الموضوعات التى تحتاج إلى مناقشات نقدية حتى ولو كان الأساس الذى تقوم عليه الأفكار الدارجة من السمات أساس صحيح .

ونحن حين نلاحظ سلوك شخص ما لفترة طويلة نسبياً من الزمن ، يتضح لنا بعض مظاهر الثبات والتماسك فى هذا السلوك . ذلك أن بعض هذه المظاهر يميل إلى التكرار فى كثير من مواقف حياة الفرد . فالنفرض أننا نقوم بملاحظة سلوك صديق لنا فترة من الزمن . فنحن نلاحظ مثلا أنه حين يريد عبور الشارع يتلفت يمنة ويسرة ليتأكد من خلو الطريق من السيارات والمركبات وأنه عندما يريد شراء شيء ما ، فإنه يأخذ فى تفحصه جيداً وبدقة قبل شرائه وأنه حين يقود سيارته ، يقودها بهدوء ويتوقف عند كل بادرة خطر تلوح له وأنه حين يريد السفر إلى بلد ليست له به معارف ، فنادراً ما يسافر قبل أن يتأكد من حجز مكان له بأحد الفنادق وهكذا ، ومن مثل هذه الألوان من السلوك ، يمكن أن نستدل على أن صاحبنا هذا من النوع الذى يتسم سلوكه بالحذر والدقة . فالحذر هنا هو اللفظ الذى يمكن أن نطلقه على هذا

الشخص نتيجة ملاحظتنا لعديد من ألوان السلوك التي يقوم بها في مواقف عديدة من حياته والتي تكشف عن قدر معين من الثبات والتماسك يسمح لنا أن نصفه بهذه الصفة .

وقد يلاحظ أن اتجاه عالم نفس الشخصية لا يختلف كثيراً عن اتجاه عالم النفس التجريبي أو المعملي والذي يجري تجاربه في العمل على الحيوانات مثلا لدراسة سلوكها ، فعالم النفس المعملي قد يلاحظ أن الفأر يتعلم السير في المتاهة وأنه يتعلم أن يدور يمينا في كل محاولة يقوم بها في متاهة على حرف T مثلا وقد يستدل عالم النفس المعملي من ملاحظته لمثل هذا السلوك على أن شيئا ما « يكمن وراء » كل هذه الاستجابات المنفصلة التي تسير في اتجاه واحد تقريباً فقد يستدل على أن الفأر « تعود الدوران إلى اليمين » وأن هذه العادة « تكمن وراء » هذا السلوك الخاص الذي يقوم به . وقد يلاحظ مثلا أن بعض حيواناته تستكشف المثيرات الغريبة بجرأة وبشكل مباشر ، على حين أن بعضها الآخر يحجم عن القيام بمثل هذا السلوك . ومن ثم يصف بعضها بالجرأة أو الشجاعة، على حين يصف بعضها الآخر بالجبن أو الحذر . وقد يقول إن وراء هذه الألوان من السلوك سمات الإقدام أو الإحجام .

ولكن عالم النفس التجريبي أو المعملي غالبا ما يتحدث في إطار «العادات» أكثر مما يتحدث في إطار « السمات » وسواء سماها عادات أو سمات ، فإنها تعتبر في نظره « مكونات وسيطة » أو « متغيرات متداخلة » يستدل عليها من السلوك الذي يلاحظه . ومن الواضح أن مثل هذا النمط الأساسي لطريقة تكوين المفاهيم الذي يستخدمه عالم نفس الشخصية وعالم النفس التجريبي أو المعملي متشابه إلى حد بعيد وربما كان الفارق الأساسي بينهما هو في عمومية السلوك موضوع البحث . فعالم النفس التجريبي أو المعملي يهتم بالعادات عامة : كيف تتكون وكيف تختفي ، أما عالم نفس الشخصية فمن المحتمل أيضاً أن يكون أكثر اهتماما بالعادات الخاصة أو الإستعدادات الشخصية التي لدى الفرد .

ولعلنا لاحظنا وجود مراحل يمكن أن يمر بها العالم من أجل الوصول إلى مفهوم السمة . وهذه المراحل ثلاثة :

المرحلة الأولى : وفيها تعزى السمة إلى الأفعال أو السلوك الذى يقوم به الفرد وتصرفاته فى عديد من المواقف . ومن هذه الملاحظات قد نستدل على وجود بعض الخصائص المشتركة بينها ، ومن ثم نميل إلى وصف هذه الأعمال بصفة أو صفات معينة كأن نقول مثلا إنه يعمل بحذر أو بثقة أو بسرعة ، فى المرحلة الأولى من تكوين السمة . نعزو الصفة إلى السلوك ، لا إلى الشخص .

المرحلة الثانية : وفيها تعزى السمة إلى الشخص الذى يقوم بالسلوك . كأن نقول عنه إنه حذر أو واثق بنفسه أو متسرع . ومن الطبيعى أن ينتقل الوصف من السلوك إلى الشخص ، فالسلوك قد يكون وقتياً وعابراً وعند انتهائه يصبح فى خبر كان . أما الشخص فهو موجود سواء قبل القيام بالسلوك أو بعده . ومن خبرتنا اليومية نلاحظ أن الناس على قدر من الثبات . فعند رؤيتنا نوع السلوك الذى يسلكه الفرد فى هذا الحين، نميل إلى توقع أن يكون سلوكه مشابهاً فى المرات التالية . ومن تكرار هذا التشابه ، نميل إلى وصف الفرد بسمة ما حسب نوع الموقف الذى يوجه فيه . حقيقة قد يخرج الفرد أحياناً على هذه السمة التى نصفه بها ولكن الغالبية العظمى من هذا السلوك يمكن أن ينطبق عليها هذه السمة .

المرحلة الثالثة : تسمية المفهوم أو الصفة . فبعد أن نقرر إمكانية وصف الشخص بصفة ما نتيجة ملاحظاتنا لسلوكه على فترة طويلة من الزمن ، فإننا نشير إلى هذه الصفة كشىء ما ونعطيها إسماً . فنقول إن هذا الشخص لديه سمة معينة هي سمة الحرص أو الثقة بالنفس أو التسرع أو غيرها من السمات .

تعريف السمات :

قدم علماء النفس تعريفات عديدة للسمة . وسوف نشير إلى بعض هذه التعريفات التي تعتبر ممثلة للتعريفات المختلفة التي وضعت للسمات .

عرف جوردون البورت السمة في كتابه « الشخصية » بقوله : « بأنها نظام نفسي عصبي مركزي عام (يختص بالفرد) يعمل على جعل المثيرات المتعددة متساوية وظيفياً . كما يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفي والتعبيري »

أما رايموند كاتل فقد عرف السمة بقوله « إنها مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد ومعالجتها بنفس الطريقة في معظم الأحوال» .

أما جليفورد فقد عرف السمة بقوله : « إنها أية طريقة متميزة ثابتة نسبياً بها يتميز الفرد عن غيره من الأفراد .

ويبدو أن تعريف جليفورد تعريف واسع جداً وأعم من التعريفين الآخرين ويمكن تطبيقه على الخصائص الجسمية مثلما ينطبق على الخصائص النفسية . ومن هنا يمكن أن نتحدث عن سمات « بنية الجسم » أو « سمات البشرة » .

أما البورت وكاتل فقد قصرا تعريفهما في الحقيقة على النواحي السيكلوجية رغم أنهما في مواضع مختلفة من كتاباتهما لم يستبعدا الخصائص الجسمية والفسيولوجية . ونحن بالمثل ، لا نقصر مناقشتنا للفظ على ناحية واحدة فقط . وإن كنا أميل هنا إلى الاهتمام بالخصائص الانفعالية والاجتماعية للشخصية ، منا الى النواحي الجسمية والفسيولوجية ؛ أي أننا أميل الى توكيد السمات السلوكية لدى الفرد .

وقد وضع البورت معايير ثمانية لتحديد السمة هي :

١ — أن للسمة أكثر من وجود إسمي . (بمعنى أنها عادات على مستوى أكثر تعقيداً) .

٢ — إن السمة أكثر عمومية من العادة (عادتان « أو أكثر » منتظمان وتتسقان معاً لتكوين سمة) .

٣ — السمة دينامية (بمعنى أنها تقوم بدور دافعي في كل سلوك) .

٤ — أن وجود السمة يمكن أن يتحدد تجريبياً أو إحصائياً (وهذا ما يتضح من الاستجابات المتكررة للفرد في المواقف المختلفة أو في المعالجة الإحصائية على نحو ما نجد في الدراسات العاملية عند أيزنك وكاتل وغيرهما) .

٥ — السمات ليست مستقلة بعضها عن بعض (ولكنها عادة ترتبط فيما بينها ارتباطاً موجباً) .

٦ — أن سمة الشخصية — إذا نظر إليها سيكلوجيا — قد لا يكون لها نفس الدلالة الخلقية التي للسمة (فهي قد تتفق أو لا تتفق والمفهوم الاجتماعي المتعارف عليه لهذه السمة) .

٧ — أن الأفعال والعادات غير المتسقة مع سمة ما ، ليست دليلاً على عدم وجود هذه السمة (فقد تظهر سمات متناقضة أحياناً لدى الفرد على نحو ما نجد في سمتي النظافة والإهمال) .

٨ — أن سمة ما قد ينظر إليها إما في ضوء الشخصية التي تحتويها أو في ضوء توزيعها بالنسبة للمجموع العام من الناس (أي أن السمات إما أن تكون فريدة أو ما سماها البورت باسم « الاستعدادات الشخصية » أو قد تكون عامة ومشتركة بين الناس) .

وقد أثارت هذه المعايير بعض المشكلات الهامة بالنسبة للسمات . من ذلك .

(ا) هل السمة حقيقية أم إسمية :

هل السمات استعدادات أصيلة لها وجود حقيقي عند الفرد ومن ثم تطابق نظاماً عصبياً نفسياً ، أم هل السمات مجرد تسمية افتراضية ، مجرد كلمات أو مجموعات مناسبة من الكلمات لأفعال كثيرة غير مترابطة . أشار البورت إلى بعض التعاريف التى تؤيد وجهتى النظر .

فمن أمثلة التعريفات التى تنظر إلى السمات باعتبار أن لها وجوداً حقيقياً تعريف بوبجارتم F. Baumgartem الذى يقول « أن السمة قوة نفسية موجهة ثابتة تحدد السلوك النشط واستجابات الفرد » .

أما التعريفات الإسمية الإفتراضية فتتمثل فى تعريف ماى التى قالت أن السمات أسماء مناسبة فقط تعطى لأنماط السلوك التى يوجد بينها عناصر مشتركة إنها ليست وحدات نفسية وإنما هى قوائم لتصنيف العادات »

وتعريف ماى يتفق وفكرة التخصيص التى حاولت هى وهارتشورن إثبات وجودها فى تجاربها التى أجريت على صغار الأطفال فى الفترة من ١٩٢٨ — ١٩٣٠ وعلى نحو ما سبق أن أشرنا من قبل . وحسب هذه النظرة ، فإن العادات هى التى لها وجود حقيقى أما السمات فإنها لا توجد لدى الشخص نفسه ، بل فى نظر القائم بالملاحظة ، ويعلق البورت على ذلك بقوله « انه لوضع غريب أن تعتبر الوحدات الصغرى للسلوك (أى العادات) حقيقية ، بينما الإستعدادات الأعم والأوسع (السمات) فينظر إليها على أنها إفتراضية .

وهذه المناقشة التى دارت حول السمة وهل هى حقيقية أم إسمية ، تعتبر فى الواقع صدى للنقاش الذى دار حول تعاريف الشخصية . هل الشخصية

لها وجود حقيقي أم أنها مجرد شيء مركب موجود فى ذهن الملاحظ فحسب .

ويستند أنصار المذهب الإسمي فى السمات إلى النواحي الآتية :

١ — أن ليس هناك إنسان يمكنه أن يرى سمة ما فى أى شخص ، كما لا يمكننا أن نثبت أن السمة يمكن أن تقابل تركيباً عصبياً وفسيولوجيا معيناً لدى الشخص .

٢ — أن اللغة كلها — بما فيها الأسماء التي نعطيها للسمات . إسمية . فهناك ١٧٩٥٣ إسما للسمات الإنسانية المزعومة . وهذه الألفاظ هي بمثابة قوائم تصنيفية فحسب وليس لها وجود حقيقي لدى الفرد .

٣ — إن السمات تنتج عن ميل الفرد إلى تبسيط إدراكاته وأحكامه عن الناس إلى حد بعيد . فالأمريكان مثلا يميلون إلى القول عن الزنوج بأنهم كسالى وجهلاء ويؤمنون بالخرافات . وليس ثمة شك أن فى هذا القول تعميم مبالغ فيه ولا معنى له كما أنه مدعاة للخطأ فى كثير من الأحيان .

ويفند ألبورت هذه الأدلة التي يستند إليها أنصار المذهب الإسمي بقوله : حقيقة إن هذه الأقوال صحيحة وسليمة ، ولكنها لا تدل على أن الناس محرومين من السمات . إنها تدل فقط على أننا يجب أن نحذر ضد نزعة زيادة التبسيط فى تركيب الشخصية . فهي تحذرنا ألا نذهب إلى أن الألفاظ التي نستخدمها تقابل تماما الوحدات النفسية التي نحاول البحث عنها .

ومع صدق القول بأنه لا يمكن لإنسان أن يرى السمة ، فإن هذا يصدق بالمثل على أى تراكيب أو عمليات يحاول عالم النفس معالجتها كالحوافز والدوافع والاتجاهات وغيرها ، ولذلك يقترح البورت أن من الأفضل ، عندما نشعر بالحاجة إلى القول بوجود بعض الاستعدادات الحقيقية لتفسير نشاط الفرد ، أن نقول بوجود « مكونات افتراضية » نفترض وجودها ونفسر فى ضوئها السلوك المراد تفسيره . وليس ثمة اعتراض على ذلك

فى نظر ألبورت ، بشرط أن نفرق بين المكون الإفتراضى والشىء الخرافى الذى لا وجود له . فالسمة رغم كونها تكوين افتراضى إلا أنها مع ذلك تعتبر استدلالا ضمنيا ، يمكن أن يثبت وجوده فى يوم من الأيام على نحو ما حدث بالنسبة لبعض المكونات الافتراضية فى العلوم الأخرى . فالكوكب « بلوتو » مثلا كان فى يوم ما مجرد تكوين افتراضى فى أذهان علماء الفلك ، ولكن بمرور الزمن أمكن للعلم أن يثبت وجوده حقيقة ، والأمر بالمثل بالنسبة للسمات ، ويأمل البورت أن يصل علم فسيولوجيا الأعصاب فى يوم ما إلى الكشف عن عمليات التكامل وصور التتابع التى تطابق تكويناتنا الإفتراضية الراهنة .

وبعبارة أخرى نحن نذهب اليوم إلى القول بوجود السمات على أساس ما هنالك من ثبات بين الأفعال المستقلة التى نلاحظها فى سلوك الفرد . وهذه الأفعال المستقلة هى نفسها « أدلة وجود السمة » على حد تعبير مناجر . فدليل وجود سمة الإنعزالية عند شخص ما ، هو ما نلاحظه عليه مثلا من تجنب الذهاب إلى حفلة يدعى إليها ، أو عبور الطريق عند رؤية شخص قادم يعرفه لأول مرة ويتجنب التحدث معه . وتقليل اتصالاته الاجتماعية مع الناس ورغم أن أدلة ثلاثة كهذه لا تكفى لإثبات وجود سمة ما ، فإن كثرة الأدلة التى تشير إلى ثبات السلوك وانتظامه تجعلنا نقف على أرض صلبة فى استدلالاتنا على وجود السمة .

وعلى العموم فمن بين كبار علماء نفس الشخصية ــ من أمثال البورت ــ من يعطى أهمية كبيرة للسمة ومن يقرر صراحة أن لها وجوداً حقيقياً وليست مجرد أسماء يضعها الباحث للتصنيف ولذلك يقرر البورت صراحة موقفه بقوله إنه يضم صوته إلى القائلين بوجهة النظر الحقيقية للسمات (١).

---

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt. 1661.

١ - السمات العامة أو المشتركة والاستعدادات الشخصية

يذهب البورت إلى القول بأن السمات العامة أو المشتركة Common traits مظاهر هام وضرورى فى دراسة السلوك الإنسانى إلى الحد الذى دفعه إلى تعريف هذا المصطلح تقديم عبارتين أخريين تعتبران بمثابة إعادة تحديد أو تدعيم للتعريف الأصلى .

فقد عرف السمة المشتركة بقوله أنها استعداد عام يمكن بواسطته أن نقارن الناس فيما بينهم وبشكل مفيد . وقد زاد هذا القول تحديداً فى عبارتين أخريين أوضحهما :

السمات العامة - هى إذن - مظاهر الشخصية التى يمكن أن نقارن فى ضوئها معظم الناس الذين يعيشون فى ثقافة معينة » .

« السمة العامة هى قائمة لتصنيف الأشكال المتكافئة وظيفياً من السلوك فى المجموع العام من الناس ورغم تأثرها باعتبارات اسمية متكلفة ، فإن السمة العامة تعكس إلى حد ما الاستعدادات الحقيقية والتى يمكن مقارنتها لدى الكثير من الشخصيات التى - بسبب الطبيعة البشرية والثقافة المشتركة - تنمى أساليب متشابهة من التوافق مع البيئة ولكن بدرجات مختلفة » .

ولتوضيح مفهوم السمة المشتركة ، نفترض أننا نبحث فى سيطرتها والتمكن السيطرة ضد الخضوع ونريد أن نعرف مدى قوة هذه السمة لدى فرد ما . فمن الممكن معرفة ذلك بمقارنة هذا الشخص بأشخاص آخرين بالنسبة لهذا البعد . ومن ثم نضع مقياساً ونحدد موضع الفرد على هذا المقياس . وبمقارنة الدرجة التى يحصل عليها هذا الفرد بالدرجة المتوسطة للجمهور ، يمكن أن نعرف شيئاً عن وضعه بالنسبة لمجموعة التقنين وهل هو من النوع المسيطر أم الخانع .

فهناك إذن أساس منطقى واضح يسمح بالقول بوجود السمة المشتركة

العامة . وهذا الأساس المنطقى هو « أن الأشخاص العاديين فى أية جماعة ثقافية معينة يميلون بالضرورة إلى تنمية ألوان من التوافقات السلوكية التى يمكن مقارنتها إلى حد ما بعضها مع بعض ». فإذا أخذنا مثلا السمة المشتركة السيطرة ضد الخضوع ، نجد فى المجتمعات التنافسية كالمجتمعات الغربية مثلا ، أن كل فرد يميل إلى أن يجد مستوى من السيطرة أو تؤكيد الذات يتفق ودوره فى الحياة . فهناك من يعيش فى راحة تامة عن طريق الاستسلام والخضوع وهناك من يجد أن السيطرة هى الأسلوب الأكثر توافقا وتكيفا مع مثل هذه البيئة التنافسية . وقد يتخذ البعض الأسلوب العدوانى المتطرف على على حين قد يتخذ البعض الآخر الأسلوب السلبى التام . والواقع أن الناس فى مثل هذه المجتمعات يمكن مقارنتهم بصورة عامة بالنسبة لمثل هذا البعد وغيره من الأبعاد كالانعزالية والقلق والتعصب وغيرها ، وبالنسبة للطريقة التى يحلوا بها مشكلاتهم مع الآخرين فى البيئة .

ولكن رغم وجود هذا الأساس المنطقى الذى تقوم عليه هذه السمة المشتركة للسيطرة والخضوع ، إلا أن هذه الصورة التى تقدمها لنا هذه السمة المشتركة تعد تقريبية إلى حد بعيد . فهناك أنواع لا حصر لها من المسيطرين أو القادة أو العدوانيين أو المستسلمين أو الجبناء . والمقياس العام للسمة المشتركة لا يمكنه ، ولن يمكنه ، أن يدرك الظلال الدقيقة للسمات لدى الأفراد والتى نلحظها بشكل واضح فى النوع الثانى الذى نسميه السمات الفردية أو ما عبر عنه البورت باسم « الاستعدادات الشخصية (P.D.) Personal Dispositions » ورغم قبول البورت لفكرة السمة المشتركة ورغم كونها فى نظره سبب الكثير من الغموض والصعوبات التى نواجهها ، إلا أنه لا يرى مفراً من التسليم بها كأفضل شىء يمكن أن يوجد حاليا وبخاصة إذا أردنا مقارنة شخص بالآخرين . ولكنه فى الحقيقة يضع هذه السمات المشتركة على مستوى أدنى من موضع السمات الفردية أو الاستعدادات الشخصية . فالسمات المشتركة فى نظره أقل حقيقية وأكثر إسمية إذا قيست بالاستعدادات

الشخصية أو كما عبر البورت عن ذلك بقوله أن السمة العامة « شبه حقيقية » ولكنها مع ذلك ضرورية ولازمة عندما نأخذ فى دراسة الشخصية عن طريق المقاييس والاختبارات أو مقاييس التقدير أو أى منهج آخر للمقارنة .

ومن الخصائص العامة للسمات المشتركة خاصية التوزيع الإعتدالى . فالباحث ينظر عادة إلى السمة المشتركة باعتبارها سمة متصلة continuous وأن تقديراتها تتوزع اعتداليا على شكل منحنى الجرس وأن المجموع الأكبر من الحالات يمكن أن تتجمع فى المنتصف وأن البقية يمكن أن تتوزع عند الطرفين الأعلى والأدنى . وعندما تخضع السمة للتوزيع الإعتدالى ، فإن من الممكن تطبيق الطرق الإحصائية العادية فى القياس . ويشعر الباحث عادة بالرضا عندما يصل فى دراسته إلى مثل هذا التوزيع الإعتدالى ، إذ يمكنه أن يقارن الناس بعضهم ببعض وأن يحدد موضع الفرد بالنسبة للآخرين فى هذه السمة . فهو يعلم أن التقديرات العالية والمنخفضة هى انحرافات هامة عن المتوسط .

ومع أن الوصول إلى التوزيع الاعتدالى يعد هدفا فى كثير من الدراسات العلمية ، إلا أن الوصول إليه فى مثل دراستنا للشخصية ، ليس بالأمر السهل ، كما أنه ليس من الميسور القول ماذا يعنيه هذا التوزيع . والواقع أنه قد يرجع إلى ظروف كثيرة متداخلة . فمن ناحية ، قد يعكس طبيعة تفضيل المستويات المتوسطة (غير المتطرفة) ، كما قد يعكس بالإضافة إلى ذلك الضغوط الإجتماعية نحو التطابق أو التوافق مع المستويات المتوسطة المقبولة للسلوك ، كما قد يتأثر هذا التوزيع أيضا وإلى حد ما بواضع الاختبار الذى يرى أن المراجعات المتتابعة للاختبار قد تؤدى إلى أن تصبح نتائجه أكثر انتظاما . ويقول البورت أنه ليس ثمة اعتراض على ذلك ، ولا على المنحنى الإعتدالى نفسه الذى نحصل عليه ، طالما أن قياس السمات المشتركة ليس إلا طريقة أولية وتقريبية لقياس الشخصية .

وباختصار ، ينظر البورت إلى السمات المشتركة باعتبارها سمات « شبه حقيقية » . أما السمات الحقيقية فهى السمات الفردية أو الاستعدادات الشخصية P.D. وقد عرف البوت الاستعداد الشخصى أو السمة بالمعنى الحقيقى بقوله أنها « نظام نفسى عصبى مركزى عام (يختص بالفرد) يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفى والتعبيرى .

وعلى ضوء هذا التعريف الدقيق للسمة ، فإن السمة الفردية وحدها هى السمة الحقيقية فى نظره وذلك لأسباب منها أن السمات دائما توجد فى أفراد وليست فى جماعة عامة ، كما أنها تنمو وتصبح بمثابة استعداد دينامى فريد حسب خبرات كل فرد . ويتمثل الخلاف الأساسى بين السمة المشتركة والاستعداد الشخصى فى أنه ليس ثمة مجال للتحدث عن توزيع اعتدالى بالنسبة للاستعدادات الشخصية طالما أن كل واحد منها خاص بفرد معين فالشخصية العامة المتصلة ليست سمة حقيقية بالمعنى الدقيق بقدر ما هى مظهر قابل للقياس من سمات الفرد المعقدة ومن هنا تعتبر الاستعدادت الشخصية أكثر تصويراً لبناء الشخصية ، على حين تعد السمات المشتركة بمثابة قوائم يندرج تحتها الأفراد ، وفى ضوئها يمكن مقارنتهم بعضهم ببعض . فعن طريق منهج السمة المشتركة يمكن معرفة أن هذا الفرد لديه قدراً عاليا من القلق أو الاهتمام الجمالى أو أن لديه قدراً منخفضا من الزعامة أو الحاجة إلى التحصيل . ومكمن الخطورة بالنسبة للاعتماد الكلى على السمات العامة المشتركة هو أن الصورة التى نحصل عليها ، قد لا تتفق تماما والاستعدادات النفسية العصبية للفرد . ومن هنا يأتى قول البورت بأن مقاييس السمات المشتركة مقاييس تقريبية للشخصية فحسب . والمدقق فى رأى البورت يستطيع بسهولة أن يربط بين فكرته فى السمات ونظرته إلى الشخصية من ناحية عموميتها وفرديتها (١) .

---

(١) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب .

وإذا كانت السمات العامة المشتركة مقاييس تقريبية ، فإن عالم النفس يمكنه اتخاذ الأساليب المناسبة التى تجعل مقاييسه أكثر دقة وأكثر صلاحية للاستخدام . فيمكنه مثلا استخدام الأساليب الاحصائية التى تحدد صدق المقياس ، كما يمكنه تقنين المقاييس على مجموعات مختلفة من الناس ، كما يمكنه استخدام أساليب التحليل العاملى كأحد الوسائل الاحصائية الهامة للوصول إلى عوامل « نقية » . ولكن يجب أن نحذر من أن المبالغة فى استخدام مثل هذه الوسائل التى هى أدوات مساعدة ولاشك - قد يؤدى إلى التقليل من أهمية المطالب الرئيسية للتفسير السيكلوجى أو أنه يعجز عن إعطاء صورة صحيحة عن بناء شخصية معينة . وقد أوضح البورت المقصود من هذه النقطة بمثال من دراسة قام بها « كونراد » حيث طلب من ثلاثة من المدرسين تقدير مجموعة من الأطفال فى مرحلة ماقبل المدرسة بالنسبة لـ ٢٣١ سمة عامة أو مشتركة . وهذا يفترض مقدما وجود هذه السمات بدرجات متفاوتة لدى كل طفل من هؤلاء الأطفال . وفى ضوء هذا الإفتراض ، كان معامل الاتفاق بين المدرسين منخفضا بالنسبة لهذه السمات العامة وكان يتراوح بين + ٠,٤٠ و + ٠,٧٨ بوسيط قدره + ٠,٤٨ وكانت معظم التقديرات تتم على أساس التخمين ، وذلك لمجرد أن البحث كان يتطلب من كل مدرس إعطاء الطفل درجة معينة بالنسبة لكل سمة .

ولكن فى مرحلة من مراحل البحث طلب إلى كل مدرس أن يضع « نجمة » أمام السمات التى يعتبرها سمة مركزية أو مسيطرة بالنسبة لكل طفل . وهنا ظهر أن الاتفاق بين المدرسين فى هذا الجزء من العمل كان عاليا ، إذ بلغ معامل الاتفاق بينهم + ٠,٩٥ . ولعل مرجع انخفاض معامل الاتفاق بين تقديرات المدرسين فى الجزء الأول من البحث أن الأفراد كانوا يدفعون دفعا إلى الدخول فى مقارنة بالنسبة لسمات عامة قد لا تنطبق عليهم انطباقا ظاهراً .

أما فى الحالات القليلة التى طلب فيها من المدرسين أن يضعوا أمامها « نجمة »

فكان مفهوم السمة العامة أو المشتركة يبدو متفقا إلى حد كبير مع الإستعداد الشخصي المسيطر لدى الطفل .

ويذهب البورت إلى أنه ليس في ذلك مايقلل من أهمية منهج السمات المشتركة ، بل على العكس ، فنحن حين نريد عقد مقارنة بين الناس بعضهم وبعض ، فإن هذا المنهج يكون هو المنهج الوحيد الممكن استخدامه . ولكن كل مايهدف إليه البورت من توكيده للاستعدادات الشخصية هو بيان أن ثمة منهجا آخر وطريقة أخرى أكثر دقة في النظر إلى الشخصية وهي طريقة النظر إلى الصورة الداخلية للشخصية من حيث هي نتاج فريد للطبيعة والمجتمع. وإذا كان اهتمامنا ينصب أساساً على دراسة بناء الشخصية وتنظيمها ، فمن الواجب ألا نقف عند حد العموميات ، بل يجب أن ننظر أيضاً في هذه الاستعدادات الشخصية .

٣ — ثبات الاستعدادات الشخصية :

وثمة مشكلة أخرى تثيرها النقطة السابقة ونعني بها ثبات هذه الاستعدادات الشخصية . لقد ذهب البعض إلى القول بأن الشخصية ليس لها ثبات داخلي إطلاقا ، وأنها تكتسب ثباتها وتماسكها من تشابه المواقف التي تواجهها الشخصية باستمرار . وقد رفض البورت مثل هذا القول على أساس أن الشخص الذي قد يكون في وقت من الأوقات مسيطراً وفي وقت آخر مستسلماً، والذي قد يكون أحياناً عدوانياً وأحياناً أخرى لطيفاً ، يلزم أن توجد لديه هذه النزعات المختلفة المتعارضة أحياناً داخل نفسه .

حقيقة قد تستدعي أحد المواقف ظهور استعداد شخصي ما ، على حين يستدعي موقف آخر ظهور نزعة أخرى أو استعداد شخصي آخر . هذا ما لاينكره البورت ، وإنما يذهب إلى أن ماقد يبدو لنا سلوكا متناقضا ،

قد لا يكون كذلك فى الحقيقة ، وإنما يكون مرده إلى ما نقوم به من تشخيص سطحى ظاهرى أحياناً . ولتوضيح ذلك أشار البورت إلى حالة الدكتور « د » الذى كان فى منتهى النظافة فيما يتصل بشخصه وحاجاته الخاصة ، مواظب فى إعداد مذكراته ومحاضراته أو تلخيصها وتبويبها ووضعها فى ... وكانت ممتلكاته الشخصية ليس فقط منتظمة بل وأيضاً مغلق ...ها ومعتنى بها . وكان هذا الشخص يشرف أيضاً على مكتبة القسم ، ولكنه كان فى قيامه بهذا العمل مثال الإهمال : فكثيراً ما كان ينسى باب المكتبة مفتوحا ، ولا يسجل أسماء الكتب المعارة بدقة مما ترتب عليه فقدان بعضها ، ... لم يكن يعنى كثيراً بتنظيف الأتربة المتراكمة على الكتب . فهل هذا التناقض الظاهرى فى السلوك معناه أن الشخص يفتقر إلى ثبات وتماسك استعداداته الشخصية ؟ يذهب البورت إلى أن الأمر ليس كذلك . فهذا الشخص لديه استعدادان نمطيان متعارضان أحدهما للنظافة والآخر عدم النظافة ، وأن المواقف المختلفة تستثير لديه هذان الاستعدادان وإذا تعمقنا أكثر فى بحث دوافع سلوك هذا الشخص ، أمكننا القول بأن هذه الثنائية الظاهرة يمكن أن ترد إلى استعداد شخصى واحد رئيسى تصدر عنه هذه الأساليب التى تبدو متناقضة . فالحقيقة البارزة عند هذا الشخص هى أنه ذاتى المركز ، أنانى ، لا يعمل أبداً لمصلحة الآخرين ، وإنما يعمل دائماً لما فيه مصلحته الشخصية . وهذه الصفة البارزة فى التمركز حول الذات تتطلب النظام والنظافة فيما يتصل بشخصه ، وعدم النظام والنظافة فيما يتصل بالغير .

وقد استعان البورت فى تفسير ما قد يبدو ظاهراً من تناقض بمصطلحين استعارهما من كيرت ليفين ، فهنـــاك الاستعدادات الشخصيـــة الظاهرية Phenotypical Personal dispositions والتى تحاول وصف السلوك على نحو ما يبدو فى الظاهر ، وهنـاك أيضا الاستعدادات الشخصية العلّية

Genotypical Personal dispositions وهى ذات طبيعة أكثر عمقا . هذه الاستعدادات الشخصية العلّية العميقة هى التى يحاول المحلل النفسى التعامل معها وعن طريقها يفسر الكثير من ألوان السلوك الظاهرة والتى تبدو لنا أحيانا متناقضة . ففى حالة الدكتور « د » كانت لديه الأساليب المنظمة وغير المنظمة (وهذا هو الجانب المظهرى Phenotypical) ولكن هذه الاستعدادات المظهرية المتعارضة والتى تشمل مجموعة من المواقف والاستجابات التى يقوم بها الفرد ، إنما تصدر عن استعدادات شخصية أخرى أكثر عمقاً (وهذا هو الجانب العلّى Genotypical) وهو ما اسميناه فى هذه الحالة باسم التركز حول الذات .

وهنا يمكن القول بأن البورت ينظر إلى بعض الاستعدادات الشخصية على أكثر أهمية من بعضها الآخر . فالسمات المظهرية والتى هى أقل ثباتاً وأكثر أرتباطاً بالموقف هى بمثابة مظاهر القناع للشخصية ، بينما السمات العلّية فهى أكثر عمقاً وأنتظاماً وأقدر على تفسير الكثير من مظاهر السلوك التى تبدو منفصلة وغير مترابطة . و بملاحظة الخصوصية والعمومية فى أنماط السلوك خلال الملاحظة الاكلينيكية ، يمكن التعرف على الاستعدادات الثابتة نسبياً للفعل والتى تكوّن تنظيم الشخصية الذى نبحث عنه .

وفكرة السمات الشخصية (مظهرية وعميقة) تبدو وثيقة الصلة بالتقسيم الثلاثى الذى وضعه البورت للسمات وهو السمات الرئيسية Cardinal والمركزية Central والثانوية Secondary . ففى كل شخصية توجد استعدادات ذات أهمية كبرى وأخرى ذات دلالة بسيطة . فأحياناً يكون لبعض السمات مركز ممتاز أو مكانة بارزة فى حياة الفرد حتى يمكن أن نسميها باسم السمة الرئيسية وغالباً ما تكون هذه السمة هى المسيطرة على شخصية الفرد بحيث أن القليل جداً من سلوكه هو الذى لا يمكن رده إلى تأثير هذه السمة بطريقة مباشرة

أو غير مباشرة . من ذلك مثلا تلك السمات التى تشتق من أسماء الشخصيات التاريخية أو الشخصيات الخرافية على نحو ما تقول مثلا « هوميرى » أو « ما كيافيللى » أو « نابليونى » أو « أوديبى » أو « سادى » . ومثل هذه السمات لا يمكن أن تظل مختفية فترة طويلة من الزمن ، والشخص يعرف بها عادة ، بل ويشتهر بها أحياناً . وتصبح هذه السمة المسيطرة بمثابة السمة البارزة أو العاطفة السائدة عنده .

ولكن ليس من الطبيعى أن نجد شخصية تمتلك استعداداً رئيسياً واحداً وواحداً فقط. ولكن فى العادة يدور تركيز الحياة حول مجموعة من الاستعدادات الشخصية المركزية المتميزة . وهذه السمات المركزية تقترب عادة من تلك التى يرد ذكرها عادة فى خطابات التوصية والتى يشير فيها الشخص إلى أهم الصفات المركزية البارزة عند من يوصى به .

وعلى مستوى أدنى وأقل أهمية من المستويين السابقين يمكن أن نتحدث عن الاستعدادات الشخصية الثانوية وهى استعدادات أقل عمومية وأقل ثباتاً وأقل ظهوراً فى المجال من الاستعدادات المركزية ، فهى استعدادات جانبية أقل أصالة من الاستعدادات المركزية .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذا التقسيم للاستعدادات الشخصية إلى هذه المستويات الثلاثة إنما هو تقسيم افتراضى والحقيقة أنها جميعاً درجات ممكنة من التنظيم ابتداء من التراكيب الأكثر بساطة وهامشية إلى تلك الأكثر شمولا وعمقاً . ومع ذلك ، فمن المفيد أن يكون لدينا مثل هذا التمييز عندما نريد التحدث عن القوة النسبية للاستعدادات عند شخصية معينة .

دراسة الاستعدادات الشخصية :

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو أنه إذا كانت هناك وسائل كثيرة ومعروفة لدراسة السمات العامة أو المشتركة من مقاييس واختبارات ومقاييس

تقدير وغيرها ، فهل هناك وسائل يمكن بواسطتها دراسة الاستعدادات الشخصية . إن علم النفس نادراً ما يركز اهتمامه على دراسة الفردية بل يركز اهتمامه على دراسة العموميات والوصول إلى القوانين العامة . ومن هنا فقد وجه القليل من الاهتمام إلى دراسة الحالات الفردية والاستعدادات الشخصية ومع ذلك فإن هذه المناهج الخاصة التي وجدت يمكن أن تفيد في الكشف عن التنظيم الداخلي للشخصية ويمكن أن نشير إلى أهم الوسائل التي تفيد في دراسة الاستعدادات الشخصية :

١ — تحديد أو تخصيص سمات مشتركة :

وأول طريقة في هذا الصدد هي بيان موضع الفرد بالنسبة للاختبار العام أو مقياس التقدير فالدرجات المرتفعة أو المنخفضة بشكل ملحوظ يمكن أن تعتبر بمثابة إشارة إلى نواحي خاصة أو استعدادات شخصية ذات أهمية بالنسبة للفرد . ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى دراسة كونراد السابقة الذكر والتي أدى فيها منهج التقدير بتحديد السمات البارزة لدى الطفل من بين ٢٣١ سمة مشتركة ووضع نجمة أمامها ، إلى توضيح أي هذه المتغيرات يمكن أن تعد بمثابة سمة خاصة أو مميزة للطفل . وقد تبين لنا أن اتفاق المدرسين كان عالياً بدرجة ملحوظة حول هذه السمات التي تشير إلى استعدادات شخصية (+ ٩٥ر٠) وبدرجة أكبر مما كان عليه الحال بالنسبة للسمات المشتركة (+ ٤٨ر٠) . فإذا أمكننا التعرف على الاستعدادات الشخصية المحتملة ، فإنه من الممكن أن نتقدم بعد ذلك ، للكشف عن لون كل واحدة كل منها على نحو ما هي موجوده عليه في حياة الفرد .

٢ — دراسة الحالة :

ومن أوضح طرق دراسة هذه الاستعدادات الشخصية ، دراسة تواريخ حياة الأفراد أو دراسة الحالة الفردية . ويبدو أن هذه الطريقة يمكن أن

تصبح من الطرق العلمية الهامة إذا اتخذت الاحتياطات اللازمة لنجعل منها منهجاً علمياً . وليس من شك أن نفراً كبيراً من الأطباء النفسيين وعلماء النفس الاكلينيكي والأخصائيين الاجتماعيين وغيرهم ممن يتصلون اتصالا مباشراً بمهن ذات علاقة مباشرة بالأفراد ، يفيدون فائدة كبيرة من دراسة تواريخ الحياة . وليس ثمة شك أيضاً أنها تكشف عن جوانب هامة فى شخصية الفرد إذا أحسن استخدامها ، بينما لا يكون لها قيمة كبيرة ، إذا أسيء القيام بها .

ومحتوى أية حالة يتحدد بهدف الباحث . فالاكلينيكي قد يوجه اهتماما نحو دراسة المرض وتاريخه أكثر من اهتمامه بالصحة ، بينما الأخصائى الاجتماعي قد يكون أكثر اتجاها نحو الوصول إلى الحقائق التى تتصل بميزانية الأسرة والصحة وغيرها .

ودراسة الحالة بالطبع عمل مرجعى شامل تتجمع وتنتظم فيه المادة المناسبة والهامة التى تخص حياة فرد واحد . فهى تمتاز بأنها تركز الاهتمام حول حياة الفرد المحسوسة . وإذا كان لدينا عدداً من الحالات ، فإن من الممكن عقد مقارنات فيما بينها (فيما يتصل بالفروق فى الشخصية بين أفراد الجماعات المختلفة أو بين أفراد قوميات مختلفة أو سلالات عنصرية مختلفة الخ .) .

وحين يقوم باحثان بكتابة تاريخ حياة فرد واحد ، فإنهما يكونان أكثر اتفاقا فى « ماذا » حدث فى حياته أكثر من اتفاقهما فى « أسباب » هذا الذى حدث . فتفسير العلاقات العلّية أو السببية أمر صعب ويتصل بمشكلة التصورات الذهنية التى هى أساس القيام بعملية التفسير . وثمة وسائل يستخدمها السيكلوجى لتقدير صدق تفسيره نشير إلى بعضها ودون الدخول فى تفاصيلها (١) ، منها مطابقة التفسير الذى يقدمه السيكلوجى للحقائق

---

(1) Allport. G. Pattern and Growth in Personality. New York. Holt 1961 p. 409.

المعروفة عن الحالة ، والثبات الداخلي للتفسير . فجزء من التفكير يمكن أن يقابل مع جزء آخر منه ، فإذا كانت ثمة تناقضات منطقية واضحة فإن مثل هذه التناقضات يمكن أن تثير الشك في صدق التفسير ؛ وهناك أيضا القدرة التنبؤية للتفسير . فإذا كان التفسير يمكننا من القيام بتنبؤات صحيحة عن حياة الفرد ، فمن الممكن اعتباره تفسيراً صادقا ؛ وهناك رابعا الموافقة الاجتماعية . فإذا كان الكثيرون وبخاصة الخبراء ـ يوافقون على مثل هذا التفسير ، يكون هناك احتمال كبير إذن لصدق هذا التفسير . وتكون نتائج هذا المعيار أفضل إذا كانت النتائج التي نحصل عليها من هذه الوسيلة تتم بشكل مستقل من شخص لآخر .

٣ - التحقق من صدق وجود استعدادات شخصية معينة لدى الفرد :

ولنفرض كأي باحث علمي ، أننا ألقينا نظرة عامة على موضوع الدراسة ؛ فإننا نقوم بعد ذلك بافتراض وجود تضمنات أو استعدادات شخصية معينة لدى الفرد . ثم نحاول بعد ذلك أن نتحقق من صدق هذا الفرض أو تعديله إذا لزم الأمر . وقد أشار فلويد البورت إلى هذا المنهج في دراسته لإحدى الحالات . فقد كشف طفل ما عن السلوك الآتي : كان في المدرسة مثالا للنظام والطاعة والانتباه ، بينما كان في المنزل مثالا للفوضى والجلبة والضوضاء ، كما كان كثير الاعتداء على اخوته الأصغر منه سنا . فمن الناحية الظاهرية كان الطفل يكشف عن وجود استعدادات متناقضه . وربما أمكن للسيكولوجي أن يفترض فرضا لتفسير هذه الحالة هو أن هناك دوافع مركزية هي السبب المحرك لهذا السلوك المتناقض وقد يكون ذلك هو جذب الانتباه . فالطفل في المدرسة يحظى بهذه الناحية عن طريق اتباع القانون والنظام بينما يشبع هذه الحاجة في المنزل عن طريق الخروج على النظام ، وأحداث الجلبة والضوضاء .

وبعد أن يضع السيكلوجى مثل هذا الافتراض ، فإنه يشرع فى دراسته وتحقيقه بدراسة سلوك الطفل خلال يومه ويجمع المادة التى تسمح له إما إثبات أو دحض هذا الافتراض أو تعديله وقد يستعين أيضا بملاحظات الآخرين وآراء المدرسين والآباء ومن إليهم . فإذا كانت المادة التى يجمعها تؤيد الفرض ، قبله ، وإلا رفضه أو عدله أو بحث عن فرض آخر بدلا منه .

٤ — التحليل التجريبى لأفعال الفرد :

وإذا كان لدينا مجالا واسعا من الأفعال التى قام بها فرد واحد ، فإن من الممكن القيام بدراستها دراسة تحليلية تجريبية . فمن الممكن مثلا القيام بتحليل محتوى هذه الأفعال . فالخطابات والمذكرات الشخصية والتسجيلات الشفهية خلال المقابلات والإعترافات وبعض موضوعات الإنشاء التى يكتبها الشخص مثلا يمكن أن تحلل باعتبار أنها تحوى مجموعة متتابعة من الأفكار وبخاصة ما يكشف منها عن تطور شخصية الفرد خلال فترة زمنية معينة .

٥ — الاتجاه الاكلينيكى :

ولما كان الأخصائى النفسى والموجه والمعالج النفسى يقومون بالتعامل مع الأفراد ، فهم بلا شك يصدرون أحكاما على الاستعدادات الشخصية لهؤلاء الأفراد . فهم خلال فترة المقابلة أو الاستشارة والعلاج ، يكونون مستغرقين فى الغالب فى معرفة تكوين شخصية العميل وبنائها . أنهم يفكرون بلا شك فى القوانين العامة التى يخضع لها سلوك هذا الفرد ولكن إلى جانب ذلك يتركز اهتمامهم بشكل أكثر حول النمط الشخصى الراهن للشخصية .

الفصل العاشر

بناء الشخصية في ضوء نظرية التحليل العاملي

يذهب كاتل(١) إلى أن دراسة الشخصية مرت بمراحل انتقالية هامة. ودراسة هذه المراحل المختلفة من شأنه أن يلقى المزيد من الضوء على فهمنا لبناء الشخصية. وقد اشتملت المرحلة الأولى منها على الكثير من الاستبصارات والأفكار الأدبية والفلسفية التي شغلت اذهان الكتاب، والتي تمثل قدراً كبيراً — ولكنه غير منظم — من المعرفة الحدسية التي ظهرت قبل أن يصبح علم النفس علما بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة في أواخر القرن التاسع عشر.

وبدأت المرحلة الثانية حوالى سنة ١٨٨٠ وتتمثل في المعالجة التجريبية البحتة وبصورتها التقليدية للعمليات العقلية المختلفة. وقد بدأت في معمل «فنت» بألمانيا والتي تتمثل على وجه الخصوص في تلك الدراسات الأولى التي قام بها جيمس ماكين كاتل عن الفروق الفردية في زمن المرجع.

وتتمثل المرحلة الثالثة في الاتجاه الإكلينيكي الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر في أعمال كريبلين وبلويلر وبيير جانيه، والذي استمر في أعمال فرويد ويونج وأدلر وغيرهم من الأطباء الذين عنوا إلى حد كبير بالدراسات النفسية. وقد بلغ هذا الاتجاه ذروته في أعمال فرويد والتي لم يستند فيها إلى التجريب العلمي بالمعنى الدقيق أو إلى التحليل الإحصائي للنتائج التي وصل إليها رغم أهمية ما وصل إليه فرويد من نتائج.

---

(1) Cattell, Raymond : The Scientific Analysis in Personality. Penguin Books. 1967.

وقد لاحظ الباحثون – من أصحاب الاتجاه العلمي في الدراسة — أن التنبؤ الإكلينيكي القائم على أساس نتائج اختبارات ومقاييس موضوعية ، أقل استهدافاً للخطأ من التشخيص السيكاترى الذى يقوم به الأطباء ، كما لاحظ البعض أيضاً أن علماء النفس الإكلينيكي والأطباء النفسيين لم يقدموا إجابة شافية على النقد الذى وجهه إيزنك والذى يقول فيه أن معدل شفاء العصابيين ثابت فعلياً سواء عولجوا بأساليب العلاج النفسي المعروفة أو تركوا دون علاج .

ولكن ليس معنى ذلك أننا نقلل من أهمية النظريات الإكلينيكية في دراسة الشخصية ، فقد أقيمت بحوث ودراسات تجريبية قيمة على أساس بعض المفاهيم والاستبصارات الإكلينيكية الهامه . ولكن الأهم هو التمييز بين الإستبصار والخيال وهذا يتطلب الالتجاء إلى المناهج التجريبية الدقيقة .

والملاحظ أن المعالجة التجريبية استمرت لحقب عديدة دون أن تحرز تقدما ملحوظاً في دراسة الشخصية . وفي هذه الأحيان كان المعتقد أن سيكلوجية الشخصيه تقوم أساساً على مفاهيم التحليل النفسي . ولكن في ربع القرن الاخير حدث تطور ملحوظ جداً في الاتجاه التجريبي أدى به إلى تجاوز مفاهيم وأفكار التحليل النفسي والاتجاهات المشابهة له ، وذلك بفضل تقدم التجريب واستحداث الاساليب الإحصائية المتطورة إلى حد بعيد . وأصبح في إمكان البحث التجريبي الحديث معالجة متغيرات متعددة عما لم يكن ميسوراً بالنسبة للتجريب التقليدى . ويذهب كاتل إلى أن سبب فشل التجريب التقليدى في إحراز تقدم ملموس في مجال الشخصية — إذا قيس مثلا بالتقدم الذى أحرزته الدراسات الإكلينيكية مع مطلع القرن العشرين — يرجع أساساً إلى بساطة المنهج التجريبي المستخدم والذى استمده من العلوم الطبيعية

والذى يستخدم فيه الباحث متغيرين أثنين فقط ، أحدهما المتغير المستقل والآخر المتغير التابع ، ويرى التغير الحادث فى المتغير التابع نتيجة مايطرأ على المتغير الآخر من تغير . وكان الباحث يفترض فى هذه الحالة إمكانية ضبط جميع المتغيرات الاخرى المتدخلة . ولكن الطبيعة الإنسانية ليس من السهل إخضاعها لمثل هذا التجريب البسيط ، ولذا وجد الباحثون أنفسهم يرجعون إلى دراسة العمليات العقلية البسيطة كالإدراك والتذكر والتصور والتخيل وغيرها ، كما عاد بعضهم الآخر إلى إجراء تجاربه على الحيوانات وبخاصة الفيران ، لسهولة إخضاعها لشتى الظروف التجريبية التى يتعذر القيام بمثلها بالنسبة للإنسان .

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى منهج تجريبى جديد يمكنه — باستخدام الأساليب الإحصائية الجديدة — أن يعالج أنماط السلوك الكلية ، بدلا من معالجة متغيرات فردية قليلة . ومن حسن الحظ ، مهدت أعمال جالتون وسبيرمان السبيل إلى هذا الاتجاه . ولذلك وجد علماء النفس فى الأساليب الإحصائية كمعاملات الإرتباط وطرق التحليل العاملى أكبر العون لهم على القيام بدراساتهم فى هذا المجال . ولقد بدأ استخدام هذه الأساليب الإحصائية فى مجال الذكاء ، واستعان به علماء النفس بادىء الأمر فى تحليل النشاط العقلى المعرفى إلى عوامله الأولية على نحو ما نجد فى أبحاث سبيرمان الذى وصل إلى وجود عاملين إثنين هما العامل العام والعامل الخاص . ثم سار شوطه البعيد بعد ذلك متمثلا فى أبحاث ثرستون والذى أمكنه باستخدام التحليل العاملى الكشف عن القدرات العقلية الأولية والتى أمكنته بعد ذلك أن يخرج منها بعامل من الدرجة الثانية هو ما نسميه باسم عامل العوامل أو قدرة القدرات .

وفى حوالى ١٩٣٠ أجريت بحوث عديدة فى مجال الشخصية قام بها بيرت

ركاتل وجيلفورد وغيرهم مستخدمين طرقاً مشابهة لتلك التى استخدمت فى مجال الذكاء . وذلك بقصد معرفة ما إذا كان يمكن الكشف عن الأنماط الموحدة التى يتحدث عنها الإكلينيكيون بأساليب القياس الحديثة . ولكن النتائج كانت بطيئة نسبياً فى بداية الأمر ، وفى الفترة ما بين سنة ١٩٤٠ و١٩٦٠ ، ظهر عدد كبير من البحوث ذات الأهمية البالغة فى مجال الشخصية ، وبخاصة تلك التى قام بها كاتل وتلاميذه فى أمريكا ، وأيزنك ومساعدوه فى إنجلترا . وقد استخدم فيها هؤلاء الأساليب الإحصائية المتقدمة وبخاصة التحليل العاملى .

ولسنا فى حاجة هنا إلى الإشارة إلى رياضيات التحليل العاملى ، فهذه يمكن الرجوع إليها فى كتب الإحصاء (١) ، ولكن يحسن أن نشير إلى منطق هذه الطريقة كأساس لفهم النظرية التى تفترض أن الوحدات الأساسية للشخصية هى تلك العوامل التى يكشف عنها تحليل مصفوفة معاملات الارتباط والتى نحصل عليها أساساً من تطبيق اختبارات الشخصية أو الاستفتاءات وغيرها والهدف الأساسى للتحليل العاملى هو الكشف عن العوامل المشتركة التى تؤثر فى أى عدد من الظواهر المختلفة، وينتهى إلى تلخيص المظاهر المتعددة التى يحللها ، إلى عدد قليل من العوامل . فهو بهذا المعنى ينحو نحو قانون الإيجاز العلمى الدقيق law of parsimony والذى يحاول رد كثرة الأشياء إلى قلة الأنواع ، وبذلك ينبه العلم إلى تجنب كثرة الأفكار التى لا حاجة إليها .

فالتحليل العاملى يطبق قانون الإيجاز العلمى فى البحث عن الوحدات

---

(١) أنظر : د . السيد محمد خيرى : الإحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى ١٩٥٦

د . فؤاد البهى السيد : علم النفس الإحصائى وقياس العقل البشرى دار الفكر العربى ١٩٥٨ .

الأساسية فى الشخصية . فهو يبحث عن أقل عدد من التجمعات التى يمكن أن تعتبر الأساس الذى يكمن وراء مصفوفة معاملات الارتباط ويمكن توضيح المقصود بالإيجاز العلمى ورد كثرة الأشياء إلى قلة الأنواع ، بهذا المثال الافتراضى البسيط المستمد من البورت . لنفرض أن بحثاً أجرى على عدة مئات أو عدة آلاف من الناس بقياس سمات سبعة . ولنفرض أن الباحث استخدم فى جمع مادته اختبارات أو استفتاءات أو مقاييس تقدير . ولتكن السمات السبعة هى : الزعامة ، الصداقة ، السيطرة ، السلبية ، كتمان السر ، تقلب المزاج . الثرثرة .

وسوف يتضح أن هذه السمات ليست مستقلة ، بل إن معظمها يرتبط ارتباطاً عالياً بعضها الآخر . فبعض الأفراد الذين يقدرون تقديراً عالياً فى فى السيطرة مثلا ، يقدرون أيضاً تقديراً عالياً فى الزعامة وكثرة الكلام والصداقة . وفى الوقت نفسه يميل هؤلاء الأفراد إلى الحصول على تقديرات منخفضة فى سمات أخرى مثل التقلب المزاجى وكتمان السر والسلبية .

والمصفوفة الافتراضية التالية — عن البورت — (١) توضح تجمعين بين سمات سبعة هى : (١) السيطرة (٢) الصداقة (٣) الزعامة (٤) الثرثرة (٥) تقلب المزاج (٦) الكتمان (٧) السلبية .

مصفوفة افتراضية لمعاملات ارتباط بين سمات سبعة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
١							
٢	٦٠ر						
٣	٨٠ر	٧٠ر					
٤	٥٠ر	٦٥ر	٥٥ر				
٥	– ٣٠ر	– ٢٠ر	– ١٠ر	– ٣٥ر			
٦	– ٤٠ر	– ٦٠ر	– ٥٠ر	– ٩٠ر	٦٤ر		
٧	– ٩٠ر	– ٣٠ر	– ٤٠ر	– ٢٠ر	٤٥ر	٥٠ر	

(التجمع ١ : الأعمدة ١–٣ والصفوف ٢–٤ ؛ التجمع ٢ : الأعمدة ٥–٦ والصفوف ٦–٧)

(1) Allport G. :Pattern and Growth in Personality. New York. Holt 1961 p. 325.

فقانون الإيجاز العلمي يوضح أن لدينا تجمعين أساسيين هما التجمع الذى يبدو أنه أكثر تشبعاً بالسمات الدالة على السيطرة والزعامة وإلى حد ما الصداقة وكثرة الكلام ، بينما التجمع الثاني فيشمل التقلب المزاجي وكتمان السر والسلبية . وربما تعذر تسمية هذا التجمع الثاني الذى يمكن أن يسمى بالانسحابية أو الانطوائية الانفعالية أو التنحي .

واقد أجريت المئات من الدراسات العاملية حول متغيرات الشخصية المتعددة . ولما كان عدد المتغيرات الممكنة كبيراً جداً ، فمن الطبيعي أن يقصر الباحث دراسته للعوامل على منطقة واحدة داخل المجال الكلى للشخصية . فمثلا جيلفورد وزمرمان بدءا بـ ٧٠ متغيراً فى مجال « المزاج » وانتهيا إلى القول بوجود ١٣ عاملا تشمل هذا المجال كله ، ويمكن تقدير كل فرد بالنسبة لها . وهذه العوامل الثلاثة عشرة هى : النشاط العام والسيطرة والذكورة ضد الأنوثة ، والثقة ضد الشعور بالنقص ، الهدوء ضد العصبية والتوتر ، الميل الاجتماعى ، التأمل ، الاكتئاب ، الانفعالية ، الضغوط ، الموضوعية ، التقبل ، التعاون والتسامح .

وفى مجالات الاهتمامات الإنسانيه ، قام بعض الباحثين باستخدام مقياس مكون من ١٠٠٠ عبارة تقيس أنواعا كثيرة من الاهتمامات ، وبعد تحليل مصفوفة معاملات الارتباط إلى عواملها . أمكنهم استخراج ١٨ عاملا هى .

الميل الميكانيكى . الميل العلمى . المخاطرة . السعادة الاجتماعية . التقدير الجمالى . التعبير الجمالى . الحاجة إلى التشكل والتنوع need for diversion الحاجة إلى الانتباه . الميل للعمل . الاهتمام بألوان النشاط الخارجية . الحافز

(1) Allporty. G. : Pottern and Growth in Personality. Holt 1961 P. 325.

المادى . الدقة . التفكير . النظام . التطابق الثقافى . الميل الكتابى . العدوان . الميل الاجتماعى .

وهذه القائمة ذاتها تكشف عن ناحية قصور هامه فى التحليل العاملى ، ذلك أنها لم تشمل جميع الاهتمامات المحتملة كالاهتمام الدينى مثلا . وربما كان سبب ذلك أن الاستفتاء الاصلى الذى طبقه الباحثون لم يكن يحوى فقرات تتصل بالنواحى الدينية . والواقع أن العوامل هى من الاشتقاق من الدرجة الثانية من المادة الاصلية التى تبدأ فيها . ومن حيث هى كذلك ، فهى دائما محددة بما تشتمل عليه الاختبارات الأصلية من موضوعات .

وثمة مجالات طموحة لتغطية جميع مجالات الشخصية تتضح فيما يقوم به رايموند كاتل ومساعدوه منذ وقت قريب والتى تحاول الكشف عن مجموعة العوامل التى يعتقد أنها تغطى مجالات الشخصية المتعددة . وسوف نشير بإيجاز إلى بعض تلك الدراسات التى قام بها كاتل فى الكشف عن بناء الشخصية :

إن جانباً كبيراً من أعمال كاتل كان يهدف إلى تحديد السمات . ولقد بدأ بتلك القائمة المطولة التى وضعها اليورت (١٩٣٧) لإسماء السمات والتى تحتوى على ١٧٩٥٣ إسما . وقد اختصر هذه القائمة عن طريق التحليل العاملى إلى ١٦٠ إسما للسمة . ثم أضاف إليها ١١ إسما وجد أنها هامة وأساسية فأصبح المجموع ١٧١ إسما للسمة . ثم بعد ذلك ، اختصر هـــذه القائمة عن طريق التحليل العاملى أيضا إلى عدد قليل من السمات سوف نشير إلى بعضها فيما بعد .

ويعتقد كاتل أن تحديد بناء السمة والمفاهيم البنائية هو الأساس لدراسة الشخصية . وهو فى هذا الصدد قريب الشبه من البورت فى كتاباته عن السمات

وإن كان البورت لم يستخدم الأساليب الإحصائية التي استخدمها كاتل .
فالسمات هي التي تعطى ثباتا نسبياً للسلوك ، ومن ثم تمكننا من التنبؤ .
وكاتل يبحث عن الثبات في السلوك الذي يمكن أن يلاحظ. ويقاس بطريقة
مباشرة أو غير مباشرة .

وقد كشفت دراسات كاتل عن وجود نوعين كبيرين من السمات : السمات
المركزية Source Traits والسمات الظاهرية أو السطحية Surface Traits
والسمات الظاهرية هي تجمعات الظواهر أو الأحداث السلوكية التي يمكن
ملاحظتها ، وهي أقل ثباتا ، كما أنها مجرد وصفية . ومن ثم فهي أقل أهمية من
وجهة نظر كاتل ومن ناحية أخرى ، هناك السمات المركزية وهي في
نظره التأثيرات الحقيقية التي تساعد على تحديد وتفسير السلوك الإنساني .
فالسمات المركزية هي التأثيرات الكامنة التي تساعد على تحديد السمات
الظاهرية . والسمات المركزية ثابتة وذات أهمية بالغة وهي المادة الكبرى
الأساسية التي يقوم عالم نفس الشخصيه بدراستها .

والسمات المركزية يمكن أن تقسم إلى سمات تكوينية وسمات تشكلها
البيئة . الأولى داخلية وذات أساس وراثي والثانية تصدر عن البيئة وتتشكل
بالأحداث التي تجرى في البيئة التي يعيش فيها الفرد .

وقد أمكن لكاتل باستخدام الأساليب الإحصائية والطرق العاملية
الكشف عن عدد من السمات المركزية التي يتراوح عددها بين الستة عشرة
والعشرين سمة مركزية وقد رمز كاتل إلى كل سمة منها برمز أو حرف
خشية أن تؤدى التسمية اللفظية لها إلى اللبس والغموض ، كما وضعها في قطبين.
ومع ذلك ، فالهدف الذي يهدف إليه الإنسان هو الذي يعطى للسمة اسمها .
وبعض الأبعاد التي وصل إليها كاتل بالتحليل العاملي تشبه تلك التي وصل

إليها الاكلينيكيون بطرقهم الاكلينيكية . فمثلا ما أسماه كاتل بالعامل I ، يقابل البعد المزاجى شيزوثيميا ضد سيكلوثيميا على نحو ما أوضح عنه كرتشمر والذى يقترب إلى حد ما من التمييز بين ذهان الهوس والاكتئاب وذهان الفصام . وثمة أبعاد أخرى اشتملت عليها أبحاث كاتل كالبعد المتدرج بين قوة الأنا وضعف الأنا ، وبعد الذكاء العام وبعد الجاد ضد غير الجاد . والجدول التالى يشير إلى قائمة من السمات المركزية والتى كشف عنها استفتاء الشخصية للكبار 16 PF Sixteen Personality Factor Questionnaire

(أنظر الجدول فى الصفحة ٣٠٤)

وقد قسم كاتل السمات من الناحية الشكلية إلى أشكال ثلاثة : مزاجية ، دينامية ، قدرة . والسمات المزاجية ترتبط غالبا بالخصائص الجسمية التكوينية والسمات الدينامية تتصل بدفع أو تحريك أو مبادأة أى فعل سلوكى . أما سمات القدرة فتقيس أو تعبر عن كفاية الشخصية فى السلوك الموجه نحو حل المشكلات المعرفية .

وعند حديثه عن المادة التى نحصل عليها ونخضعها للتحليل العاملى بقصد الوصول إلى السمات المركزية المختلفة ، أشار كاتل إلى طرق ثلاثة هى :

١ — التقديرات التى يعطيها ملاحظون عن تكرار وشدة حدوث أنواع معينة من السلوك لدى الشخص الذى يقومون بملاحظته .

٢ — الاستفتاءات التى يجيب عنها المفحوص بنفسه استناداً إلى ملاحظته لنفسه أو الاستبطان .

٣ — الاختبارات الموضوعية والتى هى بمثابة مواقف مصغرة يلاحظ فيها سلوك الفرد الذى لا يعرف بالطبع أى مظهر من مظاهر هذا السلوك هو موضع اهتمام الباحث أو تقديره .

وقد أطلق كاتل على المادة التى نحصل عليها بالطريقة الأولى اسم « تقرير الحياة أو Life-rcord ورمز إليه بالرمز L-data . وذلك لأنه يتصل مباشرة بسلوك الفرد فى حياته الواقعية . وفى العادة يحصل السيكلوجى على مادته عن طريق شخص آخر يكون على معرفة طيبة بالشخص المراد تقدير سلوكه . ومن الممكن قيام عدد من الأشخاص بملاحظة سلوك الفرد فى مواقف الحياة الواقعية وتقدير خصائص هذا السلوك أو سمات الفرد حسب مقاييس تقدير تحدد خطواته .

أما الأسلوب الثانى الذى استخدمه كاتل بتوسع فهو الاستفتاءات التى طبقتها على أعداد كبيرة من الأفراد فى مستويات عمرية مختلفة والتى فى ضوئها أمكن الكشف عن عديد من السمات المركزية للشخصية . وقد رمز كاتل لهذا النوع من المادة التى نحصل عليها بالاستفتاء بالرمز data ، وفيها يقوم المفحوص بتقدير نفسه استناداً إلى ملاحظته لنفسه بنفسه . وقد تكون الملاحظات التى يصل إليها الطبيب النفسى أو العقلى فى غرفة العلاج لها نفس هذه الخصائص من حيث اعتمادها على ملاحظة المرء لنفسه . ومع ذلك فقد تكون عرضة للتحريف أو المعرفة الناقصة بالذات أو الرغبة المقصودة فى الخداع والتزييف . ورغم كون الاستفتاء يبدو كمجموعة من الأسئلة التى يجيب عنها المفحوص عادة بنعم أو لا أو لا أدرى ورغم أنه قد يبدو أيضا عرضة للتحريف والتزييف ، إلا أن هناك فى الحقيقة قدر كبير من الفن فى وضع الاستفتاء فى صورته التى يستخدم بها وفى اختيار الكلمات والعبارات وتوجيه الأسئلة ، وفيما يخضع له أيضا من عمليات إحصائية كالثبات والصدق . وجميعها تجعل درجة التحريف فى الاستفتاء بسيطة نسبياً .

أما الأسلوب الثالث الذى استخدمه كاتل أيضا فى دراسته الشخصية ، فهو الاختبارات الموضوعية أو ما رمز إليه بالرمز T—data وهذا النوع من

قائمة السمات المركزية على نحو ما يقيسها اختبار الشخصية للكبار

رمز السمة	اسم السمة		
A	الشيزوثيميا	ضد	السيكلوثيميا
B	الذكاء العام	ضد	الضعف العقلي
C	الثبات الانفعالي أو قوة الأنا	ضد	عدم الاتزان الإنفعالي
E	السيطرة	ضد	الخضوع
F	الانبساط	ضد	الاكتئاب والانقباض
G	قوة الأنا الأعلى	ضد	نقص المعايير الداخلية والافتقار إليها
H	المغامرة	ضد	الجبن
I	الطراوة	ضد	صلابة العود
L	الميل إلى الإرتياب	ضد	التقبل
M	رومانتيكي (مزاج احتيواري)	ضد	واقعي
N	الدهاء	ضد	السذاجة
O	الاستهداف للذنب	ضد	الثقة الكاملة بالنفس
Q_1	التحرر	ضد	المحافظة
Q_2	قوة الاكتفاء الذاتي	ضد	الافتقار إلى التصرف الذاتي
Q_3	قوة اعتبار الذات.	ضد	ضعف اعتبار الذات
Q_4	قوة توتر الطاقة الحيوية	ضد	ضعف توتر الطاقة الحيوية.

الاختبارات يمثل موقفا مصغرا يستجيب له الفرد دون أن يعرف أى جوانب سلوكه هى موضع التقدير . وقد أدخل كاتل تحت هذا النوع مقاييس واختبارات درجنا على النظر إليها باعتبارها اختبارات إسقاطية مثل اختبار بقع الحبر (روزشاخ) واختبار زوندى . كما أشار إلى أنواع أخرى كمقاييس التصلب (كاتل وستيفنسون ١٩٣٤) ؛ ومقاييس الطلاقة (سبيرمان) وغيرها من الاختبارات العديدة التى ظهرت فى السنوات العشرين الأخيرة والتى تجرى إما بصورة اختبارات فردية أو اختبارات جمعية .

وقد استخدم كاتل هذه الوسائل الثلاثة فى قياس الشخصية ، وإن كان قد ركز بطريقة واضحة على الأسلوبين الثانى والثالث . ونتيجة لهذه الدراسات المستفيضة التى قام بها كاتل ومساعدوه ظهرت مجموعة من الاختبارات لقياس السمات المركزية فى الشخصية والتى أصبحت فى متناول المشتغلين فى هذا المجال . فعن طريق الإستعانة بالاستفتاءات والتى طبقت على مستويات عمرية مختلفة ، نشر كاتل مجموعة من المقاييس أهمها : استفتاء الشخصية للمرحلة الأولى(١) واستفتاء الشخصية للمرحلة الإعدادية والثانوية(٢) ثم استفتاء الشخصية للكبار(٣) وهو الذى يرمز إليه بالرمز (16 PF) وجميعها تقيس بطريقة منظمة نفس العامل لأغراض ثمانية على مستويات عمرية مختلفة ابتداء من طفل المرحلة الأولى حتى الكبار .

وإلى جانب ذلك حللت نتائج الاختبارات الموضوعية وأمكن الوصول إلى عشرين عاملا مختلفاً . وقد وضعت بطاريات من الاختبارات لقياسها

---

(١) أنظر الدراسة التى قام بها د . عبد السلام عبد الغفار و د . سيد محمد غنيم على هذا الاستفتاء . القاهرة ١٩٦٥ .

(٢) انظر الدراسة التى قام بها د . سيد محمد غنيم و د . عبد السلام عبد الغفار على هذا الإستفتاء . القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) بعده للنشر د . عطية محمود هنا و د . سيد محمد غنيم و د . عبد السلام عبد الغفار .

بعضها خاص بالأطفال وتعرف باسم Children's Objective-Analytic Battery(O A) ، وبعضها خاص بالكبار وتعرف باسم Adult Objective Analytic (O A) Battery على نحو ما أوضحت دراسات كاتل وبوليك وهندلباى (١٩٦٤) . وقد أوضح كاتل أن القيمة التنبؤية لهذه العوامل عالية في مجالات متعددة، كما أشار في بحث له مع شاير Scheier (١٩٦١) إلى أن ستة من هذه العوامل تميز بين العاديين والعصابيين على مستوى دلالة أقل من ١ . ر .

وفى ضوء ماقدمناه بإيجاز عن كاتل ، يمكن أن نعرف بأحد الأبعاد الأولية للشخصية وهو البعد A (س ظ١) الذى ظهر فى استفتاء الشخصية للمرحلة الأولى والمرحلة الإعدادية والثانوية واستفتاء الشخصية للكبار ، وهو الذى يسمى باسم الشيزوثيميا ضد السيكلوثيميا : وقد وضعت أساليب السلوك التى تتضمنها القائمة التالية على أساس ارتباطها ارتباطا عالياً بالعامل أى على أساس أنها أكثر أساليب السلوك تعبيراً عن هذا العامل على نحو ماتضح من دراسات كاتل . ثم إن لكل عامل قطبين يشير كل منهما إلى ألوان متطرفة من السلوك وتقابل الدرجة المرتفعة فى الاستفتاء (+) القطب الذى كتب هنا إلى اليسار على حين تقابل الدرجة المنخفضة (—) القطب الذى كتب هنا إلى اليمين . ويجدر بنا أن نتحرز من القول بأن القطب الذى إلى اليسار والذى يشير إلى الدرجات المرتفعة يمثل الجانب الأحسن من الناحية النفسية . أو أن القطب الذى إلى اليمين والذى يشير إلى الدرجات المنخفضة يمثل الجانب السىء من الناحية النفسية لأن نوع السلوك المرغوب (الأحسن) يتحدد بدور الفرد فى الحياة وطبيعة العمل الذى يقوم به . ولمزيد من الإيضاح بهذا العامل وغيره من العوامل يحسن الرجوع إلى المراجع الأصلية وبخاصة ماكتبه كاتب هذا الموضوع (١) .

---

(1) Cattell, R.: Personality and Motivation Structure and Measurement. Haxcourt. Brace & World 1957.

العامل A س ظ١

التشبع السالب (—)	التشبع الموجب (+)
الشيزوثيميا	السيكلوثيميا
مشاكس	هادىء
جامد ، متصلب	سهل التكيف
بارد ، غير مبال	ودود ، ميال للناس
كتوم — قلق	صريح ، رابط الجأش
متحفظ	انفعالى ، معبر
ميال إلى الإرتياب والمكر	سريع التصديق ، يثق بالآخرين
حذر ، بخيل	مندفع ، كريم
عدوانى ، مغرور	متعاون ، متواضع
موضوعى	يخضع للنزعات الإنفعالية الشخصية
جامد الشعور	مرح فكه .

فهذا العامل يمثل التقسيم الثنائى الأساسى فى الطب النفسى بين الجنون الدورى (جنون الهوس والإكتئاب) والفصام . والتشبع الموجب بهذا العامل يمثل شخصا أميل إلى الاتصال بالناس والاستمتاع بتقبلهم له ، متعاون مع الغير ، يثق بهم ، ودود ، سهل التكيف ، كريم مرح ، بينما يمثل التشبع السالب بهذا العامل شخصاً عدوانياً مغروراً متحفظا ميالا إلى الارتياب والكتمان ، قلقا ، متصلبا جامداً حذراً بخيلا جامد الشعور .

وثمة أبحاث أخرى عديدة ظهرت فى مجال الشخصية ، تلفت النظر لأهميتها والأسلوب العلمى الجاد الذى اتبع فى دراستها من ذلك ، أبحاث إيزنك . لقد تأثر إيزنك كثيراً بأنماط يونج إلى انطوائى وانبساطى ، كما تأثر بأعمال كرتشمر وأبعاده الجسمية أو التكوينية . ويعاوض ايزنك بشدة كثرة

المكونات فى نظرية الشخصية . فهو يحبذ الإيجاز العلمى الدقيق فى بناء النظرية . وعلى أى حال ، فالنظرية يجب أن تدعم دائما بالبحث الذى يمكن إعادة إجرائه . والتحدث عن الإنسان « ككل » يعتبر أمراً غامضا وفلسفيا فى نظره ، بمعنى أن المصطلحات ذات الأساس الفلسفى ليست مصطلحات علمية ولا تسمى « علم نفس » . ولذا فهناك حاجة إلى معرفة أبعاد الشخصية قبل بناء النظرية . ولمعالجة هذه الأبعاد يجب أن نستعمل التحليل العاملى ، رغم مايوجهه البعض إليه من نقد ، لأنه ليس هناك منهج آخر يبدو علميا أكثر منه . فمن الضرورى إذن وضع الحقائق الأساسية فى العلوم السلوكية فى صورة كمية .

وفى دراسته لنظرية الشخصية ، يصر أيزنك على استعمال أكبر عدد من المتغيرات يمكن الحصول عليه . فتغيرات كتلك التى نحصل عليها من التقدير الذاتى ، أو عن طريق الآخرين أو مقاييس جسمية ومقاييس جلفانومترية أو مادة من تاريخ حياة الفرد ، تقارير الملاحظة وغيرها ، كل ذلك يعطينا صورة الشخصية لدى أى كائن حى . وبالإضافة إلى إدخال أكبر عدد ممكن من المتغيرات فى دراسة الشخصية . يحاول أيزنك أيضا الحصول على معيار أو مجموعات ضابطة لعقد المقارنات الكمية والقيام ببحث علمى . ونتيجة لذلك ، فإن كل أعمال أيزنك تقريبا تستخدم مجموعتين تقسم ثنائيا بالنسبة لأية قائمة مثل الأمانة والخيانة ، الجبن والشجاعة أو أية ناحية يقوم بدراستها .

وعلى حين يتخذ كاتل السمات كأساس فى دراسته ، نجد أن أيزنك يؤكد ناحية الأنماط ويوليها أهمية كبيرة فى دراسته . فهدف أيزنك فى كثير من أبحاثه هو التعرف على الأنماط ، ووسيلته فى ذلك أيضا الطرق الإحصائية

تنتهى عادة بالتحليل العاملى . ولقد أمكن لأيزنك الوصول إلى أبعاد ثلاثة أولية للشخصية هى :

الإنطواء (أنا أعلى .Introversion,(Super Ego — الإنبساط (الهو— Extraversion (Id

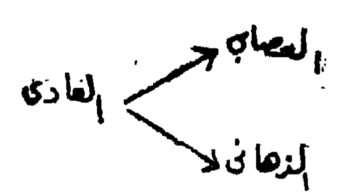
العصابية Neuroticism — اللاعصابية Non-Neuroticism

الذهانية Psychoticism — اللاذهانية Non-Psychoticism.

وفى كثير من أنظمة الشخصية التى تتعامل مع السلوك المنحرف ، فإن المفهوم العام قد يأخذ صورة منحنى الجرس حيث يتوزع العاديون حول المتصف ، بينما يشغل العصابيون والذهانيون الأطراف المتباعدة على نحو ما هو موضح :



وقد اقترح أيزنك صورة ثانية للعلاقة بين العاديين والعصابيين والذهانيين على هذا النحو التالى :



وثمة صورة ثالثة يقترحها أيزنك للنظر إلى الاختلافات بين العاديين والعصابيين والذهانيين .

السلوك المختلط ذهاني وعصابي (ح)	السلوك الذهاني (ب)
السلوك العصابي (د)	السلوك العادي (أ)

والشخصية في نظره يمكن أن تتحرك وتنتقل من العادى إلى العصابى ، ومن العادى إلى الذهاني ومن العادى إلى النمط المختلط . كما قد يحدث الإنتقال من منطقة إلى أخرى ، كما أن الحركة العكسية ممكنة بالطبع . ورجحان وجود الحالات المختلطة يتفق والخبرة الإكلينيكية . ويعتقد إيزنك أن مادته توضح أن طريقة التصنيف إلى « إما ... أو ... » قد انتهت . وبدلا من ذلك يوضع الفرد على المستوى الذى يأتى قريبا من ذاته الانفعالية الحقيقية. فى الشكل السابق نرى أن الشخص (أ) عادى والشخص (ب) ذهانى ولكنه قريب من حدود النمط المختلط والشخص (ج) على الحدود الفاصلة لأن يكون مزيجا من الذهانية - العصابية ولكنه أيضا قريب من الحدود الخارجية للعاديين ، بينما الشخص (د) فيقع فى منطقة العصابيين الخالصة . وليس ثمة شك أن هذا مجرد تخطيط وليس ظاهرة حقيقية من الناحية الإجرائية . ولكنه مع ذلك يصور بالتقريب العلاقات المتعامدة التى تستخلص من الدراسات العاملية لأيزنك .
ويعتقد أيزنك أيضا أن الأبعاد الثلاثة الأوليه للشخصية ليست بالتأكيد هى كل الاحتمالات الوحيدة الممكنة ، فقد تكشف الدراسة بعد ذلك عن أكثر من هذه الأبعاد .

والتخطيط التالى ملخص مختصر للغاية لبعض أعمال أيزنك فى التحليل العاملى والنمط والسمة خلال السنوات الأخيرة .

عوامل أيزنك	عوامل الشخصية	المتعلقات السياسية
عامل عام	نمط (تجمع سمات)	أيديولوجية
عامل جمعى	سمات (تجمع عادات منتظمة ثابتة)	اتجاه
عامل خاص	استجابات معتادة (تحدث فى ظروف متماثلة متشابهة)	تفكير عادى
عامل الخطأ	استجابات خاصة (عمل واحد فقط)	فكرة خاصة

ففى الجانب الأيمن نجد قوائم أيزنك المستخلصة من التحليل العاملى والتى استخدم فيها إلى حد ما عمل «بيرت» الذى وصل إلى أربعة عوامل مماثلة فى تحليله للنشاط العقلى المعرفى (عامل عام وعامل جمعى وعامل خاص وعامل الخطأ) وبالمثل وصل أيزنك إلى أربعة عوامل مماثلة فى تحليله العاملى وهى العامل العام والجمعى والخاص وعامل الخطأ . أما فى الوسط فنجد عوامل الشخصية المقابلة للعوامل الأربعة السابقة ، فأنماط الشخصية تظهر إلى حيز الوجود عن عوامله العامة . وقد سبق أن أشرنا إلى أنماط الشخصية التى وصل إليها إيزنك هى الإنطواء ـ الانبساط ، العصابية ـ اللاعصابية ، الذهانية ـ اللاذهانية . أما السمات فتنشأ عن العوامل الجمعية . وقد ذهب أيزنك إلى أن السمات

يجب أن تعرف إجرائيا وأن تكون قابلة لأن تقاس » وهو يعتقد أن السمات أقرب إلى عادات السلوك المتسقة الثابتة . أما العوامل الخاصة فتصدر عن الاستجابات العادية التي هي أفعال سلوكية والتي تظهر من جديد في الظروف المماثلة المتشابهة . أما عوامل الخطأ التي وجدها أيزنك والتي تمثل أدنى مستوى في الأهمية فتصدر عن الاستجابات الخاصة لأي عمل مفرد . ولا يمكن أن تستخدم بدرجة كبيرة من الدقة في مناقشة الشخصية أو نظرية الشخصية .

وفي كتابه سيكلوجية السياسة (١) يقرر أيزنك أنه وجد أربعة متعلقات سياسية تتصل بالعوامل الأربعة السابق الإشارة إليها . فالعامل الأول يبدو أنه يمثل الأيديولوجية ، أما العامل الجمعي فيمثل الاتجاه ، والعامل الخاص فيمثل التفكير العادي ، بينما عامل الخطأ فهو أي نوع من التفكير في موقف سياسي ما .

وقبل أن نختم حديثنا عن نظرية أيزنك يحسن أن نشير إلى دراسة له يشير فيها إلى نوع من الربط بين السمات والأنماط والابعاد ، وذلك حين ربط بين الأنماط المزاجية القديمة الصفراوي والدموي والسوداوي والبلغمي . وأوضح أن أصحاب المزاج الصفراوي أو الدموي يشتركون في مجموعة عامة من السمات ومن المحتمل أن يطلق عليهم بالتسميات الحديثة «انبساطيون» ، بينما أصحاب المزاج السوداوي والبلغمي يميلون إلى أن يكونوا انطوائيين . وقد أوضح أيزنك أن هذا من شأنه أن يعطينا قاعدتين مختلفتين تمام الاختلاف للتقسيم ، يمكن أن يطلق عليهما فئوية وبعديه . وطبقا للنظام الفئوي للتقسيم يمكن أن يضع الناس في أحد أرباع الدائرة الصغرى ونسميهم صفراويين أو سوداويين أو دمويين أو بلغميين . وهذه هي القاعدة التي اتبعها أصلا القدماء من أمثال

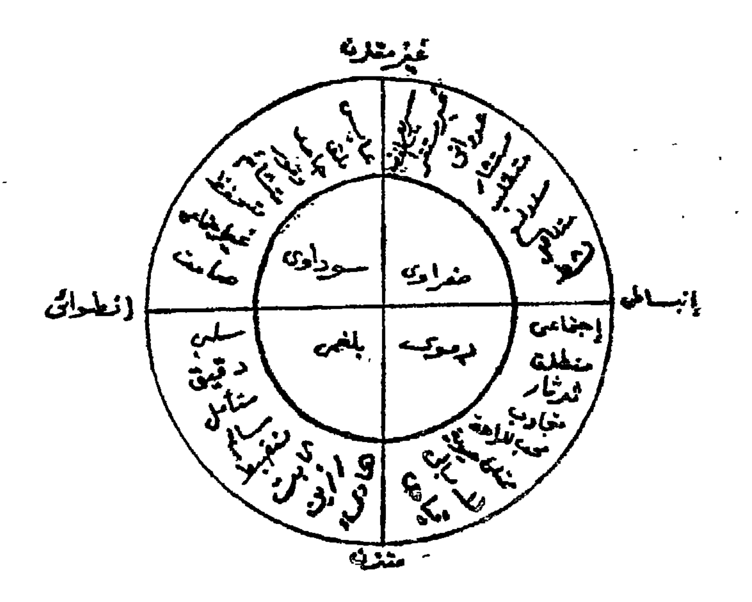
---

(1) Eysenck, H. J. : The Psychology of Politics. London. Routhledge 1954.

جالين . ولكن هناك رأى آخر بديل هو أن المرء يضع كل شخص فى موضع محدد على متصلين كميين أو محورين . أو بعبارة أخرى ، فإن أى شخص يمكن أن يكون فى أى مكان على متصل الانطواء / الانبساط ويمكن أن يكون له أى موضع محدد على متصل العصابيه والانفعاليه (عدم الاتزان) / والسواء (الاتزان) . ويمكننا أن نصفه طبقا لمكانه فى هذا البناء ذى البعدين . وواضح أن كل المواضع المحتملة بمعنى أنه يمكن شغلها بشخص محدد . والأغلب أن تتجمع الأغلبيه عند الأصل أى أنها لا تكون سوداوية ولا بلغميه ولا صفراوية ولا دموية . . وهو الان رأى مقبول عامة . ولم يعد فى هذه الأيام من بين علماء النفس أو الطب العقلى من يتمسك جاداً بمذهب التقسيم الفئوى للشخصية . ولقد أجريت العديد من البحوث التجريبية فى العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة والتى تم فيها تصنيف أعداد كبيرة من المفحوصين فى أمريكا وانجلترا وتم استفتاؤهم حول عدد كبير متنوع من السمات وأنواع السلوك المختلفة ثم تعرضت هذه الدراسات إلى التحليلات الإحصائية والعاملية بقصد الوصول إلى تحديد الأبعاد الرئيسية للشخصية والتى أمكن الوصول منها إلى بعدين أساسيين هما بعد الإنطواء / الانبساط وبعد الإتزان / عدم الاتزان (١).

---

(١) أنظر أيزنك : الحقيقة والوهم فى علم النفس، ترجمة قدرى حفنى ورءوف نظمى . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ص ٥٧ .



الدائرة الداخلية تمثل نظرية الأمزجة الأربعة الشهيرة ، والدائرة الخارجية تمثل نتائج العديد من التجارب الحديثة التى تتضمن تقديرات ذاتية لأنماط السلوك لدى جماعات كبيرة ، وقد يبدو أن هناك اتفاقاً كبيراً ، كما أن جزءاً من الشخصية يمكن أن يوصف فى ضوء بعدين رئيسيين هما الانطواء / الانبساط ، والاتزان / عدم الاتزان .

وبعد أن عرضنا لمثلين من النظريات العاملية فى بناء الشخصية وهما نظرية كاتل ونظرية إيزنك . هناك سؤال يتبادر إلى الذهن بعد هذا كله . ما هو العامل. هل هو مجرد تصور إحصائى أم أن له حقيقة سيكلوجية . وبالطبع يمكن تجنب هذه المشكلة إذا عرفنا العامل بقولنا « إنه ما يكشف عنه التحليل العاملى أو ما يصل إليه » . وذلك على نحو ما ذهب البعض فى تعريفهم للذكاء بأنه « هو ما تكشف عنه اختبارات الذكاء » . ومع ذلك فمعظم الباحثين النظريين كانوا أكثر وضوحاً من ذلك فى نظرتهم لطبيعة العامل .

هناك جماعة نظرت إلى العوامل كقدرات . ثرستون مثلا يشير إلى العوامل باعتبارها « قدرات أولية بسيطة » P.M.A أو « اللبنات الأولى التى

يتكون منها العقل » . ورغم أن سبيرمان لم يذهب إلى أن العوامل يجب أن تتوحد مع القدرات أو الملكات ، إلا أنه من الواضح أنه كان يفكر في العوامل كحقائق علّية . وقد فسر العوامل في بداية الأمر ، كوظائف أساسية للعقل ، فالعامل العام « ع » هو قدرة عقلية عامة والعامل الخاص « خ » هو قدرة عقلية خاصة . ويذهب جيلفورد إلى أن التحليل العاملي إذا استخدم استخداما صحيحاً ، فسوف يعطينا شيئا أكثر من مجرد قوائم للتصنيف العقلي أو الأداءات السلوكية ، بل إن كثيراً من العوامل التي نحصل عليها من التحليل العاملي ، يمكن النظر إليها على أنها تمثل حقائق سيكلوجية . أي أن جيلفورد يميل إلى النظر إلى العوامل باعتبارها تمثل أبعاداً أساسية للعقل .

وثمة مجموعة أخرى تنكر كل وجود حقيقي للعوامل ، فرنون مثلا يذهب إلى أن العوامل يجب أن ينظر إليها أساساً على أنها مجرد قوائم للتصنيف العقلي أو الأداءات السلوكية أكثر من النظر إليها كوحدات في العقل أو الجهاز العصبي . وأنستازي تذهب إلى أن العوامل هي مجرد تصورات إحصائية ، وتذهب إلى أن النظر إلى العوامل كقدرات معناه العودة بعلم النفس مرة أخرى إلى نظرية الملكات . وموقفها هذا وشبيه به موقف البورت يبدو لجيلفورد كما لو كان بحثا عن المطلق . فحتى لو كانت نظرتهما صحيحة ، فإنه لا يزال هناك ـ في نظر جيلفورد ـ قيمة في معرفة العوامل . ومثل هذه المعرفة تفيدنا في أي الاختبارات نختار لتمثيل النواحي المراد دراستها . أما البورت ـ وهو البعيد عن الاشتغال بالتحليل العاملي ـ فيتفق مع انستازي في نظرتها إلى العامل . فالعامل في نظره هو أساساً نتاج رياضي وليس له أي معنى سيكلوجي .

وحسماً لهذا الجدال يذهب ترمسون إلى أن العوامل معاملات إحصائية

فحسب وليس لها أية « حقيقة » أكثر مما للمتوسطات أو الانحرافات المعيارية أو معاملات الإرتباط .

وليس ثمة شك أن البحث عن طبيعة العامل هو سؤال ميتافيزقى ، ويجب ألا ينظر إلى فشل النظاريين الذين يشتغلون بالتحليل العاملى فى الاتفاق على إجابة لمثل هذا السؤال كدليل ضدهم .

ولذلك يذهب « ماكينون » (١) إلى أنه ربما كان من الأنسب من الناحية العلمية أن ندرس « ما مصدر العامل أو ما الذى يجعله عاملا ؟ » يقول ما كينون « إن كل شيء يؤدى إلى وجود معاملات ارتباط ، يؤدى أيضا إلى وجود العوامل . فعند مايوجد عامل ما ـ بصرف النظر عن الطريقة الخاصة التى استخدمت فى التحليل ـ فثمة دليل إذن على أن هناك أسبابا مشتركة فى المتغيرات التى قمنا بتحليلها هى التى أدت إلى وجود هذا العامل » .

وهناك أوجه نقد توجه عادة إلى محاولة استخراج العوامل الأساسية للشخصية وعزلها بواسطة التحليل العاملى . من ذلك مثلا أن العوامل التى تستخرج تتوقف على السمات الخاصة المتضمنة فى الاختبارات أو فى مقاييس التقدير أو الاستفتاءات ، ومعنى ذلك أن العوامل التى يصل إليها الباحث هى محصلة الفقرات أو الوحدات التى يبدأ فيها التحليل . فلا شيء إذن يمكن أن يظهر فى التحليل العاملى لم يكن موجوداً من قبل فى الاختبارات وكما أشار فرنون (١٩٣٨) فإن العوامل يمكن أن تنطى فقط هذه الواجهات للشخصية التى تتمثل فى بطارية الاختبارات ، ومن ثم فإن عموميتها تتحدد بشمول عينات السمات الإنسانية . وكان فرنون يعتقد أيضا أنه طالما أن الاتجاهات

(1) Mackinnon, Donald: The Structure of Personality in J.Mc V. Hunt. (ed) Personality and the Behavior Disorders. vol I. The Roland Press Company, New York 1944. chp. 1. pp. 3-48.

الذاتية يمكن أن تحرف التقديرات ، وأن المقاييس الموضوعية الدقيقة للسلوك لم يتم وضعها بعد تماما ، فإن أية واحدة من التحليلات العاملية التى أجريت حتى ذلك الحين لم تكشف عن العناصر الحقيقية للشخصية . كما يذهب فرنون فى نقده أيضاً إلى أن أية مجموعة من العوامل المستخلصة ليست العوامل الوحيدة المستخلصة ، فإن عدداً لا نهائيا من التحليلات العاملية لأية مجموعة من المتغيرات يكون ممكننا وتقرر قيمها النسبية على أسس منطقية ورياضية .

ويثير البورت أيضا بعض التساؤلات بالنسبة لفكرة العوامل : هل من المعقول أن نفترض أن جميع الناس لديهم فى الواقع نفس التكوين الأساسى للشخصية ؟ وهل يجب أن تكون وحدات التنظيم الأساسى للشخصية واحدة عند جميع الأحياء ؟ وهل يجب أن تكون العوامل متماثلة سوى ما يتصل باختلاف أوزان كل منها . الواقع أن العامل فى نظره هو صورة مركبة لا تشبه أى فرد بالذات .

ومن النقد الذى وجه إلى استخدام التحليل العاملى فى دراسة الشخصية أن الوحدات الإحصائية المكتشفة بالتحليل هى وحدات منعزلة وبعيدة عن الكائن الحى الفرد . فتقديرات اختبارات عديدة لمجموعة كبيرة من الأفراد تعالج معا إحصائيا ويكون الخلط جيداً للغاية بينها ، بحيث أن الناتج يكون خليطاً من العوامل التى يفقد فيها كل فرد من هؤلاء الأفراد هويته . فاستعداد كل فرد قد اختلط باستعداد كل فرد آخر . والعوامل المستخلصة بهذه الطريقة الإحصائية نادراً ما تشبه الاستعدادات التى تكشف عنها الطرق الاكلينيكية التى تتعمق فى دراسة الفرد . وليس ثمة دليل على أن الوحدات العاملية التى يكشف عنها التحليل العاملى تطابق السمات المركزية ، أعنى التكوين الوراثى للطبيعة الإنسانية على نحو ما يميل البعض إلى القول بذلك .

وثمة صعوبة أخرى تظهر فى تسمية العوامل . فالتسمية ذاتها افتراضية وتعسفية أحياناً . فقد يلجأ البعض إلى تسمية العوامل بالحروف على نحو ما فعل كاتل وسبيرمان وغيرهما ، كما لو كانوا لا يجرؤن على التلفظ بأسماء هذه الحروف التى ترمز إلى العوامل .

الحقيقية أن المشكلة الأساسية التى تواجه المشتغلين فى هذا المجال هى هل يمكن للتحليل العاملى أن يكشف عن التركيب أو البناء الكامن للشخصية أم هل هو يعطى فحسب صورة عن التركيب المنطق لاختبارات الشخصية المستخدمة . ومن الإنصاف القول بأن معظم المشتغلين بالتحليل العاملى يعتقدون فى الرأى الأول ويعارضون الرأى الثانى. فـ « كيللى » مثلا يعتقد أن السمات الأساسية للشخصية يمكن عزلها بطرق التحليل العاملى ، كما يمكن أن نصل فى نهاية الأمر إلى العدد القليل نسبياً من العناصر اللازم لوصف الشخصية وصفا كاملا .

ولكن بعض المشتغلين بالتحليل العاملى ممن هم أشد تمسكا بالطريقة العلمية فينظرون إلى العوامل كأنظمة من الإحداثيات أو الأطر المرجعية البسيطة لتصنيف وتفسير المتغيرات الكامنة للشخصية . فالعوامل ليست ملكات أو سمات توجد فى الشخصية المحسوسة وإنما هى قوائم وصفية مناسبة تمكن القائم بالتحليل العاملى من تعميم وتبسيط نتائج الإختبارات والقيام بتنبؤات على درجة كبيرة من الكفاية والدقة .

وإذا نظر إلى العوامل كنظام من الإحداثيات أو الإطار المرجعى لتصنيف وتفسير متغيرات الشخصية ، فليس ثمة داع للنظر إلى العوامل كسمات موجودة فى الشخصية ...، ويعلق ما كينزن على هذا الموقف بقوله أن المشتغل بالتحليل العاملى الذى يتخذ مثل هذا الموقف عليه أن يتذكر أن العوامل لا يمكن أن تعتبر حجر البناء الذى تقوم عليه الشخصية المتشكلة .

وكما ينتقد الأكلينيكيون أسلوب التحليل العاملي في بناء الشخصية، فكذلك ينتقد المشتغلون بالتحليل العاملي الأسلوب الأكلينيكي لاعتماده كلية على الحكم الذاتي في وصف السمات الأساسية للشخصية، فهم يذهبون إلى أن الاكلينيكيين في تحليلهم للشخصية وفي تصنيفهم لسماتها الأساسية، يفتقرون إلى المعايير الموضوعية التي تزودنا بها الطرق العاملية. ولكن الأكلينيكي يرد على ذلك بقوله أن العوامل التي يكشف عنها التحليل العاملي تتوقف على فقرات الاختبار الأصلي وأن وضع الفقرات وتقرير ما يتضمن منها في الاختبار هو نتيجة حكم ذاتي من جانب السيكلوجي، كما أنه بعد استخراج العوامل، فإن تحديدها وتسميتها يتم مرة ثانية في ضوء اعتبارات ذاتية. إن الاكلينيكي كثيراً ما يحس بالقلق حين يجد أن العوامل التي يكشف عنها التحليل العاملي تفتقر إلى الدلالة السيكلوجية، على حين أن المشتغل بالتحليل العاملي، فهو من ناحية أخرى، لا يحس بالقلق حين يعجز عن التعرف على العوامل التي يخرج بها، ولذلك فهو لا يجد غضاضة في إعطائها رموزاً معينة، على نحو ما فعل كاتل وغيره، لربطها بمتغيرات الشخصية التي وضعها الأكلينيكي، فالمعنى السيكلوجي في نظر الأكلينيكي له أهمية كبرى، ومع ذلك، فنحن نجد من المشتغلين بالتحليل العاملي من أمثال ثرستون من يصر على تفسير العوامل تفسيراً سيكلوجياً وأن يكون لها معنى سيكلوجي، وإن لم يأخذ بهذا الرأي الكثيرون من المشتغلين بالتحليل العاملي.

ويطرح ما كينون سؤالا عن ما هي نتائج تطبيق التحليل العاملي في دراسة الشخصية. ويجيب على ذلك بقوله إن من المعروف بوجه عام أن تطبيق الطرق العاملية في دراسة الشخصية كانت أقل ثمرة بشكل واضح من تطبيقها في دراسة الذكاء. وهذا يرجع في جزء منه على الأقل إلى حقيقة هامة وهي أن الأدوات المستخدمة لقياس سمات الشخصية ـ سواء كانت مقاييس تقدير

أو اختبارات موضوعية أو استفتاءات تعتبر أقل صدقا وثباتا من تلك التى وضعت لقياس القدرة العقلية العامة . هذا بالإضافة إلى تعدد أبعاد مجال الشخصية وغموضه إلى حد بعيد . ومع ذلك ووسط هذا الغموض ، فقد بدأت تظهر بعض البوادر الهامة التى أفادت إلى درجة كبيرة من التحليل العاملى فى دراسة الشخصية . ولقد أشار « ولفل » Wolfle فى عام ١٩٤٢ إلى بعض النتائج التى تكاد البحوث تجمع عليها . فقد وجد أن هناك أكثر من ٥٠ عاملا للشخصية وردت فى الدراسات المختلفة . وقد تبين له أن بعضها لا يرد إلا مرة واحدة ، وكثير منها غير محدد ، وبعضها لا تؤيده البحوث الأخرى . وباستبعاد هذه كلها ، تبقى لديه سبعة عوامل فقط تخضع لمعيار وضعه هو أنها تظهر فى ثلاث دراسات أو أكثر . وهذه العوامل السبعة هى :

١ — الارادة W or will (وب ١٩١٥ ، ستورمان ١٩٣٥ ، كاتل ١٩٣٣ ، برودجن ١٩٤٠ ، ريبيرن وتايلور ١٩٢٩) .

٢ — المهارة C or cleverness (جارنيت ١٩١٩ ، كاتل ١٩٣٣ ، ريبيرن وتايلور ١٩٢٩) .

٣ — الخجل S or shyness (جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ ، ولیامز ١٩٣٥ ، مورر ١٩٤١ ، فلاناجان ١٩٣٥) .

٤ — عامل الثقة بالنفس A. factor of sel f confidence (فلانجان ١٩٣٥ ، جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٦ ، مورر ١٩٤١ ، ماك كاوى ١٩٣٦ ، ولیامز ١٩٣٥) .

٥ — عامل طلاقة النشاط العقلى F or fluency of Mental activity (ستورمان ١٩٣٥ ، موسيه ١٩٣٧ ، جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٦ ، ثرستون ١٩٣٤) .

٦ – عامل الإكتئاب العقلى D or mental depression (جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٩ ، موسيه ١٩٣٧ ، ثرستون ١٩٣٤ .

٧ – عامل شدة الحساسية A factor of hypersensitivity (موسيه ١٩٣٧ ، جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٤ . ريبرن وتايلور Reyburn & Taylor ١٩٣٩ ، وود رو ١٩٣٩) .

ويقول ولفل إن التحليل العاملى يزودنا بأداة تحليلية قوية لفصل المتغيرات العامة للشخصية الإنسانية ، ولكن فقط إذا استخدم مع استبصار نفسى جيد وارتبط بمهارة البحث الاكلينيكى . فكثير جداً من الدراسات العاملية قد أغفلت حقيقة أن دلالة وثبات العوامل التى سوف تكتشف ، تتوقف على المعانى السيكلوجية للسمات التى تقاس، فأفضل الأدوات الإحصائية لايمكنها أن تدخل المعنى السيكلوجى إلى مجموعة من المقاييس لا معنى لها أو ليست مناسبة سيكلوجياً .

وليس ثمة شك أن حركة القياس العاملى قد قطعت شوطا أبعد بكثير عما وقف عنده ولفل خلال ربع القرن الأخير على نحو ما يتجلى فى الدراسات العاملية الواسعة النطاق التى قام بها كاتل ومساعدوه ، وتلك التى قام بها ايزنك ومساعدوه على نحو ما سبق أن أشرنا فى موضعه .

الباب الثاني

قياس الشخصية

تقديم

أهمية القياس :

يستند التقدم العلمي إلى دخول أساليب القياس والتجريب في مجالات البحث المختلفة . فعلم الطبيعة مثلا لم يحرز هذا التقدم الهائل إلا بعد أن أقام نظرياته على أساس من البحث والدراسة الكمية والناظر في تاريخ تطور المنهج العلمي ، يلاحظ أن النظريات التي ظلت قائمة هي تلك التي استندت إلى الملاحظة الدقيقة والتجربة والتي درست العلاقات بين الظواهر المختلفة . حقيقة كانت هناك نظريات عديدة ظهرت قبل إستخدام القياس والتجريب ، وهذه قد تشترك في التسمية فقط مع نظائرها التي أقيمت على أساس القياس والتجريب. ولكنها تعد مع ذلك نظريات فلسفية أكثر منها علمية . فلقد تحدث فلاسفة اليونان القدامى من أيام ديمقريطس عن الذرة ، ولكن أفكارهم ظلت مجرد تأملات فلسفية فحسب ، ولم تصبح جزءاً من العلم إلا في العصور الحديثة عندما اخضعها العلماء إلى اساليب البحث العلمي الدقيق .

وإذا كان القياس والتجريب قد عرف طريقه إلى العلوم الطبيعية من وقت مبكر ، فإن علم النفس والعلوم الإنسانية تعتبر بوجه عام حديثة العهد بهما . ولعل مرجع ذلك هو صعوبة إخضاع الظاهرة الإنسانية للتجربة والقياس. على عكس ما عليه الحال بالنسبة للمادة موضوع علم الطبيعة . ولقد كان علم النفس خلال الخمسين سنة الأولى من هذا القرن مزيجا من التعاليم والأفكار الفلسفية الشائعة ، وكانت نظريات التربويين والباحثين في مجالات التعلم والتحليل النفسي تفتقر إلى استخدام مثل هذه الاساليب العلمية الدقيقة . وقد [illegible] أننا منذ عهد قريب نستجيب إلى الدعوة بضرورة إخضاع الظواهر النفسية [illegible] نتائجها معالجة كمية .

ولعل هذا الجمع بين النظرية والتجربة من الأسباب التى دفعت علم النفس خطوات سريعة إلى الأمام . فبدلا من الاكتفاء بالتأملات الفلسفية التى لاتستند إلى التجربة ، أصبحنا اليوم نقيم دراستنا على أسس علمية تجريبية وهذا الجمع بين النظرية والتجربة يذكرنا بالقول المشهور للفيلسوف الألمانى كنت : التجربة بدون نظرية عمياء ، والنظرية بدون تجربة عرجاء .

وإذا كان هدفنا الأساسى هو دراسة الشخصية سواء بقصد البحث النظرى أو بقصد التطبيق الناجح فى مجالات الحياة المختلفة ، فإن الأمر يتطلب منا وضع أدوات وأساليب تساعدنا على الدراسة الدقيقة والتشخيص الجيد للشخصية . وقد بدأ علم النفس فى وضع الأدوات والوسائل التى احرز بواسطتها تقدما سريعاً إلى الأمام . ومن الواضح أن استخدام بعض هذه الوسائل قد دفع علم النفس دفعة قوية فى سبيل التقدم العلمى حتى أن البعض يذهب إلى القول بأن إستخدام الطرق الإحصائية المتعددة المتغيرات – والتى من أهمها التحليل العاملى – لا يقل أهمية عن استخدام الميكرسكوب فى علوم الحياة . وليس من شك أيضاً أن ظهور الاختبارات المختلفة والوسائل المستحدثة فى دراسة الشخصية ، قد أفاد كثيراً فى مجالات عديدة سواء فى مجالات البحث النظرى البحت أو فى مجالات العمل الإكلينيكى أو غيرها من المجالات كالتوجيه المهنى والتربوى والاختيار والتى تطبق اساليب القياس النفسى على نطاق واسع .

ولقد لقيت فكرة القياس واستخدامها فى مجالات علم النفس المختلفة ، القبول لدى الغالبية العظمى من علماء النفس فى المجالات المختلفة كالتعلم والفروق الفردية والميول والاتجاهات والقيم وغيرها ومن هنا ، بدأ علماء النفس فى وضع الاختبارات التى تستخدم كادوات للقياس والتى بواسطتها يمكن الوصول إلى نتائج تجريبية وكمية ، يمكن أن تعالج معالجة رياضية وإحصائية على نحو ما حدث فى فروع العلم الأخرى .

ونظرة إلى تطور حركة القياس النفسى تشير إلى أن مقاييس الشخصية ظهرت متأخرة إذا قورنت بغيرها من المقاييس فى المجالات الأخرى لعلم النفس. فقد بدأ القياس فى مجالات الإدراك والتذكر والنسيان والتفكير وغيرها منذ أيام فنت وفشنر. وبدأت أساليب العلم الطبيعى تظهر واضحة فى دراسة العلاقة بين المثيرات الطبيعية والاستجابات الحسية وفى دراسة العتبة الفارقة على نحو ما هو معروف فى هذا الفرع من العلم الذى سمى باسم «السيكوفيزيقا». ثم أخذ القياس يشق طريقه بعد ذلك فى الدراسات الخاصة بعلم النفس الفارق على نحو ما ظهر فى دراسات جيمس ماكين كاتل فى الفروق الفردية فى زمن الرجع. ثم اتسع مجال القياس بعد ذلك فى دراسة الذكاء والقدرات العقلية على نحو ما اتضح فى دراسات بينيه وترمان وسبيرمان وثورنديك وثرستون وغيرهم. وكل هذه الدراسات أثرت تأثيراً واضحاً فى تطور ونمو حركة القياس النفسى إلى أن وصل إلى حالته الراهنة.

وإذا كان القياس فى الشخصية قد ظهر متأخراً نسبياً بالقياس إلى بقية فروع علم النفس الأخرى، فما ذلك إلا لتعقد مجال الشخصية ككل، وكثرة الأبعاد والمتغيرات التى يمكن أن تخضع للدراسة والتى يمكن فى ضوئها وصف الشخصية. ثم إلى نظرة الباحثين أنفسهم إلى إمكان أو عدم إمكان إخضاع الشخصية ذاتها للقياس. ولقد خضعت الشخصية أخيراً إلى وسائل القياس المختلفة وأخذ علماء النفس يحسون بضخامة المشكلة التى تواجههم. ومن ثم أصبحوا يهتمون بضرورة تطوير أدوات القياس وإخضاعها لأساليب البحث العلمى الدقيق حتى تصبح الصورة التى نضعها عن الشخصية أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

طرق دراسة الشخصية :

هناك تصنيفات عديدة لأدوات ووسائل قياس الشخصية ، وهذه التصنيفات تقوم على أسس منطقية كثيرة منها :

١ — حسب النظريات التى تكمن وراء الطريقة المستخدمة فى القياس (كأن تكون مستمدة من التحليل النفسى أو التحليل العاملى أو النظرية السلوكية وغيرها) .

٢ — حسب مناطق الشخصية المراد دراستها (سمات . أفكار . قدرات خيالات ، وظائف معرفية أو حركية) .

٣ — حسب نمط المثير الذى يعرض على المفحوص (ورقة وقلم ، أجهزة مادة متشكلة فى مقابل مادة غامضة غير متشكلة) .

٤ — حسب نمط الاستجابة المطلوبة (اختيار مقيد بين متغيرين ، اختيار بين أشياء متعددة ، استجابات غير موجهة أصلا كما هو الحال فى كتابة تاريخ الحياة) .

٥ — حسب ظروف الإجراء (فى المعمل أو فى الفصل أو فى مواقف الحياة العادية) .

٦ — حسب أسس التعليمات (سواء كانت الاداة مقننة أو غير مقننة . موضوعة على أساس عقلى صرف أو على أساس تجريبى) .

٧ — حسب طريقة التفسير (مفصلة أو غير مفصلة ، كمية أو وصفية محددة بسمة واحدة أو كلية) .

٨ — حسب الأهداف التى تخدمها الإختبارات (إختيار أو إنتقاء موظفين ، توجيه مهنى ، توجيه تربوى ، أغراض إكلينيكية) .

وهناك مبادىء أخرى تفيد كأساس للتصنيف . ولكن الصعوبة فى مثل هذه التصنيفات أنه إذا اتخذنا أحد المبادىء السابقة كأساس للتصنيف ، فإننا

نغفل المبادىء الأخرى والتى لا تقل أهمية عن هذا المبدأ الذى اتخذناه أساساً للتصنيف .

ومن المرغوب فيه عادة أتخاذ صورة مبسطه قدر الإمكان للتقسيم .

وقد اقترح روزنزفيج تقسيما يشتمل على النواحى الآتية : طرق ذاتية وطرق موضوعية وطرق اسقاطية .

أما الطرق الذاتية فيندرج تحتها آية صورة من التقارير التى يكتبها الفرد عن نفسه سواء كان كتابة تاريخ حياة أو تقدير الذات أو ما يقرره عن نفسه فى مقابلة أو عن طريق اختبار ورقة وقلم لدراسة الشخصية .

أما الطرق الموضوعية فتشتمل على المقاييس الفسيولوجية ، كما تشمل السلوك على نحو ما نلاحظه فى المعمل أو فى مواقف الحياة اليومية والتقديرات التى نصل إليها باستخدام الاختبارات والتجارب المختلفة .

أما الطرق الاسقاطيه فيندرج تحتها أنواع ثلاثة : حركية - تعبيرية (لفتات وكتابة) ، مواد إدراكية متشكلة إلى حد ما (كاختبار رورشاخ) أو ديناميات تفهمية (تفسير الصور ، تداعى الكلمات) .

ورغم بساطة تقسيم روزنز فيج ، فإن التصنيف المناسب لإختبارات الشخصية يكون أفضل إذا نظر إليه من حيث هو نظام ملائم ومفيد أكثر منه نظاما منطقيا غير متداخل . ولذلك يمكن أن نتخذ التقسيم التالى كتقسيم ملائم ومفيد لدراسة جوانب الشخصية . وهذا التقسيم هو :

١ - اختبارات الميول والإتجاهات .

٢ - اختبارات الشخصية .

٣ - الاختبارات الاسقاطية .

٤ - أختبارات الأداء .

ويمكن أن يندرج تحتها أيضا أقسام أخرى كالطرق التعبيرية الاكلينيكية وغيرها .

الفصل الحادي عشر

مقاييس الميول والاتجاهات

أولا : مقاييس الميول :

عرف جيلفورد (١) الميل بأنه نزعة سلوكية عامة لدى الفرد للإنجذاب نحو نوع معين من الأنشطة ويعنى بقوله « نزعة سلوكية عامة » أنه ليس شيئا أكثر من كونه سمة عامة . كما يعنى « بالإنجذاب نحو » أن الفرد يهتم به ، أو يتجه نحو ، أو يبحث عن ، أو يهدف إلى الحصول على شيء له قيمة كامنة بالنسبة له . وكون الفرد ينجذب نحو أنشطة معينة معناه أن الميل أقرب إلى أن يحدد ما يفعله الفرد ، أكثر مما يحدد كيف يفعله .

وتعريف الميل على هذا النحو يضعه فى المجال العام للدوافع . فالميول — كالحاجات والاتجاهات — تكون نوعا من السمات التى يمكن أن يطلق عليها دينامية أو دافعية .

ومن المحتمل أن تكون دراسة الميول قد وجدت الدفعة القوية من الإرشاد المهنى والتربوى . فعملية تطور الاختيارات المهنية ونموها ، ربما ترجع إلى عملية الإختيار المهنى والتصنيف . فسواء من وجهة نظر العامل أو صاحب العمل أو المؤسسة ، فإن ميول الفرد واهتماماته تلعب دوراً كبيراً فى نجاحه فى العمل الذى يقوم به . فالتحصيل هو محصلة القدرة والميل . ورغم ارتباط

---

(1) Guilford., F. P : Personality · Nw. yeork Mc Graw - Hill Book Co. Inc. 1956

القدرة والميل ايجابيا ، فإن المستوى العالى فى احدهما لا يتضمن بالضرورة مستوى عالياً فى الآخر. فالفرد قد تكون لدية القدرة الكافية للنجاح فى نشاط معين تربوى أو مهنى أو ترويحى ولكن ليس لديه الميل المقابل . وقد يكون لديه الميل ولكنه يفتقر إلى القدرات اللازمة . ولذا ، فإن قياس كلا المتغيرين يسمح لنا بالتنبؤ بصورة أكثر فاعليه ودقة لاداء الفرد مما لو اقتصرنا على أحدهما دون الآخر ،

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الطريقة المناسبة والمباشرة لتحديد الميل هى أن نسأل الفرد عن ميله. لكن البحوث سرعان ماأوضحت أن الإجابات عن الأسئلة المباشرة للميول غالبا ماتكون سطحية وغير واقعية ولا يوثق بها ، كما أنها لا تمثل الميل الحقيقى للفرد (١) . ذلك أن تقييم الميول الشخصية لفرد ما يتطلب استبصاراً وخبرة ملحوظة قد لاتتوفر لديه . فكثير من الناس ليست لديهم المعرفة الكافية بالمهن أو الموضوعات أو الأنشطة المختلفة التى يريد القيام بها ومن ثم ليست لديهم القدرة على الحكم ما اذا كانوا يحبون او لايحبون بالفعل كل ما يتضمنه اختيارهم . أما التقديرات التى يقوم بها الآخرون فلها قيمتها بشرط أن يقوم المقدرون بملاحظة الشخص فترة كافية من الزمن . ولكن ـ كقاعدة عامة ـ فإن مثل هذه التقديرات تكون ذاتية وتفتقر إلى الصدق . ولذا بدأعلماء النفس فى وضع مقاييس موضوعية لقياس الميل شأنه فى ذلك شأن الجوانب الأخرى للشخصية.

وثمة نواحى عديدة تساعد فى الكشف عن قوة الميل لدى الفرد بالنسبة لموضوع من الموضوعات ؛ نذكر منها :

---

(1) Anastasi , Anne : Psychological Testing, New york· The Mac Millian Compay 3rd Eed · 1968 ·

١ — المعلومات أو المعرفة : من الممكن أن يتخذ مدى معرفة فرد ما بموضوع من الموضوعات كمقياس لميل الفرد نحو هذا الموضوع . فلو فرضنا أن لدينا عدداً من الموضوعات وكان الفرد أكثر الماما بإحداها ، كان ذلك بمثابة دليل على ميله لهذا الموضوع .

٢ — التداعي الحر أو المقيد : عند استجابة فرد ما لكلمات مختارة اختياراً جيدا ، فإن طبيعة وتكرار استجابات التداعي قد يكشف عن نمط الميل السائد لدى الفرد .

٣ — التفضيل : الحب أو الكراهية : قد يطلب من الشخص ترتيب قوائم فقرات أو وحدات تعرض عليه بحيث لا يكون القصد من ذلك واضحا للمفحوص . وقد تتضمن هذه صورا من الترويح أو الواجبات الخاصة أو الموضوعات المدرسية أو الكتب وما أشبه ذلك . وتتخذ استجابات الفرد المعبر عنها وترتيبه لها وتفضيله لبعضها كمقياس للميل .

٤ — الجدول الزمني : تسجيل توزيع كامل للفترات الزمنية التي يكرسها الفرد لنواحي النشاط المختلفه واشكال الترويح مما يكشف عن أنماط ميل الفرد . وقد يكون هذا النوع من الأدلة من أنسب الأشياء التي يمكن القيام بها لدراسة الميل عند صغار الأطفال .

٥ — ملاحظة السلوك : يلاحظ سلوك الفرد بدقة وكذلك أنواع قراءاته واتصالاته بالآخرين وسرعة التشتت والانتقال من عمل لآخر .

وقد يلجأ الباحث عند تقييم ميل فرد ما إلى أكثر من طريقة . فقد يتخذ الباحث مثلا الملاحظة والجداول الزمنية معا كوسيلة لتقييم ميول الأطفال .

وقد اختصت الميول المهنية والتفضيل المهني — أي الترتيب النسبي لميل

الشخص بالنسبة لعدد من المهن ـ بعدد كبير من المقاييس . وغالبا ما يكون الهدف منها هو الاستخدام فى عملية الارشاد والتوجيه التربوى والمهنى . ويقوم تطبيق مثل هذه الاختبارات على افتراض أن الشخص ـ مع تساوى جميع النواحى الأخرى ـ سوف يكون أكثر توافقاً مع المجموعة التى نمط اهتمامهم وميلهم السائد ، يشبه نمط اهتمامه وميله السائد . ومع التوسع الهائل فى النواحى المهنية أصبحت مقاييس الميل المهنى تستخدم كوسائل هامة ومفيدة وظهرت اختبارات كثيرة أصبح لبعضها شهرة عالمية ويستخدم على نطاق واسع فى عمليات التوجيه والارشاد والاختيار . وبقصد التعريف ببعض هذه الاختبارات سوف نشير إلى عدد منها :

اختبار الميول المهنية لسترونج: Strong Vocational Interest Test

الهدف الأساسى من الاختبار هو الكشف عن مدى اتفاق ميل فرد ما ، مع ميول الأفراد الآخرين الذين يشتغلون بمهنة معينة أو الذين بلغوا فيها درجة النجاح ، وكذلك الكشف عن مدى الاتفاق بين ميل هذا الفرد وميول الرجال بصورة عامة أو ميول النساء بصورة عامه (الذكورة ـ الأنوثة) .

وكان الفرض الذى أقام عليه سترونج دراسته التى انتهت بوضع اختبار الميول المهنية هو أن المجموعات المهنية ـ فى ضوء ميولهم وحبهم وكراهيتهم ، تفضيلهم أو عدم تفضيلهم ـ يمكن أن تتميز إحداها عن الأخرى . بمعنى أن أعضاء مجموعة مهنية ما (ولتكن الكيميائيين مثلا) سوف تكون لهم مجموعة من الأشياء التى يحبونها أو يكرهونها ، يفضلونها أو لا يفضلونها ، والتى تختلف عن تلك التى يميل إليها أو لا يميل إليها أعضاء مجموعه مهنيه أخرى مغايرة (كالمحامين مثلا) . ولإثبات هذا الفرض ، قام سترونج بمقارنة ميول مجموعات مهنية مختلفة ، لا مباشرة إحداها مع الأخرى ، وإنما بما أسماه

« الأشخاص عامة » ، فمثلا قارن ميول المحامين بميول الناس عامة ، وقارن ميول الكيميائيين بميول الناس عامة . ووجد أنه ليس فقط تختلف ميول المحامى والكيميائى عن ميول الإنسان عامة بل وأيضا بدرجات مختلفة كذلك ، مما يكشف أيضاً عن اختلاف إحدهما عن الأخرى .

وقد إتبع سترونج فى وضع مقاييس كل مجموعه مهنية الخطوات الآتية .

١ — تطبيق الاختبار على عينة من الأفراد ممثلة لمهنة من المهن ، وعلى عينة أكبر من « الناس عامة » .

٢ — تحديد عدد الذين أجابوا بأنهم يحبون أوجه النشاط المعينة أو الذين لا يهتمون بها أو لا يحبونهـــا وذلك بالنسبة لكل فقرة من فقرات الاختبار .

٣ — يحسب تكرار كل وحدة فى هذه القوائم الثلاثة وتحول هذه الأعداد إلى مئينات .

٤ — مقارنة هذه المئينات بتلك المأخوذة من الأشخاص عامة والذين أجرى عليهم الاختبار .

٥ — وبواسطة معادلة أو رسم بيانى مناسب . تعين أوزان الفقرة التى تعكس مـــدى الفرق بين مئينـات المجموعة المهنية ومجموعة الأشخاص عامة .

واختبار الميول المهنية لسترونج له صورتان : صورة خاصة بالميول المهنية للرجال Vocational Interest Blank for Men . وصورة خاصة بالميول المهنية للنساء Vocational Interest Blank for Women . قد أعـــد الدكتور عطيه محمود هنا الصورة الخاصة بالميول المهنية للرجال بالاختبار

يتكون من ٤٠٠ فقرة (١) مصنفة على النحو التالى :

١٠٠ فقرة تتصل بالمهنة و ٣٦ فقرة تتصل بالمواد الدراسية و ٤٩ فقرة تتصل بأنواع التسلية و٤٨ فقرة تتصل بنوع النشاط و ٤٧ فقرة تتصل بأنواع الناس و ٤٠ فقرة تتصل بالمفاضلة بين أنواع النشاط و ٤٠ فقرة تتصل بالمقارنة بين الميل إلى عملين و ٤٠ فقرة تتصل بالقدرات الراهنة .

وفى الأقسام الخمسة الأولى يطلب من المفحوص أن يضع علامة (✓) تحت الخانة الموضحة إلى جانب الفقرة والتى تشير إلى ما إذا كان يحب المهنة أو المادة الدراسية أو نوع التسلية أو نوع النشاط أو نوع الشخص الذى يسأل عنه أو لا يحبه أو لا يهتم به . أما فى القسم الخاص بالمفاضلة بين أوجه النشاط فيطلب من الشخص (فى كل من المجموعات الأربعة التى يتكون منها هذا القسم والتى تحتوى كل مجموعة منها على ١٠ أنشطة) يبين الأنشطة الثلاثة التى يفضلها أكثر من غيرها من أوجه النشاط العشرة . والثلاثة التى يفضلها أقل من غيرها ثم الأربعة الباقية التى تبقى محايدة . وفى الجزء السابع الخاص بالمقارنة بين الميل إلى عملين مثلا بين سائق سيارة عامة ومحصل فى سيارة عامة فإن الشخص فى هذه الحالة عليه أن يبين هل يفضل الأول أو لا يفضل أحدهما على الآخر أم يفضل الثانى . وأخيراً فى الجزء الثامن الخاص بتقدير القدرات والصفات الشخصية ، فعلى المفحوص أن يبين ما إذا كانت كل فقرة من الفقرات الأربعين التى يشتمل عليها هذا القسم يمكن أن تنطبق عليه أو لا تنطبق عليه أو أنه غير متأكد .

وعلى الرغم من أن الهدف الأساسى لسترونج هو التنبؤ عن الملاءمة لمهن

---

(١) تعبر أنستازى فى كتابها الاختبارات النفسية الطبعة الثالثة ١٩٦٦ أن الصورة السائدة من اختبار الميول المهنية والتى نشرت ١٩٦٦ تتكون من ٣٩٩ فقرة تتوزع على الأقسام الثمانية التى يتكون منها الاختبار .

معينة ، فإن اختباره قد استخدم أيضا للحصول على وصف عام للشخص موضوع الدراسة . ومثل هذا الوصف يتطلب تنظيم الاستجابات فى ضوء سمات ذات معنى سيكلوجى . وقد أدى التحليل العاملى للمفاتيح المهنية إلى مجموعة من السمات الوصفية لاختبار الميول المهنيه لسترونج . وقد أوضح التحليل العاملى التجمعات التالية للميل المهنى للرجال .

المجموعة الأولى : إبداعى — علمى : فنان عالم نفس . معمارى . عالم طبيعة . طبيب أسنان .

المجموعة الثانية : فنى : عالم رياضة . طبيب . مهندس . كيميائى .

المجموعة الثالثة : مدير إنتاج .

المجموعة الرابعة : فنى على مستوى مهنى أقل . فلاح . نجار . عامل طباعة . مدرس رياضيات — علوم . رجل شرطة .

المجموعة الخامسة : Uplift : مدير مستخدمين . مدرس علوم اجتماعية . ناظر مدرسة . وزير .

المجموعة السادسة : موسيقى .

المجموعة السابعة : محاسب عام مؤهل .

المجموعة الثامنة : أعمال تفصيلية : محاسب . موظف مسئول . وكيل المزايدات . رجل أعمال بنوك .

المجموعة التاسعة : اتصالات العمل : مدير مبيعات . بائع بوليصات تأمين الحياة .

المجموعة العاشرة : لفظى : رجل إعلان . محام . محرر صحف .

المجموعة الحادية عشرة : رئيس مجلس إدارة مؤسسة أعمال .

ملاحظة أن المجموعات ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١١ تحوى عنصراً واحداً فقط .

وتفسير هذه التجمعات صعب على الرغم من أن كثيراً من العلاقات التي توصف ، يمكن أن يقبلها الفهم العادى بسهولة .

وقد أجريت دراسات عاملية عديدة لوضع أساس أكثر قوة للتصنيف . ولعل محاولة ثرستون (١٩٢٢) فى هذا الصدد تعد الأولى . فقد قام بتحليل ١٨ مقياسا من مقاييس سترونج ووجد أن معاملا الارتباط يمكن أن تفسر فى ضوء أربعة عوامل سماها : ١ — الميل للعلم ، ٢ — الميل للغة ، ٣ — الميل للناس و ٤ — الميل للعمل .

وقد قام سترونج بأربع دراسات عاملية (١٩٤٣) تقوم على ٢٥ ، ٣٠ ، ٢٢ ، ٣٦ متغيراً على التوالى . وقد كشفت هذه الدراسات عن اتفاق ظاهر الواحدة مع الأخرى ومع نتائج التحليل العاملى التى قدمها ثرستون .

المقاييس غير المهنية : وبالإضافة إلى المقاييس المهنية ، فإن اختبار الميول المهنية يقدم أربعة مقاييس غير مهنية تشتمل على : مقياس نضج الميل ، مقياس الذكورة — والأنوثة ، مقياس المستوى المهنى ومقياس التحصيل الأكاديمى . وسوف نلقى نظرة سريعة على كل منها .

١ — مقياس نضج الميل : وضع هذا المقياس لتحديد ما إذا كان ميل المفحوص لمهنة ما ناضجا نضج ميول الرجال الناجحين فى هذه المهنة أو أنه غير ناضج مثله فى ذلك مثل ميل الصغار فى هذه المهنة . وقد وضع هذا المقياس أساسا بمقارنة استجابات الأطباء المتخصصين باستجابات مجموعة من الأطباء عامة . وقد وجد بعد ذلك أن هذا المقياس صالح لأن ينطبق على مجالات أخرى للتعرف على الرجال الذين يحبون الدراسات المتقدمة من النوع الذى يتطلب التخصص الدقيق الضيق .

ولقد أوضحت الدراسات التي أجريت على هذا المقياس التغيرات في الميول

فهي رجال تتراوح أعمارهم بين ١٥ — ٥٥ سنة . وأن كثيراً من التغيرات تحدث بين سن ١٥ — ٢٥ سنة إذا قورنت بالتغيرات التي تحدث بعد سن الخامسة والعشرين . وقد وضع مفتاح النضج تجريبياً بمقارنة الاستجابات إلى الفقرات لدى مجموعة من الرجال في سن ١٥ سنة ومجموعة في سن ٢٥ سنة . ومن الممكن التنبؤ من ذلك بأن مقياس نضج الميل يكشف عن أن الميول — على أساس كي — تميل إلى التغير في إتجاه ثابت خلال الفترة بين ١٥ — ٢٥ سنة وأن معظم التغير الذي يحدث خلال الفترة من ١٥ — ٥٥ ، يحدث في حوالي سن الخامسة والعشرين . ولذلك ، فمن الممكن استخدام درجة نضج الميل لمعرفة إلى أي حد وصل ميل الفرد إلى درجة من النضج أو عدم النضج . والدرجة المنخفضة على مستوى نضج الميل تعني أن ميول الفرد غير مستقرة نسبياً وأن من الممكن أن تتغير بدرجة ملحوظة مع تقدم السن بينما الدرجة المرتفعة على هذا المقياس فتعني أن ميول الفرد قد وصلت إلى مستوى ثابت نسبيا وأنه إذا حدث تغير بعد ذلك فالاحتمال أن يكون تغيراً بسيطاً . ومن هنا يمكن القول بأن درجة نضج الميل يمكن أن تفيد من ناحيتين : الأولى معرفة مدى قرب ميل الشخص إلى النضج والثانية معرفه أي المهن يجب أن يتجه إليها أو يهتم بها وأيها لا يهتم بها وذلك بإضافة إلى ما نحصل عليه من درجات المقياس المهني .

٢ — مقياس الذكورة — الأنوثة : وقد وضع هذا المقياس على أساس الفرق في استجابات الرجال والنساء لفقرات اختبار الميول المهنية . فالدرجة التي يحصل عليها المفحوص يمكن أن تتخذ دليلا على ما إذا كانت ميوله أقرب إلى ميول الرجال أو ميول النساء . وقد وجد سترونج أن من المفيد النظر إلى الدرجة على هذا المقياس مع درجاته المهنية ليبين ما إذا كان الفرد يفضل القيام بمهنة تتصف بكثير من الميول الذكرية كالهندسة مثلا أو بمهنة

تتصف بكثير من الميول الأنثية كالصحافة مثلا . فبعض المهن التي يوجد لها درجات ، يمكن أن تصنف بطريقة عامة باعتبارها مهناً ذكريه أكثر ، أو مهناً أنثية أكثر . فإذا كانت درجات الفرد عالية على الوظائف الذكرية وكان مفتاح الذكورة — الأنوثة يشير عامة إلى الميول الذكرية ، اتخذ ذلك بمثابة زيادة توكيد على صدق درجات الميول المهنية . وقد أشار سترونج إلى بعض المهن باعتبارها مهنا ذكرية من ذلك مثلا : المهندس ، المزارع ، طبيب الأسنان . بينما فى المهن الأنثية وجد سترونج الموسيقى ، الفنان ، الصحفى . أما المهن المحايدة (لا هى ذكرية ولا هى أنثية) فمنها عالم الطبيعه ، عالم النفس عالم الرياضه ، المهندس المعمارى . المحاسب .

٣ — مقياس المستوى المهني : وضع هذا المقياس ليقيس الفرق بين اهتمامات وميول العمال غير المهرة وغير الفنيين من ناحيه واهتمامات وميول الرجال الفنيين والمهرة من ناحية أخرى . وقد بنى هذا المقياس على أساس مقابلة استجابات بمجموعة من العمال الفنيين والمهرة بلغ عددهم ٤٧٤٦ بمجموعة من العمال غير المهرة بلغ عددهم ٢٥٨ . فإذا حصل شخص ما على درجة عالية على مقياس المستوى المهني ، كان معنى ذلك أنه يكشف عن بعض النشاط على المستوى الفني العالى أما إذا كانت درجته منخفضة كان معنى ذلك أنه يصلح للاعمال التى على مستوى أقل فى المهارة .

٤ — مقياس التحصيل الأكاديمي : وقد وضع هذا المقياس على أساس مقارنة استجابات مجموعات من طلبة الجامعه وتلاميذ المدارس الثانوية الذين حصلوا على درجات دراسية أكاديمية عالية ومنخفضة على التوالى . وعلى أساس البحوث التى أجريت بعد ذلك تبين أن هذا المقياس يعكس الميول فى الأنشطة العلميه والعقلية فى مقابل الميول فى الأنشطة العملية والتجارية التى تحتاج إلى مهارة .

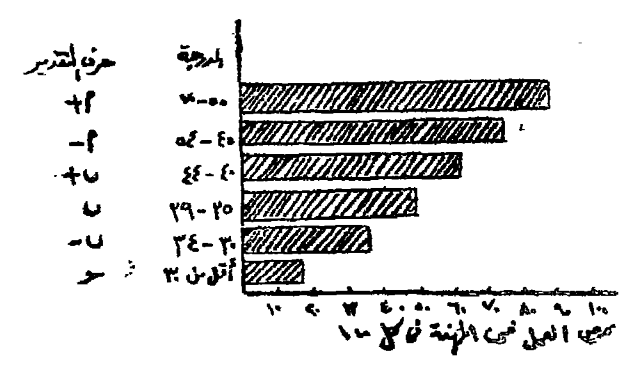
صدق وثبات الاختبار :

خضع اختبار الميول المهنية لسترونج لبرنامج متعدد الجوانب من البحث أدى إلى تقديم معلومات كثيرة عن صدقه وثباته .

فمعاملات الثبات الفردية — الزوجية للمقاييس المختلفة فى الطبعات الأولى أعطت درجة من الثبات حوالى ٨٨ر. . وكان واحد فقط منها حوالى ٨٠ر. كما كان معامل الثبات عن طريق إعادة الاختبار فى المتوسط حوالى ٩١ر. عند تطبيقه على ١٣٩ طالباً مستجداً أعيد اختبارهم بعد أسبوعين وكذلك عندما طبق على ١٠٢ من الكبار أعيد اختبارهم بعد شهر . وقد كشفت الدراسات الطولية التى أجريت على مجموعة من الطلاب عن قدر كبير من الثبات . فكان معامل الثبات عن طريق إعادة الاختبار بعد ثلاث سنوات هو ٦٨ر. ، وبعد ٨ سنوات كان معامل الارتباط عن طريق الإعادة هو ٦١ر. ، وبعد ٢٢ سنة كان معامل الارتباط هو ٦٧ر. ، وبعد ٣٠ سنة كان معامل الارتباط ٥٦ر. وبوجه عام يمكن القول بأن تقديرات الميل يكون على مستوى المدرسة الثانوية أقل ثباتاً . ولكنه يبلغ قدراً ملحوظاً من الثبات فى سن الجامعة (أنستازى .) .

أما بالنسبة للصدق فهناك من الأدلة ما يشير إلى أن الأفراد يميلون إلى القيام بالمهن التى يحصلون فيها على تقديرات مرتفعة فى إختبار الميول المهنية والاستمرار فى هذه الأعمال . وإحدى الدراسات الطولية الممتدة عن هذه العلاقة ، تلك الدراسة التتبعية على مدى ١٨ سنه والتى قام بها سترونج على ٦٦٣ طالبا بجامعه ستانفورد والذين طبقوا الاختبار لأول مرة وهم طلاب جامعه . والشكل الآتى يلخص النتائج الأساسيه لهذه الدراسه فى صورة خريطه توقع أو احتمال . فهناك احتمال أن ٨٨ شخصاً من كل ١٠٠ حصلوا على ٥٥

درجة أو أكثر فى مقياس مهنى معين ، أن يعملوا فى هذه المهنة ، بينما هناك احتمال أن يعمل ١٧ فقط من كل ١٠٠ حصلوا على أقل من ٣٠ درجة فى هذه المهنة . (١)



خريطة توضح تكشف عن درجات طلاب الجامعة فى اختبار الميول المهنية لسترونج وفرص الالتحاق والبقاء فى هذه المهنة لمدة ١٨ سنة بعد ذلك

أهمية اختبار الميول المهنية لسترونج :

لخص فيرجسون (٢) أهمية هذا الاختبار فى النقاط الأربعة التالية :

١ — التوجيه التربوى　　　٢ — التوجيه المهنى
٣ — الاختيار المهنى　　　٤ — البحث

١ — التوجيه التربوى : ويهتم أساسا بالمساعدة التى تقدم للطلاب فى اختيار نوع الدراسة الملائمة لهم والتى يلتحقون بها والتكيف لها والتغلب على الصعوبات التى تعترضهم فى دراستهم وفى الحياة المدرسية بوجه عام . فقد يجد الطالب الذى يلتحق حديثاً بالجامعة والذى لم يقرر بعد أى الدراسات يمكنه

---

(1) Strong E. K. Jr. & Campbell D. P. : Manual of Strong Vocational Interest Blanks. Stanford, Calif. Stanford University Press 1966. p. 44.

(2) Ferguson, W. Leonard : Personality Measurement. New York, Mc Graw Hill Book Company Inc. 1952.

يتجه إليها أو يدرسها ، فى درجات اختبار الميول المهنية لسترونج أكبرعون بالنسبة له . فإذا كشفت درجات الاختبار على أن ميول شبيهة بميول المحامين الناجحين مثلا ، فإن من الممكن أن يتخذ من ذلك ما يحفزه إلى دراسة مادة أو مادتين من مواد الدراسات القانونية ليرى ما إذا كان يحبها . فإن سار فيها كان من الممكن أن تصبح درجات سترونج دليلا على أنه يسير فى الاتجاه الصحيح.

وقد يتخذ الفرد فى مثل هذه الحالة أحد سبيلين : إما أن يسير فى الاتجاه الذى كشفت عنه درجات الاختبار أو أن يتخذ سبيلا مضاداً. فالشخص يجب ألا يسير سيراً أعمى وفق ما تعطيه درجات الاختبار وإنما يجب عند اختيار السبيل البديل من أن تكون لديه الأسباب القوية التى تدفعه إلى ذلك .

٢ — التوجيه المهنى : وقد يحدث أحياناً — وإن لم يكن دائما — أن يكون الطالب الذى اقترب من نهاية المرحلة الجامعية لم يقرر بعد نوع العمل الذى رغب القيام به . وعلى ذلك ، فبالرجوع إلى تقديرات الفرد على اختبار الميول المهنية لسترونج ومع النظر فى الاعتبارات الأخرى المحيطة به — يمكنه أن يتخذ الفرد رأياً فى هذا السبيل . وكما سبق أن أوضحنا إما أن يقبل الطالب البيانات التى قدمها الاختبار أو أن يغفلها . ومع ذلك ، فإن من الأنسب أن يقتحم الطالب المجال الذى حصل فيه على تقديرات عالية وأن يفكر كثيراً قبل أن يقتحم مجالا من المجالات التى حصل فيها على تقديرات منخفضة على الاختبار ، كأن تكون لديه من المبررات القوية ما يجعله يحجم عن دخول مجال أو يقوم بمهنة حصل فيها على تقديرات مرتفعة أو تجعله يدخل مجالا أو يقوم بمهنة حصل فيها على تقديرات منخفضة .

إن ما يحصل عليه الطالب من اختبار الميول المهنية لسترونج هو معرفة ما إذا كانت ميوله — أى حبه أو عدم حبه ، تفضيله أو عدم تفضيله — تتفق أو لا تتفق وميول الأشخاص الناجحين فى مهن معينة . فمثلا يبين الطالب

ما إذا كانت ميوله تشبه أو لا تشبه ميول المحامين أو المهندسين أو علماء النفس أو رجال المال الناجحين فى مهنهم وهكذا . ونظرية سترونج التى دعمتها الحقائق التجريبية التى عكف على جمعها ما يزيد على ربع قرن ، هى أنه مع ثبات العوامل الأخرى كالقدرة مثلا ، فإن الشخص سوف يكون أكثر سعادة وبالتالى أكثر نجاحاً فى مهنة ما ، يجد فيها العدد الكبير من الرجال الذين تتفق ميولهم مع ميوله . وليس معنى ذلك بالطبع أن الشخص لا يمكن أن يكون ناجحاً فى عمل ما إذا كانت ميوله تختلف عن ميول هؤلاء الذين يشاركونه العمل . ولكنه قد يبدو منطقيا أنه سيكون أقل سعادة فى مثل هذا العمل مما لو كان هناك عدد كبير من الناس يشاركونه هذه الميول .

وهناك نقطة يجدر الإشارة إليها وهى أن اختبار الميول المهنية لسترونج لا يعطى أى دليل على القدرة لدى الفرد . فهذه القدرات إنما تكشف عنها اختبارات القدرات أو اختبارات الذكاء . وإذا أوضح اختبار الميول المهنية أن الطالب تشبه ميوله ميول المهندسين الناجحين ، بينما تكشف اختباراته القدرات ضعف مستواه فى القدرة الرياضية ، فالأجدر به فى هذه الحالة أن يبحث له عن مهنة أخرى غير الهندسة . أو إذا كانت لديه القدرة ودرجة الذكاء التى تسمح له بالعمل فى مجال الهندسة أو فى مجال القانون ، ثم كشف اختبار الميول المهنية عن درجة عالية فى الميل مع المهندسين الناجحين ودرجة منخفضة فى الميل مع المحامين الناجحين ، فعلى الطالب ان يفكر جيداً فى الاتجاه نحو الهندسة ، ولا يأخذ الاتجاه البديل إلا إذا كانت لديه المبررات القوية التى تدفعه إلى هذا الاتجاه .

٣ — الاختيار المهنى : وضع اختبار سترونج أساسا كوسيلة تساعد طلاب الجامعة على تقرير أو اختيار الدراسة أو المهنة المناسبة . وإذا كان الاختبار يؤدى هذه الوظيفة ، فمن المعقول أن يفيد أيضا فى المساعدة فى

اختبار المتقدمين الجدد للمهنة التي يمكن أن يكشف عنها الاختبار. وإذا كان الاختبار يساعد طالب الجامعة على أن يقرر أن مادة الكيمياء مثلا هي المادة التي تتفق وخط العمل الذي يجب أن يسير فيه ، فمن المعقول أيضا أن يستخدمه الكيميائيون كوسيلة لاختيار المتقدمين لشغل وظائف في مجال الكيمياء .

وعندما يستخدم اختبار سترونج من أجل التوجيه التربوي أو المهني ، وجب استخدام المعايير التي زودنا بها سترونج . ومع ذلك فعند استخدام الاختبار لأغراض الاختيار المهني ، وجب أن نحصل على مادة جديدة ومعايير جديدة للصدق . وهذا أمر ضروري لبيان ما إذا كان الاختبار سيفيد أو لا يفيد من أجل تحقيق هذا الغرض . فمن الممكن أن يكون الاختبار صادقاً في اختيار موظفي شركة ما وغير صادق في اختيار موظفي شركة أخرى . وفي هذا لا يختلف أختبار الميول المهنية لسترونج عن غيره من الاختبارات الأخرى . فمن الضروري أن يعاد تقنين صدقه من جديد في كل موقف يراد استعماله فيه .

٤ — البحث :

أفاد اختبار الميول المهنية لسترونج في دراسة هذا المجال الذي تغطيه الميول وقد قام سترونج نفسه بعدد كبير من البحوث في هذا الصدد . ويمكن أن نشير إلى بعض مجالات البحث التي يفيد فيها الاختبار :

١ — فنحن نعرف الآن الكثير عن تغير الميول مع السن وأهمية ذلك في التوجيه المهني .

٢ — نحن نعرف الآن الكثير عن كيفية مقارنة اهتمامات وميول الجماعات المهنية المختلفة أحداهما بالأخرى مما يزيدنا بصيرة في عملية التوجيه المهني .

٣ — نحن نعرف الآن أن المجموعات المهنية الأعلى والأدنى تختلف من ناحية الميول . وعلى ذلك ، فمن خلال الميول يمكن أن نقول شيئا ، ليس فقط عن الاتجاه الذى يمكن للشخص أن يوجه جهوده نحوه ، بل وأيضا أن نقول شيئا عن مستوى المهنة الذى يهدف بلوغه .

٤ — نحن نعرف الآن شيئا عن مدى ارتباط ميول معينة بسمات شخصية معينة وبالذكاء والقدرات المختلفة وهكذا ، فإن الميول تكون جزءاً محدداً من الشخصية يمكن قياسه ، ولا يدرس بشكل مناسب بالأنواع الأخرى من اختبارات الشخصية .

اختبار التفضيل المهنى لـ « كودر » :

وهذا الاختبار وضع بعد اختبار سترونج . وقد اتبع فيه كودر أسلوباً مختلفاً فى اختيار وتقديرات الفقرات . وإذا كان إختبار الميول المهنية لسترونج يمثل اتجاها تجريبيا أو اختباريا فى بناء المقياس ، فإن اختبار التفضيل المهنى لكودر يمثل اتجاها عقليا يقوم على أسس نظرية محددة ويتجه نحو أهداف معينة دون الاستناد إلى الخبرة أو الحقائق المشتقة منها .

وقد لاحظ كودر أن اختبار سترونج من الاختبارات التى تحتاج إلى وقت طويل وجهد ، وأن وضع مقاييس مهنية تغطى المهن المختلفة الموجودة حاليا ، أمر يكاد يكون من المستحيل على إنسان القيام به . فقد استغرق سترونج ما يزيد على خمس وعشرين سنة فى وضع ٦٠ مقياساً إضافياً تغطى جانباً محدوداً من الآف المهن الموجودة . كما لاحظ أيضاً أن بعض المقاييس الموضوعة لقياس مهن معينة يرتبط أحدها بالآخر ارتباطا عالياً . ومعنى ذلك أن النتائج التى نحصل عليها من معرفتنا بدرجات الفرد على أحد المقاييس لن تزيد كثيراً عن معرفتنا بدرجاته على المقياس الآخر . فليس ثمة كسب كبير يمكن أن يعوض

الجهد والوقت الذى يبذل فى وضع المقياس ، والقيام بتقديره بعد ذلك ، ومن هنا ، كان من أحد أهداف كودر أن يؤكد منذ البداية أن أى مقياس جديد يجب الا يرتبط بمقياس آخر سبق وضعه ارتباطا عاليا ، حتى لا نكرر النتائج التى سبق الوصول إليها من قبل . فهو يريد مقاييس لا يرتبط إحداهما بالآخر . وعند اختياره للفقرات وتقنين الاختبار ، استخدم كودر الوصف السلوكى (الصدق الظاهرى) والتحليل الاحصائى من أجل الوصول إلى تجمعات يكون الارتباط الداخلى بين فقراتها عاليا ، بينما يكون ارتباطها فيما بينها منخفضا ومن هنا جاء اختباره يؤكد استقلال المجموعات إلى حد كبير بعضها عن بعض . ولعل هذا هو أحد الأسباب التى من أجلها اطلق على اتجاه كودر فى بناء مقياسه اسم الاتجاه العقلى . فهو قد بدأ ، لا بفرض سترونج فى إيجاد الفروق التجريبية بين المجموعات المهنية المختلفة ، بل بقصد بناء مقاييس غير مترابطة أو مستقلة أحدها عن الأخرى . وهذا هدف عقلى إذا قورن بالاتجاه التجريبى لسترونج . فكودر وضع مقاييسه دون الرجوع إلى ما يمكن أن نقيسه بالفعل فى ضوء الدلالة المهنية .

ويتألف اختبار التفضيل المهنى من ١٦٠ فقرة تتصل ببعض أساليب النشاط ، وهى مقسمة إلى مجموعات ، كل مجموعة منها تتضمن اموراً ثلاثة . وعلى الفرد أن يقرأ الفقرات بدقة وأن يجيب عن أى الأمور الثلاثة يفضله أكثر من غيره ، وأيها يفضله أقل من غيره . وهذا النوع من الأسئلة هو من نوع فقرات الاختيار المقيد forced-choice form ويختلف عن تلك التى وجدناها فى اختبار الميول المهنية لسترونج . فبدلا من أن يقرر الفرد ما إذا كان يحب أو يكره نشاطاً من الأنشطة ، فإنه — فى اختبار كودر — يقرر تفضيله النسبى أو عدم تفضيله النسبى بين الأنشطة الثلاثة وذلك عن طريق ترتيبها . ويمكن

أن نوضح ذلك بمثال من أمثلة هذا الاختبار. فمثلا يجد المفحوص من بين قوائم الاختبار، قائمة الأنشطة التالية :

تشتهر بأنك رئيس معهد الابحاث العلمية .
تستهر بأنك مصلح إجتماعى .
تشتهر بأنك ناقد أدبى (موضوعات أدبية) .

فعلى الفرد فى هذه الحالة أن يبين أى الفقرات يفضلها أكثر من غيرها وأيها يفضلها أقل . وبالطبع تكون الفقرة الثالثة هى التى تقع فى الترتيب بين الفقرتين الأخريين . وعند التقدير تعطى الفقرة الأولى التى تدل على النشاط الذى يفضله أكثر من غيره درجتان ، بينما تلك التى تليها درجة واحدة والتى يفضلها أقل الدرجة صفر . ومن الملاحظ أن الأنشطة الثلاثة هنا تتصل بمجالات ثلاثة مختلفة تتضمن ثلاثة مجالات مهنية يمكن أن توصف فى هذا المثال بأنها عملية واجتماعية وأدبية .

وإذا نظرنا بإمعان إلى فقرة النشاط الواحدة ، نجد أن الفرد يقوم فى الحقيقة بستة تفضيلات ممكنة . وبعبارة أخرى ، هناك طريقتان يمكن أن يتضح فيهما النشاط (ا) كاختيار أول ، وطريقتان يمكن أن يتضح فيهما النشاط (ب) كاختيار أول ، وطريقتان يمكن أن يتضح فيها النشاط (حـ) كاختيار أول . وبالإضافة إلى كل واحد منها ، هناك طريقتان يمكن أن يوضح فيها النشاط فى الاختيار الثانى ، وطريقتان يمكن أن يوضح فيهما النشاط فى الاختيار الثالث .

واختبار كودر يغطى عشرة مجالات مختلفة من النشاط وقد اعده إلى اللغة العربية الدكتور أحمد زكى صالح(١) . وهذه المجالات هى :

---

(١) د . أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة التاسعة ١٩٦٦ ص ٣٩٥

١ — الميل للعمل فى الخلاء outdoor : وصاحبه يفضل العمل فى الخلاء أغلب الوقت ومع كائنات غير إنسانية كالحيوان والنبات ، ومن أصحاب هذا الميل الطبيب البيطرى والمهندس الزراعى .

٢ — الميل للعمل الميكانيكى Mechanical : وصاحبه يفضل العمل الآلى الميكانيكى . ومن أصحاب هذا الميل المهندس الكيميائى والمهندس المدنى والصناعى .

٣ — الميل للعمل الحسابى Computational : وصاحبه يفضل العمل بالأرقام والحسابات . ومن أصحاب هذا العمل الصراف والمحاسب والمشتغلين بمسك الدفاتر وحفظ السجلات .

٤ — الميل للعمل العلمى Scientific : وصاحبه يفضل الأعمال العلمية والبحث العلمى والاكتشافات العلمية الجديدة . ومن أصحاب هذا الميل الطبيب والكيميائى والمشتغلين بالاجهزة الالكترونية .

٥ — الميل للعمل الذى يحتاج إلى الإقناع Persuasive : وصاحبه يفضل التعامل مع الناس وتبنى الأفكار الجديدة وعرضها على الناس ومحاولة اقناعهم بها ومن أصحاب هذا الميل البائع والأخصائى الاجتماعى ومندوبى شركات التأمين .

٦ — الميل للعمل الفنى Artistic : وصاحبه يفضل الاتجاه إلى الأعمال الفنية من رسم وتصوير وأعمال فنية فيها إبداع ومن أصحاب هذا الميل المهندس المعمارى ومصمم الديكور والرسام والنحات والفنان .

٧ — الميل للعمل الأدبى Literary : وصاحبه يميل إلى الموضوعات الأدبية . ومن أصحاب هذا الميل الروائى وناقد المسرح والناقد الأدبى والمؤرخ والأدباء .

٨ — الميل للموسيقى Musical : وصاحبه يميل إلى الاستماع إلى الموسيقى أو عزفها أو القراءة عنها . ومن أصحاب هذا الميل الموسيقى .

٩ — الميل للخدمة الاجتماعية Social Service : وصاحبه يميل إلى معاونة الناس ومساعدتهم . ومن أصحاب هذا الميل الاخصائي الاجتماعي والطبيب ورجل الدين والممرضات .

١٠ — الميل للعمل الكتابي والإدارى Clerical : وصاحبه يميل إلى القيام بالأعمال المكتبية أو الإدارية . ومن أصحاب هذا الميل أعمال السكرتارية والأرشيف والأعمال الإحصائية المختلفة .

وكما سبق أن أوضحنا ، فإن كودر أعطى وزنا قدره درجتان للنشاط الذى يفضله الفرد أكثر من النشاطين الآخريين ودرجة واحدة على النشاط الذى يفضل على واحد فقط ، وصفر للنشاط الذى يفضله أقل أو لا يفضله على أى من النشاطين السابقين .

وتستخرج الدرجات الخام الخاصة بكل ميل من الميول بعد التثبت من صدق الإجابة وفق تعليمات خاصة بذلك عن طريق مفاتيح خاصة بالاختبار . ثم تترجم كل درجة خام إلى المقابل المئوى لها ثم يرسم بروفيل أو تخطيط الفرد العام فى مختلف الميول . والتفسير المهنى يتم عادة بالتعرف على أعلى تقديرين فى البروفيل ، واللتين تشيران إلى قائمة من المهن التى يعرف أو يعتقد أن هذه التقديرات تناسبها وبالإضافة إلى ذلك ، فإن المجالات التى تشير إلى أدنى اهتمام أو ميل لدى الفرد تعتبر أيضاً ذات أهمية إذ تعنى أن الفرد لا يحب العمل الذى يتطلب مثل هذا النشاط .

وقد طبق دكتور أحمد زكى صالح هذا الإختبار على مجموعات مختلفة من الأفراد ، أشار منها إلى مجموعتين : المجموعة الأولى هى مجموعة البنين وهى تبلغ

حوالى ٥٠٠ ويتراوح اعمارها الزمنية بين ١٥ — ١٩ من طلاب مرحلة التعليم الثانوى ، والمجموعة الثانية بمجموعة البنات ويبلغ عددها حوالى ٤٠٠ وتقع فى مدى العمر الزمنى لمجموعة البنين . وقد استخرج المعايير الخاصة بكل مجموعة على حدة (المرجع السابق) .

وللتعرف على المجالات المهنية لا تحدد بالطبع المهنة أو المهن العديدة الخاصة التى يجب ان يقوم بها الفرد . ولذلك نجد كودر قد وضع تحت كل مجال العديد من المهن الخاصة التى ترتبط بها والتى يجب أن تلقى اهتماما من الفرد. ولما كان من المألوف أن يكشف بروفيل الفرد أكثر من مجال اهتمام من التفضيل القوى ، فإن كودر يذكر عدداً من المهن التى تقع تحت الميل الممكن نحو زواج عدة من التفضيلات مثل ؛ ميكانيكى — فنى ، ميكانيكى — على ، على - فنى ، على — خدمة اجتماعية ، ميل للاقناع — ميل للعمل الأدبى وهكذا . وبعض هذه القوائم قد وضعت على أساس مادة واقعية ، على حين أن بعضها الآخر قد اقيم على أساس أحكام كودر عن الثبات بين واجبات المهنة والأنشطة المتضمنة فى الاختبار .

خطوات بناء المقياس :

اتبع كودر الخطوات الآتية فى بناء المقياس :

١ — إعداد قائمة تتكون من ٢٠٠ وجهاً من أوجه النشاط . وهذه الانشطة بدت - على أساس قبلى - مفيدة كأدلة على تفضيل الميل . وقد رتبها كودر فى ٤٠ مجموعة كل منها من خمسة أنشطة مختلفة بحيث تكون أوجه النشاط مختلفة فى كل مجموعة . وأعطى هذه الصورة من الاختبار إلى ٥٠٠ طالب بالجامعة وطلب إلى كل منهم أن يرتبها حسب تفضيله أياها وذلك فى كل مجموعة من المجموعات الأربعين .

وفي هذه الطبعة المبدئية ، بدت مجموعة من أوجه النشاط هذه ، قابلة لأن تصنف باعتبارها ميكانيكية ، في طبيعتها ، بينما بدت مجموعة أخرى أنها تقبل أن تصنف باعتبارها أدبية في طبيعتها . وباستخدام هذه الفقرات ـ وعلى أساس قبلي ـ حدد أوزان الفقرات ليبين الميل للعمل الميكانيكي وتفضيله على الأنواع الأخرى من النشاط ، والميل للعمل الأدبي وتفضيله على الأنواع الأخرى من النشاط . وقد وجد كودر أن الثبات بالنسبة لفقرات المقياس الأدبي باستخدام طريقة التجزئة النصفية هو ٨٥ر. ومن ثم اعتبره مقياسا ثابتا بدرجة معقولة لشيء واحد هو تفضيل النشاط الأدبي . واتخذ كودر هذا المقياس نقطة ارتكاز لوضع غيره من المقاييس .

٢ ــ حسب كودر معاملات الارتباط بين استجابات كل فقرة من فقرات الاختبار المئتين والدرجة الكلية لمقياس الميل الأدبي وعزل الفقرات التي وجد أنها ترتبط ارتباطا منخفضاً بالميل الأدبي وقام بدراستها . وكشفت دراسة محتوى هذه الفقرات عن وجود عدد كبير من الفقرات الدالة على تفضيل النشاط التجريبي أو العملي والذي حدده كودر بعد ذلك باسم « الميل للعمل العلمي » . وقد كوّن كودر من هذه الفقرات أساس مقياس العمل العلمي ، وحسب معامل ثباته بطريقة التجزئة النصفية ووجد أنه حوالي ٦٥ر.

٣ ــ فحص كودر الفقرات غير المتضمنة في المقياسين الأدبي والعلمي. واختار منها تلك التي تبدو أنها تشير إلى تفضيل النشاط الفني . وقد حدد الارتباط بين أوجه النشاط المهنية وبين هذا المقياس الجديد ، وأضاف إلى المقياس أوجه النشاط التي ارتبطت به ارتباطا عاليا . وعند إضافة هذه الفقرات حاول كودر أن يوازن قدر الإمكان بين ارتباط هذه الفقرات والمقياس الأدبي والعلمي وذلك بقصد جعل معاملات الارتباط بينها قريبة من الصفر

وعلى نحو ما فعل أيضاً بالنسبة لكل من المقياسين الأدبي والعلمي حيث ظلت الارتباطات بينها أيضاً قريبة من الصفر .

٤ — وكان المقياس الرابع الذى وضعه كودر يهدف إلى قياس المركز الاجتماعي . واتبع فيه نفس الاسلوب الذى اتبعه فى المقاييس السابقة . ولكن المشكلة هنا كانت أكثر تعقيداً . فالفقرات يجب ألا يكون بينها أى ارتباط والمقاييس الأدبية والعلمية والفنية . وبعد تكملة مقياس المركز الاجتماعي ، ظهر ان الفقرات المتبقية لا يمكن تصنيفها فى مقاييس أخرى ، ولذلك أضاف أوجه نشاط جديدة ولكنه وجد أنها ترتبط إلى حد ما مع هذا المقياس الأخير ولذلك أسقط كودر مقياس المركز الاجتماعي ووزع كثيراً من فقراته على مقاييس آخرين اقترح وجودهما . وتابع نفس الأسلوب من العمل إلى أن وصل إلى بناء سبع مقاييس هى : الميل للعمل الأدبي والعلمي والفني والحسابي ومقياس الاقناع والميل للعمل الموسيقى والميل للخدمة الاجتماعية .

وقد نشر كودر الاختبار كصورة (أ) ولكن نتيجة النقد والدراسة شعر كودر بضرورة إضافة مقاييس العمل الميكانيكي والكتابي (وقد وضع كودر هذين المقياسين فى ضوء معيار ثباتهما الداخلي دون أن يهتم ببيان كيف ترتبط فقراتهما بالدرجات الكلية على المقاييس السبعة الأخرى) وأخيراً اضيف إلى الاختبار الميل إلى العمل فى الخلاء .

وقد أورد فيرجسون معاملات الارتباط بين المقاييس السبعة الأصلية وكانت منخفضة بشكل ظاهر ومعظمها كان قريباً من الصفر . وقد أشار كودر إلى أن أعلى ارتباطات وجدها كانت بين الميل للعمل فى الخلاء ضد الميل للعمل الإقناعي (– ٤٩ر٠) والميل للعمل فى الخلاء ضد الميل للعمل الكتابي (–٤٠ر٠)

والميل للعمل العلمي عند الميل للعمل الاجتماعي (- ٤٢ر٠)(١) .

ويمكن القول بوجه عام أن كودر قد نجح بطريقة معقولة في الوصول إلى هدفه وهو وضع مقاييس ثابتة من متغيرات مستقلة تقريباً . وإذا كانت هذه المقاييس تغطي الميول بطريقة مناسبة ، فإنها سوف تكون ذات قيمة كبيرة من الناحية الاقتصادية في إعطاء الشخص فكرة عن مجالات اهتمامه واتجاهات ميوله .

وقد أورد كودر قوائم مفتوحة بالمهن التي تعتبر مناسبة لهؤلاء الذين يحصلون على درجات عالية على كل مقياس من المقاييس العشرة . وقد وضعت هذه القوائم أولا على أثاث منطقي ، ولكن بعد تراكم المادة التجريبية ، أدخل عليها بعض التعديلات .

ثبات وصدق المقياس :

يتجمع ثبات مقاييس كودر على نحو ما قيست بطريقة كودر - ريتشاردسون حول ٩٠ر٠ كما كانت معاملات الثبات عن طريق الإعادة بعد فترات تتراوح إلى سنة فأقل ، عاليه كذلك . أما الفترات الطويلة فليست هناك معلومات كافية عنها وهناك بعض الأدلة التي توحي - وبخاصة بالنسبة لتلاميذ المدرسة الثانوية - أنه تحدث تغيرات في مجالات الميل العالية والمنخفضة عند ما يعاد إجراء الاختبار بعد سنوات(٢) .

أما بحوث الصدق فقد أجريت أساساً في ضوء معيار الرضا عن العمل

(1) Eyzenck, J. : The Structure of Human Personality, London. Methuen & Co. LTD. 1970: p. 355.

(2) Herzberg F. &Bouton A. : A Further study of the stability of the Kuder Prefrence Record. Educational and Psychological Measurement, 1954, 14. 326-331.

Job Satisfaction . فى تلك الدراسة الطويلة الشاملة ، طبق اختبار التفضيل لكودر على ١١٦٤ طالبا فى مدرسة مهنية . وقد أعطوا استفتاء لمعرفة رضاهم عن العمل بعد فترة من سبع إلى عشر سنوات . وفى ذلك الوقت كان ٧٢٨ منهم قد التحقو بعمل صنف بأنه « متسق » مع أنماط الميل الأساسية و ٤٣٦ منهم قد عملوا فى أعمال صنفت بأنها غير متسقة مع هذه الأنماط . وقد وجد أن نسبة العمال الراضيين عن عملهم فى المجموعة المتسقة كانت ٦٢٪ ، بينما نسبة العمال الراضيين عن عملهم فى المجموعة التى صنفت بأنها غير متسقة فكانت ٣٤٪ . ومن الناحية الأخرى كانت نسبة غير الراضيين فى المجموعة المتسقة هى ٨ر٠ بينما كانت نسبة غير الراضيين فى المجموعة الأخرى حوالى ٢٥٪ . وقد وجدت نتائج مماثلة فى دراسات أخرى على أشخاص عملوا فى مجالات خاصة مثل الأعمال الكتابية والعمال الصناعيين والموجهين للتأهيل المهنى والمحاسبين وغيرها من المجالات[1] .

ثانياً : مقاييس الإتجاهات :

كانت الإتجاهات نحو الناس والأجناس البشرية المختلفة والحركات السياسية والمؤسسات الإجتماعية وغيرها من الموضوعات الهامة التى قام علماء النفس بدراستها . وفى بداية الأمر كانت الموضوعات التى من هذا القبيل موضع اهتمام علماء النفس الاجتماعى على وجه الخصوص . ولكن المجال لم يعد قاصراً على علماء النفس الاجتماعى ، بل تعداه إلى غيرهم من علماء النفس . فنجد مثلا علماء النفس الاكلينيكى أصبحوا فى السنوات الأخيرة ، أكثر إهتماما بالجوانب الشخصية للاتجاهات (وبخاصة دراسة التعصب) ، كما أصبحوا أكثر

(1) Kuder. G.F.: Kuder General Interest Survey. Manual. Chicago. Science Research Assosiates 1964.

اهتماما بالمقاييس التي يضعها علماء النفس الآخرون لفهم الفـــرد من الناحية الاكلينيكية.

ولقد وضعت تعريفات عديدة للاتجاهات منها تعريف اليورت للاتجاه بأنه « حالة استعداد عقلي عصبي نظمت عن طريق التجارب الشخصية ، وتعمل على توجيه استجابة الفرد للأشياء والمواقف التي تتعلق بهذا الاستعداد » . ومنها تعريف جيلفورد بأنه « حالة إستعداد لدى الفرد تدفعه إلى تأييد أو عدم تأييد موضوع إجتماعي (كالاتجاه نحو التعليم) أو عمل اجتماعي (كالتعصب الإجتماعي) ومن الناحية السيكلوجية ، فإن الاتجاه يتضمن المعتقدات مثلما يتضمن المشاعر وفي هذا تمييز للاتجاه عن الميل .

ويميل البعض إلى الأخذ بالتعريفات الإجرائية التي تحاول تفسير مدلول أي مفهوم تفسيراً ينقله إلى حيز الوجود والواقع وما يمكن أن نلحظه أو نشاهده أو نقيسه أو نتحكم فيه بالنسبة لمظاهر هذا المفهوم . وربما كان ذلك أفضل من الالتجاء إلى الفاظ مجردة غامضة أحيانا ، لشرح معنى المفهوم .

فالاتجاه « مفهوم » يخلعه الإنسان ليصف به ترابط الإستجابات المتعددة للفرد الواحد إزاء مشكلة أو موضوع معين . فعند ما نعرض مثلا مجموعة من العبارات في استفتاء مقيد ، نجد أن الشخص يجيب عنها بشكل قد يغلب عليه الإرتباط سواء كان ذلك من ناحية الموضوع الذي يعرضه الاستفتاء أو ضده فهناك مثيرات تتمثل في أسئلة الاستفتاء أو عباراته وهناك استجابات يغلب عليها الترابط إزاء هذه المثيرات بصرف النظر عن لونها أو ميلها . ونحن لكي نربط بين المثيرات والاستجابات نفترض وجود متغيرات وسيطة بين هذه المثيرات والاستجابات . فالاتجاه مفهوم يعبر به عن الترابط بين المثيرات والاستجابات تجاه موضوع أو موضوعات معينة . فالاتجاه إذن بناء

أو تكوين فرضى أو مفهوم يستدل على معناه من ترابط السلوك الظاهرى للفرد إزاء مواقف الاستفتاء مثلا . وقد عرف كامبل (١) الاتجاه الاجتماعى مثلا تعريفا إجرائياً بقوله أن الاتجاه الاجتماعى لفرد ما هو الترابط الرصين لاستجاباته بالنسبة لمجموعة من المشكلات الاجتماعية .

وقد يعبر الفرد عن اتجاهه نحو موضوع أو مشكلة ما ، لفظيا سواء بشكل مستثار (عند توجيه سؤال له مثلا) أو تلقائى . كما قد يعبر عنه عمليا فى صورة سلوك يمكن ملاحظته .

وقد يرتبط الاتجاه اللفظى بالاتجاه العملى بحيث يمكن الاستدلال من اتجاهه اللفظى على سلوكه العملى ولكن قد يختلف الاتجاه اللفظى عن الاتجاه العملى . والتجارب على ذلك كثيرة منها : دراسة زابف على الاتجاه نحو الخرافات والتى حاول أن يقارن فيها بين نتائج قياس الاتجاه اللفظى نحو بعض الخرافات والاتجاه العملى نحو نفس هذه الخرافات . فبعد أن عرف الاتجاه اللفظى لبعض الطلاب نحو عدد من الخرافات وكيف أنهم لا يؤمنون بصحتها ، وضعهم الباحث فى موقف عملى يعبرون فيه عن اتجاههم عمليا نحو هذه الخرافات التى لا يؤمنون بها لفظياً ، فلم يجد سوى اثنين فقط عبرا عمليا عما اعتقد به لفظياً (خرافة أن كسر المرآة يجلب سوء الحظ)(٢).

ومن ذلك أيضاً دراسة لابيير التى قام بها لدراسة الاتجاهات نحو الصينيين (١٩٣٤) . فقد صحب اثنين من الصينيين فى رحلة عبر الولايات المتحدة . وقد توقفوا فى ٦٦ فندقا للنوم و ١٨٤ مطعما لتناول الطعام . وقد رفض محل

---

(1) Campbell. D.'T. : The indirect assissment of social attitudes. Psychol. Bulletin. 1950. 47. 15-38.

(٢) د . نجيب اسكندر ابراهيم و د . لويس كامل مليكة و د . رشدى فام منصور : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى . القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ ص ٢٩٨.

واحد فقط تقديم خدمات لهم . وبعد ذلك قام لابيير بسؤال مديرى هذه الفنادق والمطاعم عما إذا كان من الممكن تقديم خدمات للصينيين ، فأجاب ٩٣٪ من أصحاب المطاعم و ٩٢٪ من أصحاب الفنادق برفضهم تقديم مثل هذه الخدمات .

وسوف نعرض فى مجال الاتجاهات لطريقتين مختلفتين هما طريقة ثرستون وطريقة ليكرت . وليس معنى ذلك أنهما الطريقتان الوحيدتان لقياس الاتجاهات . فهناك طرق أخرى منها طريقة بوجاردس للبعد الاجتماعى ومقياس جتمان ومقياس ادواردز وكلباتريك ، وغيرها ، ويقوم اختيارنا لمقياس ثرستون ومقياس ليكرت على أساس أنهما يمثلان أسلوبين مختلفين فى بناء المقياس . فى طريقة ثرستون وهى طريقة (الفترات المتساوية البعد) تم وضع مقياس فقرات الاختبار قبل جمع مادة الاتجاه. ولذا يسميه فيرجسون بأنه أسلوب قبلى a priori ، بينما فى مقياس ليكرت ، فإن مقياس فقرات الاختبار قد تم بعد جمع مادة الاختبار ولذا يسميه فيرجسون بأنه أسلوب بعدى a posteriori

١ — مقياس الاتجاهات لثرستون :

بدأ قياس الاتجاهات بشكل ظاهر عند ما اقترح ثرستون طريقته منذ أكثر من أربعين سنة . وظهر الوصف الكامل لأول اختبار له فى قياس الاتجاهات سنة ١٩٢٩ باسم قياس الاتجاه وكان يمثل جهداً مشتركا بين ثرستون وشيف E. J. Chave من جامعة شيكاغو . وكانت محاولتهما تهدف إلى وضع مقياس (وحداته متساوية البعد) على نحو ما طبقاه فى وضع مقياس الاتجاه نحو الكنيسة . ولقد أعد ثرستون وتلاميذه ما يزيد على ٣٠ مقياسا لدراسة الاتجاهات نحو الكتاب المقدس وتحديد النسل والرقابة والصينيين

والشيوعية والطلاق والوضع الاقتصادى للمرأة والإرساليات الأجنبية وحرية التجارة وحرية الكلام ومسئولية الألمان فى الحرب ونحو الاعتقاد فى وجود الله ونحو الأمانة فى الأعمال العامة والهجرة والزنوج والقانون والوطنية ومعاملة المجرمين وعقوبة الإعدام وما إلى ذلك من الموضوعات التى درس ثرستون وتلاميذه اتجاه الناس نحوها .

خطوات بناء المقياس :

إن المسلمة الأساسية فى طريقة المسافات المتساوية البعد هى أن هناك مجموعة من الفقرات أو العبارات يمكن أن تتخذ كعلامات على مقياس متدرج لقياس الاتجاهات ، وأن كل عبارة تمثل درجة معينة من التقبل أو الرفض تكون موضوعة على مسافات متساوية البعد على المدى الكلى لمتسلسلة الاتجاه والنظرية التى تقوم عليها هى أنه إذا أوضح الفرد أية عبارة يقبلها أو يرفضها فإن من الممكن أن نضعه فى موضع محدد على منظومة الاتجاه .

وتصبح المشكلة فى بناء المقياس هى اختيار المجموعة المناسبة من العبارات وتحديد المواقع التى تمثلها كل عبارة على منظومة الاتجاه . وقد اتبع ثرستون وشيف الخطوات الآتية لحل هذه المشكلة:

(١) جمع العبارات : ويتطلب الأمر فى البداية جمع بعض الأفكار عن موضوع الاتجاه المراد دراسته ، وقد تجمع هذه العبارات من الصحف أو من الناس . فمثلا إذا كان المقياس المراد وضعه هو لقياس الاتجاهات نحو اتحادات العمال ، فإن من الممكن أن نطلب من عينة من الأفراد تكون شبيهة بالمجموعة التى سيطبق عليها المقياس كتابة آرائهم فى هذا الموضوع وما يشعرون تجاهه . والعبارات التى تبدو طبيعية هى تلك التى يحتمل أن يكتبها الناس ،

وبذلك تغطى بشكل واسع جوانب مختلفة من الموضوع . وقد تكون هناك عبارات متطرفة جداً لم ترد عند هؤلاء ، وهذه يمكن لواضع المقياس أن يكتبها . كما يمكنه أن يضع أيضاً فقرات محايدة بمعنى أنها لا تؤيد أو ترفض الاتجاه .

وفى العادة يمكن أن يحصل واضع المقياس بهذه الطريقة على عدد كبير من الفقرات قد يصل إلى بضع مئات . وهذا العدد يتوقف فى العادة على الحاجة التى تواجه الباحث واستبصاره .

وبعد جمع الفقرات ، تكتب كل فقرة منها على بطاقة منفصلة مع مراعاة الدقة فى الصياغة .

وقد أشار وانج C.K.A. Wang أحد تلاميذ ثرستون إلى بعض القواعد التى يجب مراعاتها عند صياغة الفقرات نشير منها إلى أنه :

١ — يجب أن تكون الفقرة قضية قابلة للمناقشة بمعنى أن تمثل فكرة ولا تمثل حقيقة ثابتة لا تقبل الجدال .

٢ - يجب أن تناسب الفقرة الاتجاه المراد قياسه .

٣ — يجب أن تكون الفقرة بسيطة وليست مركبة .

٤ — يجب أن تكون الفقرة قصيرة .

٥ — يجب أن تكون الفقرة كاملة فى بيان اتجاه محدد نحو موضوع خاص .

٦ — يجب أن تحتوى الفقرة على فكرة واحدة .

٧ — يجب أن تكون الفقرة واضحة ومحددة ومباشرة ، ومن ثم يجب أن تستبعد الفقرات الغامضة والمبهمة .

٨ — يجب أن توضع الفقرة فى صيغة المبنى للمعلوم وليس فى صيغة المبنى للمجهول .

(٢) تقييم العبارات : وبعد جمع الفقرات وصياغتها جيداً ، وكتابة كل فقرة منها على بطاقة منفصلة ، نواجه بمشكلة تحديد موضع كل عبارة على متسلسلة الاتجاه . ويتم ذلك بعرض العبارات على عدد من المحكمين ويطلب إلى كل منهم مستقلا عن الآخرين أن يوزع كل عبارة حسب شدتها على الإحدى عشرة خانة التى تكوّن متسلسلة الاتجاه . فإذا رأى أن العبارة إيجابية أو تعبر عن تقدير أعلى لقيمة الشيء ، وضعها فى الخانة رقم ١ ، وإذا رأى أنها سلبية أو تعبر عن تقدير أدنى لقيمة الشيء وضعها فى الخانة رقم ١١ وإذا رأى أنها متوسطة الشدة وضعها فى الخانة ٦ وعلى هذا الأساس يقوم بتوزيع العبارات كل حسب شدتها وفى الموضع الذى يراه مناسباً لها على متسلسلة الاتجاه . وقد ظهرت طرق أخرى غير طريقة ثرستون هذه لتقييم الفقرات أشهرها طريقة سيشور وهافنر Seashore & Havner والتى تضع العبارات كلها فى قائمة واحدة ، وأمام كل عبارة مجموعة من الحروف أو الأرقام، ويضع الحكم علامة على الحرف أو الرقم الذى يراه مناسباً لتمثيل صدق العبارة . وبهذا نتجنب ضرورة وضع العبارات كل فى ورقة مستقلة أو فى أكوام مثلا . ومع ذلك فكلاهما توصل إلى نفس الغرض ، وإن اعتقد سيشور أن طريقته أيسر وأسهل وأكثر اقتصاداً فى الوقت والجهد .

(٣) تحديد أوزان الفقرات : يقوم الباحث بحساب القيمة الوسيطية ومعامل الغموض لكل عبارة . ولتحديد هذه القيم ، نحسب أولا عددمرات تكرار كل فقرة بالنسبة لكل موضع على المقياس وهذا يعطينا التوزيع التكرارى البسيط . نحول هذا التوزيع التكرارى البسيط إلى توزيع تكرارى متجمع . ثم بعد ذلك نحول هذا التوزيع التكرارى المتجمع إلى توزيع ميئينى متجمع . ثم نحسب الربيع الأول والثانى والثالث وهى التى تمثل على التوالى النقط الميئينية الـ ٢٥، ٥٠، ٧٥ . ويمكن أن نحسب هذه عدديا من التوزيع

الميئينى المتجمع أو بالرسم البيانى . والميئينى الخمسين فى التوزيع هو الذى يمثل القيمة الوسيطية للعبارة . أما الميئينى الـ ٧٥ والميئينى الـ ٢٥ فيستخدمان لتحديد غموض العبارة وهذا يمكن الحصول عليه من المعادلة: الربيعى الثالث — الربيعى الأول / ٢

فدليل الغموض إذن هو نصف الفرق بين الميئينى الـ ٧٥ والميئينى الـ ٢٥ أو ما يعرف عادة بالمدى الربيعى . ومن المعروف أن العبارات الغامضة يكون اختلاف تقديراتها بين الحكام كبيراً ويكون مداها الربيعى كبيراً كذلك ، بينما العبارات المحددة يكون اختلاف تقديراتها بين الحكام صغيراً ، ومداها الربيعى صغيراً كذلك(١) .

(٤) وبعد تحديد القيمة الوسيطية : فمن المفيد أن ترتب العبارات حسب قيمها الوسيطية . ويتحدد العدد الكلى للعبارات التى تستحق فى القياس بطريقة افتراضية . وكان ثرستون يميل إلى جعل عدد فقرات القياس ٢٠ فقرة أما غيره فكانوا يختلفون بالنسبة لهذا العدد . فمنهم من كان يجعله ٥٠ فقرة أو أكثر ، ومع ذلك فطول عدد الفقرات تحدده اعتبارات متعددة منها أثر ذلك على تقدير ثبات المقياس . وبوجه عام ، وداخل حدود معينة ، فإنه كلما كان المقياس أطول ، كانت درجاته أكثر ثباتاً .

أما بالنسبة للعبارات الغامضة ، فإن مقياس غموض العبارات فهو المدى الربيعى . وليس ثمة شك أننا نريد أن تكون عبارات القياس واضحة ومحددة المعنى . ويجب أن يكون هناك معيار يساعد على اختيار العبارات الأقل غموضاً فى مقابل العبارات الأكثر غموضاً . فاذا كان لدينا مثلا ست عبارات صالحة ، ونحن نريد ثلاث عبارات فقط ، فيجب أن نختار الثلاثة الأقل درجة على مستوى الغموض . ويتم ذلك باختيار العبارات الثلاثة ذات المدى الربيعى الأقل .

(1) Ferguson. W.L. : Personality Measurement. New York. Mc Graw-Hill Book Company Inc. 1952, p. 89.

(٥) والخطوة الأخيرة هي اختبار الوحدات التي تتوزع فيما بينها لتمثل مدى واسعا من الشدة يسمح للمفحوصين بالتعبير عن اتجاهاتهم أحسن تعبير.

هذا وإذا كان لدينا عدداً كبيراً من الفقرات الصالحة ، فمن الممكن عمل صورتين متكافئتين . ويجب وضع الفقرات في كل صورة عشوائيا وليس حسب ترتيب أوزانها في المقياس.

والعبارات الآتية مأخوذه من جيلفورد(١) وهي فقرات مختارة من مقياس اتجاهات نحو فريق كرة القدم بالجامعة وهي مرتبة هنا تنازلياً لتوضيح أوزان كل فقرة . وقد تم تقديرها وفق مقياس من تسع نقط .

٨,١ كرة القدم نشاط بارز للجامعة .
٧,١ فريق كرة القدم الناجح أكبر دعاية لكليته في أرجاء البلاد .
٦,٠ كرة القدم بالجامعة تقوى جسم الطالب .
٥,٠ كرة القدم تقدم الوسيلة لتفريغ الطاقة .
٣,٠ كرة القدم بالجامعة يجب أن تخضع الدراسة .
٢,٠ الطالب يكسب القليل من لعبه ولذا فهي جديرة بالاهتمام .
١,٢ كرة القدم بالجامعة وسيلة لكسب المال فحسب .
٠,٦ اعتقد بشكل جازم أنه يجب إلغاؤها .

ومن الملاحظ أن الوزن العالي للفقرة يشير إلى اتجاه نحو كرة القدم وتأييد الرأي المشجع له ، بينما الوزن المنخفض فيدل على اتجاه ضد كرة القدم ومعارضة الرأي القائل بتشجيعها .

وبهذه الطريقة التي لجأ إليها ثرستون أمكن وضع متسلسلة تحتوى على عبارات قدرت أنها متساوية البعد إحداها عن الأخرى ؛ ولها قيم وأوزان يمكن أن تقارن من شخص لآخر . وبعبارة أخرى إذا اختار الشخص (١)

---

(1) Guilford, J. P. : Personality. New York , Mc-Graw-Hill Book Company, Inc, 1959.

فقرة لها أعلى قيمة وسيطية توضح الاتجاه الأكثر تقبلا، واختار الشخص (ب) فقرة مختلفة هى أبعد ما تكون عن الموافقة. فمن الممكن القول بصورة أكثر دقة أن الشخص (ا) أكثر تعاطفاً فى الاتجاه من الشخص (ب). فطريقة ثرستون تسمح لنا إذن باستخدام العبارات الكمية عن اتجاهات الناس.

ولقد أدخل ريمرز وسيلانس تعديلا طفيفاً على طريقة ثرستون يقلل من الجهد الكبير الذى يبذل فى بناء مقياس لكل اتجاه نريد بناءه. ولذلك لجأ ريمرز وسيلانس إلى وضع مقياس «عام» بمعنى أنه يمكن أن يفيد فى معرفة الاتجاه نحو أى موضوع أو أية مؤسسة. فالعبارات التى يتضمنها المقياس تصلح بصرف النظر عن أية مؤسسة معينة بالذات نريد قياس الاتجاه نحوها. وبالطبع فى مثل هذه الحالة، علينا أن نذكر اسم الموضوع المراد قياس الاتجاه نحوه أو النشاط المراد قياس الاتجاه نحوه ونضمن ذلك فى العبارات مع بقاء العبارات المستخدمة واحدة تفيد فى أى مقياس.

ويمكن أن نشير إلى بعض الفقرات العامة التى تشتمل عليها الصورة (ا) من مقياس «إيدا كيللى» لقياس الاتجاه نحو أية مؤسسة وبصورة عامة.

رقم الفقرة ١ كامل من كل ناحية.
٢ أحسن المؤسسات.
١١ يساعد مساعدة حقة فى مواجهة المشكلات الاجتماعية.
١٣ لازم وضرورى لبقاء المجتمع.
١٩ يتقدم مع الزمن.
٢٤ متحرر جداً فى سياسته.
٣٢ أنانى جداً لدرجة لا يفيد المجتمع.
٤١ فى حالة ميئوس منها.
٤٥ ليست له قيمة إيجابية.

ولكن مثل هذه المقاييس العامة قد تثير مشكلات كثيرة . فهل يمكن مثلا لمجموعة من العبارات أن تستخدم لقياس الاتجاه نحو الزواج وهى نفسها تستخدم لقياس الاتجاه نحو نظام العقوبة فى المجتمع وكلاهما نظام اجتماعى . ولذا فإن الكثيرين ينصح باتخاذ الحذر الشديد عند استخدام مثل هذه المقاييس العامة .

وثمة مشكلة كامنة فى وضع المقاييس من نوع مقياس ثرستون ترجع إلى الآثار الممكنة لاتجاهات الحكام أنفسهم على تصنيفهم للعبارات ، وقد أدرك ثرستون هذه الصعوبة فى قوله « إذا اعتبر المقياس صادقاً ، فإن أوزان العبارات يجب ألا تتأثر بآراء الناس الذين ساهموا فى بناء المقياس ، ثم أضاف ، وإلى أن تظهر الأدلة التجريبية ، سوف نفترض أن أوزان العبارات مستقلة عن توزيع اتجاه الناس الذين صنفوا العبارات » .

غير أن دراسات أخرى مثل دراسة فرانزورث (١٩٤٢) وشريف وشريف ونبرجول (١٩٦٥) أوضحت أنه تحت ظروف معينة ، فإن أوزان المقياس تتأثر بشكل دال باتجاهات الحكام . وعلى ذلك فإن تغيرات كبيرة ودالة فى أوزان العبارات نحو الحرب ، قد حدثت فى الفترة من ١٩٣٠ ، ١٩٤٠ ، وبالمثل فى الاتجاه نحو الزنوج حين أعيد تقديره على مجموعات من الزنوج والبيض (١).

الثبات والصدق :

بالنسبة للثبات فمن الممكن دراسته بالتجزئة النصفية أو بإيجاد معامل الارتباط بين الصور المتكافئة للمقاييس . وقد ذكر ثرستون أن ثبات جميع المقاييس عنده يزيد على ٠,٨٠ وإن كان باحثون آخرون وجدوا ارتباطات أقل على نحو ما أوضحت أبحاث ليكرت وروسلو وميرفى .

(1) Anastasi, Anne : Psychological Testing. New York, The Mac-Millan Company 1968.

أما بالنسبة للصدق ، فقد حسبه ثرستون وشيف بأن أوجدا الارتباط بين مقياسهما نحو الكنيسة ومقاييس التقدير الذاتي فى ضوء تمييزها للمجموعات الدينية وفى ضوء تمييزها بين الأعضاء المنتمين أو غير المنتمين للكنيسة . وقد أوضحا الدرجات على مقياس الاتجاه يرتبط مع مقاييس التقدير و ٦٧,٠ وأن الكاثوليك يحصلون على درجات أعلى من اليهود وأن الأعضاء المنتمين إلى الكنيسة يحصلون على تقديرات أعلى من غير المنتمين .

٢ — مقياس ليكرت

وهذا المقياس من وضع رنسيس ليكرت (١٩٣٢) Reusis Likert وهو يختلف عن مقياس ثرستون حيث أن أوزان المقياس يتم تحديدها بعد — وليس قبل — جمع مادة الاتجاه . وهذا هو السبب فى أن فيرجسون سمى هذا المقياس بأنه مقياس بعدى a posteriori وليس مقياسا قبليا a priori على نحو ما هو عليه الحال بالنسبة لمقياس ثرستون .

وثمة اختلاف آخر هو أن مقياس ليكرت يشتمل على عدة عبارات تتصل بالاتجاه المراد قياسه ولكن أمام كل عبارة منها درجات من الموافقة والمعارضة (موافق جداً ، موافق ، متردد أو سيان ، معارض ، معارض جداً) ويطلب من الفرد فى هذه الحالة أن يضع علامة على الإجابة التى تعبر عن رأيه أحسن تعبير بالنسبة لكل عبارة من العبارات التى يحتويها المقياس بينما فى مقياس ثرستون . كان الفرد يضع علامة على العبارات التى يوافق عليها فقط ، دون ان يعبر عن درجة اتجاهه إزاء كل عبارة .

يضاف إلى ذلك أن طريقة ليكرت لاتحتاج إلى تصنيف الفقرات بواسطة مجموعة من الحكام . فالعبارات تختار فقط على أساس استجابات الأشخاص

الذين يطبق عليهم خلال وضع المقياس . والثبات الداخلى هو المعيار الوحيد غالبا لاختيار العبارة ، رغم استعمال معايير أخرى خارجية أحيانا .

خطوات بناء المقياس

(١) جمع العبارات التى يرى الباحث أنها تتصل بالاتجاه المراد قياسه وهذه العبارة إما أن يضعها الباحث نفسه او يستعين بمقاييس أخرى سابقة أو بعبارات من الصحف والتعليقات والأحاديث وغيرها . وكل عبارة يجب أن تكون من النوع الذى يستجيب له الأفراد المختلفون — إذا أعطوا الفرصة لذلك — استجابات مختلفة ، أى تكون من النوع الذى يعبر عن الآراء المختلفة للافراد المختلفين . ومن الضرورى تجنب العبارات التى تقرر حقائق وكذلك العبارات الغامضة أو المبهمة أو العبارات المتعددة الأجزاء أو العبارات التى تعكس أكثر من متغير واحد .

(٢) تطبع العبارات ، بعد صياغتها صياغة جيدة ، وبعد التأكد من مناسبتها للاستجابات البديلة على المقياس (موافق جدا ، موافق ، متردد أو سيان ، غير موافق ، غير موافق جدا أو نعم ، ؟ ، لا ، أو أية صورة أخرى) ثم تعرض قائمة العبارات على عينة من الأفراد ممثلة للمجتمع المراد تطبيق المقياس عليه . وفى هذه المحاولة المبدئية . سوف تثار تعليقات أو استفسارات حول غموض بعض العبارات أو الكلمات أو عدم وضوحها والتى لم يمكن كشفها من قبل . مما يمكن للباحث من إدخال التعديلات أو التصميمات اللازمة لإعداد الصورة النهائية للمقياس وهنا نجد اختلافاً واضحاً بين مقياس ليكرت ومقياس ثرستون ، حيث لا نجد فى مقياس ليكرت خطوة المراجعة الموضوعية للغموض ، ومن ثم فإن احتمال وجود عبارات غامضة أو مبهمة فى مقياس

ليكرت أكبر منه فى مقياس ثرستون . ولذا فإن خطوة المراجعة المبدئية هذه يجب أن تتم بدقة بالغة فى مقياس ليكرت .

وليس هناك عدد محدد لفقرات المقياس عند ليكرت . فقد استخدم مثلا ٢٤ فقرة فى مقياس الاتجاه العالمى ، ١٢ فقره فى مقياس النزعة الامبريالية ، ١٥ فى مقياس الزنوج بينما آخرون (مثل رندكويست) استخدموا عددا موحداً من العبارات فى كل مقياس من المقاييس المتضمنة . وعلى العموم فإن عدد العبارات التى يشتمل عليها المقياس يختلف من باحث لآخر . كما يخضع لاعتبارات عديدة .

ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى بعض فقرات مقياس ليكرت نحو الزنوج ولم تكن هذه العبارات منفصلة . بل كانت متضمنة فى مسح عام لقياس الاتجاه العالمى والامبريالية

العبارة ٢ : إذا ذهبت إلى كافتريا فى إحدى مدن الشمال (بأمريكا) وجلست ثم تبينت أن زنجيا يجلس معك على نفس المائدة . فهل تترك المائدة ؟ . نعم ... ؟ ... لا ...

العبارة ٣ : هل تصافح زنجياً ؟ نعم ؟ لا

العبارة ٥ : هل تحس بارتياح إذا سمعت أن زنجياً اشترى منزلا أو مزرعة ما نعم ؟ لا

العبارة ٩ جميع الزنوج ينتمون إلى جنس واحد ويجب أن يعاملوا نفس المعاملة : موافق جداً ، موافق ، متردد . معارض ، معارض جدا .

العبارة ١٠ : بيوت الزنوج يجب أن تعزل عن بيوت البيض : موافق جداً موافق ، متردد ، معارض ، معارض جداً .

العبارة ١١ : طالما أن إعداد المعلمين واحد للجميع . فيجب أن يتقاضى المعلم الزنجى نفس الأجر الذى يتقاضاه المعلم الأبيض .

موافق جدا ، موافق . متردد . معارض ، معارض جداً

(٣) تحديد أوزان الفقرات : ولم يوضح ليكرت الطريقة التي بواسطتها يمكن تحديد هذه الأوزان على المقياس ، وإن كان قد استخدم أوزانا اعتبارياً بإعطاء الدرجة ٥ للموافقة الشديدة بالنسبة للاتجاه المراد قياسه ، والدرجة ١ للمعارضة الشديدة . ومعنى ذلك أن الاجابة المؤيدة للاتجاه الذى نقيسه هى التى تأخذ الدرجة ٥ (سواء كانت هى موافق جداً بالنسبة لبعض الفقرات أو معارض جداً بالنسبة لبعضها الآخر) . بينما الاجابة المعارضة للاتجاه الذى نقيسه فتعطى درجة واحدة ، وتمثل الدرجة الكلية لفرد ما مجموع درجاته فى العبارات المختلفة التى يتكون منها المقياس والتى يجب أن تفسر فى ضوء المعايير الموضوعة تجريبيا

(٤) تحسب معاملات الارتباط بين كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس وتستبعد العبارات التى لا ترتبط ارتباطا عاليا بالدرجة الكلية للمقياس. وبذلك يتحقق للمقياس معيار الاتفاق الداخلى .

هذا وقد قدم جيلفورد (١) طريقة إحصائية لا تختلف نتائجها كثيراً عن النتائج التى وصل اليها ليكرت بطريقة الأوزان الاعتبارية . وقدم فيرجسون مثالا لذلك اتبع فيه طريقة جيلفورد ومستخدما المادة التى قدمها ليكرت(٢) .

---

(1) Guilford, J. P. : Fundamental Statistics in Psycbology and Education. New York. Mc Graw - Hill Book Company, Inc. 1942.

(2) Ferguson, W. Leonard : Personality Measurment. New York. Mc-Graw-Hill Company, Inc. 1952. p. 129.

الفصل الثاني عشر

مقاييس الشخصية

بدأت جهود الباحثين فى تقييم السمات «غير العقلية» للشخصية تتضح فى القرن التاسع عشر. ابتداء من جالتون (١٨٧٩) ثم بيرسون الذى ابتكر الاستفتاءات ومقاييس التقدير. وخلال الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر والحقبة الأولى من القرن العشرين، حاول يونج فى سويسرا استخدام اختبارات تداعى الكلمات وتبعه فى أمريكا كنت وروزانوف ورابابورت وغيرهم بقصد عرض بعض سمات الشخصية التى تكمن فى «الأعماق» وبقصد المساعدة فى التمييز - إذا أمكن ذلك - بين الاضطرابات العقلية المختلفة. ورغم أن اختبارات تداعى الكلمات واختبارات الجمل الناقصة لا تزال تستخدم حتى اليوم فى العيادات النفسية من أجل تشخيص بعض سمات الشخصية، إلا أن استخدامها أقل بكثير من استخدام اختبارات الشخصية بمعناها الضيق المحدود.

ومع الانتشار الواسع لاختبارات الذكاء الفردية فى العيادات النفسية والمدارس، أصبح من الواضح أنه بالنسبة لبعض الحالات، يكون أداء الفرد فى الاختبار، أعنى نجاحه او فشله ومحتوى استجاباته ونوعها، ليس فقط دليلا على قدرته العقلية بل وأيضا يكشف عن بعض سمات شخصيته. وقد حفزت هذه الحقيقة، بالإضافة إلى الاهتمامات الإكلينيكية والعلمية بالشخصية إلى وضع الأنواع العديدة من الاختبارات لقياس الشخصية.

وتعد اختبارات الشخصية من أكثر الأدوات انتشاراً بين علماء النفس وبخاصة فى الولايات المتحدة رغم الانتقادات الشديدة التى توجه أحيانا إلى

مثل هذه الاختبارات والاختبارات الشائعة لقياس الشخصية ـ وهي أساساً اختبارات ورقة وقلم ـ هي في الحقيقة نوع من الإستبار المقنن Standardized Interview . وسواء كان قصد عالم النفس هو قياس الاتجاهات أو الميول أو العلامات العصابية ، فإن طريقة الاختبار تمدنا بقائمة من الأسئلة المعدة مسبقاً إعداداً جيداً والتي مرت بخطوات عديدة من البحث والدراسة حتى انتهت إلى هذه الصورة من الاختبار والتي يجيب عليها الفرد عادة بنعم أو لا أو لا أدري وهناك بالطبع أنواعاً عدة من هذه الإجابات كأن يضع المفحوص علامة تحت الاختيار الذي يفضله أكثر من غيره أو يختار إجابة من بين عديد من الإجابات المحتملة وهكذا . وعلى أي حال ، فإن الدرجة الموضوعية التي يحصل عليها الفرد ، تكون مستمدة من درجات عينات التقنين التي قنن عليها الاختبار في مراحل تكوينه .

واختبارات الشخصية تتطلب من المفحوص الإجابة عن أسئلة مباشرة تتصل بذاته أو آرائه أو بأشياء أخرى كعاداته وإحساساته ومخاوفه ومايفضله أو لا يفضله من أشياء . وتصاغ الفقرات عادة في صورة مثبتة أكثر منها في صورة سؤال . وتصاغ الفقرة أو العبارة عادة في صيغة المتكلم (أشعر أحيانا برغبة في تحطيم الأشياء) أو في صيغة المخاطب (هل تشعر بالضيق إذا راقبك الناس أثناء أدائك لعملك حتى ولو كنت تؤديه جيداً) أو في صورة الغائب (أحيانا «س» يخاف من البقاء وحيداً في الظلام) وقد يكون لهذا النوع الأخير ميزة إذا كان الاختبار يقوم بملئه شخص لمعرفة رأيه فيما يتصل بشخص آخر تربطه به صلة قوية ، على نحو ما يحدث مثلا في عيادات التوجيه الأسرى حيث يقوم الزوج والزوجة بالإجابة عن الأسئلة عن نفسه وعن الآخر . وعلى العموم فإن أغلب اختبارات الشخصية تصاغ عباراتها عادة مثبتة وفي صيغة المتكلم أو المخاطب .

واختبارات الشخصية الموجودة حالياً لا يمكن حصرها فى هذا المجال . فهناك عدد كبير جداً من الاختبارات السيكلوجية التى يفترض أنها تقيس الشخصية . وقد تواجهنا بعض الصعوبات فى تحديد طبيعة اختبارات الشخصية أو تصنيفها لوجود عناصر مشتركة . فقد أفردنا فصلا مستقلا لمقاييس الميول والاتجاهات ونفرد هنا فصلا مستقلا عن اختبارات الشخصية مما قد يوحى للفرد أن اختبارات الميول والاتجاهات ليست لها صلة باختبارات الشخصية . وقد حاول فيرجسون توضيح هذه المشكلة ، بأن نظر إلى اختبارات الشخصية بمعنيين : معنى عام يضم كل اختبارات الشخصية بما فى ذلك اختبارات الميول والاتجاهات والخلق وما إليها ، ومعنى خاص محدود يشير إلى تلك الاختبارات التى تقيس سمة أو سمات معينة فى الشخصية .

وقد أشار فريمان (١) إلى خمسة أنواع من اختبارات الشخصية بالمعنى العام تلك التى :

١ — تقدر سمات خاصة (سيطرة ، ثقة بالنفس . . .)

٢ — تقييم التوافق لنواحى متعددة فى البيئة (المنزل ، المدرسة . المجتمع)

٣ — تصنيف فى مجموعات إكلينيكية (بارانويا ، شخصية سيكوباتية)

٤ — تميز الأشخاص فى مجموعتين أو ثلاثة (اضطرابات سيكوسومانية فى مقابل العاديين) .

٥ — تقيم الميول والاتجاهات والقيم (ميول مهنية واتجاهات نحو الدين وقيم علمية واقتصادية) .

وهذا التقسيم إلى مجموعات خمسة ليس معناه أن اختبارات كل مجموعة

---

(1) Freeman, S. Frank .: Theory and Practice of Psychological Testing. New York, Holt. Rinehart and Winston, 3 ed. 1962.

منفصلة عن المجموعات الأخرى ، فالفروق بين المجموعات ترجع إلى الأهداف والتنظيم وطبيعة المحتوى الكلي وغيرها . وجميع اختبارات الشخصية تقوم أساساً على مبدأ أن السلوك والشخصية هو فى جزء منه يعبر عن سمات معينة وأنه بواسطة هذه الاختبارات يمكن تقدير وجود هذه السمة أو السمات وقوتها .

— وترجع بداية اختبارات الشخصية إلى عام ١٩١٧ حيث وضع وودورث ، أول اختبار لقياس الشخصية والذى نماه وطوره بعد ذلك . ثم أتى بعده عدد من علماء النفس الذين ساروا فى نفس الاتجاه . وكان كل اختبار يقيس فى الحقيقة بعداً واحداً من أبعاد الشخصية ثم تطورت وسائل القياس بعد ذلك وتطورت الوسائل الاحصائية فى بناء المقاييس ومعالجة نتائجها واتجه الباحثون إلى قياس أبعاد متعددة فى الشخصية ومن هنا نجد البعض من أمثال فرجسون فى حديثه عن هذا النوع من اختبارات الشخصية بمعناها الخاص المحدود يقسم هذه الاختبارات إلى قسمين كبيرين :

الأول : الاختبارات الأحادية البعد Unidimensional Tests وهى التى تقيس سمة واحدة أو بعداً واحداً من أبعاد الشخصية كالانطواء أو الانبساط أو العصابية . والسمة المقاسة قد تكون محدودة فى مجالها أو قد تكون متسعة للغاية . ولكن مهما كانت طبيعتها ، فإنها تعد بعداً واحداً أو وظيفة واحدة .

الثانى : الاختبارات المتعددة الأبعاد Multi-dimensional Tests وتستخدم فى قياس أكثر من سمة كتلك التى تكشف عن أهم سمات الشخصية التى تميز الأفراد بعضهم عن بعض . وقد يتكون الاختبار المتعدد الأبعاد من استعمال عدة اختبارات أحادية البعد معا وفى وقت واحد أو قد يتكون من استعمال نفس المجموعة من الفقرات ولكن تقدر بطرق مختلفة .

وسوف نشير إلى بعض الاختبارات التى يتضمنها كل قسم من هذين القسمين الكبيرين .

أولا : الاختبارات الأحادية البعد :

١ — اختبار وود ورث: The Woodworth Personal Data Sheet

وهذا الاختبار الذي وضع ١٩١٧ يعد أقدم الاختبارات المستخدمة عمليا فى قياس الشخصية ، ومنه استمدت فقرات كثير من الاختبارات الأخرى التى وضعت بعد ذلك . وقد وضع هذا الاختبار وطور خلال الحرب العالمية الأولى حين طلبت الهيئات المسئولة فى الجيش الأمريكى مساهمة علماء النفس فى التعرف على الحالات غير الصالحة عقليا من المجندين حتى يمكن استبعادها عن ميادين القتال . وكانت الوسائل المستخدمة حتى ذلك الحين هى المقابلة السيكياترية التى يقوم بها الطبيب النفسى . وليس ثمة شك أن مثل هذه المقابلات لم تكن لتسعف القائمين بعملية الانتقاء إذا لم يكن هناك العدد الكافى من الأطباء النفسيين الذين يمكنهم الكشف عن هذا العدد الهائل من المجندين . ولذلك ذهب وود ورث وبوفنبيرجيه Poffenberger إلى فكرة القيام بهذه المقابلة التى يقوم بها الطبيب النفسى ولكن عن طريق توجيه أسئلة مكتوبة للشخص ، وكانت قائمة الأسئلة تتضمن الأعراض المرضية الشائعة المرتبطة بالأمراض العقلية والنفسية ، وكانت الدرجة هى عدد الأعراض التى يقرر المفحوص وجودها لديه

ويتألف الاختبار فى صورته الأخيرة من ١١٦ سؤالا يجيب عنها المفحوص بنعم أو لا . وقد مر وضع الاختبار بمراحل خمسة هى :

(١) قام وود ورث بوضع قائمة من الأسئلة مكونة من ٢٠٠ سؤال اعتقد أنها تكشف عن أعراض المرض النفسى أو على الأقل تكشف عن نزعات

الاضطراب الانفعالى . وقد استمد هذه الأسئلة من التعليقات الدارجة أو من وصف الكتب وشروحها لهذه الاضطرابات .

(٢) طبق هذه القائمة على مجموعة صغيرة من طلاب جامعة كولومبيا .

(٣) راجع إجابات الطلاب واستبعد منها الفقرات التى أجاب عنها أكثر من ٢٥ ٪ من الطلاب إجابات عصابية وذلك على أساس افتراض أنه إذا كانت نسبة كبيرة من هذه المجموعة التى يفترض أنها عادية تعطى مثل هذه الإجابات العصابية فإن السؤال لا يمكن اعتباره دليلا على سوء التوافق العقلى . وقد نجم عن ذلك أن أصبح عدد الأسئلة ١٧٩ سؤالا .

(٤) طبق هذه الأسئلة على ١٠٠٠ شخص عادى مختارين عشوائيا ، كما طبقها على عينة صغيرة مختارة من الجند الذين لديهم اضطرابات نفسية .

(٥) طبق نفس معيار الإبعاد السابقة الذكر على الأسئلة التى يتبين له عدم صلاحيتها . وكانت النتيجة أن أصبح عدد أسئلة الاختبار فى صورته النهائية ١١٦ سؤالا .

ويعتقد وودورث أن متوسط عدد الإجابات العصابية للعصابيين على هذا المقياس تقع بين ٣٠ — ٤٠ إجابة بينما يبلغ متوسط عدد هذه الإجابات بالنسبة للعاديين حوالى ١٠ إجابات ، ومن هنا نرى أن هناك بعض الاحتمال أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تكشف عن العصاب ومن ثم عن عدم الصلاحية للاعمال الحربية .

والتطور الذى أتى بعد ذلك (وخاصة بعد الحرب الثانية) أدى إلى تحسين القدرة المميزة للاختبار . فدليل كورنيل Cornell Index أمكنه أن ينبىء عن أن ٥٠ ٪ من جميع الرجال الذين أعطوا أكثر من ٢٣ استجابة عصابية على هذا الاختبار ، قد فصلوا من الخدمة العسكرية حسب التقارير الطبية النفسية .

ويمكن أن نشير إلى بعض فقرات هذا الاختبار :

١ — هل تحس عادة بالصحة والقوة .

٢ — هل تنام عادة نوما هادئاً .

٣ — هل كثيرا ما تفزع من نومك أثناء الليل .

٤ — هل ينتابك الكابوس .

١٠ — هل تتوارد الأفكار بكثرة إلى ذهنك بشكل يعوقك عن النوم .

٤٥ — هل تعتاد سريعاً الأماكن الجديدة .

٨٥ — هل لديك عادة قضم الأظافر .

٩٦ — هل تشعر بالتعب والإجهاد بسرعة .

٩٧ — هل كثيراً ما تتغير اهتماماتك .

٢ — اختبار كولجيت للصحة النفسية : The Colgate Mental Hygiene Test

وهذا الاختبار من وضع دونالد ليرد Donald A. Laird ١٩٢٥ . وكان الهدف منه هو الوصول إلى طريقة موضوعية ثابتة وصادقة لمعرفة الأشخاص الذين يحتاجون إلى العلاج النفسي ، وتزويدنا بأداة تعطينا مقياساً كمياً محدداً لقياس درجة ونوع الإنحراف عن العاديين من الناس .

ويتألف اختبار ليرد من مجموعتين منفصلتين الأولى تتكون من ٧٥ فقرة لقياس النزعات العصابية ، أما الثانية فتتكون من ٥٣ فقرة لقياس الإنطواء — الإنبساط .

وكان الفرض الذى افترضه ليرد عند وضع مقياسه هو أن كل السمات المميزة للمرض العقلى هى نفس السمات التى توجد لدى العاديين من الناس ولكن على قدر واضح من المبالغة . ولذلك يقول ليرد إن المنهج الذى يجب

اتباعه عند وضع الاختبار هو ذلك الذى يمكننا فى معرفة هذه السمات التى تعتبر ذات أهمية فى الدلالة على الانحراف النفسى بصورة تسمح بتحديد ما إذا كان الشخص ينحرف أو لا ينحرف عن العادى فى هذه السمات .

وقد مر اختبار ليرد بالخطوات الآتية :

(١) جمع قائمة العبارات التى تشير إلى نواحى السواء أو الانحراف . وقد استمد معظم فقراته فى اختبار وودورث .

(٢) صياغة الفقرات بحيث يمكن أن تقدر وفق مقياس مدرج وذلك بوضع علامة على الموضع الذى يمثل رأى الفرد . والأسئلة مطبوعة فى كتيب على صفحة ، بينما يوجد المقياس المدرج فى مقابل هذه الصفحة وتتطلب تعليمات الاختبار أن يجب المفحوص عن كل سؤال بوضع علامة / على الخط المنقط أمام السؤال وفى الموضع الذى يبين رأيه الصحيح . ويمثل أحد طرفى الخط المنقط درجة منخفضة من المقياس ، بينما يمثل الطرف الآخر درجة مرتفعة . وتمثل النقط المتوسطة خطوات الانتقال من طرف إلى آخـــــر .

(٣) طبق الاختبار على عينة كبيرة من طلاب الجامعة حسب التعليمات السابقة .

(٤) قام ليرد بتوزيع الاستجابات بالنسبة لكل سؤال وحدد على مقاييس بيانية النقط التى تشير إلى الإرباعى الأدنى والإرباعى الأعلى ، واعتبر أن ما يخرج عن حدود المئويات الخمسين المتوسطة استجابات تدل على الانحراف .

٣ – اختبار السيطرة – الخضوع :

The Allport's Ascendence - Submission Reaction Study

وهذا الاختبار من وضع جوردون البورت وفلويد البورت ١٩٢٨ . ويقيس ميل الفرد إلى السيطرة على المحيطين به أو الخضوع لهم فى مواقف الحياة العملية والتى تتم وجها لوجه . وكل فقرة من فقرات الاختبار تبدأ بوصف مختصر لموقف من المواقف التى نقابلها عادة فى حياتنا اليومية سواء فى المنزل أو المدرسة أو فى اجتماع ما أو فى الاتوبيس أو محل تجارة للبيع والشراء . ويلى الفقرة عدد من الإجابات المحتملة (من ٢ – ٤) التى يمكن أن تتخذ فى مواجهة هذه المواقف وعلى المفحوص أن يبين أيها أقرب إليه عند الإستجابة لهذا الموقف . والاستجابات تختلف فى درجة السيطرة أو الخضوع التى تمثلها . وفى هذا الاختلاف توضع أوزان الفقرات .

وقد صادر البورت والبورت على وجود هاتين السمتين . وذهبا إلى أنه عندما تكون إحدى هاتين السمتين سائدة تكون الأخرى ثانوية أو تابعة . وقد سارا على أساس هذه النظرة فى اختيار العديد من المواقف التى ظننا أن الفرد يكون فيها مسيطراً أو خانعا . وقد يكون الفرد مسيطراً فى موقف ، وغير مسيطر فى موقف آخر . ولكن الشخص الأكثر ميلا إلى السيطرة ، يكون كذلك فى عدد كبير من المواقف إذا قيس بالشخص الآخر الأقل ميلا إلى السيطرة . ودرجة الفرد على الاختبار هى المجموع الجبرى لعدد المواقف التى يكون فيها الفرد – أو يشعر أنه فيها – من النوع المسيطر . والإختبار صالح فى أحد صوره للرجال ، وفى صورة أخرى للنساء .

وهذان مثالان من أمثلة اختبار السيطرة والخضوع :

هل تحس بنفسك فى وجود رؤسائك فى ميادين العلم والعمل :

بشكل ملحوظ . . . . . .

إلى حد ما . . . . . .

ليس إطلاقاً . . . . . .

بعثت ببعض حاجياتك لإصلاحها فى محل ما ، وحين ذهبت فى الموعد المحدد أخبرك الصانع أنه « لسه بادى فيها » فهل عادة :

توبخه بشدة . . . . . .

تعبر عن استيائك بشكل معقول . . . . . .

تكتم مشاعرك كلية . . . . . .

ومن الملاحظ أن أختبار السيطرة والخضوع تدور معظم عباراته حول استعادة تذكر السلوك العادى الواقعى للفرد أكثر مما يتصل بمشاعر الفرد ، ولهذا السبب فهو أقل ذاتية وأكثر ثباتاً ، كما يلاحظ أيضاً أن المقياس يحاول أن يغطى مواقف متعددة من السلوك فى الحياة اليومية .

وقد مر إعداد الاختبار بالمراحل الآتية :

(١) إعداد قائمة المواقف .

(٢) تطبيق الاختبار على مجموعات تجريبية .

(٣) طلب إلى كل شخص أن يقدر نفسه حسب مقياس مدرج من سبع خطوات ، كما طلب إلى مجموعة من أربعة من الأصدقاء المقربين لكل فرد أن يقوموا بتقديره حسب نفس المقياس .

(٤) حساب التقديرات المتوسطة لكل الإجابات البديلة بالنسبة لكل سؤال .

(٥) عمل أوزان لكل إجابه .

(٦) إعداد المعايير .

٤ — أختبار الشخصية لثرستون وثرستون :

The Thurston's Personality Sshedule

وهذا الاختبار من وضع لويس ثرستون وثليا جوين ثرستون (١٩٢٨) ويتكون من ٢٢٣ سؤالا يجيب عنها المفحوص بنعم أو لا أو لا أدرى . ويهدف الاختبار - كما يقول ثرستون - إلى إعطاء دليل « ثابت نسبياً » عن النزعات العصابية لدى طلاب الجامعة .

وقد مر وضع المقياس بالخطوات الآتية :

(١) جمع قائمة العبارات .

(٢) طبــــع القائمة .

(٣) تحديد الاستجابات - على أساس قبلى - التى تشير إلى أعراض عصابية وتحديد قيمة كل منها بدرجة واحدة .

(٤) تطبيق الاختبار على مجموعة من الأشخاص .

(٥) تحليل الفقرات .

(٦) وضع المعايير .

وقد جمع ثرستون أكثر من ٦٠٠ فقرة من مصادر متعددة - من وودورث وليرد وفريد Freyd والبورت وغيرهم وطبعت كل فقرة فى بطاقة مستقلة وصنفت إلى مجموعات عدة ، ثم أعيد ترتيبها وطبعت ثم اختصرت أخيراً إلى ٢٢٣ فقرة التى يتكون منها المقياس . وقد قرر ثرستون وثرستون على أساس قبلى أى الاستجابات تكشف عن الميل العصابى وأعطى لكل منها درجة واحدة .

وقد حاولا بعد ذلك التأكد من ملاءمة هذه الأوزان التى وضعت بصورة قبلية : فقاما بتحليل استجابات الخمسين شخصاً الذين حصلوا على أعلى تقديرات

فى هذا الاختبار ، والخمسين شخصاً الذين حصلوا على أقل تقديرات فيه ، ووجدا أن الطلبة الأكثر عصابية كانوا يختارون الاستجابات الدالة على انحرافات عصابية فى كل سؤال على حدة أكثر من الآخرين ، مما جعلهما يعتقدان أن طريقتهما التى قامت على أساس قبلى طريقة مقبولة .

وهذه بعض فقرات اختبار الشخصية والتى تعتبر أكثر تمييزاً للعصابية :

هل تجد صعوبة فى أن تبدأ الحديث مع
شخص آخر غريب لا تعرفه نعم ... ، لا ، .. ؟ ...

هل تشعر غالبا بالوحدة حتى ولو كنت بين أشخاص آخرين .

هل يجرح الناس شعورك بسهولة .

هل تتوارد الأفكار بكثرة إلى ذهنك بشكل يعوقك عن النوم .

هل تسرح كثيراً فى أحلام اليقظة .

هل تفتقر إلى الثقة بالنفس .

هل تجد صعوبة فى التحدث فى جمع من الناس :

٥ — اختبار الإكتفاء الذاتى لبرنرويتر .

Bernreuter's Self - Sufficiency Test

وهذا الاختبار سابق على اختباره المعروف باسم اختبار برنرويتر للشخصية والذى سوف نعرض له فيما بعد . واختبار الإكتفاء الذاتى نشر ١٩٣٣ . وكان يتكون من ٦٠ سؤالا يجيب عنها المفحوص بنعم ، لا ، لا أدرى . والمفروض أن يكشف الاختبار مدى اعتماد الفرد أو استقلاله عن الآخرين . فالشخص الذى ليس معتمداً على الآخرين هو شخص مكتف بذاته . ومن هنا جاءت تسمية الاختبار .

وقد مر الاختبار بالمراحل الآتية :

(١) جمع قائمة العبارات .

(٢) طبع هذه العبارات .

(٣) وضع مفتاح تقدير على أساس قبلي للاستجابات نعم ، لا .

(٤) تطبيق الاختبار على مجموعة من الطلاب .

(٥) تحليل فقرات الاختبار .

(٦) مراجعة الاختبار وتحديد أوزان الاستجابات لا - أدرى .

(٧) اعطاء الاختبار المعدل إلى مجموعات جديدة .

(٨) إعداد معايير مئينية .

وفى دراسة إثبات الاختبار ، استخدم برنرويتر طريقتى التجزئة النصفية وإعادة الاختبار ، وكان معامل الثبات حوالى ٨٤ر٠ أما بالنسبة لدراسة الصدق، فقد وضعت على أساس إيجاد معاملات الارتباط بين درجات الاختبار ومجموعة من التقديرات وقد استخدمت تقديرات ثلاثة، اثنين منها تقديرات زملاء مقربين للفرد والثالثة تقدير الفرد لذاته، وكانت التقديرات تدور حول الحاجة إلى المشاركة والتقدير والتشجيع والرغبة فى الانعزال وعدد مرات طلب النصيحة ، والقدرة على تحمل المسئولية وكانت معاملات الارتباط بين درجات الاختبار وهذه التقديرات هى ٣٦ر٠، ٦٩ر٠ ، ٥٢ر٠، ١٨ر٠ وكان معامل الارتباط بين درجات الاختبار والتقديرات الذاتية الكلية فهو ٦٠ر٠ أما بينه وبين تقديرات الزملاء فكان ٥٤ر٠

٦ — اختبار الذكورة — الأنوثة لـ « ترمان — ميلز » :

The Terman - Miles Masculinity - Femininity Test.

الهدف من وضع اختبار الذكورة — الأنوثة هو مساعدة الإكلينيكى أو

أى باحث آخر فى الوصول إلى تقدير أكثر دقة وموضوعية عن هذه الجوانب من الشخصية التى يختلف فيها الذكور عن الإناث ، ويمكن القول بشكل أكثر تحديداً وتخصيصاً أن الهدف من اختبار الذكورة — الأنوثة هو الوصول إلى تقدير كمى لمقدار واتجاه انحراف الفرد عن متوسط جنسه والسماح لعقد مقارنات كمية بين المجموعات التى تختلف فى السن والذكاء والميول والمستوى التعليمى والمهن والمستوى الثقافى . وكذلك تخليص مفاهيم الذكورة — الأنوثة من الأفكار غير المناسبة والخلط والغموض الذى ارتبط بهما نتيجة للاعتبارات السطحية للسلوك الظاهر فى الحياة اليومية .

وقد وضع اختبار الذكورة والأنوثة فى صورتين متكافئتين : الصورة (ا) وتتكون من ٤٥٦ فقرة والصورة (ب) وتتكون من ٤٥٤ فقرة ، وقد وزع محتوى الفقرات على النحو التالى :

المحتوى	عدد فقرات الصورة (ا)	عدد فقرات الصورة (ب)
تداعى الكلمات	٦٠	٦٠
تداعى بقع الحبر	١٨	١٨
المعلومات	٧٠	٧٠
استجابات وجدانية وخلقية	١٠٥	١٠٥
ميول	١١٩	١١٨
نواحى تتصل بالشخصية والآراء	٤٢	٤١
استجابات انطوائية	٤٢	٤٢
المجموع	٤٥٦	٤٥٤

وقد ظهرت فكرة وضع اختبار الذكورة - الأنوثة عند ترمان ١٩٢٢ عندما كان يبحث عن الفروق بين الجنسين على الأطفال الموهوبين . وقد صنف ترمان مجموعة من اللعب ووسائل التسلية للأطفال حسب تفضيل الأولاد والبنات للعب بها ، وحاول عمل دليل للذكورة على أساس تفضيل الفرد للأنشطة التي يفضلها الأولاد في مقابل الأنشطة التي تفضلها البنات . ولكن عند إعداد التوزيعات لعلامات الذكور ، لاحظ أحد مساعدي ترمان ما يبدو أنه خطأ إذ حصل أحد الأولاد الذكور على درجات في الأنوثة أعلى مما حصلت عليه أية فتاة ومع ذلك لم تظهر أية أخطاء عند المراجعة . مما أثار الشك في صحة تصنيف الجنس ، وقد ترتب على ذلك القيام بالبحث الدقيق وإعداد تاريخ كامل لحياة كل طفل والتحقق من ميوله الأنثوية واستعداداته وسلوكه واتجاهاته .

الخطوات التي مر بها الاختبار :

(١) اقترانات تداعي الكلمات : قام ترمان وميلز بدراسة دقيقة لقاموس كلمات باللغة الإنجليزية يبدو أنه يعطي الكلمات والاستجابات المختلفة لكل من المرأة والرجل . وقدرت هذه الكلمات بواسطة ثلاثة من الحكام لمعرفة قيمتها المحتملة في الكشف عن فروق بين الجنسين . وقد استبقى من مجموعة الكلمات التي درساها ٢٢٠ كلمة قسمت إلى مجموعتين كل من ١١٠ كلمة. وسجلت كل كلمة منفردة على بطاقة . وأعطيت البطاقات إلى ٢٠٠ طالب من المدارس الثانوية والجامعة و٢٠٠ طالبة من نفس المرحلة التعليمية . وكانت التعليمات تقضي أن يستجيب الفرد بالكلمة الأولى التي ترد إلى ذهنه عند قراءة الكلمة المطبوعة على البطاقة . ولكن النتائج التي وصلا إليها لم تكن مشجعة فبحثا عن طريقة أخرى تتلخص في طبع الكلمات (أو المثير) في كتيب . ووضع أربعة إجابات محتملة أمام كل كلمة وعلى المفحوص أن يضع خطا تحت الكلمة (أو الاستجابة) التي يرى أنها أنسب إجابة ممكنة .

وقد كشفت الدراسات الأولى لهذه الكلمات عن وجود بعض الدلائل للفروق بين الجنسين فى الاستجابة للكلمات المثير . وقد أضافا بعد ذلك عدداً من الكلمات التى لم تجرب من قبل وعدداً آخر وجدا أن من المفيد اضافتها . واعيد تطبيق الاختبار بعد الإضافات على ٦٠٠ طالب وطالبة وكشفت الدراسة عن وجود ١٢٠ فقرة صالحه للتمييز بين الجنسين على الأقل بالنسبة لثلاثة من الاربع استجابات المحتملة فى كل المجموعات التى درست. وقد وزعت المجموعة بالتساوى على كل من الصورة (ا) والصورة (ب) .

ولعل أحد الاسباب التى دعت ترمان وميلز إلى ترك الطريقة الأولى فى التداعى الحر إلى التداعى المقيد هو أن معظم الإستجابات التى أعطاها المفحوصون فى الطريقة الأولى كان تكرارها منخفضا لدرجة يحتاج الأمر معها إلى عدد كبير جداً من الأشخاص للوصول إلى فروق بين الجنسين وفى هذا ضياع للوقت والجهد . أما الطريقة الثانية فكانت أكثر ملاءمة للمفحوصين وتحتاج إلى وقت أقل فى الاجراء والتقدير .

(٢) فقرات تداعى بقع الحبر : قام ترمان باعداد ٤٠ بقعة حبر حسب تعليمات « ديربورن » . إلى جانب ٢٠ بقعة أخرى كان « هوبيل » قد اعدها من قبل . ولم تثبت أية مجموعة منهما صلاحيتها . ولذلك أعد مجموعة جديدة من ١٠٠ بقعة واعطيت إلى ١٠٠ طالب و ١٠٠ طالبة فى المرحلة الثانوية والجامعية للاستجابة إليها وتسجيل كل ما قد تثيره البقعه فى نفسه من استجابات . وقد وجد فى البداية أن ٧٠ منها صالحة للتمييز بين الجنسين فصورت هذه ووضعت فى كتيب واعطيت إلى ٢٣٠ من الذكور و ٢٣٠ من الأناث ودرست النتائج بالتفصيل مما أدى إلى تقليل عدد الصور فى النهاية إلى ٣٦ صورة اعتبرت أكثرها تمييزاً . وهذه وزعت بالتساوى بين كل من الصورتين ا ـ ب .

(٣) فقرات المعلومات : أعدت فى البداية ٢٠٠ فقرة معلومات تغطى

مجالات عدة كالتاريخ والعلوم الطبيعية والبيولوجية والأدب والمعلومات العامة والفن والدين والخرافات . وقد اعدت الفقرات فى صورة اختيار مزدوج يختار المفحوص إجابة منهما . واعطيت إلى ٨٠٠ شخص . وبعد الدراسات استبقيت ٩١ فقره جربت على عينه جديدة ، كما أضيف إليها ٤٩١ فقرة جديدة استبق منها ٩٥ فقرة بالاضافة إلى الـ ٩١ فقرة الأولى فأصبح عدد الفقرات ١٨٦ فقرة . وقد اتبع مع هذه الفقرات اسلوب جديد للتقدير . فى المحاولات الأولى كان اسلوب التقدير يتم على اساس عدد الفقرات الذكرية التى اجيب عنها إجابة صحيحة مطروحاً منها عدد الفقرات الآنية التى اجيب عنها إجابة صحيحة ولكن وجد خلال البحث أن بعض الإجابات الخاطئة والمحذوفة يمكن أن تكشف عن فروق بين الجنسين مثلما تكشف الاجابات الصحيحة سواء بسواء . ولذلك اتخذت الخطوات التى تؤدى إلى ادخال الاجابات الخاطئة والمحذوفة فى عملية التقدير . وقد اصبح العدد النهائى لفقرات هذا القسم ١٤٠ فقرة وزعت بالتساوى بين الصورتين (ا) و (ب) .

(٤) فقرات الاستجابات الإنفعالية والخلقية : اعدت فى بداية ٢١٨ فقرة تغطى انفعالات كالغضب والخوف والتقزز وكذلك العديد من الاتجاهات الخلقية . ويبين المفحوص بعد قراءة الفقرة إلى أى حد يميل الموقف إلى إثارة الإنفعال المعين . ويمكن للمفحوص أن يجيب باحدى أربع استجابات ممكنة هى : كثير جداً ، كثير ، قليلا ، اطلاقا ، طبق المقياس على ٨٠٠ شخص . وقد وجد أن الفقرات التى استبقيت فى المقياس هى أكثرها دلالة على التفرقة بين الجنسين على الأقل فى استجابتين من الأربع استجابات المحتملة . وقد اصبح فى كل صورة من الصورتين ا و ب ، ١٠٥ فقرات .

(٥) الميول : جمعت ٤٥٦ فقرة مأخوذ معظمها من اختبار الميول المهنية

لسترونج وطبقت على ٢٤٥ شخصا من الجنسين . وكانت الفقرة التى تستبق هى التى تكشف عن فروق بين الجنسين فى اثنين من ثلاث اجابات محتملة . وقد استبق فى نهاية الأمر ١٨٧ فقرة وزعت على الصورتين فأصبح فى الصورة (أ) ١١٩ فقرة وفى الصورة (ب) ، ١١٨ فقرة .

٦ — فقرات تتصل بالشخصية والآراء : أعدت فى البداية ٩٦ فقرة ، أعطيت لـ ١٠٠ طالب و ١٠٠ طالبة فى المرحلة الثانوية ، ٥٠ طالب و ٥٠ طالبة فى مرحلة الجامعة ، وبعد الدراسة استبقيت ٨٣ فقرة وزعت على الصورة (أ) والصورة (ب) على النحو التالى: ٤٢ فقرة للصورة (أ) و ٤١ فقرة للصورة (ب) .

٧ — الإستجابات الانطوائية : طبقت مراجعة « كادى » لاختبار رود ورث على ١٠٠ طفل موهوب من عينة ترمان و ١٠٠ طفل عادى ، وقورنت استجابات الجنسين . وتستبقى الاستجابات إذا كانت النسبة الحرجة هى ٢,٠ أو أكثر بالنسبة لكل من الإجابة نعم أو لا . كما جربت مجموعة من ٤٧ فقرة من اختبار ليرد واختبار الانطواء — الانبساط لهيدبريدر Heidbreder . وكانت الفقرات التى استبقيت على هذا المقياس ٨٤ فقرة وزعت بالتساوى بين الصورتين (أ) و (ب) .

أما بالنسبة للثبات والصدق . فقد أورد فيرجسون ثبات هذه المقاييس عند كل جنس على حدة وكذلك عند الجنسين وقد لوحظ أن معظم معاملات الثبات كانت منخفضة باستثناء اختبارات الميول والاستجابات الوجدانية والخلقية .

أما بالنسبة للصدق فمن السهل إثبات صدق اختبار الذكورة والأنوثة إذا وجدنا أن الاختبار يميز بين الأولاد والرجال من ناحية والفتيات والنساء من ناحية أخرى .

وكان مدى درجات الذكور يقع بين ٢٠٠ — ١٠٠ ، بينما مدى درجات

النساء بين ١٠٠ — ٢٠٠ . والدرجة المتوسطة للرجال هي ٥٢ وللنساء هي ٧٠.
ومن الممكن القول بوجه عام أن اختبار الذكورة والأنوثة صادق في التمييز بين الجنسين (١) .

ثانياً : الاختبارات المتعددة الأبعاد

وقد قصد بهذا النوع من اختبارات الشخصية قياس أكثر من سمة من سمات الشخصية في وقت واحد . فبعد أن كانت الاختبارات الأولى تقتصر على قياس سمة معينة كالسيطرة والخضوع أو الذكورة - الأنوثة أو الانطواء والانبساط نجد أن تفكير بعض علماء النفس يؤديه إلى أن من الممكن قياس أكثر من بعد من أبعاد الشخصية في نفس الوقت . ولذلك سميت هذه الأنواع من الاختبارات باسم الاختبارات المتعددة البعد لقياس الشخصية . وقد يتكون الاختبار المتعدد البعد من استعمال عدة اختبارات احادية البعد في وقت واحد أو قد يتكون من استعمال نفس المجموعة من الفقرات تقدر بطرق مختلفة ، وهناك بالطبع مستويات بين هذه الأطراف . وقد وضع العديد من الاختبارات التي تقيس أكثر من بعد ولكننا سنقتصر هنا على دراسة بعضها متوخين الاختصار في الشرح قدر الإمكان .

١ — اختبار الشخصية البرنرويتر :

The Bernreuter Personality Inventory

وهو من إعداد روبرت . ج برنرويتر ١٩٣٢ . وهو من الاختبارات الواسعة الانتشار . ويهدف إلى أن يكون أداة تكشف عن درجة توافق الفرد، وعن مواضع الفرد على متغيرات السمات الأخرى .

ويقيس الاختبار جوانب متعددة من الشخصية في وقت واحد مما يجعله يحقق وفرة كبيرة في التكاليف والزمن اللازم لتطبيق الاختبار . كما أن من

(1) Ferguson, W. Leonard: Personality Measnrement. New Yo[illegible] Mc Graw-Hill Book Company 1952 chp. 6.

مزاياه أيضا أن المقاييس التي يتضمنها الاختبار على درجة عالية من الثبات والصدق مما يسمح باستخدامها بنجاح للمقارنة بين الأفراد .

وقد سار تفكير برنرويتر عند وضع الاختبار على أساس أن السلوك في موقف معين يكشف عن سمات متعددة ، فالعبارة أو الفقرة في الاختبار هي إذن بمثابة موقف مثير . ونفس الفقرة يمكن إذن أن تقيس لأكثر من سمة واحدة ، ولذلك أقام فكرة الاختبار على أساس أن يجعل عدداً محدوداً من الفقرات تقوم مقام عدد أكبر بكثير عن طريق إعطاء كل فقرة أوزاناً مختلفة لأكثر من سمة واحدة .

ويتكون اختبار برنرويتر من ١٢٥ سؤال يجب عن كل منها بنعم ، لا ، لا أدري وقد قصد به أن يقوم مقام أربعة اختبارات كانت كل منها تقيس سمة مستقلة . فالهدف منه إذن هو إعطاء مجموعة من الدرجات تخدم نفس الأغراض التي للإختبارات الأربعة الأصلية فقد أراد برنرويتر وضع اختبار يقيس متغير الانطواء — الانبساط في اختبار ليرد ، ومتغير العصابية في اختبار الشخصية لثرستون ، ومتغير السيطرة — الخضوع في اختبار ألبورت وألبورت (وقد أطلق برنرويتر على هذه السمة اسم Dominance) ، ثم متغير الاكتفاء الذاتي الذي كان قد وضع له مقياس من قبل على نحو ما أوضحنا في حديثنا عن الاختبارات الأحادية البعد .

وكانت الاختبارات السابقة على هذا الاختبار تقوم على افتراض أن عنصراً سلوكيا معينا يمكن أن يفسر أو يكشف عنه بواسطة سمة واحدة . ولم يكن علماء النفس على اتفاق حول هذا الفرض . لكن المهتمين ببناء المقاييس لم يكن أمامهم بديل آخر . وقد خطا برنرويتر الخطوة الأولى فذهب إلى أن سلوك الفرد في أي موقف قد يكشف عن سمات متعددة . وذهب إلى أن هذا الفرض لو صح ، فأن فقرة ما ، يمكن أن يكون لها قيمة تشخيصية معينة

بالنسبة لسمة ما ، وقيمة تشخصية أخرى بالنسبة لسمة أخرى ، وهكذا . وهذا من شأنه أن يجعلنا أن نتمكن من بناء الأختبار الذى يمكن أن يستعمل فى تحليل سمات متعددة فى وقت واحد .

والاختبار فى صورته الأولى كان يتكون من أربعة مقاييس. ولكن حين طبق فلاناجان J.C.Flanagan طريقة التحليل العاملى على هذه المقاييس الأربعة تبين له من نتيجة التحليل أن هذه المقاييس الأربعة الأصلية مشبعة بعاملين رئيسيين هما «الثقة بالنفس» و «المشاركة الاجتماعية» وقد وقع ذلك برنرويتر إلى إضافة مقياسين جديدين الى مقاييسه الأربعة السابقة ، فأصبح الاختبار يتكون من ستة مقاييس .

وسوف نشير باختصار إلى كل مقياس منها :

(١) مقياس الميل العصابى :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس يكشف عن ميل إلى العصاب . ومثل هذا الشخص يشعر غالباً بالتعاسة والإحساس بتأنيب الضمير تثيره الأفكار التى لا طائل وراءها . خجول . يشعر بالنقص يحس أنه بعيد عن الناس ، مغلق على نفسه ، يعيش فى أحلام اليقظه ، كثير القلق حول الأشياء التى حدثت وانتهت والتى يحتمل حدوثها .

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فإنه يميل إلى الثبات الانفعالى . ونادراً ما يسبب له التقلب المزاجى أو نقد الآخرين أى أضطراب ، فهو شخص واثق من نفسه ، يحيا فى عالم الواقع لا فى عالم الخيال .

(٢) مقياس الإكتفاء الذاتى :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس يعد من النوع

الذى يكتفى بنفسه ، يفضل العزلة ويشعر بالرضا حين يكون بمفرده . يفضل العمل وحده على العمل مع جماعة ، يعتمد على أحكامه الذاتيه فى الوصول إلى قراراته ورسم خططه ، ولهذا فهو يميل إلى أغفال نصيحة الغير .

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فهو شخص يميل إلى الاعتماد على الغير فى الحصول على متعته ، وسروره ، يميل إلى قضاء وقته مع الآخرين ، يفضل مشاركة الغير فى العمل ووقت الفراغ ، يحب مناقشة مشكلاته مع الآخرين ، ولهذا فهو يتقبل نصيحة الغير قبل اتخاذ قراراته .

(٣) مقياس الانطواء — الانبساط :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى الانطواء ، أى من النوع الذى يجتر أفكاره ويعيش داخل نفسه ، وتظهر عليه أعراض العصاب التى تظهر بصورة واضحة على الحالات التى تحصل على تقديرات عالية على مقياس الميل العصابى . أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس فهو أميل إلى الإنبساط ، لا يقلق إلا نادراً وقلما يشعر بتقلبات انفعالية . وقليلا ما تحل احلام اليقظة محل العمل . وتظهر عليه خصائص هؤلاء الذين يحصلون على تقديرات منخفضة على مقياس الميل العصابى .

(٤) مقياس السيطرة — الخضوع :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى السيطرة على الآخرين فى المواقف الاجتماعية التى تتطلب مواجهة الآخرين . وهو عادة شخص واثق من نفسه ، عدوانى ، على استعداد لاتخاذ موقف المبادأة قبل الآخرين . سرعان ما يكون علاقته مع الغرباء والشخصيات الكبيرة ، ولا يعانى من احساسات النقص فى المواقف التى يشعر فيها بالنقص ،

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فهو أميل إلى الخنوع . يفتقر إلى الثقة بالنفس ، يحب أن يبقى فى المؤخرة فى المواقف الاجتماعية . ونادراً ما يأخذ المبادأة فى توجيه الآخرين أو القيام بنشاط قبلهم ، يعانى من مشاعر النقص ويحجم عن مقابلة الشخصيات الهامة .

(٥) مقياس الثقة بالنفس :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى أن يكون حساساً بنفسه لدرجة تعوقه عن التوافق مع الآخرين ، كما يميل إلى الشعور بالنقص .

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة ، فإنه يميل إن يكون من النوع الواثق بنفسه ، الحسن التوافق مع الآخرين .

(٦) مقياس المشاركة الاجتماعية :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى أن يكون من النوع غير الاجتماعى المنعزل المستقل . أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فإنه يميل إلى أن يكون من النوع الاجتماعى الألوف .

هذا ومن الممكن استخدام هذا الاختبار لقياس سمات الشخصية فى هذه المقاييس الستة أو فى بعضها فقط حسب الحاجة . فإذا كان الباحث يريد فقط معرفة بعض نواحى الشخصية التى يقيسها الاختبار ، فإنه يمكنه أن يطبق المقاييس التى تناسب أغراضه .

الخطوات التى مر بها الاختبار :

طبق برنرويتر صورة مبدئية فى الاختبار والاختبارات الأربعة التى استمد فقراته منها على مجموعة من الطلاب حوالى ٤٠٠ ووزع درجاتهم

بالنسبة لكل منها . وفى ضوء هذه التوزيعات اختبار الخمسين طالباً الذين حصلوا على أعلى درجات فى كل مقياس والخمسين طالباً الذين حصلوا على على أقل درجات فيه . وكان نصف هذا العدد من الذكور ونصفهم الآخر من الإناث . أى أنه بالنسبة لكل سمة كان يحصل على الـ ٢٥ الأعلى درجة والأدنى درجة من الرجال والـ ٢٥ الأعلى درجة والأدنى درجة من الأناث .

بدأ يدرس كيف تميز الفقرات بين كل من هاتين المجموعتين المتعارضتين بالنسبة لكل من المتغيرات الأربعة التى بدأ بها . ولذلك حسب العدد والنسب المئوية فى كل فئة أجابت بنعم أو لا أو لا أدرى بالنسبة لكل سؤال ثم حسب الفروق بين النسب المئوية للفئتين وحدد الأوزان التشخيصية فى ضوء هذه الفروق . ولم يقم برنرويتر مع ذلك بهذه الحسابات وإنما استخدم أحد جداول أوزان الفقرات لستروبج والذى يعطى أوزان الفقرة مباشرة من النسب المئوية التى تميز أو تحدد المجموعات المعيارية المتقابلة .

وقد وضعت أوزان كل فقرة على أساس القوة المميزة لها والتى حددته بطريقة تجريبية وإحصائية . وعلى ذلك أصبح هناك مقياس تقدير ، مقياس لكل سمة من هذه السمات الخاصة .

وفى الطبعة العربية التى أعدها الدكتور محمد عثمان نجاتى لهذا الاختبار فى ابريل ١٩٦٠ نجد شرحاً وافياً لطريقة اجراء الاختبار (كراسة التعليمات) ثم معايير مئينية مؤقتة للاختبار ثم مفاتيح الاختبار . . . . . .

ويستخدم لتصحيح الاختبار ستة مفاتيح تصحيح مختلفة ، لكل مقياس مفتاح تصحيح خاص به . وقد حددت القيمة التشخيصية لكل اجابة على كل سؤال بالنسبة لكل سمة . ثم وضعت أوزان مختلفة للإجابات المختلفة تتراوح بين + ٧ ، — ٧ ، تبعاً للقيمة التشخيصية لهذه الإجابات ، والدرجة الكلية التى

يحصل عليها الفرد فى كل مقياس هى المجموع الجبرى للأوزان التى تقابل اجابات المفحوص . .

وتحول الدرجات الكلية الى درجات مئينية حتى يسهل فهم معناها وحتى يمكن استخدامها فى مقارنة الأفراد بعضهم ببعض . وتبين الدرجة المئينية النسبة المئوية من أفراد المجموعة التى ينتمى اليها المفحوص ، والذين يحصلون فى المقياس المعين على درجات أقل من الدرجة التى حصل عليها المفحوص . فمثلا إذا كانت الدرجة المئينية التى حصل عليها المفحوص فى أى مقياس هى ٥٠ ، فمعنى ذلك أن المفحوص حصل فى هذا المقياس على درجة تزيد عن الدرجات التى حصل عليها ٥٠ ٪ من الأفراد فى المجموعة التى ينتمى اليها . وإذا كانت الدرجة المئينية التى حصل عليها المفحوص هى ٨٠ فمعنى ذلك أن المفحوص حصل فى هذا المقياس على درجة تزيد على الدرجات التى يحصل عليها ٨٠٪ من الأفراد فى المجموعة التى ينتمى اليها .

ثبات وصدق الإختبار :

أوضحت الدراسات أن معامل ثبات هذا الاختبار بطريقة التجزئة النصفية يتراوح بين ٧٧ر٠ — ٨٨ر٠ وأن معامل الثبات بطريقة اعادة الاختبار فيتراوح بين ٦٥ر٠ و ٩٢ر٠ اذا كانت الفترة الفاصلة بين الاجراءين قصيرة . وكان معامل الثبات بعد سنة يتراوح بين ٧٠ر٠ و٧٧ر٠ وبعد سنتين من ٥٦ر٠ و٧٤ر٠ وبعد ثلاث سنوات من ٤٤ر٠ الى ٧٢ر٠

أما بالنسبة للصدق ، فقد أجرى الكثير من الدرسات على هذا الاختبار فى علاقته بالتنبؤ بالسلوك من الأنواع المختلفة . ومعظم النتائج لخصها سوبر فى قوله : إن اختبار برنرويتر كشف عن بعض القدره على التمييز بين المجموعات المرضية والعادية والتمييز بين المجموعات المرضية المختلفة

ولكن ليس إلى الحد الذى يجعل الاختبار مفيدا بشكل عادى لمثل هذه الأغراض . كما كشف عن قدرة بسيطة أو معدومة للتمييز بين مجموعات لديها مشكلات سلوكية وغيرها من المجموعات . ومن المعروف الآن بوجه عام أن الأفراد الذين يعانون من مشكلات سلوكية يختلفون فى تكوين شخصياتهم عن العصابيين . واختبار برنرويتر قد وضع أساسا لتمييز العصابيين .

وقد أمكن بنجاح تمييز الطلاب الذين لديهم أنواعا معينة من مشكلات الشخصية بواسطة اختبار برنرويتر وقد وجد أن الطلاب الذين يكتسبون — ولو جزءاً على الأقل من قوتهم بأنفسهم — أكثر اكتفاء بذواتهم ، كما أنهم أكثر ميلا إلى السيطرة من غيرهم . كما وجد أن الطلاب القادة يختلفون عن غيرهم فى نفس الاتجاه . كما وجد أن الأفراد الذين لديهم تكيفا عائليا ، هم أقل فى مقاييس الانطواء والنزعة العصابية من غيرهم من سيء التوافق (١) .

٢ — اختبار الشخصية المتعدد الأوجه :

Minnesota Multiphasic Personality Inventory (M.M.P.I.)

وهذا الاختبار من أوسع اختبارات الشخصيه انتشاراً ، ومن ثم ليس غريبا أن يخضع هذا الاختبار للعديد من الدراسات والبحوث . وقد قام بوضع هذا الاختبار اثنان من جامعة مينسوتا خلال الفترة ما بين ١٩٣٠ — ١٩٤٠ وهما الطبيب ج شارنلى ما كنلى والسيكلوجى ستارك ر . هاثاوى . وقد ورد فى كتاباتهما عن الاختبار أنه « وضع أساسا لجهد السيكلوجى بصورة متكاملة عن جميع الجوانب الهامة المتعددة فى شخصية الفرد والتى تتمثل فى درجات على المقاييس المختلفة التى يحتويها الاختبار . فالهدف من هذا الاختبار إذن هو إيجاد مقياس موضوعى لقياس بعض الخصائص الأساسية

(1) Guilford. J. p.: Personality .New York. , Mc Graw-Hill Company Inc. , 1959.

فى الشخصيه والتى لها علاقة بأمراض الطب النفسى . ولذلك فهو يعد وسيلة مساعدة إلى الأطباء بوجه عام ، والأطباء النفسيين بوجه خاص ، طالما أن نسبة كبيرة من المرضى الذين يذهبون حتى إلى الأطباء العاديين ، يعانون من مشكلات سيكوسومانية .

وبعد أن أصبح الاختبار واسع الانتشار بعد طبعه ١٩٤٣ ، وجد أنه صالح أيضا للتطبيق على العاديين من الناس . وهو اليوم من الاختبارات التى تستخدم على نطاق واسع جداً فى كثير من بلاد العالم ، كما أنه صالح للاستعمال بالنسبة للأشخاص ابتداء من سن السادسة عشرة وما بعدها ولمن يمكنهم القراءة .

وللاختبار صورتان إحداهما فردية وتحتوى على ٥٥٠ عبارة كل واحدة منها مطبوعة على بطاقة مستقلة . وتوزع كل واحدة منها إلى قوائم ثلاثة هى : نعم ، لا ، لا أدرى حسب ما تتراءى للفرد وهل هى صادقة أم خاطئة أم من الصعب تحديد رأى فيها والصورة الأخرى جمعية ، متضمنة فى كتيب يحتوى على ٥٦٦ عبارة منها الخمسمائة وخمسين عبارة الواردة فى الصورة الفردية مضافا إليها ست عشرة عبارة مكررة فى الكتيب وورقة الإجابة . وقد قام بإعداد هذه الصورة الجمعية إلى اللغة العربية كل من د. عطيه محمود هنا و د . محمد عماد الدين اسماعيل و د . لويس كامل مليكه . كما قام الدكتور لويس كامل مليكه بعرض لهذا الاختبار فى كتاب الشخصية وقياسها (١) .

والعبارات التى يحتويها الاختبار فى صورتيه الفردية والجمعية يمكن تصنيفها حسب موضوعها أو مضمونها إلى ٢٦ قسما منها الصحة العامة والجهاز العصبى والحركة والتوافق والحساسية والعادات والأسرة والحياة الزوجية

---

(١) د. لويس كامل مليكه و د . محمد عماد الدين اسماعيل و د . عطية محمود هنا: الشخصية وقياسها ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ :

والمهنة والتعليم والاتجاهات نحو الجنس والدين والسياسة والقانون والمجتمع، والانفعالات الاكتئابية والهوسية وحالات الحصر والقهر والهذيان والخداع والهلوسة والمخاوف المرضية والميول السادية والماسوشية والذكورة والأنوثة وغيرها .

وقد اختيرت العبارات المختلفة وصنفت لتكوّن مقاييس مستقلة ، منها أربعة تعرف بمقاييس الصدق وعشرة تعرف بالمقاييس الاكلينيكية . أما مقاييس الصدق فهي المقياس (؟) ومقياس الخطأ (ف) ومقياس الكذب (ل) ومقياس التصحيح (ك) . أما المقاييس الاكلينيكية العشرة فهي :

١ — توهم المرض (هـ س)
Hypochondriasis (Hs.)

٢ — الانقباض (د)
Depression (D)

٣ — الهستيريا (هـ ى)
Hysteria (Hy)

٤ — الانحراف السيكوباتي (ب د)
Psychopathic Deviation (Pd)

٥ — الذكورة - الأنوثة (م ف)
Masculinity-Femininity (MF)

٦ — البارانويا (ب ا)
Paranoia (Pa)

٧ — السيكاثينيا (ب ت)
Psychasthenia (Pt)

٨ — الفصام (س ك)
Schizophrenia (Sc)

٩ — الهوس الخفيف (م ا)
Hypomania (Ma)

١٠ — الانطواء الاجتماعي (س ى)
Social-Introversion (Si)

وعند وضع الاختبار وإعداده ، قام الباحثان بمقارنة إجابات عدد كبير من الأشخاص العاديين واجابات من المرضى النفسيين والعقليين . وقد وجدا أن هناك اختلاف بين إجابات العاديين والمرضى . فمثلا بالنسبة لعبارة كهذه « اضحك أحيانا على النكت التي قد تخرج عن حدود اللياقة » . وجد أن أكثر من ٨٠ ٪ من الأشخاص العاديين أجابوا عنها بنعم ، بينما غالبية الحالات المرضية التي تعاني من حالات الإنقباض أجابت بـ « لا » . أما أن هذه العبارة بالذات لا يبدو أن لها علاقة قبلية بالانقباض ، فهذا ليس له أهمية بالنسبة للتنبؤ . فمن الناحية التجريبية ، هناك اختلاف في تواتر

الاستجابات عند كلا المجموعتين . وعلى ذلك ، ومن الناحية الإحصائية ، فإن الشخص الذى يجيب بنعم على هذه العبارة يكون أقرب إلى العادى منه إلى حالة الانقباض . وليس ثمة شك أننا نكون عرضة للخطأ إذ بنينا حكمنا فى ضوء معرفتنا بالاجابة عن عبارة واحده أو حتى عدد قليل من العبارات . ولكن عندما يتبين لنا أن عدداً كبيراً من العبارات تكشف عن وجود فروق إحصائية بين المجموع العام من الناس والمجموعات المرضية الخاصة (وبين المجموعات) ، فإنه يكون لدينا درجة من الثقة فى قدره المقياس على التمييز بين مجموعة وأخرى وأن تكون لدينا تصنيفات مفيده ممكنة .

ولقد أوضحت العديد من المقالات والبحوث التى نشرت عن اختبار المينسوتا المتعدد الأوجه أهمية هذا المقياس وفائدته فى قياس الشخصية . وقد ظهرت فائدة هذا المقياس ككل أو أحد مقاييسه الفرعية كالمقياس السيكوباتى مثلا فى الكشف عن الحالات التى يحتمل أن يكون لديها سلوك منحرف .

ولقد استخلص بعض السيكولوجين مقاييس إضافية من عبارات اختبار المنيسوتا . ومن بين المقاييس المستخلصة مقياس سوء التوافق العام General maladjustment (Gm) والمكانة الاجتماعية Social status (st) والتعصب Prejudice (Pr) ، والسيطره Dominance (Do) وقوه الأنا Ego Strength(Es) والتحكم فى التوافق السيكولوجى Control in Psychological (Cn)Adjustment (١)

وواضح من هذه المقاييس العديدة التى يحتويها اختبار المنيسوتا أنه يهتم أساسا وبشكل محدد بالمشكلة الاكلينيكية للتشخيص الفارق . وهذا ما يتضح

(1) Welsh, G. S. and W. G. Dahlstrom: Basic Readings on the M.M.P.I. in Psychology and Medicine. Minneapolis: University of Minnesota Press. 1956.

بصورة أكثر من قولنا أن هذه المقاييس قد وضعت على أساس المقابلة بين مجموعات عادية وحالات مرضية أكلينكية . والمعيار الرئيسى للصدق كان هو التنبؤ بالحالات الأكلينيكية فى مقابل التشخيصات التى تقدمها هيئة المستشفى .

وسوف نشير باختصار إلى المقاييس الأربعة الخاصة بالصدق ثم ننتقل بعد ذلك إلى المقاييس الأكلينيكية :

أولا : مقاييس الصدق :

١ — المقياس (؟)

والدرجة على هذا المقياس هى عدد العبارات التى يجيب عنها المفحوص بلا أدرى (؟) ، أى العبارات التى لا يستطيع الإجابة عنها بإحدى الفئتين « نعم » أو « لا » ويذهب مؤلفا هذا الاختبار إلى أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس من شأنها أن تعطى صفحة نفسية غير صادقة كلية . ورغم أن الدرجة التائية ٧٠ على هذا المقياس لا تمثل صفحة نفسية غير صادقة ، إلا أنه يفضل التمسك بدرجة ت ٥٠ أو أقل من ذلك ويذهب البعض إلى أن من المسموح به أحيانا حث المفحوص على وضع مثل هذه الإجابات تحت إحدى القائمتين الأخريين نعم أو لا ،على أساس أن ليس من الضرورى أن تنطبق عليه الإجابة إنطباقاً تاماً ولكن تشير فقط إلى ترجيح أكثر نحو نعم أو لا . أما إذا وجدنا إصراراً من المفحوص على ذلك فيحسن عدم الضغط عليه (وفى الصورة العربية لهذا الاختبار الغى الباحثون القائمة لا أدرى وقصراً توزيع الإجابات على القائمتين نعم و لا .

والدرجة على المقياس ؟ فى حد ذاتها لها دلالتها التشخيصة . ولكن لا تتوفر لدينا حتى الآن معان اكلينيكية محددة لها.وقد لوحظ غالباً أن الدرجات المرتفعة تكثر بين السيكاثيليين والانقباضيين .

٢ — مقياس الخطأ (ف)

ومقياس الخطأ يتكون من العبارات التى تستخدم لمراجعة صدق الاختبار ككل . فمقياس ف يتكون من العبارات التى لوحظ أن الأفراد الاسويين ندر أن أجابوا عنها بالصورة التى تصحح بها . وإذا كانت درجة مقياس الخطأ عالية فان الدرجات الأخرى يحتمل أن تكون غير صادقة . أما سبب إهمال المفحوص عن قصد أو غير قصد فى الإجابة على الإختبار أو لعدم فهمه فقرات الاختبار . فكلما زادت الدرجة على هذا المقياس زاد احتمال أن بعض العوامل قد تدخلت لتقلل من صدق الصحة النفسية . أما إذا قلت درجة هذا المقياس فان ذلك يعتبر دليلا صادقا على أن إستجابات المفحوص معقولة ووثيقة الصلة بالعبارات أو الموضوع الذى يجيب عنه .

ومن المحتمل أن تزداد الدرجة نتيجة لأخطاء فى التصحيح . والدرجة الثائية التى تساوى ١٠ أو أقل على هذا المقياس تدعو للطمأنينة بأن المفحوص قد تعاون فى الاختبار وفهم العبارات بدرجة معقولة ، وأن التصحيح قد أجرى على وجه الدقة نسبيا . إلا أن درجة هذا المقياس تزداد نتيجة أنواع معينة من المرض النفسى وخاصة فى الحالات الشبيهة بالفصام وحالات الانقباض رغم اجابتهم بعناية وتعاون (١) .

٣ — مقياس الكذب (ل)

وتستمد الدرجة على هذا المقياس من ١٥ عبارة تتضمن كلها أموراً مقبولة اجتماعياً ، إلا أنها لا تنطبق عادة على أى فرد فى عالم الواقع . وهذا معناه أن الشخص يريد أن يعطى انطباعا عن نفسه فى صورة مقبولة اجتماعياً ومن أمثلة هذه العبارات « أؤجل إلى الغد فى بعض الأحيان ما يجب أن اعمله اليوم » فرغم أن الإجابة الصحيحة المعتادة تكون نعم ، إلا أن الإجابة المقبولة اجتماعيا والتى يعتقد أن الناس يرضون عنها هى لا . ومن المعتقد أن الشخص

(١) د. لويس كامل مليكه وآخرون : الشخصية وقياسها ، مرجع سابق ص ١٤٩ .

الذى يحصل على درجة مرتفعة على هذا المقياس يكون من النوع الذى يريد أن يظهر نفسه فى صورة مقبولة اجتماعياً وذلك عن طريق تحريف استجابته لعبارات المقياس » . ورغم أن الدرجة العالية على مقياس الكذب لا تؤدى بالضرورة إلى عدم صدق المقاييس الأخرى ، فإنها قد توضح أن الإجابات عامة قد تأثرت بنزعة الفرد إلى الكذب أو بإعطاء صورة غير صحيحة عن نفسه . ومن هنا فان النتائج العامة يمكن أن تكون موضع نقاش .

٤ — مقياس التصحيح (ك) :

« يعبر المقياس ك بصفة عامة عن اتجاه المفحوص نحو الاختبار . وهو يرتبط بالاتجاهات التي يكشف عنهما مقياس الخطأ والكذب . والدرجة العالية على المقياس (ك) مثل الدرجة (ل) قد تدل على استجابة دفاعية تتضمن تحريفا مقصوداً نحو الطرف السوى . أما الدرجة المنخفضة على المقياس (ك) فهى تشير إلى أن المفحوص ينقد نفسه بنفسه وأنه مستعد للكشف عن أعراضه حتى ولو كانت ضئيلة فى دلالتها المرضية وأنه يرغب فى إظهار نفسه بمظهر لا سوى (١).

والدرجة على المقياس ك تستخدم كعامل مصحح أى أنها تضاف كلها أو جزء منها إلى الدرجات على خمسة من المقاييس الإكلينيكية (هى توهم المرض(هـ س) ، والانحراف السيكوباتى (ب د) والسيكاثينيا (ب ت) ، والشيزوفرينيا (الفصام) (س ك)، والهوس الخفيف (م ا) لزيادة قدرتها على التميز والتشخيص ، ويجد القارىء قيم (ك) التى تضاف إلى هذه المقاييس الاكلينيكية على الصفحة النفسية للاختبار .

---

(١) د . لويس كامل وآخرون : الشخصية وقياسها . مرجع سابق ص ١٤٨ — ١٥٠

(ثانياً) المقاييس الإكلينيكية :

١ — مقياس توهم المرض : هـ . س

وهو مقياس لمقدار الاهتمام الزائد بالوظائف الجسمية والقلق الذى لا يستند إلى سبب ، على الصحة . فيشكو الفرد غالبا من آلام واضطرابات يصعب تبينها وليس لها أساس عضوى واضح . والدرجة المرتفعة الصادقة على هذا المقياس تعبر على الأقل عن محاولة للاطمئنان ، وفى الحالات الشديدة ، للتنفيس عن التوهم المتصل بالمرض الجسمى » . وبينما نجد المرضى الذين يعانون فعلا من مرض جسمى يسهل إثباته والتيقن من وجوده ، يحصلان عادة على درجة عالية فى المقياس هـ . س بسبب شكواهم النفسية من المرض ، إلا أن زيادة الدرجة عن ٦٥ يكون دليلا قويا على وجود المرض النفسى حتى فى حالات الأفراد الذين يعانون فعلا من مرض جسمى .

وقد وجد أن الأشخاص ذوى الدرجات المرتفعة على المقياس هـ س ، يوصفون ممن يعرفونهم بتعدد الاهتمامات وبالإقبال على الناس وبالعطف والنظام والاعتراف بالجميل (١)

٢ — الانقباض : د

وقد استخرج هذا المقياس أساساً من استجابات المرضى الانقباضيين والذين يعانون من حالات الجنون الدورى . والدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على انخفاض فى الروح المعنوية مع الشعور باليأس والعجز عن النظر إلى المستقبل نظرة عادية متفائلة .

وقد وجد أن أهم الصفات التى تنسب إلى من حصلوا على درجات مرتفعة

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٢ــ١٥٣

على هذا المقياس هى القلق والصراحة والتواضع والكرم والحساسية وشدة العاطفة وتقدير الجمال ، أما الذين حصلوا على درجات منخفضة فقد اشتركوا مع من حصلوا على درجات منخفضة على المقياس لك فى كثير من الصفات . وقد وصفوا بالمرح والتكيف والثقة بالنفس والتعاون والسلوك غير المتكيف (١) .

وقد قام د . لويس كامل مليكة (١٩٦٦) بإعداد معايير مصرية لمقياس الإنقباض تتوفر له مقومات المقياس الجيد . وقام بتطبيق المقياس على مجموعات إكلينيكية من ٥٠ شخصاممن تتراوح أعمارهم بين ١٧ سنة و ٥٩ سنة بمتوسط قدره ٣١ر٢١ ، وكذلك بمجموعة ضابطة تتراوح أعمارها بين ١٧ و ٥٩ سنة بمتوسط قدره ٣١ر٩٧ وقام بتحليل فقرات المقياس الذى كان يتكون من ٦٠ فقرة وأسفر التحليل عن وجود ١١ عبارة مميزة تمييزاً دالاعند مستوى ٠٠١ر٠ ، ١٠ عبارات مميزة تمييزاً دالا عند مستوى ٠١ر٠ ، ٦عبارات مميزة تمييزاً دالا عند مستوى ٠٥ر٠ ، ٨ عبارات عندمستوى ١٠ر٠ ، ٥ عبارات عند مستوى ٢٠ر٠ . أما باقى العبارات وعددها عشرون فقد كانت خارج حدود المستويات السابقة . ولذلك فقد أعد مقياساً جديداً للانقباض مكونا من ٤٠ عبارة ، وفيما يلى بعض العبارات التى وردت فى هذا المقياس الجديد (٢)

نومى مضطرب وقلق .

من المؤكد أننى قليل الثقة بنفسى .

اننى أعمل تحت توتر عصبى عنيف

أشعر فى بعض الأحيان شعوراً قوياً بأننى عديم الفائدة .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٥٤ — ١٥٥

(٢) د . لويس كامل مليكة : مقياس الإنقباض واختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦

مرت بي فترات تقدر بالأيام وأحيانا بالأسابيع أو الشهور ، فقدت فيها القدرة على الاهتمام بما حولي وذلك لأنني لم أستطع مواصلة نشاطي .

٣ — مقياس الهستيريا : هـ . ى

ويقيس درجة تشابه المفحوص بالمرضى الذين تظهر عليهم أعراض الهستيريا التحولية . وقد تأخذ هذه الأعراض صورة شكاوى عامة منتظمة أو شكاوى أكثر تحديداً وتخصيصا مثل الشلل والتقلصات والإضطرابات المعوية أو الأعراض القلبية . والأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس معرضون أيضا على وجه الخصوص لنوبات مفاجئة من الضعف والإغماء أو حتى ما يشبه نوبات الصرع .

وقد وجد أن الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هـ ى يوصفون بالصراحة وكثرة الكلام والتحمس والميل للمجتمعات والمخاطرة والود والقلق ، أما الأشخاص الذين يحصلون على درجات منخفضة على المقياس ، فإنهم يوصفون عادة بالتواضع لدرجة ملحوظة وبالاهتمامات المحدودة (د. لويس كامل الشخصية وقياسها ص ١٥٧) .

وقد قام د . لويس كامل مليكة ١٩٦٧ بإعداد معايير مصرية لمقياس الهستيريا تتوفر له مقومات المقياس الجيد . وقد إستخدم في هـذا البحث في مرحلة تحليل الفقرات بمجموعة اكلينيكية من ٦٠ شخصا (٣١ ذكر ، ٢٩ أنثى) شخصوا جميعا تشخيصاً سيكاتريا في فئة عصاب الهستيريا . وكانت أعمارهم تتراوح بين ١٥ سنة و٤٩ سنة بمتوسط قدره ٢٥ سنة ، أما المجموعة الضابطة السوية فكانت أعمارها تتراوح بين ١٤ سنة و٤٥ سنة بمتوسط قدره ٢٥ سنة

ويتكون المقياس الأصلي للهستيريا من ٦٠ عبارة . وقد اختبرت الدلالة

الاحصائية للفروق بين النسب المئوية للاستجابات الدالة على الهستريا والاستجابات السوية بين المجموعتين الاكلينيكية والضابطة لكل عبارة بطريقة كا٢ . وقد أسفر التحليل عن وجود ١٧ عبارة دالة على مستوى ٠٠١ر٠ ، ٤ عبارات دالة عند المستويين ١٠ر٠ ، ٠٥ر٠ وعبارتين عند مستوى ٠ ر٠ ، ٧ عبارات عند مستوى ٠٢ر٠ ، ثلاث عبارات عند مستوى ٠٣ر٠ أما بقية العبارات فهى خارج حدود المستويات السابقة. وعلى ذلك فقد تكون المقياس الجديد للهستريا من ٣٨ عبارة وهاك بعض هذه العبارات التى وردت فى المقياس الجديد للهستريا (١) .

قدرتى على العمل هى هى لم تتغير عما كانت عليه من قبل .

اشعر كل أسبوع - أو أقل - بسخونة تعم جسمى فجأة ، وذلك دون ما سبب ظاهر .

أصاب أحيانا بنوبات من الغثيان والقلق .

نومى مضطرب وقلق .

غالباً ما الاحظ أن يداى ترتجفان عندما احاول أن أقوم بعمل ما .

٤ - مقياس الإنحراف السيكوباتى : ب . ى

ويقيس درجة تشابه المفحوص بجماعة السيكوباتيين الذين تتمثل صعوبتهم الرئيسية فى نقص الاستجابة الإنفعالية العميقة وفى عدم القدرة على الإفادة من الخبرة ، وبعدم المبالاة بالمعـــايير الاجتماعية . ورغم انهم يكونون أحيانا خطرين على أنفسهم أو على الآخرين ، إلا أنهم يكونون عادة اذكياء ومحبوبين .

---

(١) د لويس كامل مليكة: مقياس الهستيريا فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧

وإذا كانت الدرجة على هذا المقياس أعلى بوضوح من غيرها فى الصفحة النفسية ، أو تقرب فى ارتفاعها من الدرجة على مقياس الهوس الخفيف م ا ، فإنه يحتمل جداً ، أن يصطدم الشخص ببيئته ، وأن يكون سلوكه أكثر إيذاء لسمعته هو أو لسمعة عائلته المباشرة .

وقد وصف الاشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس بالاقبال على المجتمع والصراحة وكثرة الكلام والمخاطرة وحب الكحول والفردية ، بينما وصف الأشخاص الذين يحصلون على درجات منخفضة على هذا المقياس بأنهم جادون عاطفيون يراعون التقاليد متزنون ، ذوو اهتمامات محددة . (د لويس مليكه : الشخصية وقياسها ص ١٥٨) .

وقد قام د . لويس كامل مليكة بدراسة هذا المقياس وإعداد معايير مصرية لهذا المقياس تتوفر له كل مقومات المقياس الجيد(١) . وقام بدراسة مجموعة اكلينيكية من ٥٠ فرداً ممن تتراوح اعمارهم بين ١٥ - ٦٠ سنة بمتوسط قدره ٣١,٦٦ سنة ، بينما كانت تتراوح اعمار المجموعة الضابطة السوية بين ١٤ - ٥٩ سنة بمتوسط قدره ٣١,٦٥ سنة .

وقام بتحليل فقرات المقياس الأصلى الذى كان يتكون من ٥٠ فقرة ، وبعد اختبار الدلالة الإحصائية للفروق بين النسب المئوية للاستجابات الدالة على الإنحراف السيكوباتى والاستجابات السوية بين المجموعتين الاكلينيكية والضابطة لكل عبارة بطريقة كا٢ ، أسفر التحليل عن وجود ١٠ عبارات مميزة تمييزاً دالا عند مستوى ٠,٠٠١ ، ٥ عبارات مميزة تمييزا دالا عند مستوى ٠,٠١ ، ٥ عبارات عند مستوى ٠,٠٥ ، ٤ عبارات عند

(١) د : لويس كامل مليكه : مقياس الانحراف السيكوباتى فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصريه ١٩٦٦

مستوى ١٠ر٠ ، ١٠ عبارات عند مستوى ٢٠ر٠ أما باقى العبارات فهى خارج حدود المستويات السابقة . وبذلك أصبح المقياس الجديد يتكون من ٣٤ عبارة . وهذه هى بعض فقراته .

لاشك أننى مظلوم فى هذه الحياة .

تعاودنى رغبة شديدة أحياناً فى أن أترك اسرتى وأبتعد عنها .

يبدو أنه لا يوجد من يفهمنى .

أعمل أشياء كثيرة اندم عليها فيما بعد .

يسيء الآخرون عادة فهم طريقتى فى التصرف .

٥ — الذكورة ـ الأنوثة : م ف

وهو مقياس للذكورة والأنوثة فى أنماط الاهتمامات . وقد استخرجت عباراته نتيجة المقارنة بين استجابات الذكور من ذوى الاهتمامات الذكرية ، وبين الذكور من ذوى الاهتمامات الأنثوية .

وفى كل من الجنسين ، تدل الدرجة المرتفعة على إنحراف نمط الإهتمام الرئيسى فى اتجاه الجنس الآخر . وكل عبارة أختيرت نهائياً لهذا المقياس تدل على نزعة فى الاتجاه الانثوى عند الرجال المنحرفين جنسياً . وقد وجد أن الرجال ذوى الدرجات المرتفعة على المقياس م ف إما أن يكونوا منحرفين جنسياً بصورة ظاهرة أو مكبوتة . أما بين الاناث فإنه يصعب افتراض نفس الدلالة الاكلينيكية ، ويجب أن يقتصر التفسير على قياس السمة العامة للاهتمام .

وقد وصف الذكور من ذوى الدرجات م ف العالية ، والأناث من ذوى الدرجات المنخفضة بالحساسية والمثالية . أما الذكور من ذوى الدرجات

المنخفضة والاناث من ذوى الدرجات المرتفعة فقد وصفوا بالمخاطرة وبالصلابة الجسمية (الشخصية وقياسها ص١٦٠) .

٦ — مقياس البارانويا : ب . ا

وقد استخرجت عبارات هذا المقياس بالمقارنة بين استجابات مجموعة متنوعة من المرضى بالبارانويا وهى حالات تتسم بالتشكك والحساسية الزائدة وهواجس الإضطهاد وفى الحالات التى ترتفع فيها الدرجة على المقياس ارتفاعا متوسطاً يعادل الدرجة ت ٧٥ أو أقل ، لا يكون المقياس ب ا مقياسا واضحاً للشعور بالإضطهاد ، ولكنه يغلب أن يشير إلى حساسية زائدة فيما يتصل بالعلاقات الشخصية .

وقد وجد أن الأشخاص الذين حصلوا على درجات عاليه فى هذا المقياس يوصفون بالقلق والحساسية الزائدة والانفعالية وطيبة القلب . أما الذين حصلوا على درجات منخفضة ، فإنهم يوصفون بالمرح والنزعة إلى مواجهة الحياة (د . لويس كامل الشخصية وقياسها ص ١٦١) .

٧ — السيكاثينيا ب ت:

ويكشف هذا المقياس عن التشابه بين المفحوص والمرضى الذين يعانون من المخاوف المرضية أو السلوك القهرى . وقد يكون هذا السلوك القهرى صريحاً كتكرار غسل اليدين أو ضمنيا يتمثل فى عدم القدرة على الهروب من الفكرة المتسلطة ، كما تشمل المخاوف المرضية كل أنواع الخوف غير المعقول من الأشياء والمواقف ، كما تشمل الاستجابة الزائدة المبالغ فيها إلى المنبهات المعقولة .

وقد وصف الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية فى المقياس ب ت بأنهم قلقون ، مسالمون ، حساسون ، عاطفيون ، فرديون . أما الذين

حصلوا على درجات منخفضة ، فقد وصفوا بالإتزان والثقة بالنفس (الشخصية وقياسها ص ١٦٣) .

٨ - الفصام : س . ك

ويكشف هذا المقياس عن التشابه بين استجابات المفحوص واستجابات مجموعة من الفصاميين الذين يتميزون بالتفكير أو السلوك الخاطئ الشاذ أو على الأقل ممن يشبه سلوكهم السلوك الفصامي .

وقد قام د. لويس كامل مليكة بإعداد معايير مصرية لمقياس الفصام تتوفر له مقومات المقياس الجيد (١) وإستخدم فى هذا البحث مجموعة من الفصاميين من ٥١ مريضاً فصاميا من نزلاء مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية أو من نزلاء المستشفيات الخاصة للامراض العقلية ممن تتراوح أعمارهم بين ١٦ - ٥٠ سنة بمتوسط قدره ٢٨ سنة تقريباً ، وكذلك مجموعة ضابطة سوية تتراوح اعمارها بين ١٥ - ٥٢ سنة بمتوسط قدره ٢٩ سنة تقريبا .

وكان المقياس الأصلى للفصام يتكون من ٧٨ فقره ، وقد اختبرت الدلالة الاحصائية للفروق بين النسب المئوية للاستجابات الفصامية والاستجابات غير الفصامية بين مجموعتى الفصاميين والاسوياء لكل عبارة بطريقة كا٢ ، وقد أسفر التحليل عن وجود ١٤ عبارة مميزة تمييزاً دالا عند مستوى ٠٠١ر٠ ، ٩ عبارات عند مستوى ٠١ر٠ ، ١١ عبارة عند مستوى ٠٥ر٠ ، ٦ عبارات عند مستوى ١٠ر٠ ، ٣٨ عبارة غير مميزة ، وبذلك أصبح مقياس الفصام الجديد يتكون من ٤٠ عبارة وهذه بعض فقرات هذا المقياس :

مرت بى فترات كنت أقوم فيها بأفعال دون أن أعرف بعد ذلك ماذا كنت أفعل .

---

(١) د . لويس كامل مليكه : مقياس الفصام فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ، القاهرة مطبعة دار التاليف ١٩٦٠

أشعر بأنني كثيرا ما عوقبت دون سبب .

لم أعد أفهم ما أقرأ بنفس الدرجة التي كنت أفهم بها سابقا .

أشعر أن عقلي مختل .

إنني شديد الحساسية بالنسبة لبعض الموضوعات لدرجة أنني لا أستطيع التحدث فيها .

هذا وقد وصف الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية في هـــذا المقياس بالقلق والصراحة والطيبة والشجاعة والاهتمامات الخلقية . أما الذين حصلوا على درجات منخفضة فقد وصفوا بالاتزان .

٩ — الهوس الخفيف : م . ا

وقد استخرج هذا المقياس من استجابات جماعة من الأشخاص الذين يتميزون بالنشاط الزائد في الفكر وفي العمل ويعانون من الهوس الخفيف وقد وجد أن الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية في المقياس م . ا يصفهم معارفهم بالإقبال على الناس والحماس والصراحة والميل لتعاطي الكحوليات والمثالية . أما الأشخاص الذين حصلوا على درجات منخفضة ، فقد وصفوا بالاتزان والنضج والتفكير الواضح العملي .

صفر — الانطواء الاجتماعي :س : ى .

يهدف هذا المقياس إلى قياس النزعة إلى الانزواء من الاتصال الاجتماعي بالآخرين . وهو ليس مقياسا إكلينيكياً بالمعنى المحدود ولكنه يمتد إلى السويين . وقد وجد أن الدرجات المرتفعة على هذا المقياس تميز بين طالبات الجامعة اللائي يشاركن في نواحي قليلة من النشاط خارج قاعات الدراسة وبين الطالبات اللائي يسهمن بقسط كبير من هذا النشاط . (د . لويس كامل مليكة : الشخصية وقياسها ص ١٦٦) .

ثالثا : اختبار كاليفورنيا للشخصية California Psychological Inventory

وقد حفز اختبار الميلسوتا المتعدد الأوجه الكثيرين من علماء النفس الشخصية إلى وضع صور مختلفة من اختبارات الشخصية والتي تعتمد إلى حد كبير على هذا الاختبار واختبار كاليفورنيا ويرمز إليه بالرمز (C.P.I) يقيس شخصية الفرد ابتداء من سن الثالثة عشرة وما بعدها . وهو من وضع هاريسون جوخ Harrison G. Gough في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينيات . وقد استمد الباحث ما يقرب من نصف فقرات اختباره من الميلسوتا المتعدد الأوجه ، ولكنه بدلا من أن يبدا بزملات مرضية سيكاترية على نحو ما حدث في اختبار الميلسوتا ، فإن جوخ اهتم أساساً بخصائص الشخصية التي تنطبق بشكل عام على السلوك العادي والتي ترتبط بالإضافة إلى ذلك بالجوانب المقبولة والإيجابية للشخصية أكثر من ارتباطها بالنواحي المرضية . والاختبار يتكون من ٤٨٠ فقرة يجاب عنها بـ «صحيح أو خاطيء» وتقدر الإجابات وفق ١٨ مقياسا مقننا تهدف إلى إعطاء نظرة شاملة على الفرد من وجهة نظر التفاعل الاجتماعي .

ويمكن أن نشير باختصار إلى هذه المقاييس الثمانية عشرة التي يتكون منها الاختبار .

المجموعة الأولى : مقاييس الزهو والسيطرة وتوكيد الذات وتشمل :

١ - السيطرة (Do) Dominance : ويتكون من ٤٦ فقره . ويهدف إلى تقدير عوامل القدرة على القيادة والسيطرة والمقاومة والمثابرة والمبادأة الاجتماعية .

٢ - القدرة على الوصول إلى مكانة عالية (Cs) Capacity for Status :

ويتكون من ٣٢ فقرة ويهدف إلى قياس قدرة الفرد على الوصول إلى مكانة عالية ، وليس إلى مكانته الحالية أو المكانة التى حققها . وهو يقيس سمات الشخصية التى تكمن وراء المكانة والقوة من طموح ونشاط وكفاءة وفعالية .

٣ — الميل الإجتماعى: Sociability (sy): ويتكون من ٣٦ فقرة. ويهدف إلى معرفة الأشخاص الإنبساطيين الذين يعيشون خارج ذواتهم ، الأشخاص الاجتماعيين الذين يشاركون الآخرين وجدانيا ومزاجياً وإجتماعيا . والفرد الذى من هذا النوع يتصف بالاستمتاع بأنشطة الجماعة والميل إلى التواجد معهم ومشاركتهم أعمالهم .

٤ — الحضور الإجتماعى: Social presence (Sp): ويتكون من ٥٦ فقرة ويهدف إلى تقدير عوامل كالزهو والثبات والتلقائية والثقة بالنفس فى التفاعل الشخصى والاجتماعى . والفرد الذى من هذا النوع يتميز بالنشاط والتحمس والحيوية والتلقائية .

٥ — تقبل الذات : Self- Acceptance (Sa) : ويتكون من ٣٤ فقرة ويهدف إلى تقدير عوامل كالاحساس بقيمة الذات وتقبل الفرد لنفسه والقدرة على التفكير والسلوك المستقل. والفرد الذى من هذا النوع يتميز بالاحساس بقيمته الذاتية والرضا عن النفس والخلو النسبى من الشك الذاتى والاتجاهات الناقدة نحو الذات .

٦ — الشعور بالارتياح والسعادة : Sense of Well-Being (WB) : ويتكون من ٤٤ فقرة . ويهدف إلى التعرف على الاشخاص الذين يقللون إلى أدنى حد من الهموم والمخاوف والشكوى ، والذين يتخلصون نسبياً من

الشكوك الذاتية والوهم والفرد الذي من هذا النوع يتميز بقدرته على الإستمتاع بالحياة ويشعر بالسعادة والراحة البدنية والإنفعالية .

المجموعة الثانية: مقاييس التطبع الاجتماعي والمسئولية الاجتماعية وتشمل :

٧ — تحمل المسئولية : (Re) Responsibility : ويتكون من ٤٢ فقرة ويهدف إلى التعرف على الشخص حي الضمير ، الذي يشعر ويتحمل المسئولية والفرد الذي من هذا النوع يكون جاداً في تفكيره وسلوكه ، حي الضمير ، يمكن الإعتماد عليه ، موضع ثقة الغير .

٨ - التطبيع الاجتماعي: (So) Socialization : ويتكون من ٥٤ فقرة ويهدف إلى توضيح درجة النضج الاجتماعي والاستقامة وصحة الحكم أو الرأي ، والفرد الذي من هذا النوع لديه إحساس قوي بالإستقامة ويتقبل القوانين والعادات .

٩ — السيطرة على الذات : (Sc) Self-Control: ويتكون من ٥٠ فقرة ، ويهدف إلى تقدير درجة ملاءمة توجيه الإنسان لذاته وسيطرته عليها والتحرر من الاندفاعية والتمركز حول الذات . والفرد الذي من هذا النوع يكون هادئاً غير مندفع ، لايترك نفسه لظروف الساعة ، متأن .

١٠ — التسامح : (To) Tolerance : ويتكون من ٣٢ فقرة . ويهدف إلى التعرف على الاشخاص الذين لديهم اتجاهات اجتماعية متسامحة والذين يقبلون المناقشة . والفرد الذي من هذا النوع يتميز بالتسامح والتساهل وتقبل الآخرين . واسع الأفق غير متعصب في معتقداته وقيمه والتي قد تكون مخالفة تماماً لمعتقدات وقيم الآخرين .

١١ — الإنطباع الجيد: (gi) Good-Impression : ويتكون من ٤٠ فقرة

ويهدف إلى التعرف على الأشخاص الذين لديهم القدرة على إيجاد الانطباع الجيد والذين يهتمون بكيفية استجابة الآخرين لهم . والفرد من هذا النوع يتميز بالتعاون والشجاعة . اجتماعى ، يساعد الآخرين ويترك فى نفوسهم انطباعاً حسنا .

١٢ — المشاركة: Communality (Cm): ويتكون من ٢٨ فقره ويهدف إلى قياس درجة تطابق استجابات الفرد وسلوكه للنمط السائد . والفرد من هذا النوع يتميز بالملاءمة والتطابق مع الجماعة ، كما يحس بإحساسات ومشاعر أى شخص آخر ويرى الأشياء كما يراها الآخرون .

المجموعة الثالثة : مقاييس إمكانية التحصيل والكفايه العقلية وتشمل :

١٣ — التحصيل عن طريق المسايره أو الموافقة : Achievemen (Ac)via conformance : ويتكون من ٣٨ فقرة ويهدف إلى التعرف على عوامل الإهتمام الدافعية التى تسهل عملية التحصيل فى أى مجال تكون فيه المسايرة أو الموافقة سلوكا إيجابيا . والفرد الذى من هذا النوع يتميز بأن لديه حاجة قوية للتحصيل ويكون فى أحسن حالاته فى المواقف التى تخضع لقواعد ونظم محددة والتى ينفذ منها عملا اقترحه وخططه رئيس أو مشرف .

١٤ — التحصيل عن طريق الإستقلال : Achievement (Al)via independence : ويتكون من ٣٢ فقرة . ويهدف إلى تحديد عوامل الاهتمام الدافعية التى تسهل عملية التحصيل فى أى مجال يكون فيه الاستقلال الذاتى والإعتماد على النفس سلوكا إيجابيا . والفرد من هذا النوع يتميز بوجود الحاجة الملحة للتحصيل المستقل . ويكون فى أحسن حالاته فى المواقف الجديدة غير المطروقة والتى يعمل فيها بمفرده دون مساعدة من رئيس أو مشرف .

١٥ — الكفاية العقلية: Intellectual Efficiency (Ie) : ويتكون من ٥٢ فقرة ويهدف إلى بيان درجة التحصيل الشخصى والعقلى التى بلغها الفرد. والشخص من هذا النوع يتميز بأنه كفء فعال ، لديه القدرة على بدء العمل بسرعة ودون حاجة إلى ارجاء أو تأخير كما أن لديه القدرة على مواصلة العمل الذهنى لفترات طويلة من الزمن .

المجموعة الرابعة : مقاييس التوجيه الشخصى والإتجاه نحو الحياة وتشمل :

(١٦) العقلية السيكلوجية: Psychological-mindedness (Py) :ويتكون من ٢٢ فقرة ويهدف إلى قياس درجة اهتمام الفرد واستجابته لحاجاته الداخلية ودوافعه وإحساساته وكذلك اهتمام وميل الفرد نحو الآخرين واستجابته لهم ومعرفة دوافعهم الداخلية وخبراتهم . والفرد من هذا النوع يكون قوى الملاحظة ، حساسا بالآخرين ، لديه القدرة على فهم احساسات الاخرين والإستجابة لها .

١٧ — المرونة: Flexibility (Fx) : ويتكون من ٢٢ فقرة ويهدف إلى توضيح درجة مرونة وتوافق تفكير الفرد وسلوكه الاجتماعى . والفرد الذى من هذا النوع يتميز بالمرونه وحب التغير والإبداع وتفضيل الأشياء الجديدة غير المألوفة .

١٨ — الأنوثة: Femininity (Fe) :ويتكون من ٣٨ فقرة ويهدف إلى تقدير الذكورة أو الانوثة فى نواحى المزاج والاهتمامات (الدرجات المرتفعة تشير إلى أنوثة أكثر ، والمنخفضة تشير إلى ذكورة أكثر) . والفرد الذى من هذا النوع يتميز بأنه عطوف ،ألوف فى سلوكه يميل إلى مساعدة الآخرين عن طريق الصبر والمحبة .

واختبار كاليفورنيا ـ كاختبار مينيسوتا ـ له فوائد وصفية وتنبؤية هامة. ولم يدع جوخ أن مقياسه يقيس سمات مستقلة أو أنه يقيس كل خصائص الشخصية الهامة، وإنما هو يعطي صورة عامة عن سمات الشخصية في النواحي التي يقيسها.

رابعاً: اختبار الشخصية السوية:

وهذا الاختبار مقتبس أساساً من اختبار الشخصية والميول لـ «إريخ متن إكرا» و «فالتر تومان»، وقد وضعا هذا الاختبار لسد حاجة علماء النفس التطبيقي في قياس الجوانب المتعددة للشخصية ودراسة ميول الأفراد. وقد اتجهت أنظارهما في البداية إلى اختبار مينسوتا المتعددة الأوجه باعتباره أحد الاختبارات الهامة التي تمد السيكولوجي الإكلينيكي بصورة متكاملة عن الجوانب المتعددة لشخصية الفرد. ولكن نظراً لطول الاختبار وما يتطلبه من جهد في التطبيق والتفسير من ناحية، وما وجه اليه من أوجه النقد على أساس ضعف قيمته التشخيصية في أعمال العيادات، كل ذلك دفعهما إلى وضع اختبار جديد يختص بدراسة الأسوياء أكثر مما يختص بدراسة الحالات المرضية المختلفة، ولذلك لم يستخدم الباحثان في تقنين اختبارهما عينات عيادية، وقد قمنا بإعداد هذا الاختبار إلى العربية (١)

واختبار الشخصية السوية يحتوي على ١٢١ فقرة تشتمل على تسعة مقاييس هي:

١ — النقد الذاتي — نقص النقد الذاتي.

٢ — الإتجاه نحو المجتمع — الاتجاه ضد المجتمع.

٣ — الإنبساط — الإنطواء

---

(١) د. سيد محمد غنيم و د. محمد عصمت المعايرجي: اختبار الشخصية السوية. القاهرة مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤

٤ — غير عصابي — عصابي .

٥ - غير الهوس - الهوس

٦ — عدم الإكتئاب — الإكتئاب

٧ — غير المنفصم — المنفصم .

٨ — غير بارانويا — بارانويا .

٩ - ثبات عمل الجهاز العصبي التلقائي — عدم ثبات الجهاز العصبي التلقائي .

وقد طبعت فقرات الإختبار .كل على بطاقة منفصلة ومن ثم فهو اختبار فردى . وتوزع البطاقات على خانتين هما مضبوط إذا كانت العبارة تنطبق على الفرد ، غير مضبوط : إذا رأى الفرد أنها لا تنطبق عليه .

ونورد فيما يلى تعريفا بهذه المقاييس التسعة ونماذج من عبارات كل مقياس :

(١) النقد الذاتى — النقص فى النقد الذاتى :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تستخدم لقياس مدى صلاحية الاختبار بالنسبة للمفحوص . وتعتبر استجابات المفحوص مقياسا للاستعداد الشعورى للفرد للإجابة عن عبارات الاختبار بأمانة وصدق ، كما تعتبر فى نفس الوقت مقياساً لقدرته على القيام بعملية النقد الذاتى . ويجدر بنا أن نشير إلى أن عملية النقد الذاتى لا تتضمن فقط نقد المرء لنفسه ، بل وأيضاً تقديره لسلوكه وتصرفاته الفعلية الواقعية . وعلى ذلك يفسر الانحراف عن المعيار فى هذا المقياس (أى استجابة المفحوص استجابات سلبية كثيرة) على أساس إما أن المفحوص يعمد إلى تحريف الاختبار والخروج به عن طبيعته، أو أنه ليس لديه النقد الذاتي الكافى ، كي يجيب على عبارات الاختبار

والتى هى فى الحقيقة ليست سوى حكم المفحوص على نفسه وتقديره لذاته بطريقة غير مباشرة .

ويحتوى هذا المقياس على ١٦ فقرة نشير إلى بعضها :

إذا استطعت التسلل إلى داخل السينما وكنت واثقاً من أن أحداً لن يرانى . فربما فعلت ذلك .

لقد احتفظت لنفسى مرة بشىء وجدته فى الطريق .

أؤجل أحيانا عمل اليوم للغد رغم وجوب القيام به اليوم

(٢) الإتجاه نحو المجتمع ـ الاتجاه ضد المجتمع :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تحدد اتجاه الفرد شعورياً وذهنيا نحو المجتمع الذى يعيش فيه ونحو الناس عامة بمعنى أنه لا يقيس اتجاه الفرد نحو من تربطه بهم علاقة مباشرة أو صلة مباشرة فحسب ، بل اتجاهه نحو الناس عامة أى أنه يقيس السلوك الاجتماعى الذى يتكون عن طريق الخبرة ، وليس عن طريق الحالة المزاجيه والاستجابات الانفعالية المباشرة تجاه الآخرين .

ويحتوى هذا المقياس على ١٥ فقرة نشير إلى بعضها :

لا أتضايق من شخص فضل على شخص آخر أعطاه فرصة لذلك

أفضل أن أنجز أمورى بمفردى حتى لا يتحتم على مساعدة أحد .

على الشخص أن يثبت إقدامه فى الحياة بصرف النظر عن مراعاة مصالح الآخرين .

(٣) الانبساط ـ الانطواء .

ويتضمن هذا المقياس علاقة الفرد ببيئته وبالناس فى هذه البيئة ، تلك العلاقة التى تحددها العوامل التكوينية العضوية والعصبية للفرد ، كما تحددها

العوامل الإنفعالية وحالته المزاجية . والشخص المنبسط هو الذى يتجه نحو العالم الخارجى ، أما المنطوى فهو الذى يتركز حول ذاته ويبتعد عن الآخرين والعالم الخارجى .

والواقع أن ليس من الضرورى أن يستجيب المنتمون إلى أحد هذين النمطين فى الموقف الواحد بنفس الاستجابات، لأن حالتهم الانفعالية التى تقترن بخبراتهم تختلف من شخص إلى آخر . وهذا يتفق والمفهوم العام فى علم النفس لكل من الإنطواء والإنبساط .

وقد اتسع مفهوم الإنبساط والإنطواء فى مجال الشخصية حتى أصبح يتضمن نواحى كثيرة ليس ثمة ارتباط بينها . ولمواجهة هذه الصعوبة ولتوضيح المقصود بالإنطواء والإنبساط فى هذا الاختبار عمد متن اكر ونومان إلى وضع مقياس مستقل خاص بالإتجاه نحو المجتمع ومقياس مستقل آخر بالمنفصم - غير المنفصم حتى يمكن تنقية مفهوم الانبساط والانطواء وحتى لا نخلط بين هذه النواحى وبين المعنى الأصلى للانطواء والانبساط .

ويتكون هذا المقياس من ١٥ فقرة نشير إلى بعضها :

كنت دائماً حريصاً جداً فى اختيار أصدقائى .

من السهل على أن أدخل السرور بسرعة على إنسان يشعر بالتعاسة .

ربما يسعدنى أن أعيش وحيداً فى خيمة بالصحراء أو الجبل

(٤) غير العصابى - العصابى :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن وجود الأساليب العصابية فى السلوك ، ويقصد بالعصاب هنا المعنى العام لكلمة عصاب دون تمييز لأنواعه المختلفة من قلق ووساوس متسلطة الخ

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الدرجة السلبية العالية فى هذا المقياس لا تشير إلى تشخيص عصابي . ذلك أن ليس هناك اختبار يمكنه بمفرده تشخيص العصاب ، وإنما كل ما تعنيه هنا ، هو أن الدرجة السلبية العالية تشير إلى ميل الفرد إلى تكوين الأعراض العصابية أو تثبيت هذه الأعراض . وتعتبر المقاييس من ٥ — ٨ مكملة للمقياس ٤ من ناحية ،وللمقياس ٩ من ناحية أخرى .

ويتكون هذا المقياس من ٢٠ فقرة نشير إلى بعضها :

أشعر بالانقباض إذا جلست فى حجرة مغلقة حتى ولو لمدة قصيرة .

قد يسعدنى أحيانا أن أسبب الألم لأشخاص أحبهم .

يكاد يكون عندى خوف دائم من شخص أو من شىء .

(٥) غير الهوس ـ الهوس :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل الشخص إلى القيام بتصرفات تعتبر من الناحية العيادية هوسا،وتعتبر فى صورتها المخففة فى الحياة العادية هوساً خفيفاً .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ فقرات نشير إلى بعضها :

إن أيسر شىء بالنسبة لى هو أن أتخذ قراراً فى موضوع ما .

حينما أحس بالملل ، أشعر بارتياح لو أنى قمت بعمل ضجة بسيطة .

أحيانا أعجب بذكاء محتال حتى أتمنى ألا يمس بسوء .

(٦) عدم الاكتئاب ـ الاكتئاب :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل الفرد إلى القيام بتصرفات

شبيهة بحالة الاكتئاب بالمعنى العيادى أو بحالة الملانخوليا .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ عبارات نشير إلى بعضها :

كثيراً ما أفكر أن الحياة لا معنى لها .

وددت أن أكون سعيداً ولو بمثل السعادة الظاهرية للآخرين .

أحياناً أشعر أن وجودى مثل عدمه .

(٧) غير المنفصم ـ المنفصم :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل إلى الصورة العيادية المعروفة بالمنفصم وهى الشخصية المغلقة على نفسها المنطوية، البعيدة عن المجتمع التى تعيش فى الخيالات والتى تكون حياتها الانفعالية منفصلة إلى حد بعيد أو قليل من محتواها الفكرى بسبب النمو العقلى الشاذ (كرتشمر) .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ عبارات نشير إلى بعضها :

فى بعض الأحيان أفضل أن أجلس مدة طويلة فى أحلام اليقظة على أن أعمل أى شيء آخر .

الكل فى نظرى سيان .

كثيراً ما ينتابنى شعور بأن الأشياء ليست واقعية .

(٨) غير البارانويا ـ البارانويا

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل إلى الصورة العيادية المعروفة بالبارانويا والتى تتسم بميل الفرد إلى اعتبار ما يحدث فى البيئة من تصرفات وعمليات موجهاً إلى نفسه . وهذا ما يفسر شعوره بالإضطهاد .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ عبارات نشير إلى بعضها :

لو لم يدبر البعض لى شيئاً فى الخفاء لتحسن مستقبلى كثيراً .

هناك كثيرون ليس لهم من شاغل إلا التحدث من وراء ظهرى .

أنا شخصية مهمة .

(٩) ثبات عمل الجهاز العصبي التلقائى ـ عدم ثباته :

وعلى عكس المقياس ٤ (غير العصاب ـ العصابى) الذى يقاس به الميل إلى تكوين الأعراض العصابية وتثبيت الأعراض، فإن هذا المقياس يتضمن عبارات تكشف عن عبارات عصابية فى محيط الجهاز العصبي التلقائى. وإذا كان المقياس رقم ٤ يكشف عن الأعراض العصابية التى ترجع إلى الظروف البيئية المحيطة، فإن المقياس رقم ٩ يكشف عن الأعراض العصابية التى ترجع إلى أسباب تكوينية .

ويتكون هذا المقياس من ١٥ عبارة نشير إلى بعضها :

أعتقد أنى لست عصبيا أكثر من الآخرين .

أعرق سريعاً حتى فى الأيام الباردة

فى بعض الأحيان لا أستطيع من شدة القلق أن أجلس دقيقة واحدة هادئاً .

إستخدام التحليل العاملى فى بناء مقاييس الشخصية :

وللوصول إلى تصنيف دقيق منظم لسمات الشخصية ، قام نفر من علماء النفس باستخدام التحليل العاملى فى بناء اختبارات الشخصية وعلى نطاق أوسع مما وجدنا فى اختبارات أخرى كاختبار برنرويتر مثلا ، وتعتبر دراسات جيلفورد ومساعدوه فى هذا الاتجاه دراسات رائدة، ثم ظهرت بعد ذلك العديد من الدراسات والبحوث . وسوف نقتصر هنا على نموذجين اثنين هما مجموعة اختبارات جيلفورد ومجموعة اختبارات كاتل ،

خامساً : اختبارات جيلفورد العاملية :

الهدف منها تزويد الباحثين بدرجات العوامل المستقلة أو السمات الأولية للشخصية ، وهذه الاختبارات ثلاثة تتكون من ٥١١ سؤالا يجاب عنها بنعم أو لا أو ؟ ، وهذه الاختبارات تقيس ١٣ سمة مزاجية

الاختبار الأول : اختبار عوامل الشخصية STDCR ويتكون من ١٧٥ سؤالا تقيس :

الانطواء ـ الانبساط الاجتماعي.

S — Social Introversion-extroversion.

التفكير الانطوائي ـ التفكير الانبساطي .

T — Thinking introversion-extroversion.

الاكتئاب وعدم الإحساس بالسعادة والتشاؤم .

D — Depression, unhappiness, pessimism.

التقلب الوجداني وعدم الثبات الإنفعالي .

C — Cycloid disposition, emotional instability.

الابتهاج والانبساط والاستعداد للتوكل على الحظ .

R — Rhathymia, carefreeness, happy-go lucky disposition.

الإختبار الثاني : اختبار العوامل الشخصية GAMIN ويتكون من ١٨٦ سؤالا تقيس :

النشاط العام .

G — General Activity

السيطرة — الخضوع .

A — Ascendence-submission.

الذكورة — الأنوثة .

M — Masculinity-Femininity.

الثقة ضد مشاعر النقص .

I — Confidence vs inferiority feelings.

رباطة الجأش والهدوء ضد العصبية .

N — Composure, calmness us nervousness.

الاختبار الثالث : اختبار الموظفين لجيلفورد ومارتن ويتكون من ١٥٠ سؤالا تقيس :

الموضوعية ضد الذاتية أو الحساسية الزائدة

O — Objectivity vs subjectivity or hypersensitivtty.

المسالمة ضد العدوان وحب القتال .

Ag — Agreableness vs generalized hostility, belligerence.

التعاون (أو التسامح) ضد تلمس أخطاء الغير .

Co — Cooperativeness (or tolerance) vs fault finding Disposition.

وفيما يلى تعريف السمات التى وردت فى اختبارات جيلفورد :

١ — الانطواء ـ الانبساط الاجتماعى : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى حب النشاط والروابط الاجتماعية ، وحب المراكز القيادية إجتماعيا والميل للزهو والاستمتاع بصحبة الآخرين . أما الدرجة المنخفضة على هذا المقياس فتشير إلى الخجل والميل إلى الانسحاب من المواقف الاجتماعية والميل إلى الإنعزال .

الدرجة المرتفعة متطلبة أكثر من أجل الصحة العقلية للفرد من الدرجة المنخفضة التى تشير إلى حاجة الفرد إلى التوجيه نحو زيادة تكوين روابط وعلاقات اجتماعية .

٢ — التفكير الانطوائى ـ الانبساطى : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى ضعف الاتجاه التأملى الانطوائى فى عمليات التفكير والاتجاه نحو التفكير الانبساطى ، أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الميل إلى التفكير التأملى الفلسفى وتحليل الأفكار الذاتية وأفكار الآخرين ووجود استعداد استبطانى

لدى الفرد ، وتعتبر الدرجة المتوسطة أكثر قبولا من ناحية الصحة النفسية من الدرجتين المتطرفتين ، ومع ذلك فكل طرف قد يكون له قيمة خاصة بالنسبة لأنواع معينة من المهن .

٣ — الاكتئاب : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الخلو من الاكتئاب أى أن الشخص أميل إلى الابتهاج والتفاؤل. أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى مزاج مكتئب من حين لآخر مع إحساس بالذنب ،وأن الفرد غير جدير بالثقة والاحترام ، وكلما ارتفعت الدرجة على المقياس كان هناك احتمال أن يكون التوافق الانفعالى للفرد أحسن .

٤ — التقلب الوجدانى : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى استجابات ومزاج ثابت انفعاليا وإلى خلو من التقلبات الوجدانية. أما الدرجة المنخفضة على هذا المقياس فتعنى وجود تقلبات وجدانية على نحو ما تتضح فى الاستجابات الإنفعالية العنيفة ، والتذبذب المزاجى واستعداد للحمق وسرعة الاهتياج وعدم الاستقرار والثبات .

والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للتوافق الانفعالى لشخص ما ، سوى أن الدرجات المرتفعة جداً يمكن أن تشير إلى شخص جامد Colorless, Inert Individual

٥ — الابتهاج والانبساط : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الاحساس بالسعادة والانبساط والحيوية والاندفاع . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى ميل للتكف وشدة التحكم وضبط الدوافع . وقد يمثل كل طرف منهما حالات من عدم التوافق النفسى . والدرجة المتوسطة تعد أكثر تقبلا وتوافقاً بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

٦ — النشاط العام : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الحيوية والنشاط وسرعة الحركة أو أن الشخص من النوع السريع النشط فى عمله ،

وقد يكون من النوع المندفع . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الخمول والكسل وعدم الميل إلى النشاط الحركى .

والدرجة المتطرفة فى الارتفاع تشير إلى حالة هوس، بينما المتطرفة فى الانخفاض تشير إلى نقص إفراز الدرقية، أو أن هناك أسبابا أخرى للخمول . ومن هنا فالدرجة المتوسطة هى أفضل فى العادة بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

٧ — السيطرة ـ الخنوع : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى القيادة أو الزعامة والسيطرة وإلى أن الشخص من النوع الذى يحمى حقوقه ويدافع عن نفسه فى المواقف التى يوجد بها علاقات شخصية متبادلة . أما الدرجة المنخفضة فيجب أن تفسر فى ضوء الخصائص المزاجية الأخرى . وليست هناك قاعدة عامة يمكن وضعها مقدما لما تكون عليه الدرجات الأنسب بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

٨ — الذكورة ـ الأنوثة : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى اهتمامات ذكرية أكثر : اهتمامات مهنية ولا مهنية .

أما الدرجة المنخفضة فتشير الى ميول أنثوية . ومعظم درجات الرجال فوق ٥ درجات ومعظم درجات النساء دون ٥ درجات والرجال الذين تكون درجاتهم منخفضة جدا ، قد يوحى ذلك ، إما بنقص الهرمونات الذكرية أو زيادة الهرمونات الأنثية .

٩ — الثقة ضد مشاعر النقص : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير الى الثقة بالنفس وعدم وجود مشاعر النقص وأن الفرد يشعر أنه متقبل من الآخرين كما أنه غير متمركز حول ذاته . أما الدرجة المنخفضة فتشير الى الافتقار الى الثقة بالنفس والى قلة تقدير الذات والى مشاعر العجز وعدم الكفاية . .

وكلما ارتفعت الدرجات كانت أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد، سوى الدرجات المتطرفة الارتفاع والتى قد يكشف البحث الاكلينيكى لها عن تعويض بالعظمة لمشاعر النقص الخفية . وكثير من العصابيين يعطون درجات منخفضة جدا على هذا المقياس .

١٠ — الهدوء ضد العصبية : الدرجة المرتفعة على المقياس تشير الى الميل إلى الهدوء والاسترخاء . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى العصبية والنرفزة والاهتياج العصبى والقابلية لسرعة الاستثارة وسهولة التشتت والضجر .

والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد ما لم تكن هناك أدلة إكلينيكية على وجود حالة التبلد والكسل كأساس للدرجة المرتفعة المتطرفة . أما الدرجات المنخفضة بشكل ظاهر فقد توحى بنقص الكالسيوم فى الدم وفى كثير من الحالات قد يكون الصرع العقلى هو أساس التوتر الانفعالى الذى يعبر عنه فى صورة الاهتياج العصبى والقابلية لسرعة الاستثارة .

١١ — الموضوعية : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الميل إلى النظر للذات والآخرين نظرة موضوعية وبدون تحيز أو انفعال . ويكون الشخص من النوع المتيقظ للبيئة الخارجية التى يعايش فيها . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى ميل إلى أخذ الأشياء بصورة شخصية وذاتية ، كما يكون الفرد حساساً جدا . والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

١٢ — المسالمة : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى ضعف الميل الى المقاتلة والنزاع والعدوان .

أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الميل إلى العدوان وإلى اتجاه نحو السيطرة واستعداد زائد عن الحد للنزاع والمشاجرة على أتفه الأمور . والدرجات المنخفضة جداً تشير إلى نزعة واضحة للسيطرة كغاية فى ذاتها ، تظهر وتنمو

نتيجة لبعض الإحباطات المتكررة التي يتعرض لها الفرد . وقد تؤدى في الحالات المرضية إلى هذاءات العظمة .

١٣ — التعاون . الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الترحيب بتقبل الأشياء والناس كما هم ، والميل عامة إلى التسامح . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الميل إلى تلمس أخطاء الغير وإلى زيادة النقد والاتجاه نحو عدم التسامح.

والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد مالم تكن الدرجة على النشاط العام أو العلامات الإكلينيكية تشير الى حالة من التبلد والبطء كأساس للافتقار الى النقد . وأحياناً يكون النقد الزائد تعويضاً لمشاعر خفية بعدم الكفاية .

اختبار جيلفورد ـ زمرمان:

The Guilford-Zimmerman Temperament Survey (GZTS) :

هذا وقد قام جيلفورد وزمرمان بوضع اختبار واحد يتضمن معظم السمات الثلاثة عشرة السابقة فى الاختبارات الثلاثة الأصلية . وكان الهدف هو تقليل بعض الارتباطات العالية التى وجدت بين الاختبارات الأصلية . وكانت هذه الارتباطات العالية بين درجات الاكتئاب والتقلب الوجدانى . ولذلك جمعا معا فى اختبار جيلفورد — زمرمان الذى يعتبر تعديلا بسيطا للإختبارات الثلاثة السابقة . ويتكون هذا الاختبار المعدل من ٣٠٠ عبارة تقيس سمات عشرة كشف عنها الاختبار. وفيما يلى هذه السمات مع تعديل طفيف فى الرموز والأسماء .

النشاط العام — G — General Activity

الضبط ضد الانطلاق والابتهاج — R — Restraint vs Rhathymia.

السيطرة — A — Ascendance.

الميل الاجتماعى — S — Sociability

الثبات الإنفعالى (ويضم السمتين C,D)

E — Emotional stability (combination of D and C).

الموضوعية

O — Objectivity.

المصادقة (المسالمة)

F — Friendliness (previously called agreableness)

التفكير والتأمل (التفكير الإنطوائى)

T — Thoughtfulness (previously called thinking Introversion)

العلاقة الشخصية (التعاون)

P — Personal relations (previously called cooperaviveness)

الذكورة (فى الانفعالات والميول)

M — Masculinity (of emotions and interests)

وفقرات اختبار جيلفورد ـ زمرمان مصاغة فى صورة عبارات مثبتة أكثر منها فى صورة أسئلة . ومعظمها يخص المفحوص مباشرة، وقليل منها يكون فى صورة تعميمات عن الاشخاص الآخرين . وهذه بعض فقرات اختبار جيلفورد ـ زمرمان :

أنت تبدأ مشروعاتك الجديدة بقدر كبير من الحماس نعم ؟ لا

غالباً ما تكون فى حالة مزاجية سيئة نعم ؟ لا

معظم الناس يستخدمون الأدب لتغطية ما قد يكون هناك
من منافسة غير شريفة فى الواقع نعم ؟ لا

وقد استخلصت المئينيات والدرجات المعيارية للاختبار أساساً من عينات طلاب الجامعة . ويجدر بنا أن نتنبه كثيراً عند القيام بتفسير درجات السمة المفردة وكذلك درجات البروفيلات الكلية . فمثلا الدرجة المرتفعة فى مقياس الثبات الانفعالى تكون مقبولة اذا قورنت بدرجة مرتفعة فى النشاط العام ، على حين لا تكون مقبولة اذا قورنت بدرجة منخفضة من النشاط العام ففى هذه الحالة الأخيرة قد يكون الشخص كسولا متبلداً .

هذا وقد أثار اختبار جيلفورد وجيلفورد ،وجيلفورد وزمرمان الكثير من الدراسات نشير منها إلى تلك الدراسات المستفيضة التي قام بها ايزنك ١٩٥٦ مستخدما التحليل العاملي على مقاييس جيلفورد بقصد تحسين ثبات وصدق هذه المقاييس من أجل قياس العصابية والانبساطية . وكذلك دراسة هيلدبراند ١٩٥٧ Hildebrand وغيرها من الدراسات التي أشار إليها ايزنك(١).

سادساً : اختبارات كاتل العاملية :

وضع كاتل ومساعدوه مقاييس متعددة لقياس الشخصية صدرت عن اهتمام كبير بنظرية السمات وقياسها . فقد حاول أن يكشف السمات عن طريق القيام بمعالجة احصائية معقدة ،ولجأ إلى استخدام طريقة التحليل العامل كأداة أساسية . والمهم أنه قد بدأ بقائمة السمات التي وضعها البورت وأودبرت من بحثهما في قاموس للغة الانجليزية ووصلا إلى ما يزيد عن ٣٠٠٠ كلمة تتصل بالسمات التي تستخدم في وصف الشخصية . ولقد كانت نزعة علماء النفس في الماضي تصور وجود بعض السمات الخاصة كالتسلطية والانطواء والتصلب ضد المرونة وغيرها من السمات ، والتركيز على علاقاتها بالأشياء الأخرى . ولكن مثل هذا الأسلوب لم يفد في حل المشكلة , هذا الحل الذي يكمن في نظر كاتل في ضرورة الالتجاء إلى طرق التحليل العاملي مهما كانت معقدة .

هذا وقد سبق لنا في حديثنا عن بناء الشخصية في نظرية التحليل العاملي (الفصل العاشر) أن أشرنا إلى الطرق التي استخدمها كاتل في جمع المعلومات عن سمات الشخصية ،وكذلك إلى تحليله السمات إلى سمات مركزية وسمات ظاهرية أو سطحية .

وقام كاتل — باستخدام طريقة الاستفتاءات — بوضع مجموعة من

(1) Eysenck. J.H.: The Structure of Human Personality. London. Methuen 1970. pp. 181-191.

مقاييس الشخصيه تغطى أعماراً مختلفة . فهناك استفتاء الشخصية المرحلة الأولى وهو يغطى المرحلة ما بين سن الثامنة وسن الثانية عشر . وهذا الاستفتاء جزء من سلسلة من الاستفتاءات التى تغطى مراحل سابقة ولاحقة . فهناك استفتاء يغطى المرحلة ما بين السادسة والثامنة E.S.P.Q.، وهناك استفتاء آخر يغطى المرحلة ما بين الثانية عشرة والسابعة عشر . وهذا الأخير يوصل بطبيعة الحال إلى استفتاء الكبار (16 P.F.) والذى يغطى المرحلة من السابعة عشر وما بعدها . وبذلك يكون كاتل قد وضع مجموعـــة من الاستفتاءات لدراسة الشخصية فى مراحل العمر المختلفة ابتداء من السادسة حتى سن ٨٠ سنة أو أكثر .

وقد روعى فى تصميم هذه الاستفتاءات عامة أن تغطى أكبر عدد ممكن من أبعاد الشخصية الهامة حتى تعطى صورة شاملة عن الفرد وهو هنا يختلف عن بعض المشتغلين فى هذا الميدان الذين لا يميلون عادة إلى استخدام مقياس واحد يغطى عدداً كبيراً من الأبعاد ، بل يفضلون استخدام المقاييس التى تقيس بعداً واحداً ، وهذا مايؤدى إلى الوقوع فى الخطأ فى كثير من الأحيان . وقد أوضحت نتائج البحوث التجريبية ، كما دلت الخبرة الأكلينيكية أيضاً أن الفهم الحقيقى للشخصية يتطلب دراستها ككل . فقد يكون من السهل أحياناً تقدير عمل فرد ما فى أحد المجالات كالتحصيل الدراسى مثلا باستخدام اختبار واحد يقيس بعداً واحداً ، أما بالنسبة للشخصية فهذا أمر متعذر لتعدد الأبعاد وتعقد العلاقات القائمة بينها . وهذا ما يتضح لنا فى أهمية اختبارات الشخصية المتعددة الأبعاد التى سبق أن أشرنا إلى بعضها كاختبار المينسوتا المتعدد الأوجه واختبارات جيلفورد وغيرها .

وسوف نشير إلى استفتاءات الشخصية للمرحلة الأولى والإعدادية والثانوية واختبار الشخصية للراشدين وهى التى أعدت إلى اللغة العربية .

اختبار الشخصية للمرحلة الأولى (١):

ويتكون من صورتين : الصورة ا والصورة ب : وتتكون كل صورة من ٧٠ عبارة أى بمعدل ٥ عبارات لكل عامل من العوامل الأربعة عشرة التى يقيسها الاستفتاء .

ويمكن أن يتخذ هذا الإستفتاء أساساً لتقارير دورية تتبعية تكتب عن نمو شخصية الطفل ؛ كما يمكن ربط النتائج التى نحصل عليها منه ، سواء فى الدراسات الطولية أو المستعرضة التى تجرى على نفس الأشخاص ، بالنتائج التى نحصل عليها من الاستفتاءات التى تطبق فى المرحلة السابقة والمرحلتين التاليتين عليها وفى هذه الحالة نحصل على صورة شاملة لنمو شخصية الفرد فى مراحل العمر المختلفة ، كما يمكن عقد مقارانات بين الأفراد فى مراحل العمر المختلفة .

اختبار الشخصية للمرحلة الأعدادية والثانوية (٢):

ويتكون من ١٤٠ عبارة أى بمعدل ١٠ عبارات لقياس كل عامل من العوامل الأربعة عشر التى يقيسها الاستفتاء . وأبعاد الشخصية التى يقيسها هذا الاختبار هى نفس الأبعاد التى يقيسها الاختبار السابق .

اختبار عوامل الشخصية للراشدين (٣) :

يتكون من ١٨٧ عبارة لقياس ١٦ بعداً . ويمكن تقديم صورة عن طبيعة

---

(١) أعداد د . عبد السلام عبد الغفار و د . سيد محمد غنيم : استفتاء الشخصية للمرحلة الأولى . القاهرة مكتبة النهضة العربية ١٩٦٥ .

(٢) اعداد د. سيد محمد غنيم ود . عبد السلام عبد الغفار : استفتاء الشخصية للمرحلة الأعدادية والثانوية القاهرة مكتبة النهضة العربية ١٩٦٥ .

(٣) اعداد . د. عطية محمود هنا و د . سيد محمد غنيم و د. عبد السلام عبد الغفار . تحت الطبع .

الاختبار بالتعليمات التى توجه إلى المفحوص وبعض ، الأمثلة من الصورة العربية .

التعليمات : يحتوى هذا الكتيب على عدد من الأسئلة التى تتصل بنواحى اهتمامك وميولك وما تحبه وما تكرهه . وستجد أمام كل سؤال ثلاث اجابات محتملة . فاذا وقع اختيارك على الاجابة (ا) ضع علامة (×) فى المربع (ا) من ورقة الاجابة . أما إذا اخترت الإجابة (ب) فضع العلامة فى المربع (ب)، وإلا فضع العلامة فى المربع (ح) إذا اخترت الاجابة (ح) . ويتضح من هذا أن ليس هناك أجابات صحيحة وأخرى خاطئة . فلكل فرد وجهة نظره الخاصة فى حياته .

وستعطى لك بعض الأمثلة لنتأكد من فهمك لطريقة الإجابة :

١ — أحب أن اشاهد الألعاب الرياضية

(ا) نعم (ب) احيانا (ج) لا

٢ — افضل الاشخاص :

(ا) المتحفظين (ب) بين بين (ج) الذين يكونون صداقات بسرعة

٣ — المال لا يوفر السعادة

(ا) نعم (ب) بين بين (ج) لا

٤ — المرأة للطفل كالقطة لـ

(ا) القطيطة (ب) الكلب (ج) الولد

لاحظ أن للمثال الأخير إجابة واحدة صحيحة هى الاجابة (ا) وسوف نجد بعض الأمثلة من هذا النوع .

وفيما يلى نشير إلى الأبعاد الستة عشر التى يقيسها هذا الاختبار الأخير ؛ علما بأن معظمها مشترك مع الاستفتاءات الأخرى السابقة عليه .

العامل

A : السيكلوثيميا ضد الشيزوثيميا (محب للناس . اجتماعى . سهل المعاشرة ضد عدوانى . ناقد . منسحب . منعزل عن الناس)

B : الذكاء العام ضد الضعف العقلى (ذكى ضد غبى)

C : الإتزان الانفعالى أو قوة الأنا ضد عدم الاتزان الانفعالى (القدرة على التكامل المباشر وضبط الاندفاعات العاطفية والاستجابات الجسمية ضد عدم القدرة) .

E : السيطرة ضد الخضوع (عدوانى ضد وديع)

F : الانبساط ضد الاكتئاب والانقباض (مبتهج ، مرح ضد هادئ . متحرز . قلق ناتج عن الكف نتيجة التعرض للعقاب والحرمان) .

G : قوة الأنا الأعلى ضد نقص المعايير الداخلية والافتقار إليها (أوامر ايجابية ضد الكسل وإهمال المسئولية ، غير مثابر ولا يعتمد عليه) .

H : المغامرة والإقدام ضد الجبن .

I : الطراوة ضد صلابة العود (واقعى عملى ضد خيالى قلق) .

L : الميل إلى الإرتياب ضد التقبل (مهموم حساس ضد يثق بنفسه ، مرح)

M : رومانتيكى (مزاج اجتراري) ضد واقعى (الاعتماد على الذات ضد الاعتماد على الجماعة وعدم القدرة على فصل مشاعره) .

N : الدهاء ضد السذاجة (سريع واقعى قادر ضد مبهم حساس عاجز عن ضبط انفعالاته) .

O : الاستهداف للذنب ضد الثقة الكاملة بالنفس .

Q_1 : التحرر ضد المحافظة .

Q_2 : الاكتفاء الذاتى ضد الافتقار إلى التصرف الذاتى .

Q_3 : قوة اعتبار الذات ضد ضعف اعتبار الذات

Q_4 : قوة توتر الطاقة الحيوية ضد ضعف توتر الطاقة الحيوية .

ويذهب بوهمان وولش (١) إلى أن اختبار عوامل الشخصية للراشدين رغم أهميته النظرية وقيمته فى القياس ، فإنه لم يستخدم على نطاق واسع فى الدراسات الخاصة بالشخصية . وليس ثمة شك فى أن ضعف تقبل الاختبار يرجع إلى نفور السيكولوجيين ومعارضتهم ترك المفاهيم السيكولوجية والسيكاترية المألوفة لديهم إلى السمات المركزية التى تبدو غريبة والتى وصل إليها كاتل بالعمل الإحصائى المعقد والتحليل العاملى . وسوف يظل هذا القصور قائما إلى أن يقدم كاتل الأدلة القوية على المزايا الحقيقية التى يكسبها الباحث من استخدام مفاهيمه ، خصوصا تلك التى قد تبدو غريبة وغير مألوفة الاستعمال لدى السيكولوجيين .

وثمة نقطة أخرى للمعارضة من جانب بعض الاكلينيكيين الذين يتعاملون مع المجموع العام من الناس أكثر من تعاملهم مع طلاب الجامعة ممن لديهم قدرة عقلية ولفظية عالية . وهى أن عبارات الاختبار متكلفة بعكس العبارات السهلة البسيطة التى توجد فى اختبارات كثيرة للشخصية كاختبار الميدسوتا المتعدد الأوجه مثلا .

ومع ذلك ، فمما يجدر الاشارة إليه أن السمات المركزية عند كاتل لا تتوقف على اختبار عوامل الشخصية للراشدين فحسب . ذلك أن هذا الاختبار هو مجرد واحد من المصادر لبيان نظريته فى الشخصية ، ويلجأ كاتل إلى وسائل أخرى بالاضافة إلى الاستفتاءات منها تقارير الحياة والاختبارات الموضوعية ، على نحو ما سبق أن أوضحنا ذلك .

---

(1) Baughman, E. Earl, & Welsh, George. Personality : A Behavioral Science, New Jersey Prentice-Hall Inc. 1962.

الفصل الثالث عشر

مقاييس التقدير والملاحظة والمقابلة

قد تدعو الظروف أحيانا إلى الالتجاء إلى وسائل أيسر تناولا وأسرع فى الحكم على سمات شخصية فرد ما ودون حاجة إلى تطبيق اختبارات الشخصية أو غيرها من الاختبارات الموضوعية الأخرى. فقد يتطلب الأمر تقدير سمة ما أو مجموعة من السمات لدى فرد، ومقارنتها بنفس السمة أو السمات لدى أفراد آخرين؛ أو القيام بملاحظات لسلوك فرد ما ثم إصدار أحكام على شخصيته؛ أو القيام بمقابلات لتقييم شخصية فرد ما أو اتجاهاته أو ميوله إلى آخر هذه الطرق التى تستخدم على نطاق واسع فى حياتنا العادية والتى تعتبر فى الحقيقة جزءاً مكملا لغيرها من طرق دراسة الشخصية. ولكن بسبب السهولة الظاهرة لهذه المقاييس، فقد يساء تقديرها لدى غير المدربين تدريباً جيداً على إستخدامها، مما يؤدى إلى عدم الاهتمام بموضوعية وثبات وصدق النتائج التى نصل إليها.

وسوف نعرض باختصار لهذه المقاييس مبتدئين بمقاييس التقدير، لما لها من ارتباط بالملاحظة والمقابلة.

مقاييس التقدير :

استخدمت مقاييس التقدير منذ زمن طويل فى تقدير متغيرات طبيعية كدرجات الحرارة والرطوبة وشدة الرياح. ومن المعتقد أن سير فرنسس جالتون كان من أبرز من استخدم مقاييس التقدير فى دراسته للتصور وغيره من العمليات العقلية.

وفى حياتنا العادية ، كثيراً ما نلجأ إلى مقاييس التقدير فى الحكم على شخص أو اشخاص تربطنا بهم صلة أو معرفة . فالإنسان منذ أمد بعيد يصدر أحكاما على نفسه وعلى غيره من الناس . وتكون هذه الأحكام أحياناً فى صورة تقدير لسمات معينة عنده أو عند غيره . فيصف نفسه أو غيره بسمات كالكرم أو الذكاء أو البخل أو الغباء أو العدوان وغيرها من السمات . وفى كثير من الأحيان يكون الحكم أقرب إلى أحد الطرفين المتباعدين لمتسلسلة السمة . فالشخص إما أن ينظر اليه على أنه ذكى أو غبى ، عالم أو جاهل ، أمين أو خائن وهكذا . غير أن الفرد حين تضطره الظروف إلى أن يقارن بين شخصين أو أكثر . والقيام بتمييزات أكثر دقه على مقياس ما ، فإنه يقوم بذلك وهو يدرك أهمية التحدث فى صورة كمية ، حتى يصبح للمقارنة معناها ودلالتها . وفى هذه الحالة ، يكون بسبيل تقديم تقديرات رقمية أو عددية للسمة ، مما يكشف عن كون السمة أعلى أو أقل درجة عند هذا الفرد ، منها عند الفرد الآخر . ولأهمية هذه التقديرات وخطورتها فى بعض المجالات — سواء كانت مجالات فنية أو علمية أو غيرها — فإنها أصبحت موضوعا للدراسة الدقيقة ، فأجريت المحاولات العديدة لتهذيب وسائلها وطرقها .

وتهدف مقاييس التقدير أساسا إلى معرفة الإنطباع الذى يحدثه الفرد فى الآخرين الذين يكون على اتصال بهم . بالنسبة لبعض السمات أو الإتجاهات ومن ثم فهى وسيلة لتقدير القيمة الإجتماعية أو الكفاية المهنية أو المركز فى الجماعة ، وما إلى ذلك من النواحى فى ضوء الانطباع الذى يتركه الفرد فى نفوس الآخرين .

ولتقييم فرد ما ، فإن مقاييس التقدير تمكن المدرس أو الموجه أو الآباء

أو الزملاء ومن تربطهم صلة كافية بالشخص المراد تقييم سماته ، من تكوين فكرة أو رأى يقوم على بيّنة أو أدلة مستمدة من الملاحظة لسلوكه فى مواقف عديدة . وفى العادة ، يقوم بإعطاء مثل هذه التقديرات أكثر من حكم حتى يقل التحيز فى التقدير ويصبح أكثر موضوعية .

وتستخدم مقاييس التقدير عادة لقياس سمات كثيرة كالزعامة والأمانة والتعاون والمواظبة والكرم والغش والقدرة على استمرار بذل الجهد فى العمل ، والتحكم الانفعالى وضبط النفس ودراسة العادات والجاذبية الشخصية وكثير غيرها . والمقياس يتضمن عادة سمات تقدَّر بطريقــــة فردية . ويتوقف نوع السمات التى نقوم بتقديرها على الهدف الذى يوضع المقياس من أجله .

وهناك مبادىء عامة أشار إليها فريمان عند بناء مقياس التقدير وإستخدامه ، نذكر منها :

١ – تحديد السمة بوضوح : وهذا مطلب أساسى حتى تصبح السمة مفهومة فهما واضحاً ومحدداً لدى جميع الحكام . ويمكن تحقيق هذه الغاية بتقديم تفسيرات أو نماذج سلوكية من أجل التوضيح .

٢ – تحديد درجة السمة : فالسمة يجب أن تقدر على مقياس ، ويكون غالباً من خمس إلى سبع درجات . أما العدد الكبير من الدرجات ، فإنه يحتاج إلى تمييزات وتفصيلات أكثر دقة ، قد لا يتيسر بالنسبة لبعض الحكام القيام بها بسهولة . ويجب توضيح كل خطوة على المقياس بنفس الطريقة التى يتم بها توضيح السمة ذاتها .

٣ – ثبات المقياس يتوقف على مدى تغير تقديرات الحكام : يختلف الحكام عادة فيما بينهم فى تحديد درجة أو رتبة الفرد بالنسبة للسمة . وقد يكون

هذا الإختلاف صغيراً أو كبيراً . ولذلك فالأمر المعتاد هو أخذ متوسطات الأحكام أو التقديرات باعتبارها أقرب إلى التقدير الصحيح للشخص . ولكي يكون للمتوسط معنى يجب أن تكون إنحرافات الاحكام عنه صغيرة حتى تكون الأحكام على درجة من الثبات ، ولذلك يلزم معرفة مدى التشتت فى الأحكام .

٤ — تحديد صدق مقاييس التقدير : إن الوسائل العادية لتحديد الصدق قد يصعب إستخدامها بالنسبة لمقاييس التقدير . وصدق مقاييس التقدير يفترض أن يقوم على فهم الحكام لمعانى السمات المراد تقديرها ومدى دقتهم فى تقديرها . والدلالة الرئيسية لصدق بعض مقاييس التقدير تستند إلى حقيقة أن الأشخاص الذين يستخدمونها — سواء كانوا موجهين أو رؤساء عمل أو موظفين أو مدرسين — قد يجدونها مفيده ، هذا إذا تم إختيار الحكام بدقة وكانت تقديراتهم تتم على أساس من الوعى الدقيق . وهذا الشرط الأخير قد لا يتيسر التسليم به فى كل الأحوال . فقد لا يرحب بعض الحكام بتكريس بعض الوقت والجهد اللازمين للتقدير الدقيق . ولذا فإن البعض قد يقوم بعملية التقدير بسرعة وبشكل ظاهرى وسطحى

٥ — السمات الظاهرية أكثر ثباتا فى التقدير من السمات الخفية أو الضمنية :

وتقدير السمات التى تقوم على أساس النشاط الظاهرى الموضوعى أو على أساس السلوك الواقعى ، الماضى أو الحاضر ، والمعروف بالنسبة للحكام ، يكون أكثر ميلا إلى الثبات من السمات الخفية . فمثلا تقدير نواحى ظاهرة من السلوك كالتعبير الانفعالى أو التقبل الإجتماعى أو الخوف أو القلق أو العدوان أو الإندفاع يكون أكثر ثباتا فى التقدير من المشاعر الداخلية والإحساسات

التي تدور حول الذات . ورغم أهمية التقديرات الداخلية الخفية ، إلا أنه يجب ألا تؤخذ على أساس قيمتها الظاهرية . وقد يكون السلوك الظاهرى فى هذه الأحوال سببا فى الخطأ . فالعدوان قد يكون تعبيراً عن مشاعر عدم الطمأنينة ، كما أن التباهى والتظاهر المبالغ فيه قد يكون تعبيراً عن مشاعر النقص .

٦ — يجب ذكر درجة الثقة فى التقدير : ومع كل تقدير يجب أن يذكر الحكم درجة ثقته ويقينه فى الحكم الذى يعطيه (واثق ١٠٠٪ أو ٥٠٪ أو ٢٠٪ ..) . وقد وضح أن الحكام يكونون أكثر ثقة بالنسبة للتقديرات التى تقع عند الأطراف، وذلك لأن الإنحرافات المتطرفه تكون أكثر ظهوراً ووضوحاً من غيرها فسمات مثل أمين ـ خائن ، انطوائى ـ انبساطى ، متعاون ـ غير متعاون تكون أكثر وضوحاً فى الأفراد الذين يقعون بشكل ظاهر عند هذا الطرف أو ذاك الأخر .

٧ - بعض الأشخاص يكون الحكم عليهم أكثر دقة من الحكم على البعض الأخر : فالمنبسط فى العادة يكون الحكم عليه أكثر يسراً وثباتا من المنطوى وتقديرات ، الأشخاص الذين يتم الحكم عليهم فى ضوء السمات الظاهرية أكثر من السمات الداخلية ، يكون الحكم عليهم أكثر ثباتا لأنه يقوم على عينات ظاهرة من السلوك

٨ — ثبات تقدير السمة يتأثر بكونها مرغوبة أو غير مرغوبة : فهناك نزعة لدى الفرد لزيادة تقدير نفسه بالنسبة للسمة التى يرى أنها مقبولة إجتماعيا .

الأنواع الشائعة لمقاييس التقدير :

سنشير إلى أهم أنواع مقاييس التقدير :

١ — مقاييس التقدير الرقمية :

وفى هذا النوع يحدد الحكم أو القائم بالتقدير قيمة عددية أو رقمية لكل سمة من السمات المراد تقديرها لدى الفرد . ومن المألوف عادة أن نجد المقياس الذى من هذا النوع يرتبط بصورة وصفية توضح للحكم الأوزان الرقمية . ومن الضرورى فى مثل هذه الأحوال تحديد الطرفين المتباعدين للمقياس ثم بعد ذلك يسهل تقدير السمات المتوسطة مثال :

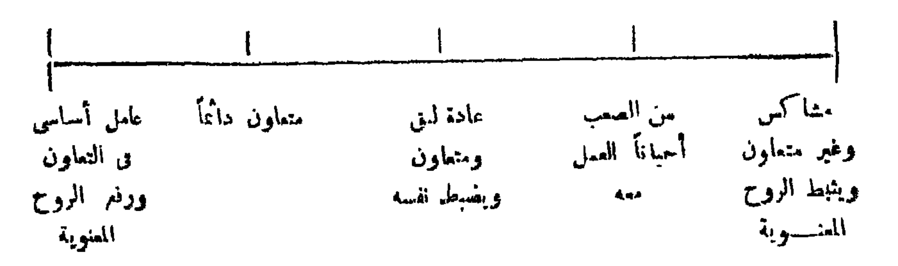
(أنظر المثال على الصفحة التالية)

ومن مزايا مثل هذه المقاييس سهولة تحويلها إلى مقاييس من خطوتين أو ثلاثة أو أربع . . .

٢ — مقاييس التقدير البيانية :

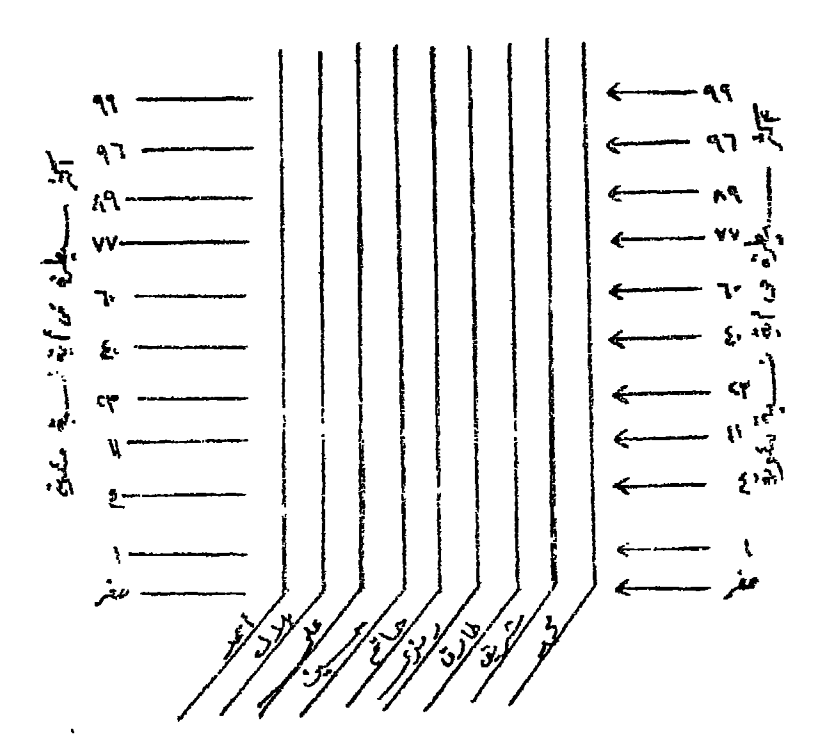
تحدد الدرجات أو المستويات المتعددة للسمة على نقط معينة على خط مستقيم . ويضع الحكم علامة على الموضع الذى اختاره للدلالة على السمة المراد تقديرها لدى الفرد بين الطرفين المتباعدين . فالحكم هنا يضع علامة أو نقطة على الخط ، بدلا من أن يضع درجة أو قيمة رقمية . ويمكن أن نشير إلى مثال من هذا النوع ، علماً بأن من الضرورى أن يحدد الباحث للحكم السمة المراد تقديرها ومستويات التقدير .

السمة المراد قياسها : الاتجاه نحو الآخرين .



			النسبة المئوية لكل مجموعة
إذا كان أداء العامل ممتاز جداً	ضع دائرة حول الرقم	٩	٤٪
» » » » أعلى من المتوسط بدرجة ملحوظة	» » » »	٨	٧٪
» » » » » » » » » » معتدلة	» » » »	٧	١٢٪
» » » » » » » » » » بسيطة	» » » »	٦	١٧٪
» » » » متوسطاً	» » » »	٥	٢٠٪
» » » » أقل من المتوسط بدرجة بسيطة	» » » »	٤	١٧٪
» » » » » » » » » » معتدلة	» » » »	٣	١٢٪
» » » » » » » » » » ملحوظة	» » » »	٢	٧٪
» » » » ضعيف جداً	» » » »	١	٤٪

وثمة صورة أخرى لمقاييس التقدير البيانية أشار إليها جيلفورد فى صورة خطوط رأسية . وفى العادة يتم تقدير سمة واحدة فى صفحة كاملة بحيث تسمح بإجراء مقارنة بين عدد من الأشخاص الذين يتم تقديرهم بالنسبة لهذه السمة الخاصة .



ويضع الحكم علامة على الخط الرأسي المقابل للشخص الذى يقوم بتقدير السمة عنده . وفى هذه الحالة نستطيع بالتقريب أن نعرف النسبة المئوية التى يعد الفرد أكثر ميلاً للسيطرة منها (إذا كنا نقيس سمة السيطرة مثلا) . هل هو أكثر سيطرة من ٦٠ ٪ من المجموعة أو أكثر سيطرة من ٨٠ ٪ . هذا بالإضافة إلى أن مثل هذا الرسم البيانى يسمح لنا بعقد مقارنات واضحة بين عدد كبير من الأفراد فى وقت واحد بالنسبة لسمة واحدة .

٣ — مقاييس الرتب تستخدم بالنسبة للأشخاص الذين يوجدون داخل مجموعة واحدة ويراد معرفة وضعهم النسبي الواحد منهم للآخر . فالحكم في هذه الحالة يرتب أسماء الأشخاص في نظام تسلسلي . والذي يحدث عادة هو أن يقوم الحكم باختيار الأفراد الذين يمثلون الجزء الأعلى في التقدير ، والأفراد الذين يمثلون الجزء الأدنى ثم مَنْ يقع في المنتصف ؛ وبعد ذلك يصبح من السهل بالنسبة له أن يضع الباقين كل حسب موضعه بالنسبة لهذه الأقسام الثلاثة .

وثمة منهج آخر يستخدم كثيراً في ترتيب التلاميذ في المدارس وطلاب الجامعات ، وهو أن نضع كل فرد في المئيني الذي يقع فيه .

فمثلا يمكن ترتيب التلاميذ حسب موضع الفرد بالنسبه للمجموعة على النحو التالي :

الرتب التي تقع في الربيعي الأعلى .
» » » » » المتوسط .
» » » » » الأدنى .

٤ . مقاييس تقدير قائمة المراجعة :

وحين يكون المراد معرفة ما إذا كانت سمات معينة موجودة أو غير موجودة لدى الفرد ، فمن الممكن استخدام ما يعرف باسم قائمة المراجعة check list . وتتألف القائمة عادة من عدد من العبارات ، يعلم الحكم على الفقرة التي تنطبق على الفرد المراد تقدير السمة عنده . وأحيانا تعطى العبارات تقديرات . فالسمة المقبولة تعطى + ، والسمة غير المقبولة تعطى — ، والسمة المحايدة تعطى صفراً . وفي إحدى الدراسات التي قام بها « هارتشورن وماي » أراد الباحثان الحصول على تقديرات للأطفال بالنسبة لسمة « الإيثار

ضد الأثرة والأنانية ، وقام بالتقديرات زملاء الأطفال في الفصل ومدرسوهم، وقد تم ذلك باستخدام قائمة من أسماء ٨٠ سمة بعضها مرغوب فيه ومقبول وبعضها غير مرغوب فيه ومكروه . وجميعها تتصل بمظاهر السمة المراد قياسها : مثل كريم ، يراعي حقوق الغير ، غير أناني ، قاسي ، لا يبالي بالغير ، بخيل . ويقوم الحكم بوضع علامة أو درجة على السمة التي يرى أنها تنطبق على الفرد .

بعض مقاييس التقدير المعروفة :

وهذه أمثلة لبعض مقاييس التقدير التي تخدم أغراضا مختلفة :

قوائم تقدير هاجرتي — السون — ويكمان

Haggerty-Olson-Wickman Rating Schedules.

خصصت هذه القوائم أساساً للكشف عن مشكلات السلوك والنزعات المشكلة ودراستها لدى الأفراد ابتداء من الحضانة حتى المرحلة الثانوية . والقائمة (ا) عبارة عن تقرير لمشكلات السلوك وتحوي ١٥ نوعا أو مصدراً لمشكلات السلوك كمشكلات الكلام ، والخروج على النظام وتحدي السلطة . وكل مشكلة منها تقدر من درجة إلى ٤ درجات حسب تكرار حدوثها . أما القائمة (ب) فهي مقاييس بيانية لـ ٣٥ سمة مصنفة حسب أنواع أربعة : عقلية وجسمية ووجدانية واجتماعية : وتقدر هذه السمات وفق مقاييس من خمس نقط .

مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي

The Vineland Social Maturity Scale

وهذا المقياس يعتبر فريداً في نوعه من حيث تكوينه وتقنينه على نموذج

مقياس استنفورد – بينيه للذكاء . وقد وضع لقياس النضج الاجتماعي للأفراد ابتداء من الطفولة المبكرة حتى سن الثلاثين . وقد أقيم مقياس فاينلاند بطريقة منظمة وعلى أساس عقلي سليم . فوحدات السلوك جمعت في مستويات عمرية كما هو الحال بالنسبة لاختبار بينيه . وتمثل فقرات المقياس نضجاً اجتماعياً متطوراً أو توافقاً مع البيئة في نواحي الاعتماد على الذات وتوجيه الذات والحركة والعمل والاتصال بالآخرين والتطبيع الاجتماعي .

ومن مقابلة الشخص المراد تقديره أو أشخاص آخرين على معرفة جيدة بالشخص المراد تقديره ، يمكن الحصول على العمر الاجتماعي للفرد . وبقسمة العمر الاجتماعي على العمر الزمني نحصل على النسبة الاجتماعية ، Social quotient ، تماما على نحو ما نفعل في اختبار استنفورد بينيه للذكاء حين نستخرج النسبة العقلية ونسبة الذكاء .

ورغم أن هذا المقياس قد قصد به أساساً أن يستخدم بالنسبة للعاديين وضعاف العقول ، إلا أنه قد اعتبر كوسيلة لتشخيص حالات الضعف العقلي . فهو في المحل الأول يستخدم للتمييز بين حالات الضعف العقلي غير الصالحة للتكيف اجتماعياً من ناحية ، وحالات التأخر العقلي التي يمكنها أن تسلك وتعيش مع الجماعة وتتكيف إلى حد ما معها .

مقياس تقدير توافق التلميذ Rating Scale for Pupil Adjustment

ويحتوي على ١١ مجالا من مجالات الشخصية يقوم المدرس بتقديرها . وهذه المجالات هي: التوافق الانفعالي العام ، النضج الاجتماعي ، الميل للاكتئاب ، الميل للسلوك العدواني ، الانطواء — الانبساط ، الطمأنينة والأمن الانفعالي ، الضبط الحركي ، الاندفاعية ، سرعة القابلية للتهيج الانفعالي ، التحصيل الدراسي ، السلوك المدرسي . ويتبين من استعراض هذه القائمة ، أن المقياس

موجه أساساً للنواحي الإكلينيكية ويمكن أن تستخدمه المدرسة لتقديم خدمات نفسية تتمثل في الكشف عن الحالات التي تحتاج إلى توجيه وعلاج فتوجهها إلى العيادات النفسية.

ولما كانت السمات التي يقوم هذا المقياس بتقديرها تتطلب معرفة مهنية ودرجة عالية من الاستبصار السيكولوجي ، قد لا يتوقع وجوده بدرجة كافية لدى بعض المدرسين الذين يستخدمون هذا المقياس ، لذا يجب أن تكون كل سمة مصحوبة بنوع من الوصف الذي يوضح المقصود بالسمة ونماذج سلوكية تشرح ذلك .

تقييم مقاييس التقدير :

مقاييس التقدير ليست اختبارات . كما أنها ليست مقاييس موضوعية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ومن ثم فإن معاملات ثباتها أقل بكثير من المقاييس السيكولوجيه الأخرى كمقاييس الذكاء ومقاييس القدرات وغيرها ، أو حتى اختبارات الشخصية الأخرى الموضوعية . ولكنها مع ذلك تزودنا بوسائل للحصول على أوصاف منظمة للسمات السيكولوجية من حكام أتيحت لهم الفرص الكافية لملاحظة الأشخاص المراد تقدير هذه السمات لديهم .

ومع ذلك فثمة صعوبات عديدة تواجه مقاييس التقدير .

الأخطاء الشائعة لمقاييس التقدير :

أشار جيلفورد إلى أهم هذه الأخطاء ويمكن أن نلخصها في النقط الآتية :

١ — خطأ التحيز العام للحكم .

فمن المعروف عن بعض الحكام التساهل واللين في عملية التقدير . ولذلك فهم عندما يقومون بتقدير أنفسهم أو الغير يعطون عادة تقديرات عالية

للغاية ، على حين يعرف عن البعض الآخر أنه « صعب وجامد » فى تقديره . ومن ثم فهم حين يقومون بتقدير أنفسهم أو الغير يعطون تقديرات متوسطة أو حتى دون المتوسط . ومن الممكن تحديد مدى اتجاه الخطأ الثابت للحكم أو المقدّر بمقارنة تقديراته بمتوسط تقديرات الجماعة .

وفى بعض الأحيان ، قد يعرف المقدر أو الحكم أنه سوف يكون لتقديره أو حكمه أثر فى مستقبل الفرد الذى يقوم بتقديره ، وقد يدفعه ذلك فى الأغلب إلى التساهل واللين بدلا من التشدد .

ولكن طالما أن نفس الحكم أو الحكام هم الذين يحكمون على نفس الأشخاص بالنسبة لنفس السمات . فإن خطأ التساهل لا يثير الكثير من الانزعاج حيث يحدث تعويض لتقديرات البعض بتقديرات البعض الآخر .

٢ — خطأ التفاعل بين الحكم والمقدّر .

ويقصد بخطأ التفاعل ميل حكم معين إلى تقدير شخص معين فى اتجاه واحد فى كل السمات . فإذا كانت فكرة الحكم مثلا طيبة عن الشخص المراد تقديره ، فإنه يقدره تقديراً عالياً فى معظم النواحى . أما إذا كان لديه انطباعاً غير مقبول عنه ، فإنه يميل غالباً إلى أن يغمطه حقه فى كثير من السمات ويقلل تقديره لها . وهذا النوع من الخطأ هو الذى يعرف فى علم النفس باسم خطأ الهالة أو أثر الهالة Halo effect .

وليس من الصعب أن ندرك أخطاء التفاعل بين الحكم والمقدّر . ففى إحدى الدراسات ، قام بعض المدرسين بتقدير سمات مختلفة لأطفال اختيروا ليمثلوا مجموعات ثلاثة محددة بالنسبة لمستويات الذكاء والسلوك . أما المجموعة الأولى التى اختيرت باعتبارها متخلفة عقلياً بدرجة كبيرة — وكان مستوى ذكائها فعلا منخفضاً بدرجة ملحوظة — فقد عزا المدرسون إليها عدداً قليلا جداً

من السمات المقبولة وعدداً كثيراً من السمات غير المقبولة كضعف الاهتمامات والافتقار إلى المبادأة ، والعدوانية . بينما المجموعة التى حددت باعتبارها تمثل « العباقرة » فقد قدّر المدرسون ٧٤ ٪ منهم على أنهم ممتازون فى كل شىء . أما المجموعة الثالثة التى اختيرت باعتبارها « تمثل حالات مشكلة » فقلما وصفها المدرسون بصفات مقبولة اجتماعياً ، رغم أن تحصيلهم الدراسى كان مناسباً .
وباختصار فإن الفكرة السائدة لدى الحكم عن الشخص يكون لها أثر واضح فى تقديره لسماته . فإن كانت طيبة ، سارت أحكامه فى طريق مقبول وإلا تأثرت أحكامه بالفكرة المضادة .

٣ — خطأ التفاعل بين الحكم أو السمة :

أشار مورى إلى خطأ التقابل أو التباين فى التقديرات بمعنى أن الحكم الذى تكون لديه هذه السمة المراد تقديرها ، واضحة فى أحد طرفيها ، فإنه يميل إلى القسوة فى الحكم على الأشخاص الذين يقعون فى الطرف الآخر المضاد . فمن تكون لديه سمة الأمانة واضحة عنده ، فإنه يشتد فى القسوة فى الحكم على مظاهر السلوك التى تنحرف عن هذه السمة البارزة عنده .

وثمة سبب مقبول لتوقع التحيزات التى ترجع إلى خطأ التشابه فى التقديرات سواء كانت السمة المراد تقديرها إيجابية أو سلبية . فنحن نتوقع أحياناً من الآخرين أن يشبهونا فى كثير من السمات التى لدينا . فالحكم الثابت انفعالياً يميل إلى زيادة تقدير هذه السمة لدى الآخرين لكونها موجودة عنده . فعملية الإسقاط يمكن أن تلعب دوراً واضحاً فى تقدير السمات .

التقليل من الأخطاء فى مقاييس التقدير :

وثمة وسائل يمكن بها تقليل أخطاء مقاييس التقدير ، منها :

١ — استعمال المقاييس الأحسن والأنسب فى عملية التقدير . ومقاييس

التقدير الرقمية أكثر خضوعاً نسبياً إلى التحيز إذا قورنت بغيرها من الأنواع. والصور البيانية يمكن أن تعد بوجه عام تحسناً للصور الرقمية. وميزاتها أنها تسمح بتقدير عدد من الأفراد بالنسبة لسمة واحدة قبل الانتقال إلى سمة أخرى. وهذا من شأنه أن يقلل من أثر الهالة على وجه الخصوص.

٢ — تدريب الحكام. من الممكن أن نبصر الحكام بمصادر الخطأ وطرق تجنبها، كما يعطى الحكام كل البيانات والتوضيحات اللازمة لمعنى السمة وخطوات المقياس.

٣ — أن طول المعرفة والألفة بين الحكم والشخص المراد تقدير سماته، يمكن أن تزودنا بوسيلة أخرى لتحسين التقديرات التى يصدرها الحكم حيث أن طول المدة تسمح بفرص أكثر للقيام بملاحظات فى مواقف عديدة.

٤ — اختيار الحكم الجيد: ومن أفضل الوسائل لاختيار الحكم الجيد التجربة ومقارنة تقديراته بتقديرات الآخرين وقد تتخذ المتوسطات فى هذه الحالة كمعيار للمقارنة. ولكن قد يكون أغلب الحكام قد وقعوا فى نفس التحيزات المشتركة، وأن هذا الحكم الخاص الذى تنحرف تقديراته عنهم هو الأقرب إلى الصحة. والحقيقة أن الدرجات فى مثل هذه الأحوال يمكن أن تعنى شيئاً عن تطابق الحكم مع فكرة الجماعة بدلا من قدرته فى الحكم على الشخصية.

الملاحظة :

وإذا كانت اختبارات الشخصية أدوات تجريبية مقيدة ومناسبة لأهداف البحث العلمى والدراسة فى يد الاكلينيكى المدرب، إلا أنه لا يمكننا الاعتماد دائماً ـ عند تقدير متغيرات الشخصية ـ على الاختبارات المقننة وحدها، بل يتطلب الأمر أحياناً الإلتجاء إلى وسائل أخرى تمدنا بالكثير من المادة التى

قد لا تصل إليها عن طريق الاختبارات . ولذا ، فإن الباحث فى الشخصية قد يلجأ - بالإضافة إلى الاختبارات - إلى وسائل أخرى كمقاييس التقدير وطرق الملاحظة وغيرها من الوسائل .

وتلعب الملاحظة دوراً أساسياً فى تقدير سمات شخصية الفرد سواء كان ذلك فى عيادة سيكولوجية أو فى مركز توجيه أو فى الفصل أو فى مكتب توظيف أو فى أى مكان آخر يستدعى تقييم الفرد عن طريق الملاحظة . وإذا كانت الاختبارات السيكولوجية تمتاز بأنها تقييمات أكثر موضوعية لعينات صغيرة من السلوك تتم فى ظروف مقننة ، فإن الملاحظة تمتاز بدورها أنها تعطينا عينات أكثر إتساعاً وبشكل يسمح لنا بتقدير شخصية الفرد فى مواقف أقرب إلى المواقف الطبيعية .

وقد لجأ علماء النفس وبخاصة علماء نفس الطفل إلى طريقة الملاحظة المباشرة للسلوك التلقائى فى المواقف الطبيعية منذ وقت طويل. وقد استخدمها الكثيرون منهم على نطاق واسع ، وبخاصة مع أطفال ما قبل المدرسة . ومن أشهر علماء نفس الطفل الذين استخدموا الملاحظة المباشرة فى هذا المجال « جان بياجيه » فى سويسرا و « أرنولد جيزل » فى أمريكا. ورغم أن مثل هذه الطرق يمكن أن تتبع مع كل الأفراد من أى سن كان ، إلا أنه كلما كان الطفل أصغر سناً قل احتمال تؤثر سلوكه بوجود الملاحظ ، كما أنه لا يكون قد نمى بعض الواجهات الإجتماعية التى يخلف وراءها سلوكه مما يزيد من تعقد تفسير السلوك وقد أثبتت طرق الملاحظة المباشرة فائدة كبيرة فى المدرسة ، وبخاصة إذا قام بالملاحظة المدرس أو أى شخص آخر ، يوجد بشكل طبيعى فى الجو العادى للمدرسة أو الفصل . وقد استخدمت طرق الملاحظه لأغراض البحث أكثر مما استخدمت لأهداف تقييم الفرد . ومع ذلك فكثيراً ما يدعم

علماء نفس الطفل تقييماتهم بمثل هذه الملاحظات التي تتم داخل جدران الفصل وخارجه في الملعب أو في المواقف المدرسية الأخرى .

ويذهب جيلفورد إلى أن طريقة الملاحظة المباشرة تمثل خطوة إلى الأمام في ناحية الضبط التجريبي إذا قورنت بمقاييس التقدير الرقمية . فتقييم سمات الشخص عن طريق الملاحظة المباشرة يتم عادة في المكان ، ونحن نقوم بملاحظة سلوك الفرد أو بعده مباشرة ، على حين في التقديرات العادية يتوقف الأمر على الملاحظات العارضة وعلى ذاكرة الحكم .

ثم أن الملاحظة المباشرة تتم لدراسة أغراض معينة محددة ونواحي خاصة من السلوك : كاللغة أو الحركة أو السلوك العدواني أو العلاقات المتبادلة والتفاعل بين الأفراد . بينما التقديرات العادية فتقوم على أساس السلوك الذي نلاحظه عرضاً . ومن المحتمل ألا يكون هناك هدف أو قصد وقت عمل هذه التقييمات المنظمة . أي أن الملاحظة المباشرة تتم في مواقف مختارة يعتقد الملاحظ أن أدلة السمة التي يريد ملاحظتها ، يمكن أن تتضح في مثل هذه المواقف ، أما التقديرات العادية ، فإنها تجرى عادة على أساس السلوك في المواقف العارضة التي قد تتمثل أو لا تتمثل فيها أدلة السمة التي نريد ملاحظتها .

يضاف إلى ما تقدم أن الملاحظة المباشرة يمكن أن تتم أيضاً في مواقف مضبوطة ومقيدة إلى حد ما ، على نحو ما يحدث داخل الفصل أو في ملعب المدرسة . كما أن الموقف العام يمكن إعادته بشكل إجمالي وتكرار اجراء الملاحظة . أي أن الملاحظة تعتبر شبه تجربة ولكنها ، تتم في ظروف طبيعية . حقيقة إن التقييمات التي يخرج بها الملاحظ تكون عادة في صورة تقديرات ولكن المعرفة الأساسية التي تستند إليها هذه ، تبدو أفضل من تلك التي تقوم عليها التقديرات العادية .

وقد استخدمت أساليب شتى للملاحظة مع الأطفال والكبار، تتراوح بين الأساليب الشاملة الطويلة المدى على نحو ما يتضح فى التقارير اليومية التى تكتب على مدى فترة طويلة من الزمن، إلى الملاحظات المحدودة القصيرة الأمد والتى تقوم بها الفترة زمنية قصيرة. ويمكن أن نشير إلى بعض طرق الملاحظة المباشرة.

لقد أشار جيلفورد إلى أنواع ثلاثة معروفة لنا هى: العينة الزمنية وعينة الحدوث والتقارير اليومية المقيدة.

أما طريقة العينة الزمنية ففيها يلاحظ الشخص على مدى فترة زمنية معينة. وهذه الفترة قد تكون قصيرة (عدة ثوان)، أو قد تكون طويلة (عدة ساعات)، وذلك حسب نوع السلوك الملاحظ وهدف الملاحظة وعدد الملاحظات المطلوبة. كما أن توزيع الفترات يختلف أيضاً. فقد تركز الملاحظات فى يوم واحد أو قد تتوزع على عدة شهور أو حتى عدة سنوات.

أما الأشياء التى تلاحظ وتسجل، فقد تكون مجرد ظهور أو عدم ظهور إستجابة معينة أو عمل معين، أو قد يكون هناك تقدير كمى للافعال الملاحظة أو بعض مظاهرها.

أما عينة الحدوث ففيها نختار حالات معينة من السلوك، ونرى مدى تواتر حدوثها خلال فترة زمنية قد تطول وقد تقصر. فبدلا من أن نلاحظ السلوك فى مواقف مختارة، فإننا نختار حالات معينة فى السلوك ونلاحظها ونسجلها. فالتقرير الذى تقدمه الأم بملاحظاتها عن أوقات رضاعة الطفل أو صراخه أو رفضه تناول الطعام أو اللعب مع الأطفال الآخرين يعد من هذا القبيل. وأمثال هذه التقارير تتضمن بعض العبارات عن نوع الموقف والمثيرات المعجلة أو المحتملة فى هذا الموقف. كما توصف الاستجابة وتسجل شدتها ومدتها وآثارها البعدية إن كان لها آثار بعدية.

أما التقارير اليومية المسجلة ، فإن الفرد نفسه — إذا كان كبيراً وذكياً — قد يحتفظ بتقارير يكتبها هو عن نفسه وسلوكه فى مواقف مختارة ، كتقاريره عن استجاباته لثورات الغضب التى تنتابه ومداها . وقد يستمر الفرد فى كتابة تقارير عن نفسه فترة طويلة من الزمن ، ولكن خطورة مثل هذه التقارير هى بُعدها عن الأسلوب العلمى السليم ، وأن تصبح مجرد مذكرات يومية يدونها الفرد ولكن قد تساعد الملاحظة الموضوعية وتدوين الأحداث أولا بأول ومعرفة الأسباب والظروف المحيطة بالظاهرة على أن تصبح الملاحظة أقرب إلى الدقة .

وليس ثمة شك أن تكرار الملاحظات أمر ضرورى للحكم على ثباتها وصدقها . والجدير بالإشارة أيضاً أن النتائج التى نصل إليها فى موقف واحد — حتى على أساس عدد من الملاحظات المتراكمة - تكون صادقة بالنسبة لهذا الموقف . أما الاستدلال عن كيف يمكن أن يسلك هذا الفرد فى موقف آخر ، فإن هذا يتوقف فحسب على مدى ارتباط استجابات الفرد فى الموقفين وعلى فهمنا لبناء شخصية الفرد ، بحيث يمكن أن نرى ماذا يعنى الموقف الجديد بالنسبة إليه . ويقول سيموندز (١) فى صدد تعليقه على ضرورة وجود عينات مناسبة من السلوك : إن الملاحظة الواحدة والتقدير الواحد والاختبار الواحد والقياس الواحد والإجابة الواحدة عن سؤال ما ، كل هذه لا يمكن أن تكون موضع ثقة الباحث . إنما يبلغ هذه الثقة بتكرار الملاحظات والتقديرات والاختبارات والأقيسة . فإنك إذا طلبت من إحدى المدرسات الحكم على قدرة طفل ما على الاعتماد على نفسه ، فإنك تحصل على ما استطاعت هى أن تلاحظه فى هذه المواقف القليلة المحددة داخل الفصل ، والتى ظهرت حين اتجه انتباهها بشكل خاص

---

(1) Symonds, Percival M. Diagnosing personality and conduct. New york. Appleton-Centry 1931,

بعض الأفعال التي تتضمن أمانة هذا الطفل أو ثقته بنفسه . ومن ناحية أخرى ، فإن التقدير المناسب يتطلب حكم مقدرين عديدين في مواقف عديدة في أوقات عديدة فالحقيقة الثابتة هي الحقيقة المتكررة التي تظهر مرات عديدة .

ومع ما لطرق الملاحظة من أهمية ، إلا أنها لاتزال بعيدة في بعض نواحيها عن الطرق التجريبية . فهي تحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى المعلومات التي نريد الوصول إليها . وقد لا تظهر هذه السمات خلال فترات الملاحظة التي تقوم بها ، وإنما تظهر في أوقات أخرى لا يكون فيها الفرد تحت الملاحظة ، أي أن فيها ضياع للوقت أحياناً.

كما أنها تحتاج إلى أشخاص مدربين تدريباً جيداً على القيام بالملاحظة . ثم أن المعلومات التي نحصل عليها عن السمات التي نريد دراستها قد لا تتناسب والجهد الذي يبذله الملاحظ ، ولا الوقت الذي يصرفه في الملاحظة . ولذلك يجب — كلما أمكن — أن يحل محلها الطرق التجريبية أو أختبارات السلوك .

ثم إن تعدد الملاحظين قد لا يحل مشكلة الملاحظة . فالملاحظون — حتى بالنسبة للموقف الواحد — قد يعطون تقارير مختلفة اختلافا كبيراً ، وذلك على أساس أن كل ملاحظ يكون أكثر حساسية لأنماط معينة في السلوك من الملاحظ الآخر . فقد يوجه أحدهما إنتباهه إلى أعراض معينة كقضم الأظافر ، بينما يعطي غيره إهتماما أكبر لغيرها من الأعراض، ومن ثم يركز عليها ملاحظته .

المقابلة :

والمقابلة وسيلة هامة من وسائل دراسة الشخصية . وهي من الأساليب التي تخدم أغراضا كثيرة في مجالات كالطب والصحافة والخدمة النفسية وإدارة الأعمال وعملية التوجيه والإختيار للموظفين، وفي المجال التربوي وعلم النفس

الاكلينيكى . ونادراً ما يحدث إختيار للموظفين لعمل من الأعمال من غير إجراء مقابلات من أى نوع كان مع الأفراد المتقدمين اشغل هذه الأعمال . ولا يمكن أيضا أن نغفل أهمية المقابلة بالنسبة لعالم النفس الإكلينيكى - فهى ولا شك تلعب دوراً هاما فى الوصول إلى المعلومات التشخيصية عن الحالة . وحتى مع إستخدام الاختبارات المختلفة لدراسة شخصية العميل ، إلا أن المقابلة قد تكشف عن جوانب ذات أهمية كبيرة لا نصل إليها عن طريق الاختبارات. فسلوك الفرد خلال المقابلة التى تتم وجها لوجه ، وصورة الأسئلة والإجابة عليها ، وما قد يبديه العميل من ملاحظات أو أقوال ، كل ذلك من شأنه أن يلقى المزيد من الضوء على المعلومات التى تتجمع لدى عالم النفس الاكلينيكى من مصادره المختلفة .

والمقابلة كأسلوب بحث تتضمن التبادل اللفظى وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وشخص أو أشخاص أخرين تجرى معهم المقابلة. وعن طريق المقابلة يحاول الباحث الحصول على المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر أو دوافع السلوك إلى غير ذلك من المعلومات التى يهدف إلى الوصول إليها .

والمقابلة - كما أوضحنا - أسلوب لتقييم الشخصية شأنها فى ذلك شأن غيرها من الأساليب . ومن الممكن أن يدرك القارىء بسرعة التشابه الظاهر بين أسلوب « سبر الغور » عن طريق المقابلة ، والأسئلة التى توجه فى اختبار الشخصية أو مقياس الاتجاهات . ومع ذلك فثمة اختلافات واضحة وهامة . فالمقابلة بالتأكيد ، أكثر مرونة . فالقائم بالمقابلة يمكنه أن يستجيب للمفحوص فى ضوء مايقوله الأخير ، كما يمكنه أن يغيّر من أسلوبه أو أسئلته لتلائم استجابات المفحوص . وإذا وجد القائم ، بالمقابلة ممانعة من المفحوص فى الإجابة عن أنواع معينة من الأسئلة ، فإنه قد يرجئها إلى آخر المقابلة

أو قد يوجهها بطريقة غير مباشرة حتى لا تثير المقاومة التى تثيرها الصورة المباشرة لتوجيه الأسئلة ، أو قد يسلك القائم بالمقابلة مسلك الملاحظ فى موقف دراسة السلوك ويظل باستمرار متيقظا للاستجابات الانفعالية التى قد تبدو على الفرد من إحمرار الوجه أو لعثمة أو غضب بالنسبة لأنواع معينة من الأسئلة . فمثل هذه الأمور تسمح للقائم بالمقابلة أن يكون أكثر تفهماً وتقديراً لما يقال، أو لما قد يبدو فحسب – على السطح – فى إستفتاء مقنن وغير شخصى أو فى اختبار اتجاه . .

أنواع المقابلات :

يتوقف نوع المقابلة على الهدف منها ، وعلى تفضيل القائم بالمقابلة . وبعض المقابلات غير مقنن وبعضها الآخر مقنن . وهناك أسماء أخرى كثيرة للمقابلات وذلك حسب مجالات البحوث المختلفة التى تطبق فيها . فهناك مقابلة الضغط والمقابلة المجهدة . كما أن هناك أيضا المقابلة البؤرية الاكلينيكية ومقابلة التعمق والمقابلة غير الموجهة أو المتمركزة حول العميل (الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ص٢٦٩). وسوف نعرض هنا لبعض هذه الأنواع.

المقابلة غير المقننة :

وهذه أقرب إلى المحادثة العادية بين شخصين . وتستخدم عادة فى مقابلة اختيار الموظفين حيث يسمح للمقابلة أن تسير فى اتجاهات مختلفة تتوقف إلى حد ما على طالب الوظيفة . وهذا النوع يختلف بالطبع عن المقابلة المقننة التى توجه فيها أسئلة محددة أثناء الحديث مع كل شخص متقدم لشغل الوظيفة .

والمقابلة غير المقننة – لكونها عارضة وغير محددة سلفاً – تكون أقرب

إلى الطبيعية . ومن شأنها أن تجعل المتقدم للوظيفة مثلا على راحته ، وأقرب إلى طبيعته أو غير متكلف فى الإجابة . يضاف إلى ذلك أنه طالما أن هناك متسع من الوقت ، وحرية فى نقل أطراف الحديث من موضوع لآخر ومن نقطة لأخرى ، فإن القائم بالمقابلة قد يجد فى استطاعته تتبع الخيوط المفيدة التى قد تظهر خلال الحديث بشكل يكشف عن جوانب قد تكون فى غاية الأهمية فى الكشف عن شخصية الفرد .

ولكن رغم هذه المزايا ، فإن صعوبتها تتركز فى أن الموقف يختلف من شخص لآخر . فليس هناك موقف موحد بالنسبة لشخصين اثنين . وهذا يجعل عملية المقارنة بين الأشخاص المتقدمين لعمل ما صعبة . هـــذا بالإضافة إلى أن حرية المفحوص فى توجيه الموضوعات ، قد تمكنه ـ إذا رغب ـ أن يوجه المحادثة نحو مواطن القوة فى شخصيته ، ويبعد أنظار القائم بالمقابلة عن مواطن الضعف عنده .

المقابلة المقننة .

وهذا القدر من التقنين فى المقابلة متغير . فى الحالات الأكثر تزمتاً ، تظل قائمة الأسئلة التى يوجهها القائم بالمقابلة إلى المفحوصين ، هى هى لا يخرج عنها إلا فيما ندر . وفى الحالات الأكثر تحرراً ، قد يعطى نفسه بعض الحرية فى إدخال أسئلة إلى جانب الأسئلة الأخرى التى يوجهها إلى الجميع . ومن الممكن استخدام صوراً مقننة لتسجيل إجابات المفحوصين وملاحظات القائم به بالمقابلة على سلوكهم .

ومزايا المقابلة المقننة هى نفسها عيوب المقابلة غير المقننة والعكس صحيح . فالمقابلة المقننة تشكل موقفاً متشابها بالنسبة لجميع الأشخاص . ولا يمكن بالطبع أن نقول إنه موقف متماثل ، ولكن عينة السلوك ستكون

واحدة إلى حد كبير بالنسبة لجميع الأشخاص . ومن هنا تكون المقارنات بين الأشخاص أكثر عدلا ، كما أن المعلومات التى نحصل عليها تتصل بنفس السمات عند جميع الحالات .

ولكن الموقف فى المقابلة المقننة يكون إلى حد ما غير طبيعى . وإن كان الشخص ـ سواء فى المقابلة المقننة وغير المقننة ـ لا بد أن يدرك أنه فى موقف مقابلة . غير أنه موقف المقابلة المقننة ـ لاقتصار الباحث على أسئلة محددة تقريبا ـ قد يغفل جوانب معينة من سمات شخصية الفرد قد لا تحتويها الأسئلة الموضوعة .

مقابلة المواقف الضاغطة :

وهذا النوع من المقابلات قصد به معرفة إلى أى حد يستطيع المفحوص ان يضبط زمام نفسه ،أو يتمالك ذاته عندما يستثار إنفعاليا ، وكذلك سرعته فى استعادة توازنه بعد زوال الضغوط عليه . وفى الحالات النمطية لهذا النوع من المقابلات ، تتم المقابلة بحضور هيئة من ثلاثة أو أربعة أشخاص ويكون هناك ملاحظان آخران غير ظاهرين يسجلان الملاحظات وغيرها من الأقوال والتعابير التى يقولها المفحوص .

وتبدأ المقابلة بمحادثة عادية وبصورة لطيفة ، كأن يطلب إلى المفحوص مثلا أن يقوم باختبار عملى أمام الهيئة . ويمثل الاختبار عملا يزداد تعقيداً شيئاً فشيئاً . وعند نهاية الاختبار يخبر المفحوص بدرجته على الاختبار مع تعبير ينم عن الدهشة بأنها درجة منخفضة للغاية (وذلك بصرف النظر عن درجته الحقيقية التى حصل عليها فى الواقع) وسرعان ما يتحول الموقف كله إلى موقف يوحى بشىء من عدم التقدير للفرد . وأحيانا قد تصدر تعليقات من بعض الأفراد تشير إلى عدم صلاحيته وأن فى الإمكان استبعاده .

ثم بعد ذلك يطلب إلى المفحوص إعادة إجراء الاختبار . وفى هذه المرة توجه إليه صدمات كهربائية أو مشتتات أخرى للانتباه ولكن حين ينتهى من الاختبار ، يوجه إليه الثناء بأنه أجاد العمل فى هذه المرة، كما يصبح الموقف معه لطيفا على نحو ما كان فى أول الأمر . ويطلب من المفحوص بعد ذلك أن يسترجع أية تعليقات أو أسئلة سبق أن وجهت إليه . وهذه بالفعل طريقة لإعطاء اختبار تذكر . وبعد أن ينصرف المفحوص توضع التقديرات الخاصة بالسمات المختلفة لديه ، وما أمكنه تذكره من تعليقات أو أقوال أو أسئلة تحت ظروف الاختبار المختلفة .

المقابلة المجهدة :

وهى مقابلة قد تطول، وتجرى عادة فى جلسة متصلة ويتناوب القيام بها أشخاص عديدون يتحدثون مع الشخص دون أن يعطى فرصة للراحة . والهدف من ذلك هو تحطيم معنويات المفحوص وأساليب دفاعاته . والوقوف على ما لديه من تناقضات أو عدم ثبات فى الأقوال أو الرؤية من ثنايا الواجهة التى قد يغطى بها نفسه فى بداية الأمر .

ومثل هذا النوع من المقابلات نجده فى تحقيقات البوليس أو النيابة مع الأشخاص الذين يشك فى إدانتهم ، كما تستخدم أيضا مع من يراد أن يوكل إليهم القيام بأعمال قاسية تتطلب المزيد من الصبر والتحمل كالجواسيس والمخبرين.

وهناك - كما سبق أن أشرنا - أنواعا أخرى من المقابلات .

والمقابلة بأنواعها المختلفة - رغم أن نتائجها غير مشجعة إذا قيست بغيرها من أساليب الدراسة الدقيقة والتجريب العلمى - إلا أن المحتمل أن يستمر استخدامها وذلك لما تخدمه من أغراض كثيرة فى تقييم الشخصية. فهى فى موقف التوظف مثلا ، تعطى المتقدم لشغل الوظيفة إحساسا بالاهتمام به كفرد .

كما أنها تعطى القائم بالتقدير . انطباعات عن نواحى أخرى يصعب الوصول إليها بغير المقابلة كالمظهر والصوت وغيرهما .

ولكن من ناحية أخرى ، قد تخدع المقابلة . فقد يأتى الشخص للمقابلة وهو فى غاية النظام والترتيب ، بينما أسلوبه فى الحياة غاية فى الاضطراب وسوء النظام . وقد يحدث العكس أحيانا حيث يبدو البعض فى أسوأ حالاته وقت المقابلة ولا يعطى الانطباع الصحيح عن نفسه . وإذا كانت المقابلة تكشف فعلا عن سوء التوافق الانفعالى للفرد أمام القائم بالمقابلة ، إلا أنه سوء توافق موقفى فحسب ، ويكون تقييم الفرد على أساس الموقف الواحد ـ كما عبر عن ذلك سيموندز ـ تقييم لا يوثق به .

الفصل الرابع عشر

الطرق الإسقاطية

الطرق الإسقاطية تعتبر من الوسائل الهامة التى لقيت قبولا لدى علماء النفس الإكلينيكى وعلماء نفس الشخصية . فهى من الطرق الواسعة الاستخدام فى مجال العيادات النفسية ، وتحظى بنصيب كبير فى عملية تدريب الطلاب فى هذا المجال والواقع أن ما كتب عن هذه الطرق كثير جداً لا يمكن حصره فى هذا الصدد . ولذا سوف يقتصر عرضنا لها على التعريف بهذا النوع من الاختبارات وأهم مميزاتها وتقديم نماذج من الاختبارات التى تعد واسعة الانتشار والاستخدام فى مجال دراسة الشخصية فى سوائها وانحرافها . ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الطرق الإسقاطية قد أثارت الكثير من الجدل بين علماء النفس فى هذه السنوات الأخيرة فمن مؤيد لها ، يعترف بقيمتها وفائدتها فى نواحى التشخيص الاكلينيكى، ومن معارض لها يرى أن العوامل الذاتية فيها تلعب دورا كبيراً مما يبعدها عن الموضوعية التى يجب أن تتوفر فى الاختبارات بالمعنى الدقيق . ولكن بوجه عام ، فإن هذه الطرق الإسقاطية تلقى مكانها المعترف به فى اختيارات الشخصية ، حتى لا نكاد نجد كتابا فى الشخصية أو فى علم النفس الاكلينيكى ، إلا وقد أفرد جزءاً من دراساته لهذه الطرق .

معنى الاسقاط :

مفهوم الإسقاط عند فرويد :

فى سياق العرض الذى قدمه « ليربولد بلاك » عن تطور مفهوم الاسقاط أوضح أن لفظ « إسقاط » ظهر لأول مرة فى علم النفس عند فرويد، وذلك فى مقالة

له عن « عصاب القلق » سنة ١٨٩٤ حيث أوضح أن عصاب القلق يظهر عندما تشعر الذات بعجزها عن السيطرة على المثيرات الجنسية ، وفى هذه الحالة تسلك النفس وكأنها تسقط هذه المثيرات على العالم الخارجي » . وفى مقالة أخرى عن العمليات الدفاعية للعصاب (١٨٩٦) ذهب فرويد إلى أن الإسقاط هو أحد هذه العمليات الدفاعية التي يعزو فيها الفرد دوافعه وإحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجي. ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتى إن بقيت - سببت الألم للأنا . وقد أوضح فرويد هذه العملية الدفاعية فى سياق حديثه عن إحدى حالات البارانويا الشهيرة بحالة شربر Schreber والتى كانت تأخذ صورة ميول جنسية مثلية تتحول تحت ضغط الأنا الأعلى من أنا أحبه إلى هو يكرهنى ، فى عملية معقدة تمر بمراحل أربعة هى :

١ — اشتهاء جنسى مثلى يتمثل فى « أنا أحبه » وهذا دافع مستهجن وغير مقبول من دوافع الهو .

٢ — تكوين عكسى تحت ضغط الأنا الأعلى يحوله من « أنا أحبه » إلى « أنا أكرهه » .

٣ — غير أن الكراهية أو العدوان دافع غير مقبول كذلك فيكبت ، ولكن هذا الكبت كعملية دفاعية ليس حلا نهائيا للموقف ، إذ لا يؤدى إلى حماية الأنا تماما . . ولذلك فلكى تتخلص الأنا من هذه الدوافع العدوانية ، فإنها تقوم بإسقاطها على الشخص الآخر ومن ثم :

٤ — تتحرك الدوافع من « أنا أكرهه » إلى « هو يكرهنى » .

ومعنى ذلك أن الإسقاط عند فرويد هو عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة وبمقتضاها تعزو الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العالم الخارجي ،

تلك الرغبات والأفكار التي — إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور — لأحدثت الألم للأنا .

وإذا كانت فكرة الإسقاط قد بدأت عند فرويد مرتبطة بالمرض النفسي والعقلي ، فإنه توسع في استخدامها بعد ذلك في تفسيره لألوان أخرى من السلوك ، إذ اعتبرها عملية دفاعية تدخل في تكوين المعتقدات الدينية . وهذا ما يتضح في سياق حديثه عن « مستقبل خداع » وفي مقالته عن «التوتم والتابو» ولكن حتى داخل هذا الإطار الثقافي ، كان فرويد ينظر إلى الاسقاط كعملية دفاعية ضد القلق .

ويمكن أن نلخص الأسس التي تقوم عليها فكرة الاسقاط عند فرويد على النحو التالي :

أن الاسقاط عملية لا شعورية .

أنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية .

أنه يحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم للذات إلى الآخرين والعالم الخارجي .

أنه يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد .

مفهوم الاسقاط عند فرانك :

ومع ذلك فقد ارتبط لفظ الاسقاط بمعاني مختلفة إلى حد ما . ففي سنة ١٩٣٩ ظهر استعمال جديد للفظ إسقاط عند لورانس ك فرانك L. K. Frank عندما وصف بعض الوسائل غير المباشرة في دراسة الشخصية والتي تهدف إلى الوصول بالفرد إلى أن يقدم تقييما لصفاته دون أن ينتبه إلى أنه يقوم بذلك . فالفرد حين تعرض عليه مثيرات غير متشكلة ، غامضة مبهمة الى حد ما ،

ويطلب إليه أن يستجيب لها ويفسرها ، فإنه يسقط على هذه المثيرات المبهمة حاجاته ونزعاته . وتبدو هذه الحاجات والنزعات فى صورة استجابات هذه المثيرات . فحاجاتنا وإدراكاتنا السابقة تؤثر فى إدراكاتنا الراهنة .

ومنذ ذلك الحين شاع استخدام لفظ « إسقاط » فى مجـــال علم النفس الإكلينيكى مرتبطا بهذه الاختبارات ذات المادة غير المتشكلة والمبهمة إلى حد ما ، والتى عرفت باسم الاختبارات الإسقاطية ، كاختبار بقع الحبر لرورشاخ ، واختبار تفهم الموضوع لمورى ، واختبار تكملة الجمل الناقصة وغيرها من الاختبارات . ويمكن أن نوضح مفهوم الإسقاط بهذا المعنى لو نظرنا لمثال من اختبار تفهم الموضوع لمورجان ومورى حيث تُرى صور السيدات العجائز بواسطة المفحوص ، كأنهن أمهات مسيطرات أو مزعجات ونحن فى العادة نذهب إلى القول بأن مثل هذا التفسير يمثل إسقاط المفحوص لخبراته ومشاعره وإحساساته مع أمه التى يستجيب إليها باعتبارها مسيطرة أو مصدر إزعاج وضجر بالنسبة له .

ويبدو أن بين هذين الاستخدامين للفظ « إسقاط » تداخل ملحوظ . فكلاهما يتضمن عملية عزو لموقف معين أو شخص معين صفات ليست موجودة بالضرورة فى الواقع الخارجى . كما أن الأشخاص المختلفين يقدمون تفسيرات مختلفة كذلك لنفس المثيرات التى نقدمها لهم . والخصائص أو الصفات التى تعزى إلى المثير تصدر عن حاجات الشخص الذى يقوم بعملية التفسير أكثر مما تصدر عن المثير نفسه . ولعل هذا هو السبب فى أننا نسمى مثيرات هذه الاختبارات بأنها غامضة أو مبهمة أو غير متشكلة . فنحن حين نتفق على أن هذا الشىء الذى أمامنا هو منضدة أو كرسى أو غلام ، فإن المثير فى هذه الحالة يكون واضحا ومحددا وغير مبهم . أما حين يزداد تنوع التفسيرات التى تعزى

للمثير فى العادة ، فإننا نقول فى هـــذه الحالة إن المثير مبهم أو غير متشكل . وبالنسبة لكثير من الناس ، فإن المثير المحدد غير المبهم لا يكشف الكثير من المعلومات عن الشخص ، لأن مجال التفسير من جانب الفرد لا يكاد يذكر ، وبالتالى فليس ثمة داع إلى إسقاط الفرد دوافعه وحاجاته وقيمه ومشاعره . وقد أدرك علماء النفس الإكلينيكى أن تفسير الشخص للمثير الغامض غير المتشكل يمكن أن يكشف عن نواحى كثيرة من شخصية الفرد .

ويبدو أن الخلاف ليس كبيراً بين الاستخدامين السابقين وهما استخدام فرويد واستخدام فرانك لكلمة إسقاط . فالاسقاط عند فرويد عملية أولية تؤثر بدورها فى إدراكاتنا الحسية وتساهم بنصيب كبير فى تشكيل عالمنا الخارجى ، كما أنه ليس من الضرورى أن يكون دائماً عملية دفاعية ، بل يظهر أحيانا فى المواقف التى ليست بحاجة إلى دفاع عن الذات ، وذلك على نحو ما أوضح بلاك فى إحدى تجاربه والتى أوضح فيها أن الفرد يسقط مشاعر الارتياح والانبساط مثلما يسقط الحالات الأخرى التى تسبب الألم للأنا . ويبدو أن فرويد — على نحو ما يقول « بلاك » قد وصل بنفسه إلى هذه الحقيقة . فقد ذكر دكتور أرنست كريس أن الدراسة الدقيقة لكتابات فرويد تؤكد أنه وصل إلى هذه الحقيقة فى مقالته « التوتم والتابو » (صفحة ٨٥٧) حيث يقول : « ليس من الضرورى أن يكون الإسقاط عملية دفاعية ، بل إنه قد يظهر أحيانا فى المجالات التى لا يكون فيها ثمة صراع . إن إسقاط الحالات الداخلية على العالم الخارجى عملية أولية تؤثر بدورها فى إدراكاتنا الحسية وتساهم بنصيب كبير فى تشكيل عالمنا الخارجى وفى ظروف لم تحدد بدقة — يمكن أن نسقط إدراكاتنا الذاتية

للعمليات العقلية والانفعالية على العالم الخارجي كمدركات حسية وتدخل في تشكيل عالمنا الخارجي في الوقت الذي كان يجب أن تظل فيه في عالمنا الداخلي » .
ويعتقد بلاك أن هذه العبارة التي وردت على لسان فرويد تحوى كل ماهو ضروري ولازم لوضع نظرية سليمة عن الإسقاط والإدراك عامة . فصور المدركات السابقة التي يكونها الفرد تؤثر في إدراكنا للمثيرات الراهنة . ولعل تفسير اختبار تفهم الموضوع يوضح هذا الافتراض . فالصورة التي يكونها الفرد عن والده أو والدته يؤثر في إدراكه لصورة الوالد أو الوالدة في الاختبار .

وخلاصة القول أن بين الاستعمال الفرويدي للفظ « إسقاط » والاستعمال الشائع في الاختبارات الإسقاطية تداخل ظاهر نلخصه في النقط الآتية :

١ — أن كليهما يتضمن عملية عزو بعض الصفات التي لا وجود لها بالضرورة في الواقع ، إلى بعض المواقف أو بعض الأشخاص .

٢ — أن كليهما يتضمن أن الأشخاص المختلفين يستجيبون استجابات مختلفة للمواقف المثيرة .

٣ — أن كليهما يتضمن أن الصفات التي يعزوها الفرد إلى المثير إنما تصدر عن حاجات الفرد ودوافعه ونزعاته ورغباته وميوله أكثر مما تصدر عن المثير الموضوعي ذاته .

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نحدد معنى الاسقاط على نحو ما هو مستخدم هنا في الطرق الاسقاطية ، بأنه العملية التي بواسطتها يمكن الكشف عن دوافع الفرد ورغباته وحاجاته باستخدام مثيرات غير متشكلة وغامضة إلى حد ما ، يقوم الفرد بتفسيرها وتأويلها .

مميزات الاختبارات الإسقاطية :

١ — إن الموقف المثير الذى يستجيب له الفرد غير متشكل وناقص التحديد . ومن شأن هذا أن يقلل من التحكم الشعورى للفرد فى سلوكه بشكل يترتب عليه سهولة الكشف عن شخصيته . وإذا كان الفرد — حسب الفرض الإسقاطى — حين تعرض عليه مثيرات من نوع ما ، يقوم بتنظيمها وتشكيلها حسب دوافعه ومدركاته واتجاهاته وأفكاره وانفعالاته وعواطفه وجميع مظاهر شخصيته ، فإن من الممكن للمختبر فى هذه الحالة أن يستخدم هذا السلوك كوسيلة إسقاطية للكشف عن شخصية المفحوص . وقد أوضحت الدراسات أن تنظيم المفحوص للمواقف التى تتميز بالغموض ونقص التشكل — على نحو ما نجده فى الاختبارات الأسقاطية — يكون أكثر تعبيراً عن شخصية الفرد ودوافعه ونزعاته ، من الاختبارات الموضوعية ذات المادة المحددة .

وبطبيعة الحال تختلف الاختبارات الإسقاطية بعضها عن بعض من حيث درجة تشكلها . فبعضها يقل تشكلها بشكل ظاهر على نحو ما نجده فى اختبار بقع الحبر، على حين أن بعضها الآخر أكثر تحديداً وتشكلا على نحو ما نجد فى اختبار تفهم الموضوع (التات) .

٢ — أن الفرد يستجيب لهذه المادة غير المتشكلة التى تعرض عليه دون أن يكون لديه أية معرفة عن كيف أو من أية جهة سوف يتم النظر إلى هذه الاستجابات وتقديرها . فدلالة المنهج أو الطريقة غير معروفة لدى الفرد . ومن ثم ، فإن إنتاجه سوف لا يتأثر بالإرادة إلى حد بعيد . ولذلك ، فإن النتائج التى نحصل عليها من شخص لديه إلمام بالاختبارات الاسقاطية قد يلحقها الشىء الكثير من التحريف والبعد عن الحقيقة والتأثر بالعوامل الإرادية .

٣ — أنها تمثل نزعة من جانب الفرد ليعبر عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته ورغباته فى تشكيل المادة غير المتشكلة نسبياً. وهنا تختلف الاختبارات الاسقاطية عن الاختبارات الموضوعية كاختبارات الذكاء مثلا. فى الاختبار الموضوعى تكون هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، أو تكون هناك طريقة صحيحة وأخرى خاطئة فى القيام بعمل شىء ما، أو على الأقل هناك معيار كمى للنجاح أو الفشل. أما فى الاختبار الاسقاطى فلن تكون هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة لاختلاف المشاعر والوجدانات التى يسقطها كل فرد على المثير غير المتشكل والذى يستثير هذه المشاعر والوجدانات، ومن هنا يتم تقدير هذه الاستجابات على أسس أخرى غير الصحة والخطأ.

٤ — إن الاختبارات الاسقاطية لا تقيس نواحى جزئية أو وحدات مستقلة تتألف منها الشخصية فى مجموعها بقدر ما تحاول أن ترسم صورة عن الشخصية ككل ودراسة مكوناتها وما بينها من علاقات دينامية. فهى فى هذا تساير النظريات الحديثة فى علم النفس وبخاصة نظرية الجشتلت ونظرية المجال والتى تنظر إلى الشخصية نظرة كلية دينامية أكثر مما تنظر إليها باعتبارها مجموعة من السمات التى تظهر لدى الفرد حين يستجيب لهذه المثيرات الجزئية المختلفة.

أنواع الاختبارات الاسقاطية :

يقسم فرانك(١) الاختبارات الاسقاطية إلى خمسة أنواع حسب نوع الاستجابة التى نحصل عليها من الفرد وهدف الفاحص من طلبه لها، وهذه الأنواع هى :

١ — الطرق التكوينية أو التنظيمية : وفيها يتطلب من المفحوص أن

---

(1) Frank L. K. Projective Method. Charles Thomas Sprinfield, 1948. pp. 42-60:

يحدث نوعا من التكوين والتنظيم على هذه المادة غير المتشكلة المعروضة عليه . ومن أمثلة هذا النوع الاختبار المشهور باختبار بقع الحبر لرورشاخ والاختبارات الأخرى التى تستخدم فيها مواد غير متشكلة كالطين والبلاستسين أو أية مادة أخرى قابلة للتشكل .

٢ — الطرق البنائية أو الإنشائية . وهذه تتطلب من المفحوص تشكيل وبناء مادة متشكلة ومتكونة ذات معنى محدد وخاص ومتميز كالقطع الخشبية لبناء منزل أو اللعب الصغيرة . فيعطى المفحوص هذه المواد ليرتبها أو ليلعب بها أو يكون منها منظراً واقعياً فى الحياة . وباستخدام هذه المادة يستطيع المفحوص أن ينظمها أو يرتبها فى أشكال أو صيغ أعم . مثال ذلك إختبار لوينفلد الموزايكى (الفسيفسائى) مثلا، حيث يتطلب من المفحوص أن يرتب الأجزاء المختلفة الألوان والأشكال فى صورة نماذج . والطرق البنائية أو الإنشائية تحتل جانباً هاماً فى العيادات النفسية وفى وسائل العلاج . فالدور الذى يقوم به الطفل فى تناول الأشياء وبنائها يسمح لنا بالكشف عن مشاعره وإحساساته وما يفكر فيه ومايريده وما يكرهه .

٣ — الطرق التفسيرية : وهذا النوع من الطرق يقدم للمفحوص موقفاً أو عملا يستجيب اليه عن طريق القيام بنشاط مبدع يعبر فيه عن أفكاره ومشاعره وآماله . فما لا يستطيع الفرد أن يكشف عنه أو يقوله بصراحة ، يمكن أن يظهر خلال تفسيره للموقف الذى يوجد فيه . واختبارات تفهم الموضوع للكبار (تات) وللصغار (كات) أمثلة واضحة لذلك ، حيث نطلب من المفحوص بعد أن نريه الصورة أن يبتدع حكاية أو قصة مثيرة عن المنظر أو الشكل الذى أمامه .

٣ — الطرق التفريغية أو التطهيرية ، وهذا النوع لا يقتصر على كشف العمليات الذاتية لدى الفرد ، بل يعين على التخفف والتخلص من الانفعالات

وكثير من أنواع اللعب العلاجى للأطفال يشتمل على ناحيتى التخلص من الانفعالات والتعبير عنها . إن القاء الحجارة على الدمية يمكن أن يتيح للطفل الموضوع الذى يحتاجه لعدوان مباح لا يلام أو يعاقب عليه . هذا بالإضافة إلى أنه يكشف للمعالج عن مصدر القلق عند الطفل .

٥ — الطرق التحريفية : وهى التى تلقى فيها طريقة استخدام المادة ضوءاً على الشخص الذى يستخدمها . فطريقة استخدام المادة سواء كانت لفظية أو غير لفظية تمدنا بوسيلة للكشف عن شخصية الفرد . ذلك أن كل فرد منا يستعمل اللغة بأسلوبه الخاص وبنغمة صوتية خاصة وله تعبيرات خاصة وبالمثل يعتبر أسلوب الكاتب فى الكتابة مميزاً له إلى حد بعيد . ونحن جميعا نستخدم نفس الحروف الهجائية فى الكتابة ، ومع ذلك فلكل منا طريقته الخاصة فى الكتابة من حيث حجم الحروف والمسافات والانتظام أو عدم الانتظام إلى غير ذلك من الخصائص المميزة لكل فرد عن الآخر .

ونحن نلاحظ على هذا التقسيم رغم شموله لكل أنواع الطرق الإسقاطية ـ إن أقسامه من الناحية المنطقية متداخلة وغير منفصلة تماما بعضها عن بعض . ولذلك يمكن أن نتخذ أساسا آخراً أكثر سهولة ويسراً فى تقسيم هذه الاختبارات ونعنى به نوع المادة المستخدمة فى الاختبار ، هل هى لفظية أم غير لفظية سواء كان الهدف من إجراء الاختبار تفريغا أو بناء أو تكوينياً .

وفى ضوء ذلك سوف نقدم للقارىء نماذج من كل نوع . ولمن أراد التعمق فى هذه الاختبارات التى نقدمها ، والتوسع فيها وطريقة إجرائها وتفسيرها ، عليه أن يرجع إلى كتابنا « الاختبارات الإسقاطية » .

نماذج من الاختبارات الإسقاطية :

أولا : الاختبارات التى تستخدم اللغة كثير :

(أ) إختبار تداعى الكلمات :

إستخدمه جالتون كوسيلة لدراسة العمليات العقلية سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٣ . كما استخدمه بعض علماء النفس التجريبى من أمثال فنت وكاتل ورايانت Bryant سنة ١٨٨٩ ورغم أن أول تطبيق لهذا النوع من الاختبارات فى المجال الأكلينيكى يعزى إلى يونج ، إلا أن كريلين (١٨٩٢) وسومر (١٨٩٩) قد سبقاه إلى ذلك ثم استخدمه يونج ١٩٠٦ لدراسة العقد ومجالات الاضطراب الانفعالى عند الفرد .

لقد وضعت قوائم كلمات كثيرة ومتعددة لدراسة التداعى أشهرها تلك التى وضعها يونج وتتكون من ١٠٠ كلمة أختيرت خصيصاً للكشف عن العقد ، ثم قائمة كينت وروزانوف وتتكون من ١٠٠ كلمة أيضا تجنباً فيها الاشارة إلى الكلمات المشبعة بالناحية الانفعالية والتى امتلأت بها قائمة يونج . ومن الممكن لأى باحث أن يضع قوائم أخرى خاصة تهدف إلى أغراض معينة كالكشف عن الجريمة أو لأغراض إكلينيكية .

ومن القوائم التى تعد فى نظر الكثيرين من أفضل القوائم ، تلك التى وضعها رابابورت وجيل وشافر وتتكون من ٦٠ كلمة تتضمن مجالات متعددة كالأسرة والنواحى الفمية والشرجية والعدوان والدلالات الجنسية المتنوعة ، كما تمس مجالات فكرية وألواناً من الصراع التى تظهر فى أنماط مختلفة من سوء التوافق .

وتقدم قائمة الكلمات فى العادة شفوياً ، كما أن الاختبار يجرى فردياً نظراً

لما يتطلبه الأمر من قياس زمن الرجع لكل كلمة ، وملاحظة حركات المفحوص وإشاراته وما قد يحدث من توقف أثناء إجراء الاختبار .

وقد طبق اختبار تداعي الكلمات على حالات اكلينيكية وحالات عادية وأمكن لبعض الباحثين من أمثال رابابورت وضع قائمة بالأدلة التي تكشف عن وجود إضطرابات في عملية التداعي عند الفرد ومنها :

١ — التوقف وعدم القدرة على إعطاء أية استجابة .

٢ — تسمية الأشياء الموجودة بغرفة الاختبار مما يشير إلى وجود حالة إعاقة أو رغبة في التخلص من الموقف .

٣ — تكرار نفس الكلمة المثير .

٤ — إعطاء صفات للكلمة المثير ، كأن يستجيب مثلا بالنسبة للمنضدة بقوله خشب أو إمرأة بقوله جميلة .

٥ — المداومة والاستمرار وتتم في صور مختلفة منها إعطاء نفس الإستجابة بالنسبة للمثيرات المتتالية ، أو إعطاء نفس الإستجابة بالنسبة لكل أو لمعظم المثيرات التي بينها علاقة مثل أب — شخص ، وطفل — شخص ، أم شخص .

٦ — الاستجابات التي لا يربطها بالمثير أية رابطة .

٧ — الإستجابات البعيدة الإرتباط جداً بالمثير .

٨ — الاستجابات المبتذلة ابتداء من الاستجابات الجنسية الدارجة حتى الاستجابات غير المقبولة اجتماعياً .

واختبار التداعي — عند تطبيقه إكلينيكيا — يزودنا بالكثير من المعلومات . فالاستجابة الخاصة جداً أو البعيدة عن المألوف قد تصبح في ذاتها دليلا على

أن الكلمة المثير قد مست نقطة حساسة فى فكر المفحوص ، مثال ذلك أب - طاغية » وقد تحدث الكلمة المثير اضطرابا فى التداعى يكشف عن أن الكلمة قد مست منطقة صراع عند الفرد ، كما تكشف فى الوقت نفسه عن طبيعة هذا الصراع القائم فى النفس . فعند الاستجابة للكلمة زوجه بكلمة شك فإن هذه الإستجابة تكشف ليس فقط عن وجود صراع لدى الفرد بل تكشف أيضاً عن طبيعة هذا الصراع أو نوعه .

ويمكن الإفادة من دراسة إختبار تداعى الكلمات فى عدة مجالات نشير إلى أهمها بإيجاز .

١ — تحديد مجالات الاضطراب الانفعالى : وقد استخدم يونج اختباره لهذا الغرض ، وللكشف عن العقد النفسية لدى الفرد وكان يتبع فى هذه الناحية « فرويد » الذى استخدم التداعى الحر فى الكشف عن نواحى الاضطراب النفسى وقد إتخذ يونج من زمن الرجع أحد الأدلة الهامة على القول بوجود إضطراب كما سجل فروقا بين الجنسين فى هذه الناحية .

٢ — التشخيص الإكلينيكى : ويمكن إستخدام إختبارات التداعى كوسيلة للتمييز بين العاديين والشواذ ، كما يفيد أيضاً فى التمييز بين المجموعات المرضية الكبيرة والمجموعات الفرعية التى تدخل تحتها . وقد بدأ هذا الاتجاه عند كربلين ثم عند كينت وروزا نوف اللذين وضعا جـــداول تكرارات لإستجابات ١٠٠٠ شخص عادى . كما وضعا نظاما للتصنيف يعتمد على محتوى الإستجابة والأمر بالمثل عند رابابورت وجيل وشافر الذين اتخذوا من الاختبار أدلة تميز بين العاديين والعصابيين والذهابيين .

٣ - الكشف عن الجريمة :

وعلى أساس الفكرة التى تذهب إلى أن الشخص الذى يحاول اخفاء

معرفته بجرم ما أو الذى يخاف أن تكتشف جريمته ، سوف يظهر عليه الإضطراب الإنفعالى ، فليس من الغريب أن يستخدم إختبار التداعى فى الكشف عن الجريمة فمن طريق أدلة الاضطراب الانفعالى يمكن التمييز بسهولة بين المذنب والبرىء ، خصوصا بالنسبة للكلمات التى تتصل بالمشكلة أو الجرم . وإذا كانت نتائج مثل هذا الاختبارات لا يعتمد عليها كثيرا ، إلا أنها يمكن أن تقرن بنتائج مقاييس أخرى تستخدم فى الكشف عن الاضطراب الانفعالى كاستخدام السيكوجلفانوميتر لقياس تغيرات مقاومة الجلد لمرور التيار الكهربائى وقياس تغيرات التنفس وغيرها .

٤ — دراسة الميول والإتجاهات فى الشخصية : لم تستخدم اختبارات التداعى على نطاق واسع فى هذا الاتجاه . ولكن يمكن القول بأن ملاحظات يونج عن الفروق بين الرجال والنساء فى استجابات التداعى يمكن أن تتخذ كأساس لمثل هذه النواحى وقد استخدمه ترمان وميلز فى التمييز بين الميول الذكرية والأنثية .

(٢) اختبار تكملة الجمل الناقصة :

وهذا النوع يشبه النوع السابق ولكنه يختلف عنه فى نواحى أهمها أن المثير هنا ليس كلمة واحدة يستجيب لها المفحوص بأول كلمة ترد إلى ذهنه ، بل هى عادة جملة ناقصة وقد تكون فى أحيان قليلة كلمة واحدة . ثم إنه من ناحية الاستجابة ، فإن المفحوص يستجيب بالفكرة الأولى التى ترد إلى ذهنه والتى تعبر عن مشاعرة دون الإصرار على أن تكون هذه الاستجابة كلمة واحدة .

ويرفض البعض إعتبار اختبار تكملة الجمل الناقصة إختباراً إسقاطيا ولكنه يتضمن فى الحقيقة جميع مقومات الاختبار الإسقاطى . فطبيعة

الاختبار مبهمة وغامضة وناقصة التكوين إلى حد ما ، ويطلب من المفحوص أن يعطيه معنى محدداً واضحاً ، كما أن المفحوص لا يستطيع أن يدرك بوضوح المغزى الذى يكمن وراء الإجابات ولا يمكنه أن يعرف ما إذا كانت إجاباته جيدة أو غير جيدة .

ولقد استخدم ابنجهوس (١٨٩٧) اختبار تكملة الجمل الناقصة لقياس الذكاء . ولكن باين Payne (١٩٢٨) استخدمه بصورة مباشرة فى دراسة خصائص الشخصية ، كما يعتبر تندلر (١٩٣٠) أحد الرواد الأول الذين استخدموا هذه الطريقة فى مجال الشخصية . وقد استخدم تندلر ٢٠ عبارة ناقصة من نوع « أنا اشعر بالسعادة عندما .... وأقول الكذب .. .) . وكانت جميع عباراته تبدأ بضمير المتكلم عدا العبارة الأولى من الإختبار . وكان هدفه هو وضع اختبار يحدد الميول والاتجاهات الثابتة والتعلق بالأشخاص والرغبات المتصارعة ونواحى الإشباع والقلق . وكانت العبارات التى يشتمل عليها اختباره والذى سماه باسم اختبار الاستبصار الإنفعالى من النوع التى تثير الإعجاب والغضب والحب والشعور بالسعادة والكراهية وتحقير الذات والفزع والأسف والتفاخر والزهو والحقد والسلبية والشفقة والخجل والخوف والاهتمام والتقزز والانسحاب والرغبة .

وقد استخدم كيرون هذا الاختبار (١٩٣٨) بقصد الكشف عن طبيعة اللغة وعمليات التفكير عند الحالات المرضية والعادية وكانت بعض الحالات من الفصام وحالات تدهور الشيخوخة . ولم يقدم كيرون نتائج كمية للدراسة التى قام بها ، بل إكتفى بالتحليل النوعى وانتهى إلى أن تفكير الفصامى ونوع التداعى عنده يختلف عن تفكير ونوع حالات تدهور الشيخوخة والراشدين والأطفال الصغار .

وقد ذهب روهدا (١٩٤٦) إلى أن اختبار تكملة الجملة يعتبر أداة صالحة فى يد السيكولوجى الإكلينيكى ، وكل من يريد الوقوف على حاجات الأفراد وأخيلتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم ومستويات طموحهم وما يدور بخلدهم من صراعات .

ولقد انتشر استخدام اختبارات الجمل الناقصة . فاستخدمه « هت Hutt وهولزبرج Holzberg وشور Shor فى مستشفيات القوات المسلحة الأمريكية . كما استخدم أيضا ضمن مجموعة الاختبارات التى تستخدم فى العيادات النفسية فاختبار شتين Stein لتكملة الجمل يطبق فى عيادة الصحة العقلية لإدارة الجيش بمدينة نيويورك حيث يقدم للقائمين بالمقابلة مادة تفيدهم فى إلقاء فكرة مبسطة عن شخصية المفحوص . وقد اختيرت عبارات هذا الاختبار لإلقاء الضوء على مجالات هامة فى تقييم الشخصية هى الأسرة والماضى والحوافز والحالات الداخلية والأهداف والشحنات الانفعالية وردود الأفعال لمواقف الإحباط والفشل والنظرة إلى الزمن والتفاؤل والتشاؤم واستجابة الفرد للآخرين واستجابة الآخرين له .

اختبار روتر :

وهو من وضع روتر ومافرتى ويتكون من ٤٠ جملة ، أما التقدير فإنه يتم على أساس مقارنة استجابات المفحوص بنماذج تقدير حددت تجريبياً على عينة من طلاب وطالبات الكليات ويعطى لكل إجابة وزنا أو قيمة تتدرج من صفر إلى ٦ ويعتبر المجموع الكلى للدرجات دليلا على التوافق أو سوء التوافق .

والعبارات التى يتألف منها الإختبار توصف عادة بأنها قصيرة وغير متشبكلة على نحو ما هو ظاهر فى الأمثلة الآتية : (أنا أعانى . . . . » عقلى . . . « أشد

ما يقلقنى . . . ») . ومن الملاحظ على اختبار روتر خلوه من الجمل المبتدئة بضمير الغائب أو اسم الغائب مثل هو دائما يقلقنى أو مارى شعرت . . » ذلك أن التجربة قد أوضحت له أيضاً أن مثل هذه العبارات تميل إلى إعطاء استجابات نمطية ، وأنها تعزى حرفيا إلى الآخرين . وربما يتفق هذا الرأى مع مايذهب إليه ساكس أيضا من أن ضمير المتكلم أكثر أهمية للأغراض الإكلينيكية من الغائب .

وكان هدف روتر من اختباره أولا : إيجاد طريقة يمكن استخدامها موضوعياً فى الأغراض الإكلينيكية ، مع مراعاة أن تحوى بعض مزايا الاختبارات الإسقاطية ، وأن تكون فى الوقت نفسه اقتصادية من ناحيتى الإجراء والتقدير . فهى إذن محاولة موضوعية لوضع تقدير رقمى كمى لاختبار يتصف بالصفة الإسقاطية .

ثانيا : الحصول على معلومات ذات قيمة تشخيصية . وبطبيعة الحال لم يكن الهدف الأساسى هو وضع مقياس للشخصية بأكملها أو يكشف عن الدعائم العميقة فى الشخصية ، أو عن تكوينها الأساسى ، بل وضع مقياس يقتصد فى وقت الاكلينيكى بشكل يسمح له بتشكيل مقابلاته الأولى دون إضاعة وقت طويل مع العميل .

وتتلخص الطريقة المتبعة فى تقدير الاستجابات بإعطاء درجة معينة لكل استجابة حسب قواعد معينة قدمها روتر . وتتراوح هذه الدرجة من صفر إلى ٦ درجات حسب نوع الاستجابة التى يعطيها المفحوص ومدى توافقها أو عدم توافقها . وقد أمدنا روتر بنماذج من الاستجابات تكون بمثابة دليل لنا عند التقدير ولتساعدنا عند وضع الدرجات . وعلى هذا الأساس فإن درجات الإختبار يمكن أن تتراوح من الناحية النظرية بين صفر و ٢٤٠ درجة ، بينما

هى من الناحية الواقعية العملية تتراوح عادة بين ٧٠ و ٢٠٠ درجة ، مع اعتبار أن الدرجات التى تقع بين ١١٠ و ١٥٠ هى أكثرها تواتراً وروداً . ومن التجربة التى قام بها روتر ورافرتى على مجموعة من الطلاب المتوافقين وغير المتوافقين تبين أن الدرجة ١٣٥ هى الدرجة الفاصلة بين حالات التوافق . ومع ذلك فليست هذه الدرجة بالدرجة السحرية التى تفصل بين المتوافقين وغير المتوافقين .

وقد لاحظ روتر اختلافاً بين استجابات الذكور واستجابات الإناث على المقياس . وقد قدم لنا على هذا الأساس نماذج لتقدير الاستجابات عند كل من الجنسين .

وقد وضع روتر مجموعة من القواعد التى تعين الباحث على التقدير ومساعدته على وضع الدرجة الصحيحة للتكملة ، وذلك فى الحالات التى لا توجد لها عبارة مماثلة فى نماذج التقدير .

وفى موضع آخر (١) قدمنا المبادىء العامة التى يقوم عليها تقدير اختبار روتر والعبارات التى لا يستجيب لها المفحوص واستجابات الصراع التى تشير إلى إطار ذهنى غير متوافق والاستجابات الإيجابية التى تشير إلى إطار ذهنى متوافق والاستجابات المحايدة .

ومن المحاولات الطيبة فى هذا الصدد تلك التى قام بها د جوزيف ساكس ، وسوف نلقى نظرة مختصرة عليها .

اختبار ساكس :

هذا الاختبار يهدف إلى دراسة مجالات أربعة من مجالات التوافق

---

(١) د . سيد محمد غنيم و د . هدى عبد الحميد برادة : الاختبارات الاسقاطية ، القاهرة . مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤ ص ٨٣ — ١٠٣ .

هي الأسرة والجنس والعلاقات الإنسانية المتبادلة وفكرة المرء عن نفسه .

أما مجال الأسرة فيتضمن مجموعات ثلاثة من الاتجاهات هي الاتجاه نحو الأم والاتجاه نحو الأب ثم الاتجاه نحو وحدة الأسرة. وكل اتجاه منها يعبر عنه بأربع عبارات تسمح للفرد أن يكشف عن اتجاهاته نحو والديه كأفراد ونحو الأسرة ككل .

أما مجال الجنس فيبحث الاتجاهات نحو النساء والعلاقات الجنسية الغيرية . والعبارات التي تتصل بهذا المجال عددها ثمانية ، وتسمح للفرد أن يعبر عن اتجاهه نحو النساء كأفراد في المجتمع ونحو الزواج والعلاقات الجنسية ذاتها .

أما مجال العلاقات الإنسانية المتبادلة فيتضمن الاتجاهات نحو الأصدقاء والمعارف والاتجاهات نحو زملاء العمل أو المدرسة ، والاتجاهات نحو رؤساء العمل أو المدرسة ، ثم الاتجاهات نحو المرؤوسين . ويقاس كل اتجاه منها بأربع عبارات تسمح للفرد أن يكشف عن مشاعره نحو الآخرين خارج نطاق الأسرة وأن يعبر عن رأيه في شعور الآخرين نحوه .

أما المجال الرابع والأخير فيتصل بفكرة المرء عن نفسه ، ويتضمن النواحي الآتية : المخاوف والشعور بالذنب والأهداف وفكرة المرء عما لديه من قدرات وفكرة المرء عن الماضي وفكرة المرء عن المستقبل . وكل ناحية منها تقاس بأربع عبارات . والاتجاهات التي يعبر عنها هذا المجال تعطى السيكولوجي صورة عن فكرة المرء عن نفسه على نحو ما هي عليه الآن وما كانت عليه في الماضي وما ينبغي أن تكون عليه في المستقبل .

ومجموع عبارات هذا الاختبار ٦٠ عبارة ناقصة تغطى ١٥ اتجاها . وعندما يبدأ المفحوص الاستجابة يسجل الفاحص زمن الابتداء وزمن الانتهاء

وإذا أمكن ، فإنه يقوم بعملية تحقيق من العبارات التى تبدو غريبة أو خاصة. وفى الحالات التى يشعر فيها المفحوص بالقلق فيمكن إجراء الاختبار شفهيا وتسجل الاجابات ، وقد يجد المفحوص فرصة لاستخدام هذه العبارات للقيام بعملية تفريغ ، كما قد يسمح الاختبار للفاحص أن يقف على المجالات الخاصة التى تثير إضطراب المفحوص، وذلك بتتبع ما يطرأ عليه من تغيرات جسمية ظاهرة كتغير نبرات الصوت أو تعبيرات الوجه أو ما يطرأ على سلوكه من تغير .

والملخص العام للتقرير يجب أن يتضمن نواحى أهمها .

١ — المجالات الرئيسية للصراع أو الاضطراب النفسى .

٢ — تكوين الشخصية ويتضمن :

(أ) مدى استجابة الفرد للدوافع الداخلية والمثيرات الخارجية .

(ب) التوافق الانفعالى .

(ح) النضج .

(ء) مستوى الواقع .

(هـ) الأسلوب الذى يعبر به عن صراعاته .

هـــذا وقد قدمنا فى موضع آخر(١) نموذجا لحالة من الحالات التى استخدم فيها اختبار روتر وكيفية تحليل التقرير والاتجاهات الهامة التى يكشف عنها التحليل والاتجاهات الأسرية والاتجاهات الاجتماعية والجنسية والاتجاهات العامة ثم سمات الشخصية المختلفة التى يكشف عنها التقرير .

ثانيا : الاختبارات التى تستخدم الصور والأدوات كثير :

ويندرج تحت هذا النوع أهم الاختبارات الاسقاطية وأكثر شيوعا

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩٢ — ١٠٣

واستخداما بين علماء النفس الإكلينيكي وعلماء نفس الشخصية . ولعل هذا النوع من الاختبارات التي تستخدم الصور والأدوات أهم بكثير من النوع السابق. ولذلك فإن الدراسات والبحوث قد اتجهت إليه أكثر مما اتجهت إلى النوع الأول . وليس في إمكاننا في هذا المجال الضيق أن نشير إلى كل اختبارات هذا النوع ، وإنما سوف نقتصر الإشارة على أهم الاختبارات وهي الاختبارات المعروفة والمستخدمة على نطاق واسع ، أما من أراد التوسع والاستزادة فيمكن أن يرجع إلى المراجع المتخصصة في هذا الصدد . (أنظر: الإختبارات الإسقاطية للمؤلف) .

(ا) اختبار تفهم الموضوع (تات) :

Thematic Apperception Test (T.A.T.).

وهذا الاختبار من أكثر الاختبارات الاسقاطية انتشاراً وهو يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية وفي دراسة الشخصية . وتدور فكرته حول تقديم عدد من الصور الغامضة نوعا ما ، ودعوة المفحوص إلى تكوين قصة أو حكاية تصف ما يدور بالصورة ، وتتحدث عن أحوال الأشخاص والأحداث التي تجرى فيها . ثم يقوم الفاحص بدراسة ما يقدمه المفحوص من قصة ويحاول أن يستشف منها ما يعتمل في نفسه من ميول ورغبات وحاجات مختلفة .

كان أول ما نشر عن هذا الاختبار مقال نشره هنرى مورى وزميلته مورجان سنة ١٩٣٥ عن طريقة لفحص الأخيلة والأوهام ، وقد أدت هذه الأبحاث التي قام بها الإثنان إلى تأليف كتاب نشره مورى بعنوان « جولات في الشخصية » ، وإلى النظرية الانتقائية التي أوضحها مورى ومنذ وضع هذا الاختبار وهو يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية في أمريكا وأوربا وغيرها حيث وضحت فوائده في دراسة الشخصية وفي تفسير

اضطرابات السلوك والكشف عن الأمراض السيكوباتية والعصاب والذهان وما يحتمل فى نفس الفرد من مشاعر وانفعالات ودوافع ونزعات مكبوتة وألوان الصراع المختلفة .

والفكرة التى يقوم عليها هذا الاختبار هى أن القصص التى يعطيها المفحوص تكشف عن مكونات هامة فى شخصيته على أساس نزعتين . الأولى نزعة الناس إلى تفسير المواقف الإنسانية الغامضة بما يتفق وخبراتهم الماضية ورغباتهم الحاضرة وآمالهم المستقبلة . والثانية نزعة كثير من كتاب القصص إلى أن يعترفوا بطريقة شعورية أو لاشعورية الكثير مما يكتبون من خبراتهم الشخصية ويعبزون عما يدور بأنفسهم من مشاعر ورغبات .

والاختبار يتكون من عشرين صورة تقدم للمفحوص الواحدة بعد الأخرى ، ويطلب منه أن يكوّن حكاية أو قصة عن كل صورة منها ، وبعض الصور خاصة بالصبيان B وبعضها خاص بالبنات G وبعضها خاص بالرجال M وبعضها خاص بالنساء F . وتعطى الصور وفق ترتيب محدد تشير إليه الأرقام المسجلة على ظهر البطاقة . وتشير الحروف الأبجدية المكتوبة إلى جانب الرقم إلى نوع الشخص الذى تقدم إليه البطاقة ذكرا كان أم أنثى ، صغيراً كان أم كبيراً . وعلى ذلك فالرموز الآتية BM تخص الذكور صبيانا ورجالا ، GF تخص الإناث بناتا وسيدات ، M تخص الذكور فوق سن ١٤ سنة ، F تخص الإناث فوق سن ١٤ سنة ، B تخص الأطفال إلى سن ١٤ سنة ، G تخص البنات إلى سن ١٤ سنة ، BG تخص الصبيان والبنات إلى سن ١٤ سنة .

وفيما يلى وصفاً مختصراً لعدد قليل من الصور المختلفة الأنواع والتى يتكون منها الاختبار .

الصورة رقم ١ : ولد جالس أمام منضدة ورأسه مستند إلى ذراعيه ويرتكز بمرفقيه على منضدة وأمامه على المنضدة كمنجة وقوس، يستخدم فى العزف على الكمان . وتحت الكمان والقوس نوتة موسيقية مفتوحة وعين الولد اليمنى مغلقة تقريباً . أما عينه اليسرى فنصف مفتوحة.

الصورة رقم ٣ BM : ولد جاث على ركبتيه (أو شاب صغير السن) يسند رأسه إلى ذراعه الأيمن الممتد على سرير ، ولا نرى وجه هذا الشخص . وإلى يسار السرير وعلى الأرض هناك شىء لا نتبينه بوضوح ، لكن يمكن أن نحدس بأنه مسدس .

والصورة رقم ٣ GF : هناك باب مقفل وأمامه شابة واقفة ورأسها محنى إلى الأمام وتغطى وجهها بيدها اليمنى . أما يدها اليسرى فتمتد بشكل أفقى وهى تركن رأسها أيضا على هذه اليد التى تمسك بحافة الباب الذى يظهر فى الصورة .

الصورة رقم ١٢ M : رجل ممدد على كنبة ومغلق العينين وآخر جالس بجوار الكنبة ، وركبته مرتكزة على حافة الكنبة ، ويميل قليلا إلى الأمام ناحية الرجل النائم على الكنبة ، وتمتد يده اليمنى بخفة بحيث تبدو على مسافة فوق رأس الرجل النائم على الكنبة .

الصورة رقم ١٢ F : فى مقدمة الصورة سيدة متوسطة العمر يتجه بصرها إلى الأمام إلى شىء بعيد وخلفها سيدة متقدمة فى السن حول رأسها إيشارب وتسند ذقنها إلى راحة يدها اليمنى وأصابعها على شفتها السفلى ، شكلها غريب كما يتجه نظرها بعيداً عن الفتاة .

الصورة رقم ١٢ BG فى مقدمة الصورة منظر شجرة عليها أزهار . وفى مؤخرة الصورة أشجار أخرى كثيرة . وأرض الصورة مغطاة بحشيش ويبدو

أن هناك بحيرة أو جدولا صغيراً من الماء (وهذا شيء غير ظاهر)، وعلى الأرض قارب وليس بالصورة أي إنسان .

الصورة رقم ١٣ MF في مقدمة الصوره سرير أو نقالة عليها سيدة شابة صدرها عار والأثداء بارزة وذراعها الأيمن متدلى إلى جانب السرير أو النقالة وتبدو كما لو كانت ميتة . وإلى جوارها يقف رجل يتجه ببصره إلى أسفل وذراعه اليسرى إلى جانب جسمه ، بينما يغطى وجهه بذراعه اليمنى وفى الركن الأيمن من الصورة منضدة عليها كتابين ومصباح وخلف المنضدة كرسى .

الصورة رقم ١٣ B : منزل من الخشب بابه مفتوح . وأمام الباب يجلس طفل صغير يسند مرفقيه إلى ركبتيه ، ورأسه مسند إلى راحة اليدين .

الصورة رقم ١٣ G : المنظر كله يمثل سلالم حلزونية ، وهناك فتاة صغيرة تطلع السلالم وتمسك بجدار السلم .

الصورة رقم ١٦ ، وهى بطاقة خالية من أى شكل. وفيها يطلب من المفحوص أن يتصور صورة ما على هذه البطاقة ثم يصفها بالتفصيل .

وإجراء هذا الاختبار يستغرق فى العادة جلستين يعطى المفحوص فى كل جلسة عشر صور ، وذلك حتى لا يشعر بالتعب من إجراء الاختبار كاملا دفعة واحدة وخاصة أن كل قصة تستغرق فى المتوسط حوالى ٥ دقائق .

ويطلب من المفحوص عند عرض البطاقة عليه أن يكوّن حكاية حول الصورة ، تبين الأمور التى أدت إلى الوضع الذى يبدو فى الصورة ، وتصف ما يقع فيها وماذا يشعر به الأشخاص الذين يراهم وماذا يفكرون فيه ، ثم كيف يختتم القصة ، وما هى الأفكار التى تخطر بباله .

تفسير الاختبار :

و إجراء الاختبار وتطبيقه ليس مشكلة. فالكثير من المفحوصين يساهمون بإرادة طيبة فى إجراء الإختبار . لكن المشكلة هى فى تفسير المادة التى يعطيها المفحوص ، وقد أشار مورى نفسه إلى أن تفسير الإختبار يتطلب الدقة والخبرة .

ويتطلب الأمر قبل القيام بعملية التفسير تفريغ المعطيات التى حصل عليها الفاحص من القصص. وقد صممت عدة استمارات لرصد وتحليل القصص أشهرها إستمارة بلاك والتى تتضمن النقط الأساسية التى تشتمل عليها القصة عادة وهى ١ ـ الموضوع الرئيسى للقصة ٢ - البطل الرئيسى فيها ٣ ـ الحاجات الأساسية للبطل ٤ ـ نظرة المفحوص إلى البيئة أو العالم ٥ ـ صور الشخصيات المختلفة فى نظره ٦ ـ أنواع الصراع ذات الدلالة ٧ ـ طبيعة القلق عنده ٨ ـ الحيل الدفاعية الرئيسية لمواجهة أنواع الصراع والمخاوف ٩ ـ شدة الذات العليا ١٠ ـ تكامل الذات .

وقد وضعت طرق عدة للتفسير ، منها طريقة مورى وطريقة تومكنز وطريقة تشارلس ليون ، ولعل طريقة مورى هى أهمها وأكثرها استخداما ، وسوف نلخص الأسس العامة التى يقيم عليها مورى تفسيره .

طريقة مورى فى تحليل الاختبار وتفسيره :

يهتم مورى بتحليل محتوى القصة وذلك بغية معرفة الموضوعات الغالبة فى قصص كل شخص . والموضوع Thema عنده هو التكوين الدينامى للحكاية أو عقدة القصة . وتدور الموضوعات فى المادة حول بيان :

١ — البطل الرئيسى الذى يتقمص الفرد شخصيته : وهذا البطل هو الذى يحظى عادة بنصيب كبير من الحديث فى القصة . ومن الملاحظ أن المفحوص

يتوحد عادة مع أبطال من نفس سنه وجنسه وقد يحدث فى حالات نادرة أن يتوحد مع أبطال من الجنس الآخر .

وليس من العسير تمييز البطل . فى عدد كبير من القصص قد لا نجد سوى شخصية واحدة أو نجد شخصية واحدة هى التى تقوم بالدور الرئيسى إذا قورنت ببقية الشخصيات التى تشملها القصة . وقد يحدث فى بعض الأحيان أن يحتل عدد من الشخصيات المركز الرئيسى فى القصة ،فيتوحد المفحوص مع شخصية أحدهم . أو قد يحدث أن يتوحد المفحوص مع شخصية أكثر من واحد .

وعلى العموم إذا استغلق الأمر على الفاحص ، فإن الشخصية التى تشبه المفحوص كثيراً فى سنه وجنسه وخصائصه وصفاته تعتبر هى شخصية البطل . وغالباً ما تكشف مهنة البطل وميوله وسماته وقدراته وكفايته عن الصفات القائمة أو التى يرغب الفرد فى تحقيقها .

٢ — الحاجات الرئيسية للبطل : والقصد من ذلك هو معرفة الدوافع المحركة للفرد خلال العشرين قصة ومعرفة مشاعره وأفكاره ونزعاته وقد أقام مورى تفسيره على أساس فكرة الحاجات التى جمعت حسب اتجاهاتها وأهدافها الشخصية والمباشرة وهذه الحاجات التى يقول بها مورى تقرب من نظرية مكدوجل والمدرسة التحليلية فى الغرائز . ويصل عدد هذه الحاجات عند مورى إلى ٢٠ حاجة ظاهرة و ٨ حاجات كامنة .

ومن الحاجات التى أعطاها مورى اهتماماً كبيرا فى تفسيره نذكر :

١ — تجنب الأذى : هل يتخذ الفرد أسلوب الخنوع وقهر النفس ، هل يتحمل الضغوط الخارجية الشديدة والظلم دون احتجاج ،هل يخضع للظروف القاسية التى يصعب تحملها ، هل يميل إلى تحمل العذاب أو تعذيب نفسه .

٢ — البحث عن الكمال. هل يسعى بقوة ونشاط وراء أهدافه .هل مستوى طموح الفرد عال .

٣ — الاعتداء : ويتضح سواء في الإستجابات الانفعالية والتعبير اللغوى كالبغض والسب والنقد وتحقير الناس أو فى صورة الاعتداء المادى كالمقاتلة فى سبيل الدفاع عن الذات أو عن شخص آخر محبوب والانتقام والأخذ بالثأر أو صورة الميل كالهدم والتخريب .

٤ — السيطرة : محاولة التأثير فى سلوك ومشاعر وأفكار الغير . ممارسة السيادة أو الضغط على الغير وتقييد حرياتهم .

٥ — العدوان الموجه نحو الذات . تأنيب الذات وإذلالها ، والتحقير من شأنها ، ومعاناة النقص .

٦ — الاستنجاد والشفقة والتعبير عنهما فيما يقوم به الفرد من سلوك وأخذ مشاعر الغير فى الاعتبار .

٧ — السلبية : حب الهدوء والنوم والتعب بعد بذل أقل جهد ، أخذ اتجاه سلبي ، عدم المبالاة .

٨ — الجنس : مصاحبة أفراد من الجنس الآخر والاستمتاع بالتواجد معهم . قيام علاقات جنسية ، الحب والزواج .

٣ — الضغوط أو العوامل البيئية والمؤثرات التى تؤثر فى الفرد :

وبالإضافة إلى معرفة البطل الرئيسى فى القصة ودراسة الحاجات والدوافع الأساسية المحركة ، يلزم دراسة الجو المحيط بالبطل والذى يعيش فيه والعلاقات المختلفة التى تقوم بينه وبين غيره من الناس ، والضغوط المختلفة التى تصدر

عن البيئة ، على نحو ما يدركها المفحوص فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل .

وقد أعطى مورى للضغوط والعوامل البيئية التالية أهمية :

١ — النزعات الاجتماعية : وهذه يندرج تحتها (ا) الخلطاء ، هل له صديق واحد أم عدد من الأصدقاء وهل هو عضو فى جماعة من نفس سنه وطبيعته (أب ، أم ، أفراد الأسرة ، زوجة ، خطيبة) ، وهل يحبه هؤلاء ، وهل للبطل مغامرات عاطفية .

٢ — الاعتداء : وقد يأخذ (ا) صورة الاعتداء الوجدانى أو اللفظى أو صورة الاعتداء المادى الاجتماعى واللا اجتماعى .

٣ — السيطرة : هل هناك من يفرض رأيه بالقوة على البطل أو هل هناك من يمنعه من القيام بشىء مرغوب أو يقيد حريته أو يحاول التأثير عليه وإغرائه .

٤ — العطف : هل هناك من يحمى البطل ويعطف عليه ويعفو عن خطاياه .

٥ — النبذ : هل هناك من ينبذ البطل ولا يتقبله أو يبالى به ، ويقابل مطالبه بالرفض ...

٦ — الحرمان والفقد : ويندرج تحتها الحرمان مما يحتاج إليه من أجل الحياة أو النجاح ، أو من أجل أن يصبح بطلا . كما تتضمن فقد أشياء كان يملكها أو فقد شخص عزيز عليه .

٧ — الأخطار المادية : كتعرض البطل لأخطار مادية من جانب قوى

غير بشرية كالحيوانات المتوحشة أو عواصف البحر أو من ناحية فقدان السند القوى الذى كان يعتمد عليه .

٨ — الجروح المادية : وجود شخص يهاجم البطل (أى عدوان) ،أو وجود حيوان يهاجم البطل أو أن البطل يصاب فى حادثة ما (خطر مادى) .

تلك هى الجوانب الرئيسية التى يقيم عليها مورى تفسيره للاختبار . ولكن بالإضافة إلى دراسة كل عامل منها على حدة ، يلزم دراسة ما بينها من علاقات . هل ينجح البطل مثلا فى التغلب على العوائق والضغوط أم هل يجد مشقة، وهل يتكيف معها أو يخضع لها،وماذا يفعل للتغلب على عوامل الإحباط . هل يتعاون مع الغير من أجل تحقيق أهدافه أم يتخذ أساليب عدوانية .

وقد سبق أن أوضحنا أن هذا الاختبار بالإضافة إلى استخدامه كوسيلة لدراسة الشخصية ، فإنه يستخدم كذلك كأداة للتشخيص فى ميدان الطب النفسى وأعمال العيادات والتشخيص الإكلينيكى فقد استخدم فى دراسة حالات التقلب الوجدانى وحالات الاكتئاب وحالات الوساوس والقهر وحالات البارانويا وحالات الفصام والجنسية المثلية والجناح وغير ذلك من الحالات التى استخدم فيها الاختبار كأداة هامة ومفيدة .

ب — اختبار بقع الحبر

وهذا الاختبار من وضع هرمان رورشاخ الطبيب النفسى السويسرى . والذى توصل إلى وضع اختباره المشهور بعد سلسلة طويلة من التجارب التى أجريت على عديد من بقع الحبر . وليس ثمة شك أن كانت هناك محاولات أخرى سابقة كمحاولة دير بورن (١٨٩٨) وشارب وكيرباتريك ، ثم محاولات

هوبيل (١٩١٠) . ولكن محاولة رور شاخ تمتاز بعمق الدراسة والخبرة الإكلينيكية .

ويتكون اختبار رور شاخ من عشرة صور كل صورة منها متماثلة الشكل على نحو ما يحدث حين نلقى بنقطة حبر كبيرة على ورقة بيضاء ، ثم تطبق الورقة وتضغط عليها قليلا فتخرج أشكال مختلفة متماثلة مع ذلك . وقد استخلص رور شاخ هذه الصور العشر من بين مئات من الصور ، لأنها أكثر البطاقات قدرة على التمييز بين الحالات المختلفة التى أجرى عليها تجاربه . وخمسة من هذه الصور تتكون من درجات مختلفة الظلال وصورتان أخريان من لونين أسود وأحمر ، أما الثلاثة الباقية فتتكون من ألوان متعددة غير الأسود . وجميع البطاقات محددة الأبعاد من ٧ × ٩½ بوصة . وللبطاقات نظام ثابت فى العرض نظراً لاختلاف ما تستثيره فى المفحوص من مشاعر وانفعالات .

الاجراء : وثمة اعتبارات يجب مراعاتها عند اجراء الاختبار من حيث ظروف الإجراء وعدم وجود شخص ثالث . وأثناء إجراء الاختبار تكون الغرفة هادئة وجلسة المفحوص مريحة ، وأن يطبق الاختبار — ما أمكن — فى ضوء النهار الطبيعى .

يبدأ الاختبار عادة بتوضيح الطريقة التى عملت بها البطاقات ، كأن تقول للمفحوص « أنت تعرف لما نرمى نقطة حبر كبيرة على ورقة بيضاء ونطبقها ثم نضغط عليها قليلا وبعدكدا نفردها ، تلقى صور وأشكال مختلفة . والبطاقات العشر الموضوعة أمامك عملت بنفس الطريقة . وسأعرضها عليك واحدة بعد الأخرى . ثم تمسك بالبطاقة الأولى وتلقى عليه التعليمات الآتية : أنظر فى البطاقة وقل لى أيه اللى انت شايفه فيها أو ايه اللى بتتصور لك فيها . بص فى البطاقة زى ما انت عاوز لكن كل اللى أنا عاوزه منك هو إنك تقول على كل

اللى تشوفه ، ولما تخلص تقولى إنك خلصت علشان أديك اللى بعدها » ثم تعطى البطاقة الأولى إلى المفحوص فى وضعها الطبيعى ، وتعطيه الفرصة الممكنة للإستجابة . ويبدأ الفاحص فى تسجيل استجابات المفحوص على نحو ما ترد على لسانه، وقد يستعين الفاحص ببعض الرموز والاشارات التى توضح موضع البطاقة عند استجابة المفحوص لها . وبعد انتهاء المفحوص من البطاقة الأولى يضعها مقلوبة على المنضدة ويعطى البطاقة الثانية التى تليها مباشرة ، وهكذا حتى ينتهى من البطاقات العشرة .

وبعد خطوة الإجراء تتم خطوة أخرى هى خطوة التحقيق من الاستجابات التى يعطيها المفحوص . وهى خطوة فى غاية الأهمية ويجب أن تتم ، بدقة إذ بدونها لا يتمكن الفاحص أن يعرف العوامل التى تحدد الاستجابة ، كما أنها تساعدنا على جمع المعلومات التى تسهل لنا عملية تقدير النتائج تقديراً صحيحاً . ويبدأ التحقيق بالبطاقة العاشرة التى لا تزال فى يد المفحوص بعد الانتهاء من خطوة الاجراء . ثم ننتقل منها إلى التاسعة وهكذا حتى ننتهى إلى البطاقة الأولى ، والهدف من التحقيق هو :

١ — توضيح مكان الاستجابة هل تشمل الشكل ككل أو جزء من البطاقة. وهل هذا الجزء جزء صغير أم جزء كبير (٢) بيان العوامل المحددة لعملية الإدراك، هل هى عامل الشكل أم عامل اللون أم الظلال أم الحركة أم خليط من هذه العوامل (٣) معرفة محتوى الاستجابة . فقد يعطى المفحوص استجابات عامة مثل شخصين أو «رأس » وفى مثل هذه الأحوال يجب توضيح ما إذا كان الأشخاص هم من الرجال أم النساء ، وهل المقصود بالرأس رأس إنسان أم رأس حيوان .

ونعتقد أن خبرة الباحث المتزايدة بالاختبار وبعملية التقدير

والتفسير تجعل قدرته على القيام بعملية التحقيق سريعة وكاملة ومفيدة ، كما تجعله أكثر قدرة على البحث والوصول إلى المعلومات التي يريد الوصول إليها لتوضيح الاستجابات وجعل عملية التقدير سهلة وسريعة .

التقدير : وبعد خطوتي الإجراء والتحقيق تأتي خطوة التقدير وهي خطوة في غاية الأهمية بالنسبة للاختبار . وما التقدير سوى ترجمة دقيقة للاستجابات التي نحصل عليها من المفحوص ووضعها في رموز تلخص استجابات الفرد للاختبار .

كان رور شاخ يرمز لكل نمط من أنماط الاستجابة برمز خاص . ولم يدخل تعديل كبير على تلك الرموز التي وضعها رور شاخ وقد نظر رور شاخ إلى كل استجابة من نواحي أربعة هي .

(ا) التحديد المكاني Location : ذلك أن الاستجابة التي يعطيها المفحوص إما أن تشمل البطاقة كلها أو جزءاً منها . وهذا الجزء إما أن يكون جزءاً كبيراً عادياً يستجيب له معظم الناس ، أو أن يكون جزءاً صغيراً أو دقيقا . وقد تحتوى الإستجابة كذلك ـ سواء كانت كلية أو جزئية ـ على مسافات بيضاء داخل البقعة التي استجاب إليها الفرد .

(ب) العوامل المحددة للإستجابة Determinants . وهذه تشير إلى العوامل التي تدخلت في تحديد الاستجابة ،هل هو عامل الشكل أم عامل الحركة أم عامل اللون أم مجموعة عوامل مجتمعة مع بعضها .

(حـ) المحتوى أو المضمون : Content هل محتوى الاستجابة شكل إنساني أم حيوانات أم جمادات أم استجابات تشريحية أم مناظر طبيعية .

(د) هل الاستجابة من النوع المألوف أو الذى فيه جـدة وإبداع Popular or Original ذلك أن مضمون الاستجابة قد يتفق مع ما هو

مألوف وعادى عند معظم الناس . وهذا النوع من الاستجابات يكثر وروده فى تقارير مجموعة عادية من الناس ، أو قد يكون محتوى الاستجابة أصيلا وفيه جدة وإبداع . وهذا النوع الأخير لا يرد إلا مرة واحدة فى كل مئة تقرير عادة .

وسوف نشير باختصار إلى كل ناحية منها مبينين الرموز التى تقدّر بها الاستجابة .

أولا : التحديد المكانى :

قد يقع اختيار الفرد على البطاقة كلها ، وفى هذه الحالة يرمز إلى الاستجابة بالرمز ك (W) ، أو قد يقع الاختيار على جزء كبير أو عادى ويرمز إليه بالرمز ج (D) ، أو قد يقع الاختيار على أجزاء صغيرة أو دقيقة ويرمز إليها فى هذه الحالة جـ (Dd) . وثمة احتمال رابع وأخير هو إما أن يهمل الفرد الشكل الذى على البطاقة ذاتها وينظر إلى الأرضية باعتبارها شكلا ، وفى هذه الحالة يرمز إليه بالرمز ف (S) أو أن يُدخل المسافات البيضاء ضمن استجاباته الكلية أو الجزئية ويكون لدينا فى هذه الحالة استجابات كلية يتخللها مسافات بيضاء ونرمز إليها بالرمز ك ف (Ws) أو استجابات جزئية عادية يتخللها مسافات بيضاء ويرمز إليها بالرمز ج ف (Ds) أو استجابات جزئية دقيقة يتخللها مسافات بيضاء ويرمز إليها بالرمز جـ ف (Dds) .

هذا وقد قمنا بتوزيع الاستجابات الجزئية العادية والدقيقة وتلك التى تحتوى على مساحات بيضاء من هذه وتلك ، على مختلف البطاقات العشر سواء بالنسبة للأطفال الصغار أو المراهقين والكبار . ويمكن الرجوع إلى هذه القوائم لتحديد الأجزاء الدقيقة والكبيرة والتى راعينا فيها أساس حجم

الجزء المختار للاستجابة ، وكذلك التواتر الإحصائى لهذا الجزء (١) .

وليس من العسير على المختبر الذى له خبرة بالاختبار أن يقوم بتقدير الموضع المكانى تقديراً صحيحاً . ولو اتبع المصححون لهذا الاختبار خطوطا ثابتة يتفقون عليها عند بداية التقدير ، فسوف لا يختلف أحدهم اختلافا كبيراً عن تقدير الآخر .

ويتدرج تحت التحديد المكانى عوامل ثلاثة هى .

١ — منوال الإدراك ويقصد به الأسلوب الذى اتخذه المفحوص فى النظر إلى البطاقة . هل كان اهتمامه موجهاً أكثر إلى الاستجابات الجزئية . وهل كان يعنى بالأجزاء الدقيقة أكثر من عنايته بالأجزاء الكبيرة . ويمكن أن نعرف أسلوب المعالجة عن طريق دراسة نسب الاستجابات الكلية إلى الأجزاء الكبيرة إلى الأجزاء الدقيقة . ومعرفة النسب المتوقعة من كل منها ومدى إنحراف الشخص عنها لها أهمية كبيرة فى التفسير والحكم على نوع ذكاء الفرد . والنسب المتوقعة العادية عند رورشاخ على افتراض أن عدد استجابات الشخص العادى يكون فى المتوسط ٣٤ استجابة تكون على النحو التالى : ٨ استجابات كلية ، ٢٣ استجابة جزئية كبيرة عادية و٣ استجابات جزئية دقيقة . ولكن هناك تعديلات أخرى لدى الباحثين الآخرين لا تبعد كثيراً عن تلك .

٢ — التتابع أو الترتيب : ونحصل عليه من النظر فى النظام الذى سار عليه الفرد فى إعطاء الاستجابات بالنسبة للبطاقات العشرة . والحقيقة أن هذا العامل لا يزال يعتمد على التقدير الذاتى للفاحص . وليس هناك تحديد كى

(١) انظر التشخيص النفسى : دراسات فى اختبار « رورشاخ » ، د سيد محمد غنيم و د: هدى عبد الحميد برادة، مكتبة النهضة العربية شارع عبد الخالق ثروت القاهرة : سنة ١٩٦٤

يوضح لنا نوع التتابع وقد أشار بيك إلى أنواع من الترتيب أو النظام الذى يسير عليه الفرد . فهناك التتابع المنهجى الذى يتخذ أسلوباً ثابتاً فى النظر لا يتغير ويتجلى فيه الجمود إلى حد بعيد فينتقل من الكليات إلى الجزئيات الكبيرة إلى الجزئيات الدقيقة فى نظام لا يحيد عنه . غير أن هذا الأسلوب الجامد لا يحدث عادة وإن وجد فهو دليل على الجمود العقلى . وهناك فى الطرف الآخر التتابع المختلط وفيه يتعذر التنبؤ بترتيب معين يسير عليه الفرد وهناك الترتيب الذى بين هذا وذاك ، فلا هو من النوع الجامد ولا هو من النوع المضطرب المختلط . ولذا فهو يسميه باسم غير المنتظم أى غير الجامد وغير المضطرب فى الوقت نفسه . وغالباً ما يكون ترتيب الأسوياء الممتازين من النوع الأخير . وهناك أنواع أخرى من التتابع لباحثين آخرين مثل مونز وكلوبفر وغيرهما .

٣ — التنظيم : ومعناه قيام الفرد بنشاط تنظيمى تجمع فيه الوحدات الصغرى فى وحدات أكبر منها . وبعض هذه الوحدات الكبرى يكون كليات ومعظمها ليست كليات ، بل أجزاء كبيرة . وقد اهتم بهذا العامل صموئيل بيك إلى حد بعيد ، كما أنه من وضعه أيضاً .

ثانياً العوامل المحددة :

وهذا هو البعد الثانى الذى على أساسه يتم تقدير الاستجابات ، وهو أهم الأبعاد الأربعة ، ومجال الأخذ والرد فيه كثير ، كما أن اختلاف الباحثين فيه اختلاف واسع . والعوامل المحددة هى عامل الشكل واللون والظلال والحركة أو أية مجموعة من هذه العوامل ، وقد أوضح رورشاخ هذه العوامل عند وضعه الاختبار ولم تدخل تغييرات تذكر عليها من جانب الباحثين العديدين فى هذا الاختبار . وسوف نشير باختصار إلى كل عامل منها :

(أ) الشكل : ويرمز إليه بالرمز ش (F) وهو أكثر العوامل المحددة

وروداً فى التقرير. وكان رورشاخ يسمى اختبارة باسم اختبار تفسير الشكل. وحين نقول إن الشكل هو العامل المحدد للإستجابة، فإننا نعنى بذلك أن الشكل هو المثير الأول للإستجابة. ولقد ميز رورشاخ بين نوعين من الشكل: شكل جيد ويرمز إليه بالرمز ش + (F +) وشكل غير جيد أو ردىء ويرمز إليه بالرمز ش − (F −). ومعيار الجودة وعدم الجودة فى الأشكال أثنان. أحدهما إحصائى ومعناه أن الأشكال التى يتواتر حدوثها بكثرة لدى مجموعة كبيرة من العاديين تعتبر أشكالا جيدة أما الأشكال التى لا يكثر تواترها، فإنها تعتبر أشكالا غير جيدة. أما المعيار الثانى فقد ترك للفاحص نصيباً فى الحكم على الشكل. فالاستجابة التى يمكن أن نقبلها أو يكون عندنا استعداد لمشاركة صاحبها شكلها أو التى يتفق ثلاثة من الحكام على قبولها فإنها تعتبر فى هذه الحالة شكلا جيداً.

ونسبة الشكل التى نحصل عليها فى التقرير يجب أن يكون جزء كبير منها من النوع الجيد الذى نرمز إليه بالرمز ش +. ونسبة الشكل الجيد هى التى تعطينا فكرة عن درجة التحكم الشعورى للفرد فى عملياته العقلية، كما تكشف عن نوع تفكيره ودرجة احساسه بالواقع. ومن هنا يربط البعض بين استجابات الشكل الجيد والذكاء. والمتوقع أن يكون الذكاء العالى مصحوباً بنسبة عالية من الشكل الجيد، على حين تنخفض نسبة الشكل الجيد – وبالتالى تعلو نسبة الشكل غير الجيد — عند حالات الهوس والفصام غير المرتبطين أرتباطاً قوياً بالواقع.

(ب) الحركة: وقد رمزنا إليها بالرمز «حر» وهى المقابل للرمز M. وهذا العامل المحدد من أهم العوامل التى أعطاها رورشاخ اهتماماً كبيراً. كما أنه من أصعب العوامل عند التقدير. وربما كان مرجع هذه الصعوبة هو نقص التعريف الذى وضعه رورشاخ للإستجابات الحركية. فقد بدأ تعريفه لها

بأن وصفها بأنها استجابات يحددها الشكل والإضافات الحركية . فالفرد لا بد أن يتصور الشيء فى حالة حركة وقد أعطى رورشاخ اهتماماً كبيراً لناحية معينة وهى أن الحركة فى المدرك لا بد أن تحس باعتبارها تغيراً فى التوتر العضلى . فالحركة التى نحسها — وليست التى نستدل عليها عقلياً أو التى نستنتجها عن طريق التداعى — هى التى تحول الاستجابة من استجابة يحددها عامل الشكل إلى استجابة حركية . وخير قاعدة يمكن السير عليها فى نظر رورشاخ عند تقدير الاستجابات الحركية هى « تعتبر الاستجابة محددة تحديداً حركياً إذا كانت الأشكال المرئية فى البطاقة كائنات إنسانية أو حيوانية تقدر على الحركة حركة شبيهة بحركة الإنسان كالقردة والدببة وغيرها » .

(هـ) اللون : وفكرة رورشاخ عن الاستجابات اللونية أقل أصالة وإبداعاً من فكرته عن الاستجابات الحركية . ومع ذلك فاللون مكون هام من مكونات الاختبار لارتباطه الوثيق بالجانب الإنفعالى ، ولما له علاقة وثيقة بالاستجابات الحركية التى تكشف عنها نسبة مجموع الاستجابات اللونية إلى الحركية .

ولكى تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية ، لزم أن يتأثر الفرد بصورة مباشرة وإيجابية بصفة اللون . وليس يكفى أن يكون الجزء المثير ملوناً حتى تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية ، بل يجب أن تتضمن الاستجابة شيئاً يشير إلى تأثر الفرد باللون . ومعظم استجابات اللون يثيرها اللون الأحمر غالباً ، مثل دم ؛ ولكن هناك استجابات أخرى تثيرها بقية الألوان مثل سماء أو ماء بالنسبة للون الأزرق ، زهرة بالنسبة للون الأصفر ، حشيش بالنسبة للون الأخضر .

وقد قسم رورشاخ استجابات اللون إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، وذلك على

أساس العامل المحدد للإستجابة. فإن كان العامل المحدد لوناً خالصاً مثل « دم » لأنه أحمر، قدرت الاستجابة بأنها لون خالص، ويرمز إليها بالرمز ل أو (C). أما إذا دخل عامل الشكل مع عامل اللون، وكان لعامل اللون الغلبة فى تحديد الاستجابة، قدرت الاستجابة بأنها ل ش (CF) مثل لهب علشان لون اللهب والألسنة الممتدة منه. أما إذا دخل عامل للشكل مع اللون وكان لعامل الشكل الغلبة على عامل اللون قدرت الاستجابة بأنها ش ل (CF) مثل رباط رقبة أحمر اللون.

وليس ثمة شك أن دلالة كل نوع من هذه الأنواع تختلف عن الأخرى. فاللون الخالص يشير إلى انطلاق النواحى الانفعالية دون ضوابط أو عوامل ملطفة أو مخففة لحدة الانفعال. فهى تشير إلى الاندفاع الذى لا يهدف أبداً إلى التكيف. بينما ل س فتشير إلى سيطرة الانفعال مع وجود درجة من التحكم والضبط يشير اليها عامل الشكل فالفرد لديه الرغبة فى التكيف مع البيئة والواقع، ولكن قوة التحمل والضبط غير كافية لأحداث هذا التكيف الناجح. أما ش ل فتشير إلى أن الفرد يتأثر بانفعالاته وإحساساته، ولكنه يحكم العقل ويسيطر على انفعالاته ويراعى الآخرين عند الاستجابة للمثيرات الانفعالية المختلفة. فهذا النوع من الاستجابات يشير إلى أن إحساس الفرد يتسق وإحساسات الآخرين، وهذا يشير إلى سمة هامة من سمات التكيف ما دامت ترتفع إلى مستوى ترحيب الفرد بالإتساق مع العالم الخارجى.، وهذه إشارة إلى نضج الفرد من الناحية الإنفعالية.

(د) الظلال يثير الكثير من المشكلات وليس هناك مجال تشعبت فيه الآراء واختلفت، مثلما حدث فى استجابات الظلال.

وقد تعددت الرموز التى وضعت لاستجابات الظلال بشكل يدعو إلى الحيرة والارتباك ويرمز لهذا العامل بالرمز ظ (hC) chiaroscuro shading.

ولعل مرجع الصعوبة والخلط فيه هو أن رورشاخ لم يهتم بهذا العامل فى كتابه التشخيص النفسى ، وإن كان قد أشار إليه فى مقالته التى نشرها له أوبر هولزر بعد وفاته .

وقد رمز رورشاخ لجميع إستجابات الظلال برمز واحد فقط هو F (C). وقد حدد هذا النوع من الاستجابات بقوله « إنها التفسيرات التى لا يكون فيها للقيم اللونية أثر ، بل يرجع هذا الأثر إلى الضوء والظلال . ودلالات هذه التفسيرات لا تزال غير واضحة . ولكن يبدو أنها تتصل بقدرة الفرد على التكيف الانفعالى ، كما تشير أيضاً إلى هذا النوع من التكيف الذى يتسم بالحذر والجبن والإعاقة . هذا بالإضافة إلى أنها تشير إلى ضبط النفس أمام الآخرين ، وإتجاه واضح نحو الاكتئاب يحاول الفرد السيطرة عليه فى حضرة الآخرين .

أما البعد الثالث الذى يدخل عند تقدير الاستجابة فهو المضمون أو المحتوى . ولا يثير هذا البعد خلافاً كثيراً بين مختلف الباحثين . ويقصد بالمحتوى أو المضمون الصورة أو الملامح الأساسية التى اثارتها البطاقة فى ذهن المفحوص . ويصنف المحتوى وفق قوائم أو مجموعات وأهم القوائم التى تقابلنا عند تقـــدير المحتوى هى المدركات الإنسانية ن (H) أى جزء الإنسان جزء/ن(Hd)والمدركات الحيوانية حى (A) أو جزء الحيوان جزء/حى (Ad) ، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المحتويات الجغرافية والأشياء المادية المصنوعة والاستجابات التشريحيـــة واستجابات الجنس والاستجابات الطبيعية والاستجابات النباتية والاستجابات الفنية أو الفلكية .

ويشير المحتوى بوجه عام إلى أفق الشخص ونواحى اهتماماته الخاصة . فالاستجابات الإنسانية مثلا تشير إلى دور الميول الاجتماعية والإنسانية فى حياة الفرد وإلى درجة اهتمام الفرد بسيكولوجية الآخرين . فخلو التقرير من الاستجابة

الإنسانية يشير إلى عدم الاهتمام بالناس. أما الاستجابات الحيوانية فهى بلا شك أكثر محتويات التقرير وروداً ولكن النسبة المرتفعة منها فى التقرير تشير إلى النمطية ، ومعناها الافتقار إلى الخيال وهذا التفسير ينطبق على العاديين والشواذ على حد سواء . وعلى العموم فتنوع محتوى الاستجابات يشير إلى اتساع أفق الفرد وتنوع نواحى ميوله واهتماماته ، على حين تشير قلة المحتوى إلى ضيق الأفق وفقر اهتمامات الفرد وميوله .

رابعاً : الاستجابات المألوفة وغير المألوفة :

وهذا البعد هو الرابع والأخير فى تقدير الاستجابة . والاستجابة المألوفة هى التى ترد — حسب البعض — مرة واحدة تقريباً فى كل ثلاثة تقارير عادية، ويرمز إليها بالرمز م (P) ،وتكون دائماً ذات شكل جيد ولا يمكن أن تكون ذات شكل ردىء بحال من الأحوال .ولقد أصبحت هذه الاستجابات محددة تحديداً إحصائياً دقيقاً .

أما الاستجابات غير المألوفة أو الأصيلة فهى التى ترد مرة واحدة فى كل ١٠٠ تقرير عادى ، ويرمز إليها بالرمز ص أو (O) . وهذه الاستجابات الأصلية تشير بصرف النظر عن نوعها إلى قدرة الفرد على إدراك علاقات جديدة ، كما تمثل أكثر من أى عامل آخر التفكير الذاتى للفرد وطريقته الخاصة فى معالجة الأمور .

والاستجابة المألوفة تشير عادة إلى درجة مشاركة الفرد الأفكار الشائعة فى الجماعة التى يعيش فيها . ولكن هذا القول وحده لا يكفى ، إذ قد يعطى شخصان مختلفان نفس العدد من الاستجابات المألوفة ، ومع ذلك يختلف تقرير أحدهما عن الآخر اختلافا كبيراً . لذا يجب أن ندخل فى حسابنا بقية العوامل الأخرى عند التقدير .

أما الاستجابات الأصلية فتشير إلى درجة من الإبداع والخيال . ولذا تكثر عند أصحاب المواهب الفنية ، وإن كان من الضروري أن نميز بين الاستجابات الأصلية الجيدة الشكل التي ترد عند الاذكياء وأصحاب المواهب، والاستجابات الأصيلة غير الجيدة الشكل والتي قد تقابلها بكثرة عند حالات الضعف العقلي وبعض حالات الفصام ومن لديهم اضطرابات عضوية .

وإذا كان اختبار رورشاخ قد وضع أصلا للكشف عن الحالات المرضية المختلفة والتمييز بينها ، فقد استخدم أيضاً وعلى نطاق واسع في دراسة شخصية العاديين . وليس ثمة شك في أن الاختبار قد أعطى نتائج طيبة في دراسة حالات الهستيريا والوساوس المتسلطة والقهر وتشخيص الحالات السيكوباتية وحالات الاكتئاب والفصام وحالات الإصابة العضوية في المخ وكذلك حالات الضعف العقلي .

(ح) اختبار زوندى :

وفي هذه السنوات الأخيرة وضع السيكازى المجرى ليبوت زوندى عددا من النظريات التكوينية أقام عليها اختباره الإسقاطي الذي عرف باسمه . ونظرية زوندى التي أقام عليها اختباره تعرف باسم نظرية تحليل المصير. والأساس الذي تقوم عليه هذه النظرية أساس بيولوجي يعتمد على فكرة الجينات والدور الذي تلعبة في حياة الفرد . فمن المعروف لنا جيعاً أن الجينات هي حَمَلة الاستعداد الوراثي عند الفرد ، وأن بعض هذه الجينات سائدة وبعضها الآخر متنحية أو كامنة . والجينات السائدة هي التي تحمل الصفات الوراثية الظاهرة كالطول والقصر ولون العينين ولون البشرة والاستعداد للإصابة بمرض معين . أما الجينات المتنحية أو الكامنة فهي التي تحمل الصفات والخصائص الكامنة في الفرد . غيران كون هذه الجينات

وتنحيها ليس معناه أنها فقدت كل تأثير أو فاعلية ، بل لها تأثير كبير جداً يتضح في الحقيقة حين تتقابل هذه الجينات المتنحية بجينات أخرى مماثلة لها عند الجنس الآخر والدوافع الناتجة عن هذه الجينات الكامنة هي التي تحدد اختيار الفرد ومصيره في مجالات الحب والزواج والمهنة والأمراض وحتى في الموت . فمنذ بداية حياة الكائن الحي هناك مصير خفي توجهه هذه الدوافع الناتجة عن الجينات التي يرثها الفرد عن أبويه وعن أسلافه . وعلى أساس فكرة الجينات الكامنة أو المتنحية والدوافع الناتجة عنها ، يمكن تفسير هذه الظاهرة التي تعرف باسم « الانتحاء التكويني » والتي تتضح حين ينجذب شخصان — تحت تأثير الجينات الكامنة المتشابهة — أحدهما إلى الآخر . فبعض الناس يدفع دفعاً إلى اختيار من نوع معين في مجالات الحب والزواج والمهنة والمرض ، وأن هذا الدفع غالبا ما يكون نتيجة دوافع كامنة لا يشعر بها الفرد ولا يدرك مصيرها .

أما كيف نفسر اضطراب المصير عند الفرد ، فقد أوضح زوندي أن حاجات السلف المكبوتة ومطالبه التي لم يعبر عنها (والتي تسمى من الناحية التكوينية بالجينات الكامنة أو المتنحية) موجودة في أعماق اللاشعور العائلي الذي صادر على وجوده ، وأن هذه الحاجات والمطالب السلفية المكبوتة يمكن أن تؤدي إلى ظهور الأعراض المرضية لدى الفرد على نحو ما هو الحال بالنسبة لدوافع الفرد وأفكاره المكبوتة في اللاشعور الفردي . ولقد وجد زوندي فكرة الكبت الفرويدية وسيلة يفسر بها اضطرابات المصير عند الفرد ، كما وجد فيها الفكرة الصحيحة الصادقة التي تصدق على اللا شعور العائلي صدقها على اللا شعور الفردي . فمطالب السلف الكامنة في أعماق اللا شعور العائلي — كتلك المرتبطة بالصرع والفصام والهوس والإجرام والانتحار والتي يعبر عنها شعورياً في هذه الصورة المرضية — يمكن أن تبرز

نفس الأعراض المرضية العصابية والذهانية على نحو ماتفعل الدوافع المكبوتة في أعماق اللاشعور الفردي عند فرويد

واللاشعور العائلي الذي صادر زوندى على وجوده أسبق زمنا فى الفرد وأعمق من لا شعوره الفردي، وهو العامل المحرك والمصيرى كاللاشعور الفردى، وإن كان أعمق منه أثراً فى توجيه مصيره واختياره.

ويمكن القول إذن أن اللاشعور العائلى عند زوندى يحوى الاستعدادات الوراثية الكامنة التى توجه أفعال الفرد واختياره لا شعوريا. والعملية التى بواسطتها تنجذب العوامل الوراثية المتماثلة أو المتشابهة داخل المكون الوراثى اعنى داخل اللاشعور العائلى هى التى تعرف باسم عملية الانتحاء التكوينى. ويعد الانتحاء التكوينى من أهم وظائف اللاشعور العائلى وهو الذى يقوم بدور واضح فى اختيار الفرد لمجالات الحب والزواج والمهنة والمرض والموت.

والوظيفة الأولى للانتحاء التكوينى تتضح فى إختيار الفرد فى مجال الحب وهو ما اسماه زوندى باسم « الانتحاء الليبيدى أو الشهوى » ويحدد لا شعوريا جميع علاقات التزاوج بين أفراد الجنس البشرى، واليه تستند الأسرة. أما وظيفته الثانية فتتضح فى إختيار المثل، وهذا ما عرف بالإنتحاء المثالى. وبموجبه تقوم كل الروابط والصلات العقلية بين الأفراد. واضعف صور هذا الاتجاه المثالى ما يتجلى فى رابطة الصداقة. أما وظيفته الثالثة فتتضح فى المجال الاجتماعى إذ يختار الفرد لنفسه — ولا شعورياً — المهنة التى يقوم بها، الأفراد — المتشابهين معه تكوينياً — الذين يتعاون معهم، وقد أطلق زوندى على هذا المكون اسم الانتحاء المهنى. أما الوظيفة الرابعة فتتضح فى إختيار المرض، وهو ما اسماه باسم «الانتحاء المرضى». ودراسة

هذه الناحية تجيب على السؤال الذى يرد إلى الذهن أحياناً وهو لماذا يصاب الشخص بنوع معين من المرض ولا يصاب بنوع آخر . وتشير بعض الدراسات فى هذا المجال إلى أن أعراض بعض الأمراض المعدية لا تتوقف فحسب على وجود عامل العدوى، بل وأيضاً على الاستعداد الوراثى الكامن للمرض . أما الوظيفة الخامسة والأخيرة للانتحاء التكوينى فتتضح فى إختيار الفرد لنوع الوفاة . وقد اسماها زوندى باسم انتحاء الموت « وهذا ما يتجلى خصوصاً لدى بعض الحالات التى تنتزع فيها الحياة انتزاعاً على نحو ما يحدث فى حالات الانتحار والقتل .

وإذا تركنا جانباً الأسس النظرية التى أقام عليها زوندى أفكاره ومدى صحتها من وجهة النظر العلمية و نظرنا إلى الاختبار فى حد ذاته ،نجد أن الاختبار يتكون من ستة مجموعات من الصور تحتوى كل مجموعة منها على ٨ صور لأنماط مختلفة من المرضى العقليين . وتتضمن كل مجموعة من هذه هذه المجموعات الست ما يلى :

١ — صورة تمثل جنسياً مثلياً homosexual ويرمز لها بالرمز h ونرمز لها بالرمز ج م

٢ — صورة تمثل مجرماً سادياً Sadistic ويرمز لها بالرمز S ونرمز لها بالرمز س .

٣ — صورة تمثل مريضاً صرعياً epileptic ويرمز لها بالرمز E ونرمز لها بالرمز ص .

٤ — صورة تمثل مريضاً هستيرياً hysteric يرمز لها بالرمز hy ونرمز لها بالرمز هـ س .

٥ — صورة تمثل مريضاً بالفصام التخشبى k Catatonic ويرمز لها بالرمز k وترمز لها بالرمز ك .

٦ – صورة تمثل مريضاً بالفصام البارانويا Paranoia ويرمز لها بالرمز p ونرمز لها بالرمز ب .

٧ – صورة تمثل مريضاً بالاكتئاب derpressive ويرمز لها بالرمز d ونرمز لها بالرمز د .

٨ – صورة تمثل مريضاً بالهوس manic ويرمز لها بالرمز m ونرمز لها بالرمز م .

وكل مجموعة من هذه المجموعات الستة تحتوى على صورة لشخص من هذه الأنواع المرضيه الثمانية السابقة . ويبدأ الفاحص بتقديم التعليمات التالية للمفحوص وهى ، سأعرض عليك الآن ثمان صور . أنظر إليها جيداً ثم أعطنى أولا : أحب صورة فيها إلى نفسك، ثم الصورة التى تليها منزلة فى نفسك ثم توضع أمامه الصور الثمانية مرتبة ترتيباً معيناً فى صفين . وبعد أن يختار المفحوص الصورتين اللتين يميل إليهما أكثر ، يعاد إلقاء التعليمات السابقة على أن يطلب منه فى هذه الحالة أن يختار الصورتين اللتين يكرههما أكثر . وبعد أن يتم إختيار هذه الصور تعاد الصور الأربعة الباقية إلى مكانها فى فى صندوق الاختبار . وتوضع الصور الأربعة المنتقاة على حدة ،المحببة فى جانب ، والمنفرة فى جانب آخر ، على أن يراعى وضع صورة الوجه إلى أعلى حتى لايرى المفحوص الرمز الذى يشير اليه العامل . وبنفس الطريقة ينتقل المفحوص إلى المجموعات الخمسة الأخرى . وبذلك يصبح لدينا فى نهاية الإجراء ١٢ صورة محببة و١٢ منفرة ؛ وتسجل هذه الاختيارات فى بروفيل خاص .

ويأتى بعد ذلك مرحلة أخرى تستخدم فيها الصور الأربعة المتبقية – والتى سبق أن وضعناها فى صندوق الاختبار – فى عمل بروفيل آخر تكميلى .

حسب التعليمات الآتية ، من هذه الصور الأربعة المتبقية عليك أن تختار الصورتين اللتين تحبهما أقل . ثم توضع الاختيارات الموجبة فى ناحية والسالبة فى ناحية أخرى . ومن الملاحظ أيضاً أنه سيكون لدينا ١٢ صورة موجبة و١٢ صورة سالبة .

ولتفسير إختبار زوندى يتطلب الأمر الوقوف على معنى الموجهات Vectors والعوامل Factors المختلفة التى يقوم عليها الاختبار . والاختبار يمثل ثمانى حاجات نفسية موزعة على الموجهات الأربعة التالية :

١ — الموجـــه الجنسى Sexual ويرمز إليه بالرمز S ونرمز إليه بالرمز ج .

٢ — الموجه النوابى Paroxysmal ويرمز إليه بالرمز P ونرمز إليه بالرمز ن .

٣ — الموجه الفصامى أو موجة الذات Schizophrenia ويرمز إليه بالرمز Sch ونرمز إليه بالرمز ذ .

٤ — الموجه الاتصالى Circular or Contact ويرمز بالرمز C ونرمز إليه بالرمز ت .

وكل موجه من هذه الموجهات الأربعة يمثل مجالا معيناً من مجالات الشخصية يظهر بصورة مبالغ فيها جداً فى الحالات المرضية . كما أن كل موجه من هذه الموجهات يتكون من عاملين أو حاجتين يكمل كل منهما الآخر ، ويتصل به اتصالا وثيقاً ، لأن كلا منهما ينتمى إلى نفس المجال ولكنهما فى نفس الوقت يمثلان اتجاهان متضادان .

أما العوامل أو الحاجات الثانية التى تتصل بالموجهات الأربعة السابقة فهى

الموجه S (ج) ويتكون من العاملين h جنسية مثلية (جم)، S سادية (س)
الموجه P (ن) ويتكون من العاملين e صرع (ص)، hy هستيريا (هس)
الموجه Sch (ذ) ويتكون من العاملين k فصام تخشبي (ك)، P بارانويا (ب)
الموجه C (ث) ويتكون من العاملين d اكتئاب (د)، m هوس (م).

وليس ثمة شك أن العلاقة وثيقة بين الموجهات والعوامل (أو الحاجات) التي تتصل بالموجه. ومن الضروري عند تفسير الشخصية ووصفها على ضوء إختبار زوندي أن نؤكد توافق العوامل المختلفة بعضها على بعض.

وسوف نشير بإيجاز إلى العوامل الثمانية التي تنتمي إلى الموجهات الأربعة:

أولا: الموجه الجنسي (ج).

العامل h (جم) الجنسية المثلية: ويشير هذا العامل إلى الحنان أو الحب الفردي والحاجة إلى الأنوثة وإلى غريزة الأمومة والسلبية. وقد يكون موضوع هذا العامل شخصاً واحداً أو أسرة أو ديناً أو مؤسسة أو شعباً.

العامل S (س) السادية: ويشير إلى الحاجة إلى الذكورة والعدوان والسادية والنشاط والرجولة. فهو بمثابة الدافع الذكري أو الحاجة إلى أن يكون رجلا أو أباً أو الشريك المسيطر.

ثانياً: الموجه النوابي (ن):

العامل e (ص) الصرع: ويشير إلى التراكم اللاشعوري للإنفعالات العنيفة كالغضب والحقد والرغبة في الانتقام والكراهية ومن الممكن توقع حدوث استجابات مفاجئة وغريبة عند الفرد عن طريق التفريغ المتفجر المفاجيء وعدم تسامح الآخرين.

والعامل hy (هـ س) الهستيريا : ويشير إلى الطريقة التي يتناول بها الفرد مشاعره الرقيقة والتي قد تشير إلى ميول الفرد الاستعراضية أو التي قد تتخذ كدليل على عدم تقبل الفرد لإظهار شعوره بطريقة ملفتة للنظر .

ثالثاً : الموجه الفصامي (موجه الذات) ذ

العامل k (ك) فصام تخشبي : ويشير إلى انقباض الذات أو الحاجة إلى ضغط الذات والحد من تعبيرها الخارجي .

العامل p (ب) بارانويا : ويشير إلى إتساع الذات والرغبة غير المشبعة أو غير المرتوية لامتداد الذات واتساعها من أجل بلوغ القوة أو ما يعبر عنه أحياناً بجنون العظمة .

رابعاً : الموجه الاتصالى (ت)

العامل d (د) الاكتئاب : ويشير إلى البحث عن موضوعات جديدة والاحتفاظ بها أو ما يعرف في التحليل النفسي بالصفة الشرجية . كما يشير إلى الميل إلى تحقير الذات والشعور بالذنب .

العامل m (م) الهوس : ويشير إلى الرغبة فى التعلق بالموضوعات والأشياء وهذه حاجة لا تهمد . وهي أقرب إلى ما يعرف فى التحليل النفسي بالصفة الفمية

ويمكن أن تلخص دلالة الموجهات والعوامل على النحو التالي :-

الموجة الجنس يمثل الحنان ضد العدوان .

الموجة النوباتي يمثل الضبط الانفعالى ضد التقلب الانفعالى .

موجه الذات يمثل اتساع الذات ضد ضيق الذات .

الموجه الاتصالى يمثل الخصائص الشرجية ضد الفمية .

هذا وقد نقد إختبار زوندى على أساس أن الفكرة التى يقوم عليها الاختبار قديمة وتشبه تلك التى تذهب إلى تحديد شخصية الفرد على أساس دراسة ملامح الوجه والمظهر الخارجى . ثم إنه من الصعب أن تقدم تشخيصاً نفسياً كاملا عن شخصية الفرد على ضوء اختياره لصور قليلة مأخوذة لحالات مرضية عاشت فى المجر والسويد والمانيا والنمسا مما يجعل هذه المجموعة من الصور تبدو غريبة لمن يستعملها فى غير أوروبا .

وقد اثيرت اعتراضات مماثلة بالنسبة لاختبارات اسقاطية أخرى . ومع ذلك فقد اثبتت الدراسة الاكلينيكية أن مثل هذه الاعتراضات لم يكن لها أهمية كبيرة بالنسبة لصدق الإختبار . ولقد أثبت اختبار زوندى قيمته الإكلينيكية والتشخيصية فى أوروبا وغيرها من البلدان ولقد قام هارولد بست ومارتن فلايشمان وغيرهما بدراسات قدموا فيها الصور إلى مجموعة من الأطباء النفسيين والممرضات ليقسموها حسب الفئات التى وضعها زوندى . وتشير بعض هذه الدراسات إلى شىء من الثبات فى هذا التقسيم ، الأمر الذى يشير إلى أن هذه الصور تعكس — إلى حد ما — العلاقات الاكلينيكية التى تدل على إنفعالات معينة ، إلا أن صدق طريقة التصحيح لاتزال محل شك إلى الآن(١) .

---

(١) دكتور محمود الزيادى : علم النفس الاكلينيكى ، التشخيص ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ .

الفصل الخامس عشر

اختبارات الأداء

هذا النوع من الاختبارات يعتمد أساساً على أداء الفرد فى مواقف معينة فهو يوجه اهتمامه أصلا إلى السلوك غير اللفظى حيث يوضع الفرد فى موقف أو مواقف معينة محددة نوعاً ما ، أو مواقف مقيدة ومضبوطة . ثم يلاحظ سلوك الفرد أو الأفراد فى مثل هذه المواقف ، وعلى أساس هذه الملاحظة أو هذا التجريب يمكن تقدير سمات شخصية الفرد وهذا النوع من الاختبارات يختلف عن الأنواع السابقة ذات الطبيعة اللفظية والتى فيها يستجيب المفحوص عادة إما بتكوين قصة أو وصف مايراه فى بقعة حبر أو وضع علامات معينة على مقياس ما . أما فى اختبارات الأداء ، فإن السلوك غير اللفظى ، أى العملى الذى يقوم به الفرد هو موضوع الملاحظة أو التجربة . ومنه نستدل على خصائص شخصية الفرد وسماته .

ويقسم فيرجسون إختبارات الأداء إلى قسمين :

إختبارات أداء تقوم أساسا على ملاحظة فرد أو أفراد فى مواقف معينة لاتتطلب تحديدات دقيقة لإستجابات الفرد . واختبارات أداء تقوم أساساً على التجريب فى مواقف تجريبية محددة بدقة .

ولكن ليس من السهل فى الحقيقة الفصل بين النوعين سواء من ناحية تهيئة الموقف أو ظروف التجربة ، أو من ناحية جمع الحقائق وتسجيلها ، أو من ناحية الضبط الواجب توافره سواء بالنسبة للملاحظة أو التجربة . وسوف نعرض لكلا النوعين من اختبارات الأداء .

(ا) اختبارات الأداء التي تعتمد أساسا على الملاحظة :

واختبارات المواقف من أهم الاختبارات التي تعتمد على الملاحظة. وهذه الملاحظة إما أن توجه لفرد واحد، أو إلى مجموعة أفراد. ومن هذا القبيل ما يجرى في برامج هيئة التقدير والاختيار (والتي أشرف عليها هنرى مورى) لمكتب الخدمات الاستراتيجية Office of Strategic Services (O.S.S.) بالولايات المتحدة الامريكية (١) والذى بدأ عمله خلال الحرب العالمية الثانية، والذى كان هدفه هو إقامة ودعم وحدات البحث في الولايات المتحدة، وفيما وراء البحار وإقامه ودعم شبكة التجسس لجمع المعلومات عن الدول المعادية . ثم القيام بعمليات تخريبية وراء خطوط الأعداء .

وكانت هيئة التقدير في المكتب هي المسئولة عن اختيار الأشخاص الذين يمكنهم معاونه هيئة الخدمات الاستراتيجية على تحقيق أهدافها . ومن هنا كان على هيئة التقدير بالمكتب إتخاذ الوسائل والأساليب المختلفة التي من شأنها أن تكشف عن إمكانيات الفرد. وكان اتجاههم، كما عبروا هم عنه، إتجاه كلى متعدد الجوانب . أما أنه متعدد الجوانب فلكونه يتألف من عدد كبير من الوسائل والأساليب التي تستخدم وتقوم على أسس ومبادىء متعددة مختلفة . أما أنه كلى فلكونه يستخدم المادة التي يحصل عليها من تطبيق هذه الوسائل والأساليب المتعددة المختلفة في تكوين صورة عن شخصية الفرد ككل . فمن مجموعة الحقائق التي يصلون اليها عن طريق ملاحظة الأفراد في المواقف المتعددة، يمكنهم الإستدلال على شخصية الأفراد الذين يمكن أن يعهد اليوم القيام بمثل

---

(1) Oss Assessment Staff. Assessment of Men. New York: Rinehart & Company Jnc. 1948.

هذه المهمات الخطيرة والتنبؤ بمدى صلاحيتهم للقيام بمثل هذه الأعمال .

وقد وضعت هيئة التقدير فى اعتبارها النقط الآتية عند الإعداد للعمل .

١ — عمل تحليل مبدئى لكل الوظائف والأعمال التى يطلب من هؤلاء الأفراد القيام بها .

٢ — وضع قائمة بمحددات الشخصية للنجاح والفشل فى كل عمل .

٣ — اختيار المتغيرات التى يتطلب قياسها .

٤ — بناء مقياس تقدير لكل متغير من متغيرات الشخصية التى يراد تقديرها .

٥ — تكوين صورة عن شخصية كل فرد قبل القيام بعمل تنبؤات أو تقديرات أو توصيات خاصة ، وتكوين فكرة عن الفرد ككل قبل تقدير كل متغير .

٦ — كتابة تخطيط عن شخصية كل فرد .

٧ — عقد مؤتمرات للهيئة لمراجعة هذه التخطيطات وتقرير صحة التقديرات والتوصيات بالنسبة لكل فرد .

٨ — بناء تصميمات تجريبية كأطر مرجعية لطرق التقدير بحيث يتيسر الحصول على المادة اللازمة لحل المشكلات الاستراتيجية وتسجيلها بطرق منظمة .

ولكن نظراً لطبيعة العمل الذى تقوم به هذه الهيئة وسريته ، فلم يتيسر لها تنفيذ كل هذه الخطوات ، بل نفذوا بعضها .

وقد اختارت هيئة التقدير بعض المتغيرات أو السمات التي رأت أنها سمات أساسية بالنسبة للأعمال المطلوبة . وهذه المتغيرات أو السمات هي :

١ ــ معرفة الدافع للالتحاق بالعمل . ٢ ــ النشاط والمبادأة
٣ ــ الذكاء والقدرة على التصرف في المواقف الحرجة .
٤ ــ الثبات الانفعالي . ٥ ــ العلاقات الإنسانية .
٦ ــ القيادة ٧ ــ الحذر والاحتياط .

وبعد اختيار السمات وضعت الهيئة مقياسا من ست درجات لتقدير كل سمة من هذه السمات لدى الفرد وقد استخدمت الهيئة العديد من الطرق لدراسة الشخصية منها :

١ ــ اختبار تكملة الجمل : ويتكون من ١٠٠ عبارة ناقصة يكملها الفرد بأسرع ما يمكنه . وهذه العبارات الناقصة تغطي مجالات عدة كالأسرة والماضي والدوافع والحالات الداخلية والأهداف وما يحبه الفرد وما يكرهه ونشاطه وسلوكه في مواقف الإحباط ونظرته للزمن والتشاؤم والتفاؤل واستجابته للآخرين واستجابة الآخرين له .

٢ ــ مسح ظروف العمل : قائمة من ٤٣ ظرفاً من ظروف العمل يمكن أن توجد في أي عمل . ويقدرها الفرد حسب مقياس من ست درجات مبيناً مدى تقبله أو عدم تقبله لها .

٣ ــ إختبار مفردات : ويتكون من ٥٠ عبارة متعددة الاختيار .

٤ ــ صورة تاريخ حياة الفرد .

٥ ــ استخبار إسقاطي : يتكون من ١٢ سؤالا مثل ما الأشياء أو المواقف التي تثير الخوف جداً لديك أو ما أكبر شيء افتقدته في طفولتك .

٦ — إختبار المكان حيث يقيس قدرة الفرد على أن يستعيد من الذاكرة المواضع المختلفة على خريطة لمدينة ما وتحديد هذه الاماكن عليها .

٧ — اختبار النهر حيث يطلب من مجموعة من ٤ إلى ٧ أشخاص نقل أشياء معينة عبر نهر . وهذا يتطلب استخدام ألواح خشبية وحبال لبناء كوبرى ونقل أشجار . والهدف من هذا الاختبار هو قياس المبادأة والزعامة وطرق التنفيذ .

٨ — إختبار البناء : كأن يطلب إلى المرشحين لهذه الأعمال توجيه إثنين من العمال لبناء شيء ما . وفى نفس الوقت تعطى تعليمات سرية إلى العمال بإعاقة كل تقدم للبناء وبكل الوسائل ، وهذا الاختبار يستغرق ١٠ دقائق .

٩ — مقابلة بعد اختبار البناء : وتهدف إلى أن تكون علاجية بسبب التوتر الناشيء عن اختبار البناء والذى ليس فى استطاعة أحد من المرشحين تكملته .

١٠ — مناقشات عامة : فيها تناقش الهيئة المتقدمين كمجموعة ، ولمدة ٤٠ دقيقة ، مشكلات ما بعد الحرب وما يمكن أن يواجه الولايات المتحدة الامريكية من مشكلات .

هذه بعض الإختبارات والوسائل التى كانت تستخدمها هيئة التقدير . وكانت مجموعة الإختبارات التى تجريها الهيئة ٣٥ اختباراً وموقفاً .

وهذه الاختبارات والمواقف التى وضعتها الهيئة كانت تتفق والغرض الضمنى وهو أن كل اختبار أو موقف يفيد أساسا فى تشخيص قوة سمات معينة لدى الفرد . فلو أخذنا مثلا اختبار النهر الذى يطلب فيه من مجموعة من ٤ إلى ٧ أشخاص نقل أشياء معينة عبر النهر ، فإن الشخص الذى يتقدم باقتراحات

يكون لديه النشاط والمبادأة ، ومن ثم يختلف عن الآخر الذى ينتظر ورود التعليمات له من الآخرين ، وإذا كان الاقتراح الذى يتقدم به الفرد مناسبا، دل ذلك على أن لديه ذكاء عمليا يستطيع به التصرف فى المناسبات والمواقف العملية ، وإذا رفض اقتراحه وتقبل الرفض بصدر رحب ، دل ذلك على أنه من النوع الذى يتقبل النقد بروح رياضية، وأن فى إمكانه تكوين علاقات طيبة مع الآخرين أما إذا أخذ باقتراحه ووضع موضع التنفيذ ، دل ذلك على ما لديه من ذكاء وقدرة على القيادة . فقوة كل متغير من متغيرات الشخصية يمكن إذن أن تقدر فى ضوء هذه الاختبارات والمواقف وهذه جميعها تسمح لأفراد الهيئة تكوين صورة كلية متعددة الجوانب عن شخصية الفرد ، ومن ثم التنبؤ بنجاحه أو فشله فيما سوف يوكل إليه من أعمال بعد ذلك .

هذا وقد أشار فيرجسون إلى بعض المتطلبات الهامة التى يجب مراعاتها فى اختبارات المواقف ومن أهمها :

١ — أن يكون للعمل عدة حلول على نحو ما يتضح مثلا فى اختبار النهر الذى يمكن حله عن طريق بناء كوبرى أو استعمال حبال أو عمل عوامات بربط أشجار أو ألواح خشبية ، وهنا يراعى سهولة العمل الذى اختاره الفرد وقدرته على تنفيذه .

٢ — أن يكون العمل من النوع الذى يلزم المفحوص أن يكشف عن استعداداته وقدراته البارزة .

٣ — أن يكون العمل من النوع الذى يتطلب تفاعل الجماعة قدر الإمكان

٤ — أن يكون العمل من النوع الذى يتطلب تناسق عدد من مكونات الشخصية .

٥ — أن يناقش الشخص المتقدم للعمل فى أدائه بعد كل موقف

٦ — أن يكون لدى الهيئة بالطبع الوقت الكافى للمناقشة فيما يختص بنتائج تقدير كل فرد .

(ب) اختبارات الأداء التى تستند إلى التجريب :

ومجال هذا النوع الثانى فى دراسات الشخصية ضيق ومحدود نسبياً إذا قيس بمجالات أساليب أخرى كالاستفتاءات والاختبارات ومقاييس التقدير وغيرها. ولعل مرجع ذلك هو صعوبة المعالجة بالأساليب التجريبية وضبط المتغيرات بدقة ومراعاة شروط التجربة بالمعنى الدقيق. ولكن ليس معنى ذلك أن مجال دراسة الشخصية قد خلا كلية من الأساليب الأدائية التجريبية الدقيقة. فقد أجريت بعض التجارب من هذا النوع فى دراسة الشخصية، ولكن عددها قليل نسبياً. وسوف نعرض لنموذج من هذه الدراسات التى تستخدم أسلوب التجريب فى الدراسة ونعنى بها دراسات أيزنك التى أجراها على العصابيين والأسوياء وعلى حالات الانطواء والانبساط والتى حاول فيها بطريقة تجريبية معرفة الفروق بين هذه المجموعات. وقد عرض لبعض هذه الدراسات فى كتابه أبعاد الشخصية (١) وهذه الدراسات تقوم على افتراض أن العصابيين المشخصين إكلينيكيا، يختلفون عن غير العصابين المشخصين إكلينيكيا و/ أو أن المنطويين المشخصين إكلينيكيا (وقد أطلق عليهم إسم Dysthymics (٢) يختلفون عن المنبسطين المشخصين إكلينيكيا، (أو مجموعة الهستيريا hysterics) وسوف نورد باختصار بعض ما قدمه أيزنك ومساعدوه فى هذا الصدد.

---

(1) Eysenck J. H : Dimensions of Personality. London. Routledge & kegan Paul LT, E 6th ed 1966.

(٢) Dysthymia : مصطلح رأى أيزنك استعماله للدلالة على الحالات التى تتصف بزملة أعراض هى القلق والاكتئاب الرجعى reactive depression والنزعات الوسواسية وفى موضع آخر (أبعاد الشخصية ص١٩) يقترب من فكرة يونج فى تقسيم العصابيين على محور أحد طرفيه الهستيريا والطرف الآخر حالات السكاثنيا (أو الدايزثيميا) وعلى العموم فهى حالات تتميز بالاكتئاب الانفعالى والانطواء .

١ — النشاط التلقائي (إفراز اللعاب) Autonomic Activity

أوضحت أبحاث إبنجر وهس Eppinger & Hess وجود ارتباط عالٍ بين نشاط الجهاز العصبي التلقائي ونمط الشخصية . ومن أهم النواحي التشخيصية لهذا العامل هو مقدار اللعاب المسال . وقد قام أيزنك بقياس مقدار اللعاب المسال تحت ظروف مختلفة كالقراءة والراحة والإجهاد الذهني وتخيل الطعام وأثناء القيام بإجراء اختبار « تآزر العين واليد » وكان المنهج المتبع هو ذلك الذي وضعه لاشلي ،وهو استقبال اللعاب بأدوات خاصة تمكن من قياسه في وحدة زمنية معينة .

وقد اختبر أيزنك مجموعة من العصابيين : حالات هستيريا ١٢ من الإناث و١٢ من الذكور . ومجموعة من حالات القلق والاكتئاب (دايزتيميا)٣٦من الذكور ، ثم مجموعة من الذهانيين : ١٣ فصامي ، ١١ يعانون اضطرابات انفعالية .

وكانت نتائج الدراسة محددة للغاية . ففي كل فترة من الفترات التجريبية ، كان مقدار اللعاب المسال عند مجموعة القلق والاكتئاب (الدايزتيميا) أقل منه عند مجموعة الهستيريا . إذ كانت النسبة بين مقدار اللعاب المسال عند حالات الهستيريا إلى مقداره عند حالات الاكتئاب والانطواء (الدايزتيميا) هي ١ : ٤١ر٠ . كما حصل على نتيجة مماثلة بالنسبة للحالات الذهانية حيث كانت نسبة إفراز اللعاب عند الفصاميين إلى مقداره عند حالات الاضطراب الانفعالي هي ١ : ٣٦ر٠

ويقول أيزنك في تفسيره لهذه النتائج إنه قد يبدو من المقبول افتراض أن حالات القلق والإكتئاب تكشف عن استجابات انفعالية أكثر من حالات الهستيريا بالنسبة للمثيرات غير السارة والمخيفة نوعاً ما . ومثل هذه

الخبرة الانفعالية تميل إلى أن يكون لها تأثيراً كافاً على إفراز اللعاب . وبذلك يمكن أن نقدم تفسيراً واضحا لنقص إفراز اللعاب عند حالات الدايزتيميا عنه عند حالات الهستيريا (أيزنك ص ٩٥) .

٢ — الرؤية فى الظلام . Dark Vision

والوظائف الحسية من النواحي التي يتوقع لها أن تكشف عن فروق بين العصابيين وغير العصابيين . فقد وجد سلاتر Slater - بالنسبة لكل من الحدة السمعية والبصرية — أن ثمة فروقاً واضحة بين العصابيين والعاديين . فقد كانت درجات العصابيين أقل من درجات المجموعة الضابطة المتكافئة معها فى السن والذكاء والمركز الاجتماعى .

وقد اهتم أيزنك على وجه الخصوص بناحية القدرة على الرؤية فى الظلام، ففحص ٩٦ مريضاً عصابياً بواسطة جهاز وضعه ليفنجستون وهو مصمم لاختبار القدرة البصرية فى الليل . وهو على هيئة شكل سداسى يمكن إدارته بحيث يمكن عرض جوانبه المختلفة على المفحوص . وهناك عدد من الأحرف أو الأشياء مجموعها ٩٦ حرفاً وشكلا يمكن عرضها . والأحرف موضوعة فى أشكال مختلفة . أما الأشياء فهى تخطيطات أو رسوم لمراكب أو طائرات أو خطوط متوازية . ويتضمن الإعداد للاختبار ٣٠ دقيقة يلبس فيها المفحوص منظارات قاتمة تسمح فقط بمرور ٣.٪ من الضوء ، يلى ذلك وضع الشخص فى غرفة مظلمة تماماً لمدة عشر دقائق يوضح خلالها تفاصيل الاختبار بدقة . ويسجل المفحوص شرحه وتفسيره للاشكال والحروف بواسطة بطاقات خاصة من نوع طريقة برايل .

وكان من بين العصابيين الذين أجرى عليهم أيزنك اختباراته ٣٦ يعانون من حالات قلق ، ٣٣ يعانون من حالات اكتئاب و٢٧ هستيريا . وكانوا جميعاً

جميعاً نزلاء بإحدى المستشفيات يتناولون فيها غذاءهم . كما لم يكن أى واحد منهم يعانى من عيوب بصرية ملحوظة .

وقد قورنت نتائج هؤلاء باستجابات ٦٠٦٢ موظفا من سلاح الطيران البريطانى أجرى عليهم الاختبار بنفس الجهاز وتحت نفس الظروف . وكان متوسط العصابيين هو ١ر٧ ومتوسط العاديين ٣ر١٩ . وواضح أن الفرق بين المجموعتين دال إحصائياً .

وقد تمايزت المجموعة العصابية فيما بينها . فكان متوسط درجة حالات القلق هو ٩ر٧ ومتوسط درجات حالات الهستيريا ٧ر٨ . ويقول أيزنك إنه بترتيب هذه المجموعات العصابية الثلاثة حسب قائمة ستدمان Stedman نجد أن ٨١ ٪ من حالات القلق كانت دون المتوسط ، فى مقابل ٦٧ ٪ من حالات الاكتئاب و ٦٣٪ من حالات الهستيريا. وأنه إذا نظرنا للمجموعة العصابية ككل ، فإن ٧٢ ٪ من أفرادها كانوا دون المتوسط . ولعل هذه النتائج تكشف فى نظر أيزنك عن أن حالات القلق أشد إعاقة على وجه الخصوص فى اختبارات القدرة على الرؤية فى الظلام .

والرؤية فى الظلام ليس فقط تميز بين العصابيين والعاديين ، بل وأيضاً — كما يذهب أيزنك — بين حالات العصاب الأشد مرضاً وحالات العصاب الأخف مرضاً . فقد قارن بين ٥٠ رجلا ممن حصلوا على تقديرات منخفضة (٤ درجات فأقل) و ١٣ رجلا ممن حصلوا على درجات مرتفعة على مقياس الرؤية فى الظلام (١٩ فأكثر) وذلك بالنسبة للعديد من الفقرات ،ووجد الفروق دالة إحصائياً بين المجموعتين (أيزنك ص ٩٧) .

٣ — مستوى الطموح : Level of Aspiration.

قد تتساوى قدرات شخصين فى مجال من المجالات ومع ذلك يضع أحدهما لنفسه مستويات عالية جداً من الطموح ،بينما يضع الآخر لنفسه

مستويات أدنى بكثير . ومن هنا ، فعند تقديرهما لأدائهما فى عمل ما ، قد يختلفان اختلافا ملحوظا إذ يميل أحدهما إلى التقليل من قدرته على التحصيل والأداء ، بينما يزيد الآخر من قدرته على التحصيل والأداء . وطرق إحداث التكامل بين القدرة والتحصيل وبقية نواحى الشخصية تعتبر ذات أهمية بالنسبة لعالم النفس . وقد أفادت الدراسات التى من هذا النوع فى فهم ديناميات سلوك الفرد ورسم أهدافه .

ودراسات مستوى الطموح قد بدأت حديثاً نسبيا عند هوب (١٩٣٠) ودمبو (١٩٣١) وفرانك (١٩٤١) وروتر (١٩٤٢) وليفين (١٩٤٤) وأيزنك وغيرهم . ومن الاختبارات التى تستخدم فى دراسة مستوى طموح الفرد اللوحة المعروفة باسم لوحة الثقوب وهى لوحة مربعة بها ١٠٠ ثقب ١٠×١٠ ثم عدداً من المسامير أو القطع الحديدية الرفيعة التى يمكن وضعها فى هذه الثقوب وبسرعة وتتلخص طريقة العمل فيما يلى :

يخبر المفحوص بالدرجة العظمى التى يمكن لفرد ما الحصول عليها ، أى عدد المسامير التى يمكن لفرد ما أن يضعها فى الثقوب التى باللوحة الخشبية خلال فترة زمنية معينة ولتكن دقيقة . ثم نسأله كم مسماراً يستطيع هو وضعها خلال هذه الفترة الزمنية ، ونسجل هذا التقدير ثم ندعه يعمل بأقصى سرعة . وبعد انتهاء الزمن المحدد نسجل العدد الذى تمكن المفحوص من وضعه فى الثقوب بالفعل ، ثم بعد ذلك نسأله — وفى ضوء هذه النتيجة التى وصلت إليها بالفعل — كم مسماراً يمكنك وضعها فى المرة التاليه . ونسجل العدد الذى يذكره ثم ندعه يعمل بأقصى سرعة ونسجل النتيجة الفعلية التى وصل إليها . وهكذا يستمر العمل بهذه الطريقة عشر مرات على الأقل ، وفى كل مرة نسجل الحكم أو التقدير ثم نسجل الأداء الفعلى .

وفى العادة لا يعطى اهتمام لدرجة مستوى الطموح الأولى على أساس أن الشخص قد أعطاها جزافاً وهو يجهل ما يمكنه أداؤه بالفعل فى الاختبار. ولذا فإن هذه الدرجة لا تدخل فى الحساب .

وقد لاحظ أيزنك من النتائج التى وصل إليها أن مستوى الطموح لدى حالات القلق والاكتئاب (الدايزتيميا) يكون أعلى بكثير من أدائه الفعلى وأنه يظل ثابتا تقريباً على قيمة واحدة ، وأن درجة حكم الشخص على مستوى الأداء الذى بلغه فى المحاولة يكون أقل من درجة الأداء الفعلى فى هذه المحاولة. أما بالنسبة لحالات الهستيريا فإن مستوى الطموح يكون أعلى بقليل جداً من درجة الأداء الفعلى ، وأن درجة حكم الشخص على مستوى الأداء الذى بلغه فى المحاولة ، يكون أقل بقليل جداً من درجة الأداء .

هذا وقد أشار أيزنك إلى بعض المتغيرات الهامة فى هذا الصدد :

١ — درجة تباين الهدف : وهى الفرق بين الأداء الفعلى فى محاولة معينة والأداء المتوقع أو مستوى الطموح بالنسبة للمحاولة التالية . ويكون الفرق موجبا إذا كانت درجة الطموح أو الأداء المتوقع أعلى من درجة الأداء الفعلى . ويكون سالباً إذا كان مستوى الأداء المتوقع أقل من الأداء الفعلى . فإذا حصل شخص ما على ٤٩ درجة مثلا فى المحاولة الثانية، وكان توقعه للاداء فى المحاولة التى تليها هو ٥٥ ، فإن درجة تباين الهدف تكون فى هذه الحالة هو + ٦ .

٢ — درجة تباين التحصيل : وهى الفرق بين مستوى الأداء الفعلى الذى وصل إليه الفرد ومستوى الأداء المتوقع لنفس هذه المحاولة . وتكون الدرجة موجبة إذا كان الاداء الفعلى أعلى من الاداء المتوقع أومن الطموح وتكون سالبة إذا كان الطموح أعلى من الاداء الفعلى. فالشخص الذى توقع الوصول

إلى ٥٥ درجة ، ولكنه حقق فقط عند الاداء الفعلى لهذة المحاولة، ٤١ درجة فإن درجة تباين التحصيل تكون عنده فى هذه الحالة هى — ١٤ .

٣ — درجة تباين الحكم : وهى الفرق بين الاداء الفعلى فى محاولة ما وحكم الشخص على مستوى الاداء الذى بلغه فى هذه المحاولة . فإن كان حكمه أعلى من الأداء الفعلى ، بمعنى أنه كان فى إمكانه إحراز أداء فعلى أكبر ، كان الفرق موجبا . أما إذا كان الأداء أعلى من الحكم ، فإن الفرق يكون سالبا . وبذلك يمكن القول بأن درجة تباين الحكم عند حالات الدايز تيميا هى باستمرار سالبة نظراً لميل هذه الحالات إلى التقليل من تقديرها لادائها الفعلى . أما درجة تباين الحكم عند الهستيرى فهى أحيانا موجبة وأحيانا سالبة ، نظراً لميله إلى التقليل أحيانا أو الزيادة أحيانا أخرى من تقديره لأدائه الفعلى .

٤ — درجة التباين الوجدانى : وهى الفرق الذى نحصل عليه من طرح تباين الحكم من تباين الهدف بمعنى أن نحسب أولا الفرق بين مستوى التحصيل المتوقع وآخر أداء فعلى سابق ، ثم نطرح منه الفرق بين الأداء الفعلى لهذه المحاولة الأخيرة وحكمه على مستوى هذا الأداء . والشخص الذى تكون درجة تباينه الوجدانى مرتفعة ، فمن المفترض أنه غير قادر على الاحتفاظ بطموحه وحكمه على اتصال بالواقع الذى يتمثل فى أدائه الفعلى .

وثمة مقياسان آخران يمكن إستخدامهما وهما :

٥ — دليل المرونة : وهو « مجموع التغيرات فى مستوى الطموح أثناء إجراء الاختبار » . فهو يمثل نزعة الفرد إلى تغيير مستوى طموحه . ويحسب هذا المجموع بصرف النظر عن اتجاه التغير فى درجات الطموح . كما أنه لا يمايز بين تغيرات مستوى الطموح التى تحدث بعد النجاح ، وتلك التى تحدث بعد الفشل . . .

٦ — دليل الميل للاستجابة : ويقوم أساساً على ميل معظم الناس إلى رفع مستوى طموحهم بعد النجاح وخفضه عقب الفشل . ويمكن استخراجه بحساب عدد المرات التي ترتفع فيها مستوى الطموح عقب النجاح ، والتي ينخفض فيها عقب الفشل ، والمحاولة الناجحة هي بالطبع محاولة يتساوى فيها الأداء الفعلي ، أو يفوق ، الأداء المتوقع . أما المحاولة الفاشلة فيكون فيها الأداء الفعلي دون الأداء المتوقع .

وقد أجرى ايزنك تجاربه على مجموعة من المرضى المجندين تتألف من ٥٠ هستيريا و ٥٠ من حالات الديز تيميا، وساوى بينهم في السن والذكاء والقدرة على أداء الاختبار وقارن بين المجموعتين فيما يتصل بمستوى الطموح والأداء الفعلي ودرجة الحكم على الأداء الفعلي . وبالمقارنة بالأداء الفعلي ، كانت درجات مستوى الطموح عند حالات الهستيريا أعلى منها عند حالات الدايز تيميا ، بينما كانت درجات الحكم عند الهستيريين منخفضة إذا قورنت بمثيلاتها عند حالات الدايز تيميا ، كما كانت الفروق دالة احصائيا . كما وجد ايزنك أيضاً عند مقارنة درجات الميل للاستجابة أن الهستيريين أكثر جموداً وأقل ميلا التعديل أثناء التجربة من حالات الدايز تيميا ، كما كانوا أقل مرونة على نحو ما هو متوقع .

وقد أجرت هملوايت Himmelweit (١٩٤٥)(١) بحثا آخر مستخدمة اختبار التخريم Punch Test على ٣٤ من الذكور و ٣٥ من الأناث من حالات الدايز تيميا و ٢٩ رجلا و ١٩ امرأة من حالات الهستيريا ، ووجدت أن درجات تباين الهدف أعلى عند حالات الدايز تيميا بالنسبة لكل من الرجال والنساء على حد سواء . وكذلك التباين الوجداني عندهم أعلى مما هو

---

(1) Ibid p. 160.

عليه عند حالات الهستيريا ، وأخيراً كانت مجموعة الدايزتيميا أكثر جموداً من الهستيريين فى اتجاههم نحو النجاح والفشل ، ولم تكن هناك فروق ملحوظة بين المجموعتين فيما يتصل بتباين الحكم

وقد ناقش ايزنك أيضاً مسألة الحافز القوى وعلاقته بمستوى الطموح . فبعد إجراء الاختبار وتسجيل نتائجه باسبوع ، أعاد ايزنك الإجراء على المجموعتين ووعد كل فرد منهم بجائزة سخية إذا تجاوزت درجتهم فى الإعادة درجاتهم فى الاختبار الأول بثلاثين درجة . وقد كشفت النتائج أن متوسط الأداء الفعلى قد ارتفع بشكل دال عند حالات الدايز تيميا ، بينما لم تتضح أية فروق ذات دلالة عند حالات الهستيريا ، كما أن التباين الوجدانى كان أعلى فى الاختبار الثانى عند حالات الدايزتيميا ،بينما كان أقل عند حالات الهستيريا . وأخيراً كان تباين الحكم فى الاختبار الثانى منخفضا بشكل ملحوظ بالنسبة لحالات الدايز تيميا ، وأعلى بدرجة ملحوظة عند حالات الهستيريا . (ايزنك ص ١٢٨)

وفى دراسات أخرى أضاف ايزنك إلى مجموعتيه مجموعة سوية تتكون من ٢٠ جندياً و ٢٣ ممرضة وأجريت عليهم نفس الاختبارات وقد كشفت النتائج عن الآتى :

١ — أن أداء العاديين من الجنسين أعلى بكثير من أداء العصابين من الجنسين .

٢ — أن المجموعة العصابية قد كشفت عن فروق بين الأفراد فى كل الدرجات ، أكبر مما وجد عند العاديين .

٣ — أن المجموعة العصابية — ذكوراً وإناثا — كشفت عن درجة تباين سالبة أقل بشكل دال مما وجد عند المجموعة العادية - ذكوراً وإناثا .

٤ — أن اختلاف العصابين على كل مقاييس التباين كان أكبر بشكل دال .

٥ — أنه بينما كانت معاملات الارتباط بين درجات تباين الحكم وتباين الهدف سالبة لدى العصابيين ، إذ بها موجبة لدى المجموعة العادية .

٦ - أنه بينما كانت معاملات الارتباط بين درجات تباين الحكم ودليل الميل للاستجابة موجبة لدى العصابين ، إذ بها سالبة لدى المجموعة العادية .

٤ - الايقاع الشخصى Personal Tempo

قامت بترى Petrie باختبار ٧٥ حالة من الذكور والإناث من حالات الدايز يتميا وحالات الهستيريا . واستخدمت لذلك إختبارات فى الطلاقة اللفظية فكانت تطلب فى المفحوص أن يعطى أكبر عدد ممكن من الاستجابات فى وقت محدد (دقيقة واحدة عادة) وكان عدد الاستجابات التى يعطيها الفرد تمثل درجته على الاختبار . والاختبارات الثمانية التى استخدمتها بترى هى .

(١) عدد الأشياء المستديرة التى يمكنه التفكير فيها .

(٢) عدد الطيور التى يمكنه تذكرها .

(٣) عدد الأشياء التى يمكن أن توجد على نقطة معنية فى صورة شجرة .

(٤) عدد الإستجابات التى يمكنه ذكرها عند عرض بطاقة ملونة من بطاقات اختبار بقع الحبر لرورشاخ على المفحوص .

(٥) عدد الأشياء التى يمكن أن توجد على نقطة معينة فى صورة ركن الشارع .

(٦) عدد الأشياء التى تأكلها والتى يمكن للفرد تذكرها .

(٧) عدد الاستجابات التى يمكن للمفحوص ذكرها عند رؤية بطاقة سوداء بيضاء من اختبار رورشاخ .

(٨) عدد الزهور التى يمكن تذكر أسمائها .

ولم تجد بترى أية فروق دالة بين المجموعتين .

أما نتائج دراسات ايزنك وتلاميذه بالنسبة للايقاع الشخصى أو سرعة الشخصية فيمكن تلخيصها على النحو التالى : إن المفهوم العام للسرعة الشخصية يبدو أنه يغطى مجالات مختلفة مستقلة نسبيا . فالسرعة التى يستجيب بها شخص ما لمثير ما (تجارب زمن الرجع) تمثل صورة واحدة من السرعة الشخصية . وثمة صورة أخرى تتجلى فى سرعة انتاج التداعى عند الفرد (تجارب الطلاقة) وهناك صورة ثالثة تتحدد بالوجبات التى يمكن للشخص اداءها بسرعات مختلفة . وسرعة أو بطئة النسبى تبدو مستقلة عن زمن رجعه أو عن طلاقته .

٥ — المداومة أو الاستمرار Perseveration

ظهر المصطلح لأول مرة عند السيكاترى نيزر Neisser (١٨٩٤)عند وصف الأعراض الإكلنيكية التى يتكرر حدوثها باستمرار وبشكل شاذ أو عند الاشارة إلى استمرار نشاط ما بعد أن يكون قد بدأ أو تم حديثا . ثم أضاف مولر وبلزيكر (١٩٠٠) عملية التداخل إلى عمليتى الاستمرار والتكرار اللتين تحدث عنهما نيزر . وقد حاول سبيرمان إدماج كل هذه العمليات فى مفهومه « القصور الذاتى » حيث الذكاء العام أو العامل g هو الطاقة العقلية الكاملة المناسبة للفرد ، وأن الاستمرار أو المداومة P هى القصور الذاتى لهذه الطاقة . وقد نظر إلى المداومة بأنها تتغير مستقلة عن الطاقة العقلية g .

وقد أشار ايزنك إلى خمسة أنواع يمكن أن تندرج تحتها أختبارات هذه الوظيفة العقلية :

١ — الاستمرار الحسى : والاختبارات التى تقع تحت هذه المجموعة تستند إلى الفكرة القائلة بأن الأفراد يختلفون بالنسبة لطول الآثار البعدية

للإستثارة الحسية . وأن هذه الفروق الفردية ترتبط إرتباطا وثيقا بالناحية المزاجية للفرد .

٢ — استمرار التداعي : ويتميز هذا النوع بميل الأفكار إلى التوارد لا إراديا إلى العقل عند استثارتها .

٣ — استمرار الجهد المبدع (الحركى) : وهذا النوع من الاختبارات يقيس السهولة التى بواسطتها يمكن للفرد تحطيم عادة قائمة عنده .

٤ — استمرار التناوب (حركى) : وهذا النوع من الاختبارات يقيس السهولة التى بواسطتها يقدر الفرد على القيام بعملين متضادين مستقلين وفى تناوب وتعاقب ، كأن يكتب الحروف س س س . . لمدة ٣٠ ثانية ، ثم ص ص ص . . لمدة ٣٠ ثانية ثم س ص س ص س ص . . لمدة ٦٠ ثانية .

٥ — نمط التحول فى الاستمرار : وهذا النوع من الاختبارات يقيس قدرة الفرد على التحول دون جهد من نشاط لآخر .

وقد قام ايزنك بتجارب أولية بسيطة على ٣٠ من حالات الهستيريا ذكوراً وإناثا ، ٣٠ من حالات الانطواء (الدايزتيميا) ذكوراً وإناثا . ولم تكشف هذه الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة احصائية من أى نوع فى اختبارات المداومة أو الاستمرار المختلفة . (ايزنك ص ١٥٤) .

٦ — المثابرة : Persistence

ومن السمات التى وجدت اهتماما كبيراً لدى الباحثين المثابرة . فنجاح الفرد أو فشله فى عمله يتوقف إلى حد كبير على قدرته على تحمل مواصلة بذل الجهد من أجل التحصيل رغم ما قد يصادفه من متاعب ومثبطات ، وقد وضع الباحثون أنواعا مختلفة من الاختبارات وطبقوها على مجموعات مختلفة من الناس . وبالاضافة إلى مقاييس المثابرة التى استخدمت لقياس نواحى مادية

(كاختبار قدرة الفرد على المثابرة والوقوف على اطراف أصابع القدم) ، أدخلت مقاييس أخرى من النوع الفكرى (كالإستمرار فى عملية القراءة رغم تداخل الحروف أو عدم وضوحها) .

وقد درس ايزنك هذا العامل مستخدما إختباراً بسيطاً للغاية هو أن يطلب من المفحوص أن يجلس على كرسى وأن يمد أحد رجليه على كرس آخر موضوع أمامه بشرط الأيمن كعب قدمه قاعدة الكرسى ،وأن تظل قدمه مرفوعة لمسافة بوصة مثلا فوق الكرسى ويطلب من المفحوص أن يحتفظ بهذا الوضع أطول مدة ممكنة ، ويحسب الزمن الذى يستغرقه الفرد فى هذا الوضع بالثوانى إلى أن تمس قدمه قاعدة الكرسى . وقد أعطت بترى هذا الإختبار لـ ٢٥ رجلا و ٢٥ امرأة من حالات الهستيريا و ٢٥ رجلا و ٢٥ امرأة من حالات الدايزتيميا فكان متوسط درجات حالات الهستيريا هو ١٤,٠ ثانية بانحراف معيارى قدره + ٩,٤ ثانية ، بينما كان متوسط درجات حالات الدايزتيمياهو٣٠,٨ ثانية بانحراف معيارى قدره ± ٢٥,٩ ثانية، كما كانت الفروق بين المجموعتين دالة على مستوى ٠,٠١ وتشير هذه النتيجة إلى أن حالات الهستيريا أقل مثابرة بشكل ملحوظ من حالات الدايزتميا . وقد علق ايزنك على ذلك بقوله أن هذه النتيجة تتفق والانطباع الإكلينيكى . فقد أشار كريبلين منذ أواخر القرن الماضى (١٨٩٩) إلى أن الهستيرين عادة يقومون على العمل الجديد بنشاط وطاقة كبيرة ولكن سرعان ما تفتر همتهم ويبدو عليهم الإجهاد والتعب ولا يبدون أى ميل إلى المداومة والاستمرار ، وينظرون إلى كل شيء جديد كما لو كان لعبة جديدة دون جدية ومثابرة (ايزنك ص ١٥٨) .

٧ — القابلية للإيحاء Suggestibility .

وفكرة القابلية للايحاء من الأفكار الوثيقة الإرتباط بكل من العصابية والانطواء — الإنبساط . وكانت مفاهيم الهستيريا والقابلية للايحاء من المفاهيم المتداخلة الممتزجة فى تاريخ الطب النفسى لدرجة أن البعض اعتبرهما شيئا واحداً . وقد أكد «بيير جانيه» — والذى كان له تأثير عميق على الأطباء العقليين — الرابطة الوثيقة بين القابلية للايحاء والهستيريا . بل إن من الممكن القول بأن الظاهرة الأكثر بروزاً عنه الهستيرى هى سرعة وسهولة تقبله للايحاء وقد نمى بابنسكى هذه الفكرة .

وإذا كانت هذه الفكرة قد بدأت فى فرنسا وشاعت فى انجلترا ، إلا أن تأثيرها أصبح عاماً وشاملا فقد أكدها ماكدوجل وجاكوب ومورتن برنس وروزانوف وبابنسكى وشافر ومورجان وغيرهم .

وقد أخذت محاولات تحقيق الارتباط الوثيق بين الهستيريا والقابلية للايحاء فى العادة صورة مقارنه مجموعات من التلاميذ الذين تعرف درجاتهم على مقاييس الانطواء والانبساط وسرعة تقبلهم للايحاء على نحو ماتقاس باختبار «ميل الجسم» لـ «هل» «Hull's body-sway test» وغيره من الاختبارات المشابهة . وقد جاءت النتائج متناقضة . فبينما وجد البعض ارتباطاً موجباً عالياً بين الانبساطية والقابلية للايحاء ، إذ وجد البعض الآخر علاقات سالبة منخفضة ، بينما وجد البعض الثالث ارتباطات غير دالة إحصائياً . وقد علق إيزنك على هذه النتائج بقوله : إن هذا ليس غريباً فى ضوء الأعداد الصغيرة جداً التى أجريت عليها هذه الدراسات . كما أن الاستفتاءات التى استخدمت لم تكن أدوات بحث ثابتة .

وكما درست العلاقة بين الانبساطية والقابلية للإيحاء ، فكذلك درست العلاقة بين هذه الأخيرة وبين العصابية . وقد أشار إيزنك إلى دراستين قامت

بهما «بارتلت» حيث قارنت فيهما العصابيين والعاديين بالنسبة للقابلية للإيحاء في اختبار «حركة ميل الجسم». وفي دراستها الأولى قارنت ٢١ عصابيا و ٢٦ عاديا وانتهت إلى أن العصابيين ليسوا أكثر قابلية للإيحاء من العاديين. وفي دراستها الثانية قارنت نتائج ٢٦ عصابياً و ٢٠ عادياً. وانتهت إلى أنه قد يبدو أن ثمة علاقة بسيطة بين القابلية للإيحاء والميل للعصاب. ولكن رغم أهمية هذه الدراسة، إلا أن عينتها كانت صغيرة العدد ولا تكفي لتبرير نتيجة بعيدة الأثر كهذه. ولهذا فإن الصورة ليست واضحة بين متعلقات الشخصية والقابلية للإيحاء.

وقد أشار إيزنك إلى أنواع ثلاثة من القابلية للإيحاء:

١ – القابلية للإيحاء الأولية: وهي من النوع الفكري الحركي وتتميز اختباراتها بقيام المفحوص بتنفيذ حركة ما، نتيجة قيام الفاحص بإيحاء لفظي متكرر بأن مثل هذه الحركة سوف تحدث ودون أن يشارك المفحوص شعوريا في القيام بهذه الحركة، وقد استخدم ايزنك مقاييس بسيطة لقياس القابلية الأولية للإيحاء هي:

(أ) اختبار البندول الكاشف لشفريل Chevreul وفيه يعطي المفحوص خيطا مثبت في طرفه ثقل صغير. ويطلب من المفحوص أن يمسك بالخيط معلقا ثابتاً فوق نقطة محددة على منضدة موجودة أمامه. وطوال التجربة يردد الفاحص أن الخيط يتأرجح جيئة وذهابا وأنه ليس ثابتا فوق النقطة. أما مدى التذبذب الذي يحدث للخيط، فإنه يعتبر مقياسا لقابلية الفرد للإيحاء.

(ب) اختبار حركة ميل الجسم لـ «هل»، وفيه يطلب من المفحوص أن يقف هادئا وفي حالة راحة مغلق العينين. وبينما يقف على هذه الحالة، يأخذ الفاحص يردد قوله «أنت تميل إلى الأمام. أنت تميل إلى الأمام»، ويقاس

مقدار ميل الفرد الناتج عن الايحاء ، ويكون بمثابة درجة الشخص فى القابلية للايحاء .

(ح) اختبار الضغط والتخفيف لأيزنك وفربنان وفيه ينام المفحوص على كتفيه . وبيده كرة صغيرة من المطاط . وفى الجزء الأول من الاختبار يطلب اليه أن يمسك الكرة تماما كما يمسك بها الآن . ولكن الإيحاءات تبدأ ترد إليه بأنه يضغط على الكرة ويقاس مقدار الضغط وتكون بمثابة درجة المفحوص ، وفى الجزء الثانى يطلب من المفحوص أن يضغط على الكرة بأقوى ما يمكنه ، ثم يوحى اليه بأن قبضة يده فى حالة ارتخاء .

وتقاس القابلية للايحاء بمقدار التغير فى الضغط .

٢ — القابلية للايحاء الثانوية : وهى نوع من العمل غير المباشر ، ويحاول الفاحص أن يكوّن لدى المفحوص إستعداداً لإدراك مثيرات معينة وبحيث يعطيه انطباعا خادعا يؤثر فى إدراكه .

ومن اختبارات هذا النوع اختبار بينيه للخطوط أو الأوزان المتتابعة ، وتقوم فكرة الاختبار على أساس أن يطلب من المفحوص أن يميز بين أوزان أو خطوط متتابعة ويبين ما إذا كان هذا أخف أو أثقل ، أطول أو أقصر من الآخر ، وفى العادة يقدم للمفحوص حوالى ١٥ مثيراً فى نظام يسير على أساس أن الخمسة مثيرات الأولى منهـا مختلفة الوزن أو الطول ، وتسير فى نفس الإتجاه (أى متزايدة فى الوزن أو متزايدة فى الطول) ، وبذلك يتكون لدى الفرد اتجاها أو توقعا بأن الأوزان أو الخطوط العشرة التالية — والتى هى من الناحية الموضوعية متساوية فى الوزن أو الطول — سوف تسير فى نفس الإتجاه الذى سارت فيه الأوزان أو الاطوال الخمسة الاولى . وتحسب درجة المفحوص فى القابلية للايحاء بعدد الاوزان أو الاطوال المتساوية موضوعيا والتى يقول عنها الفرد بأنها أثقل أو أطول من التى سبقتها .

ومن هذا القبيل أيضاً اختبار الصور لهويبل Whipple والذي يتضمن القيام بعمليات التصور والتخيل ، وفى هذا الإختبار يعرض الفاحص صوراً ويطلب من المفحوص أن يجيب عن أسئلة عديدة تتصل بهذه الصور . وبعض الاسئلة إيحائية تتصل بأشياء لا وجود لها فى الصورة ، مثل مالون القطة التى تراها عندقاعدة النافذة التى بالصورة ، فى الوقت الذى لاوجود فيه على الإطلاق لأية قطة .

٣ — إيحاء التقدير : والسمة البارزة لاختبارات هذا النوع هى التغير فى اتجاهات المفحوص حين نخبره باتجاهات مغايرة لأشخاص آخرين يقدر هو آراءهم ،أو برأى الخبراء والرؤسا. فى هذا الموضوع ، ثم نطلب اليه أن يعيد النظر فى رأيه الشخصى . ودرجة انحرافه عن رأيه الاصلى نحو رأى الاغلبية أو الخبراء أو الرؤساء تعتبر مقياسا لإيحاء التقدير .

وقد أعطى إيزنك اهتماما كبيراً للقابلية للإيحاء الأولية والثانوية نظراً للتجارب العديدة والدراسات التى أجراها مختلف الباحثين . غير أنه وجد أن النوع الأولى أكثر ملاءمة لدراسة العصاب ولذا استخدمه بكثرة فى دراساته ، واهتم على وجه الخصوص باختبار حركة ميل الجسم لـ « هل » . فلقد أعطى الاختبار لـ ٩٠٠ رجل و ٣٣٠ امرأة من حالات العصاب فى الخدمة العسكرية وإلى ٦٠ رجلا و ٦٠ امرأة من غير العصابيين فى الخدمة العسكرية . وقدم إيزنك نتائج دراساته فى رسوم بيانية توضح توزيع درجات العصابيين الذكور والعصابيات الإناث ،والعاديين فى كل مجموعة منفصلة عن الأخرى . وكانت درجات القابلية للإيحاء تمثل مقدار ميل الجسم بصرف النظر عن اتجاهه إلى الأمام أو إلى الخلف ، وقد أمكن لإيزنك أن يرتب العصابيين فى ست مجموعات حسب درجة العصاب . وتمثل المجموعة الأولى الحالات الأقل عصابية والمجموعة السادسة الحالات الأشد عصابية ، والمجموعات المتوسطة الحالات

المتوسطة فى درجات العصاب . وقد وضع مجموعة سابعة أخف درجة فى العصاب من المجموعة الأولى وتمثل العاديين الموجودين فى الخدمة . والجدول التالى يمثل متوسطات القابلية للإيحاء ممثلا فى درجة ميل الجسم عند المجموعات العصابية والمجموعة العادية من الرجال والنساء .

مقدار حركة ميل الجسم المجموعة العادية والمجموعات الستة العصابية

المجموعة العادية والمجموعة العصابية مرتبة حسب درجة العصاب وشدته	الذكور		الاناث	
	العدد	المتوسط	العدد	المتوسط
المجموعة العادية	٦٠	١,٠٢	٦٠	١,١١
المجموعة العصابية الاولى	٥٤	٢,٥٣	١٣	١,٣٨
« « الثانية	١٣٢	٣,١٠	٥٤	١,٩١
« « الثالثة	٢٤٧	٣,٩٢	٩٠	٢,٧٤
« « الرابعة	٢٤٤	٤,١٧	١٠٠	٣,٤٠
« « الخامسة	١٥٤	٥,٠٠	٥٤	٣,٦١
« « السادسة	٦٩	٥,٥٥	١٩	٦,٨٢

ومن الجدول يتبين زيادة القابلية للإيحاء بدرجة ملحوظة كلما مررنا من العاديين إلى العصابيين المعتدلين إلى العصابيين الأشد مرضاً . فمن ١,٠٢ بوصة إلى ٥,٥٥ بوصة بالنسبة للرجال ، ومن ١,١١ بوصة إلى ٦,٧٢ بوصة بالنسبة للنساء . ولم تشذ حالة واحدة عن هذا الاتجاه . غير أن هذه النتائج لم تقم على أعداد كافية مع ذلك ، فهناك متوسطان مثلا أخذا على عدد من الحالات كانت أقل من ٥٠ حالة . ولكن يمكن القول بوجه عام أن الفروق واضحة بين متوسط ميل العصابى ومتوسط ميل العادى . فمتوسط ميل العصابى من الرجال كان ٤,١٨

بوصة ومتوسط ميل العادى من الرجال كان ١,٠٢ بوصة وكذلك كان متوسط ميل العصابيات من النساء هو ٣,١٢ بوصة، ومتوسط ميل العاديات منهن ١,١١ بوصة.

أما بالنسبة للفروق بين حالات الهستيريا والانطواء (الدايزتيميا)، فقد أمكن لايزنك باستخدام مقاييس التقدير الحصول على ٢٢٩ حالة نقية نسبياً من حالات الدايزتيميا و١٦٦ حالة نقية نسبياً من حالات الهستيريا من المرضى الذكور، كما أمكنه الحصول على ٨٠ امرأة من حالات الدايزتيميا و ٦٥ امرأة من حالات الهستيريا. وطبق عليهم اختباره، فكان متوسط درجة القابلية للإيحاء لدى الذكور من حالات الدايزتيميا هى ٤,٦٦ بوصة وللهستيريين ٣,٣٩ بوصة. وبالنسبة للإناث كان متوسط حالات الدايزتيميا هو ٣,٦١ بوصة ومتوسط حالات الهستيريا هو ٣,٠٩ بوصة. وقد استخدم طريقة الكا² فى تحليل النتائج (ايزنك ص ١٦١ — ٢٠٠).

والجدول التالى(١) يوضح عدد حالات الدايزتيميا وعدد حالات الهستيريا الذين وجدوا على التوالى فى المجموعات الخمسة التى صنفت إليها الحالات وهى: (١) متطرف فى تقبل الإيحاء (٢) لديه قابلية كبيرة لتقبل الإيحاء (٣) قابل للإيحاء. (٤) غير قابل للإيحاء. (٥) قابلية سلبية للإيحاء. وتشير النتائج إلى أن الفروق بين حالات الدايزتيميا والهستيريا يمكن أن ترجع إلى عامل الصدفة.

---

(1) H J. Eysenck: Dimensions of Personality. London. Routledge & Kegan Paul LT. 1947. p. 189.

	١	٢	٣	٤	٥	المجموع
حالات الدايزتيميا (ذكور)	٥٤	٤١	٥٦	٥٨	٢٠	٢٢٩
حالات الهستيريا (ذكور)	٢٦	٣٩	٤٤	٣٩	١٨	١٦٦
حالات الدايزتيميا (أناث)	١٦	٤	٢١	٣٣	٦	٨٠
حالات الهستيريا (أناث)	٩	٧	١٢	٣٣	٤	٦٥

كا٢ رجال ٤,٨٨٨
كا٢ أناث ٠,٤٠٢
عدددرجاتالحريه ٤

ويعلق ايزنك على هذه النتائج بقوله : إن المجموعة الوحيدة التى تبدو فيها الفروق محددة بين حالات الدايزتيميا وحالات الهستيريا هى المجموعة الأولى وهى الخاصة بالحالات المتطرفة فى القابلية للايحاء . وإذا نظرنا إلى الرجال والنساء معاً نجد أن ٢٢ ٪ من حالات الدايزتيميا و١٥ ٪ فقط من حالات الهستيريا تقع فى هذه المجموعة . والفرق دال (النسبة الحرجة ٢,١٢) . ومع ذلك ، لما كانت المقارنة مختارة من خمسة مقارنات ممكنة ، فإن من الممكن أن نستخلص فقط أنه رغم أن المسادة توحى بقوة بأن حالات الدايزتيميا أكثر قابلية للايحاء من حالات الهستيريا ، إلا أنها لم تثبت ذلك ، بل إنها ، فيما يبدو ، تدحض الرأى القائل بأن حالات الهستيريا أكثر قابلية للايحاء من حالات الدايزتيميا .

وإذا كنا قدأوضحنا بشىء من التفصيل دراسات ايزنك فى مجالاختبارات الأداء التى تستند إلى التجريب ، فإن هنالك دراسات أخرى كتلك التى قام بها

باركر وهرنجتون وسيرز وغيرهم(١) . وجميع هذه الدراسات توضح أن قياس متغيرات الشخصية يمكن أن يتم بالوسائل التجريبية . وليس ثمة شك أن التجارب التي من هذا النوع تحتاج إلى وقت طويل وجهد أكبر مما نجده في غيرها من الوسائل الأخرى التي سبق أن عرضنا إليها من قبل . ولكنها بالطبع يمكن أن تخضع لمقاييس الضبط التجريبي بشكل أوضح .

(1) Ferguson, W. L. Personality Measurement, New York, Mc Graw-Hill Book Company Inc. 1952 pp. 409-417.

الباب الثالث

نظريات الشخصية

الفصل السادس عشر

التحليل النفسى والشخصية

نظرية « فرويد » : (١٨٥٦ — ١٩٣٩)

إن من يتعرض لنظريات الشخصية ، عليه أن يبدأ بفرويد ، أو أن ينتهى به؛ فكما يعتبر فرويد أبو التحليل النفسي، فإنه يعتبر كذلك «أبو نظرية الشخصية. ذلك أن الغالبية العظمى ممن كتب فى هذا المجال ، قد بدأ من المقدمات المنطقية الأساسية التى أقامها فرويد ، على نحو ما نجد فى كتابات يونج وأدلر من قدامى المحللين النفسيين ، وكارن هورنى وسوليفان من المحدثين .

ولسنا فى حاجة إلى إيضاح أن التحليل النفسى قد أحرز انتشاراً واسعاً لدى علماء النفس ، بل ولدى غير المتخصصين فى هذا المجال . وإذا كان بعض علماء النفس يقفون منه موقف المعارضة والنقد الشديد ، إلا أنه قد شق طريقه أيضاً إلى مجالات أخرى غير علمية وفنية ، على نحو ما يتمثل فى كتابات كثير من الأدباء والفنانين فى العصر الحديث .

ورغم ما أثير حول التحليل النفسى ، وما وجه إليه من نقد ، فقد أمدت حركة التحليل النفسى ، علم النفس باتجاه دينامى فى دراسة الشخصية . فكتابات فرويد تعتبر إحدى المحاولات الحقيقية الهامة فى توكيد أثر خبرات الماضى - وبخاصة خبرات الطفولة المبكرة - فى تكوين الشخصية . فالشخصية فى نظر فرويد هى تنظيم نفسى أشبه بالبناء يتكون طبقة طبقة ، وترتكز طبقاته العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد .

ومادة التحليل النفسى وكتاباته لاحصر لها ومن المستحيل فى مثل هذا

المجال أن نقدم عرضاً وافياً لأعمال فرويد وكتاباته . ويكفي الإشارة إلى أن كتابات فرويد السيكولوجية تقع في أربعة وعشرين مجلداً في طبعتها الانجليزية التي نشرت في ١٩٥٣ . ولا يمكن بأي حال أن نقدم في فصل واحد صورة شاملة لنظريته . ولذا سوف نقصر أنفسنا على تقديم المبادىء الأساسية التي تقوم عليها أفكاره ونظريته في الشخصية .

وصف السلوك الإنساني عند فرويد :

تخضع شخصية الإنسان في نموها وتطورها من وجهة نظر فرويد لمجموعة من المبادىء أهمها :

١ — مبدأ اللذة :

يحتمل أن يكون الإنسان في نظر فرويد « حيوان باحث عن اللذة » . وليست اللذة هنا بمعناها الفلسفي الذي نجده لدى أنصار « مذهب اللذة » ، والذي يذهب إلى أن من « واجب » الإنسان البحث عن اللذة ؛ وإنما معناها عند فرويد هو أن الإنسان « تحركه » الرغبة في اللذة وتجنب الألم . ذلك أن السلوك يرجع في أساسه إلى حالة من التوتر المؤلم ، وأن الكائن الحي يهدف إلى الأشياء والأفعال التي تؤدي إلى خفض ذلك التوتر وبلوغ حالة التوازن : فالإنسان إذن يهدف بطبيعه إلى تجنب الألم وتحصيل اللذة .

وينظر فرويد إلى هذه التوترات على أنها فطرية ، ولكن يمكن أن ترتبط أيضاً بعديد من المثيرات خلال عملية التعلم . وهذه التوترات حالات أساسية ترتبط بإحساسات الألم ، وتسلك سبيلها الذي يهدف إلى خفض حدتها ، ومن ثم إلى تحقيق اللذة وكما يقول فرويد : « نحن نعتقد أن آية عملية معينة إنما تصدر عن حالة توتر مؤلم ، ومن ثم تحدد لنفسها السبيل الذي يتفق وهدفها النهائي من أجل خفض التوتر ، أعني بتجنب الألم أو إحداث اللذة » .

فمبدأ اللذة ينظر اليه إذن على أنه نزعة فطرية لدى الإنسان تحدد الأسلوب الذي به يخفض توتراته النفسية : ومن هنا ، فإن أشكال السلوك التي من شأنها أن تزيد من حدة هذا التوتر ، تكبت في اللاشعور، بينما يسهل عمل تلك التي تؤدي إلى خفض هذا التوتر .

وحياة الطفل الصغير ، وبخاصة في تلك السن التي يسعى فيها لإشباع غرائزه الأولية ، يسيطر عليها مبدأ اللذة . فهو يهدف فحسب إلى اشباع حاجاته الأولية وفي أي وقت يشاء ، من طعام وراحة وحنان . وقد يظهر لدى بعض الكبار أيضاً مثل هذا السلوك ، الذي يتمثل في عدم الترحيب بكبت الرغبة للإشباع المباشر لنزعاتهم وشهواتهم . وهؤلاء هم الذين نسميهم عادة « طفليين » ، فهم يخضعون ، كما يخضع الصغير ، لمبدأ اللذة .

وباختصار فإن الكائن الحي في هذا الوجود يهدف إلى جعل حياته سارة قدر الإمكان . وليس معنى ذلك أن فرويد كان يتلمس الأعذار لشهوات الفرد ولا أخلاقياته . ويسير مع فكرة جعل الحياة سارة قدر الإمكان ، فكرة أخرى هي أن الإنسان يجب أن يبحث أيضا عن تجنب الألم والخبرات المؤلمة . فإن واجه الفرد خبرات مؤلمة ، فعليه حلها ، وإن فشل في حلها ، فعليه أن يتجنب مواجهتها مرة أخرى إذا أمكنه ذلك .

٢ — مبدأ الواقع :

والمبدأ الثاني لتفسير سلوك الإنسان هو « مبدأ الواقع » . فالإنسان ليس فقط يبحث عن اللذة ، ولكنه أيضا مرتبط بحدود الواقع الذي يكشف له : « أنه في لحظة ما ، عليه أن يؤجل لذاته العاجلة المباشرة من أجل لذة أخرى آجلة أكثر أهمية من تلك العاجلة » ومن الواضح أن سلوك الكبار ليس محكوما على وجه التحديد بمبدأ اللذة . فهو ، وإن كان يبحث أيضا عن اللذة ،

إلا أنه واقعي فى بحثه ، بما يترتب عليه وجود تدرج فى مراتب اللذة فاللذات الأخيرة الآجلة التى تعتبر أكثر أهمية ، لها الأولوية على اللذات الراهنة العاجلة التى ينظر اليها على أنها أقل أهمية . فالمبدأ العام الذى يميز سلوك الكبار عن السلوك الطفلى حسب فرويد ، هو مبدأ الواقع ومؤداه : أن اللذة المباشرة أو تجنب الألم فى اللحظة الراهنة يمكن أن يؤجل من أجل لذة أكبر أو من أجل التخلص من ألم اعظم فى مناسبة أخرى مقبلة ، ولتأخذ مثالا بك فى تلك اللحظة التى تجلس فيها إلى مكتبك تقرأ هذه الصفحات . وبدون أن نذهب بعيداً فى الخيال ، يمكن القول بأنك ربما كنت تفضل فى هذا الوقت الذهاب إلى السينما أو الخروج مع بعض اصدقائك للنزهة أو القيام ببعض الأعمال التى تدر عليك بعض المال ، بدلا من الجلوس إلى مكتبك تطالع هذه الصفحات التى يفرض عليك مطالعتها وحفظها من أجل الامتحان مثلا . فما الذى يدعوك إذن إلى مواصلة الدراسة والمثابرة ؟ يجيب فرويد إن ذلك يرجع إلى إنك إنسان يحكمه مبدأ الواقع . فأنت ترغب فى الحصول على درجتك العلمية أو النجاح فى هذه المادة بتفوق : وهو هدف يربطك بهذه الصفحات بدلا من الذهاب إلى تحقيق رغبة مباشرة وعاجلة ، وربما كانت أكثر لذة . وعلى ذلك فنحن جميعاً نحس أن الحياة مرتبطة بقواعد وقوانين إذا اتبعت فسوف تحقق لنا لذات أخرى أكبر .

ومبدأ الواقع يعتبر مبدأ مكتسباً متعلماً ، وليس غريزياً نولد مزودين به وإذا كان الطفل يأتى إلى هذا الوجود مزوداً بمبدأ اللذة ، فإنه من خلال دروس الحياة وحسب ، ومن خلال التوجيه والتنشئة الإجتماعية ، يكتسب الإحساس بالواقع فى تعامله مع نفسه ومع البيئة .

وعلى ذلك يعتبر فرويد مبدأ اللذة ومبدأ الواقع قانونين ديناميين يحكمان سلوك الكائن الحي العضوى فالمطالب البسيطة المباشرة لإشباع الرغبات

الفطرية تميز سلوك الطفل الصغير ، وهذه يمكن أن توصف بواسطة مبدأ اللذة أما القدرة على تأجيل اللذات وتحمل المتاعب من أجل كسب أكبر فى المستقبل ، وإشباع الرغبات بأنشطة بديلة يوافق عليها المجتمع ، فهذه كلها تميز سلوك الكبار وتوضح مبدأ الواقع . وبالمثل فإن كل صور السلوك التى يقوم بها الكائن الحى الانسانى يمكن أن نفسر كحالات تخضع لهذا المبدأ أو ذاك .

ومن الواضح أن عملية خفض التوتر ترتبط ارتباطا وثيقا بالمبدأين السابقين ويتضح هذا الارتباط الوثيق عندما تتحقق ضرورة القيام ببعض الأعمال عند الانتقال بين هذين الطرفين المتباعدين: اللذة والواقع. فكما أن الشيء - فى علم الطبيعة والعالم المادى ، إذا جذب فى اتجاهين مختلفين متضادين يصبح فى حالة شد وتوتر ، فكذلك الإنسان يصبح فى حالة شد وتوتر وبنفس الطريقة ، إذا جذب أو شد إلى مجالين مختلفين فى وقت واحد. وسوف لا يحس الإنسان وهو فى هذه الحالة بالسعادة ، بل سوف يحس بالألم ، لأن الضغوط تمزقه وتشده وتسبب له التوتر والقلق . وطريقة تجنب هذه القوة المؤلمة هى خفضها أو إزالتها أو أن يكون الفرد من القوة بحيث تصبح الضغوط بالنسبة له ضعيفة نسبياً ويمكنه تحملها .

ولما كان الإنسان لا يمكنه إغفال ما ولد مزوداً به (مبدأ اللذة) ، ولما كان من الضرورى أن يواجه الواقع (مبدأ الواقع) ، فإن التوتر يصبح أمراً ضرورياً لوجوده . فمن الأمور الهامة بالنسبة له إذن هو أن يخفض توتره بأحسن طريقة ممكنة أو أن يستسلم ويخضع له .

٣ - مبدأ الثنائية أو الازدواج :

إن دراسة كتابات فرويد تؤدى بنا إلى القول بوجود قوتين متعارضتين

دائما فى حياة الإنسان . فكل شىء فى الحياة يظهر فيه هذا الازدواج . فهناك الصواب والخطأ ، والحسن والردىء والرجل والمرأة والحياة والموت ، والأبيض والأسود . والأعلى والأسفل ، والداخل والخارج ، والموجب والسالب ، إلى آخر هذه القوائم من الخصائص غير المتشابهة التى تزخر بها حياة الإنسان .

ونحن فى حياتنا اليومية نواجه باستقطابات واختيارات بين أفعال مختلفة. ولنتصور ما قد يحدث لنا أنفسنا فى يوم من الأيام . إن الفرد يبدأ يومه بقرارات أساسية : هل أقوم من مخدعى أو لا أقوم . هل أنام قليلا لأن النوم لذيذ ، أم أقوم من نومى حتى أستطيع الوصول إلى مقر عملى فى الوقت المناسب. فالقرار إذن إما أن أنهض أو لا أنهض . ثم بعد ذلك تأتى عدة قرارات أخرى : هل أنظف أسنانى الآن ، أم أتناول طعام الإفطار ، هل أذهب مع فلان هذا أم أذهب وحدى ، هل أفعل كذا أم لا أفعل ، إلى آخر ساعات اليوم التى تمتلىء بقرارات كثيرة من هذا النوع .

وعلى نحو ما يحدث فى مجال الشحنات الكهربائية للاقطاب الموجبة والأقطاب السالبة ، نجد أننا حين نقترب من القطب الموجب (ولتكن الأعمال الحسنة التى يقوم بها الإنسان) نكتسب خصائصها وتصبح لدينا شحنة إيجابية أكثر . ومن ثم يزداد إتجاهنا نحو هذه الأمور الحسنة . ولكن حسب قوانين الطبيعة فإن الأشياء المتضادة تتجاذب والمتشابهة تتنافر . وبالتالى فكلما اقتربنا من القطب الموجب أكثر وأكثر زادت القوى الطاردة مما يجعل الفرد يميل إلى العود نحو القطب الآخر كأن نحدث أنفسنا بأن هذا العالم الذى نعيش فيه ليس فيه مكان للرجل الطيب أو أنه عالم نفاق وأن الإنسان يجب أن يكون عمليا فى هذه الحياة ، يحيا كما يحيا الناس ويعاملهم كما يعاملونه ومن هنا تزداد

قوى الطرد ، ويجد الإنسان منا نفسه مدفوعاً نحو القطب الآخر السالب . ولكن كلما اقتربنا من هذا القطب السالب ، نجد قوى الطرد مرة أخرى تأخذ فى الازدياد نتيجة نظام القيم الذى لدى الفرد . فلا نقترب تماما من هذا القطب حتى ننجذب مرة أخرى تجاه القطب الآخر . وهكذا يظل الفرد فى حالة تجاذب وتنافر بين القطبين وهذا ما عبر عنه فرويد بقـــوله « هذه هى دورة الحيـاة » .

ولكن لماذا لا نبقى عند نقطة وسط فلا نكون مع هذا الطرف أو ذاك بل نبقى محايدين ؟ إن هذا بالتحديد هو ما يحاول الإنسان أن يفعله من أجل الإبقاء على حالة التوازن الداخلى ، ولكنه لا يستطيع أن يبقى محايداً بين جميع قوى الحياة . فالبيئة تتطلب منه أن يخرج من نقطة السكون هذه dead center كما أن الضغوط التى تفرض عليه لا يمكن إغفالها أو إنكارها وهذه الضغوط التى تصدر إما عن حاجاته العضوية أو عن المجتمع فى صورة مطالب عائلية أو مطالب العمل أو الضغوط الأخرى البيئية ، تضطر الإنسان أن يظل فى حالة عمل وليس فى حالة جمود فمن الأمور التى لا يمكن للانسان أن يتحملها أن يجمد كل نشاطه الجسمى أو العقلى ، ومن هنا كان التوتر أمراً مصاحباً للوجود وكان على الإنسان أن يعمل من أجل خفض هذا التوتر بأحسن طريقة ممكنة أو أن يستسلم ويخضع له .

٤ — مبدأ إجبار التكرار :

وفى هذا المبدأ يؤكد فرويد دور العادة وتكرار الخبرات فى سلوك الإنسان . فالإنسان يميل بطبيعته إلى تكرار الخبرات القوية الماضية التى يمر بها . فما أن يعتاد الإنسان على القيام بنشاط ما بطريقة معينه ، حتى يميل إلى تكرار هذا النشاط وبنفس الطريقة لدرجة تجعله يؤديه دون كثير من التفكير

الشعورى . فالإنسان فى نظر فرويد حيوان تسيره العادة . وطالما أنه يميل إلى تكرار كل ما هو ناجح ، فإنه كلما زاد تكراره له ، أصبح أسلوباً أكثر ثباتاً وجموداً فى حياته العادية . وبسبب أن هذا الأسلوب يصبح ثابتاً وجامداً ، فإن الإنسان يتبعه فى معالجة مشكلاته ومواجهتها ، سواء كانت نتيجة ذلك ناجحة تؤدى إلى خفض التوتر عنده، أم مؤلمة فتؤدى إلى زيادة هذا التوتر. ويذهب فرويد إلى أن هذا المبدأ أكثر تغلغلا وقدماً فى حياة الإنسان ، بالرغم من أنه قد يبدو معارضا لمبدأ اللذة الذى تقوم وظيفته على خفض التوتر النفسى إلى أقل درجة ممكنة .

بناء الشخصية :

تتكون الشخصية من ثلاثة نظم أساسية : الهو ، الأنا ، الأنا الأعلى . ورغم أن لكل جزء منها وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه ودينامياته وميكانزماته التى يعمل وفقالها ، إلا أنها جميعاً تتفاعل معا تفاعلا وثيقا بحيث يستحيل فصل تأثير كل منها عن الآخر وتقدير وزنه النسبى فى سلوك الإنسان فالسلوك هو فى الأغلب محصلة تفاعل هذه الأنظمة الثلاثة . ونادراً ما ينفرد إحداها بالعمل دون الآخرين . وسوف نوضح فيما يلى كل واحدة منها على حدة .

الهو : لقد كتب الكثير عن هذا المصطلح الذى وضعه فرويد . و «الهو» هو النظام الأصلى للشخصية والذى يعتبر أساسا لكل حياة إنسانية . فهو يوجد مع الإنسان منذ لحظة ولادته ، ويظل معه طول حياته . هو ذلك الجزء من النفس الذى يحوى كل ما هو موروث أو غريزى . كما يحوى العمليات العقلية المكبوتة التى فصلتها المقاومة عن الحياة النفسية الشعورية . إنه مستودع الطاقة النفسية ، كما أنه يزود العمليات التى يقوم بها النظامان الآخران بطاقاتها .

والهو يخضع لمبدأ اللذة فقط ، ولا يهتم بأى شيء آخر . إنه هذا الجزء الخام ، غير المرتب ، غير المهذب ، الباحث عن اللذة ، إنه الزاد الأساسي الذي يحرك الإنسان خلال حياته ، إنه لا يعرف قوانين ولا يخضع لقواعد ويبحث فقط عن شهواته . وعلى عكس الفكرة الشائعة العامة عن الهو بأنه كله شر ، وأنه مصدر خجل للانسان ، فإن الهو يحقق هذا العمل الهام الذى يحفظ حياة الإنسان وبقائها ، إنه القوة المحركة لوجود الإنسان ، وعلى الرغم من أنه وثيق الصلة بالعمليات الجسميه التي يستمد منها طاقته ، فإن « الهو » نظام نفسي حقيقي ، وليس له مكان مادى فى جسم الإنسان كالقلب والمخ وغيرها من الأعضاء .

ولا يمكننا أبداً أن ندرك الهو فى صورته الخام ، وربما كانت أقرب صورة للهو ، ما يبدو لنا فى دراسة الطفل الصغير أو فى سلوك الذهانى . فالطفل الصغير يسلك سلوكا أنانيا تماما ، يهدف إلى إشباع رغباته وتحقيق لذاته دون مراعاة لحاجات الآخرين ، فهو يخضع بحسب لمبدأ اللذة ، وكذلك الذهانى الذى يسلك كيفما يحب ويعجبه ، فسلوك الطفل والذهانى أقرب إلى ما يعنيه فرويد بمفهوم الهو » .

ويستخدم الهو فى تحقيق اللذة وتجنب الألم عمليتين هما « الفعل المنعكس » و « العمليات الأولية » ، والفعل المنعكس هو رد فعل طبيعى يؤدى إلى خفض التوتر مباشرة . أما العملية الأولية فتتضمن رجعا سيكولوجيا أكثر تعقيداً بعض الشيء ، وتحاول تفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل هذا التوتر ، وخير مثال للعملية الأولية أحلام النوم التى يعتقد فرويد أنها تمثل دائما تحقيق ، أو محاولة تحقيق ، رغبة ما . ولكن العملية الأولية وحدها غير قادرة على خفض التوتر ، فالجائع لا يأكل الصور الذهنية للطعام .

ولذلك تظهر عمليات جديدة ثانوية ، وعندئذ يبدأ تكوين النظام الثانى للشخصية وهو الأنا .

الأنا : ومن المفترض أن الهو فى صورته الخام ، إذا ترك لأساليبه الخاصة فقد يحطم نفسه ، فهو فى حاجة إلى ما يضبط طاقته ويوجهها نحو أكبر إشباع وبقدر ما تسمح به مطالب الحياة ، ودون أن يهدم نفسه ويحطمها . ويذهب فرويد إلى أن الأنا تحقق هذه الوظائف وتحققها جيداً . فالأنا تتبع مبدأ الواقع وتعمل وفق العمليات الثانوية . فإذا كان الهو يعمل وفق مبدأ اللذة ويستخدم العملية الاولية ، وتفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل التوتر ، إلا أن الكائن الحى يتطلب معاملات مناسبة وإشباع واقعى ، ومن ثم يفرق الأنا بين الأشياء التى توجد فى العقل والأشياء التى توجد فى العالم الخارجى . ومن هنا تطيع الأنا مبدأ الواقع الذى يعمل على الحيلولة دون تفريغ التوتر حتى يتم اكتشاف الموضوع المناسب لإشباع الحاجة . فمبدأ الواقع يرجىء مبدأ اللذة مؤقتا ، لأن مبدأ اللذة هو الذى سوف يخدم فى نهاية الأمر ، عندما يوجد الموضوع المرغوب فيه ، ومن ثم يخفض التوتر .

فالأنا إذن إمتداد للهو وغير مستقل عنه أبداً . والأنا هو الجزء المنظم وهو الذى يبحث فقط عن إيجاد مخارج تخدم أغراض الهو ، دون أن يترتب على ذلك تحطيمه ، وإذا أمكن اعتبار الهو الجزء العضوى للشخصية ، فإن الأنا هو جزؤه السيكولوجى . إن الانا يستمتع بكل الإشباعات التى يسمح للهو أن يستمتع بها أيضاً ، ولكنه يستمتع بها بذكاء وبتعقل فى ضبط واختبار وتقرير ما يشبع وكيف يشبع .

فالأنا إذن يخضع لمبـــدأ الواقع ، يفكر تفكيراً موضوعياً ومعتدلا

ومتمشياً مع الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها أما وظيفته فهي الدفاع عن الشخصية والعمل على توافقها مع البيئة ، وحل الصراع بين الكائن الحي والواقع أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحي . فالأنا هو ذلك الجزء المنظم من الهو . . . وهو يخرج إلى الوجود ليحقق أهداف الهو ولا يحبطها ، وأن كل قوته مستمدة من الهواء وليس له وجود مستقل عن الهو .

الأنا الأعلى : وهذا هو المكون الثالث لشخصية الفرد ، وهو مكون يقع في الطرف الآخر من الهو . والأنا الأعلى هو الأخير في عملية النمو لهذه الأبعاد الثلاثة للشخصية . إنه الممثل الداخلي للقيم التقليدية للمجتمع ، وهو شيء موجود داخل الفرد وليس خارجه . إنه مكون داخلي ، وليس مجموعة من القوانين الحاكمة . وعندما ينمي الفرد « أنا أعلى » داخل نفسه ، يكون حينئذ قد أصبح شخصية ناضجة . فالأنا الأعلى هو هذا الجانب الخلقي للشخصية . إنه مثالي ، وليس واقعياً . هدفه الكمال وليس اللذة . إنه هو الذي يقرر ما إذا كان نشاط ما حسناً أم سيئاً وفق معايير المجتمع التي يتقبلها . والقوانين الاجتماعية لا تعني شيئاً بالنسبة إليـــه مالم يتقبلها . ويتوحد معها .

وهذا الأنا الأعلى بوصفه الحكم الخلقي الموصل للسلوك ينشأ استجابة للثواب والعقاب الصادرين عن الوالدين . فالطفل لكي يحصل على ثواب الوالدين ويتجنب عقابهما ، عليه أن يتعلم أن يسلك حسب المعايير والقواعد التي يحددها الولدان . فكل ما يعاقبه عليه الوالدان ينزع إلى أن يُستدخل داخل ضميره ، الذي يمثل أحد شقي نظام الأنا الأعلى . أما كل ما يثيبانه عليه ينزع إلى أن يُستدخل داخل أناه المثلى ، الذي يمثل الشق الآخر من نظام

الأنا الأعلى . ويطلق على الميكانزم الذى تتم به عملية الاستدخال هذه اسم « الاستدماج » . فالضمير يعاقب الشخص بأن يجعله يشعر بالإثم، بينما أنا المثلى تثيبه بأن تجعله يشعر بالفخر بنفسه . وبتكوين الأنا الأعلى يحل الضبط الذاتى محل الضبط الصادر عن الوالدين .

ويمكن تلخيص الوظائف الأساسية للأنا الأعلى فيما يلى :

١ - كف دفعات الهو وبخاصة تلك الدفعات ذات الطابع الجنسى أو العدوانى ، حيث أن هذه الدفعات هى التى يقابل التعبير عنها من المجتمع بأشد صور الإدانة والرفض .

٢ - إقناع الأنا بإحلال الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية(١)

٣ - العمل على بلوغ الكمال ، أى أن الأنا الأعلى يميل إلى معارضة الهو والأنا معاً ، وإلى تشكيل العالم على صورته. إلا أنه يشبه الهو فى أنه غير منطقى . ويشبه الأنا فى محاولته ممارسة التحكم فى الغرائز . ويختلف الأنا الأعلى عن الأنا فى أنه لا يحاول فحسب إرجاء الإشباع الغريزى ، بل إنه يحاول الحيلولة دونه على الدوام .

الخلاصة . تلك هى النظم الثلاثة الأساسية لبناء الشخصيه ، ورغم أن خصائصها تكتسب وتناقش مستقله ، إلا أنها بالفعل ليست وحدات منفصلة فى الشخصية . فالهو والأنا والأنا الأعلى أنظمة متداخلة متشابكة بقوة فيما بينها فى كل ما يقوم به الإنسان . إن لكل منها وظيفته ، ولكن كلا منها لا يوجد أبداً مستقلا عن الآخرين فقط فى حالة الطفل الصغير أو فى حالة الذهانى يمكن أن نجد أحد هذه العناصر واضحاً بارزاً يعمل فى غير اعتبار الآخرين .

---

(١) ك. هول ، ج لندزى : نظريات الشخصية . ترجمة د. فرج احمد فرج وقدرى محمود حفنى ولطفى محمد فطيم . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٧١ ص ٥٦ .

ديناميات الشخصية :

ونظرية التحليل النفسى – ككل النظريات الدينامية تدور حول القوى أو الحوافز : فهى أساساً نظرية دافعية . والظواهر العقلية ينظر إليها على أنها نتيجة قوى متفاعلة يمكن أن تفهم من وجهة نظر تاريخيه . وبعبارة أخرى ، إن فرويد ينظر إلى الأحداث الراهنة باعتبارها نتاج نمو سابق تمتد جذوره إلى الماضى .

والمصطلح الذى استخدمه فرويد للدلالة على الطاقات أو القوى التى تستثير النشاط الإنسانى هو المصطلح الألمانى Trief والذى ترجم إلى اللغة الإنجليزية بالمصطلح instinct والذى يعرف فى اللغة العربية بالغريزة ولكن هذه الترجمة للمصطلح الألمانى أدت إلى الخلط فى فهم هذا المصطلح . فـ Trieb ، كما استعمله فرويد ، لا يتضمن معنى النمط الثابت غير القابل للتغير الذى يعنيه المصطلح instinct فتحت الظروف والتأثيرات البيئية يمكن للغريزة ، بمعناها فى المصطلح الألمانى ، أن تغير من أهدافها وموضوعاتها(١) .

ومفهوم الغريزة من المفاهيم الأساسية فى كتابات فرويد وتفكيره . ومعظم كتابات فرويد تمليها فكرته أن الإنسان ولد مزوداً بغرائز معينة . وليس ثمة مصطلح فى علم النفس أثار من الجدال والنقاش بين علماء النفس مثلما أثار مصطلح الغريزة . وقد ظهرت مواقف ثلاثة لحل هذه المشكلات التى أثارها هذا المصطلح إحداها إنكار المصطلح من أساسه ورفضه ، والثانى الدخول فى دوامة تعريف هذا المصطلح والوقوف عند هذا الحد ، والثالث استعمال المفهوم كمصطلح مساعد له قيمته فى التفكير التحليلى دون أن نلق الكثير من الاهتمام لوضع تعريف

---

(1) Shaffer. G.W. & Lazarus R. S. Fundamental Concepts in Chinical Psychology. N. Y. Mc. Graw-Hill. Book Company. 1952 p. 184.

محدد له . ولعل فرويد كان أقرب ما يكون إلى هذا الاتجاه الأخير حيث استخدم هذا المصطلح دون الوقوف عند وضع تعريف محدد دقيق له. وليس هذا بالأمر الغريب . فلقد كُتب الكثير جداً عن الشخصية قبل أن توضع تعريفات واضحة محددة لها .

ولقد صادر فرويد على وجود نوعين من الحوافز الإنسانية أو الغرائز ، وكلاهما بيولوجى فى طبيعته . أما النوع الأول فيتكون من الحاجات الجسمية البسيطة كالجوع والعطش والإخراج والتنفس . وهذه الحوافز أو الدوافع تستثيرها التغيرات البدنية التى تحدث داخل الكائن الحى العضوى . وإشباع هذه الحوافز أو الحاجات الأساسية أمر حيوى لبقاء الإنسان ، كما أن أهدافها لا يمكن تغييرها أو تعديلها . ولذا فإن الاختلاف بين الأفراد بالنسبة لهذه الحاجات قليل للغاية،ومن هنا فإنها تعد قليلة الأهمية نسبياً بالنسبة لعالم النفس.

أما المجموعة الثانية من الحوافز فهى تلك التى وصل إليها فرويد من دراسته للمرضى النفسيين . وهذه المجموعة الثانية يمكن تقسيمها إلى نوعين أساسيين : الأول غريزة الحياة (eros) وغريزة الموت (thanatos) . وقد قصر فرويد استعمال لفظ الغريزة عنده على هذين النوعين : غريزة الحياة وغريزة الموت وغرائز الحياة تخدم غرض الحفاظ على حياة الفرد وتكاثر الجنس. ويطلق فرويد على القوة الحيوية الدافعة لغريزة الحياة اسم «الليبيدو» . والليبيدو هو هذا الجزء من تركيب الهو الذى يبحث عن اشباعه من الحوافز « الجنسية » . وقد أدى استعمال لفظ جنس إلى كثير من الخلط فى فهم مفهوم فرويد . فمعنى الجنس عند فرويد أوسع بكثير من المفهوم العادى الدارج فى حياتنا اليومية ولغتنا الدارجة . فهو يتضمن — بالإضافة إلى معناه المتصل بالحوافز الجنسية عند الكبار — كل ما يؤدى إلى الشعور باللذة من خلال

أستثارة المناطق الشبقية للجسم erogeneous zones : والمنطقة الشبقية هي أى جزء من جسم الإنسان له القدرة على إثارة الإحساس السار أو الشعور باللذة عند الفرد . ومن المناطق الحساسة فى جسم الإنسان الشفاة ، والتجويف الفمى والمنطقة الشرجية وأعضاء التناسل . ويعتقد فرويد أن أنواعا كثيرة من السلوك التى لم نكن ننظر إليها من قبل على أنها جنسية ، هى فى الحقيقة صور من الإشباع للدوافع الجنسية .

وتتميز الغريزة فى نظر فرويد بأربع خصائص مميزة هى المصدر والهدف والموضوع والقوة الدافعة .

والمثال الآتى يمكن أن يوضح هذه الخصائص الأربعة . لنفرض أن شخصاً ما يحس بألم فى الأسنان إن نتيجة هذا الإحساس تدفعه من خلال مبدأ التوازن الداخلى إلى خفض التوتر وذلك على النحو التالى :

المصدر source هو الحالة البدنية . وهو هنا الألم الذى يحسه الفرد فى الأسنان ،

الهدف aim هو التخلص من الاستثارة أو التهييج البدنى وهو هنا إزالة الألم الناتج عن تسوس السنة والعودة إلى حالة الارتياح التى كان يحس بها قبل حدوث الألم .

الموضوع Object : وهو يشير إلى جميع ضروب النشاط التى تقع بين ظهور الحاجة وتحقيقها . فهو لا يشير فحسب إلى شىء بعينه أو حالة تشبع الحاجة ، بل إنه يتضمن كذلك كل أشكال السلوك الذى يحدث مستهدفاً الحصول على الشىء أو الحالة اللازمة . وفى هذا المثال يكون الموضوع هو ترتيب موعد مع الطبيب والذهاب إليه والجلوس على الكرسى والقبض على ذراعى الكرسى . . .

القوة الدافعة Impetus : ويقصد بها قوة أو شدة الحاجة المحركة . فألم الأسنان حين تخف حدته أثناء النهار ، تقل قيمة المثير إلى حد ما ، ولكن حين يصبح الألم غير محتمل خلال الساعات الأولى من الليل تزداد قوة المثير بشكل واضح جداً وتصبح القوة الدافعة أكثر شدة ، فيقسم المرء مثلا أن يذهب إلى الطبيب متى حل الصباح .

ويرى فرويد أن مصدر الغريزة وهدفها يظلان ثابتين طوال الحياة ، مالم يتغير المصدر أو يزول نتيجة النضج الفيزيقي . أما الموضوع أو الوسيلة التى يحاول بها الفرد إشباع الحاجة فهى تتباين تبايناً ملموساً خلال حياة الفرد ، وذلك نتيجة قابلية الطاقة النفسية للإزاحة من موضوع لآخر . وإذا كان هذا الإبدال أو هذه الإزاحة ممكنة بالنسبة للموضوع فهى غير ممكنة بالنسبة لمصدر الغريزة أو هدفها .

مراحل النمو :

ولفظ مراحل يشير إلى تتبع نمو الإنسان وشخصيته ابتداء من الولادة حتى الكبر . فالطفل يمر عبر سلسلة من المراحل المحددة تكوينياً . وما لم يتعرض هذا النمو فى سيره إلى تدخل ظروف شاذة أو معوقة ، فمن المتوقع له أن يسير على نحو طبيعى ، وعلى شاكلة ما نجده عند الغالبية العظمى من الناس .

إن فكرة بناء الشخصية ونموها عند فرويد أشبه ما يكون بالطريقة التى يقيم بها البناء حائطاً من الطوب ، حيث توضع طوبة طوبة ، ويسير البناء من أسفل إلى أعلى ، وترتبط قمة البناء بأساسه أو أصله . فشكل البناء وسمكه وجميع خصائصه ترسى قواعده فى الأساس الذى يقام عليه . وتغيير شكل البناء تغييراً ملحوظاً قد يترتب عليه هدم البناء بأكمله . والشخصية بالمثل ترسى قواعدها فى السنوات الأولى من حياة الكائن الحى ، وهذا الأساس غير قابل للتغير

وهو يحدد ما يمكن أن يقام عليه بعد ذلك . فإن كان الأساس ضعيفاً مهزوزاً وغير مستقر ، نشأت الشخصية وتطورت بشكل ضعيف مهزوز غير مستقر كذلك . ومن هنا ، فإن « الطفل هو أب الرجل » وأن الأساس الذى يوضع فى الطفولة هو الذى يحدد ما سيكون عليه الفرد فى الكبر . ولكن ليس معنى ذلك أنه حين ينمو البناء لا يمكن تغييره . إن من الممكن إحداث تغييرات طفيفة ، ولكنها لا تتجاوز أبداً حدود ما يتحمله الأساس أو الشكل الذى اتخذه . فإن حدث هذا التجاوز ، إنهار البناء (على نحو ما نجد فى الشخصيات الذهانية والعصابية) . وفى العادة يتغير الكثيرون منا مع النمو ، ولكن إحساساً منا بخطر الإنهيار ، وخوفا على أنفسنا من اهتزاز البناء ، فإننا نحذر الإبتعاد كثيراً عما يمكن أن يتحمله بناء شخصياتنا .

وعلى هذا النحو ، نجد فرويد يعطى أهمية كبرى لعملية البناء طوبة طوبة من أجل بناء شخصية الفرد فى المستقبل . كما أنه يعطى أهمية كبرى للخمس سنوات الأولى من حياة الفرد باعتبارها الأساس الذى يقام عليه كل بناء شخصيته فيما بعد . ويمكن أن نشير باختصار إلى مراحل النمو عند فرويد .

المرحلة الفمية : وترتبط أول مرحلة من مراحل النمو فى تكوين شخصية الفرد بالمنطقة الشبقية الفمية ، وعلى وجه الخصوص بالشفتين . فالطفل يبدأ عقب الولادة بقليل استخدام الشفتين فى الحصول على الطعام . وليس ثمة شك أن هذا الطعام الذى يحصل عليه الطفل يعتبر مصدر إشباع ولذة ، فهو طعام شهى ولذيذ (وهذا هو مبدأ اللذة) . وسواء كان يحصل عليه عن طريق الثدى أو بالرضاعة الصناعية ، فإن الوليد فى شهره الأول سرعان ما يتعلم (عن طريق مبدأ إجبار التكرار) أن التجويف الفمى واللسان والشفتين عندما تمس هذه الأشياء تصبح مصدر لذة وسعادة بالنسبة له (منطقة شبقية) . ومن الطبيعى أن يتعلم الطفل استخدام الشفاه كلما أراد الحصول على هذا الإحساس السار أو اللذة

فهو عند ما يحس ثانية بالجوع ، تقوم المنطقة الفمية بدورها وتؤدى به إلى الشعور باللذة . ولما كان الطفل فى هذه المراحل الأولى من حياته يعتمد كثيراً على العادات التى يكونها ، فإنه يلجأ إلى استخدام الشفاه فى الحصول على اللذة أياً كانت حالة الجوع التى يكون عليها . وتبعاً لذلك ، وبعد أن يكون قد درب الشفاة على إحداث اللذة ، فقد يلجأ أيضا إلى استخدام الأصابع أو أى مثير آخر (كأصابع القدم مثلا) من أجل الحصول على اللذة سواء كان جائعاً أم غير جائع (خفض التوتر) . وهكذ تصبح الشفاة من الآن فصاعداً مصدراً للحصول على اللذة .

ولما كانت الأشياء التى تظهر أولا فى نظام ما ، تكون آخر ما يترك هذا النظام ، فإن المرحلة الفمية والمنطقة الشبقية الفمية تكونان على هذا الأساس أطول وأقوى مراحل حياة الإنسان . فهو دائماً يبحث عن لذة المنطقة الفمية وهو يقوم بذلك حتى إذا كان مثل هذا النشاط غير مجد فى حل المشكلة أو فى خفض التوتر .

المرحلة الشرجية : وحين يتجمع قدر كاف من فضلات الطعام لدى الطفل ، فإن ذلك يسبب له توتراً فى الأمعاء يؤدى إلى الشعور بعدم الارتياح أو الألم . وطرد الفضلات وإخراجها يزيل عنه مصدر القلق ويحدث له الشعور بالراحة وعند بدء التدريب على النظافة ، وهذا يحدث عادة فى السنة الثانية من العمر ، يلتقى الطفل بأول خبرة حاسمة له مع التنظيم الخارجى لدفعة غريزية . فعليه أن يتعلم إرجاء اللذة التى يحققها له تخلصه من توتره الشرجى ، أى عليه أن يتعلم الخضوع لمبدأ الواقع ، وأن يقوم بعملية الإخراج حين تصل هذه الضغوط إلى حد معين ، وأن يقوم بها فى أماكن معينة وليس فى أى مكان يشاء . وتتوقف نتائج هذا التدريب على الأسلوب الذى تتبعه الأم فى تدريبه على ضبط عملية

الإخراج . فإن كان أسلوبا شديداً صارما ، فقد يقبض الطفل على فضلاته ويصاب بالإمساك . وحين يعمم هذا الأسلوب فى الاستجابة إلى مجالات من السلوك فيما بعد ، فقد ينمو لدى الفرد خلق قابض ويصبح عنيداً شحيحاً ... أما إذا كانت الأم من النوع الذى يتودد إلى الطفل ليخرج فضلاته ويسرف فى مديحه عندما يستجيب لذلك ، فإن الطفل تتكون لديه فكرة قوامها أن النشاط الإخراجى بأكمله بالغ الأهمية . وقد تكون هذه الفكرة أساس الخلق والإنتاج ، وعلى العموم يقال إن العديد من السمات الأخرى ترجع جذورها إلى المرحلة الشرجية (هول ولندزى ص ٧٦) .

وبذلك تصبح منطقة الشرج هى المنطقة الشبقية الثانية التى تلى المنطقة الفمية طولا وقوة .

المرحلة القضيبية : ومن المحتمل أن يكون طفل السنتين قد اجتاز فى نموه المرحلة الفمية والشرجية وشرع فى اكتشاف المناطق الشبقية الأخرى المتبقية بجسمه والاستمتاع بها . ومن بين هذه المناطق الأعضاء التناسلية ، فالطفل يستمد اللذة من العبث بهذه الأعضاء . وتكون حياة الطفل الانفعالية أى علاقته الوجدانية بأفراد الوسط المحيط به فى هذه الفترة ، أشبه بالحياة العاطفية للكبار . وفى خلال هذه الفترة (من سن ٣ — ٥) تكون علاقاته العاطفية والاجتماعية بوالديه قد أخذت تنمو وتتعقد وتهىء السبيل لظهور عقدة أوديب . وتستمد عقدة أوديب اسمها من أساطير الأغريق حيث كان أوديب طفلا لأحد الملوك وتكهن المنجمون أنه سوف يقتل أباه حين يكبر . فنبذه الملك فى العراء . ولما كبر أوديب التقى بالملك وتنازعا على أمر ما . فقتل أوديب الملك — دون أن يعرف أنه أبوه — ثم دخل المدينة وتزوج ملكتها وهى أمه ، دون أن يعرف كذلك أنها أمه وقد اتخذ فرويد من هذه الأسطورة صورة

لما يعانيه الطفل الانسانى إبان طفولته المبكرة فى صلته بوالديه والتى تسمى باسم عقدة أوديب .

ذلك أن أول موضوع يمر بخبرة الطفل — عدا نفسه — هى أمه . إنها أول إنسان يطعمه ويلبسه ويحبه ويجيب كل مطالبه وحاجاته . والطفل يعتمد على الأم فى هذه المرحلة الأولى من حياته إعتماداً كلياً ، ومن هذا الإعتماد من أجل الحياة والتوحد معها ، ينمو الإحساس بالحب للأم .

ثم إن الطفل بالإضافة إلى حبه لأمه واكتشافه جسمه وأعضاءه التناسلية يصبح أيضا على معرفة بالدور الذى يقوم به الأب فى حياته . فالأب إنسان أقوى وأكبر ، وأقل وجودا معه فى البيت ، ويشبهه فى الجنس ، ثم أنه يشاركه فى حب الأم ويحظى باهتمامها ، وفى الحقيقة يبدو أن له بعض الأولوية فى وقت الأم ومحبتها . وتكون النتيجة الطبيعية لهذا ، هو الإحساس بمنافسة خفية وغيرة مصاحبة . وفى المراحل الأولى لهذه المعرفة ، لا يفعل الطفل الذكر شيئا لكبح إحساسه بالغيرة ، ومع ذلك يبدأ الكبت فى الظهور مع استمرار النمو . ثم هو يلاحظ أيضا أنه من الناحية الجسمية ، أقرب شبهاً بأبيه منه بأمه ، وهى حقيقة تؤدى به إلى التوحد مع الأب مثلما توحد مع الأم وينشأ التناقض الوجدانى (مبدأ الازدواج أو الثنائية) عن هذه الشحنة الوجدانية نحو شخصين مختلفين كلاهما يعتبر ضروريا وهاماً لسعادته وراحته . فهو من ناحية يحب أن يشارك الأب فى حب الأم ، تلك المشاركة التى لا يحبها نظراً لرغبته فى الاستئثار بحبها ، ولكنه من ناحية أخرى أكثر شبهاً بالأب منه بالأم ، وهو إحساس بالتوحد يجلب له السرور والرضا . وطالما أن مع استمرار النمو ، ينمو أيضا مبدأ الواقع ، فإنه قد يتوقع نوعاً من العقاب يوقعه به الأب ، أعنى عقاب الأب له على مشاركته فى حب

الأم . ولما كانت معرفته بالعالم لا تزال قاصرة ، ولما كانت تربيته لا تزال تدور حول المناطق الفمية — الشرجية — القضيبية فإن أى عقاب يمكن أن يوقعه به الأب ، سوف يتصل بهذه المناطق الشبقية . ولما كانت الصفة الجسمية الوحيدة التى تميزه عن الأم هى عضوه الذكرى ، إذن فإن هذا العضو هو الذى يمكن أن يوجه إليه الثأر والانتقام من جهة الأب ، حتى يجعله أقرب شبهاً بالأنثى ويبعد عنه فى الوقت نفسه صفته الذكرية الوحيدة ويشبه ذلك من حيث الأهمية أيضا ، أن عضو التذكير هو عضو التحريم الذى يجب أن يزال من أجل استبعاد أى احتمال لمجرد التفكير فى قيام أية علاقة محرمة مع الأم . وهذا الخوف الشديد هو الذى أشار اليه فرويد بإسم عقدة الإخصاء . فالطفل الذكر يخاف من إزالة هذا العضو الذى يجعل منه ذكراً شبيها بالأب مما يترتب إلى فقد التوحد مع الأب ، كما يخاف أيضا من منافسته المستمرة للأب فى حب الأم وجذب اهتمامها . ومبدأ الثنائية هذا يترتب عليه ظهور القلق عند الطفل بشكل يعجز معه عن إحداث التوافق إلى أن يدخل مبدأ الواقع ميكانزم الدفاع عن الأنا ونعنى به ميكانزم الكبت ، وبذلك يجد الطفل طريقا لحل مشكلته .

وتعتبر الفترة من الثالثة حتى الخامسة أو السادسة من أقوى فترات النضال العنيف الثنائية عقدة أوديب . ومع ذلك فهى تستمر كعامل حيوى خلال حياة الفرد . كما يكون لها أثر فى اتجاه المراهق نحو الجنس الآخر ونحو مصادر السلطة وفى علاقته بزوجته وأطفاله .

هذا فيما يتصل بالولد الذكر . أما عن البنت فإن عقدتها تسمى باسم «عقدة الكترا» . وتتطور علاقتها بأبيها تطوراً أكثر تعقيداً ، يتأثر بما تستشعره البنت من إحساس بالغيرة من الأم لمشاركتها فى حب الأب ، وما تستشعره من وجودها بغير هذا العضو الذكرى واعتبارها أمها مسئولة عن ذلك . وإلى

جانب اعتبار أمها مسئولة عن حالة الفقد هذه ، فإنها تتوحد بقوة مع الأب ، لأنه يمتلك هذا العضو الذى تحسده عليه . ويظهر حسدها واضحاً من المقارنة مع أبيها الذى يمتلك شيئاً تفتقده هى .

ومرة أخرى تظهر الثنائية عند الفتاة . ذلك أن مشاركتها لأمها من حيث افتقارهما إلى شيء ما ، يقوى توحدها الأول والأصلى مع الأم ويحدث التناقض الوجدانى حالة قلق انفعالى عند الفتاة وقد أطلق فرويد على حالة القلق هذه اسم « حسد القضيب » . ولا تصل البنت بسهولة إلى حل هذا التناقض الوجدانى مع وجود فروق سيكولوجية عديدة بين الذكر والأنثى . ويستمر هذا الحسد لدى الفتاة فترة أطول ، كما تصبح أكثر تمرداً على الأم مع المراهقة وتعدل اتجاهها تدريجياً حتى توفق هى الأخرى فى الحصول على شريك حياتها بالزواج . ومرة أخرى تكشف — كأم — عن تناقضها الوجدانى نحو الجنس . وذلك فى دورها كأم لأولاد وبنات ، وكزوجة لرجل .

المرحلة التناسلية : والمراحل الثلاث السابقة — الفمية والشرجية والقضيبية تعرف باسم المراحل قبل التناسلية . وتتميز شحناتها بأنها ذات طابع نرجسى حيث يحصل الفرد على اللذة من تنبيه مناطق معينة من جسمه ، وأن شحناته تستهدف الآخرين لأنهم فحسب يتيحون له أشكالا إضافية من اللذة الجسمية . ومع المراهقة يبدأ بعض هذا الحب يتلمس طرقاً تقود إلى اختيارات موضوع حقيقى . ويشرع المراهق فى حب الآخرين تحدوه دوافع الإيثار وليس لمجرد أسباب نرجسية . فالجاذبية الجنسية والتنشئة الاجتماعية والنشاط الجماعى والتخطيط المهنى والاستعداد للزواج وتكوين الأسرة تبدأ جميعها فى التعبير عن نفسها بصورة واضحة . وفى نهاية المراهقة تصبح الشحنات الانفعالية الاجتماعية الغيرية أكثر ثباتاً . ويتحول الفرد من النرجسية أو البحث عن اللذة الذاتية إلى راشد تسيره الحقيقة الواقعية والمجتمع (هول ولندزى ص ٨٠) .

وعلى الرغم من أن فرويد قد ميز بين مراحل أربعة في نمو الشخصية ، إلا أن هذه المراحل ليست منفصلة بعضها عن بعض أو أن الانتقال يكون فجائياً من مرحلة إلى أخرى . فالتنظيم النهائي للشخصية هو نتيجة إسهامات هذه المراحل الأربعة .

حالات الشعور :

لا يمكن بالطبع أن نعرض لنظرية فرويد دون أن ندرس نظامه الوصفي الذي يعالج حالات الشعور . وسوف نشير باختصار إلى ما يعنيه فرويد بهذه المصطلحات الثلاثة : الشعور وما قبل الشعور واللاشعور .

الشعور : هو هذا الجانب من الحياة العقلية للفرد والتي يكون على وعي تام بها ، وحالة الشعور هي التي تمكّن الفرد من أن يعرف أين هو وما يدور حوله وما يحسه وكيف تجري الأحداث من حوله . وحينما يحدث شيء ما ، فإنه يكون على وعي به ، ويمكنه أن يوجه انتباهه إليه عن قصد . وحواسنا تنقل إلينا الكثير من المعلومات والخبرات عن الأشياء التي تجري في العالم الخارجي وتحدث انطباعاتها في أنفسنا ونستجيب لها حسب الموقف الذي توجد فيه .

ما قبل الشعور : ويقع في منطقة بين الحالة العقلية الشعورية والحالة العقلية اللاشعورية . وهي منطقة وهمية تتجمع فيها الذكريات التي اكتسبناها في الماضي والتي تتلمس طريقها إلى الشعور ولكنها لم تتمكن بعد إلى العبور إلى مسرح الشعور . وأمثلة الذكريات التي توجد في القبشعور أمثلة عديدة منها أن الطالب وهو في قاعة الامتحان يحاول أن يصل إلى بعض المعلومات التي يتعذر عليه تماماً الوصول إليها ، ولكن ما أن يخرج من قاعة الامتحان أو وهو سائر

فى طريقه إلى منزله ، سرعان ما تقفز هذه المعلومات ثانية إلى ذهنه . فهذه المعلومات يقال عنها إنها كانت طافية فى ما قبل الشعور، ولكنها لم تدخل بعد مسرح الشعور .

اللاشعور : ويتكون اللاشعور من القوى والدوافع التى لم تنسجم مع الشخصية الشعورية والتى كبتت فى أعماق النفس . فادة اللاشعور قد مرت من قبل فى الشعور ، ولكن لما كانت غير منسجمة مع الشخصية الشعورية فإنها تكبت . ومن اللازم أن يكون هناك نوع من المستودع تختزن فيه مثل هذه الخبرات التى تستبعد من الشعور . ومن اللازم أيضاً أن يكون هناك نوع من المنطقة العقلية التى يجول فيها العقل بحرية كاملة كيفما يحب مع الإحساس التام باللذة ، ودون التقيد أو الخضوع لمطالب الإنا أو قيود الأنا الأعلى . واللاشعور هو هذا المستودع العقلى لخبرات الإنسان الماضية ، فكل ماحدث للإنسان فى الماضى يختزن فى العقل سواء أراد الإنسان أم لم يرد . وقد تفرض الكثير من الرقابة على مادة اللاشعور ، ولا يسمح لها بالعبور إلى مسرح الشعور . وطالما تكون الرقابة قوية ، فإن هذه المادة لا يمكنها أن تفلت لتدخل إلى مسرح الشعور . لكن ما أن تخمد هذه الرقابة أو ينام الرقيب حتى تفلت بعض هذه الخبرات وتمر إلى الشعور وتظهر فى صور مختلفة كالأحلام أو فى صور رمزية عديدة .

العمليات الدفاعية للأنا (١) :

ورغم التعديلات والإضافات التى أدخلت على هذه العمليات ، فإن فرويد هو الذى أرسى قواعد هذه العمليات . وأحد الخصائص العامة للعمليات

---

(1) Saraaen, G. Irwin : Personality : An objective Approach. New York. John Wiley & Sons Inc. 2nd ed. 1972.

الدفاعية للأنا هي أنها تعمل على مستوى لا شعوري ، ومن ثم فإن الشخصية لا تعرف أنها تدافع عن « أناها » . وثمة خاصية أخرى لهذه العمليات الدفاعية هي أنها قد تحرف الواقع أو حتى تنكره . ومن ثم ليس غريباً أن يكذب الفرد على نفسه كي يحفظ لها احترامها أمام نفسه ، كما قد يحرف الحقيقة دون وعي منه بهذا التحريف .

وسوف نشير باختصار إلى بعض هذه العمليات :

١ - الكبت : عملية دفاعية أساسية ، وهو حجر الزاوية لكثير من العمليات الدفاعية الأخرى ويقوم بدوره في وقت مبكر جداً من حياة الفرد ونظرية الكبت أصبحت بمثابة حجر الأساس لفهم العصاب . ومن الممكن النظر إلى عملية الكبت كمركز تدور حوله بقية عناصر نظرية التحليل النفسي أو تكون على علاقة به .

والكبت بمعناه العام عملية استبعاد تتخذ صورتين : أولاهما طرد الدوافع والانفعالات والأفكار والذكريات الشعورية المؤلمة والمخيفة والكريهة والمخزية وإكراهها على التراجع والبقاء في تلك المنطقة الخافية المظلمة من الحياة النفسية والتي تسمى باللاشعور . وثانيهما منع الدوافع والأفكار والذكريات التي أصبحت لا شعورية من اقتحام مسرح الشعور وذلك لأن مثل هذه الدوافع والأفكار والذكريات إذا تسنى لها دخول مسرح الشعور سببت للأنا القلق والألم أو الخجل والخزى .

ويقوم الكبت بوظيفتين أساسيتين في الحياة النفسية الأولى وقائية دفاعية إذ يدفع الفرد عن نفسه كل ما يسبب له الألم أو الخجل أو يجرح كبرياءه . فتكبت كل ما يتنافى مع المثل الخلقية والاجتماعية وما يسبب الضيق النفسي .

أما الوظيفة الثانية فهي صد الدوافع الثائرة المحظورة وخاصة الدوافع

الجنسية من أن تفلت من زمام الفرد وأن تتحقق بالفعل بصورة صريحة سافرة مباشرة . ولكن مثل هذه الدوافع المكبوتة فى أعماق اللاشعور لا تكون ميتة ، بل تظل حية قلقة ، تتحين الفرصة للظهور والتعبير عن نفسها متى سمحت الظروف . وكثيراً ما تعبر عن نفسها بصور ملتوية رمزية، فى صورة أحلام النوم و فلتات اللسان وزلات القلم وفى العاب الاطفال ، إلى غير ذلك من الوسائل التى تكشف عن هذه النزعات المكبوتة فى اعماق اللاشعور .

٢ — النكوص : هو رجوع المرء إلى الوراء والعودة إلى الأساليب السابقة التى كان يتبعها فى مراحل نموه الأولى للتعبير عن دوافعه الغريزية . ويحدث هذا عادة إذا فشل الفرد فى تحقيق بعض رغباته . وأمثلة النكوص واضحة فى كثير من سلوك الطفل والكبير . فالطفل الذى يكون قد ضبط عملية التبول ثم ولد للاسرة طفل جديد وشعر أن مركزه الممتاز قد اهتز فى الاسرة نتيجة حلول هذا الطفل الجديد، فقد يرتد إلى مراحل سابقة كان يلقى فيها المزيد من العطف والحنان. ومن هنا فقد يرتد إلى مرحلة سابقة فيتبول لا إراديا مما يجبر الأم على توجيه بعض الاهتمام والانتباه اليه . ومن أمثلة النكوص عند الكبار ما نشاهده فى الشاب الذى يتطلع إلى الزواج من زوجة لا تقوم منه إلا مقام الأم الحنون . والفتاة التى تتطلع عند الزواج إلى رجل يقوم منها مقام الأب.

ومعظم كتابات فرويد عن النكوص تتصل بمسالة عودة المريض إلى الوان من السلوك المميزة لمراحل طفولتهم أو مراحل سابقة فى النمو . ومن هنا أصبح لفظ « طفلية » عند فرويد مرادفا فى معناه للنكوص . وليس من الضرورى أن يكون النكوص كما سبق أن أوضحنا ارتداداً إلى مراحل الطفولة ولكن يمكن أن يكون إلى مرحلة سابقة على تلك التى من المفروض أن يوجد بها الفرد حسب مستويات نضجه .

والنكوص هو تعبير عن مبدأ إجبار التكرار . فالشخصية الإنسانية تميل

مرة أخرى إلى تكرار الأنشطة التي نجحت من قبل في آدائها أو الأنشطة السارة على الأقل. ولما كانت هذه الأنشطة من نوع إجبار التكرار، فإنها قد لا تحل بطريقة ما المشكلة الحالية التي يواجهها الفرد، بل قد تزيدها تعقيداً. والصورة النكوصية للسلوك لا تعيد عادة خلق الخبرة الماضية بأكملها، ولكن فقط أجزاء منها تدعم الحدث الماضي. وعندما تحبط الشخصية وتنكص إلى صور طفلية من صور السلوك، كمص الإصبع مثلا، فإنها نادراً ما تنكص كلية، وإنما الذي يعود إلى الظهور هو بقايا من صور السلوك السابقة التي يقوم بها الفرد.

٣ — تكوين رد الفعل: وهذه العملية الدفاعية من أصعب المفاهيم إدراكا وقد لا يفهمها بعض المبتدئين في دراسة علم النفس. وتتضمن هذه العملية الدفاعية إبدال المشاعر المثيرة للقلق في الشعور بنقيضها. كإبدال الكراهية بالحب، وتظل الدفعة الأصلية قائمة وموجودة في النفس، إلا أنها تغطى أو تقنع بواسطة تلك التي تسبب القلق للفرد.

ويظهر تكوين رد الفعل في صورة سلوك مسرف متطرف. فعادة ما يتميز تكوين رد الفعل بالإسراف في التظاهر. فيسرف الفرد في إظهار الشجاعة لتغطية مظاهر الخوف التي تعتمل في نفسه، كما يتميز أيضاً بطابعة القهرى. فالصورة المتطرفة من السلوك من أي نوع تشير عادة إلى تكوين رد الفعل. وينجح تكوين رد الفعل أحيانا في اشباع الرغبة الأصلية التي يستهدفها الدفاع، مثال ذلك عندما تُغرق الأم طفلها بالمحبة والانتباه (هول ولندزى ص ٧٤).

٤ — الإسقاط: وقد ظهر هذا المصطلح عند فرويد في مقال له عن عصاب القلق ١٨٩٤. وقد أوضح فرويد في هذا المقال أن « عصاب القلق يظهر لدى الفرد حين يشعر بعجزه عن السيطرة على المثيرات (الجنسية) ؛

وفى هذه الحالة تسلك النفس كما لو كانت تسقط هذه المثيرات على العالم الخارجى ». وفى مقاله أخرى له عن العمليات الدفاعية للمصاب (١٨٩٦) ذهب فرويد إلى أن « الإسقاط هو أحد العمليات الدفاعية التى يعزو بها الفرد دوافعه واحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجى ؛ ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتى ـ إن بقيت ـ سببت الألم للأنا ».

وقد أوضح فرويد هذه العملية الدفاعية فى سياق حديثه عن إحدى حالات البارانويا التى تأخذ صورة ميول جنسية مثلية تتحول تحت ضغط الأنا الأعلى من « أنا احبه » إلى « هو يكرهنى » فى عملية معقدة على النحو التالى .

١ — اشتهاء جنس مثلى يتمثل فى « أنا احبه » . وهذا دافع غير مقبول من دوافع الهو .

٢ — تكوين رد فعل يحوله من « أنا احبه » إلى « أنا اكرهه » .

٣ — لكن الكراهية أو العدوان دافع غير مقبول كذلك فيكبت . هذا الكبت كعملية دفاعية ليس حلا نهائياً للموقف إذ لا يؤدى إلى حماية الأنا تماما. ولكى تتخلص الأنا من هذه الدوافع العدوانية تقوم باسقاطها على الشخص الآخر ، وبذلك ننتقل إلى المرحلة الرابعة والأخيرة وهى :

٤ — تتحول الدوافع من « أنا اكرهه » إلى « هو يكرهنى »

والإسقاط عند فرويد عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة . وبمقتضاها تعزو الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العالم الخارجى ؛ تلك الرغبات والأفكار التى ـ إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور ـ لأحدثت الألم للأنا.

ويمكن أن تلخص الأسس التى تقوم عليها فكرة الإسقاط عند فرويد فى النقط الآتية :

١ — الاسقاط عملية لا شعورية .

٢ — أنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية .

٣ — يحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم للذات إلى الآخرين والعالم الخارجي .

٤ — يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد .

التعيين : هو الطريقة التي يتمثل بواسطتها الشخص ، سمات شخص آخر ويجعلها جزءاً مكونا لشخصيته ذاتها . فهو يتعلم خفض التوتر بصياغه سلوكه على غرار سلوك شخص آخر . والتوحد أو التعيين هو أكثر من مجرد تقليد الشخص الآخر ، وأكثر من مجرد المشاركة الوجدانية معه . إنه يعني أن الفرد يحس أنه هو الشخص الآخر . وليس من الضروري أن يتعين شخص بشخص آخر من جميع الجوانب ، بل إنه عادة ما يختار ويستدمج فحسب تلك السمات التي يعتقد أنها ستساعده في بلوغ الهدف الذي يرغب فيه .

ويمكن للمرء أن يتعين بالحيوانات والشخصيات الخيالية والأنظمة والأفكار المجردة والموضوعات غير الحية بقدر ما يمكنه أن يتعين بالكائنات البشرية الأخرى .

والبناء النهائي للشخصية يمثل تراكم العديد من التعيينات وهو تراكم يحدث في فترات متباينة من حياة الشخص ، وإن كان الاحتمال أن الأب والأم هما أهم الشخصيات التي يتعين بهما الطفل في حياته (هول وليندزي ص ٧٠) .

تلك هي بعض المعالم البارزة والمبادىء العامة لنظرية فرويد في الشخصية وهي بطبيعة الحال لا تغني القارىء عن قراءة أهم ما كتبه فرويد في الشخصية مثل « تفسير الأحلام » (١٩٠٠) و « علم النفس المرضي في الحياة اليومية (١٩٠٤) ومقدمة عامة في التحليل النفسي » (٩١٧.) و « محاضرات تمهيدية »

جديدة فى التحليل النفسى (١٩٣٣) و « معالم التحليل النفسى (١٩٤٠) .

ومع ذلك ، فلم تتعرض أية نظرية أخرى فى علم النفس لأوجه النقد مثلما تعرضت له نظرية فرويد . وقد جاء الهجوم من جوانب عديدة ، وحتى فى حياة فرويد نفسه ، وفى المراحل الأولى من وضع النظرية . فقد خرج عليه بعض أتباعه الكبار من أمثال يونج وأدلر ، كما قام المحدثون من المحللين النفسيين بادخال بعض التعديلات على نواحى هامة فى نظرية فرويد على نحو ما نجد فى كتابات « كارن هورنى وسوليفان » وغيرهما . وليس من السهل هنا استعراض كل ما وجه إلى هذه النظرية من نقد وتجريح . فالكثير منها ، على نحو ما يذهب هول ولندزى ، لا يكاد يكون أكثر من صوت أناس ملكهم الغضب . لكن من الممكن أن نشير إلى بعض أوجه النقد الهامة التى وجهت إلى هذه النظرية .

من ذلك مثلا أن ثمة قصوراً خطيراً فى الخطوات التجريبية التى استخدمها فرويد فى إثبات صدق فروضه . فقد أجرى فرويد ملاحظاته فى ظروف تفتقر إلى عوامل الضبط . وكذلك يعترف فرويد أنه لم يسجل لفظياً ما يقوله هو والمرضى وما يفعلونه فى ساعة العلاج ، وإنما كان يعمل من مذكرات يسجلها بعد ذلك بساعات عديدة . وليس ثمة شك أن النسيان والتحريف والحذف تؤثر بدورها فى كل ما نحصل عليه من مادة مما يضعف من عامل الثقة .

وثمة نقد آخر يؤخذ على فرويد هو قبوله لما يقوله مرضاه كما هو ، دون محاولة التيقن منه ، عن طريق استخدام أى شكل من أشكال البرهان الخارجى . وليس ثمة شك أن ذلك يبعد هذه الطريقة عن الاسلوب العلمى المتبع فى فروع العلم المختلفة . أى أنه كان من الواجب على فرويد الحصول على برهان أو دليل من الأقارب أو المعارف أو الوثائق أو نتائج الاختبارات والمعلومات الطبية

وغيرها . إلا أن فرويد كان يرى أن ما هو هام لفهم السلوك الانسانى هو المعرفة الشاملة باللاشعور الذى يمكن الوصول اليه عن طريق التداعى الحر وحدة وتحليل الاحلام .

ثم أن فرويد تجنب أية معالجة كمية لمواده التجريبية ، الأمر الذى يجعل من المستحيل وزن الأدلة الإحصائية لملاحظاته وثباتها فى أى عدد من الحالات. مثلا ، وجد فرويد ارتباطا بين جنون البارانويا (جنون العظمة والاضطهاد) والجنسية المثلية ، وبين الهستيريا والتثبيت على المرحلة الفمية ، وبين الرغبة والفوبيا ، وبين مشهد أولى وعدم الاستقرار والثبات . فكم عدد الحالات التى درسها من تنتمى الى نمط معين ، وإلى أى الطبقات والأصول تنتمى هذه الحالات ؟ وما هى المقاييس والمعايير التى استخدمت فى نسبة حالة معينة إلى فئة اكلينكيه محددة ؟ وهل كان يحدث أن يراجع فرويد تفسيراته على تفسيرات محلل أخر كفء حتى يتيقن من ثبات حكمه ؟ إن هذه الأسئلة وغيرها تلقى الكثير من الشك فى نفوس علماء النفس الذين يدينون بالاتجاه الكمى (هول ولندزى ص ٩٦) .

ثم إن البعض ينتقد استخدام فرويد فى تفسيره لجوانب الشخصية ، مفهومات أقرب إلى التصورات الخرافية منها إلى المفهومات العلمية . فهو يتحدث مثلا عن « أجهزة » الشخصية . ويجعل الشخصية أشبه بمسرح تتصارع فيه قوى مختلفة وكأن لها كيانا خاصا . فهناك الهو والأنا والأنا الأعلى . والأخير يتصارع مع الأول ، والثانى يحاول أن يوفق بينهما . وهناك العقد النفسية الموجودة فى اللاشعور والتى تحاول جاهدة أن تدخل إلى مسرح الشعور لتثير القلق والاضطراب فى الأنا ، والتى يحول الرقيب بينها وبين مسرح الشعور ، فتلجأ إلى الرمزية والتخفى والقيام بصور مقنعة لعلها تفلح فيما تريد . كل هذه أقرب إلى التشبيهات والصور الخرافية . ولا يمكن لمثل هذه التشبيهات

أن يستند اليها فى بناء نظرية علمية فى الشخصية . فمثل هذه التشبيهات لا تساعد على تفسير أو فهم مظاهر السلوك المختلفة أو التنبؤ بها وهى جميعها جوانب هامة فى أية نظرية علمية .

ورغم كل ذلك ، فقد فتحت نظرية فرويد أفاقا جديدة ، ووجهت النظر إلى الكثير من الحقائق التى تتصل بالنفس البشرية ، لم تكن معروفة من قبل . فقد كشفت بوضوح عن العلاقة بين تنظيم الشخصية وماضى الشخص ، والآثار التى تتركها خبرات الطفل الإنفعالية فى سنواته الأولى . كما كشفت أيضاً هذه النظرية عن أن شخصية الفرد تتحدد أيضاً نتيجة تفاعله أو صراعه مع العوامل البيئية المحيطة به ، بما فى ذلك البيئة الداخلية ، وأن ذلك يتم فى الغالب على مستوى لا شعورى ، وهى نقطة لم تكن معروفة بوضوح فى قبل .

وعلى العموم فقد كانت الكثير من أفكار فرويد مثيرة ومتحدية ، كما كان تصوره للانسان تصور شامل وعميق ، كما أن نظريته كانت محاولة لتصوير الشخص المكتمل الحى الذى يعيش جزئيا ـ فى عالم الواقع ـ ، وجزئيا ـ فى عالم الوهم ، تحاصره الصراعات والتناقضات الداخلية . وبرغم هذا ، فهو قادر على التفكير والعمل العقلى ، بحركة قوى لا يعرف عنها إلا القليل ، وطموح لا طاقة له على بلوغه ، آناً تختلط الأمور عليه ، وآنا أخر يصفو ذهنه ويتقاذفه الإحباط والاشباع ، الأمل ، واليأس والأثرة والإيثار ، إنه بإيجاز كائن بشرى معقد (١) .

---

(١) ك هول ولندزى : نظريات الشخصية : ترجمة د. فرج أحمد فرج وقدرى حفنى ولطفى محمد فطيم. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ ص ٩٩

الفصل السابع عشر

نظرية يونج (١٨٧٥ — ١٩٦١)

كارل جوستاف يونج طبيب نفسى سويسرى . أهتم بأعمال فرويد ونظريته بعد قراءة كتابه فى « تفسير الأحلام » عقب نشره مباشرة عام ١٩٠٠ . وبدأ يراسل فرويد بانتظام سنة ١٩٠٦ ، ثم زار فرويد وجماعة الأربعاء بفينا سنة ١٩٠٧ . وتصادق الرجلان ونظر إليه فرويد على أنه أحد زعماء حركة التحليل النفسى وخليفته . وقد رافق يونج فرويد فى زيارته إلى أمريكا عام ١٩٠٩ لإلقاء محاضرات بجامعة كلارك ، وعاد مرة أخرى لأمريكا لإلقاء محاضرات إضافية . وعند ما أسس الاتحـــاد الدولى للتحليل النفسى سنة ١٩١٠ ، نصب يونج أول رئيس للإتحاد رغم معارضة جماعة فينا ، وكان أغلبهم من اليهود الذين كانوا يرون الاحتفاظ برئاسة هذه الحركة بأيديهم . ولكن فرويد تمكن من التغلب على مقاومتهم وأختير يونج لهذا المنصب . غير أن العلاقة بدأت تفتر بين الرجلين بعد ذلك بفترة وجيزة . وربما كان سبب ذلك اختلاف وجهات النظر ، رفض يونج الأخذ بمبدأ الجنسية الشاملة عند فرويد كمبدأ لتفسير كل مظاهر السلوك ، وكذلك آراءه فى بعض المفاهيم التى وضعها فرويد كالليبيدو . وقد انقطعت المراسلات بينهما منذ ١٩١٢ وأنسحب يونج من الاتحاد الدولى للتحليل النفسى عام ١٩١٤ ، وأسس لنفسه مدرسة خاصة به وأصبح منهجه فى التحليل والعلاج النفسى يعرف باسم علم النفس التحليلى Analytical Psychology . ولم يتقابل الرجلان بعد تلك السنة قط .

وسوف نقصر دراستنا هنا على نظرية يونج فى الشخصية من ناحية بنائها

وديناميابها ونموها دون التعرض لمنهجه التحليلي كتداعي الكلمات أو تحليل الحلم وغيرها ، رغم أهمية ذلك بالنسبة لعمله .

ويمكن أن نلقي نظرة على الاتجاهات الأساسية عند يونج . فعلى الرغم من أن نظرية يونج للشخصية تعتبر عادة نظرية في التحليل النفسي بسبب توكيدها للعمليات اللاشعورية ، إلا أن ثمة اختلافاً جوهرياً بينها وبين نظرية فرويد . فعلى حين يؤكد فرويد الرابطة الوثيقة بالماضي ، فإن يونج يؤكد الحاضر كعامل أساسي في تفسير سلوك الفرد . ولم يكتف يونج بتوكيد الحاضر فحسب ، بل اعتقد أيضاً بضرورة النظر إلى المستقبل . فمستقبل الفرد ومقاصده يعد في نظر يونج له أهمية كبيرة في توجيه سلوك الإنسان ، كأهمية الماضي تماماً . ومن هنا يمكن القول بأن السمة البارزة في نظرية يونج والأكثر تمايزاً ، هي جمعه بين الغائية والعلّية . فسلوك الإنسان ليس مشروطاً فحسب بتاريخه الفردي والعنصري (العلّية) ، بل وكذلك بأهدافه وبمختلف ضروب طموحه (الغائية) ؛ وكل من الماضي كدافع ، والمستقبل كإمكان ، يقود سلوك الفرد في الحاضر . إن نظرة يونج إلى الشخصية نظرة إلى المستقبل ، بمعنى أنها تنظر إلى الأمام متطلعة إلى مستقبل نمو الشخص وإلى تطوره ؛ كما أنها نظرة إلى الخلف ، بمعنى أنها تأخذ الماضي في اعتبارها . وكما عبر يونج نفسه عن هذه النظرة «إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب»(١) .

وقد إنعكست هذه النظرة في أسلوبه في العلاج الذي أخذ يقلل من الاهتمام بماضي الفرد ، وتوجيه الإهتمام أكثر وأكثر نحو حاضره وأهدافه المستقبلة . كما نظر إلى الإنسان باعتباره أكثر قدرة على الإبداع ، وأنه أقل

(١) هول ولندزي : نظريات الشخصية ترجمة د. فرج احمد فرج وآخرون . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ . ص ١٠٩ .

سلبية فى موقفه بالنسبة للتأثيرات البيئية من فرويد . ولذا فإن سيكولوجيته ونظرته إلى الإنسان أكثر تفاؤلا .

ويمكن أن نشير إلى أهم المبادىء الأساسية التى تقوم عليها نظرية يونج فى الشخصية .

١ — مبدأ القطبية :

ومن الأفكار الهامة التى اقتنع بها يونج أن العالم — وربما الكون بأسره أحياء وجمادات — قد وجد بسبب التعارض القائم بين الأشياء . فهناك دائماً — ويجب أن يكون هناك دائماً — تعارض . والتعارض يستدعى الصراع . والحياة بدون صراع لا تساوى شيئاً . فالصراع هو المادة الخام الأساسية للحياة . وهذا الصراع هو الذى يدفع إلى الأمام ويحدث التقدم . وبدون الصراع لا يحدث شيئاً . فالتقدم والحركة وتغير الأوضاع كلها تكون ممكنة فقط تحت ظروف الضغط . والرغبة فى إزالة الضغط عن طريق القوة المضادة هى التى تجعل الشىء الأصلى يتحرك فى صورة عمل . فالتعارض والصراع والضغط الناتج وإزالة التوتر هى أشياء لا بد منها لتقدم العالم الذى نعيش فيه . وبلغة ميتافيزيقية نوعاً ما ، يقول يونج إن كل ما يوجد له شىء آخر مقابل ، حتى لو كان هذا المقابل هو عدم وجود الشى الأصلى . فهناك حياة — لاحياة ، جوع — لا جوع ، حب — لا حب ، منزل — لا منزل . وهناك تعارضات كثيرة فى هذا الوجود على نحو ما يتجلى لنا مثلا بشكل محسوس فى الصدام الذى يحدث بين قوتين كبيرتين فى حالة حرب . وهذا يوضح لنا وجود كميات حقيقية وواقعية فى حالة تعارض .

وعلى عكس نظرة فرويد إلى الشخصية باعتبارها كما لو كانت منزلا منقسما على نفسه ، ولا يصل أبداً إلى حالة هدوء واستقرار ، فإن يونج يقترح

نهاية سعيدة لقصة التعارض هذه . فهناك حالة توازن تحدث بين هذه القوى المتعارضة . حقيقة إن التوازن الحقيقي يكون قصير الأمد ، ولكنه مع ذلك دليل على حدوث تقدم . لقد اقترح يونج أساليب ثلاثه تتخذها النفس لحل صراعاتها هي التعويض والاتحاد والتعارض .

أما التعويض فهو عندما تشعر الشخصية بأنها فى حالة صراع نتيجة عجزها عن تحقيق هدف مرغوب فيه ، فإنها قد تبحث لها عن أهداف أخرى ، لها نفس الجاذبية ويترتب على تحقيقها إزالة هذا الصراع . وهذا التعويض يحرك الشخصية ويدفعها إلى الأمام نحو موقف جديد ، رغم أنه قد لا يكون هو الموقف الأصلي الذى تهدف إليه . المهم فى نظر يونج أن الشخصية قد فعلت شيئاً وتحركت بعيداً عن الموقف الذى أحدث عدم تحقيقه ، صراعاً . وقد لا يكون للفعل الرمزى نفس قوة الفعل المادى وأهميته فى عملية التعويض . فالحلم بتحقيق شيء ما والسيطرة عليه — رغم أهمية الحلم كظاهرة سلوكية فى نظر يونج — ليس فعلا تعويضياً حقيقياً .

وقد يظهر التعويض بين الاتجاهات والوظائف المختلفة للشخصية . فقد يظهر التعويض بين الإنطواء والإنبساط . فإذا كان الإنطواء هو السائد فى الأنا الشعورى ، فإن اللاشعور يقوم بعملية تعويض وتقوية الإنبساط المكبوت . فإذا أحبط الإنطواء بشكل ما ،أحكم الإنبساط قبضته على الشخصية وفرض نفسه عليها . وكذلك الحال بالنسبة للوظائف . فالشخص الذى يكون من النوع الفكرى الوجدانى فى عقله الشعورى ، يكون نمطه اللاشعورى من النوع الحسى — الحدسى ، على نحو ما سنوضح بعد عند حديثنا عن الاتجاهات والوظائف . وعلى كل حال ، فإن التعويض الناتج عن الصراع يفيد فى نظر يونج إذ يعين على دفع الشخصية إلى التقدم وإلى الأمام .

أما الأسلوب الثانى وهو الاتحاد ، فقد تتحد قوتين معاً للبحث عن حل مناسب لكليهما . والاتحاد أو الوحدة تؤدى إلى التقدم . فعندما يتدخل شخص فى صراع أو نزاع بين فردين من أسرة واحدة ، فقد يتحول النزاع بينهما إلى نزاع مع الشخص الآخر الذى يتدخل لفض النزاع بينهما . أى أنهما يتحدان معا ضد هذا الشخص المتدخل . وهذا ما نعبر عنه أحياناً فى لغتنا الدارجة بقولنا : « أنا وأخى على ابن عمى، وأنا وابن عمى على الغريب » . وما أن يسود الوئام بين الطرفين المتنازعين ، فإن الطاقة المكبوتة تكون قد استنفدت واستهلكت فى قوة ثالثة . وقد نجد ذلك أحياناً بين الأمم حين تتحالف دولتان متصارعتان من أجل مواجهة عدو ثالث يتربص بكلتيهما . وباختصار ، فإن اتحاد القوى المتصارعة قد يكون سبيلا لحل الصراع .

أما الأسلوب الثالث من الفعل الذى يؤدى فيه التعارض إلى الحركة واحتمال التقدم ، فيمكن أن يتمثل جيداً فى المنافسة كالمنافسة بين تلميذين من أجل الحصول على أعلى تقدير فى الامتحان . فقد يؤدى الصراع بينهما إلى حفز كل منهما على العمل وأن يصل إلى ما وراء مجرد التعلم للمادة الدراسية . ولعل المنافسة التجارية بين الشركات والمصانع هى أحد الأسباب التى أدت إلى تقدم الإنتاج وتحسن نوعه وخفض الأسعار وزيادة الخدمات أى أنها دفعت إلى التقدم وإلى الأمام .

وفى ضوء مبدأ القطبية ، أمكن ليونج دراسة الجوانب المختلفة التى رأى أنها تكمن فى الشخصية الإنسانية والتى تخضع لهذا المبدأ . ويرتبط مبدأ القطبية مبدأين آخرين هما مبدأ التعادل ومبدأ الانتقال .

مبدأ التعادل : وهذا المبدأ مستمد من مجال الطبيعة ويعرف باسم المبدأ الأول للديناميكا الحرارية . ويسمي أحيانا بمبدأ حفظ الطاقة . فالطاقة التي

تستخدم لتغيير حالة شيء ما ، لاتختفي ، ولكن سوف تعود إلى الظهور بصورة أخرى في شيء آخر. وهذا المبدأ على نحو ما يستخدمه يونج في الوظيفة النفسية يقرر أنه إذا ضعفت قيمة معينة أو اختفت ، فإن مجموع الطاقة التي تمثلها هذه القيمة لن تفقدها النفس وإنما تعود إلى الظهور مرة أخرى في قيمة جديدة . فانخفاض قيمة ما يعني بالضرورة رفع قيمة أخرى . والرغبة في التحول من نشاط واحد ، قد توجه إلى أنشطة أخرى مختلفة . ولكن ماذا يحدث عندما تكبت الرغبة . هذا السؤال هام بالنسبة ليونج ، لأن منه تصدر الحياة الرمزية للانسان والتي خلالها يحلم الفرد أو يوجه أنشطته في الخيال نحو هدف مرغوب فيه . فالطاقة المحفوظة يعاد توجيهها نحو الشيء المرغوب فيه خلال عالم الحلم، سواء كانت أحلام نوم أم أحلام يقظة فالإنسان يستطيع أن يحلم طريقه الذي يسلكه نحو حل صراعاته .

مبدأ الانتقال : وهذا هو المبدأ الثاني المستمد من مجال الطبيعة وهو ما يعرف باسم المبدأ الثاني للديناميكا الحرارية ، وهو يقرر أنه عندما يوصل جسمان تختلف درجة حرارتهما ، فإن الحرارة تنتقل من الجسم الأعلى درجة إلى الجسم الأقل درجة . المهم أن يكون الجسمان من نفس النوع أو نفس النمط ، كالإنسان والإنسان أو الحيوان والحيوان والمعدن والمعدن ، وعند ما تكون الأجسام متصلة ، فإن الجسم الأعلى شحنة يفقد بعض شحنته إلى أن يتساوى الجسمان بالنسبة للخصائص المتبادلة ، فمقداران من الماء على مستويين مختلفين سوف يتساويان من حيث المستوى عندما يوصل أحدهما بالآخر . والحالة التي تنتج عن ذلك هي فقد الطاقة عندما يبلغ الجسمان حالة التوازن ، ولكن عند تطبيق هذا المبدأ الطبيعي على ديناميات الشخصية ، يلزم تقديم افتراضات أخرى للنظرية ، فالشخصية ليست نظاماً مغلقاً تماما ، ولذا فلن تبلغ الشخصية حالة التوازن التام داخل الفرد الواحد بالنسبة لنشاطين أو حالة توازن

حقيق بين شخصين . ورغم أن حدوث التوازن التام صعب تحقيقه ، لكون الإنسان نظاماً مغلقا جزئيا يخضع لتأثيرات داخلية وخارجية ، فإنه كلما اقترب من تحقيق ذلك ، أصبح أقرب إلى الطمأنينة والأمن .

وفى ضوء مبدأ القطبية وما يرتبط به من مبدأى التعادل والانتقال ، يفسر يونج الكثير من الظواهر والنظم التى تظهر واضحة فى الشخصية . فهناك العلنية ضد الغائية ، والإعلاء ضد الكبت ، و « الأنيما ضد الأنيموس » ، والحاجات العضوية ضد الحاجات الثقافية ، والطاقة المادية ضد الطاقة النفسية ، والوظائف العليا ضد الوظائف الدنيا ، والشعور ضد اللاشعور ، واللاشعور الشخصى ضد اللاشعور الجمعى ، والتقدم ضد النكوص ، والانبساط ضد الانطواء . وفى ضوء هذا كله ، فإن مبدأ القطبية يعد من المبادىء الهامة التى تفسر سيكولوجية يونج ، وبه ترتبط كثير من الظواهر الهامة التى درسها يونج فى بناء الشخصية ونموها وديناميانها .

٢ — تحقيق الذات :

ولعل الهدف الاساسى من نمو شخصية الفرد هو تحقيق ذاته ، ولقد كان يونج من النوع المتفائل بالنسبة للانسان ومستقبله . ورغم أنه أطلع بعمق على الكثير مما كتب وقيل عن ماضى الإنسان سواء فى الميثولوجيا أو علم النفس ، إلا أن اهتمامه الأساسى كان منصبا على دراسة مستقبل الإنسان لقد وجد المستقبل حسنا ، فهو أفضل من الماضى . وجميع الدلالات تشير إلى أن مستقبل الإنسان سوف يظل يتحسن عما كان عليه فى الماضى ، فالرجل الحديث فى نظره قد تقدم كثيراً عما كان عليه الرجل البدائى . وليس ثمة مايدعو إلى الشك أن الإنسان سوف يتغلب على الكثير من مشكلات الحياة التى واجهته فى الماضى كمشكلة الجوع والفقر والمرض وأن يصل إلى أسباب السعادة فى كثير من أمور الحياة .

والتحسن التدريجي للانسان لا يصدر عن جهد جمعي كتلي ، وإنما يصدر فقط من خلال تحسن الشخصية الفردية . والإنسان يعمل في إتساق مع غيره من الأفراد، أساسا من أجل السعادة ومن أجل التعاون المتبادل وتوكيد يونج في هذا الصدد كان يتركز أكثر على الشخصية الفردية . فكيف تصل شخصية الإنسان إلى أعلى مستوى من تحقيق الذات . وما هي المكونات الأساسية لنظام الشخصية التي عليه أن يستخدمها وكيف يعمل على استخدامها ؟

أما فيما يتعلق بمكونات تحقيق الذات . فإن الشخصية تتكون من أجزاء أو نظم متعددة هي الأنا والذات وحالات الشعور واللاشعور والوظائف والقناع واتجاهات الانطواء والانبساط ونظم الطاقة النفسية والجسمية، وعلى قمة هذا كله توجد الذات . ويستعمل يونج لفظ نفس psyché مرادفا للفظ الشخصية . وأعلى مستوى للتفاعل داخل النفس هو الذات . وهذا يدعونا إلى دراسة بناء الشخصية ومكوناتها عند يونج بما يلقي الضوء على نظريته في الشخصية .

بناء الشخصية :

لقد قدم هول ولندزي في كتابهما نظريات الشخصية صورة واضحة عن البناء النفسي أو بناء الشخصية عند يونج في قولهما : إن الشخصية الكلية أو النفس كما يسميها يونج تتكون من عدد من الأنظمة المنفصلة ولكنها متفاعلة مع ذلك فيما بينها . وأهم هذه الأنظمة هي : الأنا واللاشعور الشخصي وعقده ، واللاشعور الجمعي وأنماطه الأولية ، والقناع والآنيما أو الأنيموس وأخيراً الظل . وبالإضافة إلى هذه الأنظمة المترابطة فيما بينها ، توجد الاتجاهات الإنطوائية والإنبساطية ووظائف التفكير والوجدان والإحساس والحدس ، وأخيراً توجد الذات التي هي الشخصية المكتملة النمو والمكتملة الوحدة .

وسوف نعرض باختصار لهذه المكونات الاساسية للشخصية :

الأنا Ego : مفهوم الأنا عند يونج يشمل فقط الأنشطة العقلية الشعورية للإنسان . إنه شيء أقرب إلى فكرة الرجل العادى عن نفسه ، إنه العقل الواعى فى صلته بالواقع ، ويتكون الأنا من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات . فالأنا مسئول عن العمليات الشعورية كالتفكير والإدراكات وإحساسات التوحد فى العالم الذى نعيش فيه ، وعن طريق الأنا يعرف الإنسان نفسه ، بل هو خير ما يعرفه الإنســـــان من مكونات شخصيته ويعمل على مستواه فى حياته اليومية . فالأنا هو الذى يوقظه وينبهه ، وهو الذى يذكره بالأشياء التى يجب عليه القيام بها ، وهو الذى يتخذ له القرارات الهامة فى حياته اليوميه . والأنا فى نظر يونج ، يوجد فى مركز العالم الشعورى للفرد ، ولكنه بسبب ذلك ، قد يدخل فى صراع مع العالم اللاشعورى. فالناس الذين يحيون أساسا على مستوى الأنا الشعورى ، يحسون بالغضب لفكرة أن جزءاً من أنفسهم أو شخصياتهم يوجد فى خارج مستوى الشعور ، وهذا يمكن تفسيره فى نظر يونج . فالشعور واللاشعور متعارضان ، والفرد الموجه شعوريا بشكل أساسى ، يشعر بالضيق والاستياء من تدخل اللاشعور وتطفله . فهو يحس أن ذلك ضعف أو نقص فى الحقيقة على نحو ما يعرفها فى عالمه الشعورى، ومع ذلك يقوم اللاشعور بمحاولات ليعبر بها عن نفسه من خلال الأحلام والتفكير الاجترارى والاعتماد على الرمز ، ويكون الصراع أحيانا قويا بين الشعور واللاشعور. فكلما زاد إنكار الأنا الموجه شعوريا لفكرة اللاشعور، زادت محاولة اللاشعور لإثبات وجوده. وأخيراً - وفى حوالى الأربعينيات - تمهد الأنا السبيل لظهور الذات ، والتى تمثل فى نهاية الامر ذروة البناء ، والتى تستخدم كل من الحالات الشعورية واللاشعورية عند الفرد ، فالذات هى وريثة دور الأنا القديم .

اللاشعور الشخصي : Personal Unconscious

والخبرات التي يمر بها الفرد لا تنسى أو تختفي تماما . وإنما تصبح بدلا من ذلك جزءاً من لاشعوره الشخصي . وهذا اللاشعور الشخصي هو مستودع خبرة الفرد . ومن هنا فإن لكل فرد « لاشعوره الشخصي » الذي يختلف عن « اللاشعور الشخصي » للفرد الآخر . والخبرة التي تدخل اللاشعور الشخصي إما أن تكون قد كتبت لا إراديا ، أو قمعت إرادياً ، باعتبارها ذكرى مؤلمة تسبب الإضطراب للأنا ، أو أنها من الضعف بحيث لم تترك أي انطباع شعوري في النفس . واللاشعور الشخصي منطقة مرتبطة بالأنا . ولهذا فهناك تبادل وحركة بين الأنا واللاشعور الشخصي . ومن الممكن استحضار الكثير من مادة اللاشعور الشخصي إلى الشعور لتساعد الفرد في حياته اليومية ولكن - كما هو الحال بالنسبة للكبت عند فرويد - قد يصبح الفرد عاجزاً أحيانا عن استحضار الأفكار المكبوتة . ورغم ذلك فتيار الإنتقال حر بين الشعور واللاشعور الشخصي . ويرى يونج أن الفرد لا يقدر تقديرا كاملا قيمة اللاشعور الشخصي في حياته اليومية .

العقد : Complexes

وما إن يباشر الإنسان حياته ويجمع خبراته من مجالات متعددة ، حتى تبدأ تتكون محاور أو نواة أو تجمع من الذكريات والوجدانات والأفكار والمشاعر حول ظواهر معينة . وهذه المحاور الرئيسية للخبرة هي التي تعرف باسم العقدة . ومن أمثلتها عقدة الأم ، وعقدة الأب ، وعقدة القوة ، أو أي نوع من العقد التي لها محور رئيسي من الخبرات يكون من القوة لدرجة يبقى في مجال الأنا . وكما تنشأ هذه العقد من الخبرات المتكررة المشبعة والقوية لدرجة تترك آثارها في الأنا ، فإنها تحقق بالمثل وظيفة أخرى هي جذب

وتفسير خبرات جديدة حول العقدة التي سبق أن تكونت . وهذا ما يسميه يونج باسم « قوة تجمع العقدة » فمثلا الناس الذين لديهم عقداً تتركز حول الحياة الخلوية والمعيشة البدائية البسيطة ، قد يحرفون ويشكلون أية خبرة لتفسيرها فى ضوء عقدة « قيمة الحياة الخلوية » .

وفى معظم الأحيان توجد العقدة ونواتها الرئيسية فى اللاشعور الشخصي . والفرد لا يكون على معرفة تامة بأنه يفسر أو يستخدم الكثير من الظواهر المرضية الغريبة فى خدمة عقدته . ومع ذلك ، فقد توجد العقدة فى مستوى الأنا الشعورى . وغالبا فى مثل هذه الأحوال ، قد يبرر الفرد تفسيره المنطقى للأحداث فى ضوء عقدته ، وبخاصة إذا كشف له عنها آخرون من ذوى العقلية غير المعقدة . ومع ذلك ، ففى أغلب الأحيان ، فإن العقدة سوف تفيد من الخبرة المشابهة أكثر مما تفيد من الخبرة المتنافرة . والأشخاص الذين لديهم عقدا من نفس نمط قوة التجمع ، غالبا ما يتجمعون معا فى تنظيمات واحدة .

وقد يعاون اللاشعور الشخصي اللاشعور الجمعى أحدهما الآخر فى استخدام الفرد للعقد . وليس من النادر أن يعيد اللاشعور الشخصي بعض يقظة الأنماط الأولية القديمة والموجودة فى الماضي البعيد الذى ينتمى إلى اللاشعور الجمعى . فالحياة الخلوية أو الحياة فى المعسكرات قد تكون امتدادات لوجود الإنسان القديم على ظهر الأرض . وبالمثل ، فإن حياة الصيد والقنص قد تقوى هذا النمط الأولى على نحو ما جاء إلينا عبر الأجيال عن طريق اللاشعور الجمعى ، فأحدهما يعطى العقده « خلفية » من الإمكانات الموروثة ، بينما الآخر يثرى وينمي الخلفية ويعدها للأجيال المقبلة التى قد ترث هذا النمط الأولى .

ويجب أن نتذكر أن اللاشعور الشخصي هو ماضي الفرد على نحو ما خبره بالفعل في حياته . فإذا لم تكن هناك مثلا أو خلفيات لخبرة الحياة الخلوية ، فإن من الصعب إذن أن نوقظ من جديد الخبرات الأولية ، حتى ولو كانت هذه الخبرات قد كمنت في اللاشعور الجمعي كأنماط أولية .

اللاشعور الجمعي: Collective Unconscious

واللاشعور الجمعي من السمات المميزة لنظرية يونج في الشخصية . وقد أثار هذا المكون الكثير من الجدل بين علماء النفس. فكما سلم يونج باللاشعور الشخصي الذى تختزن فيه الخبرات التى تمر بالفرد . كان من المنطقي أيضاً أن يسلم بوجود « لا شعور جمعي » تختزن فيه الخبرات الماضية المتراكمة عبر الأجيال ، والتي مرت بالأسلاف القدامى والعنصر البشرى عامة . فما دام الفرد يمكنه أن يختزن خبراته في لا شعور شخصي ، فما الذى يمنعه أن يختزن خبرات الجنس البشرى في لا شعور أوسع وأبعد غوراً نسميه باللاشعور الجمعي . فالإنسان يجمع خبرات الأجيال ويختزنها ليستفيد منها إذا وجدت الفرصة لذلك. وما دام الإنسان لم يتغير تغيرا جوهرياً على الأقل من حيث تكوينه العضوى البيولوجي ، فمن المعقول أن معظم خبراته الماضية يمكن أن تعاد . فالإنسان لا يزال يمر بخبرات مماثلة في الأكل ، والنوم ، والحصول على الطعام ، والولادة ، وحماية النفس من الأخطار . وقد أختزنت الأجيال الماضية خبرتها لتنقلها إلينا ، ونحن ننقلها بدورنا إلى الأجيال المقبلة .

وإذا كان الإنسان ينقل مهاراته وخبراته واتجاهاته وعاداته لأولاده ، وهؤلاء بدورهم ينقلونها إلى أبنائهم وهكذا ، فإن من الطبيعي أن يهتم يونج بوسيلة الانتقال . إن الانتقال المباشر وحده من جيل لآخر ليس يكفي

لتنقل هذه الأفكار والخبرات المتراكمة . لذا كان من الطبيعي أن يعطي يونج أهمية كبيرة إلى الوارثة . ولذا فهو يذهب إلى أننا نرث « خبرات » الأجداد وخبرات الجنس البشرى المتراكمة . وهذه الخبرات ، أو بمعنى أدق إمكانات وجود نفس النظام من خبرات الأجداد والعنصر البشرى ، هى التى تورث فى شكل أنماط أولية . وهذا النمط الأولى هو ذاكرة العنصر التى أصبحت جزءاً من إرث الإنسان بفضل تكرارها على نظام عام شائع بمر الأجيال.

فاللاشعور الجمعى يحوى إذن كل الخبرات الإنسانية المتراكمة من الماضى السحيق والتى يمكن الرجوع بها إلى مرحلة ماقبل الإنسان ، بشرط أن تكون هذه الخبرات قد تكررت مرات عديدة ، وتركت آثارها فى مخ الإنسان . فهو إذن عام بين أفراد الجنس .

واللاشعور الجمعى هو الأساس العنصرى الموروث للبناء الكلى للشخصية. فعليه يبنى الأنا واللاشعور الشخصى وجميع المكتسبات الفردية الأخرى . فكل ماعليه الإنسان فى حاضره ، قد أرسيت أسسه فى اللاشعور الجمعى . ومهما فعل الإنسان فى عالمه الحديث ، فإنه يشيده وفق أنماط معينة مضت واختزنت فى اللاشعور الجمعى . وهذا مايوضح لنا الكثير جداً من الأشياء المشتركة بين الإنسان البدائى القديم والإنسان الحديث . فالإنسان عبر الأجيال المتعاقبة ، لديه الاستعداد لعبادة القوة والسيطرة على نحو مايظهر فى الحروب بين الأمم . ومثل هذه الظواهر العامة الشاملة لا يمكن أن تنتقل عبر الأجيال عن طريق العادة والقانون فقط . بل إن الإنسان يرث هذه الأنماط أو بمعنى أدق يرث الاستعداد للقيام بهذه الأنماط . وعمومية بعض هذه الأنماط اللاشعورية ترجع إلى التدعيات المتكررة فى الماضى إبتداء من حياة الحيوان حتى وصلنا إلى حياة الإنسان الحالى . والانحرافات القليلة نسبياً عن نمط اللاشعور الجمعى ، تعد حالات مرضية يكون فيها تعارض بين الأنا واللاشعور الشخصى وبين

اللاشعور الجمعي . وبسبب قوة اللاشعور الجمعي وكونه كلي الوجود ، فإن أي انحراف كبير عنه ، يسبب شذوذا وانحرافاً في النفس . والتحدى القوي للاشعور الجمعي ، سوف يترتب عليه فقدان الإحساس بالسعادة عند الفرد . إن حب الأم مثلا لا يتعلم عن طريق المثال ، ولكنه يورث من الماضي عبر الأجيال عن طريق اللاشعور الجمعي . والحيوانات لا ترعى صغارها تحت ضغط الإحساس بالواجب أو تحت ضغط الظروف الإجتماعية ، ولكن تحت تأثير الأنماط الخاصة الأولية للاشعور الجمعي . والإنسان - وهو أعلى الحيوانات جميعها مرتبة - يرث أيضا نفس الميل فإذا أغفل هذا الميل أو لم يعمل على تدعيمه فى لاشعوره الشخصي ، فسوف يصبح ضحية التوتر والضغط الوجداني .

والأنماط الأولية هو الأسم الذى أطلقه يونج على المكونات البنائية للاشعور الجمعي . وقد قدم يونج لها أسماء أخرى مثل « الصور الأولية البدائية » و « الصور الاسطورية » و « أنماط السلوك » . وقد سمى يونج وبعض مساعديه أسماء عـــدد قليل من الأنماط الأولية ، وذهب إلى أن هناك أنماطا أولية كثيرة لم يتعرف عليها ولم يسمها ، وكلها تلعب دوراً كبيراً في تكوين شخصية الإنسان . ومن الأسماء القليلة التى أعطاها يونج للأنماط الأولية نذكر : الله ، الشيطان ، الأم ، الأب ، الطفل ، الميلاد ، الموت ، التناسخ أو الحياة بعد الموت ، نهاية العالم . والنمط شكل فكرى مشاع وعام يتضمن قدراً كبيراً من الانفعال . وهذا الشكل الفكرى يخلق صوراً أو رؤى تتشابه فى حياة اليقظة العادية مع بعض جوانب الموقف الشعورى ، فالنمط الأولى الأم مثلا ينتج صورة لشخص الأم تتعين بالأم الحقيقية : وبعبارة أخرى إن الطفل يرث تصوراً ذهنيا عن الأم عامة وهذا يحدد - إلى حد ما - كيف يدرك الطفل أمه هو . كما أن إدراك الطفل يتأثر بطبيعة الأم

والخبرات التي تربط الطفل بها . ومن هنا ، فإن خبرة الطفل هي نتاج مشترك لإستعداد داخلي لإدراك العالم بصورة معينة ، والطبيعة الفعلية لهذا العالم . وهذان المحددان غالباً ما يتفقان ، لأن النمط الأولى نفسه هو نتاج الخبرات العضوية بالعالم ، كما أن هذه الخبرات كبيرة الشبه بتلك التي يعيشها أى شخص فى أى عصر وفى أى مكان . ومعنى ذلك أن طبيعة الأمهات — أى ما يقمن به من أعمال — قد ظلت على ما هى عليه خلال تاريخ الجنس البشرى . وبذلك ، فإن صورة الأم التى يرثها الطفل تتفق والأم الفعلية التى يتفاعل معها الطفل .

والأنماط الأولية ليست بالضرورة منفصلة إحداها عن الأخرى فى اللاشعور الجمعى ، وإنما هى تتداخل وتترابط فيما بينها . فالنمط الأولى للبطل قد امتزج بالنمط الأولى للرجل المسن الحكيم ، لينتجا معاً مفهوم « الملك الفيلسوف » الذى يشار إليه باحترام ويحظى بتقدير الأفراد لأنه يجمع فى نفس الوقت بين البطل والحكيم .

القناع Persona

لقد استعار يونج المصطلح اليونانى القديم برسونا Persona ومعناه القناع ليصف به « الوجه الذى يتقدم به الإنسان للمجتمع . فنحن فى حياتنا اليومية العادية ، قد نجد ضرورياً أحياناً أن نغلف ذواتنا الحقيقية بغلاف خادع وُنلبسها قناعاً لتبدو للعالم فى مظهر يتفق والجماعة . ولعل هذا هو السبب الذى جعل يونج يحتفظ فى نظريته بالمصطلح الأصلى « برسونا » ، وعرفه بقوله « قناع العقل الجمعى ، قناع يخفى وراءه الفردية . . . فهو جزء من المسرحية ينطق به العقل الجمعى » .

وهذا الوجه الذى يبدو به الإنسان أمام المجتمع قد يكون غريباً تماماً عن

وجداناته ومقاصده الحقيقية . والإنسان يشتق قناعه من الأدوار التي يقررها له المجتمع واستجابته لمطالب المقتضيات الإجتماعية والتقاليد ، وكذلك من تقبله وخلقه أو تغييرة لمفهوم المجتمع للدور الذي يقوم به . والشخص الذي يعيش أساساً خلف قناع عام هو أشبه بالإنسان ، منه بالإنسان الحقيقي الذي يحقق ذاته . ومثل هذا الشخص قد ينحرف كثيراً عن مشاعره ووجداناته الحقيقية بحيث يصبح غريباً عن ذاته ، مما يتعذر معه على الفرد أن يحقق ذاته. ولعل هذا في نظر يونج هو أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل الفرد شديد الاضطراب ، انفعالياً في المجتمع الحديث . ومثل هذا الإنسان الشخصي يعيش بأهداف وأغراض زائفة . فذاته الحقيقية ، وذاته كما يبدو بها أمام المجتمع تصبحان متباعدتين تباعداً كبيراً لدرجة يستحيل معها على الفرد خلق ذات حقيقية تتفق ومثله وأهدافه الخاصة . وكلما ابتعد الإنسان وانحرف عن تحقيق ذاته الحقيقية ، أصبح أقرب إلى الحالة المرضية منه إلى السواء . أما الشخص الذي يمكنه أن يتخفف من القناع ويصبح أقرب إلى تحقيق ذاته الحقيقية ، فإن يونج يسميه الإنسان الفردي Individual man .ومثل هذا الإنسان يمكنه أن يحقق ذاته في ضوء الأهداف والمقاصد التي يرسمها لذاته . ووفق مبدأ القطبية الهام عند يونج تكون الحياة صراعاً بين « شبه الإنسان الذي يختفي وراء القناع » و « الإنسان الفردي » الذي يسعى إلى تحقيق ذاته(١).

الانيما والانيموس : The Anima and the Animus

لقد كان يونج جريئاً في القول بأن الإنسان ثنائي الجنسية ، وذلك قبل أن يصبح مثل هذا القول مقبولا بوقت طويل . فالإنسان في نظر يونج

---

(1) Fordham, Frieda : An Introduction to Jung's Psychology. Penguin Books 1959.

- وعلى نحو ما أوضحنا فى حديثنا عن اللاشعور الجمعى - يرث عن أسلافه بعض الخصائص العامة ومنها الخصائص الذكرية والأنثوية التى توجد عند الجنسين . وينسب يونج هذه الخصائص الذكرية والأنثوية إلى الأنماط الأولية ويطلق على النمط الأولى الأنثوى لدى الرجل اسم « أنيما » ، ويطلق على النمط الأولى الذكرى لدى الأنثى اسم « أنيموس » . وهذان النمطان الأوليان ينموان ويتطوران - شأنهما فى ذلك شأن أى نمط آخر - نتيجة للخبرات العضوية للرجل مع المرأة والمرأة مع الرجل ؛ أى أن الرجل يكتسب نتيجة حياته الطويلة مع المرأة عبر العصور الطويلة أنوثة ، على حين تكتسب هى نتيجة حياتها الطويلة مع الرجل ، ذكورة .

وقد أشار يونج إلى أن الطبيعة الكلية للرجل تستلزم مقدماً المرأة ؛ والعكس صحيح . وبهذا المبدأ الأولى الذى يمكن أن يتراكم عبر الأجيال ، يصبح الرجل والمرأة أكثر قدرة على تقدير كل منهما للآخر وفهم كل منهما لدور الآخر . فالرجل يصبح أكثر قدرة على تفهم طبيعة المرأة بما عنده من أنيموس ، والمرأة تصبح أكثر قدرة على تفهم طبيعة الرجل بما عندها من « أنيما » .

الظل Shadow

والنمط الأولى للظل يتكون من هذا الجزء من اللاشعور الذى يرثه الفرد عن أجداده السابقين على الإنسان ، فهو يمثل الغرائز الحيوانية . ومن هنا ، فإن الدوافع اللاخلقية والدوافع الشهوية تصدر أساسا من الظل . فالظل عند يونج يقوم مقام الهو والدوافع الشهوية فى اللاشعور عند فرويد . فهو يمثل الغرائز الحيوانية البدائية المتوحشة فى الإنسان . والسلوك السيء خلقياً الذى يستحق التأنيب يصدر عن اللاشعور الجمعى القديم الذى ورثه الإنسان عن

أجداده والسلالة الحيوانية. ومع ذلك، وخلافاً لما وجدناه عند فرويد، يذهب يونج إلى أن هذا الظل وهذا الجانب الحيوانى فى الإنسان يساعده على أن ينمى الاستقطابات اللازمة لوجود الإنسان والضروريه لتقدمه الحقيقى، فمن خلال العمل السىء، يتعلم الإنسان العمل الحسن، ويحاول أن يحقق حياة طيبة. يقول يونج: « إن الظل هو مشكلة خلقية تتحدى شخصية الأنا كلها ». وهو بالإضافة إلى ذلك مشكلة اجتماعية بالغة الأهمية، ويجب عدم التقليل من أهميته ولا يمكن لأى إنسان أن يحقق الظل دون حل خلق ملحوظ وإعادة التوجيه لبعض معاييره وأفكاره.

الذات Self

وهذا النمط الأخير هو أهم الأنماط الأولية جميعها. وقد وجد يونج هذا النمط ممثلا فى حضارات مختلفة. ويرمز إليه برموز مختلفة أهمها المانداالا Mandala أى الدوائر السحرية. وهى تمثل اشتهاء الإنسان للوحدة والكلية والتكامل فى الشخصية.

والذات التى تقع فى موضع وسط بين الشعور واللاشعور — تكون قادرة على إعطاء التوازن للشخصية كلها: النفس. إنها تفعل أكثر من إحداث التوازن للنفس. إنها تحفظ النفس فى حالة استقرار وثبات نسبى. ويحقق الإنسان فى العادة مثل هذا الاستقرار والثبات النسبى فى سن متقدمة بعد أن يكون قد تغلب على تهور المراهقة والاتجاه نحو العالم الخارجى فى بداية الرشد. وحين يتقدم الفرد نحو متوسط العمر، تحل اتجاهات الانطواء تدريجيا محل اتجاهات الإنبساط ولا يكون الفرد خلال هذه الفترة محتاجا إلى نفس مقدار الطاقة الجسمية التى استخدمها فى بداية حياته، وبذلك تحل الطاقة النفسية محل الطاقة الجسمية لإحداث التوازن فى حياة الفرد حسب مبدأى التعادل

والانتقال . كما تصبح الحاجات العضوية أقل أهمية ، ويبدأ الفرد يستمتع بالحاجات الثقافية . والنتيجة النهائية لإعادة التوافقات هذه ، هي نفس متوازنة وذلك بسبب قدرات الذات على الانتقال من قطب لآخر والوصول إلى نقطة وسط إذا أمكن للذات تحقيق نفسها في معظم إمكانياتها . وكما سبق أن رأينا ، فإن الشخصية لن تصل إلى حالة التوازن الكامل والإشباع وذلك بسبب التأثيرات الخارجية غير المتوقعة للحياة .

غير أن يونج يذهب إلى أنه في حالات قليلة جداً بل ونادرة ، على نحو ما نجد بالنسبة لبعض الشخصيات الدينية كالرسل ، أن تبلغ النفس مكاناً قريباً من التوازن الكامل ، وقد ظهر اهتمام يونج بالدين والطقوس وبنظرية النرفانا في كثير من كتاباته عن توازن النفس .

أما يونج فيعتبر الوجدان وظيفة منطقية ، وهو موقف غير عادي إذا قورن بموقف غيره من السيكولوجيين . فالوجدان في نظره يعزو قيمة لشيء ما ، ولا يمكن لشخص أن يعزو قيمة لشيء ما دون القيام بمقارنة الشيء الأصلي بأشياء أخرى كثيرة ، ولحظة القيام بالمقارنة ، فإن استخدام عمليات التفكير الصادرة عن الوجدانات والفكر ، تعتبر صورة من السلوك المنطقي . ومن هنا ، فإن الوجدان في نظر يونج عقلي منطقي . فالعقل عليه أن يقوم بأحكامه ، وليس يهم أن يكون أساس الحكم هو الوجدان ، فإن القيم التي تستمد من الحكم تكون منطقية كغيرها من صور التقييم التي يقوم بها الفرد .

التفكير : وهو الوظيفة الرابعة التي افترضها يونج . وهذه الوظيفة منطقية عقلية كذلك . فعندما يفكر شخص ما ، فإنه يقوم بعمل تنظيم وترتيب للحقائق على نحو ما يعرفها . وليس من الضروري أن تتدخل الحواس في

... ... مرات تعتبر ذات أهمية كبرى وبخاصة بالنسبة للانسان . فالتفكير يتضمن إقامة علاقات ونظم أو ترتيب لأكثر من مجموعة واحدة من القضايا . ولذلك يعتبر التفكير هاما للغاية بالنسبة للانسان (١) .

وبعد أن استعرضنا باختصار النظم والاتجاهات والوظائف التى تكون الشخصية والتى تحدث أثرها فى تحقيق الذات ، يجدر بنا الإشارة إلى أهم الميكانزمات التى تستخدمها النفس فى تحقيق ذاتها .

ميكانزمات تحقيق الذات : يبلغ الإنسان تحقيق ذاته بطرق متعددة بعضها متعارض الواحدة منها مع الأخرى ، وبعضها مكمل إحداها للأخر. وسوف نشير باختصار إلى أهم هذه الميكانزمات :

١ — إن أول ميكانزمات تحقيق الذات هو عوامل القطبية :فهناك على نحو ما أوضحنا النكوص ضد التقدم، اللاشعور الشخصي ضد اللاشعور الجمعي، الشعور ضد اللاشعور ، الانبساطية ضد الانطوائية ، الوظائف العليا ضد الوظائف الدنيا ، والطاقة الجسمية ضد الطاقة النفسية ، والحاجات العضوية ضد الحاجات الثقافية ، الأنيما ضد الأنيموس ، الإعلاء ضد الكبت ، العلية ضد الغائية . وجميع هذه العوامل تعمل داخل مبدأى التعادل والانتقال .

٢ — وكناحية أساسية من نواحى كسب الفرد ذاتاً أكثر كمالا ، ما يرثه الفرد من أجهزة ، فهو يرث نظاما بيولوجيا مجهزاً تجهيزاً تاماً بالغرائز . والوظيفة الرئيسية لغرائزه هى استمرار الحياة وبقائها واستمرار نوعه . وتكون الغرائز الجانب الحيوانى من الطبيعة الإنسانية ، فهى الصلات التى تربطه بماضيه الحيوانى ، كما أنها تعتبر أيضاً بمثابة دفعة داخلية للسلوك بطريقة معينة عندما تنشأ فى الأنسجة حالة معينة . ثم إن الإنسان يرث أيضاً إمكانية

---

(١) أنظر ما كتبناه من الأنماط السيكولوجية عند يونج الفصل السابع

الخبرات السلالية التى سماها يونج باسم الأنماط الأولية أو الأنماط السلوكية أو الإيماجو. فهو بالإضافة إلى وراثة الغرائز البيولوجية ، يرث أيضاً خبرات « الأجداد » . فالإنسان يرث الاستعداد للخوف من الحيوانات الضارة والخوف من الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق .

٣ — إن الإنسان ليس مجرد تراكم خبرات الماضى ، إنه أيضاً مجموعة أحلام وآمال بالمستقبل ، ومن خلال ديناميات الحياة الراهنة وأثر خبرات الماضى يضع الفرد خطة المستقبل . فالإنسان ليس مخلوقاً دائم التطلع إلى الماضى وإلى الوراء ، وإنما هو مخـــلوق دائم التطلع إلى المستقبل وإلى الإمام ، وهى حقيقة يعتبرها يونج ذات أهمية أولية فى بلوغ تحقيق الذات . فالإنسان لا يمكن أن يبلغ تماما تحقيق ذاته ، دون أن يكون سلوكه غرضياً .

٤ — من النادر أن يبلغ الطفل أو المراهق التحقيق الكامل للذات . ومن المعروف أن يونج لم يضع مراحل لنمو الشخصية ،على نحو ما نجد عند فرويد مثلا ، وإنما خلال السنوات الأولى من حياة الفرد يستثمر الليبيدو فى ألوان من النشاط تكون ضرورية لبقاء الحياة . وقبل سن الخامسة تبدأ القيم الجنسية فى الظهور وتبلغ قمتها فى المراهقـــة . وفى مرحلة الشباب يكون الفرد مليئا بالطاقة والقوة مندفعاً عاطفيا ، معتمداً إلى حد كبير على الآخرين . ولكن ما أن يصـــل الفرد إلى الثلاثينيات أو الأربعينيات حتى يحدث تغير حاسم فى قيمه وأهدافه . فاهتمامات الشباب وأهدافه تفقد قيمها لتحل محلها اهتمامات أخرى أكثر ثقافية وأقـــل بيولوجية ؛ كما أن السلوك المنبسط المندفع عند الشباب يتحول ليحل محله التروى والتعقل ، ويسمح بقدر للسلوك الروحي الأكثر ميلا إلى

الانطواء مع حركة متراكة وأنظمة قيم تقوم على أسس فلسفية أعمق .

٥ — وليس ثمة شك أنه كلما زادت خبرات الفرد ، كان أكثر قدرة على توسيع ذاته ، ومن خلال نمو المكونات المتعددة للشخصية نمواً متكاملا تحقق الشخصية ذاتها . فلو أن جزءاً من الشخصية قد أهمل فإن النظام المهمل الذى سوف يكون أقل نمواً ، سوف ينشط كمركز للمقاومة . وإذا كثرت المقاومات فى الفرد أصبح عصابياً . ولما كان النمو يصدر عن الخبرات المفيدة ، فإن الشخص الذى لديه قدر أكبر بخبرات الحياة والذى يمكنه الإفادة منها ، سوف يصبح أقرب إلى بلوغ تحقيق الذات . ولكى تتوفر للفرد الشخصية الصحيحة المتكاملة ، لابد من السماح لكل نظام ببلوغ أقصى درجات النمو . وتسمى العملية التى يتحقق ذلك بواسطتها باسم عملية « التفرد » ، وفيها تصل الذاتية إلى أعلى مستوى للنمو فى كل أجزائها ، وتقترب الأقطاب الواحدة من الأخرى من أجل إحداث حالة توازن . وعندما تقترب من هذا المستوى ، يرى يونج أن الإنسان يكون قد نما إلى أحسن صورة يمكن بلوغها . ومن خلال الوظيفة المتعالية التى تملك القدرة على توحيد جميع الاتجاهات المتعارضة للنظم المتعددة ، تصل الأنظمة الروحية التى هى هدف الإنسان فى الحياة إلى أوج إزدهارها .

٦ — والرمز شىء أساسى فى نظرية يونج للشخصية . فالإنسان وحده يتميز بقدرته على العمل فى الحياة مستخدما الرموز ، بينما يتعذر ذلك بالنسبة للصور الدنيا من الحياة الحيوانية . وكثير مما يقوم به الإنسان يمكن أن يوجه إلى مستوى رمزى من خلال الصور والكلمات والأحلام والموسيقى والفن . والرمزية التى يتميز بها الانسان تساعده فى

بلوغ مستوى أعلى وأكثر تمايزاً للذات مما يمكن أن يحدث بالنسبة للانواع الأخرى من الحيوانات ، وبوجه عام كلما هبط مستوى الإنسان ، فقد الكثير من قدرته على العمل بالرموز .

وتحقق الرموز وظيفتين أساسيتين :

الوظيفة الأولى تمثل مستودع خبرات الأسلاف . وبذلك تساعد على التغلب على السلوك الغريزى الذى لا يمكن التعبير عنه صراحة . أما الوظيفة الثانية فتمثل المستويات الطموحية للانسان عندما يتقدم به السن ، وقد عبر يونج عن ذلك بقوله : « إن مغزى الرمز ليس فى أنه إشارة مقنعة إلى شىء معروف بصفة عامة . بل فى أنه محاولة فى إبراز ما هو حتى الآن مجهول تماما ولا يزال رهن عملية التكوين ، فمصير الإنسان وأعلى ما تصبو إليه نفسه يمكن أن تحددها الرموز .

يقول هول ولندزى بصدد التعليق على وظيفتى الرمز إن جانبى الرمز ، الجانب الرجعى والذى تقود الغرائز خطاه ، والجانب المستقبلى والذى تقود خطاه الأهداف النهائية للجنس البشرى ، هما جانبان لعملية واحدة . ويمكن تحليل الرمز لكلا الجانبين . والنمط الرجعى فى التحليل يكشف عن الأساس الغريزى للرمز . أما النمط المستقبلى فيكشف عما يطمح الجنس البشرى إليه من كمال وولادة جديدة وانسجام ونقاوة وتطهر وما إلى ذلك . والنمط الأول من التحليل نمط يقوم على التماس العلية والإرجاع إلى أسباب أولية قليلة ، أما النمط الأخير فنمط غائى يقوم على التماس العلل النهائية ، وكلاهما ضرورى لتوضيح الرمز توضيحا كاملا . ويعتقد يونج أن الطبيعة المستقبلية للرمز قد أهملت وفضلت عليها النظرة إلى الرمز بوصفه نتاج الدفعات المحبطة وحدها (١) .

(١) هول ولندزى : نظريات الشخصية ترجمة د فرج أحمد فرج وآخرون . القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ ص ١٣٩

الفصل الثامن عشر

الفريد أدلر (١٨٧٠ – ١٩٣٧)

ولد أدلر فى احدى ضواحى مدينة فينا ، من أب يعمل بالتجارة. درس أدلر علم النفس والاقتصاد السياسى والاجتماع ، ثم أتم دراسة الطب فى جامعة فينا . وفى أثناء دراسته للطب كان يحضر محاضرات فى الفلسفة وعلم النفس . وقد بدأ حياته العملية عام ١٨٩٨ طبيباً للعيون . ثم اشتغل طبيباً عاما وتخصص فى دراسة الأعصاب . ثم عرف فرويد وكان من المولعين بآرائه. وكان من بين الجماعة التى تجتمع مع فرويد مساء الأربعاء ، وأصبح أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية التحليل النفسى بفينا . ولكن سرعان مابدأ يكوّن لنفسه رأياً مستقلا يختلف عن رأى فرويد . وانسحب من جماعة فرويد عام ١٩١١ حين طلب فرويد من أتباعه أن يقبلوا نظريته عن الميول الجنسية قبولا مطلقاً . وكون أدلر مع سبعة آخرين الجماعة الحره للتحليل النفسى والتى أطلق عليها فى عام ١٩١٢ اسم « جماعة علم النفس الفردى » . وقد أصبح له اتباع عديدون فى مختلف أنحاء العالم .

ولقد قام أدلر بإلقاء سلسلة من المحاضرات عن نظريته فى بوسطن وشيكاغو وغيرهما من مدن الولايات المتحدة . وعين استاذاً بجامعة كولومبيا ١٩٢٩ . ودعاه عمدة برلين لإلقاء بعض المحاضرات عن مذهبه- ثم ذهب إلى ابردين باسكتلندا لإلقاء بعض محاضرات فى جامعتها وتوفى هناك عام ١٩٣٧ .

وتتميز أفكار أدلر بالوضوح والتحديد كما تتميز نظريته بالسهولة والبساطة وكان على عكس فرويد ويونج اقتصادياً فى استخدامه للمفاهيم . فقد استخدم عدداً قليلا نسبياً من المفاهيم جيدة التحديد .

وكان أدلر من أصحاب النزعة الإنسانية والتي ينتمي إليها بعض المحدثين من علماء النفس ، من أمثال « كارل روجرز » و « جوردون البورت » . وكان متفائلا بالنسبة لمستقبل الإنسان ؛ إذ يرى أن الإنسان لديه الفرصة ليصبح أفضل وأحسن مما هو عليه الآن ، وأن يتحرك قدماً إلى الأمام وأن يقلل من مشكلاته فى الحياة ويصل إلى درجة كبيرة من التوافق مع الحياة . ومن هنا كان اهتمام أدلر بالطريقة التى يتبعها الفرد فى تكييف نفسه مع المجتمع . فالإنسان فى نظره كائن اجتماعى فى أساسه ، ويربط نفسه بالآخرين ، ويفضل المصلحة الإجتماعية على المصلحة الأنانية ويكتسب أسلوبا خاصاً للحياة يغلب عليه الإتجاه الاجتماعى .

ويمكن أن تقدم صورة مختصرة عن نظرية أدلر فى الشخصية فى معالجة بعض المبادىء الهامة التى تقوم عليها هذه النظرية .

١ — القصور :

إن فكرة أن الإنسان مخلوق تدفعه مشاعر القصور قد تكونت لديه عندما كان يمارس عمله كطبيب فى فينا مع مطلع هذا القرن . وفى ذلك الحين لاحظ أدلر أن كثيراً من مرضاه يميلون إلى تركيز شكواهم حول أعضاء معينة من الجسم . وقد اكتشف أدلر — قبل ظهور الطب النفسى الجسمى — أن الإنسان يتحول إلى المرض لكى يحل كثيراً من مشكلاته غير الجسمية . وغالباً ما تكون زملة الأعراض التى يشكو منها المرضى غير مرتبطة بالأعضاء التى يشكون منها . وقد توصل أدلر من ذلك إلى نظرية القصور العضوى . فالإنسان يولد ولديه استعداد لقصور أحد أعضاء جسمه . ويقصد بقصور العضو عدم استكمال نموه أو توقفه أو عدم كفايته التشريحية أو الوظيفية أو عجزه عن العمل بعد المولد . ووجود مثل هذا العضو القاصر يؤثر دائماً

على حياة الشخص النفسية لأنه يحقره فى نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمن . لكن هذا الشعور بعينه هو الذى يدفع الفرد على بذل المزيد من الجهد لتعويض هذا الشعور بالقصور . وأحياناً يتخذ هذا التعويض أشكالا من العنف تبلغ حداً متطرفاً لا ننتظره منه ، وهو ما يعرف باسم التعويض النفسى الزائد . وتعويض العضو القاصر يحدد عادة أسلوب حياة الفرد والطريقة التى يهدف بها الفرد إلى تحقيق السيطرة . فالشخص ضعيف البنية فى الطفولة غالباً ما يعوض هذا القصور البدنى بممارسة الرياضة بشكل غير عادى لتقوية بنيته ، وقد يصبح فيما بعد من الأبطال المحترفين . وأمثلة التعويض المشهورة كثيرة منها : ديموستين الأغريقى الذى بلغ شأواً عالياً فى الخطابة رغم ما كان لديه من اللثغة وعيوب كلامية فى طفولته . وبتهوفن الذى أخرج خير قطعه الموسيقية بعد أن أصيب بالصمم .

ولم يلتزم أدلر حدود القصور البدنى وما يتطلبه من تغير فى الحياة النفسية بل عمم فكرته حتى شملت القصور المعنوى والاجتماعى وبالمثل لم يقصر أدلر حديثه على الحالات المرضية ، بل وسع فكرته حتى شملت أيضاً الحالات السوية . يقول أدلر « إن ما يصدق على القصور العضوى يصدق أيضاً على القصور الاجتماعى أو الاقتصادى الذى يثقل كاهل الفرد فيضيق به ذرعاً حتى لا يرى فى الدنيا إلا خصماً لدوداً . والطفل منذ سنواته الأولى يحس إحساساً واضحاً بهذا القصور فى علاقته بالبيئة التى يعيش فيها . فالكبار من حوله يستطيعون القيام بالعديد من الأشياء التى يعجز هو عن القيام بها . فى إمكانهم أن يصلوا إلى الأشياء المرتفعة التى لا يستطيع هو الوصول إليها ، وفى إمكانهم أن يتحكموا فى الأشياء أفضل مما يستطيع هو وهذا الإحساس بالقصور يدفعه إلى محاكاة قوى وقدرات الآخرين . وفى بعض الحالات الشاذة قد يحدث أن يثبت الفرد عند هذا المستوى القاصر ، أو يصبح غير قادر على محاولة أى شىء جديد أو قد ينكص إلى مستوى أدنى . وقد تظهر عقبات فى نمو الفرد . وهذا أمر

طبيعى يحس عنده الفرد بشعور وقتى بالرضا والارتياح ، ولكنه يكون أشبه بمن يستريح ويلتقط أنفاسه ليتنقل إلى ما هو أفضل وأكثر كمالا . وهكذا تسير العملية من مشاعر القصور إلى محاولة تعويض وبذل جهد لبلوغ أهداف جديدة ومستوى جديد (وقد تكون أهدافاً فعلية أو وهمية) وهذا هو جوهر الحياة كما يقول أدلر . فهذا الشعور بالقصور والذى يوجد مع الإنسان منذ بداية الحياة هو الذى يحفظ للإنسان بقاءه وحياته عبر الأجيال

وفى سياق نظرته إلى القصور العضوى ، ذهب أدلر إلى اعتبار المرض حيلة يلجأ إليها الفرد للتخلص من واجبات قاسية ، وثقيلة لا يمكنه تذليلها أو القيام بها . ومعنى هذا أن الإنسان يولد ولديه استعداد لضعف عضو من أعضاء الجسم يمكن أن يفيده فى مواقف معينة حين تواجهه ضغوط الحياة التى لا يقوى على تحملها . فإذا أعيقت الرغبة فى السيطرة فقد يبحث الفرد من تبرير لضعفه بإعلان مرض العضو الضعيف . ولذا نجد بعض رجال الأعمال الذين يخضعون لظروف شديدة من الضغط والمنافسة فى العمل ، تظهر لديهم أمراض القرحة ، على حين يشكو بعضهم الآخر الذين يمرون بمثل هذه الظروف من صداع مستمر . وليس ثمة شك أن هذا العضو الضعيف يختلف من فرد لآخر .

وبعد أن ربط أدلر القصور بالضعف العضوى ، ذهب إلى القول بما أسماه « النزوع للرجولة » أو الاحتجاج الذكرى Masculine Protest . ولقد جمع أدلر بطريقة ما تفسيره بين القصور والضعف والأنوثة ، كما جمع بين القوة والرجولة . فالقصور مرادف فى نظره للأنوثة ، بينما القوة ترادف الرجولة . ومن المفروض أن كلا من الذكر والأنثى يوجد لديه هذا النزوع للرجولة أو هذا الاحتجاج الذكرى ضد الضعف وهو أيضاً ما تفسر به محاولة الإناث التشبه بالرجال فى الزى والتدخين والمطالبة بالمساواة بالرجل فى الحقوق

السياسية كما نفسر به أيضاً ما يقوم به بعض الغلمان من محاولة التشبه بالرجال.
ولكن أدلر لم يقف عند حد هذا المفهوم المقتضب بل أخضع هذا الرأى لرأى آخر أكثر شمولا واتساعاً وهو أن الجنس البشرى كله يشعر بالقصور منذ الولادة، وأن هذا القصور غير مرتبط بالأنوثة، وإنما ينشأ من أحساس بعدم الاكتمال أو عدم الاتقان فى أى مجال من مجالات الحياة. فمشاعر النقص إذن ليست علامة على الشذوذ، وإنما هى سبب كل ما يحققه الإنسان من تحسن. أما ما قد يحدث من شذوذ فهو بفعل ظروف خاصة يمر بها الطفل كالتدليل الزائد أو القسوة الزائدة.

وهكذا تطور مفهوم القصور عند أدلر. فمن القصور العضوى إلى النزوع للرجولة إلى المفهوم العام بأن كل إنسان لديه مشاعر القصور منذ الولادة وأنهم يبدأون صراعهم مع الحياة ليتغلبوا على هذا القصور ويبلغوا مستويات أعلى من مستوياتهم الراهنة.

٢ — السيطرة :

ومن الخطأ معالجة مبدأ السيطرة مستقلا عن مبدأ القصور. فالمبدآن مرتبطان إرتباطاً وثيقاً. فالحديث عن أحدهما يستلزم الحديث عن الآخر. ومع ذلك فبسبب نمو مبدأ السيطرة وتطوره فى تفكير أدلر، لزم معالجته هنا كمبدأ مستقل وإن كان من حيث الواقع غير منفصل عن مبدأ القصور.

لقد بدأ أدلر بقبول فكرة فرويد فى الجنس كمحرك أساسى فى الحياة ولكنه سرعان ما تحرر من هذه الفكرة وذهب إلى القول فى مرحلة من مراحل تفكيره، إلى إن الإنسان حيوان عدوانى، وأنه بسبب هذا السلوك العدوانى بقى الإنسان على قيد الحياة مما دعاه إلى استنتاج أن العدوان أكثر أهمية من الجنس. ولكنه بعد ذلك إنتقل فى تفكيره إلى مرحلة تالية.

ففي خلال مرحلة النزوع الرجولة ، استنبط أدلر ، خلال علاجه لمرضاه ، أن الإنسان ليس مجرد حيوان عدواني ، وإنما يهدف إلى بلوغ القوة بمعناها المحسوس وبمعناها الرمزي أو هما معاً . فكثير من مرضاه الذين قام بعلاجهم كانوا يفتقرون كلية إلى العدوان ، ويمكن وصفهم بأنهم كائنات إنسانية عديمة القوة . ومن هنا وصل أدلر إلى أن الإنسان كائن يبحث عن القوة . وقد أوضحنا من قبل أنه ربط بصورة ما بين القوة والرجولة، وبين القصور والضعف والأنوثة وقد أشار إلى أن الأمر لا يمت بسبب إلى الحقائق البيولوجية ،لأن سيطرة الرجل (فى الجماعة) ليست وضعاً طبيعيا، بل إن الذى أوجد ذلك هو العراك العنيف الذى قام بين الجماعة البدائية ، وما أدى إليه من توكيل الكفاح إلى الرجال ، مما دفع إلى رفع مكانة الرجل وتمجيد شأنه تقديراً لقيامه بواجب الدفاع وشئون الحرب والكفاح فالقوة عنده مرتبطة إذن بالرجولة . ولكن أدلر لم يقف عند هذه الفكرة طويلا ، بل إنتقل منها إلى المفهوم الذى ظل ينميه خلال بقية حياته المهنية وهو أن الإنسان يهدف فحسب إلى السيطرة وأن الرغبة فى السيطرة تبزغ من الإحساس بالقصور أو العجز أو عدم الكفاية . ومع المفهوم الجديد للسيطرة استمر أدلر يشعر أن الرغبة فى أن تكون مسيطراً رغبة عامة وخاصية من خصائص شخصية الإنسان .

وهكذا سار تفكير أدلر فى تتابع يسير من الجنسية إلى العدوانية إلى القوة إلى السيطرة .

والجدير بالملاحظة أن السيطرة عند أدلر لا تعنى فرض السيطرة على الآخرين أو الامتياز الاجتماعى أو الزعامة والمنزلة المرموقة فى المجتمع . وإنما يعنى به السيطرة على الذات » . وهو أشبه بمبدأ جولد شتين « بتحقيق الذات» فهو عمل من أجل بلوغ الكمال التام أوهو الدفع الأعظم إلى الأمام ».

٣ - أسلوب الحياة :

وأسلوب الحياة هو المبدأ الأساسي الفردي عند أدلر ، فهو الذي يفسر لنا تفرد الشخص . ذلك أن الشخص من أجل أن يبلغ السيطرة على مشاعر القصور عنده ، فمن الضروري أن يتخذ أسلوبا محدداً في حياته . وهذا الأسلوب المحدد المعين للسلوك والذي يترسمه الفرد طول حياته هو ما أطلق عليه أدلر اسم « أسلوب الحياة » .

وأسلوب حياة الفرد هو نتاج قوتين : ذات داخلية موجهة ، وقوى خارجية بيئية تساعد أو تعوق أو تعيد تشكيل الإتجاه الذي ترغب الذات الداخلية في سلوكه . ويعطي أدلر أهمية عظمى للذات الداخلية . فالحادثة الواحدة قد يستجيب لها شخصان مختلفان استجابتين مختلفين . فالإنسان ليس ريشة في مهب ريح الحياة ، إن لديه القدرة على تفسير القوى الخارجية وتجنب مواجهة الهزيمة أمامها . فالإنسان لديه « إرادة القوة » - بدرجة كافية وليس بدرجة مطلقة - بحيث يمكنه أن يهيء وينظم حياته الخاصة . ورغم أن أدلر كان من أوائل الذين اعترفوا بآثار القوى البيئية في إحداث السلوك ، وأعطى العوامل الاجتماعية دوراً كبيراً ، واهتم بالتنشئة الاجتماعية للفرد - إلا أنه لم يقبل وجهة النظر البيئية المتطرفة التي تجعل من الإنسان نتاج القوى البيئية وحدها . فهناك الشيء الكثير الذي يولد مع الإنسان وينمو بداخله ويؤثر تأثيراً كبيراً في أسلوب حياته .

ولكل شخص أسلوب حياته الفريد المميز . وربما - كما يعتقد أدلر - لا يوجد شخصان على ظهر الأرض يكون لهما نفس أسلوب الحياة والذي هو - كما سبق أن أوضحنا - نتاج قوتين : داخلية تنشأ وتنمو مع الفرد وخارجية تؤثر بدورها في سلوكه . وطالما أنه لا يوجد شخصان مختلفان يمكنهما أن يشغلا مكانا واحداً في وقت واحد ، فإن البيئة تكون مختلفة إذن بالنسبة

لكل منهما ؛ وحتى التوائم المتشابهة يتعرضان لظروف بيئية مختلفة كذلك . فمع تغير البيئة واختلاف الذوات الداخلية تختلف أسلوب حياة الأفراد . فلكل شخص أسلوب حياة فريد . فالمثقف له أسلوب حياته . والرياضى له أسلوب آخر فالمثقف يقرأ ويدرس ويفكر ويعيش حياة يغلب عليها الوحدة والجلوس فى مكان بالقياس إلى ما يقوم به الرجل النشيط . وهو يرتب تفاصيل وجوده ، عاداته المنزلية ونشاطاته الترفيهية وأسلوبه اليومى الروتينى وعلاقته بأسرته وأصدقائه ومعارفه ونشاطاته الاجتماعية بما يتفق وهدف التفوق العقلى . فكل ما يفعله ، يفعله وهو يضع نصب عينيه هذا الهدف النهائى . إن سلوك الشخص بأسره ينبع من أسلوب حياته (١) .

وأسلوب حياة الفرد له صفة تفسيرية بالنسبة لسلوك الفرد وخبراته . فالشخص الذى يدور أسلوب حياته حول مشاعر الإهمال والنبذ والشعور بأنه غير مرغوب فيه ، يفسر خبرات حياته المختلفة وفق هذا الأسلوب الذى يعد بمثابة إطار مرجعى له . وما لا يتفق وهذا التفسير من أنشطة ، فإنه إما أن يغفلها أو يحورها حتى يمكن أن تدخل تحت هذا الأسلوب . فالشخص الذى تركز أسلوب حياته حول مشاعر العدوان والقوة ، يعتبر كل عمل تقوم به قوة مضادة إنما هو تحدى لذاته، بينما كل عمل يتسم بالتعاون والهدوء، هو عمل يكشف عن قوته الذاتية ففى ضوء أسلوب الحياة يفسر الكثير من سلوك الفرد . فهو إذن عامل تفسيرى وعامل يساعد على ربط ألوان السلوك المختلفة بإطار مرجعى واحد .

وأسلوب حياة الفرد يتكون فى سن مبكرة من طفولته ، قرابة سن الخامسة أو السادسة ويكون أسلوباً ثابتاً تقريبا . فأسلوب الحياة ، الذى يقوم على قدرات الطفل الموروثة ، واستعماله وتفسيره لهذه القدرات ، نادراً

---

(١) هول والندزى : نظرية الشخصية . ترجمة د . فرج أحمد فرج وآخرون الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة ١٩٧١ ص ١٦٨

ما يتغير فى نظر أدلر . أما الذى يتغير - بل ويتغير كثيراً - فهو صورة التعبير التى يتخذها الفرد لبلوغ غاياته المرجوة .

وقد تواجهنا العديد من الأسئلة المتصلة بأسلوب الحياة منها : كيف ينمى الفرد أسلوب الحياة ، وما هى القوى التى تخلق أسلوب حياة ثابت ، ولماذا يختلف أسلوب حياة الأطفال الذين يعيشون فى ظل أسرة واحدة وحيث تتشابه البيئة إلى حد كبير إن الإجابة تكمن - جزئيا وفى ناحية منها - فى الشعور العام بالقصور الذى يولد به الإنسان ، والعمل المستمر نحو تحقيق هدف السيطرة والتفوق . ولكن هذه الناحية تعتبر عامة بين الناس جميعا . فكيف نفسر الاختلاف والفروق بين أساليب حياة الأفراد . إن هذه الفروق يمكن أن ترد إلى مصادر مختلفة تكمن فى الظروف المختلفة لكل فرد فى النواحى البدنية والنفسية والاجتماعية . فالفرد فى محاولته التغلب على نواحى القصور الصادرة عن هذه النواحى الثلاثة يبدو مختلفا عن غيره . فنواحى القصور البدنية مثلا تختلف من شخص لآخر ، وكذلك النواحى النفسية والاجتماعية . ومن هنا يكون اختلاف الأسلوب ، فأسلوب حياة الطفل العليل يأخذ شكل القيام بالأشياء التى تؤدى إلى القوة البدنية ، وأسلوب حياة الغبى يأخذ شكل الكفاح من أجل تحقيق التفوق العقلى .

ومن خبرته العلاجية ، يرى أدلر أن ثمة عوامل ثلاثة يمكن أن تخلق - ما لم تهذب أو تعوض - أساليب حياة غير متكيفة إلى حد ما ، وهى نواحى القصور البدنية أو العقلية ، ثم الطفولة المدللة أو المتسامحة بشكل زائد عن الحد ، ثم النبذ والإهمال الشديد فى الطفولة فالطفل المعتل بدنيا قد تكون مشاعر النقص عنده أكثر بكثير عما هى عند السليم . وسواء فشل فى تحقيق السيطرة أو استطاع تحقيقها ، فإن الأمر الذى لا يمكن إغفاله هو أن علته البدنية كانت الوسيلة الكبرى فى تشكيل أسلوب حياته . وقد لا يقوى

بعض الأشخاص التغلب على مشاعر النقص البدنى طوال حياتهم ، ويتخذون أسلوب حياة الهزيمة والضعف فى مواجهة مشكلات الحياة ؛ على حين يقوى البعض الآخر لتعويض نواحى القصور بقوة ، ويبلغون درجة كبيرة من التفوق أكثر مما قد نجده عند الأسوياء . وليس ثمة شك أن مثل هذا التعويض للقصور البدنى لا يتم بطريقة آلية وبسيطة ، بل قد يبذل الفرد جهوداً مضاعفة من أجل بلوغ أهدافه . فالقصور البدنى فى مثل هذه الحالات يعطى قوة إضافية ونشاطا تعويضياً لبلوغ هدف مايؤدى إلى السيطرة والتفوق داخل الذات .

وليست نواحى القصور العقلى بأقل تأثيراً من نواحى القصور البدنى ، بل قد يكون تأثيرها أقوى ، نظراً لما تعطيه المجتمعات الحديثة من أهمية للنواحى العقلية لدى الفرد . ومن هنا يمكن أن نتوقع أن نجد ـ بل ونحن نجد بالفعل ـ أساليب حياة أكثر خطأ لدى ضعاف العقول منها لدى المعتلين جسمياً : ومهما فعل ضعيف العقل ، فإن أسلوب حياته يتحدد فى ضوء العجز الذى لديه .

أما درجة السيطرة التى يبلغها نمطى القصور البدنى والعقلى ، فهى فى نظر أدلر تتوقف إلى حد كبير على مقدار التشجيع والتوجيه الواعى الذى يلقاه الطفل من والديه والمربين ومن لهم تأثير فى تنشئته الاجتماعية . ومن المهم أن يكون الآباء نماذج طيبة أمام الطفل . وقد أكد أدلر هذه الناحية كمظهر أساسى فى بلوغ الطفل هدف السيطرة والتفوق . ومثل هذا الاتجاه الذى ذهب إليه أدلر ليس غريبا ، خصوصا إذا عرفنا أن أدلر كان من أوائل السيكولوجيين الذين أسسوا عيادات لتوجيه الأطفال وكان يقوم فيها بتقديم النصائح لمعلمى الشواذ وأهليهم . وقد تعددت تلك العيادات حتى بلغت ثمانية وعشرين فى فينا وحدها .

ولقد وجه أدلر اهتماما كبيراً للقوى البيئية التي يعيش فيها الطفل . فرغم أنه لم ينكر الإستعدادات الغريزية الأساسية للعمل على نحو ما وجدنا فى أعمال فرويد ويونج ، فإنه أعطى أيضا اهتماما للإطار الإجتماعى الذى ينشأ فيه الطفل . فالأسلوب الخاطىء فى التربية قد ينتج أنماطا من السلوك قد تؤثر فى أسلوب حياته . فالطفل المدلل طفل معوق نفسياً بالنسبة لحياة تفتقر تماما إلى السيطرة الحقيقة للذات . فالتدليل الزائد والاستسلام لرغبات الطفل ، تحرم الطفل من فرص لا تعوض للتدريب على السيطرة وتحقيقها وإنمائها داخل الذات . وأصابع الإتهام هنا - وفى غيره من الأساليب الخاطئة فى التنشئة - موجهة نحو الآباء . فالطفل لا يمكنه أن ينمى بنفسه أسلوب حياته مستقلا تماما عن هؤلاء الذين يرعونه ويربونه منذ نعومة أظفاره . فإذا لم يكن أمام الفرد أهداف يكافح من أجلها ، وإذا كانت كل الصعاب تذلل له ، وترفع من طريقه ، فإنه سوف لا يتعلم كيف يتغلب على مشكلات الحياة التى تواجهه بعد ذلك . فالشخصية المدللة فى نظر أدلر هى ضحية المجتمع .(١)

٤ - الذات الخلاقة :

والذات الخلاقة عند أدلر هى صاحبة السيادة فى بناء الشخصية . إن الإنسان هو أكثر من مجرد كونه حيوانا لديه استعدادات تخضع لماضيه الغريزى الموروث ، كما أنه أيضا أكثر من كونه نتاج البيئة . إنه مفسر الحياة ومترجمها . فهو ينمى تراكيب الذات من ماضيه الموروث ويترجم انطباعات حياته اليومية ويبحث عن خبرات جديدة لإشباع رغبته فى التفوق والسيطرة ،ويصهر هذا كله فى خلق ذات تختلف عن كل ذوات الآخرين

(1) Ganz M: The Psychology of Alfred Adler and the Development of the child : Routledge and Kegan Paul 1953.

وتصف أسلوب حياته الخاص . فالذات الخلاقة هى خطوة إضافية وراء أسلوب الحياة . إنها ذات أصيلة مبدعة تخلق شيئا لا على غرار سابق ، تخلق شخصية فريدة فهى إذن ذات خلاقة .

وقد اعتبرها ادلر قمة أعماله . وأخضع كل مفاهيمه الأخرى لهذا المفهوم ، وقد بعث اكتشافه لهذا المفهوم الكثير من الرضا عن أعماله وكأنه قد وجد ذاته الشخصية المبدعة فى أخريات أيامه .

٥ — الأهداف الوهمية :

ورغم اعتقاد أدلر أن الماضى له أهمية بالغة فى الحياة النفسية للفرد — فمنه ينمو أسلوب حياته وكذلك ذاته الخلاقة — ، فإن الإنسان تحركه توقعاته المستقبل أكثر مما تحركه خبرات الماضى فالمستقبل هو الذى يشكل ما سوف تفعله ذاته الخلاقة فى أية لحظة معينة .

ولكن رغم أن الإنسان تحركه حاجات عضوية ومادية كالمأكل والملبس والمأوى ، إلا أن هذه الحاجات الأساسية قد تتمثل للشخص بصور وهمية أو رمزية . فالسيارة قد تعنى للمراهق أو الشاب شيئا أكثر من مجرد وسيلة إنتقال ، فهى رمز التقدير والمباهاة وغيرها من الرموز التى قد تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمراهق أو الشاب . وبعبارة أخرى إن الأهداف التى يهدف إليها الفرد قد تكون وهمية . وقد تأثر أدلر فى ذلك بفلسفة « كانت » التى قال بها فايهنجر Vaihinger والتى هى خليط من فلسفة « كومت » الوضعية والبرجمانية وفلسفة شوبنهور وفلسفة « مل » فقد اعتقد أدلر أن كثيراً من الأفكار ليست فى الحقيقة إلا نوعاً من القصص والأساطير يعمد العقل إلى خلقها ليستعين بها على حل المشكلات التى تعرض له وأنه يتخذ الرموز ، بعد أن كانت طريقة للقول ووسيلة للتعبير ، غاية فى نفسها يندفع المرء إلى تحقيقها ويعمل على الوصول إليها (١).

(١) د : اسحق رمزى : علم النفس الفردى : القاهرة دار المعارف ص ٩١

والهدف قد يكون وهما وخيالا لأنه بعيد عن الواقع ، كما أنه قد يكون بعيد المنال بالنسبة للذات الخلاقة التى تهدف إلى السيطرة . ومع ذلك فلا يمكن فصل هذه الأهداف الوهمية أو عزلها عن أسلوب حياة الفرد وذاته الخلاقة . فالإنسان يسير إلى الأمام نحو السيطرة تجذبه دائما مثل هذه الأهداف .

وموقف أدلر فى هذا الصدد يختلف عن موقف فرويد . فنظرية فرويد تسير حسب مبدأ العلية . أما نظرية أدلر فتسير حسب نظرية الغائية فلو كانت الغرائز والقوى الفطرية هى التى تحكم وحدها قياد سلوك الفرد من كل ناحية ، لما كان فى قدرة المرء أن يعدل من شخصيته ليستجيب لما تتطلبه منه البيئة التى يعيش فيها إلى حد محدود . فمن الواضح أن كل خصائص الفرد ، بل شخصيته بأكملها تتكون من الموقف الذى يتخذه إزاء البيئة منذ الطفولة المبكرة ولا يمكن أن تتكون الشخصية وتنمو ، إلا إذا كانت النفس تتجه فى نشاطها اتجاها غائياً ، لأن الغاية التى يسعى نحوها الشخص وينشط لتحقيقها هى العامل الحاسم فى توجيهه (علم النفس الفردى ص ٨٤). فأدلر يصر على أهمية الغائية فى تفسير جميع الظواهر النفسية . ولا يمكن إلا أن نتصور للحياة النفسية هدفاً تتجه نحوه صنوف النشاط . ورغم أن بعض الغايات تكون وهما ، إلا أنها مع ذلك تكون بمثابة حافز يحفز الفرد لمواصلة بذل الجهد وتحقيق الأهداف التى يهدف إليها . فأدلر بذلك يلح على الدوام فى تأكيد أهمية الغائية وحدها ، ويفسر كل ظواهر الحياة النفسية تبعا لذلك على أنها إعداد لبعض المواقف المقبلة ، حتى لكأنه من غير المحتمل أن نرى فى النفس سوى قوة تعمل نحو غاية . ولهذا ينظر علم النفس الفردى إلى كل ما يصدر عن النفس الإنسانية كأنه موجه نحو هدف معين .

٦ - الاهتمام الاجتماعي :

وهذا المبدأ الأخير يلقي الضوء على تطور نمو الفكر عند أدلر . فبعد أن نظر إلى الإنسان باعتباره كائنا عدوانيا، انتقل إلى النظر إليه باعتباره متعطشا للقوة ، ثم في ضوء فكرته عن القصور طور نظرته إلية ككائن حي يسعى إلى التفوق والسيطرة بما يكشف عنه من أسلوب حياة ثابت وذات خلاقة . وفي آخر المطاف وسع أدلر من نظرته إلى الإنسان باعتبارة كائنا حيا له اهتمامات اجتماعية . وبذلك يتجه البحث إلى أثر الجماعة في السلوك : يقول أدلر (١) « إن الشعور الاجتماعي ، بعد الميل إلى القوة ، يلعب أهم الأدوار في نمو الخلق . ويتضح وجود ذلك الشعور ، كما يتضح الميل إلى الظهور ، في ميول الطفل الأولى وخاصة في شغفه بتوثيق صلاته مع غيره ، وفي المتعة بما يبدونه نحوه من عطف وحنان » .

وهذا الميل الاجتماعي في نظره يتصف بأنه فطري عام بين أفراد الجنس شأنه في ذلك شأن الغريزة . وهو يحتاج للتعبير عن نفسه إلى الإتصال بالآخرين في الجماعة التي يعيش الفرد بين ظهرانيها . وهذا الاتصال شرط ضروري للكشف عن هذا الميل فكأنه يولد من أناسي ، فكذلك يقوم هؤلاء برعايته في تنشئته . فالإنسان اذن لديه استعدادات لأن يهتم أو يميل إلى غيره من الناس ويظهر هذا الإهتمام عادة في البيئة الاجتماعية فالعنصر الاجتماعي إذن بالغ الأهمية في حياة الأفراد . يقول أدلر « إن دراسة الحياة الواقعية للفرد ، تدفعنا إلى تقدير أهمية العنصر الاجتماعي فيها ، إذ أن الفرد لا يصير فرداً إلا في مجتمع . وإذا كانت مدارس علم النفس الأخرى تفرق بين

---

(1) Adler A. : Understanding Human Nature. Fawçett Publications Inc. Greenwich Inc, 1954.

مايسمى سيكولوجية فردية ومايسمى سيكولوجية اجتماعية ، فنحن لا نؤمن بهذه التفرقة على أى وجه من الوجوه » (١) .

والطفل ينشأ تحت رعاية والديه واهتمامهما ، وكذلك المحيطين به فى الأسرة. فهم يرعونه ويطعمونه وينظفون جسمه ويدخلون عليه الارتياح عند الإحساس بالألم . وكل ذلك من شأنه أن يحدث فى الطفل انطباعاً أن العالم الذى يعيش فيه عالم طيب . وأن الواحد فيه يساعد الآخر ويهتم به . وهذه التنشئة الاجتماعية تعتبر بالغة الأهمية لنقل هذا الكائن الحى من كائن حيوانى إلى كائن إنسانى اجتماعى يعيش فى مجتمع يتأثر به ويؤثر فيه .

وعملية التنشئة الاجتماعية تستغرق وقتاً طويلا وتبدأ منذ الأيام الأولى فى حياة الطفل داخل المنزل . والواقع أن عملية التنشئة الاجتماعية ليست بالمشكلة الهينة السهلة ، كما أنها تحتاج إلى فترة طفولة طويلة تتم خلالها . وليس بين الكائنات الحية الأخرى من تطول فترة طفولته كالإنسان . وكلما تعقدت الثقافة زادت مشكلات التربية . ولذلك وجه أدلر اهتماما كبيراً بمشكلات الأطفال وأنشأ العيادات النفسية لتوجيه الأطفال والآباء من أجل تنشئة اجتماعية سوية . ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية السوية يمكن للطفل السيطرة على ميوله العدوانية والتعطش الزائد إلى القوة وتوجيه رغبات التفوق فى مسالك اجتماعية ونفسية مقبولة . وبذلك تتم عملية التكيف السوى مع المجتمع الذى يعيش فيه .

ولا تتوقف التنشئة الاجتماعية عند حدود المنزل ، بل أن المدرسة تلعب دوراً هاماً فى هذا الصدد (٢) : فهى البيئة الثانية التى ينتقل إليها الطفل والتى

---

(1) Adler A.: The Science of Living Messrs George Allen and Unwin.

(2) Way, Lewis. Alfred Adler : An introduction to his Psychology Penguin Books, 1956.

تستمر فيها عملية التنشئة على نطاق أوسع ، ويلعب المربون دوراً لا يقل أهمية عن دور الآباء فى هذا الصدد . ومن الملاحظ أن محيط الطفل مع النمو يأخذ فى الاتساع . فبدلا من التكيف مع محيط الأسرة الضيق، فإنه يتكيف مع محيط الزملاء والرفاق وهو محيط أوسع بكثير من محيط الأسرة ، ويساعد حسن التوافق فى هذا المجال على حسن التوافق مع العالم الخارجى الكبير فيما بعد .

وفى المدرسة يشعر الطفل أن كل شىء قد أعد لمصلحته . فالمدارس قد بنيت وتعمل من أجله ، والمدرسون يربونه ويرعونه ، كما أن فرص التعاون وتكوين علاقات متبادلة مع الآخرين والتوحد بالجماعة والتعاطف ،كل ذلك يجده الطفل داخل جدران المدرسة ، وفى علاقته بمدرسيه وزملائه مما يقوى عنده الميل الاجتماعى والاهتمام بالآخرين .

ومن خلال التربية الإجتماعية فى البيت والمدرسة يتعلم الطفل الكثير من العادات الإجتماعية . يتعود أن يكون نافعاً للجماعة التى يعيش فيها ، يتعود ضبط النفس وعدالة التقدير واحتمال الأخطاء وتحمل الهزيمة بروح طيبة ، وهى كلها صفات تنميها أجواء البيت والمدرسة من أجل إعداد الطفل إعداداً طيباً للمجتمع الكبير .

وقد الح أدلر فى الحديث عن الميل الاجتماعى حتى نسب إليه نشوء التفكير والعقل والمنطق والأخلاق والجماليات . وقال إنها جميعاً أمور لا تنشأ إلا فى المجتمع . وأنها فى نفس الوقت روابط بين الأفراد . فهى تحفظ الحضارة من التحلل . « ذلك أن كل الكفايات الإنسانية لا يمكن أن تنمو وتنضج إلا من خلال اهتمامنا برفاقنا فى المجتمع ، وليست اللغة أو القراءة أو الكتابة سوى جسر للوصول إلى غيرنا من الناس . كما أن التفكير من الأمور المشتركة بينهم جميعاً ، وليست وظيفة مستقلة فى كل واحد منهم ، لأن فهم الأمر هو فهمه على الوجه الذى يخيل الينا أن الناس جميعاً يفهمونه عليه(١) .

---

(١) د: اسحق رمزى : علم النفس الفردى : القاهرة : دار المعارف ص ١١٤

الفصل التاسع عشر

الشخصية فى نظريات التحليل النفسى الحديثة

هناك عدد من نظريات الشخصية ترتبط برباط وثيق بمدرسة التحليل النفسى، ولكنها مع ذلك ليست متماثلة. ويبرر تشابه أصلها معالجتها هنا تحت موضوع واحد. والمصطلح «المدارس التحليلية النفسية الحديثة» يشير إلى الإطار التحليلى النفسى الأساسى، كما يشير فى الوقت نفسه إلى ما أدخل من تعديل على بعض ما جاء بالنظرية التقليدية لفرويد، وإكمال الجوانب التى لم يكتمل تطورها. وإبراز بعض مسلمات فرويد بصورة واضحة، وتحديد بعض مفاهيمه الأساسية تحديداً دقيقاً.

لقد أثير الجدل فى حياة فرويد وبعدها، حول بعض الفروض الأساسية لنظريته، وحول بعض المفاهيم الخاصة، وحول التوكيد النسبى لبعض هذه المفاهيم، مما أدى إلى انشقاق يونج وأدلر عليه. من ذلك مثلا هل تصدر الدوافع عن نفس الأصل الغريزى الثابت والذى لا يقبل التغير، وهل السنوات الخمس الأولى فى حياة الفرد لها أثرها الثابت فى تكوين شخصيته، وما الدور الذى يمكن أن تلعبه خبرات الطفولة المتأخرة والشباب بعد ذلك، هل الوزن الذى أعطاه فرويد للتأثيرات الإجتماعية يعادل حقاً ما لهذه العوامل من أثر فى تكوين شخصية الفرد، هل الجنس والعدوان هما حقيقة الدوافع الأساسية، وهل عقدة أوديب ومراحل النمو النفسى الجنسى أشياء عامة بين جميع أفراد الجنس البشرى أم أنها تظهر لدى بعض الأفراد وفي بعض الثقافات، وهل الدوافع اللاشعورية لها مثل هذه الأهمية

البالغة التى أعطاها لها فرويد ، وهل دور الأنا هو حقيقة دور التابع لرغبات الهو والخاضع لها .

إن اهتمام المحللين النفسيين اليوم يتجه إتجاها زائداً نحو توسيع بعض مفاهيم فرويد وإعادة صياغتها وبخاصة مفهوم الأنا الذى أورده فى كتابه سيكولوجية الجماعة وتحليل الأنا (١٩٢١) وفى كتابه « الأنا والهو » (١٩٢٣) وفى غيرهما من كتبه العديدة . فبالرغم من أن فرويد اعتبر الأنا السلطة الإدارية للشخصية الكلية ، إلا أنه لم يسلم لها بوضع قائم على الاستقلال الذاتى ، بل يظل الأنا تابعا لرغبات الهو وخاضعاً لها . فكما أوضح فرويد إن الهو له الأهمية الكبرى طوال الحياة . فالهو وغرائزه يعبر عن الغرض الحقيقى لحياة الكائن الحى الفرد . والهو هو العضو المسيطر فى هذا التنظيم الذى وضعه فرويد للشخصية . أما المحدثون من أنصار هذه المدرسة ، فقد أدخلوا الكثير من التعديل على نظرة فرويد للأنا . وابتعدت اتجاهاتهم عن الوظائف الدفاعية للأنا ، واتجهت نحو دراسة الوظائف التركيبية (نلبيرج Nunberg ١٩٣١) والتكاملية (فرانش French ١٩٥٢) والتنظيمية (هارتمان ١٩٥٨) والمسيطرة (هندريك ١٩٤٣) والوظائف المتعددة للأنا (ويلدار Wailder ١٩٣٦) .

وقد أكد هارتمان وكريس ولوفنشتين (١٩٤٧) ضرورة تعريف الأنا فى ضوء وظائفها . وقد تركز توكيدهم على العمليات السوية التوافقية العاقلة للأنا أكثر منه على تكوناتها المرضية . فميكانزمات الأنا ليست بالضرورة مرضية أو سالبة فى صفتها ، بل قد تخدم غرضاً سوياً فى تكوين الشخصية . فما ينمو كنتاج للدفاع ضد دافع غريزى ، قد يصبح بالتدريج وظيفة أكثر أو أقل استقلالا ، وأكثر أو أقل تشكلا . فهى قد تخدم وظائف متعددة كالتوافق

والتنظيم وغيرها . وقد افترض هؤلاء أيضا أن هناك مرحلة غير متفاضلة فى بداية الحياة يتكون خلالها كل من الأنا والهو . وبعبارة أخرى ، لا يخرج « الأنا » من « هو » موروثا ، وإنما لكل من النظامين أصله فى الاستعدادات الموروثة ؛ كما أن لكل منهما مسار نموه المستقل الخاص به . ومن مثل هذه الفروض ظهرت إلى الوجود « سيكولوجية الأنا » الجديدة وهى سيكولوجية يمثل فيها الأنا كنظام عقلى مسئول عن الإنجازات العقلية والاجتماعية ، نظام لا يعتمد أداؤه لوظائفه اعتماداً كلياً على رغبات الهو . إن له مصادر طاقاته الخاصة به ودوافعه واهتماماته الخاصة وأهدافه الخاصة . إن سيكولوجية للأنا كهذه ، يبدو أنها تشكل خروجا جذريا على تقليد التحليل النفسى (١).

ومع بداية التفكير فى سيكولوجية الأنا ، بدأ الاهتمام بالغرائز والنمو النفسى والجنسى وغير ذلك من الأمور التى تقع فى دائرة الهو يخفت ويقل . فنظرية الغرائز لم يعد لها أنصار كثيرون بين علماء النفس المعاصرين ، وإنما أصبحت موضوع اهتمام علماء الحياة . وهذا الاتجاه ليس إلا جزءاً من حركة أكبر تقلل من الدور البيولوجى للتحليل النفسى ، وذلك بالتقليل من دور الوراثة ، وزيادة الدور الذى يقوم به المجتمع فى تشكيل الشخصية أو نقص تكوينها . ومن هنا ظهر ميل ملحوظ لدى بعض أنصار مدرسة التحليل النفسى الحديثة إلى الإقلال من دور الغرائز ، وإبراز دور المتغيرات السيكولوجية والاجتماعية التى يعتقد أنها تشكل الشخصية ، أى قل الحديث عن الغرائز وتقلباتها أو نظرية الليبيدو ، على حين إزداد الحديث عن اكتساب سمات الشخصية عن طريق الخبرة ونتيجة الظروف الاجتماعية . وتعتبر كارين هورنى

---

(١) هول ، لندزى : نظريات الشخصية ترجمة د . فرج أحمد فرج وآخرون . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ ص ٩١٠ .

وإريك فروم وهارى ستاك سوليفان من أهم أنصار هذا الاتجاه الذى يركز الإهتمام حول العوامل الاجتماعية ، وبشكل يتفق أساساً مع نظرية أدلر . فقد شرعت هورنى كما شرع فروم ، فى محاربة الاتجاه الغريزى القوى فى فى التحليل النفسى ، والإصرار على أهمية المتغيرات النفسية الاجتماعية للشخصية . كما دعم سوليفان فى نظريته عن العلاقات الشخصية المتبادلة مكانة نظرية الشخصية القائمة على العمليات الاجتماعية وسوف تشير إلى هذه النظريات باختصار :

كارين هورنى (١٨٨٥ - ١٩٠٢)

عرضت هورنى نظريتها فى الشخصية فى كتبها التى أهمها :

The Neurotic Personality of Our Time (1937)
Self Analysis (1942), New Ways in Psychoanalysis (1939)
Neurosis and Human Growth (1950), Our Inner Conflicts (1945).

كانت هورنى تعتقد إعتقاداً راسخاً فى قابلية الطبيعة البشرية للتغير نحو الأحسن . فقد كانت متفائلة بالنسبة لتطور الكائن الحى . وشجعها على ذلك الصفات الإيجابية فى الجنس البشرى . ومن هنا كانت تعتبر نظريتها نظرية بناءة ، لأنها قد تؤدى حقيقة إلى حل العصاب . وإذا كان السلوك العصابى هو محور تفكيرها ، فإن حل هذا السلوك العصابى يمكن أن يؤدى إلى خلق مجتمع أكثر صحة وسعادة . ويمكن أن نلمس هذه النظرة البناءة المتفائلة فيما ورد فى كتابها « صراعاتنا الداخلية » . تقول هورنى أعتقد أن الإنسان لديه القدرة والرغبة فى تنمية إمكانياته ، وأن يصبح إنسانا وديعا . هذه الإمكانيات تذبل إذا استمرت علاقاته مع الآخرين - وبالتالى مع نفسه - فى حالة اضطراب .

وإنى أعتقد أن الإنسان يمكنه أن يغير ويظل يغير، طالما كان على قيد الحياة. وقد نمى هذا الاعتقاد مصحوباً بفهم أعمق (ص ٩). وتقول أيضاً أن جرأتنا على تسمية مثل هذه الأهداف العالية، تقوم على الإعتقاد بأن الشخصية الإنسانية يمكن أن تتغير، فليس الطفل وحده هو المرن القابل للتشكل، بل إننا جميعاً لدينا القدرة على التغير، حتى فى طرق أساسية طالما كنا على قيد الحياة. وهذا الإعتقاد تدعمه الخبرة والتجربة (ص ٢٤٢) والإنسان يجب أن يكون فاضلا ولكن ليس على نحو متكلف - إنه يجب أن يهدف إلى الكمال إذا أراد بلوغ السعادة وأن يخضع السلوك العصابى لعوامل الضبط والتحكم.

وتذهب هورنى إلى إن الثقافة الحاضرة (وتعنى بها على وجه الخصوص الثقافة الغربية التى عاشت فيها) من شأنها أن تخلق قدراً كبيراً من القلق فى الفرد الذى يعيش فى هذه الثقافة. وتذهب إلى أن المرض النفسى أو العصاب هو المصاحب الطبيعى للإنسان الذى يعيش فى مثل هذا المجتمع الصناعى اليوم. وقد خصصت الموضوع الرئيسى لكتابها «الشخصية العصابية فى زماننا» للصراع فى الثقافة، والأساليب المختلفة التى يقوم بها الفرد فى توافقه مع ظروف الحياة. وليس أدل على تأثير الاتجاه الثقافى فى تفكيرها من قولها: إن العصاب مع أنه مصطلح طبى نفسى فى أساسه، إلا أنه لا يمكن استخدامه الآن دون الإشارة إلى تضميناته الثقافية. وكذلك قولها. إن مفهوم ما هو عادى يتغير ليس فقط بتغير الثقافات ولكن أيضاً داخل الثقافة الواحدة بتغير الأزمنة.

والنظرية الاجتماعية لهورنى أظهرت مفهوماً أولياً عندها ونعنى به مفهوم «القلق الأساسى basic anxiety. وقد أوضحت هذا المفهوم فى كتابها

الشخصية العصابية فى زماننا (١٩٣٧)» إن استثارة هذا القلق ومصيره - وليس الدوافع الجنسية والعدوانية التى قال بها فرويد - هى الأساس لفهم شخصية الفرد. وقد عرفت هورنى هذا القلق الأساسى بقولها . . . «إنه الإحساس الذى يلتاب الطفل بعزلته وقلة حيلته فى عالم يحفل بإمكانيات المداوة». وثمة مجموعة من العوامل المعاكسة فى البيئة يمكن أن تؤدى إلى هذا الشعور بانعدام الأمن لدى الطفل : التحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة ، اللامبالاة والإهمال ، السلوك الشاذ ، عدم احترام حاجات الطفل الفردية ، الإفتقار إلى التوجيه الحقيق ، الإتجاهات المتضاربة ، الإسراف فى الإعجاب أو عدم وجوده إطلاقا ، الإفتقار إلى حرارة العاطفة الثابتة ، الإضطرار إلى مناصرة أحد الوالدين فى الخلافات العائلية ، المسئولية الزائدة عن الحد أو القليلة للغاية ، الإسراف فى الحماية ، الإنعزال عن الأطفال الآخرين ، عدم العدالة ، التفرقة فى المعاملة ، عدم الوفاء بالوعود ، الجو المعادى وما إلى هذا كله. «نظريات الشخصية ص ٧٨ ».

فالبيئة المنزلية والتركيب الاجتماعى داخل الأسرة له على هذا الأساس أهمية كبيرة فى نظر هورنى . فنى هذا التركيب الاجتماعى للاسرة ، وفى استجابة الطفل له يكمن مفتاح نمو شخصية الفرد .

والطفل القلق يحاول أن يستجيب لمشاعر القلق عنده باتخاذ أساليب مختلفة توافقية . وإلى درجة كبيرة غير عقلية إذا كان القلق شديداً ومستمراً . وهذه الأساليب التوافقية تتبلور فى أنماط دافعية مستمرة فى صورة حاجات عصابية ، وسوف نوضح أولا أساليب التوافق الكبرى عند هورنى ونتنقل بعدها إلى دراسة الحاجات العصابية .

أساليب التوافق الكبرى عند هورنى :

أوضح بيشوف (١) هذه الأساليب التوافقية الأساسية عند هورنى فى هذا التخطيط البسيط .

(خضوع)	التحرك	نحو	الناس	(الطفل)
(عدوان)	التحرك	ضد	الناس	(المراهق)
(إبتعاد)	التحرك	بعيداً عن	الناس	(الراشد)

وقد أوضحت هورنى الأسلوبين الأولين وهما الخضوع والعدوان فى مواقف الصراع فى كتبها الثلاثة الأولى . وأوضحت الأسلوب الثالث وهو الابتعاد فى كتابها « صراعاتنا الداخلية » . وسوف نوضح المصطلحات التى تقوم عليها هذه التخطيطات .

والنمط الأول : يذهب إلى أنه « إذا كنت تحبنى ، فلا تؤذينى » فمن طريق تقبل الخضوع لحل الصراع ، يأمل الطفل أن يكسب عطف الآخرين . وبذلك يجعلهم يحلون صراعاته معهم .

النمط الثانى : يذهب إلى أنه « إذا كانت لدى قوة ، فلن يستطيع أحد أن يؤذينى » . فهذا النمط من الناس يفترض أن العالم من حوله عالم عدوانى حافل بالعوامل المعاكسة ، ولذا فأفضل سبيل للتغلب على الصراع وخفض التوتر هو ضبط العناصر العدوانية فى الحياة .

---

(1) Bischof, Ledford J. Interpreting Personality Theories. New York, Harper & Row 1964.

النمط الثالث يذهب إلى أنه « إذا ابتعدت ، فلن يصيبنى أو يؤذينى شىء » فمن طريق الابتعاد جسمياً وعقليا يمكنه أن يحل صراعاته .

وعلى ذلك ، فهناك أنماط ثلاثة من السلوك العصابى فى نظر هورنى هى الخضوع والعدوان والابتعاد . والمصطلح الثانى الذى عنيت به هورنى فهو « التحرك » . ذلك أن هورنى تذهب إلى أن الحياة دائما فى حركة ، فهى ليست ساكنة وكل ما فى الحياة يتحرك فالكائنات الحية تتغير باستمرار ، فهى تنمو وتنضج وتكبر وتهرم . ونفس الشىء ينطبق على الإنسان ، ففى نفس اللحظة التى تمر بك وقت قراءتك هذه السطور فإنه قد طرأ عليك تغير . وإن كان غير ملحوظ ، إلا أنه مع ذلك تغير ، فالتغير هو المعيار الحيوى للحياة والشخصية الإنسانية الحية يجب أن ينظر إليها دائما فى ضوء الحركة المستمرة . وقد أوضحت هورنى إتجاهات ثلاثة عامة تتحرك نحوها شخصية الفرد . ويكمن الهدف من هذه الحركة فى إتجاه الناس. فاضطراب الإنسان يرجع إلى الإنسان والصراعات والقلق والعصاب التى تعترى وجود الفرد تكمن جذورها فى أخيه الانسان . فأعمق إهتمامات الفرد تدور حول علاقاته بغيره من الأفراد الذين يحيطون به . وليس من المهم أن يعرفهم شخصياً فقد تكون مسالة سمعته مع الناس عامة هى مصدر قلقه . أما إنزعاجاته من القوى الطبيعية كالبرق والرعد وغيرها ، فوقتية.

والشخصية الإنسانية فى حركتها تمر بأنماط ثلاثة من الأساليب التوافقية ابتداء من الطفولة حتى الرشد مارة بالمراهقة . فالطفل أكثر ميلا إلى كسب حب الآخرين عن طريق الخضوع لهم وهو يلجأ إلى هذا الأسلوب أكثر مما يلجأ إلى الأسلوبين الآخرين وهما العدوان والابتعاد . والسبب فى ذلك يبدو واضحا فصغار أى نوع من الكائنات الحية تبدو لذيذة وجذابة ومحبوبة .

فالقطيطة والجرو وصغار الحيوانات تحب اللعب معها ومداعبتها . وكذلك صغار الأطفال . ولذا فمن الطبيعي أن يستخدم الطفل أقوى أسلحته في هذه المرحلة في حل صراعاته ونعني بها « القابلية لأن يُحب » . ومن غير الطبيعي أن يلجأ الطفل إلى الأسلوبين الآخرين فيكون عدوانيا أو انعزاليا، وذلك لسبب بسيط هو أنه في هذه المرحلة يعتمد إلى درجة كبيرة على الاخرين في طعامه وبقائه .

وفي المراهقة يبدو أن الشخص يميل إلى السلوك بشكل عدواني . وهذا ما يتضح في سلوكه نحو الكبار المحيطين به من أبوين ومصادر السلطة في المجتمع . ولكونه في مرحلة لا هو فيها رجل ولا هو طفل ، فإن المراهق يتحرك ضد الناس وذلك في بحثه عن الدور الذي يرغب في تحقيقه في الرشد

أما في الرشد والكبر ، فقد نجد أسلوب التحرك بعيداً عن الناس ، فمع تقدم السن بالفرد يجد أنه لم يعد في حاجة لأن يدور في المجتمع بحرية على نحو ما كان يفعل في مراهقته . ولذا نجده يفضل عدداً قليلا من الأصدقاء الهادئين على جماعة الشلة الصاخبة التي كان يفضلها في شبابه . فالنمط العام للسلوك في السنوات الأخيرة من الرشد تتسم بالابتعاد والانعزال .

أي أن أساليب التوافق العصابي في التحرك نحو أو ضد أو بعيداً عن الناس يمكن أيضا تتبعها زمنيا خلال نمو الشخصية ولننتقل الآن إلى دراسة ديناميات العصابيين في تحركهم نحو ، ضد أو بعيداً عن الناس .

أولا : التحرك نحو الناس (خضوع) .

وهذا النمط يقوم بجهود كبيرة لكسب محبة الاخرين . فمحبة الاخرين له تحميه مما قد يصيبه منهم من أذى . فمن يحب لا يؤذى . وهو إذا خضع لهم

فسوف لا يلحقه أذى منهم . والنقط الآتية تلخص سلوكه عندما تقلب صراعاته الداخلية توازن حياته :

١ — إن الطفل يحاول ويحاول أن يصبح مسيطراً . ولكن كل الأساليب التي يتخذها تبدو نتائجها غير كافية ولا تؤدي إلى إشباع . ومع مرور الوقت يتقبل الطفل ضعفه وعجزه ليتوافق والصراع داخل نفسه والذي ينمو تجاه الآخرين .

٢ — وما أن يتقبل ضعفه للتوافق مع الآخرين الذين هم أقوى منه ، فإنه يتحرك نحو الناس ويبذل جهداً كبيراً ليشعر بالأمن عن طريق ربط نفسه بمن هم أقوى منه . وبسبب هذا الشعور بالإنتماء إلى الجماعة وما تمنحه إياه من سند ، فإنه يشعر بأنه صار أكثر قوة وقدرة على مواجهة الحياة .

٣ — ثم هو إذا فشل ، فسرعان ما يهرع الآخرون لنجدته . ففي تقبل الجماعة له قوة ، وفي نبذها له ضعف . فهو لا يمكنه أن يحيا بدون حب ورعاية . ولذا فهو يعمل أشياء كثيرة من أجل إرضاء الآخرين . فيتنازل عن بعض حاجاته من أجل إرضاء الكبار حوله كما يكون يقظاً لرغبات الغير ومطالبهم مستعداً للتضحية من أجل كسب الرضا عنه .

٤ — وفشل هذا النمط في تحقيق أهدافه وكسب محبة الاخرين له ، غالبا ما يحوله إلى حالة توهم المرض « هيبوكوندريا » وتجعله ضحية الشكوى لعديد من الأمراض السيكوسوماتية . فطالما أن المجتمع يعطف على العاجز والضعيف والمريض ، فليكن في شكواه المستمرة من المرض ما يستدر به عطف الغير .

ثانيا : التحرك ضد الناس (عدوان) .

ورغم أننا جميعاً نستخدم — حسب هورنى — هذا الأسلوب فى الأوقات التى نراه فيها مناسبا ، إلا أن هذا النمط العصابى الذى من هذا النوع يغالى فى استعمال العدوان فى علاقته بالآخرين . فهو يصبح عدوانيا بشكل ظاهر . ويميل إلى الانتقام لنفسه من هؤلاء الذين نبذوه . والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مبررات هذا النوع .

١ — أنه يبدأ من مسلمة هى أن العالم الذى يعيش فيه عالم عدوانى . ولذا فعليه — شعوريا أو لا شعوريا — أن يقاوم العدوان ويحاربه . ومثله السائد فى هذه الحالة « إتغذى به قبل أن يتعشى بك » .

٢ — الإحساس أو الرغبة الأولى لدى هذا النمط هى الرغبة فى أن يكون قويا يسيطر على الاخرين ويهزم أعداءه أيا كانوا وأينما كانوا . وبسبب حالة عدم الثقة هذه فى الاخرين ، فإن دفاعاته تكون دائما فى حالة استعداد . فهو دائما فى تيقظ لحماية نفسه . وفلسفته السائدة هى أن « ليس هناك حق بدون قوة تحميه » .

٣ — وهذا الميل إلى السيطرة قد يكون فى صورة ضمنية أحيانا . أى فى شكل مساعدة للغير وبطريقة إنسانية ، وفى ثنايا هذه المساعدة للغير تكمن الرغبة فى القوة والسيطرة على الآخرين . وقد تكون هذه الرغبة فى السيطرة عن طريق مساعدة الغير لاشعورية وقد تكون شعورية كذلك .

٤ — أن نظارة هذا النمط للنمط الأول الذى يتحرك نحو الآخرين والذى يبغى محبة الاخرين له ، يكون مزيجا من الازدراء والإشفاق ،

وذلك فى ضوء نظرته إلى هذا العالم من حوله والذى تسوده القوة والميول العدوانية .

ثالثاً : التحرك بعيداً عن الناس (الابتعاد)

والابتعاد قد يكون جسمياً أو عقليا أو هما معا . والابتعاد الذى له طبيعة عقلية هو أكثرها وضوحا فى حالات الفصام وبخاصة فى حالات الفصام الكتاتونى أو التخشبى . وتقوم فلسفة الإبتعاد فى هذا النمط من السلوك التوافقى العصابى على أساس فلسفة الفرد فى حل مشكلاته ،والتى تستند إلى أنه إذا ابتعد عن الناس فلن يصيبه منهم أذى » . والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مظاهر هذا النمط .

١ — إن العصابى الذى يتبع هذا النمط ، لا يرغب على وجه التحديد فى الانتماء ، ولا فى العدوان ، وإنما تكون رغبته الملحة فى أن يظل بعيداً . فلكون الناس هم مصدر الصراع وعدم الإحساس بالسعادة ،فليكن فى الابتعاد عنهم سبيلا لحل صراعاته . والفلسفة السائدة لهذا النمط هى قوله « البعد عن الناس غنيمة » . فالبعد عن الآخرين يقلل من الاحتكاك بهم ويبعده من المشكلات التى يسببها هذا الاحتكاك . فهو يعيش لنفسه وبنفسه، وأن ليس هنا شيء كثير يربطه بالآخرين .

٢ — ولافتقاره إلى القدر الكافى من المشاركة الاجتماعية ، وميله إلى الابتعاد عن الناس، فإن هذا النمط يكون أكثر ميلا إلى حب الكتب والقراءة والوحدة ويميل إلى الأحلام والخيالات والفنون . وهو يكوّن لنفسه عالماً خاصاً به وحسب رغبته . ولذا نجده قليل الأصدقاء يفضل الكتاب على الإنسان ومثله السائد فى هذه الحالة « الكتاب هو أوفى صديق » .

٣ – ولكي يقوى على الابتعاد عن الناس عقليا ومكانيا ، فإنه يجب أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يشبع مطالبه الشخصية . فالضعيف لا يمكنه أن يتبنى مثل هذا الأسلوب من التوافق . إن عليه أن يعيش وأن يعتمد على نفسه إلى حد بعيد .

٤ – هذا النمط يحاول أن يُبقى على فرديته . وهذا ما يتضح حين يوجد مع تجمعات من الناس أو فى حفلة مثلا فإنه سرعان ما ينعزل ويبتعد عن الآخرين ويفضل الجلوس وحيداً بعيداً عن الصخب .

تلك هى الأساليب الثلاثة للتوافق التى أوضحتها هورنى لتلقى الضوء على الأنواع العصابية الأعق من السلوك . وقد يصبح أحد هذه الأساليب الثلاثة على قدر من الثبات فى الشخصية ، وبعبارة أخرى قد يتخذ أسلوب محدد منها صفة الدافع أو الحاجة المميزة لديناميات الشخصية . والصراع الناشى عن عدم القدرة على استعمال هذه الأساليب الثلاثة من أساليب التوافق هو ما عرضته أساساً تحت اسم الحاجات العصابية . وقد قدمت هورنى فى كتابها « تحليل الذات » طبعة ١٩٤٢ قائمة من عشر حاجات تكتسب نتيجة محاولة العثور على حلول لمشكلة اضطراب العلاقات الإنسانية . وقد سميت هذه الحاجات « عصابية » لأنها حلول غير منطقية للمشاكل . وتذهب هورنى إلى أن الفرق بين قدرة الشخص العادى على إحداث التكامل بين هذه الحاجات وتجنب الصراع ، وبين عدم قدرة العصابى على ذلك ، إنما هو مسألة درجة .

وبينما يستطيع الشخص السوى حل هذه الصراعات بإضفاء التكامل بين هذه الحاجات العشر ويكمل واحدة منها أو أكثر ببقية الحاجات الأخرى ، فإن العصابى يفشل فى إحداث التكامل بين معظم هذه الحاجات فى نمط من أنماط

الحياة ، ونتيجة لذلك ، يتجه أكثر وأكثر نحو حلول غير واقعية ومفتعلة ومثالية .

وفيما يلي نشير إلى الحاجات العشرة التي منها استنبطت هورني الأنماط الثلاثة الرئيسية لأساليب التوافق ، ونعني بها التحرك نحو وضد وبعيداً عن الناس . وهذه الحاجات توجد لدى جميع الناس ، ولكنها تكون لدى العصابي بصورة مبالغ فيها من حيث القوة ومن حيث التركيز على أسلوب منها وعدم القدرة على إحداث التكامل بينها .

الحاجات العصابية:

١ — الحاجة العصابية للحب والتقبل . والسمة البارزة لهذه الحاجة هي رغبة الفرد في إرضاء الآخرين وعمل مايتوقعونه وأنه يعيش ليدخل السرور عليهم وكسب محبتهم . وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى « التحرك نحو الناس » .

٢ — الحاجة العصابية إلى « شريك » مسيطر يتحمل مسئولية حياة الفرد: والسمة البارزة لهذه الحاجة هي أن يصبح الشخص طفلياً من النوع الذي يخضع ويطلب الحب والرعاية من شريك قوي في مقابل حب جارف من جانبه ولذا فالشخص الذي تسيطر عليه هذه الحاجة يكون من النوع الذي يسرف في تقدير الحب ويخاف أشد الخوف من أن يهجره الغير ويصبح وحيداً . وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى التحرك نحو الناس .

٣ — الحاجة العصابية إلى تقييد الفرد لحياته داخل حدود ضيقة : والسمة البارزة لهذه الحاجة أن يصبح الشخص من النوع الذي لايطلب شيئاً ، يقنع بالقليل ، يفضل البقاء مغموراً والانسحاب إلى خلفية الصوره ، من النوع المحافظ . ويكون اتجاه الفرد في هذه الحالة هو « الابتعاد عن الناس » .

٤ — الحاجة العصابية إلى القوة : والسمة البارزة لهذه الحاجة هى دفع الشخص إلى تمجيد القوة والسيطرة واختفاء الضعف ، ويكون اتجاه الفرد هو « الابتعاد عن الناس » .

٥ — الحاجة العصابية إلى استغلال الآخرين : والسمة البارزة لهذه الحاجة هى دفع الفرد إلى أن يكون مسيطراً مستغلا للآخرين برفض الهزيمة فى اللعب ويكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٦ — الحاجة العصابية إلى التقدير أو المكانة المرموقة : والسمة البارزة لهذه الحاجة هى ميل الفرد إلى أن يكون معروفا بين الناس ، ينال الكثير من التقدير الاجتماعى ، يذكر اسمه فى الصحف والمجلات . ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٧ — الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصى : والسمة البارزة لهذه الحاجة هى رغبة الفرد فى أن يصبح محط أنظار الآخرين ،وأن يرونه كصورة مثالية ويكون اتجاه الفرد هنا هو «ضد الناس » .

٨ — الحاجة العصابية إلى الطموح فى التحصيل الشخصى : والسمة البارزة لهذه الحاجة هى الرغبة الجامحة لأن يصبح غنياً مشهوراً مهماً ، بصرف النظر عما تكلفه هذه الشهرة بالنسبة له وللآخرين . ويكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٩ — الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتى والاستقلال :والسمة البارزة لهذه الحاجة هى الرغبة إلى أقصى حد فى تجنب الارتباط مع الآخرين بأى التزام ، وأن يعزل نفسه عن الآخرين ويكون اتجاه الفرد هنا هو « بعيداً عن الناس » .

١٠ — الحاجة العصابية إلى الكمال واستحالة التعرض للهجوم : والسمة

البارزة لهذه الحاجة هى عدم محاولة الوقوع فى الخطأ الذى يعرضه للنقد و التجريح من جانب الآخرين ، ومحاولة جعل نفسه حصناً لا يهاجم . ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا هو « بعيداً عن الناس » .

تلك هى الحاجات العشرة التى تصدر عنها الصراعات الداخلية للفرد . فالحاجة العصابية للحب والتقبل مثلا لا ترتوى . وكلما زاد ما ناله الفرد منها زادت رغبته فى المزيد والتقبل وتكون النتيجة ألا يشبع أبداً .

والسؤال الآن : أليس من الممكن تجنب هذه الصراعات أو حلها ؟ تذهب هورنى إلى أن ذلك ممكن إذا ربى الطفل فى أسرة يتوفر فيها الأمن والطمأنينة والثقة المتبادلة والمحبة والاحترام والتسامح والدفء العاطفى . وبهذه الصورة ترجع الصراع إلى العوامل والظروف الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد أكثر مما تجعله جزءاً من طبيعة الإنسان ، وأنه لا مفر من ظهوره لديه . فنظريتها هنا أقرب إلى أدلر منها إلى فرويد .

هارى ستاك سوليفان (١٨٩٢ — ١٩٤٩) :

يعتبر سوليفان صاحب مدرسة جديدة فى الطب النفسى وتعرف نظريته باسم « نظرية العلاقات الإنسانية المتبادلة فى الطب النفسى » . ترتبط هذه النظرية بفكرته عن الشخصية . ونظريته فى الشخصية تحليلية بدرجة أقل إذا ما قورنت بنظرية هورنى أو نظرية فروم . ورغم أن سوليفان يعترف بأنه يدين عقلياً لفرويد ، فإن نظريته تحمل شبهاً كبيراً لنظرية أدلر .

وقد عرف سوليفان الشخصية بأنها « النمط المستمر نسبياً للمواقف الشخصية المتبادلة التى تميز الحياة الإنسانية فالشخصية فى نظره كيان فرضى خالص يمكن استنباطه والاستدلال عليه من سلوك الفرد فى علاقته بالأشخاص الآخرين أو بالأشياء «فالشخصية توجد فقط حيث توجد العلاقات المتبادلة بين الأفراد ، أى أن وحدة الدراسة فى نظره هى الموقف الشخصى

المتبادل وليس الشخص . فالحديث عن الشخص كموضوع للدراسة حديث أجوف فى نظره ، لأن الفرد لا يوجد ولا يمكن أن يوجد بمعزل عن الآخرين . فالشخصية إذن لا يمكن دراستها ما لم يكن هناك تفاعل متبادل على الأقل مع شخص آخر ، رغم أن هذا الشخص الآخر ليس من الضرورى أن يكون موجوداً وجوداً مادياً . فتفاعلات الشخص قد تكون مع صورة أو حلم أو شخصية وهمية أو ما أشبه ذلك .

ولم ينكر سوليفان أهمية التأثيرات الوراثية وعوامل النضج بل اعترف بأهميتها خلال مراحل الطفولة والمراهقة . واقترح وجود تسلسل هرمى فى الحاجات الفسيولوجية التى منها تنشأ التوترات التى يجب أن تختفى عن طريق اشباع الحاجات ؛ ولكنه مع ذلك يرى أن ماهو إنسانى بصورة متميزة ، هو نتاج التفاعلات الاجتماعية ، فالخصائص المميزة للإنسان تنمو نتيجة العلاقات المتبادلة بين الأشخاص وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الخبرات الشخصية المتبادلة للشخص يمكن أن تؤثر بطريقة مباشرة فى حاجاته الفسيولوجية ، وتغير الأداء الفسيولوجى الخاص لوظائفه ، وتغير الشخص من كائن حى عضوى إلى كائن حى اجتماعى له طرقه ذات الطابع الاجتماعى فى التنفس والهضم والإخراج والدورة الدموية وما إليها (هول ولندزى ١٨٢) .

وسوف نشير فيما يلى إلى أهم المبادىء التى أقام عليها سوليفان نظريته فى الشخصية .

١ — العلاقات الشخصية المتبادلة :

هذا المبدأ من المبادىء الهامة التى أقام عليها سوليفان نظريته . فما لا جدوى فيه أن ننظر أو نفكر فى شخصية إنسان واحد فى ذاتها ، أى باعتبارها شخصية مفردة وفى عزلة عن شخصيات الآخرين . فشخصية الفرد يجب أن

ينظر إليها دائماً فى علاقاتها بشخصيات الآخرين سواء كان واحداً أو أكثر ، فلا يمكن أن يوجد لإنسان ما شخصية قائمة بذاتها ومنعزلة عن الآخرين . فالعلاقات الشخصية المتبادلة بين الأفراد هى أذن أساس وجود الشخصية . فمنذ اللحظة الأولى التى يوجد فيها الإنسان على ظهر الأرض يدخل فى علاقات متبادلة على الأقل مع شخصية شخص آخر يتعهده بالرعاية وهى شخصية الأم. وهذا الاتصال بشخصيات الآخرين يظل مستمراً طول الحياة سواء أخذ صورة اتصال فعلى أو صورة إتصال وهمى .

والشخصية الفردة تكشف عن نفسها فى علاقاتها بالشخصيات الأخرى . فالعلاقات المتبادلة بين الكائنات الإنسانية بعضها وبعض هى مفتاح نظرية سوليفان . ولكن هؤلاء الناس الذين يتم معهم التبادل لا يتطلب الأمر وجودهم فقد يتم التفاعل المتبادل بين الشخص وأشخاص خياليين كشخصية « سانتا كلوس » أو الأبطال الخرافين الذين نقرأ عنهم فى الكتب أو الشخصيات التاريخية أو الروائية . وفى مثل هذه الحالات فإن الشخصية الخيالية أو الوهمية أو التاريخية ، تقوم على تشخص كائن حى إنسانى يقوى الصورة الخيالية وبذلك يحدث هناك تفاعل متبادل مع هذه الشخصيات .

وليس فقط الشخصيات الوهمية والخيالية هى التى يمكن أن يكون لها تأثير متبادل على الفرد ، بل وأيضاً صور أحلام الليل يمكن أن يكون لها تأثير متبادل وذات طابع شخصى متبادل ما دامت تعكس فى العادة علاقات الحالم بغيره من الناس .

وليس الأمر قاصراً أيضاً على ما تقدم ، بل إن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل وجميع العمليات النفسية الأخرى ، يمكن أن تتضمن في العلاقات الشخصية المتبادلة . فالأنشطة العقلية

لهذه العمليات ترتبط بشخصيات أخرى وليست ديناميات داخلية خالصة للسلوك بعيدة عن تأثير الشخصيات الأخرى . فكل ما تفعله هو فى نظر سوليفان نتيجة النظام الإجتماعى والتفاعل بين الأشخاص .

وعملية الإدراك تظهر متضمنة إلى حـــد بعيد فى العلاقات الشخصية المتبادلة . فالشخصية التى تربى وتنشأ فى ظروف يحوطها الثراء تختلف نظرتها إلى ما تعرضه المحلات التجارية الراقية مثلا ، عن تلك التى تربى وتنشأ فى ظروف يحوطها الفقر والفاقة . فالنظام الإدراكى يختلف عند كليهما . والإدراك يتأثر فى هذه الحالة بماضى الفرد وخلفيته وتربيته وغير ذلك من العوامل التى تكونت خـــلال حياته مع الشخصيات الأخرى التى يعيش معها .

والأمر بالمثل بالنسبة للعمليات العقليه الأخرى . فنحن نتذكر الأشخاص والأشياء ، والتى تمت كذلك نتيجة التفاعل الاجتماعى المتبادل ، وما له اتصال بالأشخاص الآخرين . وتفكيرنا يتشكل أيضا حسب الشخصيات التى نعيش بينها . فالشخصية التى تعيش فى ثقافة حضرية يختلف تفكيرها إلى حد ما عن تلك التى تعيش فى بيئة بدوية أو ريفية . إن الأجهزة العصبية والعضوية قد تكون واحدة متماثلة لدى كل منهما ، ولكن النتاج النهائى لعملية التفكير مختلف .

وقد أعطى سوليفان أهمية كبيرة لموقف العلاقات الإنسانية المتبادلة الذى يلزم لحدوث ألوان النشاط التى تؤدى إلى اشباع الحاجة ، واعتبره ضروريا وهاما فى نظرية الطب النفسى . فحلمة الثدى فى فم الطفل والذى يعتبر أول مثال لموقف العلاقات الإنسانية المتبادلة إنما يتكامل ويدعم بحاجة الطفل إلى الطعام وحاجة الأم إلى أعطاء الحنان والدفء للطفل فى مثل

هذا الموقف . والمنطقة الفمية عند الطفل ، ومنطقة الثدى عند الأم ، هما أجزاء من مناطق التفاعل المتبادل بين شخصين ، يعتبر وجودهما معا ضروريا لتكامل موقف الرضاعة ، وتجربة الطفل عن طريق السلوك الفمي المناسب ، وخبرة الأم عن طريق إرضاع وتقديم حلمة الثدى ، تعتبران أجزاء لها دلالتها فى موقف الرضاعة شأنها فى ذلك شأن التراكيب الفسيولوجية المتضمنه .

وليس معنى كل ما تقدم أن سوليفان ينكر أساساً كل فرصة لدراسة الشخصية الإنسانية الفردة . فثمة مبادىء كالديناميات والتشخصات والعمليات المعرفية هى دراسات لشخصية الفرد . إن مثل هذه الدراسة تعتبر ضرورية إذا أردنا فهم طبيعة الإنسان ، ولكن من الضرورى أيضاً الا يفقد الإنسان إهتمامه بانظمة التفاعل المتبادل التى تعمل دائماً داخل الشخصية الفردية وحولها .

٢ — نظام التوتر : يذهب سوليفان على نحو ما ذهب كثيرون غيره إلى أن هدف الانسان هو خفض حدة التوتر ، هذا التوتر الذى يمكن أن يتراوح بين مستوى الخلو التام من التوتر أو كما يفضل سوليفان تسميته بالإنشراح euphoria (وهو مصطلح سيكاترى يستخدم بوجه عام لوصف المشاعر الحذائية والإحساس بالسعادة) ومستوى التوتر المطلق الذى يقرب من حالات الذهان . ولذا فإن سوليفان يعتبر من المظاهر الهامة فى شخصية الفرد خفص التوترات التى تهدد أمنه .

وتنشأ التوترات من مصدرين : توترات ناشئة عن حاجات عضوية وتوترات تنشأ عن مشاعر القلق .

والحاجات العضوية حاجات أساسية لجميع الشخصيات . وهى قد تكون عامة أو نوعية . والحاجات العضوية العامة كالحاجة إلى الطعام أو الشراب أو الهواء . والحاجات العضوية النوعية كالحاجة إلى مشروبات كحولية أو إلى القهوة .

وبالإضافة إلى تقسيم الحاجات إلى عامة ونوعية، فإن هذه الحاجات العضوية نفسها يمكن أن ترتب فى نظام هرمى إبتداء من تلك التى تعتبر أكثر أهمية فى خفض التوتر إلى تلك الأقل أهمية . ومثال إخضاع حاجة عضوية وإشباعها بعد حاجة عضوية أخرى، هو ما تعودناه من تناول الحلوى بعد تناول الوجبة الأساسية للطعام وليس قبلها . فالحاجة التى تشبع قبل حاجة أخرى تكون حاجة هامة .

أما خفض التوترات الناشئة عن القلق فتعتبر من العمليات الهامة فى نظرية سوليفان . وقد عالجها باستفاضه وكرس لها مبدأ منفصلا باسم مبدأ القلق . والإنسان محاط بمشاعر القلق منذ اللحظة الأولى التى يدخل فيها الحياة ، إبتداء من قلق الأم أن يبقى على قيد الحياة وأن يطعم ويلبس جيداً، إلى الاحتياطات التى يتخذها المجتمع للإحتفاظ بصحته سليمة من الأذى أو الألم أو الموت ، إلى ما ينميه الفرد مشاعر القلق التى تبدأ معه منذ الولادة . وهذه التهديدات لأمن الفرد قد تكون عن أخطار حقيقية أو وهمية تهدد إحساس الفرد بالأمن وإذا زاد قدرها ، خفضت من قدرة الفرد على إشباع حاجاته ، وأدت إلى اضطراب علاقاته الشخصية المتبادلة ، وأدت كذلك إلى الخلط فى التفكير . وتختلف شدة القلق باختلاف خطورة التهديد وفاعلية عمليات الأمن التى تكون فى حوزة الشخص .

والقلق فى نظر سوليفان هو أحد المحركات الأولية فى حياة الفرد . فهو وإن كان وثيق الارتباط بالتوتر ، إلا أنه أكثر من أن يصبح تابعا له ، والقلق بناء وهدام فى الوقت نفسه . فالقلق البسيط يمكن أن يفيد الانسان ويبعده عن الخطر . أما القلق الشامل الكلى فإنه يؤدى إلى اضطراب كامل فى الشخصية، ويجعل الشخص عاجزاً عن التفكير السليم أو القيام بأى عمل عقلى . ويعتقد سوليفان أن أنظمة التوتر متشابهة بين الناس ، ولكن لكل إنسان اسلوبه

الخاص فى معالجة هذه الأنظمة والتعبير عنها . وتتضح الفردية وتختلف الشخصية باختلاف الطريقة التى يعبر بها كل فرد عن الضغوط والتوترات التى يتعرض لها .

وفى بداية حياة الانسان ، فإن الخبرة التربوية الأولى التى تصدر عن مشاعر القلق عنده ، تنتقل إليه عن طريق الأم . فسلوكها وتصرفاتها ونظراتها تتركز على اللحظات القلقة فى رعاية الطفل وإحساسه بالسعادة . فسرعان مايلاحظ الطفل ويدرك أنه مصدر قلق للغير ، وأنه يحذر من أخطار معينة كالإقتراب من النار أو الصعود إلى الأماكن المرتفعة . ومن خلال عملية التوحد مع الآخرين من حوله تنتقل إليه مشاعر القلق التى تتصل بالأمن والصحة والتى يدرك لها مظاهر بادية على وجه الأم . وبعض مظاهر القلق المحيطة به تساعده على أن يتعلم ما هو ضار وما هو غير ضار ، ولكن معظمها تجعله ينسحب إلى قوقعة يشعر فيها بالأمن .

وأحد النتائج التى تصدر عن القلق هى خلق ما يسمى بنظام الذات أو ديناميأتها فلكى يتجنب الشخص أو لكى يقلل إلى أدنى حد ممكن ، القلق الفعلى أو المحتمل ، فإنه يصطنع أشكالا مختلفة من الأساليب الوقائية والضوابط لسلوكه فهو يتعلم مثلا أن فى الإمكان تجنب العقاب بالإمتثال لرغبات الوالدين ، ووسائل ضمان الأمن هذه تشكل نظام الذات الذى يرتضى أشكالا معينة من السلوك (الذات الطيبة) ويمنع أشكالا أخرى (الذات الشريرة) . هول ولندزى (١٨٧) .

ونظام الذات ما أن يتم وضعه فى الطفولة حتى يميل إلى الاستمرار والتدعيم مع تقدم الحياة بالفرد حتى وإن لم يكن هناك تطابق بينه وبين الذات الحقيقية . وتعتبر الشخصية أن نظام الذات له أهمية كبرى فى خفض القلق . فأى لفظ يكون له قيمة ، يحتفظ به ويقدر تقديراً عالياً . وتستمر الشخصية تستخدم

نظام الذات أو دينامية الذات من أجل أن تحمى نفسها عند نقد الذات الحقيقية . وإذا اتسعت الهوة بينهما وزاد استعمال نظام الذات ، أصبح أكثر تعقيداً وأكثر استقلالا . ويظهر موقف شبه فصامى إذا استمرت المسافة بين نظام الذات والذات الحقيقية فى الاتساع . ولذا فإن من الممكن أن تصبح الذات الحقيقية عاجزة تماماً عن ضبط نظام الذات بطرقه المحرفة الملتوية .

ومع ذلك يذهب سوليفان إلى أن بعض نظام الذات يعتبر ضرورياً لتجنب ،أو حتى خفض القلق فى العالم الحديث . فإحدى المشكلات إذن هى استعمال نظام الذات عند الفرد مع شيء من الضبط . وقد تساعد التحليلات الصريحة والنقد الصريح لنظام الذات بواسطة الذات الحقيقية فى تقديم الضوابط وتقليل المسافة والهوة الفاصلة بين نظام الذات والذات الحقيقية .

وعلى حين ركز فرويد على الليبيدو وعملياته المختلفة ، نجد سوليفان يؤكد ناحية الأنا والوسائل التى يحاول بواسطتها إحداث عملية التوافق . وبدلا من استخدام لفظ الـ Ego ، وضع سوليفان مصطلحاً آخر هو نظام الذات self - system . ويعتقد أن نظام الذات يتشكل فى صورة فردية بواسطة القلق الناجم عن عدم رضا الآباء وموافقتهم وعن مشاعر الطمأنينة الناجمة عن محبة الآباء ورضاهم .

وثمة مبادىء ثلاثة متشابهة من ناحية كونها عمليات تحقق بها الشخصية التفاعل المتبادل مع الشخصيات الأخرى ، ومن ثم تلعب دوراً فى نمو الشخصية وهذه المبادىء الثلاثة هى الديناميات ، والتشخصات ، والعمليات المعرفية . ورغم أن هذه تعالج هنا منفصلة من أجل الشرح والتوضيح ، إلا أنها فى الحقيقة تعتبر شيئاً واحداً أو عملية واحدة .

الديناميات :

الدينامية هى أى فعل عادى متكرر ، أو اتجاه أو شعور يوجد لدى شخص ما ،

تجاه شخص أو أشخاص آخرين . إنها أصغر وحدة من السلوك الإنسانى يمكن لشخص آخر تحليلها ودراستها بشكل مفيد . إنها نمط سلوكى متكرر نسبياً ومن الممكن أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعادة .

وتتراكم الديناميات خلال حياة الفرد مع زيادة خبراته وزيادة اتصالاته الاجتماعية . وكلما تنوعت خبرات الفرد واتسعت ، زاد عدد ديناميانه . ومن الممكن أن تصبح مجموعة الديناميات الكلية بالغة التعقيد ، وتكوّن نظاماً خاصاً للحياة . ونظام الذات السابق الإشارة إليه هو مجموعة ديناميات أقيمت حول انفعالات القلق الكامنة الطاقة .

والديناميات ذات الطابع الإنسانى هى تلك التى تميز وتحدد العلاقات الإنسانية المتبادلة بين الأشخاص . فقد يعتاد فرد ما السلوك بصورة عدوانية نحو شخص أو جماعة أخرى . وهذا السلوك يعد تعبيرا عن دينامية عدوانية . والطفل الذى يخاف الغرباء يعبر سلوكه عن دينامية الخوف المحركة له وأى استجابة معتادة سواء كانت فى صورة اتجاه أو مشاعر أو عمل فإنها تشكل دينامية . والديناميات الأساسية واحدة لدى جميع الناس ولكن طرق التعبير عنها تختلف باختلاف الموقف وباختلاف خبرات حياة الفرد .

وتخدم الديناميات غرضاً هو فى العادة إشباع الحاجات الأساسية للكائن العضوى . وقد كشف سوليفان عن التأثير المبكر لفرويد ، بأن ربط كثيراً من الديناميات بمناطق معينة من الجسم : كالفم أو الشرج أو الأعضاء التناسلية .

التشخصات :

والتشخصات هى الصور التى يكونها الفرد عن الذات وعن الآخرين . وغالبا ما تكون هذه التشخصات نتاج العلاقات المتبادلة فى الطفولة . وغالبا

ما تظل هذه الصور كما هي لا تتغير، وبذلك تؤثر فى مستقبل فكرة الفرد واتجاهه نحو الآخرين . ومن هنا جاءت التسمية التشخصات الارتسامية eidetic personifications فالطفل مثلا قد يكوّن تشخصاً نحو الأب المسيطر، وهذا التشخص قد يؤثر فى استجاباته بعد ذلك نحو الشخصيات الأخرى المتسلطة .

ويقول سوليفان : إن فكرة التشخص تستمد أهميتها من موقف العلاقات المتبادلة فى فهم الظواهر التى يتعامل معها السيكاترى . فعند مناقشة تكوين تشخص عن « الأم الطيبة » التى يكونها الطفل خلال طفولته المبكرة والعلاقات المتبادلة مع الأم ، فإننا نسير فى طريق محاولة فهم التشخصات ودورها الديناميّ . والصورة التى يكونها الطفل عن الأم الطيبة هى النمط الذى يدركه بصورة بدائية ،باعتباره النمط الذى تشارك به الأم فى مواقف الرضاعة المتكررة ، وما يتكامل مع هذه المواقف من اشباع للحاجات . وتشخص الطفل لصورة الأم الطيبة يرمز للإشباع المقبل للحاجات أو بعبارة أخرى يرمز إلى تكامل واستمرار وحل المواقف الضرورية اللازمة لما يقوم به الطفل بصورة مناسبة مقبولة من أجل إشباع حاجاته .

والتشخص ليس هو الأصل . فتشخص الأم ليس هو الأم الحقيقية ، أى ليس هو هذا الكائن الحى المحدد النامى والذى ينظر إليه كوحدة . إنما هو تنظيم معقد لخبرات الطفل وعلاقاته المتبادلة مع الأم . وصورة الأم وتشخصها لطفلها ليس هو هذا الطفل ذاته ،ولكنه تنظيم تام للخبرة تكوّن فى ذهن الأم نتيجة العلاقات المتبادلة . والخبرات التى مرت بينها وبين الطفل الحقيقى . وبالمثل فإن تشخص الطفل للأم يتكون مما حدث بين الطفل وبين الأم الحقيقية من علاقات إنسانية متبادلة فى مواقف الرضاعة وإشباع الحاجات .

والأم هي حاملة المسئوليات الاجتماعية فيما يتعلق بطفلها . وجانب مما يرمز إليه الطفل فى نظرها ، هو اعترافها بهذه المسئوليات الاجتماعية . أما ما هى هذه المسئوليات ، فهذا ما يختلف من جماعة إلى أخرى داخل المجتمع أو من ثقافة إلى أخرى . ودرجة تحمل الأم لهذه المسئوليات وقيامها بها بنجاح يختلف عند الأم الواحدة باختلاف الأطفال ، وبالنسبة للطفل الواحد باختلاف الأوقات . وليس ثمة شك أن هذه المسئوليات الاجتماعية لها تأثير كبير فى تنشئة الطفل ، فالصورة التى يكونها الطفل للأم الطيبة ورعايتها له وحدبها الزائد عليه ، إنما هى تتجه العلاقات الإنسانية المتبادلة والتى تتضمن الإشباع . والصورة التى يكونها عن الأم السيئة تنتج عن الخبرات التى تمر بينه وبين الأم والتى تؤدى إلى إثارة القلق . وهذه الصورة تلعب دوراً كبيراً فى علاقات الطفل الاجتماعية بالأم وبالآخرين المحيطين به، كما يكون لها أثرها الواضح فى نمو شخصيته .

والصورة أو التشخص الذى نحمله فى رؤوسنا عن الشخص أو الاشخاص الآخرين ، نادراً ما يكون وصفاً دقيقاً لهذا الشخص أو لهؤلاء الأشخاص . فالدقة ليست متضمنة بالضرورة فى تشخص أى شخص آخر . وكما يقولون « الحب أعمى » و « ابنى لايمكن أن يخطىء » ، وتلك أمثلة من صور التعصب للتشخصات التى نكونها عن الآخرين .

ويتكون التشخص فى بداية الأمر من أجل إحداث توافق الفرد مع الأفراد الآخرين فى مواقف يتم فيها تبادل العلاقات بينهم . وما أن تتكون هذ التشخصات حتى يستمر تأثيرها ودوامها ، بل وتؤثر فى اتجاهاتنا نحو الآخرين . فالطفل الذى يشخص صورة والده فى صورة الرجل المستبد ، قد يسقط هذه الصورة ذاتها على كل من يتصل بهم من مصادر السلطة

فى المجتمع الخارجى الذى يعيش فيه كالمدرسين ورجال الشرطة والموظفين ، فيرى فيهم صورة الأب المستبد . كما أن الأساليب التى كان يستخدمها فى خفض حدة التوتر والقلق فى السنوات الأولى من حياته ، قد تدخل وتعرقل علاقاته المتبادلة مع الآخرين فى حياته بعد ذلك فالصورة المشبعة بالقلق التى كونها عن الأب تحرّف تصوراته الذهنية عن الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم من أصحاب السلطة فى المجتمع والذين يرمزون للأب أو يمثلونه .

والتشخصات التى يشترك فيها عدد كبير من الناس تسمى « الصور النمطية » وهى بمثابة تصورات ذهنية ينعقد الإجماع على صحتها ، وتكون متقبلة على نطاق واسع بين أفراد المجتمع وتنتقل من جيل إلى جيل . ومن أمثلة السلوك النمطى الشائع صورة الفنان الذى لايهتم بالتقاليد ويخرج عليها ، وصورة العالم الذى لديه جلد وصبر على القيام بالعمل العقلى المضنى .

العمليات المعرفية :

والمبدأ الثالث فى تحقيق العلاقات المتبادلة هو مبدأ العمليات العقلية المعرفية فبواسطة هذه العمليات العقلية يمكن للانسان أن يكون علاقات متبادلة مع الآخرين ومن هنا استمدت العمليات المعرفية أهميتها فى نظر سوليفان وأصبحت كمبدأ من مبادىء تكوين العلاقات الإنسانية المتبادلة . ويذهب سوليفان إلى أن الخبرة المعرفية للفرد تحدث فى صور ثلاثة متدرجة فى نظام هرمى . وأدنى مستوى هو مستوى الخبرة الخام prototaxic experience وأعلى منها مستوى هى الخبرة المتتالية parataxic ثم أعلى منهما فى المستوى ، مستوى الخبرة التركيبية syntaxic :

أما الخبرة الخام : فيمكن اعتبارها بمثابة السلسلة المنفصلة الحلقات للحالات المؤقتة للكائن العضوى الحساس . فالإحساس والمشاعر والصور الجزئية

التي تمر بذهن الطفل، تكون منفصلة وسريعة الزوال ولا تبقى واحدة منها مدة طويلة . وليس ثمة ضرورة لارتباط هذه الخبرات بعضها ببعض ، كما أنها بلا معنى لدى الشخص . وهي خبرات حية خلال فترة وجودها وتترك آثاراً من انطباعات الذاكرة . وهذه الصور الخام من الخبرة توجد فى أنقى صورها فى الشهور الأولى من الحياة ، كما أنها مرحلة ضرورية لظهور المرحلتين التاليتين من العمليات العقلية .

الخبرات المتتالية : وتتكون من إدراك العلاقات العلية بين ظاهرتين أو ظواهر تحدث معا فى نفس الوقت تقريبا ، ولكنها لا ترتبط فيما بينها برابطة منطقية ولكون الأشياء تحدث معا فى نفس الوقت ، فإن الفرد يميل إلى الاعتقاد أن أحدها يسبب الآخر . مثال ذلك الشخص الذى يقرر فى كل مرة يسمع فيها صوت سيارة الحريق ، أن هناك حريقا ، ويستخلص من ذلك أن سيارة الحريق هى سبب الحريق .

ومن الممكن القول بأن هذا النوع من التفكير المتتالى هو فى العادة أساس تعصبات البالغ ومعتقداته الخرافية حيث يكون أساس التفكير فى مثل هذه الأحوال هو مجرد التتالى بين الأحداث دون أن يدرك الفرد ما إذا كانت هناك روابط منطقية بين هذه الأحداث بعضها وبعض .

الخبرات التركيبية : وهذا النوع هو أعلى الأنماط العقلية الثلاثة على نحو ما أوضحها سوليفان فى نظامه النظرى والتفكير التركيبى يستخدم الرموز كأساس . وهذه الرموز قد تكون لفظية أو عددية . ولكن يجب أن تكون مقبولة لدى عدد كاف من الناس يتفقون على معناها . والرموز الخاصة قد لا تفهم لدى الشخص الذى ليس عضواً فى الجماعة ، ولكن الرموز العامة فهى ضرورية بشكل مطلق للانسان من أجل القيام بعلاقات شخصية متبادلة مع الآخرين .

وبالإضافة إلى أنواع الخبرات المعرفية يؤكد سوليفان أهمية الإستباق أو بعد النظر فى أداء الوظائف المعرفية . والاستباق يعتمد على ماضى الشخص ، وما يتذكره ، كما يعتمد على تفسيره للحاضر والمستقبل القريب .

ومن الممكن القول بأن الديناميات والتشخصات والعمليات المعرفية هى بمثابة السمات البنائية الأساسية المميزة لنظرية سوليفان .

نمو الشخصية : تتبع سوليفان نتائج مواقف العلاقات الاجتماعية المتبادلة التى يتعرض لها الفرد خلال انتقاله من الطفولة المبكرة إلى الرشد، والوسائل التى تسهم بها هذه المواقف فى تكوين الشخصية وقدم سوليفان وصفاً لمراحل نمو الشخصية استخدم فيه ألفاظا إصطلاحية لتسمية هذه المراحل . وقد حدد مراحل سبعة لنمو الشخصية هى : الطفولة المبكرة infancy والطفولة childhood وفترة الصبا Juvenile era وما قبل المراهقة pre-adoles cence والمراهقة المبكرة early adolescence والمراهقة المتأخرة late adolescence والرشد maturity .

والجديد لدى سوليفان والذى يبدو لنا أيضا أمراً هاما ، هو ذهابه إلى تغير محتوى العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع تغير مراحل نمو شخصية الفرد .

وفترة الطفولة المبكرة هى الفترة التى تمتد من الميلاد حتى ظهور الكلام الواضح عند الطفل (من صفر . إلى ١٨ شهراً) .وفى هذه المرحلة يتركز التفاعل بين الرضيع والبيئة حول المنطقة الفمية . وفى هذه الفترة يعتمد الطفل اعتماداً كبيراً على رعاية الوالدين ، وتنتظم خبراته فى صورة حسية تكون من نوع الخبرات المعرفية الخام التى هى بمثابة سلسلة منفصلة الحلقات للحالات المؤقتة للكائن العضوى الحساس . ثم إن أجهزة الطفل الإدراكية والحركية

لا تسمح له بعد وإلى حد بعيد ، بالقيام بالسلوك التمييزى . وتدور حياته حول فترات مؤقتة من الشعور بالإرتياح وعدم الارتياح . وتظهر بوادر عدم الارتياح بشكل واضح عند الطفل إذا كان الشخص القائم على رعايته من النوع المتوتر أو القلق .

أما فترة الطفولة فتمتد ابتداء من ظهور الكلام الواضح إلى ظهور الحاجة إلى زملاء اللعب (من سن ١٨ — ٢٠ شهراً حتى سن ٤ — ٥ سنوات) .

ويصبح الإنتقال إلى هذه الفترة ممكنا بفضل تعلم اللغة وتنظيم الخبرات المعرفية فى صور خبرات متتالية إلى حد كبير ، وكذلك فى صور خبرات تركيبه . ونمو اللغة عند الطفل فى هذه المرحلة يسمح بامتزاج التشخصات المختلفة كالأم الطيبة والأم الشريرة مثلا ، كما يتكامل نظام الذات إلى بناء أكثر تماسكا . ويتعرف الطفل على دوره الجنسى ، فيتعين الصبى بالدور الذكرى الذى يرسمه المجتمع وتتعين الفتاة بالدور الأنثوى . وفى هذه المرحلة تظهر تحولات شريرة لدى الطفل ، وهى مشاعر تجعل الطفل يحس أن العالم الذى يعيش فيه ، ضده وأنه يعيش بين أعداء . وهى مشاعر لو قويت لتعذر على الطفل أن يستجيب بصورة إيجابية لمحاولات الاخرين الودية . وقد ينجم عن هذه التحولات الشريرة شعور الطفل بالوحدة فيعزل نفسه عن الآخرين .

وفترة الصبا تمتد ابتداء من سن ٥ — ٦ سنوات إلى سن الحادية عشرة أى فترة المدرسة الابتدائية وهى مرحلة تتميز بأنها فترة كمون أو فترة جنسية هادئة . أما خبراته المعرفية ، فإنها تنتظم فى صور خبرات تركيبية معظم الوقت ويزداد افتتان الطفل بالرموز . وفى محيط العلاقات الإجتماعية المتبادلة يقل اعتماد الطفل على الأم إلى حد كبير ، فى الوقت الذى يصبح فيه محيط العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع العالم الخارجى أكثر اتساعاً وتعدداً . وتتميز هذه

الفترة أيضا بأن الطفل يصبح فيها اجتماعيا ، ويكتسب فيها خبرات الإنصياع الإجتماعي لمصادر السلطة خارج المنزل كالمدرسين مثلا . كما يصبح من النوع التنافسي والمتعاون أيضا ، ويدرك معنى النبذ الاجتماعي وفي فترة الصبا ، يزداد دور الرفاق في حياته وفي ما يعرفه عن نفسه ، وفي اكتساب المهارات وتحديد المحتوى السلوكي للكفاية واحترام الذات .

أما فترة ما قبل المراهقة وهي التي تقع ما بين سن ١١ — ١٣ سنة تقريبا ، فإنها تتميز بأنها فترة بزوغ جنسي ، كما تتميز في الوقت نفسه بالحاجة الظاهرة إلى الأصدقاء من نفس الجنس ، كما يبدأ ظهور العلاقات الإنسانية الأصيلة . وتتميز هذه المرحلة أيضا برغبة الفرد الواضحة في إقامة العلاقات مع الرفاق على أساس من التساوي والتكافؤ . وتبدأ بوادر الاستقلال والاعتماد على النفس في الظهور بشكل واضح وإن لم تصل بعد إلى مرحلة الاستقرار .

ومرحلة المراهقة المبكرة تمتد من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة وهي فترة النشاط الجنسي الغيري . وفيها يخبر المراهق التغيرات الفسيولوجية للبلوغ وهي مرحلة جنسية مكتملة . وفيها يكون المراهق شهواني لدرجة كبيرة كما تكون حاجاته الاجتماعية مزدوجة بمعنى : شبقية نحو الجنس الآخر وفي الوقت نفسه ارتباط بأفراد نفس الجنس ، وهذا الارتباط والاختلاط قد يؤدي أيضا إلى جنسية مثلية . وفي هذه المرحلة يبدأ المراهق في تأكيد نفسه ويشعر باستقلاله إلى درجة كبيرة وتستمر المراهقة المبكرة حتى يستطيع الشخص أن يجد نمطا ما ثابتا للأداءات يشبع دفعاته التناسلية .

أما مرحلة المراهقة المتأخرة فتقع بين ١٧ — ١٩ سنة حتى أوائل العشرينات وهي مرحلة نضج كامل ومرحلة تكامل واستقرار في نظام الذات وفيها تنمو الخبرة المعرفية بالأسلوب التركيبي المتكامل الذي يسمح بالتوسع

فى الآفاق الرمزية للشخص وتقسم العلاقات الاجتماعية المتبادلة فى هذه المرحلة بالأمن القوى ضد القلق . وهذه المرحلة تعتبر ضرباً من التدشين أو التنصيب الطويل نسبياً لامتيازات وواجبات وطرق الإشباع والمسئوليات التى تتطلبها الحياة الاجتماعية والقيام بدور المواطن وبذلك يصبح الفرد عضوا كامل العضوية فى الحياة الإجتماعية .

وأخيراً تمتد مرحلة الرشد من ٢٠ إلى ٣٠ وما بعدها . وفيها يكون المجتمع قد أتم تحول الفرد بفضل العلاقات الاجتماعية المتبادلة إلى حد كبير من كائن حى عضوى إلى كائن حى اجتماعى ، أو بعبارة أخرى يكون قد أتم تحويله إلى حيوان بشرى . وفى هذه المرحلة يكون الفرد قد استقل استقلالا كاملا وبشكل ظاهر فى علاقاته الإجتماعية مع الآخرين .

الفصل العشرون

الشخصية فى ضوء نظرية المجال

نظرية ليفين (١٨٩٠ – ١٩٤٧)

تعد المساهمات التى قدمها كيرت ليفين من بين المساهمات الهامة التى قدمت لعلم النفس خلال الحقب الأخيرة . لقد كان ليفين باحثاً ممتازاً وقد اعترف بعبقريته فى البحث التجريبى ، حتى أشد ناقديه قسوة . وتشهد بهذه العبقرية مجموعة الأبحاث التجريبية العديدة التى أشرف عليها ووجهها سواء فى برلين أو فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد رحيله إليها .

واقد ظهرت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مجموعة من الأفكار الجديدة والجريئة فى مجال العلوم الطبيعية . وانعكس تأثير هـذه الأفكار بشكل عميق ليس فقط على مجال العلوم الطبيعية ، بل وأيضا على مجال العلوم الأخرى كالعلوم الاجتماعية والبيولوجية ومن هذه الأفكار ، تلك التى يشار إليها عادة بنظرية المجال والتى بدأ ظهورها فى أعمال فراداى وما كسويل وهيوتز فى مجالات الكهرباء المغناطيسية فى القرن التاسع عشر ، والتى بلغت أوجها فى نظرية النسبية عند إينشتين فى القرن العشرين .

وبدأ تأثير هذه النظرية الجديدة يتضح لدى المشتغلين بالعلوم الاخرى غير العلوم الطبيعية . فأنصار نظرية المجال ينظرون إلى الظواهر التى يقومون بدراستها باعتبارها تحدث فى مجال ما ، وأنها تمثل جزءاً من كلٍّ من الحقائق المترابطة والتى تدرك بشكل متوافق يؤثر كل منها فى الآخر ويتأثر به

والجدير بالذكر — كما أوضح دويتش (١) — أن هذه العلوم الأخرى غير الطبيعية — كعلم النفس والعلوم الاجتماعية والبيولوجية — لم تأخذ حقائق ونظريات العلوم الطبيعية كظواهر الجاذبية أو النظريات الكهرومغناطيسية مثلا ، وإنما أخذت « منهج » تحليل العلاقات العلّية وبناء المكونات العلمية . فعلم نفس المجال أخذ من هذه النظرية الحديثة فى العلوم الطبيعية « منهج » تمثيل الواقع ، وليس المفهومات والحقائق الطبيعية العقلية ذاتها .

ومصطلح « المجال » ظهر أول ما ظهر فى علم النفس عند أصحاب مدرسة الجشتلت . وكان على رأس هذه المدرسة التى ظهرت ١٩١٢ ثلاثة من كبار علماء النفس الألمان هم ماكس فرتهيمر وفولفجانج كوهلر وكيرت كوفكا . والفكرة الرئيسية التى تقوم عليها نظرية الجشتلت ، والتى ظهرت أول ما ظهرت فى مجال الإدراك ، هى أن الإدراك ليس إدراكا لجزئيات أو عناصر تجمع بعضها إلى بعض لتكوين المدرك الحسى ، وإنما هو إدراك الكليات ، ثم تأخذ الجزئيات تتمايز وتتضح داخل هذا الكل الذى تنتمى إليه . فادراك الكل سابق على إدراك الأجزاء المكونة لهذا الكل . كما أن الجزئيات لا وجود لها فى ذاتها . وإنما هى تستمد صفاتها وخصائصها من الكل الذى تنتمى إليه . وقد انتهى علماء نفس الجشتلت إلى وضع مجموعة من القوانين التى تحدد العلاقة بين الكليات والأجزاء والتى يتضح منها أيضا أن العلاقات القائمة بين مكونات المجال الإدراكى ، وليست الخصائص الثابتة لهذه المكونات الفردية ، هى التى تحدد الإدراك .

وليس من شك أن ليفين قد تأثر بأفكار هذه المدرسة . فقد زامل مؤسسيها

---

(1) Deutsch Morton : Field Theory in Social Psychology, in Lindzey, Gardner and Aronson Elliot. The Handbook of Social Psychology. London, Addison Wesley Publishing Comp. In 2nd ed. vol. 1. 1968.

أثناء دراستهم الجامعية بجامعة برلين ، والتي حصل منها على درجة الدكتوراه سنة ١٩١٤ . وقد نقل ليفين الكثير من أفكار هذه المدرسة من مجال الإدراك إلى مجالات أخرى من علم النفس . ولكن على الرغم من ارتباط ليفين الوثيق بنشاط مدرسة الجشتلت في برلين ، إلا أنه احتفظ بقليل من التوحد مع الجماعة التقليدية لهذه المدرسة . والحقيقة أن جهود ليفين الأولى تركزت على وجه الخصوص حول المشكلات الدافعية للفرد ، والتي أدت به إلى الاهتمام بمشكلات تنظيم الشخصية ، كما أن جهوده الأخيرة تركزت على وجه الخصوص حول مشكلات عديدة في علم النفس الاجتماعي على نحو ما يتضح في بحوثه الممتعة التي أجريت خلال فترة الحرب العالمية الثانية عن عادات الطعام عند الناس ، وسيكولوجية ربة البيت ودراسة أساليب المناقشة الفردية والجماعية وتأثر ربة البيت بكل منها . أما اهتمامه بالمشكلات الأخرى كدراسة طبيعة عملية التعلم والتي كانت موضع اهتمام علماء النفس الأمريكان خلال حقبة وجوده بأمريكا ، فكان اهتماما هامشيا .

وكتابات ليفين عديدة للغاية ، وكان معظمها في صورة دراسات تنشر في المجلات العلمية ، وقد جمعت مقالاته في أربع كتب ، الأولان منها يمثلان المرحلة الأوربية من أعماله والاثنان الأخيران يمثلان المرحلة الأمريكية من هذه الأعمال : والكتب الأربعة هي :

1 — A Dynamic Theory of Personality (1935).
2 — Principles of Topological Psychology (1636).
3 — Resolving social conflicts (1948).
4 — Field Theory in sociat sciences (1951).

ويمكن أن نلحظ السمات الأساسية لنظرية المجال عند ليفين في توكيده على الموقف ككل وعلى التفاعلات المتبادلة داخل هذا الموقف فأحد المكونات الأساسية في نظرية ليفين هو ما أسماه باسم « المجال الحيوي »

أو « المجال السيكولوجي » للفرد . فجميع الأحداث السيكولوجية من تفكير وعمل وحلم وأمل وغيرها تدرك باعتبارها وظيفة للمجال الذي يوجد وقت حدوث السلوك . وهذا المجال يتكون من الشخص والبيئة منظوراً إليهما باعتبارهما عوامل متوافقة يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به . فالعمليات السيكولوجية التي يقوم بها الشخص هي وظيفة التفاعل المتبادل بين الشخص العياني والموقف العياني .

ويعتبر توكيد هذه العلاقات المتبادلة بين الفرد والبيئة إحدى المنجزات الهامة لنظرية ليفين . يقول دويتش : إنه حتى وقت قريب ، كان جانب كبير من علم النفس يخضع لما يمكن أن نسميه الأسلوب الأرسطي في التفكير . بمعنى أن الأحداث السيكولوجية كانت تتحدد بخصائص الفرد كالغريزة أو الوراثة والذكاء والحاجات والعادات وغيرها ، وجميعها كان ينظر إليها مستقلة نسبياً عن الموقف . فهذا الشخص ذهاني بسبب وراثته ، وذاك جامد في سلوك حل المشكلات بسبب أصوله العنصرية ، وهذا الآخر أصبح قائداً للجماعة بسبب شخصيته . ومثل هذه التفسيرات في نظر ليفين لم تعد مقبولة . إذ لابد أن ننظر إلى السلوك في إطار المجال العام الذي يوجد فيه هذا السلوك ومثل هذا التوكيد على العلاقة المتبادلة بين الفرد العياني والموقف العياني من شأنه أن يجعل الباحث أكثر تبصراً وفهماً للسلوك فهو يتطلب ليس فقط معرفة الفرد : ماضيه وخبراته واتجاهاته الحاضرة وقدراته وآماله المستقبلة ، بل وأيضاً معرفة الموقف المباشر الذي يوجد فيه هذا الفرد .

وتوكيد الموقف ككل له أهميته بالنسبة لمنهج البحث فبدلا من إنتزاع عنصر أو آخر داخل الموقف وتوجيه الاهتمام إليه منعزلا عن بقية العناصر الأخرى التي تؤثر فيه ويتأثر هو بها فإن نظرية المجال تجد من المفيد

— كقاعدة — أن يبدأ البحث بتحديد الموقف ككل . ثم بعد ذلك يبدأ الباحث فى إخضاع الموقف لتحليل تفصيلى أكثر وأكثر . فمركز الاهتمام فى البحث هو دراسة الأحداث السيكولوجية فى علاقاتها المتبادلة بين الفرد والموقف ، وليس على تجريدات منفصلة مقتطعة عنوة من إطارها أو مجالها العام .

وثمة نقطة ثانية بالغة الأهمية والوضوح عند ليفين وهى استعماله التمثيل المكانى للمجال ككل وعناصره . وإذا كان من الممكن استخدام الأساليب اللفظية المألوفة فى وصف المجال والعلاقات المتبادلة بين الفرد والبيئة ، إلا أن ليفين يفضل صياغة محددات السلوك عنده فى حدود رياضية . فالتمثيل الرياضى يقتضى صياغة دقيقة قد يفتقر إليها الاستعمال اللغوى القائم على الألفاظ والتى قد تؤدى فى كثير من الأحيان إلى الابهام والغموض . وقد كرس ليفين جهداً كبيراً للتعبير عن المفاهيم السيكولوجية فى صورة رياضية ، وإن كان النمط الذى استخدمه ليفين يختلف عن النمط المألوف لدى الناس . فالرياضيات التى استخدمها ليفين ذات طبيعة غير مترية ؛ كما أنها تصف العلاقات المكانية بغير الاصطلاحات الإقليدية . فهى فى جوهرها — كما يقول هول ولندزى — رياضيات تصف العلاقات والاتصالات القائمة بين المجالات المكانية دون مراعاة الحجم والشكل .

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن نلخص الإطار العام لنظرة ليفين للسلوك على النحو التالى :

١ — السلوك وظيفة المجال الذى يوجد فى الوقت الذى يحدث فيه السلوك .

٢ — يبدأ التحليل بالموقف ككل . ومن الموقف تتمايز العناصر المكونة له .

٣ — من الممكن تمثيل الشخص العيانى والموقف العيانى تمثيلا رياضياً(١)

وهذا التمثيل الرياضى الذى وضعه ليفين هو أساساً وسيلة سهلة للاتصال والفهم . وقد تبع هذا النظام — والذى كان ليفين نفسه يرى أنه ليس رياضة بالمعنى الحقيقى الدقيق لهذه الكلمة — من استعمال للسبورة أثناء الشرح فى المحاضرات التى كان يقوم بالقائها لتوضيح المجال ولذلك لم يذهب ليفين بعيداً وراء مراحل التمثيل بالرسم . فلم يضع قواعد لعمليات رياضية ولتمثيلاته ورسومه البيانية . فإذا كان ليفين استعمل العلامات والرموز الهندسية والعلاقات المكانية ، فإنه لم يقرن هذا كله بالأعداد . ومن هنا، فليس من الممكن القيام بعمليات مثل عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة فى نظامه الرياضى . والسمة البارزة فى مكونات ليفين هى رسم الدوائر والمربعات والمثلثات والأشكال البيضارية والحدود أو الحواجز وأسهم القوى وغير ذلك من الرسوم الهندسية التى وضعها ليفين من أجل عرض نظريته دون أن ترتبط باستعمال الكلمات .

وفيما يلى دراسة مختصرة لبعض المفاهيم الأساسية فى نظرية ليفين والتى لها بدراسة الشخصية .

أولا : المجال الحيوى Life Space

من المفاهيم الأساسية عند ليفين مفهوم المجال الحيوى أو المجال السيكولوجى أو الموقف الكلى . وهذا المجال الحيوى يشير إلى مجموع الوقائع الممكنة والتى تحدد سلوك شخص ما فى وقت معين ، فهو يتضمن « كل ما علينا أن أن نعرفه حتى نستطيع فهم السلوك العيانى ، لكائن إنسانى ما ، فى بيئة سيكولوجية معينة ، وفى وقت معين . فالسلوك هو دالة أو وظيفة المجال

(١) نظرية الشخصية : ترجمة د. فرج احمد فرج وآخرون ص ٢٧٨ .

الحيوى . والمجال الحيوى بدوره هو نتاج التفاعل المتبادل بين الشخص والبيئة .

[illegible]

[illegible] والبيئة أو بصورة رمزية يمكن [illegible]

ويمثل ليفين المجال الحيوى عادة (بشكل بيضاوى ، بداخله دائرة تمثل الشخص [illegible]

[illegible] الحيوى [illegible]

[illegible] المجال الحيوى [illegible]

[illegible] الشخص .

[illegible] وإنما هو يؤكد

النظر إلى سلوك الإنسان فقط فى محتواه الحاضر [illegible]

وخارج هذا الشكل البيضاوى الذى يمثل الشخص والبيئة النفسية ،

[illegible]

ليفين على المجال الحيوى والوقائع التى تجرى فيه ، بل يدرس أيضاً وقائع

العالم الفيزيقى وإن لم تحظ هذه الدراسة بالقدر الكبير الذى حظت به وقائع المجال الحيوى . وقد أطلق ليفين على دراسة وقائع العالم الفيزيقى أسم « الايكولوجيا السيكولوجية » أو الدراسة النفسية للبيئة .

ويتطلب الأمر القاء المزيد من الضوء على مكونات المجال الحيوى ونعنى بها الشخص والبيئة والسلوك .

١ – الشخص : يذهب « دويتش » إلى أن ليفين إستخدم هذا اللفظ إستخدامات ثلاثة :

الاستخدام الأول يشير إلى ما لدى الفرد من صفات وخصائص (حاجات ومعتقدات وقيم ونظام إدراكى حركى) والتى فى تفاعلها فيما بينها ومع البيئة الموضوعية يوجد المجال الحيوى ومن الممكن القول بأن ليفين ينظر إلى الشخص هنا نظرة سيكولوجية أكثر منها فسيولوجية . والشخص بهذا المعنى هو المجال الحيوى منذ برهة وجيزة مضت ، والذى كان من نتيجة تفاعله مع البيئة الموضوعية وجود هذا المجال الحيوى الراهن .

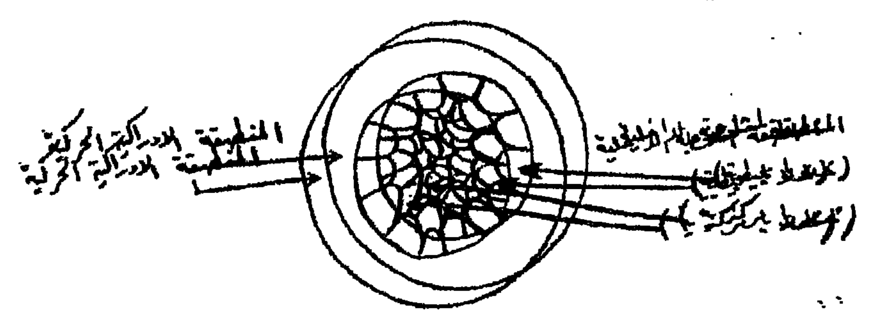
أما الإستخدام الثانى للفظ فهو مرادف للمجال الحيوى . فتمثيله للشخص وتمثيله للمجال الحيوى يمكن النظر إليهما إعتبارهما طرقا مختلفة لتمثيل نفس الوقائع السيكولوجية .

أما الإستخدام الثالث فيشير إلى « الشخص فى المجال الحيوى » والشخص فى المجال الحيوى » أو « الذات القائمة بالسلوك » يشير إلى الفرد فى ارتباطه بوحدات أخرى من المجال الحيوى . والسلوك الذى نلاحظه هو فى هذه الحالة عبارة عن تغير موضع الذات القائمة بالسلوك من منطقة ما من مناطق النشاط فى المجال الحيوى إلى منطقة أخرى .

ويمثل ليفين الشخص عادة بدائرة مغلقة تجعل له كيانا مستقلا منفصلا

عن كل ما عداه في هذا العالم. فكل ما يقع داخل هذه الدائرة ينتمي إلى الشخص وكل ما يقع خارج حدودها فهو لا ـ شخص فإن كان هذا اللاشخص واقعا داخل اطار المجال الحيوي للفرد، فهو يمثل البيئة النفسية لهذا الفرد. أما إن كان يقع خارج هذا المجال الحيوي فهو يمثل العالم المادي أو الفزيقي ولا يضير في شيء أن يمثل الشخص في دائرة أو مربع أو مثلث أو مستطيل أو شكل غير منتظم طالما أن الشكل مغلق تماما. وهذا الاغلاق نفسه يشير إلى خاصيتين أساسيتين الأولى هي خاصية الفصل عن بقية العالم برسم حدود متصلة، وخاصية التضمن أو الدخول في منطقة أكبر. والخاصية الأولى تشير إلى التمايز والثانية تشير إلى علاقة الجزء بالكل. وقد أوضح ليفين في نظرته إلى بناء الشخص بأنه بناء متغير وغير متجانس، أي أنه بناء مقسم إلى أجزاء منفصلة، ولكنها متوافقة ومترابطة فيما بينها فإذا تصورنا الشخص كدائرة كبيرة، فإن من الممكن تصور وجود دائرة أخرى صغيرة بداخلها ومتحدة المركز مع الدائرة الأولى. وهذه الدائرة الصغيرة المركزية يسميها ليفين باسم «المنطقة الشخصية الداخلية» (I-P) inner-personal region وهذه تنقسم بدورها إلى خلايا مركزية توجد في مركز الدائرة وخلايا محيطية تحيط بهذه الخلايا المركزية. والمنطقة الشخصية الداخلية يحيط بها تماماً منطقة أخرى خارجية تعرف باسم «المنطقة الادراكية الحركية» (P-M) Perceptual-motor region وعن طريق هذه المنطقة الادراكية الحركية يتم اتصال المنطقة الشخصية ـ الداخلية بالبيئة المحيطة بالشخص. ولم يكن ليفين واضحاً في تمايز المنطقة الإدراكية الحركية. فهو يعتقد أن النظام الحركي يعمل كوحدة طالما أنه يستطيع القيام عادة بعمل واحد فقط في وقت واحد وبالمثل فإن النظام الادراكي يعمل كوحدة أيضاً، طالما أن الشخص يستطيع أن ينتبه إلى شيء واحد فقط وأن يدركه في وقت واحد.

ومع ذلك فإنه من غير الممكن أن ينفصل عن النظام الإدراكي لأن كلا منهما يعتمد على الآخر. أما كيف يتم هذا الفصل مكانيا فهذا مما يمكن توضيحه في فكرة ليفين على نحو ما يراها هو. ولهذا نرى النظام الإدراكي الحركي غير موضح البناء والتكوين، علما بأنه حين يكون اتجاه التأثير من البيئة إلى الشخص، فإن المنطقة المحيطة بالمنطقة الشخصية الداخلية تمثل العمليات الإدراكية، أما حين يكون اتجاه التأثير من الشخص إلى البيئة، فإن هذه المنطقة ذاتها تمثل العمليات الحركية. وربما كان هذا هو ما يتفق مع ما هو مألوف والنظرة العامة للأنظمة الإدراكية الحركية في علم النفس العام والشكل الآتي يوضح نظرة ليفين للشخص وما يحيطه.



٢٢- البيئة: ويشير لفظ البيئة إلى البيئة الموضوعية أو الموقف المثير الذي يواجهه الفرد في وقت معين، والذي يؤثر على الجهاز الإدراكي للفرد، والذي تقوم عليه أفعاله الحركية. وهذه النظرة للبيئة الموضوعية يمكن أن تتفق وقول ليفين بأن المجال الحيوي هو نتاج التفاعل المتبادل بين الشخص والبيئة.

ولكن ليفين يستخدم لفظ البيئة للإشارة إلى البيئة السيكولوجية التي ينظر إليها على أنها البيئة كما يدركها الشخص. فالبيئة السيكولوجية هي جزء من المجال الحيوي، ومن ثم فإن خصائصها تتحدد ليس فقط بخصائص البيئة

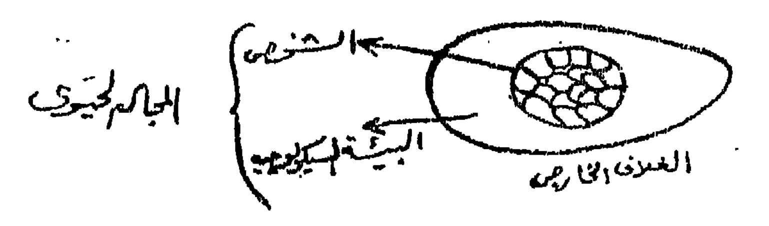
الموضوعية بل وأيضاً بخصائص الشخص . وقد أعطى ليفين أهمية كبرى للبيئة النفسية باعتبارها البيئة كما يدركها الفرد ويتأثر بها وتؤثر فيه . ثم إن مناطق البيئة النفسية تكشف أحياناً عن خصائص معينة (مثل جذب أو طرد أشياء معينة) لا توجد فى البيئه الموضوعية إذا نظر إليها مستقلة عن علاقتها بشخص معين . وهذه النظرة لا تختلف عن نظرة الجشتلت إلى البيئة ، وتقسيمهم لها إلى بيئة جغرافية ذات وجود مستقل عن الفرد ، وبيئة سلوكية كما يراها الفرد ويشعر بها ويتأثر بها ويؤثر فيها . وهذه البيئة السلوكية فى نظرهم هى البيئة الواقعية مصطبغة بصبغة شخصية متأثرة برغبات الفرد وخبراته ومعتقداته وحالاته النفسية والجسمية وهى تنشأ من تفاعل شخصية الفرد والموقف الخارجى .

وإذا نظرنا إلى البيئة النفسية عند ليفين ، فإنها تمثل الجزء الثانى المكمل للمجال الحيوى للشخص ، فالمجال الحيوى يتكون من الشخص والبيئة النفسية . وقد مثل ليفين هذا المجال الحيوى بشكل بيضاوى توجد بداخله دائرة تمثل الشخص . وبين محيط الدائرة ومحيط الشكل البيضاوى توجد البيئة النفسية ، وعلى هذا الأساس فمحيط الشكل البيضاوى لا يمس مباشرة محيط الدائرة وإنما هناك منطقة فاصلة بينهما هى البيئة النفسية . ومن هنا ، فإن شكل وحجم الإطار البيضاوى الخارجى المحيط بالشخص ليست له أهمية كبيرة طالما أنه يحقق شرطين هما أنه أكبر من الدائرة الداخلية وأنه يحيط بها .

وكما نظر ليفين إلى الفرد بأنه متمايز وأنه مكون من مناطق (المنطقة الشخصية الداخلية ، والمنطقة الإدراكية الحركية) ، فكذلك نظر إلى البيئة . فقد قسمها أيضاً إلى مناطق جزئية . ولكن ثمة فارقاً واحداً جوهرياً بين تمايز الشخص وتمايز البيئة . فليس من الضرورى أن نميز أنواعاً مختلفة من المناطق

البيئية فليس فى البيئة النفسية مناطق تشبه المنطقه الشخصية الداخلية والمنطقة الإدراكية الحركية. وإنما جميع مناطق البيئة متشابهة. ولذا يمكن لأى نمط متشابك من الخطوط أن يؤدى إلى التمايز بين مناطق البيئة فحين نريد تمثيل المناطق المختلفة فى البيئة النفسية فيمكن رسم حواجز داخل البيئة تكون بمثابة فواصل بين المناطق المختلفة للبيئة. وهذه الحواجز تتصف بصفات معينة كالقوة والضعف أو المرونة والجمود أو التقارب والتباعد. وعلى أساس هذه الخصائص يمكن التحدث عن مدى الترابط بين مناطق البيئة المختلفة.

وخارج حدود المجال الحيوى الذى يحوى الشخص والبيئة النفسية يوجد العالم الفزيقى أو المادى أو ما أطلق عليه ليفين أحيانا اسم الغلاف الخارجى للمجال الحيوى Foreign Hull وكون المجال الحيوى للفرد محاطا بالعالم الفزيقى فهذا ليس معناه أن المجال النفسى الحيوى جزء من العالم المادى. فالمجال الحيوى والفضاء أو الغلاف الخارجى المحيط به هى مناطق متمايزة من هذا الشكل الكبير أو العالم. وسواء كان هذا الشكل الكبير أو العالم محدداً أم غير محدد، خواء أو ملاء فإن هذا أمر لا يهم علم النفس إلا من ناحية واحدة بالغة الأهمية وهى أن الوقائع التى توجد فى المنطقة الخارجية المتاخمة للمجال الحيوى النفسى للفرد والتى يسميها ليفين باسم الغلاف الخارجى للمجال الحيوى، يمكن أن تؤثر تأثيراً فعلياً فى البيئة النفسية، أى أن الوقائع غير النفسية تستطيع أن تغير من الوقائع النفسية، بل إنها تغيرها بالفعل.



(١) نظريات الشخصية ص ٣٨٣.

٣ — السلوك : ويشير اللفظ إلى أى تغير فى المجال الحيوى أعنى أى تغير يخضع للقوانين السيكولوجية . ومع ذلك فليست كل الحركات التى يقوم بها الفرد أو التغيرات التى تحدث فى البيئة والناتجة عن أفعال الشخص ، سلوكا . فإذا نقل طفل مثلا من السيارة إلى المنزل وهو نائم ، فإن هذه الحركة ليست سلوكا يقوم به الطفل . كما أنه إذا قذف طفل ما بكرة فاصطدمت الكرة صدفة بلوح زجاج فكسرته ، فكسر لوح الزجاج لا يمكن أن يعد جزءاً من سلوك الطفل . فالسلوك بمعناه عند ليفين يجرى فى المجال الحيوى للفرد أكثر مما يجرى فى المجال الخارجى ، وبعبارة أخرى إن السلوك — كما يعبر كوفكا أيضاً — هو الذى يحدث فى البيئة السلوكية وليس فى البيئة الجغرافية . ويقول دويتش إن من الواضح أن السلوك بهذا المعنى لا يمكن ملاحظته بشكل مباشر ، وإنما يستدل عليه . فكما يمكن الاستدلال على جاذبية منطقة ما فى المجال الحيوى للشخص ، فكذلك يمكن الاستدلال على تغير هذه الجاذبية . وبالمثل يمكن الاستدلال أيضا على تغير موضع الذات التى تقوم بالسلوك وموضعها الميدنى . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن ليفين استخدم السلوك أيضاً بمعناه الأكثر شيوعا . وهو التفاعل المتبادل الذى نلاحظه بين الفرد وبيئته الموضوعية . فخصائص المجال الحيوى أو الشخصى يمكن استنتاجها إذن من السلوك الذى نلاحظه فى بيئة نقوم بملاحظتها ومع ذلك ، فبسبب أن كثيراً من مظاهر المجال الحيوى يميل إلى البقاء كما هى فترة طويلة من الزمن رغم التغيرات الوقتية لخصائص أخرى ، فإن معرفة هذه الخصائص ومعرفة السلوك الملاحظ ، يمكننا أيضاً من القيام باستدلالات عن البيئة الموضوعية التى يعيش فيها الفرد .

وثمة نقط أخيرة يجب توضيحها بالنسبة للمجال الحيوى . ما علاقة الشخص بالبيئة النفسية ، وكيف يتم التأثر والتأثير ؟ ثم ما علاقة المجال الحيوى ككل بالبيئة الموضوعية أو العالم الخارجى .

إن ثمة خاصية هامة تتسم بها الحدود الفاصلة بين مكونات المجال الحيوى وكذلك بينها وبين العالم المادى ، ونعنى بها خاصية القابلية للنفاذ . فالحدود أشبه بالغشاء النفاذ أو الستارة منها بالحائط أو الحاجز الصلب . فإذا كان الغلاف المحيط غير قابل للنفاذ أصبح الشخص معزولا عن بيئته النفسية . أما إذا كان الغلاف المحيط بالشخص قابل للنفاذ ، فإن من السهل إقامة التبادلات الحرة السهلة مع بيئته . وبالمثل فى علاقة المجال الحيوى والعالم المادى . فإن القابلية للنفاذ هى التى يمكن أن تفسر لنا الانصالات بين هذا وذاك . فالبيئة النفسية تؤثر وتتأثر بالعالم المادى . فحديث تليفونى غير متوقع أو حادث سيارة قد يؤدى إلى تغيير مجرى حياة أى شخص . وإذا كان المحيط الذى يحيط بمجال حياة الفرد سميكا ، فإنه يعزله عن عالمه الخارجى ويجعل عملية التأثر والتأثير بطيئة ، فيصبح الشخص متقوقعاً داخل بيئته النفسية . ومثل هذا الشخص أشبه ما يكون بحالة الفصامى المتدهور أو الشخص الحالم . أما إذا كان المحيط الخارجى الذى يحيط بالمجال الحيوى للفرد نفاذاً وقابلا للتأثر والتأثير ، كان الشخص على اتصال وثيق بالتغيرات الحادثة فى العالم الخارجى المحيط به والذى يؤثر فى مجاله الحيوى . كما تؤثر أيضا المتغيرات الواقعة فى المجال الحيوى للفرد فى العالم الخارجى مما يعطى صورة لشخص تتجاوب بيئته النفسية تجاوباً وثيقاً مع عالمه الخارجى . فالقابلية للنفاذ بين المناطق المختلفة تعتبر خاصية هامة من خصائص نظرية ليفين .

وبالإضافة إلى خاصية القابلية للنفاذ التى تسمح بالحركة والانصال من منطقة إلى أخرى داخل المجال الحيوى ، فإن ثمة تغيرات أخرى تحدث فى هذا المجال الحيوى فقد يزداد عدد المناطق أو يتناقص ، الأمر الذى يتوقف على إضافة وقائع جديدة أو استبعاد وقائع قديمة من المجال الحيوى للفرد . كما أن هذا التمايز والزيادة قد تكون نتيجة النمو الذى يطرأ على الكائن الحى .

فالمجال الحيوى للطفل يختلف عن المجال الحيوى للراشد . فالمجال الحيوى للطفل الوليد أقل تمايزاً ، بينما يكون هذا المجال أكثر تمايزاً عند الراشد . فالبيئة النفسية تصبح أكثر تمايزاً مع تقدم السن. كما يحدث تمايز فى بعد الزمن . فالطفل محكوم بالموقف الراهن . أما الأحداث المستقبلة أو التوقعات فلا وجود لها بشكل ظاهر لدى الطفل. وكذلك ليس لديه أى تصور أو فكرة عن خبراته الماضية . ولكن مع تقدم السن بالطفل يتمايز بُعد الزمن إلى ماض بعيد وماض قريب وحاضر ومستقبل قريب ومستقبل بعيد .

ومع التمايز الذى يطرأ على بعد الزمن يطرأ تمايز آخر على بعد الواقع — اللاواقع reality-irreality dimension والدرجات المختلفة من اللاواقعية تقابل الدرجات المختلفة من الوهم . وهى تتضمن كلا من الرغبات والمخاوف . فأحلام اليقظة والآمال الغامضة المختلطة تعتبر بوجه عام أقل واقعية من الفعل الواقعى نفسه . فالفعل له واقعية أكثر من «الحديث عنه» . والإدراك أكثر واقعية من الصورة ، والهدف الذى يحدد الفعل المباشر أكثر واقعية من الهدف البعيد . وباختصار عندما يصبح الشخص راشداً يكون قد تعلم أن يفرق لا بين الحقيقة والزيف فحسب ، بل وكذلك بين مختلف درجات الإمكان والإحتمال .

ثانياً : المفاهيم البنائية :

من المفاهيم الهامة التى أدخلها ليفين فى علم النفس مفهوم « الطوبولوجيا » وهو مفهوم يرى ليفين أنه يناسب على وجه الخصوص مشكلات معينة فى علم النفس . واهتمام علماء نفس الجشتلت بعلاقات الكل — الجزء وعلاقات الإنتماء وغيرها قد أوحت إلى ليفين بأن المفاهيم الطوبولوجية يمكن أن تناسب جيداً دراسة المشكلات السيكلولوجية . وقد استخدم ليفين مصطلح « الطوبولوجى »

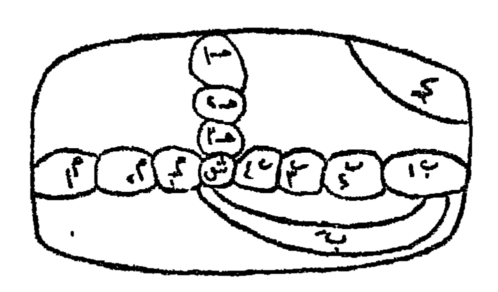
كنموذج لوصف الظواهر السيكلوجية أو السلوكية . فالسلوك يمكن وصفه فى ضوء الوظائف الهندسية التى لا تستخدم مع ذلك المعالجات الرياضية المباشرة . ومن الممكن تعريف الطوبولوجيا بقولنا إنه ذلك الفرع من الهندسة الذى يبحث خصائص الأشكال التى تظل ثابتة تحت ظروف التحولات المستمرة .

ورغم حداثة هذا الفرع فى الرياضيات ، إلا أنه أصبح نظاماً معقداً وأداة رياضية متطورة والمفاهيم الطوبولوجية كما يستخدمها ليفين ، يراها الرياضيون بأنها ذات طبيعة أولية . ولكن بصرف النظر عن مدى صلابة المفاهيم الطوبولوجية عند ليفين ، فإنها تقوم بوظيفة هامة فى نظامه النظرى الذى يسمح للفرد أن يحدد أى الأحداث تكون ممكنة فى مجال حيوى معين ، وأيها غير ممكن . وتعتبر المفاهيم الديناميكية ضرورية بالإضافة إلى المفاهيم الطوبولوجية من أجل تحديد أى من الأحداث الممكنة سوف يحدث بالفعل فى حالة معينة والمثال التالى الذى ذكره دويتش (٤٢٨) يوضح لنا استعمال ليفين للمفاهيم الطوبولوجية لوصف « أى الأحداث تكون ممكنة » .

الشكل الآتى يوضح المجال الحيوى لطالب يفكر فى « كيف يقضى السهرة » لنفرض أن هناك أربعة إحتمالات يواجهها هذا الطالب . فهو إما أن يذهب لزيارة صديق له بإحدى المستشفيات أو يكتب مقالة من المقالات أو يذهب لرؤية فيلم أو يعمل لكسب بعض المال فاذا افترضنا أن هذه الإحتمالات الأربعة وحدها هى التى توجد فى بيئته السيكولوجية ، فإنها إذن تكون جزءاً مجاله الحيوى

وإذا نظرنا إلى الشكل نجد أن الذهاب إلى السينما لرؤية الفيلم يتطلب منه النزول إلى المدينة وشراء تذكرة وقد يحدث أنه بعد نزوله إلى المدينة ، ألا يجد - بالصدفة - نقوداً فى جيبه تكفى لشراء تذكرة الدخول ومن ثم فإنه سوف

لا يتمكن من رؤية الفيلم طالما أن المنطقة الوحيدة المرتبطة برؤية الفيلم هى « شراء التذكرة » . أما أن يدخل خلسة أو أن يقترض نقودا من شخصاً آخر ليشترى تذكرة فهذه لا وجود لها سيكولوجياً فى مجاله الحيوى . وعلى ذلك فإذا لم يتمكن من شراء تذكرة ، فمن المستحيل أن يرى الفيلم . وبنفس الطريقة يمكن مناقشة الاحتمالات الثلاثة الأخرى المتبقية .



شكل تخطيطى يمثل الموقف السيكولوجى لطالب أمام أربعة إحتمالات ممكنة لقضاء السهرة حيث (ش) تمثل الشخص بين أنشطة أربعة محتملة هى ا، زيارة صديق مريض بمستشفى ، ب، كتابة مقال ، حـ، الذهاب إلى السينما ، د العمل لكسب بعض المال . وهو يرى أن الطريق إلى ا، قد يتضمن مكالمة تليفونية مع المستشفى ا٣ والذهاب إلى المستشفى ا٢ وأن الطريق إلى ب١ قد يكون مزدوجاً بمعنى أنه إما أن يذهب إلى المكتبة العامة ب٤ ، ويقرأ هناك ب٣ ويأخذ مذكرات فى المكتبة ب٢ أو أن يشتغل فى البيت ويطلع على مراجعه الخاصة ويأخذ منها مذكراته بَ . أما الطريق إلى رؤية الفيلم فإنه يتطلب النزول إلى المدينة حـ٣ وشراء تذكرة حـ٢ أما بالنسبة للمنطقة د فالشخص لا يرى فى وضعه الراهن أى طريق يمكن أن يوصله إليها .

وباستخدام الشكل السابق يمكن توضيح بعض المفاهيم الطوبولوجية عند ليفين :

١ — المنطقة : هى جزء من المجال الحيوى (أو الشخصى) . وتشير مناطق البيئة النفسية إلى الأنشطة الحاضرة أو المأمولة أكثر مما تشير إلى المناطق الموضوعية التى تحدث فيها هذه الأنشطة أو ما يرتبط بها من أشياء خارجية . والمناطق المغلقة فى الشكل تمثل مناطق معينة (مثلا منطقة الذهاب إلى المدينة

ومنطقة شراء تذكرة سينما ومنطقة رؤية الفيلم) . وقد تتضمن بعض المناطق وجود مناطق فرعية . فالذهاب إلى زيارة صديق بالمستشفى قد تتضمن وجود مناطق فرعية أخرى كتقديم هدية . ومواساة الصديق أو إدخال السرور إلى نفسه وتسليته . ومع ذلك فإن التمايز إلى مناطق فرعية لا نهاية لها ، من الصعب تصوره . وتسمى المنطقة التى ليست لها مناطق فرعية متميزة باسم « الخلية » .

٢ — الحركة والاتصال : وموضع الشخص الذى يقوم بالسلوك يتحدد بمنطقة النشاط التى يوجد فيها . وأى تغيير فى وضعه وانتقاله من منطقة إلى أخرى داخل مجاله الحيوى ، يتضمن القيام بحركة ما Locomotion . والحركة تشير إلى حركة الذات القائمة بالسلوك أكثر مما تشير إلى حركة الأجزاء فى البيئة النفسية . فهناك حركة إذا انتقل الشخص خارج منطقة « التفكير فى كيفية قضاء السهرة » إلى أية منطقة أخرى أو أى نشاط آخر أو إذا أدخل نوعاً من إعادة بناء المجال الحيوى .

ولكن إذا كانت الحركة هى الوسيلة التى تمكن الفرد من الانتقال من منطقة إلى أخرى داخل البيئة النفسية . فهل التحرك أيضاً هو الطريقة التى تكشف بواسطتها مناطق الشخص عن تأثيرها بعضها على بعض . « يجيب ليفين على ذلك بالنفى . فالشخص نفسه لا يمكن اعتباره الوسط الذى من خلاله يقوم موضوع ما بالتحرك ، من منطقة جزئية إلى أخرى . ويقال أن مناطق الشخصية تتواصل فيما بينها » . فالمنطقة الإدراكية تتواصل مع الخلايا المحيطية للمنطقة الشخصية الداخلية . وهذه تتواصل بدورها بالخلايا التى تقترب من المركز . وتستطيع الخلايا الشخصية — الداخلية أن تتواصل فيما بينها الواحدة بالأخرى ، كما تستطيع أن تتواصل مع الغلاف الحركى ،

ويحدد المناطق التى يمكن أن تتواصل بعضها مع بعض والممر الذى ينتقل عن طريقه هذا الاتصال عبر عدد ما من المناطق ، جزئياً بخصائص بنائية مثل اتساع الحدود وطبيعة الوسط ، وجزئياً كذلك ، بعوامل ديناميكية » .(١)

والحركة من منطقة إلى أخرى تتضمن حركة الذات القائمة بالسلوك من وضعها الراهن إلى وضع آخر عبر المناطق المجاورة . ويخضع هذا الانتقال لأبعاد « القرب والبعد » و« الضعف والصلابة » و « المرونة والجمود » . وتكون المناطق متقاربة إذا كان هناك حد مشترك بينهما وكان تأثير احداها على الأخرى كبيراً ، وإلا فإنها تكون متباعدة ، كما أن عدد المناطق المتداخلة بين منطقتين يمثل أيضاً مدى تأثير إحداها على الأخرى .

ولكن درجة الإرتباط أو العلاقات المتبادلة لاتتوقف فحسب على التجاور ، وعلى الحدود الفاصلة بين المناطق بل وتتوقف أيضاً على قوة المقاومة التى تتسم بها هذه الحدود . فقد تكون المنطقتان متجاورتين ، ومع ذلك تكون المقاومة بينهما قوية بحيث تجعل تأثير إحداها فى الأخرى ضعيفاً . والعكس فقد يكون هناك اتصال رغم التباعد بين المناطق لضعف الحدود الفاصلة بينهما . وسمك الخط أو رفعه يمثل عند ليفين درجة الصلابة أو الضعف بين المناطق . فالخط السميك يمثل حداً غير قابل للنفاذ ، والخط الرفيع يمثل حداً ضعيفاً .

٣ — أما البعد الثالث الذى يسمح بسهولة الحركة والإتصال فهو بعد المرونة والجمود . فالوسط المرن يستجيب فيه الفرد بسرعة لأى تأثير يحدث فى المجال ، بينما الوسط الجامد الصلب فيقاوم التغير .

---

(١) نظريات الشخصية : هول ولندزى . ترجمة د. فرج أحمد فرج ص ٢٩٥ .

أما اتجاه الحركة والاتصال داخل المجال الحيوى، فقد فسره ليفين عن طريق ما أسماه باسم « مجـــال المسارات » « hedological space » ومفهوم الاتجاه فى الهندسة يقوم على مفهوم المسار المفضل. وقد أشار ليفين إلى اتجاهات متعددة هى: الاتجاه نحو، والاتجاه بعيداً عن والاتجاه الضد. والاتجاه فى زاوية قائمة.

وعلى العموم يمكن القول بأن التمثيل الطوبولوجى عند ليفين يعد مناسباً لوصف الأنشطة المختلفة التى يدركها الفرد كأنشطة محتملة أو ممكنة لبلوغ هدف معين؛ ومن ثم تقصى السبل الممكنة للفعل حين تظهر فى المجال الحيوى للفرد الذى يقوم بعملية التخطيط أو إتخاذ القرارات. ومن الواضح أن العلاقات المختلفة فى التخطيط الطوبولوجى يمكن أن تترجم إلى لغة، دون أن تفقد شيئا من دقتها. ومع ذلك فالتخطيط الطوبولوجى — فى نظر ليفين — أكثر ملاءمة للتعبير عن العلاقات بين عدد محدود من الوقائع، مما لو استخدمنا العبارات والألفاظ التى قد تجر الباحث أحيانا إلى الغموض والإبهام. ولكن — كما لاحظ كثيرون بصدد نقدهم للتخطيط الطوبولوجى عند ليفين — هذا التخطيط يمكن أن يكون معوقا، عندما تزداد المسارات وتتعقد العلاقات بين الوسائل والغايات.

ثالثا: المفاهيم الدينامية للشخصية:

إن المفاهيم الطوبولوجية وحدها لاتستطيع أن تفسر السلوك العيانى فى موقف نفسى فعلى. فمثل هذا التفسير يتطلب بالإضافة إلى المفاهيم الطوبولوجية، مفاهيم أخرى دينامية.

ولعل السلسلة المتسقة من الأبحاث التى قام بها ليفين وتلاميذه تتضمن

افتراضات عن نظام التوتر تعتبر مثالا حسنا لمفاهيمه الدينامية . وقد أنت هذه الأبحاث والدراسات إلى أن تكون قريبة من نظام متكامل فى هذه الناحية .

١ — مفهوم نظام التوتر : وأساس نمو فكرة ليفين عن نظام التوتر ، ترجع إلى بحوثه الأولى ١٩١٧ . وقد كان فى تلك الآونة مهتما بتنقية بعض بحوث آش Ach من بعض التفسيرات بإرادة القوى . لقد قام آش بسلسلة من التجارب تهدف إلى إقامـــة تداعيات أو ارتباطات بين مقاطع صماء عديمة المعنى ، وذلك عن طريق الربط بين كلمة وأخرى . ثم بعد ذلك تعطى تعليمات مختلفة للمفحوص تتعارض مع عملية الحفظ الترابطى كأن تطلب إليه الاستجابه لمقلوب الكلمة المثير ، وليس للكلمة المثير ذاتها ، والتى ربطها بالاستجابه فى عمليـة الحفظ المبـدئى . وقد وجد آش أن زمن الرجع فى موقف الاختبار يتأثر بمـا إذا كانت النزعة الترابطية التى اكتسبت خلال الموقف المبدئى للتعلم تتفق أو تتعارض مع النزعة المحدّدة التى ظهرت فى التعليمات الجديدة لموقف الاختبار . وقد رفض ليفين محاولة آش تدعيم عامل الارتباط بمكونات جديدة مثل الاستعداد والنزعة المحدّدة والتى وردت فى أفكار مدرسة فيرسبورج التى كان ينتمى إليها آش . وقد ذهب ليفين إلى أن الارتباط أو التداعى من حيث هو فى ذاته ، لا يمدنا بقوة دافعة . فالارتباط من الناحيه الدينامية هو أشبه بحلقة فى سلسلة ،أعنى نمط من القوى الضاغطة التى ليس لها نزعة ذاتية لإحداث تغير ما . وهذه الخاصية التى لحاجة ما أو شبه حاجة يمكن أن تتمثل بربطها « بنظام فى حالة توتر » . وبالنظر إلى هـذا المكون الإفتراضى نظرة جادة والقيـام بالتعريفات الإجرائية المناسبة ،وخاصة بربط خفض التوتر بإشباع الحاجة (أو بلوغ الهدف) وإقامة التوتر وربطه بقصد ما أو بحاجة فى حالة جوع ، يمكن

استخلاص مجموعة كبيرة من النتائج التي يمكن أن توضع موضع الاختبار .

وقد لعب مفهوم نظام التوتر دوراً هاماً في تفكير ليفين وألهمه بسلسلة من التجارب المبدعة التي أجريت على الإستدعاء والأعمال المكتملة وغير المكتملة والأعمال البديلة وغيرها . ويطلق على نظام ما بأنه في حالة توتر عندما توجد حاجة نفسية أو قصد نفسي (شبه حاجة) . ويخفض التوتر عندما تشبع الحاجة ويتميز التوتر بخاصتين أساسيتين هما .

١ — أن حالة التوتر في منطقة ما أو نظام ما ، تميل إلى معادلة نفسها بكمية التوتر في المناطق أو النظم المجاورة .

٢ — أن التوتر يواصل الضغط على حدود المنطقة أو النظام . فإذا كانت الحدود تتميز بالصلابة بصفة خاصة ، فإن إنتقال التوتر من نظام إلى النظم المجاورة له سيعوق ، أما إذا كانت الحدود ضعيفة ، فإن التوتر ينتقل بسهولة من منطقة إلى أخرى أو من نظام إلى بقية النظم .

وكان أول جهد علمي لدراسة مفهوم نظام التوتر عند ليفين ما قامت به تلميذته زيجارنيك Zeigarnik (١٩٢٧) للحصول على درجة الدكتوراه تحت أشرافه . وقد أقامت تجاربها على افتراضات هي أن أنظمة التوتر تظهر لدى الفرد عندما يعطى أعمالا بسيطة لأدائها ، وأنه إذا لم تخفض أنظمة التوتر هذه على نحو مايحدث عند إكمال هذه الأعمال ، فإن استمرار أنظمة التوتر يمكن أن يتضح في قدرة الفرد على استدعاء اسماء هذه الأعمال بعد ذلك . وفي ضوء هذه الافتراضات ذهبت زيجارنيك إلى أن الميل إلى استدعاء الأنشطة المعاقة أو غير المكتملة يجب أن يكون أكبر بكثير من الميل إلى استدعاء أو تذكر الأنشطة التي اكتملت . فهذه الأخيرة التي تمت واكتملت أدت إلى إغلاق دائرة النشاط وخفض التوتر ، بينما الأولى التي لم تكتمل

بعد ، لا تزال دائرة النشاط فيها مفتوحة . وبالتالي لا يزال التوتر قائماً عند الفرد ومن ثم يسهل استدعاؤها . وقد قامت زيجارنيك وكثيرون غيرها بتجارب منها أن تعطي الأشخاص مجموعة من الأعمال البسيطة التي لا يستغرق أداؤها دقائق قليلة ، ثم تسمح لهم بتكملة بعضها وعدم تكملة بعضها الآخر . (ويتم إختيار الأعمال التي تتم والتي لا تتم بطريقة عشوائية) . وبعد انتهاء التجربة تطلب من المفحوصين أن يذكروا الأعمال التي قاموا بأدائها . وقد صاغت زيجارنيك نتائجها في صورة معادلة تسمى بنسبة زيجارنيك وهي

$$\frac{\text{الأعمال غير المكتملة التي يستدعيها المفحوص}}{\text{الأعمال المكتملة التي يستدعيها المفحوص}}$$

وثمة بحث تجريبي آخر لمكون نظام التوتر قامت به أوفسيانكينا Ovsiankina (١٩٢٨) . فقد أوضحت أن الأشخاص يميلون إلى القيام إرادياً بالأعمال التي لم تنجز أكثر من العودة إلى الأنشطة التي اكتملت .

وعلى أساس نتائج هذين البحثين، قامت سلسلة كبيرة من البحوث التجريبية بعد ذلك ، من بينها دراسات ليسنر Lissner (١٩٣٣) ، وماهلر Mahler (١٩٣٣) عن دور الأنشطة البديلة في تفريغ الطاقة ، ودراسات هوب « Hoppe (١٩٣٠) وفرانك Frank (١٩٣٥) عن النجاح والفشل وارتباطهما بمستوى الطموح كما يعبر عنه المفحوص ، وأبحاث Karsten كارستن (١٩٢٨) عن التشبع النفسي الذي يختص بمشكلة خفض الأداء في النشاط كوظيفة للتكرار المتصل المستمر لهذا النشاط) .

٢ — الحاجة : ومفهوم نظام التوتر قد طبق بنجاح في الدراسات التجريبية عن التشبع satiation . فبالنسبة لكثير من الحاجات يمكن أن نميز فيها ثلاث حالات : « حالة الجوع ، والإمتلاء ، والإمتلاء المفرط » . ويقابل هذه

الحالات على التوالى تكافؤ موجب « ومتعادل » وسلبى لحالات النشاط المتصلة بحالة معينة أو نظام توتر . وفرط الامتلاء كالإسراف فى أى شىء يؤدى إلى النفور والتقزز . وفى أبحاث انيترا كارستين Karsten (١٩٢٨) على أثر أنشطة معينة كقراءة الشعر وكتابة خطابات والرسم وإدارة عجلة مرات ومرات متكررة ، ظهرت أعراض الامتلاء المفرط فى النقط السبع الآتية :

١ — ظهور وحدات فرعية فى النشاط تؤدى إلى فقدان تكامل النشاط الكلى وفقد معناه .

٢ — يصبح نوع أداء العمل أكثر ضعفاً ، كما يزداد تكرار الأخطاء فيه .

٣ — ميل متزايد لتغيير طبيعة العمل مصحوبة بميل للتشبع بسرعة من كل تغيير .

٤ — الميل إلى محاولة جعل النشاط المتشبع ، نشاطاً جانبياً وذلك بالتركيز على شىء آخر عند القيام بالعمل .

٥ — زيادة نفور الفرد من النشاط والأنشطة المشابهة مصحوبة بزيادة تكافؤ الأعمال الأخرى المختلفة عنها .

٦ — ثورات انفعالية .

٧ — ظهور « التعب » والأعراض الجسمية المشابهة والتى سرعان ما يتغلب عليها الفرد حين ينتقل إلى نشاط آخر (١) .

٣ — التكافؤ : والتكافؤ خاصية تصورية ذهنية لمنطقة ما فى البيئة النفسية للفرد . إنها قيمة هذه المنطقة عند الفرد . وهناك نوعان من التكافؤ : تكافؤ

(١) دويتش ص ٤٢٨ .

موجب وتكافؤ سالب . والمنطقة ذات التكافؤ الموجب هي تلك التي تحتوى على موضوع يهدف إليه الفرد ويؤدى إلى خفض التوتر إذا ما دخل الفرد هذه المنطقة . فالمنطقة التي تحوى طعاماً يكون لها تكافؤ موجب بالنسبة إلى الشخص الجائع . أما منطقة التكافؤ السالب فهي تلك التي تزيد من التوتر . فالمنطقة التي تحتوى على كلب يكون لها تكافؤ سالب بالنسبة للشخص الذى يخاف الكلاب . والتكافؤ الموجب يجذب والتكافؤ السالب يطرد (١) .

والتكافؤ يرتبط بالحاجة ومعنى هذا أن حصول منطقة ما من البيئة على قيمة إيجابية أوسلبية يتوقف مباشرة على وجود نظام فى حالة توتر . ولما كان وجود نظام ما فى حالة توتر لا يؤدى إلى حدوث التحرك ، فقد احتاج ليفين إلى مفهوم آخر هو القوة force أو الكمية الموجهة Vector .

٤ — القوة أو الكمية الموجهة :

وتحدث الحركة عندما تؤثر قوة ذات عزم كاف فى الشخص . وتتسق القوة مع الحاجة والقوة ليست توتراً . فالقوة الموجهة توجد فى البيئة النفسية ، بينما التوتر يعتبر خاصية للنظام الداخلى — الشخصى . وخصائص القوة هى الوجهة والعزم ونقطة الانطباق . وتمثل هذه الخصائص الثلاث رياضياً بواسطة الكمية الموجهة أو الـ Vector . وعلى ذلك ، وكما أوضح ليفين فى رسومه البيانية ، فإن طول الخط وسمكه وخاصة نقطة ارتطام مقدمة الخط الذى رسم فى صورة رأس سهم بالحدود الخارجية للشخص تعتبر فى غاية الأهمية عند ليفين .

ويمكن أن نتبين العلاقة بين التكافؤ والقوة أو الكمية الموجهة . فالمنطقة ذات التكافؤ الإيجابى تتجه نحوها القوى المؤثرة على الشخص ، بينما

---

(١) نظريات الشخصية .

المنطقة ذات التكافؤ السالب فهى التى تتجه فيها هذه القوى المؤثرة إلى اتجاه مضاد . فالمنطقة ذات التكافؤ الموجب تجذب ، والمنطقة ذات التكافؤ السالب تطرد . والتكافؤ الموجب — من الناحية الفنية — يقابل قوة المجال الذى تتجه فيه جميع القوى نحو نفس المنطقة ، أى المنطقة ذات التكافؤ الموجب ، على حين أن التكافؤ السالب يقابل قوة المجال الذى تتجه فيه جميع القوى بعيداً عن نفس المنطقة أى المنطقة ذات التكافؤ السالب .

هذا ، وقد استغل ليفين بذكاء هذه المفاهيم الدينامية التى وصف بها البيئة النفسية فى إلقاء الضوء على طبيعة الأنماط المختلفة من مواقف الصراع . لقد ميز ليفين بين أنواع ثلاثة من الصراع هى : صراع الإقدام وصراع الإحجام وصراع الإقدام والإحجام معاً .

ويمكن أن نشير بإيجاز إلى كل نوع منها :

صراع الإقدام : وفيه يكون الفرد فى موقف وسط بين تكافؤين موجبين متساويّى القوة تقريباً . وينشأ الصراع حين يريد الفرد الاختيار بين الموقفين اللذين لكل منهما جاذبية موجبة . فكلاهما يوجه الفرد فى نفس الوقت من الاقتراب من هدف معين . والصراع فى هذه الحالة لا يستمر طويلا حيث سرعان ما ينتهى الفرد إلى اختيار أحد الهدفين ، كأن يختار الطفل بين الذهاب إلى تناول الطعام أو الاستمرار فى اللعب ، ويكون الاختيار على أساس أقربهما منالا بالنسبة إليه .

صراع الإحجام : وفيه يقف الفرد بين تكافؤين سالبين متساويّى القوة تقريباً ، ويقوم بين دافعين يوجه كل منهما الفرد فى نفس الوقت إلى الابتعاد عن الهدف . فلكل من الموقفين قوة سالبة . ففى صراع الإحجام يكون الفرد محصوراً بين قوتين تدفعه كل منهما بعيداً عن الهدف فيأخذ الفرد فى التذبذب

بين الطرفين ما لم يجد سبيلا ثالثاً ، كالجندى فى الميدان يعانى صراعاً بين قوتين دافعتين : الخوف من الموت إن هو تقدم ، والخوف من المحاكمة العسكرية إن هو هرب فكلا الأمرين أحلاهما مر . فهو إن تقدم هلك ، وهو إن هرب هلك أيضاً . وحين يضطر الفرد إلى الاختيار بين أمرين كلاهما غير مرغوب فيه — كالدافع إلى الهرب من الجندية ، وعدم الرغبة فى التقدم إلى الميدان والإقدام على القتال — يحدث أنه حين يميل إلى الاقتراب من الموقف الأول تزداد لديه قوة الإحجام لأن هذا الموقف يمثل بالنسبة إليه خطراً قريباً ، على حين يمثل الموقف الآخر خطراً بعيداً ، ولما كان الخطر القريب أقوى فى نظره من الخطر البعيد، فمن المتوقع أن يبتعد عن الخطر القريب المتمثل فى الموقف الأول ، ويتجه أكثر إلى ناحية الموقف الثانى الذى يعد فى هذه الحالة خطراً بعيداً . ولكنه حين يقترب من الموقف الثانى ، يصبح هذا الموقف الثانى خطراً قريباً يهدده ، فى حين يعد الموقف الأول خطراً بعيداً ، ومن ثم يتجه ثانية نحوه . ويستمر الفرد على هذا الحال ، من التوقف والبعد أو التأرجح . وما لم يكن هناك احتمال ثالث ، فإن الفرد يظل متأرجحاً فى الصراع والتذبذب بين الموقفين .

صراع الإقدام والإحجام : وفيه يتعرض الفرد لقوى متعارضة مستمدة من تكافؤات موجبة وسالبة . فهناك دافعان يستثاران فى وقت واحد ولكن فى اتجاهين متضادين فيكون لأحدهما تكافؤ موجب والآخر تكافؤ سالب . مثال ذلك الصراع بين الدوافع العدوانية ، والقلق المرتبط بها ، والصراع الذى ينشأ فى نفس الطفل بين حبه لأبيه وكراهيته له . ويتذبذب الشخص بين هذين الدافعين ويظل فى حالة صراع بين الإقدام والإحجام ويعتبر هذا الصراع من أشد أنواع الصراع .

وتكون نزعة الفرد إلى الإقدام قوية كلما كان بعيداً عن الهدف (وليكن

هدفاً مخيفاً مثلا) ، على حين تكون نزعته لتجنب هذا الهدف أقوى كلما كان الفرد قريباً منه . ولذا نلاحظ أن الفرد كلما كان بعيداً زاد ميله إلى الاقتراب بعض الشيء ثم التوقف بعد ذلك أما حين يكون قريباً من الهدف المخيف ، فإنه يحاول الابتعاد عنه قليلا ثم التوقف بعد ذلك . ويظل الفرد فى منطقة يحدث فيها حالة توازن بالنسبة إليه ويكون مثله مثل بندول الساعة الذى يسعى إلى الوصول إلى حالة التوازن إذا أزيح بقوة عن مركز ثقله . والحقيقة أن تحديد نقطة التقاء دافعى الإقدام والإحجام يتوقف على قوة كل منهما بالنسبة للآخر . فحين يكون الإحجام أقوى نسبياً من الإقدام يتوقع أن يظل الفرد بعيداً عن الهدف المخيف وعن كل ما من شأنه أن يثير الصراع . ومن هنا لا يستشعر الشخص الخوف أو الصراع إلا قليلا . غير أن ضعف قوة الإحجام يترتب عليه زيادة قوة الإقدام . وهذا من شأنه أن يجعل الفرد يقترب شيئاً فشيئاً من الهدف المخيف ومن ثم يبدأ القيام بالاستجابات التى تستثير المنبهات التى تؤدى إلى الخوف فتكون النتيجة زيادة قوة الخوف والصراع .

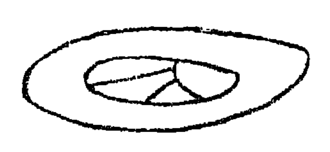
نمو الشخصية : ناقش ليفين بعض التغيرات السلوكية التى تحدث خلال عملية النمو كالتنوع والتنظيم وامتداد مناطق النشاط وتوافق السلوك ودرجة الواقعية ، ثم شرع بعد ذلك فى صياغة هذه التغيرات صياغة تصورية ذهنية . وقد استخدم نفس الصياغات الفكرية السابق الإشارة إليها فى دراسة السلوك ، طالما أن السلوك والنمو هما وظائف لنفس العوامل البنائية والدينامية.

ومفهوم التمايز من المفاهيم الهامة فى نظرية ليفين فى نمو الشخصية وتنطبق على جميع جوانب المجال الحيوى للفرد . وهو يعرف التمايز بأنه زيادة عدد أجزاء الكل . فعدد أجزاء المنطقة الشخصية الداخلية للفرد يزداد مع تقدم السن . وتتضح خاصية التمايز هذه إذا ما قارنا المجال الحيوى للطفل بالمجال

الحيوى للبالغ . فالمجال الحيوى للبالغ أكثر تمايزاً . فالأجزاء المكونة للشخص والمناطق المكونة للبيئة النفسية تصبح أكثر تمايزاً وتفاضلا . كما أن الأبعاد المختلفة التى تؤثر فى المجال الحيوى أكثر تمايزاً . فبدلا من تأثر المجال الحيوى للطفل بالحاضر فقط ، فإن بُعد الزمن يصبح أكثر تمايزاً مع تقدم السن ، فيكون هناك الماضى البعيد والماضى القريب ، والحاضر ، والمستقبل القريب والمستقبل البعيد . وبالإضافة إلى بُعد الزمن يحدث أيضاً تمايز فى بُعد الواقع — اللاواقع . فحين يصل الفرد إلى الرشد يكون قد تعلم أن يميز ليس فقط بين الحقيقة والزيف ، بل وأيضاً بين الدرجات المختلفة للإمكان والاحتمال .

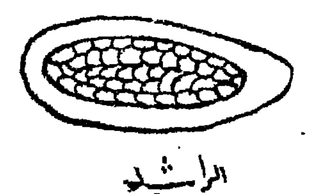
وإذا كان التمايز يعنى زيادة عدد الحدود ، فإن ناحية أخرى تصحب هذه الزيادة ، ونعنى بها قوة هذه الحدود . فحدود الطفل أقل صلابة من حدود البالغ . فالإطار الخارجى المحيط بالمجال الحيوى للطفل أقل صلابة من ذلك المحيط بالمجال الحيوى للراشد . ولذلك نجد أن ليفين يمثل ذلك عند الراشد بخط سميك ، بينما يمثله عند الطفل بخط رفيع . وهذا يفسر لنا حقيقة أن الطفل أكثر تأثراً بالظروف البيئية المحيطة به ، وأنه أسرع من الراشد فى تفريغ شحناته الانفعالية .

والطفل — على عكس البالغ — لديه فحسب ثبات وظيفى بسيط على حدود أجهزته المختلفة . أما البالغ فإن حركاته وأساليب سلوكه واتجاهاته وسماته تكون أكثر تحديداً وأكثر ثباتاً وأقل امتزاجاً بالنزعات غير المرتبطة بها ، وقد أوضح ليفين فكرته فى التمايز هذه بالأشكال الآتية :



الطفل فى سنتيه الأوليين

الطفل فى الطفولة المتأخرة



الراشد

فالحدود الفاصلة بين الأجهزة ضعيفة فى الطفولة المبكرة بشكل يجعل الطفل يستجيب ككل للمثيرات الخارجية ، كما تكون الحدود الفاصلة بين الطفل والعالم الخارجى أقل صلابة ، بشكل يجعل الطفل يستجيب لجميع أنواع المثيرات البيئية التى يمكن كبتها أو قمعها فيما بعد مع تقدم النمو . ومفهوم التكامل — إلى جانب مفهوم التمايز وخصائص الحدود — من شأنه أن يفسر لنا ما يطرأ على المجال الحيوى من نمو . فإذا كان نظام التوافق وتبادل الاعتماد الوظيفى وانتقال التوتر من منطقة مرتفعة التوتر إلى منطقة مجاورة منخفضة التوتر حتى يحدث التوازن واضحاً فى الطفولة ، فإنه مع النضج يقل تأثير نظام « تبادل الإعتماد الوظيفى » ، ويبدأ يظهر نظام جديد من العلاقات يحدث فيه نوع من التكامل بين الأنظمة ، ويصبح من الممكن قيام تدرج هرمى كامل يقوم على علاقة السيادة والتبعية بين المناطق . وهذا مايفسر لنا قدرة الشخص المتقدم فى السن على تنظيم وتنفيذ خطة معقدة للعمل ، وهى قدرة يبدو أن الطفل يفتقر إليها .

وقد لخص هول ولندزى فكرة ليفين فى نمو الشخصية بقولهما :

« يستخدم ليفين فى تحليله النظرى للإرتقاء مفهومات بجالية مثل مفهومات التمايز ، وتغير ظروف الحدود ، والتنظيم ، والتكامل ، ويمكن القول بصفة عامة أنه مع تزايد النضج يتزايد تمايز كل من الشخص والبيئة النفسية ، وتزيد صلابة الحدود ، ويزيد تعقيد شبكة العلاقات التدرجية الهرمية والاختيارية بين نظم التوتر . إن ارتقاء السلوك عند ليفين وظيفة للشخص والبيئة النفسية (١) .

(١) نظريات الشخصية : هول ولندزى . ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون ص ٣١٧ .

الفصل الحادي والعشرون

الشخصية فى ضوء نظرية المثير والاستجابة

بدأ علماء النفس السلوكيون إهتمامهم بمشكلات التعلم، ثم وسعوا مجالات اهتمامهم بعد ذلك حتى شملت مجالات أخرى كدراسة الشخصية ودراسة ألوان السلوك المعقد الذى يتمثل فى أنشطة الفرد فى حياته اليومية. وقد اتجه اهتمامهم نحو الطريقة التى تحدث بها الاستجابة عند وجود مثير معين. ودرسوا بدقة وإمعان طبيعة الاستجابة وكيف تثبت وكيف تتكون العادات وما نوع الأدلة أو المثيرات التى تصاحب السلوك الذى نلحظة. فهم إذن وضعيون فى نظرتهم للسلوك . ووحدتهم الأساسية هى ارتباط المثير والاستجابة . ويعتبر « التعلم الترابطى » عندهم الوسيلة التى بواسطتها ينمى الفرد أنماطا سلوكية خاصة هى التى تعرف بالشخصية .

ونظرية المثير والاستجابة ليست فى الحقيقة نظرية واحدة ، بل هناك العديد من هذه النظريات التى تشبه كل منها الأخرى بدرجة كبيرة أو صغيرة . ولكنها جميعا تشترك فى بعض الخصائص العامة المميزة التى تجعلها تندرج تحت اسم « المثير والاستجابة » . وتعتبر عملية التعلم فى هذه النظريات جميعها بمثابة الأساس الذى تقوم عليه جميع محاولاتها لتفسير اكتساب الأشكال الجديدة من السلوك التى تظهر مع الخبرة والاحتفاظ بها .

ولا يمكن بطبيعة الحال التحدث عن نظرية المثير الاستجابة دون أن نرجع إلى أصولها الأولى التى بدأت عنه ايفان بافلوف العالم الفسيولوجى الروسى، وجون ب وطسن ، وإدوارد ل ، ثورنديك عالمى النفس الأمريكيين . فقد استطاع بافلوف أن يثبت من خلال تجاربه العديدة التي أجراها علي الحيوانات

أنه عند تقديم مثير طبيعي (الطعام) ، له القدرة على احداث استجابة ما (إسالة اللعاب) ، مع مثير شرطي (دق الجرس) ليس له بطبيعته القدرة على إحداث هذه الاستجابة ، وكررنا ذلك عدداً من المرات ، فإن المثير الشرطي يكتسب خصائص المثير الطبيعي ، وتصبح له القدرة على إحداث الاستجابة .

وقد أصبحت عملية التشريط على أيدى عدد من علماء النفس الأمريكان وسيلة لفهم السلوك بطريقة موضوعية وبشكل ينأى عن الذاتية . وتزعم وطسن هذا الاتجاه الذى كان هدفه هو القضاء على الحدس والذاتية وإقامة علم نفس موضوعي . ومن شأن هذا الإتجاه أن يجعل علم النفس علماً فى مصاف العلوم الأخرى . كما أصبحت وجهة النظر الموضوعية هذه طابع علم النفس الأمريكي . وفى نفس هذا الوقت أوضح ثورنديك أهمية الثواب والعقاب فى عملية التعلم ، وأصبح قانون الأثر أحد الدعائم الأساسية فى نظريات التعلم الحديثة .

ورغم أهمية قوانين الاشتراط فى حد ذاتها كتعبير عن طبيعة التعلم فى مواقف تجريبية معينة ، إلا أن بعض علماء النفس يذهبون إلى أن هذه القوانين تصبح لها أهمية كبرى إذا أمكن تطبيقها أيضا على ألوان السلوك المعقد التى التى تقترب من أنشطة الإنسان فى حياته اليومية . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت محاولات عديدة لتطبيق مبادىء التعلم البسيط على مثل هذا السلوك المعقد . وقد ذهبت بعض الجهود الحديثة فى هذا الاتجاه إلى تطبيق مبادىء الإشتراط والتعلم البسيط على الذاكرة الصماء على نحو ما فعل كلارك هل وآخرون (١)، وعلى اكتساب المهارة الحركية على نحو ما أفعل أمونز (٢)

(1) Hull, C. et al. : Mathematico-deductive Theory of rote learning. New Haven, Yale University Press 1940.

(2) Ammons. R. B. : Aquistion of motor skill : 1. Quantitative Analysis and Theoretical formulation. Psychol. Rev. 54, 263-281.

وعلى السلوك الاجتماعي على نحو ما فعل ميللر ودولارد فى كتابهما التعلم الاجتماعي والتقليد (١٩٤١) ، وعلى الشخصية والعلاج النفسى على نحو ما فعل دولارد وميللر أيضا فى كتابهما الشخصية والعلاج النفسى (١٩٥٠).

وقد أثارت هذه المحاولات مشكلات رئيسية عن العلاقة بين التشريط والصور الأخرى من السلوك فمن ناحية ، يذهب البعض إلى أن السلوك كله يجب أن يفسر فى ضوء مجموعة واحدة من القوانين التى تنطبق على جميع مستويات التعقيد ابتداء من الاستجابة الشرطية فى الحيوانات ، حتى الوظائف العقلية العليا عند الإنسان . على حين يذهب البعض من ناحية أخرى ، إلى أن الأمر يقتضى وجود مبادىء جديدة يفسر فى ضوئها هذا السلوك المعقد ، وأن ليس فى إمكان أية مجموعة من مبادىء التشريط أن تفيد فى تفسير هذا المدى الواسع للنشاط الإنسانى . وقد يكون من الخطأ فى الوقت الحاضر قبول أى من وجهتى النظر . وقد نصل فى يوم ما إلى معرفة ما إذا كانت مبادىء الاشتراط يمكنها أو لا يمكنها وحدها تفسير كل ظواهر السلوك النفسى المرضى مثلا ولكن لا يزال هذا اليوم ـ على نحو ما يذهب « جريجورى كيمبل »[١] بعيداً . ولذلك ، فإن كل ما يمكن عمله حالياً هو محاولة تفسير الظواهر المعقدة فى ضوء مبادىء أكثر بساطة . وقد تكون هذه التفسيرات الناتجة ناقصة وغير مكتملة ، إذ أن تفسير مثل هذا السلوك المعقد يتضمن العمل معاً لكثير من مبادىء الاشتراط . ولا تزال معرفتنا بالطريقة التى ترتبط بها هذا المبادىء وكيفية أدائها لوظائفها ، بسيطة . ثم إذا أخذنا فى الاعتبار أيضا أن معرفتنا بمجال دراسة الشخصية لا تزال فى مهدها ، فإننا نتوقع أن يكون ما تقدمه لنا نظريات التعلم فى معالجة مشكلات الشخصية وفى دراسة السلوك الإنسانى المعقد ، ليس إلا تأملات عامة .

---

(1) Kimble, A Gregory : Hilgard and Marquis' Conditioning and Learning. New York. Appleton-Century-Crofts Ins. 2nd ed, 1964.

وأحد الملامح البارزة لأسلوب معالجة أصحاب نظريات التعلم لموضوع الشخصية هو الميل إلى محاولة التوفيق بين مفاهيم الطب النفسي (ومعظمها من مفاهيم التحليل النفسي) ، والمفاهيم العادية فى مجال التعلم . فالشخصية عرّفت فى ضوء العادة (جاثرى) . كما ظهرت عمليات مثل التعميم والتمييز والتدعيم والانطفاء والتدعيم الجزئى وغيرها ، وذلك فى محاولة تفسير عمليات التوافق المعروفة للطبيب النفسى ، باستخدام مفاهيم معروفة لأصحاب نظريات التعلم . وسوف نوضح فيما يلى بعض المجالات والموضوعات ذات الصلة بين الشخصية و نظريات المثير والاستجابة .

أولا : التحليل النفسي ونظريات المثير والاستجابة .

اختلفت درجة تقبل أصحاب نظرية المثير والاستجابة لنظرية التحليل النفسي . فمنهم من تقبلها بشكل واضح مثل ذولارد وميللر فى كتابهما الشخصية والعلاج النفسى (١٩٥٠) ، ومنهم من وقف منها موقف الرفض كأيزنك وسبنس وسكنر . وقد يبدو غريباً للوهلة الأولى أن نحاول إيجاد علاقة بين هاتين النظرتين ، أو أن نقول إن بعض أصحاب نظريات التعلم قد أخذ الكثير عن نظرية التحليل النفسي ، وذلك بسبب مايظهر من اختلاف واضح بين هذه النظريات فى معالجة المشكلات السلوكية . ورغم المحاولات العديدة التى بذلت لتصوير فرويد كباحث تجريبى ، إلا أنها لم تكن محاولات مقنعة . ذلك أن الإسهامات الكبرى التى قدمها قد صدرت عن استبصاراته العميقة المتغلغلة فى ديناميات السلوك البشرى . أما أصحاب نظريات التعلم ، فقد ظلوا من الناحية الأخرى ، وثيقى الصلة بالمعمل وبالدراسات التجريبية التى يقومون بها ، والتى فى ضوئها بنوا حقائقهم . فهم يصرون على الحقائق الموضوعية بصورة أكثر مما نجده فى تفسيرات فرويد . ويرى

باشراش[١] أن أوجه الخلاف بينهما تكمن فى مناهج بحث كل منهما . فبينما يتعامل التحليل النفسى مع استنتاجات عن السلوك « الداخلى » للفرد ويفسر ويرمز ، إذ بالتشريط يتعامل مع النشاط الحركى الملاحظ ،ويقلل من التفسير، كما يتطلب تحديد الإجراءات أو العمليات التى يقوم بها الكائن الحى . ومن هنا يلخص باشراش نقط الخلاف بين النظريتين فى النقط الآتية :

١ — إن التحليل النفسى إرث فلسفى : أفكار وإرادة وشخصية وثنائية (عقل متميز عن الجسم) ، بينما السلوكية إرث بيولوجى : عضلات وغدد ، وأحادية السلوك الملاحظ (الفكر استجابة فسيولوجية) .

٢ — إن التحليل النفسى يؤكد الدوافع الداخلية للسلوك ، بينما تركز السلوكية على الأحداث البيئية المتحكمة فى السلوك .

٣ — أنه رغم توكيد كل منهما على الفرد ، إلا أن السلوكية تركز بدرجة أكبر على القوانين العامة للسلوك .

ومع ذلك . فالنظرة المدققة فى نظرية فرويد ، تكشف عن نواحى شبه قوية بينها وبين السلوكية ، كاتفاقهما حول أهمية ملاحظة السلوك ، وتقبل العلاقة بين السبب والنتيجة . فالسلوك ليس فى نظرهما نتيجة نزوة طارئة . كما تركز كل منهما على أهمية فهم تاريخ الفرد وخبرات التعلم عنده مما يساعد على توضيح العلاقة بين الأحداث الماضية والسلوك الراهن . فمفاهيم كلا النظريتين تاريخى فى طبيعته . ومن هنا نجد ميل بعض أصحاب النظرية السلوكية إلى الأخذ بمفاهيم التحليل النفسى إلى حد بعيد . وقد تلق النقط الآتية

---

(1) Bachrach, J. Arthux : Some Application of Operant Conditioning to Behavior Therapy. in Wolpe. Joseph; Salter, Andrew & Reyna L. J. (eds) : The Conditioning Therapies. N Y. Holt Reinhart and Winston Inc. 1964.

بعض الضوء على نواحي الشبه بين نظرية التحليل النفسى ونظرية المثير والاستجابة :

١ — إن مبدأ اللذة عند فرويد هو بمثابة صياغة جديدة لقانون «الأثر». فطاقات الهو عند فرويد من شأنها أن تجعل الفرد فى حالة من التوتر المؤلم. ويكون السلوك التوافقي فى هذه الحالة هو التخلص من هذا التوتر . ويخدم السلوك — السوى منه والشاذ فى نظر فرويد — هذه الغاية ذاتها ونعنى به خفض حدة التوتر . ولعل هذا القول قريب الشبه أيضاً من مبدأ التعزيز عند «هل» .

٢ — إن المركب الرئيسى للتعلم عند «هل» وهو «العادة (S H R)» يمكن إدراكه باعتباره يتكون خلال التدريبات المتكررة . ثم إن البقاء عند مستوى عال من التدعيم من شأنه أن يقوى العادة بنسبة معينة وتدريجية حتى تتعلم تماما . وما أن تتعلم حتى يصعب هدمها وإذا توقف السلوك الذى يعكس العادة ، فإن ذلك يكون بسبب ما هنالك من معارضة له نتيجة وجود عوامل كافة أو مثبطة . وهذا القول عن التعلم — مع ما يقوم عليه من افتراض دوام واستمرار آثار الخبرة — يشبه إلى حد كبير ما يقوله فرويد من أن الخبرات المبكرة تترك آثاراً لا يمكن استئصالها ، رغم أن هذه الآثار ليس من السهل رؤيتها بسبب الكبت وهو مفهوم يلعب دوراً شبيهاً بدور الكف عند «هل».

٣ — أن ثمة تشابهاً بين عناصر ديناميات الشخصية التى يفترضها فرويد وبين تحليل الصراع على نحو ما يوضحه «نيل ميللر» . ففى نظرية التحليل النفسى ، هناك إحتكاك مستمر بين مطالب الهو (والذى هو عبارة عن مجموعة الدوافع البيولوجية الأولية البدائية اللاخلقية) ومطالب الأنا الأعلى (الذى يمثل التقاليد وتابو المجتمع الذى يعيش فيه الفرد) . وهذا يشبه أساساً صراع الإقدام

ـ الإحجام الذى يجرى داخل الذات ، والذى تصطدم به نزعات الفرد نحو الجنس والعدوان مع نزعاته للشعور بالذنب المتصل بهذه النواحى .

٤ — يمثل القلق جانباً هاماً فى تفكير فرويد ، وكذلك تميل نظرية التعلم إلى استعمال هذا المفهوم . فالقلق يمدنا بأساس دافعى للتوافق ، طالما أننا نخبره كخبرة غير سارة . وأى خفض للقلق ينظر إليه كهدف له أهميته . كما ينظر إلى القلق أيضاً باعتباره يمدنا بأدلة (مثيرات الحافز) تستثير ميكانزمات متعددة للتوافق .

٥ — إن بعض مظاهر التعلم الأساسية ، يمكن أن تتضح فى تفكير التحليل النفسى . فظاهرة التعميم التى نجدها واضحة فى نظريات المثير والإستجابة والتى تحدث عنها بافلوف وواطسن وغيرهما ، تتضح لنا أيضاً فى عملية نمو الرمز . فالسكين تصبح رمزاً لعضو التذكير مثلا ، كما أن العادات يمكن أن تتمثل فى التفكير الفرويدى فى صورة إجبار التكرار . فالراشد قد يغير وظيفته أو هوايته مراراً ، ومع ذلك ، فإن الوظيفة أو الهواية الجديدة تحمل شبهاً كبيراً بالوظيفة أو الهواية القديمة(١).

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن سيكولوجية فرويد تحوى الكثير مما يمكن ترجمته فى مفاهيم المثير والإستجابة وفى ضوء ذلك يمكن أن يتضح لنا موقف بعض أصحاب نظريات التعلم المهتمين بدراسة الشخصية ومحاولتهم وضع النظريات والأفكار التجريبية الوثيقة الصلة بالتفكير الفرويدى . على نحو ما فعل دولارد وميللر فى نظريتهما فى الشخصية والتى سوف نشير إليها فيما بعد .

---

(1) Hall, C.S. A premier of Freudian Psychology. World Publishing Co. 1954. p. 117.

ثانيا : العصاب التجريبي :

وثمة مجال آخر ساهم فيه أصحاب نظرية المثير والإستجابة في مجال الشخصية ويتمثل في الاهتمام الكبير بمظاهر عدم التوافق العصابي وربما كان من أقدم الدراسات المعملية ذات الصلة الوثيقة بمشكلات الشخصية ، تلك التي تتصل بما يسمى باسم « العصاب التجريبي Experimental Neurosis . وقد بدأ هذا الاهتمام بنتائج التشريط لبعض الملاحظات التجريبية التي قام بها بعض الباحثين في معمل بافلوف ١٩١٤ فقد درب الكلب عن الإستجابة بإسالة اللعاب عند عرض دائرة مضيئة على شاشة عرض وبعد تكوين الإستجابة الشرطية جيداً ، أمكنه أيضاً عمل تمييز بين الدائرة وشكل أهليليجي وذلك بتدعيم الإستجابة إلى الدائرة وعدم تدعيمها عند عرض الشكل الأهليليجي وقد أخذ المجرب بعد ذلك يغير شيئاً فشيئاً من الشكل الأهليليجي ، حتى أصبح قريب الشبه بالدائرة وذلك مع الإستمرار في تدعيم الإستجابة للدائرة وعدم تدعيمها للشكل الاهليليجي . وعندما وصل الشكل الاهليليجي إلى درجة معينة من الاقتراب من شكل الدائرة بحيث أصبحت التفرقة بينهما عسيرة على الحيوان . أخذ سلوكه يتغير وأصبح يعوى بشكل ظاهر ، ويحاول أن يمزق بأسنانه أدوات الجهاز وبعض الأنابيب الموصلة بين غرفة الحيوان وغرفة القائم بالملاحظة ، ولم يكن شيئا من هذا كله قد حدث من قبل . وقد لاحظ الباحث أيضاً أن الحيوان كان ينبح بصوت مرتفع عند إدخاله إلى غرفة التجربة ، على عكس ما كان عليه من سلوك هادىء من قبل وباختصار ، فقد بدأت تظهر على الحيوان أعراض الحالة التي درجنا على تسميتها بالنسبة للإنسان باسم «العصاب» فكانت تظهر عليه علامات القلق كالرعشة والعواء ورفض الطعام وهو في غرفة التجربة ، كما كانت تظهر عليه علامات كف قوية كالميل إلى النعاس

والنوم فعلا. وقد أمكن لباحثين آخرين الوصول إلى نتائج مماثلة فى تجارب أخرى أجريت على الفيران والقطط والماعز وغيرها من الحيوانات .

وقد يتساءل البعض هل هذا عصاب حقيقى ؟ إن الإجابة على هذا السلوك تتوقف على تحديد معنى العصاب إن العصاب الذى نعنيه والذى يتمثل فى دراسات العصاب التجريبى يتميز بالصفات الآتية :

(ا) أن السلوك العصابى هو نتيجة ضغط وتوتر وصراع . ففى جميع التجارب التى من هذا القبيل ، فإنه ليس ثمة شك أن صراعا ماقد ظهر بوضوح لدى الحيوان بين نزعات الفعل المدعمة التى يثاب عليها ، ونزعات الفعل غير المدعمة أو التى يعاقب على أدائها .

(ب) أن السلوك العصابى يتميز بالقلق وهذا يتضمن العقاب من أى نوع كان .

(حـ) أن السلوك العصابى يحدث فى جزء منه بسبب الصراع الذى لا يمكن تفاديه ، ففى التجارب التى تجرى على الحيوان ، فإن القيود المادية التى تفرض على الحيوان تعتبر جزءاً من طريقة إجراء التجربة ، وأن إحدى النتائج البارزة لذلك ، هى مقاومة الحيوان الدخول إلى غرفة التجربة أو الدخول فى الموقف التجريبى الذى يحدث فيه الصراع .

(ء) أن السلوك العصابى يتسم بمجموعة من الأعراض التى تعتبر غالباً غير عادية فى نظر المعايير الإجتماعية .

وفى ضوء الدراسات التجريبية والمعملية يمكن القول بأن أى ظرف من شأنه أن يستثير إستجابات كافة أو مثبطة أو مثيرة بدرجة كبيرة وغير عادية ، من شأنه أن يحدث لدى الفرد عصاباً تجريبياً . كما أن الإضطرابات التى ذكرت باعتبارها مظاهر للعصاب التجريبى ، قد تضمنت العديد

من الأعراض الحركية والمتصلة بالجهاز العصبى المستقل والأعراض الوجدانية والاجتماعية .

ثالثا : القلــق :

وثمة شرط أساسى لحدوث سوء التوافق أكده فرويد - كما ظهر أيضاً بوضوح فى العصاب التجريبى - ونعنى به عامل القلق . وقد احتل هذا العامل مكانة كبيرة عند تطبيق نظرية التعلم على مشكلات الشخصية . ووجهة النظر العامة تسير جنباً إلى جنب مع وجهة نظر التحليل النفسى من حيث إفتراض أن القلق يقوم بدور مزدوج . فهو من ناحية حافز drive ، ومن ناحية أخرى مصدر تعزيز عن طريق خفضه فالقلق له قدرة على إحداث النشاط غير المستقر ، كما أن عناصر هذا النشاط التى تؤدى إلى خفض القلق تكتسب وتتعلم . ويعزو أصحاب نظرية المثير والإستجابة ، الذين يستمدون أفكارهم من التجارب المعملية ، القلق إلى عملية تشريط ، حيث تقوم فيها المثيرات المحايدة مقام مثيرات العقاب أو الألم أو الخوف ومثيرات الخوف عند الكائن الحى كثيرة ومتعددة منها ماهو فطرى كالخوف من الأصوات الفجائية العنيفة وفقدان السند عند الطفل (وطسن) ، ومنها ما هو مكتسب ويمكن أن يفيد أيضاً كأساس دافعى لكثير من ألوان السلوك التوافقى والمخاوف المرضية والخوف من فقدان الحب مثالان واضحان لذلك .

ولقد ميز فرويد أنواعا ثلاثة من القلق : قلق موضوعى وقلق عصابى وقلق خلقى . أما القلق الموضوعى فهو قلق متصل بالأحداث الواقعية والمادية . ويشتمل هذا النوع من القلق على مايتصل بالأضرار الجسمية والحرمان الاقتصادى . والأدلة المستمدة من مثل هذه الأشكال من القلق تدفع الفرد عادة إلى إتخاذ الإحتياطات اللازمة لتجنب الخطر المهدد ، فيبحث لنفسه مثلا عن مكان

يحميه أو عمن يدفع عنه غائلة الحرمان ثم أن هناك القلق العصابي وهو قلق تثيره رغبات الهو . إنه خوف من التعبير عن الدوافع اللاإجتماعية والجنسية والعدوانية والتى تأخذ صورة أفعال إندفاعية . ومن أعراضه قلق عام منتشر ومخاوف وذعر أما القلق الخلقى فهو الذى نخبره فى صورة الشعور الذنب أو الخجل أو وخز الضمير . وهو يصدر عن الأنا الأعلى . فبعض أنواع السلوك كانت فى الماضى تلقى العقاب من قبل الوالدين . ومن هنا ، فإن القيام بها الآن ، من شأنه أن يستثير القلق عند الفرد .

والقلق نتيجة حتمية لعملية التطبيع الاجتماعى . فى الطفولة المبكرة ليس لدى الطفل سبيل لمعرفة أى أنواع السلوك يثاب عليه ، وأيها يعاقب على ادائه . كما أن استجاباته تخضع لمبدأ اللذة ولحاجاته المتسمة بالأنانية ، والسلوك التوافقى - من وجهة نظر الطفل - يتطلب القيام بكف السلوك غير المقبول ومن ثم يتجنب العقاب . وهذا هو حل المشكلة من جانب الطفل . ولكن هذا الحل ليس بالحل الكامل لأسباب عدة منها :

١ - أنه يترك الحافز الأصلى دون إشباع . فهذا الحافز يجب أن يترك جانباً أو حتى ينسى . وهذه نقطة يؤكدها المحلل النفسى فى نظرته إلى أن القلق الحاد هو دائماً عرض للكبت

٢ - أن الأفعال التى تدعم والأفعال التى تعاقب ، من أجل أن تتمايز ، تثير مشكلات حقيقية . فالطفل يجب أن يميز بين المحبة الأخوية والاشتهاء المحرم ؛ بين اللذة فى مصاحبة الزملاء والجنسيه المثلية ؛ بين الدفاع عن حقوق الفرد والعدوان الأنانى . ومن المحتمل ألا يصل أنسان ما إلى معرفة كل الدقائق الضرورية فى سلوكه من أجل حسن التكيف مع مطالب البيئة .

٣ - أن جزءاً كبيراً من القلق وجد أنه يرجع إلى أحداث مرت

بالطفل قبل مرحلة اللغة فالعقاب على توسيخ نفسه أثناء عملية التدريب على الإخراج أو على قيامه ببعض الأفعال الجنسية الطفلية ، أو على مايظهر لديه من مظاهر العدوان المبكر ، كلها تغرس القلق بالنسبة للسلوك الذى لا يحمل أية تسمية لفظية بالنسبة للطفل . إن مثل هذه التسميات اللفظية تصبح فيما بعد ذات فائدة كبيرة عندما يقوم الطفل بالتمييز بين الأفعال التى ينظر إليها نظرة تقديس ، وتلك التى لا ينظر إليها هذه النظرة . وتكون التسميات فى العادة أيسر فى التمييز من المثيرات الناشئة عن الأفعال ذاتها . ومع ذلك ، فى الطفولة المبكرة ، يمكن أن يقترن القلق بمظاهر سلوكية غامضة وضعيفة التمايز .

٤ — يستحيل على الطفل فى بعض الأحيان أن يقوم بتمييزات صحيحة تماما ، وأن ينمى استجابات صحيحة محسوبة ، لتجنب كل عقاب يوقع به . وقد يكون مرجع ذلك إلى حد كبير ، الحالات المزاجية غير المتسقة والإدراكات غير الحساسة للآباء أو من يقوم على رعاية الطفل من الكبار المحيطين به . فأحياناً تلقى بعض الأفعال التى يؤتيها الطفل الرضا والاستحسان ، على حين تلق فى أحيان أخرى هى نفسها العقاب والزجر .

ولعل أحد مزايا وجهة النظر التى تذهب إلى أن القلق هو استجابة شرطية مؤلمة هو أنها تؤدى إلى البحث فى تاريخ حياة الفرد من أجل الوصول إلى المناسبات والظروف المؤلمة التى مرت بالطفل والتى قد توقف الباحث بدوره على مصدر القلق عنده . وقد أدى هذا إلى التركيز على أحداث معينة فى الطفولة يمكن أن تعد فى كثير من الأحيان مسئولة عن نمو القلق . وهذه الأحداث تتضمن أموراً أكدها المحللون النفسيون فى نظرتهم إلى النمو النفسى الجنسى كالتدريب على الاخراج وكف الجنسية الطفلية والعدوان . وأحد النقط الهامة المتصلة بمثل هذه المخاوف هو أنها مكتسبة قبل تعلم الطفل

اللغة وقبل أن يستطيع التعبير لغوياً عنها ، بما يزيد من المشكلة التى تواجهه بعد ذلك فى محاولة تذكر الأحداث المؤلمة التى أدت إلى نمو القلق عنده :

رابعاً : الصراع :

يحدث الصراع عندما تستثار ، معاً وفى نفس الوقت نزعتان أو أكثر من النزعات المتعارضة . وهذا يعنى أن الصراع يتميز بمواقف الإختيار ، وأنه يمكن أن يفهم فى ضوء المبادىء التى تنطبق على أية حالة تستثار فيها عادات متصارعة

وهناك أنواع متعددة للصراع. منها صراع الإقدام وهو الذى ينشأ من محاولة الفرد الإختيار بين هدفين لكل منهما جاذبية موجبة . فكلاهما يوجه المرء فى نفس الوقت إلى الاقتراب من هدف معين والصراع فى هذه الحالة لا يستمر طويلا سرعان ما ينتهى الفرد إلى اختيار أحد الهدفين .

وصراع الإحجام يقوم بين دافعين يوجه كل منهما الفرد فى نفس الوقت إلى الابتعاد عن الهدف : فلكل من الدافعين قوة سالبة . فى صراع الإحجام يكون الفرد محصوراً بين دافعين يدفعه كل منهما بعيداً عن الهدف . فيأخذ الفرد فى التذبذب بين الطرفين مالم يجد سبيلا ثالثاً .

أما الشكل الثالث فهو صراع الإقدام — الإحجام . وهو الذى ينشأ بين دافعين يستثاران فى وقت واحد ولكن فى اتجاهين متضادين . فيكون لأحدهما جاذبية موجبة وللآخر جذبية سالبة . فأحدهما يجذب الفرد والآخر يبعده . كالطفل يريد أن يربت على ظهر كلب ولكن المحيطين به يحذرونه من القيام بذلك .

ورغم قيام بعض التجارب على النوعين الأولين من الصراع ، إلا أن الاهتمام الكبير قد تركز أساساً على صراع الإقدام — الإحجام . وقد قدم نيل ميللر

وتلاميذه بمجموعة من الدراسات النظرية والتجريبية لصراع الإقدام - الإحجام والتي لعبت فيها مفاهيم التعلم الرئيسية دوراً تفسيرياً هاماً وتضمنت الدراسات التجريبية مع فيران المعمل إحداث الصراع بإعطاء الفأر طعاما وصدمات كهربية في نفس صندوق الهدف فقد دربت مجموعة من الفيران الجائعة أن تمر عبر الممر من أجل الوصول إلى الطعام ثم تعطى صدمة كهربية في نفس الموضع . وحسب قوانين الاشتراط الكلاسيكي ، فان هذا يعني أن الهدف أصبح في نفس الوقت مدعما ثانويا موجبا وسالبا ومتضمنا للصراع . ومزايا هذه الطريقة تتلخص في النقط الآتية :

١ - إن المكونات المستقلة لهذا الصراع (الجوع - الطعام - الصدمة الحرب) من السهل التحكم فيها نسبيا .

٢ - أن سلوك الفأر وهو في حالة الصراع من السهل وصفه في ألفاظ محسوسة مادية .

٣ - أن هذا الموقف التجريبي يبدو أنه يحتوى على كثير من مظاهر الصراعات السيكولوجية الهامة . ومن الواضح أن الصراع الانساني على وجه الخصوص غالبا ما يكون من نوع صراع الاقدام الاحجام .

وقد أشار ميللر(١) إلى مجموعة من المصادرات التي قدمها في دراسته للصراع أهمها :

(أ) أن النزعة إلى الاقتراب نحو الهدف تصبح أكثر قوة كلما كان الفرد أكثر قربا من الهدف . ويطلق على ذلك اسم مدرج الإقدام Gradgient of Approach.

---

(1) Milesr, N. E. Liberalization of Basic S-R Concepts Extensions to Conflict behavior, motivation and learning in S. Koch (ed) Psychology, a study of Science. vol 2. N. Y. Mc Graw-Hill Books pp. 204-234.

(ب) أن الميل إلى تحاشي المثيرات السلبية يكون أقوى كلما ازداد الفرد قرباً من المثير ويطلق على ذلك اسم مدرج الإحجام Gradient of Avoidance.

(ح) المعدل الذى تزداد به نزعات الإحجام بالإقتراب من الهدف أكبر من المعدل الذى تتزايد به نزعات الإقدام فى نفس الظروف ،وبعبارة أخرى إن مدرج الإحجام أكثر حدة فى إنحداره من مدرج الإقدام .

(د) إن زيادة الباعث مرتبطة بالإقدام أو الإحجام سوف ترفع من المستوى العام للمدرج وهكذا تظل هناك زيادة فى قوة الإقدام أو الإحجام بزيادة الإقتراب من الهدف ، ولكن هذه النزعات سوف تصبح حينئذ أكثر قوة فى كل مرحلة من مراحل الإقدام .

(هـ) عندما توجد استجابتان متعارضتان ، فإن الاستجابة المطلقة للنزعة الأقوى هى التى تحدث .

وتمكن هذه المصادرات وغيرها من التوصل إلى تنبؤات فيما يتعلق بالطريقة التى سوف يستجيب بها الفرد لدى مواجهته بأنواع الصراع المختلفة.

ومن الاستبصارات الهامة لفرويد فى السلوك الإنسانى ، تعرفه أن معظم هذا السلوك ذا طبيعة بديلة . فطالما أن المجتمع غالباً ما يكبت أو يمنع التعبير المباشر لدوافع الهو ، فإن هذه الدوافع تبحث لها عن مخارج أخرى غير مباشرة تتدرج إبتداء من التعبيرات البسيطة — كتلك التى تظهر فى فلتات اللسان وزلات القلم وأحلام اليقظة — حتى الخَلْق الفنى وفى هذه الحالة يقال إن طاقات الهو قد نقلت إلى أنشطة أخرى . وبألفاظ نظرية التعلم ، يمكن أن يفهم النقل كنتيجة لصراع الإقدام — الإحجام . ولكى نوضح تطبيق نظرية الصراع على ظاهرة النقل ، لننظر نتائج العقاب على نحو ما هى متضمنة فى تدريبات تنشئة الطفل وتربيته . لنفرض أن طفلا ما عوقب بدنياً لعمل سيء أتاه . فلما كان العقاب يؤدى إلى إحباط بعض نواحي النشاط المستثار ، فانه

ينتج عن ذلك وجود نزعة قوية للعدوان — وربما كانت متعلمة ومكتسبة — توجه نحو الشخص الذى أوقع العقاب بالطفل ومع ذلك فلا يوجه الطفل عدوانه فى صورته الواقعية إلى الآباء، وذلك لأن العقاب قد أدى إلى ربط الخوف بالشخص الذى أوقع العقاب. ولكن هذا العدوان يمكن أن يوجه مع ذلك إلى مواقف أخرى ولأسباب لا تفسر عادة حقيقة ظهوره — إلى أحد الإخوة مثلا أى أن العدوان قد انتقل فى هذه الحالة من الوالد الذى أوقع العقاب بالطفل إلى أحد أخوته وبعبارة أخرى أنه قد حدث تعميم. فمفهوم التعميم هنا يعد إذن مفهوماً أساسياً لتفسير عملية النقل فى ضوء نظرية المثير والإستجابة.

خامساً : العلاج النفسى :

جاءت التطبيقات الأولى لمبادىء التشريط على مشكلات الطب النفسى، إلى استخدام التطبيق المباشر لطريقة الإقتران الشرطى فى التشخيص والعلاج. فقد استخدمت هذه الطريقة بنجاح فى الكشف عن الوظائف الحسية فى حالات فقد الحس الهستيرى. فقد ذكر بتشريف الروسى أنه نجح فى علاج حالة صمم هستيرى (١٩١٢)، كما درس سيرز وكوهين (١٩٣٣) حالة فقدان حس هستيرى وفقدان الألم باستخدام طريقة التشريط كما أشار جريجورى كمبل(١) إلى حالة عالجها باستخدام التشريط وكانت حالة مدرسة فى الثانية والثلاثين من عمرها أصيبت فى حادث سيارة وذلك قبل بدأ العلاج بست سنوات. وقد فقدت الحس بذراعها الأيسر فقداناً تاماً خلال هذه الفترة، فكان مشلولا شللا كلياً وأثبت الفحص الطبي أن ليس ثمة أسباب عضوية يمكن أن ترجع إليها هذه الأعراض ومن هنا تعتبر هذه الحالة وظيفية. وقد أجريت عدة

(1) Kimble, G. Hilgard and Marquis' Conditioning and Learning New York Appleton-Century Crofts Inc. 2nd ed 1964.

محاولات من جانب الطبيب النفسى لجعل المريضة على استبصار بالطبيعة الوظيفية للحالة ، ولـكنها كانت تقاوم ذلك مقاومة شديدة . وقد لجأ المعالج إلى طريقة العلاج بالتشريط وذلك فى أحد معامل علم النفس الملحقة بوحدة الطب النفسى التى يعمل بها .

وقد أعد لذلك تجربة سحب اليد . فاستخدم قطبين كهربيين واحداً لكل يد وكانت المجموعة الأولى من التجارب تتألف من تقديم صدمة لليد الفاقدة الحس كمثير شرطى ، وتقديم صدمة لليد الأخرى كمثير غير شرطى . وكان الهدف من ذلك هو تقديم الدليل على وجود حساسية فى اليد الفاقدة الحس ، طالما أن الصدمة الموجهة إليها تستخدم كعلامة لسحب اليد العادية . ورغم حدوث تشريط بسيط ، فإن الأثر المطلوب قد حدث وبدأت الحساسية تظهر بالتدريج فى اليد والذراع الفاقدة الحس . وقد تكررت التجربة يومياً وكان التحسن تدريجياً وبعد الشفاء من فقدان الحس عكست طريقة التشريط بهدف تنمية التحكم الإرادى . فاليد العادية أعطيت صدمة خفيفة كمثير شرطى . أما بالنسبة للمثير غير الشرطى ، فان اليد التى كانت المشلولة قد أعطيت صدمة كهربية أكثر عنفاً والتى أصبحت حساسة لها تماماً الآن . وقد بدأت الحركة فى الظهور فى هذه اليد عند إعطاء العلامة لليد السليمة . وكان هذا هو بداية التحكم . وعادت الحركة الإرادية بالتدريج . وقد اختفت الأعراض بعد ذلك ولم تظهر لديها أعراض أخرى إضافية . وهذا المثال يوضح إمكانية إستخدام طريقة الإقتران الشرطى فى علاج الأعراض العصابية . فالموقف التجريبى هو موقف يسمح للمريض باستبعاد الأعراض .

وإذا أخذنا بوجهة النظر التى تذهب إلى أن العلاج النفسى هو عملية تعلم، فان طرق العلاج يجب أن تستمد من معرفتنا بالتعلم والدافعية . والعلاج النفسى يستند إلى افتراض بسيط للغاية ولـكنه جوهرى ، ونعنى به أن السلوك الإنسانى

يقبل التعديل عن طريق الأساليب السيكلوجية المختلفة ولكن السؤال الذى يرد مباشرة إلى الذهن هو « هل السلوك الإنسانى يتعدل فعلا عن طريق وسائل العلاج النفسى ؟ وإذا كان ذلك كذلك فما هى ميكانزمات التعلم التى تتوسط التغير فى السلوك . ويمكن أن نشير فيما يلى إلى بعض ميكانزمات التعلم والدراسات التى حاولت تطبيق هذه المبادىء على مجالات العلاج النفسى، لنرى إلى أى مدى يمكن تعديل سلوك الفرد ويجب ألا ينظر إلى قائمة الميكانزمات التالية والتى بواسطتها يمكن أن يحدث التعديل فى السلوك ، على أنها شاملة أو غير متداخلة بالضروره .

١ — التشريط المضاد Couter-Conditioning

ومن بين طرق العلاج النفسى العديدة المستمدة من نظرية التعلم ، تلك التى تقوم على مبدأ التشريط المضاد . وقد قدم ولبه Wolpe (١) تقريراً وافياً شاملا عن هذه الطريقة . كما قدم جونز(٢) أمثلة إضافية لحالات عولجت بهذه الطريقة ويتلخص هذا المبدأ فى أنه إذا أمكن ظهور استجابات قوية مضادة لردود الأفعال القلقة ، مع وجود الأدلة المثيرة للقلق ، فان هذه الاستجابات المضادة سوف ترتبط بهذه الأدلة ومن ثم تضيف أو تبعد استجابات القلق(٣) » .

---

(1) Wolpe. J.: Psychotherapy by reciprocal inhibition. Stanford. Stanford. University Press 1958.
————: Psychotherapy based on the principle of reciprocal inhibition In A. borton (ed). case studies in Couuseling and Psychotherapy. Englewood Cliffs. N. J. Prentice Hall. 1959

(2) Jones, H. G. The applicatiou of Conditioning and learning techniques to the treatment of psychiatric patient. J. abnorm. soc. Psychol. 1956. 52. 414-419

(3) Bandura, Albert. Psychotherapy as a learning Process Psychol. Bull. 1961 58 143-159

وأول تطبيق منظم لهذا المنهج فى العلاج النفسى ماقامت به «مارى جونز»(١) فى علاج الطفل بيتر وهى حالة طفل كانت تظهر عليه المخاوف الشديدة من الحيوانات والأشياء ذات الفراء والقطن والشعر واللعب الآلية . وقد تم التشريط المضاد بإطعام الطفل مع وجود المثيرات الصغيرة ، والتى تثير القلق المتزايد لديه . وقد تم ذلك فى أول الأمر بأن وضعت أرنباً فى قفص داخل الغرفة وعلى مسافة بعيدة من الطفل حتى لا يحدث القلق والاضطراب وهو يتناول طعامه وأخذت بعد ذلك تقرب الأرنب يوماً بعد يوم من المنضدة التى كان يتناول عليها الطفل طعامه . ومن حين لآخر كانت تخرج الأرنب من القفص . وخلال المرحلة الأخيرة من العلاج ، كان الأرنب موضوعاً على المنضدة ، بل وأيضا فى حجر الطفل . وقد كشفت اختبارات التعميم بعد ذلك ، أن استجابات الخوف قد استبعدت بشكل ظاهر ، ليس فقط نحو الأرنب ، بل وأيضاً نحو الأشياء الأخرى ذات الفراء والتى كانت تثير الخوف لدى الطفل .

ومثل ذلك أيضا ماقام به وطسن فى علاج الطفل البرت والذى كان يخاف أيضا من الأشياء ذات الفراء نتيجة عملية إقتران شرطى بين الصوت العنيف وبين الأرنب الذى لم يكن يثير لديه فى بداية الأمر أى خوف .

وعلى الرغم من أن طريقة التشريط المضاد قد استخدمت بشكل واسع فى علاج استجابات الإحجام التى تثير القلق والكف ، فانها قد استخدمت أيضا بنجاح فى خفض استجابات الإقدام غير المتوافقة . وهنا يمكن ربط الموضوع المراد التخلص منه ببعض أنواع المثيرات المنفرة فقد استخدم

(1) Jones, Mary. A laboratory study of fear. The Case of Peter. J. genet Psychol, 1924 31. 307-315.

« رايموند » الغثيان كخبرة منفرة فى علاج مريض كانت لديه حالة « فتش » Fetihism تتعلق بشنط اليد للسيدات وعربات اليد الأطفال ، والتى كانت توقعه فى صدام مع القانون حيث كان يبصق على شنط اليد للسيدات ويحطم عربات اليد بدراجته البخارية . ورغم إخضاع هذا المريض للعلاج بالتحليل النفسى ، ورغم أنه كان على معرفة كاملة بمصدر سلوكه ودلالته الجنسية ، ومع ذلك كان الفتش ملحاً ولم يختف

وقد سار العلاج بأن يقدم المعالج للمريض مجموعة من الشنط وعربات اليد والصور الملونة ،وذلك قبل حقن المريض بالأبومورفين Apomorphine الذى يؤدى إلى حدوث حالة الغثيان وقد تكرر الاشتراط كل ساعتين ليلا ونهاراً لمدة أسبوع بالإضافة إلى جلسات إضافية بعد ٨ أيام وبعد ستة أشهر

ويقرر رايموند أنه نجح ليس فقط فى إزالة الفتش ، ولكن أيضاً كشف المريض عن تحسن ملحوظ فى علاقاته الاجتماعية (والقانونية) ، ورشحته إلى شغل مركز مسئول فى عمله ولم يعد يحتاج بعد إلى الخيالات أو الأوهام الفتشية لتمكنه من القيام بالاتصالات الجنسية

وقد استخدمت العقاقير المسببة للغثيان — وعلى وجه الخصوص الإميتين emetine — كثير غير شرطى فى العلاج المنفر أو المضاد للمشروبات الكحولية . وفى العادة كان يكفى من ٨ إلى ١٠ جلسات علاجية يقترن فيها رؤية المشروب الكحولى وشمه وذوقه مع حدوث حالة الغثيان ، حتى يحدث الامتناع عن تناول المشروبات الكحولية فمن بين ما يقرب من ١٠٠ حالة عولجت بهذه الطريقة امتنع حوالى ٦٠ ٪ عن تناول المشروبات الكحولية تماماً ويقول فوجتلين Voegtlen (١٩٤) إن إعطاء علاجات وقائية طبقة على فترات

تصل إلى حوالى ستة اشهر . قد تؤدى إلى تحسين النتائج التى يوصل إليها استخدام هذه الطريقة

(ب) الإنطفاء

إن التدعيم يعتبر أمراً جوهرياً لتعلم عادة ما ، كما يعتبر أمراً أساسياً لبقاء هذه العادة . وعندما تتكرر استجابة متعلمة دون تدعيم ، فإن قوة الميل لحدوث هذه الاستجابة تأخذ فى النقصان التدريجى . ويسمى هذا النقص بالانطفاء التجريبى أو الإنطفاء فقط (١) . فالصياد الذى يجد سمكا كثيراً فى مكان معين يميل إلى العودة مرات كثيرة إلى نفس المكان . أما إذا قل ما يعثر عليه من سمك فى هذا المكان ، فإن زياراته له تقل تدريجيا ويصبح أقل حماسة فى الذهاب إليه ، ومن ثم يأخذ فى البحث عن مكان آخر .

وعملية الإنطفاء يجب ألا تختلط بعملية النسيان . والنسيان يحدث خلال فترة لا تمارس فيها استجابة ما . أما الإنطفاء ، فإنه يحدث حين تمارس الإستجابة ولكن دون تدعيم . والوظيفة الظاهرة للإنطفاء هى استبعاد الاستجابات التى لا تدعم وبذلك يمكن ظهور استجابات أخرى مكانها . فالصياد الذى لا يجد رزقه فى مكان ما ، يكف عن البحث فى هذا المكان ويسعى وراء رزقه فى مكان آخر .

وعملية الانطفاء لا تحدث عادة مباشرة ، بل تمتد عبر عدد من المحاولات تختلف باختلاف الظروف . والعادات الأقوى تكون أكثر استمراراً وثباتاً وأكثر مقاومة للإنطفاء من العادات الأضعف . ومع تساوى بقية الظروف ، فإن أى عامل يمكنه أن يحدث عادة أقوى ، سوف يزيد من

(1) Dollard, J and Miller N. Personality and Psychotherapy An Analysis in terms of Learning, Thinking and Culture. New York, Mc Graw- Hill Book Company Inc. 1950.

مقاومته للإنطفاء . فالبائع الذى يفشل فى تصريف بضاعة ما إلى ربائنه عند أول تجربة له مع هذه البضاعة ، يكون أقرب إلى التوقف عن بيعها ، عما لو مر بخبرة الفشل هذه بعد محاولات عديدة ناجحة مع هذا الصنف وهناك عاملان آخران يؤديان أيضا إلى حدوث العادة الأقوى، ومن ثم إلى زيادة مقاومتها للانطفاء ، ونعنى بهما الدوافع الأقوى أثناء التدريب ، والقدر الأكبر من المكافأة فى كل محاولة أثناء التدريب .

ومعظم صور العلاج النفسى المتعارف عليها ترتكز بدرجة كبيرة على آثار الإنطفاء رغم عدم تسمية المعالج لها أحيانا بهذه التسمية فمثلا يعتبر كثير من المعالجين النفسيين من أمثال روجرز ودولارد وميللر وغيرهم التسامح شرطا ضروريا لإحداث التغير العلاجى . فمن المتوقع أن المريض الذى يسمح له بالتعبير عن أفكاره وإحساساته والتى تثير القلق أو مشاعر الذنب والذى لا يقابل بالنقد أو الرفض أو الاستهجان من جانب المعالج ، سوف تضعف أو تنطفىء لديه تدريجيا ما لديه من مخاوف أو مشاعر الذنب . وقد ظهرت بعض الأدلة عن العلاقة بين التسامح وإنطفاء القلق فى دراستين تجريبيتين ذكرهما ديتس تتضمن الأولى منهما (١) تحليلا لنتائج التفاعل بين المريض والمعالج وقد وجد ديتس أن استجابات التسامح من جانب المعالج يقابلها نقصان تدريجى فى قلق المريض(على نحو ما قاسه بواسطة استجابات الجلد الجلفانو مترية G. S. R.) وحدوث سلوك التجنب . كما كشف التحليل التتابعى للجلسات العلاجية - على نحو ما أوضحته الدراسة الثانية (٢) أنه عند

---

(1) Dittes, J. E. . Extinction during psychotherapy of G. S. R. accompanying embarrassing statements J abnorm soc. Psychol 1657 54. 187 -191.

(2) ——— Galvanic skin responses as a measure of patients' reaction to therapist's permissiveness. J abnorm. soc. Psychol. 1957-55 295-303

بدايه العلاج كانت التعبيرات الجنسية مصحوبة باستجابات قلق قوية ،ثم أخذت تنطفىء تدريجياً بعد ذلك نتيجة التأثيرات المتراكمة للتسامح .

(ح) التعميم Generalization

وآثار التعلم فى موقف ما ، قد تنتقل إلى مواقف أخرى . وكلما قل التشابه بين المواقف ،قل حدوث الانتقال . وبعبارة أكثر دقة ، إن التدعيم من أجل القيام باستجابة خاصة لنمط معين من الأدلة ، من شأنه أن يقوى ليس فقط نزعة هذا النمط لإحداث هذه الاستجابة ، بل وأيضا نزعة الأنماط المتشابهة من الأدلة لاحداث نفس الاستجابة ،والميل الفطرى لحدوث الانتقال هو مايسمى باسم « التعميم الفطرى للمثير .وكلما قل تشابه الدليل أو نمط الأدلة، قل التعميم . ويطلق على الاختلاف فى النزعة إلى نقل الإستجابة المتعلمة إلى مواقف جديدة ومختلفة إسم « مدرج التعميم » gradient of generalization . ومعنى ذلك أن مواقف الاستثارة يمكن أن تدرج أو ترتب حسب تشابهها ، وأن ذلك التشابه سوف يحدد إمكان أن تستثار استجابة سبق تعلمها فى أحد المواقف ، فى مواقف أخرى جديدة فالجائع يسيل لعابه عند رؤية موضوعات ليس من طبيعتها عادة إسالة اللعاب » .

وأمثلة التعميم شائعة فى خبرة الحياة اليومية . فالطفل الذى عضه الكلب مرة ، يخاف من بقية الحيوانات الأخرى ، وبوجه أخص يخاف من الكلاب أكثر مما يخاف من القطط أو الخيل .

وقد درس بافلوف وبتشريف ظاهرة التعميم بشىء من الإفاضة . وكذلك فعل باحثون تجريبيون آخرون .

ومن الملاحظ أيضا أنه « لا ينبغى على الفرد أن يتعلم فحسب أن يستجيب فى اتساق فى المواقف التى تختلف إلى حد ما ، بل عليه أيضاً أن يتعلم أن يستجيب استجابات مختلفة فى المواقف المتشابهة . وهكذا ، فإن البيئة تلقى على عاتق

الفرد بهذين المطلبين المتعارضين . التعميم والتخصيص . . . ومن خلال التعزيز المتتالى لإستجابة معينة حيال مجموعة بالذات من الأدلة ، وعدم تعزيز نفس الإستجابة حيال مجموعة أخرى من الأدلة الوثيقة الشبه بالأولى يصبح ممكننا التمييز discrimination بين الأدلة بحيث تكف النزعة إلى التعميم . ويتضمن التمييز زيادة فى تخصيصه الأدلة المناسبة لاستثارة استجابة معينة ، على حين يقلل التعميم من تلك التخصصية . ومن الواضح أنه كلما زاد التمايز بين دليلين ، أصبح من السهل تعلم التمييز بينهما (١) . وعملية التمييز تميل إلى تصحيح التعميمات غير المتوافقة فهى تزيد من نوعية الرابطة بين الدليل والاستجابة .

(د) طرق المكافأة أو الثواب Methods of Reward

وتقوم معظم نظريات العلاج النفسى على افتراض هو أن المريض لديه ذخيرة من العادات الموجبة والمتعلمة من قبل . ولكن هذه الأنماط المتكيفة تكون مكبوتة أو معاقة نتيجة وجود استجابات أخرى معارضة يحركها القلق أو الشعور بالذنب فهدف العلاج إذن هو خفض حدة الضوابط الداخلية الكافة . وبذلك تسمح للأنماط الصحية للسلوك أن تظهر وتعبر عن نفسها . ودور المعالج هنا هو خلق الظروف المتساعة التى فى ظلها يمكن أن تنطلق « إمكانيات » النمو العادية للمريض . ولما كانت معظم نظريات الشخصية وطرق العلاج النفسى قد وضعت أساسا من خلال العمل مع عصابيين لقوا رعاية اجتماعية زائدة ، فإن ذلك قد يفسر لنا انتشار هذه النظرة .

ولكن هناك نوع كبير من الاضطرابات السلوكية (كالشخصيات المضادة للمجتمع والتى لا تلق رعاية اجتماعية ، والتى يعكس سلوكها عجزاً أو فشلا

---

(١) هول ، لندزى : نظريات الشخصية ترجمة دكتور فرج أحمد فرج وآخرون .

فى عملية التنشئة الاجتماعية) ، لا يصلح معها هذا النمط السابق من أساليب العلاج والذى يتسم بالتسامح فمثل هذه الشخصيات المضادة للمجتمع يحتمل أن تكون قد تعرضت لنواحى نقص فى التعلم ، وبالتالى فإن علاجهم ينبغى أن يهدف إلى إكسابهم دوافع ثانوية وتنمية عادات كبح داخلية لديهم ، ولذلك تتطلب هـــذه الجموعة أقصى درجـات الخروج على طرق العلاج التقليدية .

وإذا كان التشريط المضاد والإنطفاء والتعلم بالتمييز ، طرقا مثمرة فى إزالة الكف العصابى ، إلا أنها قد تكون قليلة القيمة نسبياً إذا كان الهدف منها هو إنماء عادات إيجابية جديدة . وقد يلعب الثواب الأولى والثانوى فى صورة اهتمام المعالج وموافقته ، دوراً هاما إن لم يكن ضرورياً فى عملية العلاج . وبالنسبة لبعض الحالات المرضية كالفصام ، وكذلك الجانحين الذين إما لا يستجيبون للمكافأة الاجتماعية أو يتوجسون خيفة منها ، فإن المعالج قد يعتمد أساسا على المكافأة ، أو الجزاء الأولى فى عملية العلاج . ومن هذا القبيل ما قام به بيترز وجينكز Reters & Jenkins (١٩٥٤) مع بعض حالات الفصام . فقد أخذ الباحثان مجموعة من حالات الفصام المزمن وكانا يحقنان هذه الحالات بكميات من الانسولين لإحداث حالة الجوع ، ثم يشجع المريض بعد ذلك على حل مجموعة من المشكلات وإعطائه قدراً من الحلوى كنوع من الجزاء . وكان العمل المطلوب أساساً يتضمن حل مشكلات صغيرة أو اجتياز متاهات بسيطة ،وقد استمرت التجربة مدة ثلاثة أشهر، وخمسة أيام فى الأسبوع وكان المريض يحصل على الطعام مباشرة عند إكمال حل المشكلة . وكانت المشكلات تتزايد فى الصعوبة وتتضمن مشكلات التعلم عن طريق الاختيار المتعدد ومشكلات تفكير لفظى . وبعد عدة اسابيع من مثل هذه الأنشطة لحل المشكلات ، توقف إعطاء الانسولين واستخدم الجزاء

الاجتماعى ـ والذى كان إلى ذلك الحين له تأثير بالغ ـ فى حل مشكلات العلاقات الإنسانية المتبادلة التى كان من المحتمل أن يواجهها المريض فى أنشطته اليومية سواء داخل المستشفى أو خارجها .

وبمقارنة المجموعة التى خضعت للعلاج بالمجموعة الضابطة التى تتكون من أفراد لم يكونوا يأخذون الأنسولين ولا يحصلون على رعاية خاصة ، وجد أن المرضى فى المجموعة التى كانت تحصل على مكافأة تحسنت بدرجة ملحوظة فى علاقاتهم الاجتماعية داخل المستشفى ، بينما المرضى فى المجموعات الضابطة فلم يكشفوا عن مثل هذا التغير .

(هـ) العقاب Punishment

وإذا كانت تنمية العادات الإيجابية تتم عن طريق الثواب ، فإن التخلص من العادات غير المقبولة اجتماعيا ، والذى هو هدف علاج الشخصيات المضادة للمجتمع ، يثير مشكلة بالغة التعقيد .

إن استبعاد العادات غير المقبولة اجتماعيا يمكن أن يتم بطرق متعددة . فمن الممكن إلا يقدم لها أى جزاء أو مكافأة ، ومن ثم تنطفى بنفسها ومع ذلك فإن السلوك المضاد للمجتمع ـ وعلى الخصوص الأشكال المتطرفة منه ـ لا يمكن تركه أو إغفاله على أساس الاعتقاد أن الإهمال أو عدم الاهتمام به ، سوف يؤدى إلى إنطفائه . يضاف إلى ذلك ، أنه طالما أن التنفيذ الناجح لمثل هذه الأفعال المضادة للمجتمع ، قد يؤدى إلى كسب مادى يحرزه الفرد أو إلى الموافقة والإعجاب من قبل أفراد الشلة أو الجماعة ، فمن غير المحتمل إذن أن ينطفئ مثل هذا السلوك بسهولة .

ورغم أن العقاب قد يؤدى أحيانا إلى الاختفاء السريع للسلوك غير المقبول اجتماعيا ، فإن آثاره قد تكون بالغة التعقيد . فإذا عوقب شخص

على قيامه بعادة غير مقبولة اجتماعيا ، فإن الدافع للقيام بهذا العمل يصبح مثيراً للقلق . وهذا القلق يحرك الاستجابات المتصارعة ، والتى - إذا كانت قوية بدرجة كافية - تحول دون حدوث السلوك المضاد للمجتمع . ولكن الاستجابات المكبتة قد لا تفقد مع ذلك قوتها ، فقد تظهر فى مواقف أخرى حيث يكون التهديد بالعقاب أقل أو أضعف .

وثمة عوامل أخرى عديدة تشير إلى عدم جدوى العقاب كوسيلة لتصحيح كثير من أنماط السلوك المضاد للمجتمع . فالتهديد بالعقاب من المحتمل أن يثير لدى الفرد « المسايرة » conformity . فقد يعمل الفرد بلطف، كل ما يطلب إليه عمله ، لا لشيء إلا لتجنب المشكلات المباشرة . وليس معنى ذلك أنه اكتسب مجموعة من الوازعات التى تعمل فى خدمته عندما يكون خارج موقف العلاج .الواقع أن هذه الأساليب بدلا من أن تؤدى إلى تنمية الضوابط الداخلية لدى الفرد ، فإن من المحتمل أن تزيد من اعتماده فقط على الضغوط الخارجية . يضاف إلى ذلك أن مثل هؤلاء الأشخاص سوف ينمون اتجاهات تتجلى فى أن يفعلوا فقط كل ما يطلب إليهم فعله ، وأن يفعلوا كل ما يريدون فعله عندما يكونون بعيدين عن ملاحظة الآخرين لهم .

والعقاب قد يؤدى بالإضافة إلى ما سبق - إلى تقوية دوافع العدوان وغيره من الدوافع المضادة للآخرين . فقد يثيره العقاب ويدفعه إلى اتيان السلوك الذى قصد من العقاب ،أن يضعه تحت الضبط والتحكم .

ولقد استخدمت بعض المثيرات المنفرة بدرجة معتدلة ، فى علاج المرضى الذين يبدون رغبتهم فى التخلص من بعض العادات غير المقبولة اجتماعياً .فقد قام ليفرسدج وسلفستر (١) Liversedge & Sylvester بعلاج ناجح لسبع

(1) Liversedge, L. A. & Sylvester, J. D. Conditioning techniques in the treatment of writer's cramp. Lancet. 1955. I. 1147-1149.

حالات من عقال الكاتب writer's cramp وهو نوع من التشنج المؤلم فى العضلات، وذلك باستخدام طريقة إعادة التدريب التى تتضمن صدمة كهربية . فمن أجل إزالة الأورام وهى أحد مكونات الاضطراب الحركى ، فإن المريض كان يطلب إليه إدخال قلم أو مسمار معدنى معين داخل لوحة مكونة من مجموعة من الثقوب المتدرجة فى الصغر وفى كل مرة يمس فيها القلم جدران الثقب ، كان الشخص يتلقى صدمة خفيفة أما إزالة مكون التشنج فى الاضطراب ، فقد أمكن الوصول إليه بطريقتين ·

الأولى . أن يتبع المريض العديد من الخطوط المحفورة على لوحة معدنية بواسطة قلم خاص ، وأى خروج على الطريق المرسوم على اللوحة المعدنية ، من شأنه أن يحدث صدمة كهربية

الثانية : أنه بعد أن يتدرب المريض على الجهاز السابق ، يقوم بالكتابة بواسطة ريشة كهربية معينة تعطى صدمة إذا حدث ضغط متزايد عليها من السبابة أثناء عملية الكتابة على اللوحة

ويقرر ليفر سدج وسيلفستر أنه بعد فترة من التدريب ، كان فى إمكان المرضى مزاولة أعمالهم ، كما أوضح تتبع الحالات التى درست لعدة أشهر بعد ذلك ، وجود تحسن ملحوظ لديها .

وهكذا تشير هذه الدراسات المختلفة إلى إمكانية تعديل السلوك الإنسانى والشخصية عن طريق أساليب التعلم المختلفة

ويجدر بنا قبل أن نختتم حديثنا عن التعلم والشخصية أن نشير إلى الدراسة التى قام بها دولارد وميلر ،والى تعكس وجهة نظرهما فى العلاقة بين نظريات التعلم والتحليل النفسى وتعد هذه الدراسة أكمل دراسة للعلاج النفسى من وجهة نظر التعلم

نظرية دولارد وميلر .

عرض دولارد وميلر نظريتهما فى كتابهما « الشخصية والعلاج النفسى » (١٩٥٠) (١) . وقد أعطيا اهتماما كبيراً لمفاهيم نظرية التحليل النفسى ، وقبلا الكثير من مبادئها . ونظراً إلى سيكولوجيات التعلم والتحليل النفسى على أساس أن كلا منهما يكمل الآخر وقد أفادا من مفهوم الدافع ، وأكدا الدور الذى يقوم به خفض الدافع فى عملية التعلم ، كما ضمنا مفهوم الدافع فى معالجتهما للسلوك فمبدأ اللذة عند فرويد يقابل مبدأ خفض الدافع عندهما. وإيمانا منهما بوجود أرضية مشتركة بين المجالين ، فقد حاولا إعادة صياغة مبادىء التحليل النفسى فى ضوء نظرية التعلم . ويبدو أن الدافع وراء هــذه الجهود التى قاما بها ، كان هو الاعتقاد بأن فى إمكانهما إزالة الكثير من نواحى الغموض التى التصقت بنظرية التحليل النفسى . فإعادة الصياغة التى قاما بها لهذه النظرية لم يكن نابعاً إذن عن رفض أفكار ومبادىء هذه المدرسة بقدر ما كان نتيجة تعاطف قوى مع أفكارها .

وهناك أسس أربعة للتعلم تقوم عليها نظرية دولارد وميللر هى :

١ — الباعث : وهو أى منبه يبلغ من القوة حداً يكفى لدفع الفرد إلى القيام بالنشاط ، أى أنه يثير السلوك ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يوجهه . فالجوع قد يكون من القوة إلى درجة يحرك سلوك البحث عن الطعام والمهم فى نظرهما ليس هو مصدر الاستثارة بل شدة المثير . فكلما قويت شدة المثير كان الدافع أكبر .

ويشار إلى البواعث عموما باعتبارها أولية أو فطرية وترتبط عادة

(1) Dollard. J., & Miller, N. E, Personality and Psychotherapy. New York. Mc Graw-Hill 1650.

بالعمليات الفسيولوجية وغالباما يكون التخفف من إلحاح هذه البواعث المنبهة ضرورياً لحياة الكائن الحي . ومن أمثلة البواعث الأولية الجوع والعطش والجنس . وخلال عملية النمو يكتسب الفرد السوي الكثير من البواعث الثانوية أو المكتسبة التي تؤدي إلى إثارة وتوجيه سلوكه . ويتم اكتساب تلك البواعث المتعلمة على أساس من البواعث الأولية ، وهي تمثل تطوراً لها ، وتعمل ستـــاراً تختفي وراءه وظائف البواعث الفطرية الكامنة (نظريات الشخصية ص ٥٥٣) .

٢ — الدليل Cue : والدليل هو الذي يقوم بتوجيه السلوك أو هو منبه يرشد استجابة الكائن ومثيرات الباعث تهيء الفرد للعمل ، أما الأدلة فتوجه أو تحدد طبيعة الاستجابة بالدقة ، فهي التي تحدد زمان ومكان واتجاه الاستجابة بالإضافة إلى نوعها فالأدلة هي التي تحدد إذن متى سوف يستجيب الفرد ، وأين يستجيب ، وأي الاستجابات سوف يصدرها وقد تختلف الأدلة من حيث النوع أو الشدة . فهناك أدلة بصرية وأخرى سمعية ، وهناك ومضات من الضوء خافتة وأخرى تعمي البصر . وباختصار يمكن القول بأن الأدلة هي صفات المثير المميزة له ، فأي صفة تميز المثير قد تصلح كأساس للدليل .

٣ — الاستجابة : هي ما يتعلمه الفرد وما يمكن قياسه . والاستجابة من العوامل الهامة في التعلم ، ذلك أنه قبل أن ترتبط استجابة معينة بدليل معين ، يجب أن تحدث الاستجابة أولا ومن هنا فإن إصدار الاستجابة المناسبة يعد مرحلة حاسمة في تعلم الكائن الحي وفي أي أي موقف معين سوف تكون هناك استجابات أكثر احتمالا في ظهورها من غيرها . ويمكن تصنيف الاستجابات بالنسبة لإحتمال حدوثها عند ظهور الموقف لأول مرة . ويشار

إلى ذلك بالمدرج الهرمى المبدئى للاستجابات . فإن كان ظهور هذا التنظيم سابقا على أى تعلم.فإنه يشار إليه بأنه مدرج هرمى فطرى للاستجابات . أما بعد أن يؤثر التعلم على سلوك الفرد فى هذا الموقف ، فإن الترتيب المستخرج يطلق عليه المدرج الهرمى الناتج . ويتوقف ميل الاستجابة فى الظهور على مكان هذه الاستجابة فى التنظيم المتدرج أو ما يسمى باسم القـــوة النسبية للعادة .

٤ — التدعيم : ويتحدد مصير الاستجابة التى تحدث ، بما يتبعها من تدعيم أو عدم تدعيم . فالوقائع التى تقوى من الرابطة بين استجابة معينة ودليل خاص من شأنها أن تدعم الاستجابة ، ومن المفروض بوجه عام أن التدعيم لا يحدث إلا حيث يكون هناك خفض مقبول للمثير يتم وقت حـــدوث الاستجابة . والتدعيم يرادف المكافأة reward . ويقول هول ولندزى : « إن وجهة النظر التى تبناها دولارد وميللر تفترض أن المكافأة لا يمكن أن تحدث إلا حين يكون المثير الباعث فعالا ، بالإضافة إلى أن هناك دائما تقليلا أو خفضا للمثير الباعث فى عملية المكافأة . ويتضمن ذلك أنه ما لم تتدخل بعض العوامل الخارجية لزيادة قوة المثير الباعث فإن المكافآت مستحيلة . ويدعم ذلك حقيقة أن الفرد لا يكرر نفس الاستجابات المكافأة إلى ما لا نهاية (نظريات الشخصية ص ٥٥٧) .

وفى معالجتهما لعملية النمو ، تمسك دولارد وميللر أساسا بالمراحل التى افترض فرويد وجودها . وقد أكدا فى تفسيرهما لها المثيرات الشخصية والاستجابات المرتبطة بكل مرحلة . وعلى ذلك ، ففى مناقشتهما للمرحلة الشرجية ،فقد تحدثا فى ضوء عملية التدريب، على الإخراج كموقف مثير يتطلب استجابات توافقية معينة من جانب الطفل . وقد أدركا أيضا أن مثيرات جنسية

الموقف تتضمن ليس فقط جلوس الطفل فى أشكال المخصص لذلك . بل وأيضا الاتجاهات التى ينقلها إليه الآباء فى مثل هذا الموقف ولما كان الإخراج والتدريب على النظافة من بين المواقف الأولى فى حياة الطفل والتى لا تعرف الثقافات المختلفة تهاونا بالنسبة لها ، لذا فهما يعتقدان أن هذا الموقف له أهمية بالغة وتضمنات هامة بالنسبة للنمو فيما بعد . ويوافق دولارد وميلر ـ داخل إطار نظرتهما العامة ـ على توكيد مدرسة التحليل النفسى للأهمية الكبرى للسنوات الأولى من حياة الفرد . فهما يتفقان مع فرويد أن أنماط الاستجابة والاتجاهات الأساسية تتكون خلال هذه الفترة

ويرتبط بأنماط الاستجابة مفهومان لهما أهميتهما فى نظرية دولارد وميلر أحدهما التنظيم المتدرج للاستجابة أو العادة وقد سبق الإشارة إليه والآخر مفهوم التعميم ، والتعميم يحدث عندما نستجيب لموقف ما على نحو ما استجبنا فى موقف سابق مشابه له . ويتوقف مدى هذا التعميم على درجة التشابه بين المواقف . مثال ذلك تعميم الاتجاهات نحو الآباء على أشخاص آخرين يمثلون السلطة ، كالمدرسين .

وتعتبر السنوات الأولى من الحياة ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر سيكولوجية التعلم ، ففى خلال هذه السنوات يضع الطفل التنظيم الهرمى للاستجابات لعديد من المواقف المثيرة ويرى دولارد وميلر مشكلة تعديل السلوك المنحرف باعتبارها مشكلة معالجة أو تداول التنظيم الهرمى للاستجابات وفى ضوء ذلك تكون مشكلة الفرد العصابى هى أن استجاباته العالية فى هذا التنظيم الهرمى استجابات غير ملائمة أو غير مناسبة فالشخص الذى اعتاد أن يستجيب بطريقة اتكالية ويعتمد على الكبار من حوله ، عليه — إذا أراد أن يعدل عن سلوكه ، وأن ينمو نموا سويا ، أن يمر بخبرة إضعاف هذه

الاستجابات غير الملائمة وتقوية الاستجابات الأخرى المناسبة كتلك التى تدعم قدرته على توكيد ذاته واستقلاله .

والعلاج النفسى عند دولارد وميللر — ينظر إليه فى ضوء حاجة الأفراد إلى مراجعة وتعديل التنظيم الهرمى المتدرج للاستجابات . وقد استخدما المصطلح « معضلات التعلم » للإشارة إلى المواقف التى تتطلب هذا النوع من المراجعة . وليس من السهل إحداث مثل هذه التغييرات الهرمية حيث أن بعض أنماط الاستجابة غير الملائمة تؤكد نفسها من ناحية أنها تؤدى إلى خفض مستوى القلق عند الفرد .

والقلق عند دولارد وميللر - كما هو عند فرويد - حالة غير سارة يعمل الفرد على تجنبها . والقلق - إذا نظر إليه فى ضوء نظرية المثير والاستجابة - يعتبر دافعاً مكتسبا أو قابلا للإكتساب . وخفض هذا الدافع يعتبر بمثابة حالة تدعيم ، كما أن الاستجابات المرتبطة بخفض الدافع سوف تميل إلى أن تصبح أقوى . وعلى مستوى الاستجابات الخفية أو اللاشعورية ، نظر دولارد وميللر إلى الميكانزمات الدفاعية باعتبارها استجابات للقلق وأحد هذه الميكانزمات وهو الكبت ، يمكن أن يوصف بأنه استبعاد الدوافع المثيرة للقلق من حصيلة التعبير اللغوى للفرد، أو بعبارات فرويد استبعاد هذه الدوافع من الشعور ، أو تصبح لا شعورية ، أى غير قابلة لأن تترجم إلى ألفاظ وأفكار، أى تنسى نسيانا تاما ما دام الكبت قائما . ولكنها مع ذلك تظل قابلة للاستثارة بطريقة من الطرق الرمزية ، إذا يمكن أن تتخذ الأشياء أو المواقف المختلفة قيما رمزية أخرى غير الرموز اللغوية ، فتشير بذلك إلى الخبرات السابقة عن طريق التشابه أو التضاد أو الاقتران المكانى

والزمان (١) .

وأحد الجوانب الهامة فى نظرية دولارد وميللر هو ما يتصل بالصراع . والصراع - كما هو فى التحليل النفسى - يوصف فى ضوء قدرته على إثارة القلق والبحوث التى قام بها دولارد وميللر وبراون وغيرهم ، قد انتهت إلى وجود العديد من أشكال الصراع فهناك صراع الإقدام - الإقدام وهو الذى ينشأ بين دافعين لكل منهما جاذبية موجبة، ويوجه كل منهما الفرد فى نفس الوقت نحو الاقتراب من هدف معين ، على نحو ما نجده مثلا لدى الطفل الذى تدعوه أمه لتناول طعامه فى الوقت الذى يكون هو فيه مشغولا بالعابه . فكلا الأمرين له جاذبية موجبة ويقرّب الفرد من تحقيق هدف معين مرغوب فيه وهناك صراع الإقدام - الإحجام وهو الذى ينشأ بين دافعين يكون لأحدهما جاذبية موجبة ويكون الآخر جاذبية سالبة . كالصراع الذى ينشأ لدى الفرد بين رغبته فى مشاهدة مباراة كرة قدم ، ولفحة البرد الشديدة التى قد يتعرض لها فى أرض الملعب .

أما الشكل الأخير فهو صراع - الإحجام - الإحجام وهو الذى ينشأ بين دافعين لكل منهما جاذبية سالبة أى يوجه كل منهما الفرد وفى نفس الوقت إلى الابتعاد عن هدف معين وهذا النوع الأخير يثير مستويات عالية جداً من القلق إذ يكون على الفرد أن يختار بين أمرين أحلاهما مر ، كأن يكون على الفرد أن يختار البقاء فوق سطح سفينة تغرق أو أن يقذف بنفسه بين أمواج البحر فى أشد أيام الشتاء برودة .

والنوع الأول من الصراع ليس صراعاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، حيث

(١) د . محمد عماد الدين اسماعيل ، الشخصية والعلاج النفسى . القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ص ٢٠٣ .

أن كلا الهدفين يحقق رغبة الفرد وما أن ينتهى إلى اختيار أحد الهدفين حتى يختفى الصراع . أما الصراع بالمعنى الحقيقى فهو الذى يظهر عندما يدخل الإحجام طرفاً من أطراف الصراع على نحو ما يتجلى فى الشكلين الثانى والثالث .

وأخيراً ، يرى الدكتور عماد الدين إسماعيل فى سياق حديثه عن نقد نظرية المثير والاستجابة ، أن هذه النظرية قدمت مثلا يحتذى فى كيفية معالجة مشكلة تعديل السلوك بناء على الخبرة، وكيفية تشكل السلوك فى صور وأساليب مختلفة بحيث يصبح كل فرد من الأفراد متميزاً عن غيره ، وبحيث يتغير سلوك الفرد الواحد ويتعدل من وقت لآخر . تلك المشكلة التى هى بيت القصيد فى أى نظرية مفيدة فى الشخصية . وهى إلى جانب الدقة العلمية التى عالجت بها موضوع نمو الشخصية ، قد ساعدت بذلك على توحيد اللغة التى يمكن أن يتحدث بها الإنسان فى موضوعات علم النفس عموماً ، أيا كان مجال ذلك الحديث ، كما ساعدت على فتح باب البحث العلمى التجريبى فى ظواهر الشخصية على مصراعيه بعد أن كان ذلك الباب قاصراً على ظواهر السلوك الحيوانى وبعد أن كانت ظواهر الشخصية لا تخضع إلا للتأمل والتفكير الذاتى (١)

ومع اعترافنا بأهمية الدور الذى قامت به نظرية المثير والاستجابة ، إلا أنه لا يزال الوقت مبكرا من أجل الحكم على الدور الذى تقوم به هذه النظرية فى تفسير مشكلات الشخصية والعلاج النفسى . فنظرية المثير-الإستجابة على نحو ما توجد عليه الآن لا تشتمل على كل — أو حتى على الكثير جداً — من الإجابات للمشكلات التى تثار فى دراسة الشخصية . فهى مثلا لم تهتم ببناء الشخصية أو ما يكتسبه الأفراد من أساليب سلوكية ثابتة نسبياً بقدر ما اهتمت

---

(١) نفس المرجع السابق .

بيان القواعد أو الأسس التي يتم تبعاً لها هذا الإكتساب . أى أنها أفاضت في دراسة عملية التعلم، ولم تفعل كذلك بالنسبة لنتائج هذه العملية ، بل لجأت إلى نظرية التحليل النفسي لتجد فيها مصدراً لمادة غزيرة يمكن أن تعتمد عليها في هذه الناحية . ولذلك فان البعض يرى أن نظرية المثير والإستجابة ليست سوى نظرية جزئية . حيث أنها تتناول عملية التعلم ولكن في عزلة في نتائجها وأن المكونات الثابتة نسبياً للشخصية تعد عنصرا جوهرياً في محاولة فهم السلوك الإنساني .

الفصل الثاني والعشرون

نظرية السمات عند جوردون ألبورت

(١٨٩٧ - ١٩٦٧)

من المميزات الهامة التي تتميز بها نظريات الشخصية ، ما تذهب إليه من تفسير وتوكيد ناحية الثبات في السلوك من حيث هو كذلك ويعتقد أصحاب نظريات السمات . أن الوظيفة الأساسية لعالم نفس الشخصية هي عزل ووصف صفات معينة تكمن وراء السلوك الظاهر للفرد وتحديدها ، وبذلك يعطون لسلوك الفرد ثباتاً وإتجاهاً متكاملا . وهذه الصفات هي التي تعرف بالسمات . وهذه السمات قد تكون عامة جداً تؤثر في كل أو معظم سلوك الفرد ، وقد تكون خاصة أو بالغة الخصوصية تؤثر في مواقف معينة أو خاصة من سلوكه

وسوف نعرض نظرية جوردون ألبورت كمثال واضح لنظريات السمات في الشخصية .

نظرية ألبورت في الشخصية :

الشخصية في نظر ألبورت هي « الموضوع الطبيعي » لعلم النفس . وأحد الأحداث البارزة في علم النفس المعاصر هو اكتشاف الشخصية وتوجيه الاهتمام لدراستها . فدراسة الشخصية ووضع النظريات المناسبة لتفسير ديناميتها تعتبر بالنسبة لألبورت إحدى المحاولات الهامة بالنسبة لعلم النفس الحديث .

ويعد ألبورت من كبار المشتغلين بدراسة الشخصية . وقد قدم في كتابه

المشهور « الشخصية : تفسير سيكلوجى (١٩٣٧) عرضاً تاريخياً ممتعاً لكلمة « شخصية » يعتبر مرجعا لمعظم المشتغلين فى هذا المجال وقد أرجع البورت مصدر كلمة شخصية إلى الأصل اليونانى « برسونا » . وقد أفاد من كتابات ششرون فى هذا الصدد حيث أشار إلى وجود معان أربعة لكلمة « برسونا » هى:

(ا) الشخص كما يبدو للآخرين وليس ما هو عليه فى الحقيقة . وهى بهذا المعنى تتصل بالقناع .

(ب) مجموع الصفات الشخصية التى تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة وهى بهذا المعنى تتصل بالممثل .

(حـ) الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة ، سواء كان دوراً مهنيا أو اجتماعيا أو سياسيا .

(د) الصفات التى تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية . وهى بهذا المعنى تشير إلى المركز الذى يحتله الفرد والذى يحقق به الفرد دوره فى الحياة .

ومن هذه المعانى الأربعة لششرون استخلص البورت خمسين تعريفا لكلمة « شخصية » وقد أمكن تصنيفها فى مجالات متعددة :

(ا) ما يتصل بالمصطلح وتاريخه القديم .

(ب) المعانى اللاهوتية . (حـ) المعانى الفلسفية .

(د) المعانى الفقهية . (هـ) المعانى الاجتماعية .

(و) المظهر الخارجى . (ز) المعانى النفسية .

وقد قدم البورت تعريفه النفسى للشخصية على النحو التالى : الشخصية هى ذلك التنظيم الديناى الذى يكمن بداخل الفرد ، والذى ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التى تملى على الفرد طابعه الخاص فى التكيف مع بيئته

(الشخصية تفسير سيكولوجى ١٩٣٧) . وقد أدخل على هذا التعريف تعديلا طفيفا فى كتابه الأخير عن الشخصية (نمط ونمو الشخصية ١٩٦١) بقوله « .... التى تملى على الفرد طابعه الخاص فى التكيف مع السلوك والتفكير المميز (ص ٢٨) . وقد سبق لنا فى معالجتنا لتعريف الشخصية أن أوضحنا المعانى التى تتضمنها فقرات هذا التعريف .

وقد أخذ البورت — كغيره من الباحثين فى نظريات الشخصية — يوسع من مفاهيمه عن الشخصية الإنسانية . وعالج موضوع الشخصية أساسا فى أربعة من كتبه[1] هى : الشخصية : تفسير سيكولوجى (١٩٣٧) ، الصيرورة : اعتبارات أساسية فى سيكولوجية الشخصية (١٩٥٥) وقد ترجم إلى العربية بعنوان نمو الشخصية (ترجمة د جابر عبد الحميد ومحمد مصطفى الشعبينى) ، الشخصية والمحيط الاجتماعى (١٩٦٠) ونمط ونمو الشخصية (١٩٦١) . ولم تقتصر مؤلفات البورت على هذا المجال . فمؤلفاته متنوعة وعديدة منها دراسات فى الحركة التعبيرية (١٩٣٣ بالاشتراك مع ف . ا . فرنون) ، واستخدام الوثائق الشخصية فى العلم السيكولوجى (١٩٤٢) ، وسيكولوجية الإشاعة (١٩٤٧ بالاشتراك مع ل . بوستمان) وطبيعة التعصب . هذا وقد اشترك جوردون البورت مع أخيه فلويد البورت فى وضع اختبار السيطرة — الخضوع (١٩٢٨) A-S Reaction Study كما اشترك مع فيرنون فى دراسة

---

(1) Alport, G.W., Personality : A Psychological Interpration. New York, Holt, Rinehart and Winston 1937.
————, Becoming : Basic Cousiderations for a Psychology of Personality. New Haven, Conn. Yale Uuiver. Press 1955.
————, Pesonality and Social Encounter, Boston, Beacon Press 1960.
————, Pattern and Grouth in Personality. New York., Holt, Rinehart and Winston 1961.

القيم (١٩٣١) والذى أعيد طبعه وتنقيحه عام ١٩٥١ بالاشتراك مع فرنون و ج ليندزى) .

ويعتبر كتابه الأخير فى الشخصيه (نمط ونمو الشخصية) ١٩٦١ بمثابة إعادة صياغة كاملة لأفكاره السابقة التى عرضها فى كتبه الثلاثة الأخرى الخاصة بدراسة الشخصية . فتعريف الشخصية الذى وضعه البورت فى كتابه الأول ١٩٢٧ . لا يزال صالحا للإستعمال ومفيداً ، وإن أدخل عليه تعديلا طفيفا فحسب .

وسوف نعرض فيما يلى ، أهم المبادىء التى تقوم عليها نظرية البورت فى الشخصية :

أولا . العمومية والفردية :

لعل أحد الجوانب الهامة التى برزت فى كتابات البورت الأخيرة رغبته القوية فى أن يتخذ موقفا وسطا بين أنصار العمومية وأنصار الفردية فى الشخصية(١) ومع ذلك ، فإنه أميل إلى النظرة الفردية للشخصية ولقد بدأ البورت كتابه الأخير « نمط ونمو الشخصية » بمقارنة عبارتين توضحان موقفه إلى حد كبير . العبارة الأولى تتمثل فى قولنا . أية شخصية ممتعة يتمتع بها البيرء والعبارة الثانية تتمثل فى قولنا« أى شيء ممتع تكون الشخصية » . العبارة الأولى تستبعد أى فرد آخر غير الشخص المعنى بالذات ، ولا توجه الانتباه إلا إلى نمط سيكولوجى فريد يتميز به هذا الشخص كفرد . أما العبارة الثانية فإنها تتضمن شخصية أى فرد فى هذا الوجود إن العبارة الأولى تشير إلى شخصية فردة ، أى إلى شخص واحد بالذات ، بينما تشير الثانية إلى "الشخصية بوجه عام ونحن إذا أردنا دراسة الشخصية فى عموميتها ، وجب أن ننقل اهتمامنا من الخاص

(١) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب .

إلى العام ، من الشخص المحسوس إلى الشخص المجرد والعكس . وهذا الإنتقال من الخاص إلى العام ، ومن العام إلى الخاص يفيد الباحث فى الشخصية . فما نعرفه عن الفرد يساعدنا فى معرفة الإنسان عامة وما نعرفه عن الإنسان عامة ، يساعدنا على تفهم فرد معين بالذات .

ومع ذلك ، يحدد البورت موقفه من العمومية والفردية هذه صراحة بقوله « وإذا كان هدفنا هو الكشف عن المبادىء العامة لنمو الشخصية وتنظيمها وتعبيراتها ، فإن الخاصية الجوهرية للإنسان هى فرديته . فهو مخلوق فريد لقوى الطبيعة ومن المستحيل أن تجد شخصين متشابهين تمام التشابه أو أن يتكرر الفرد نفسه مرتين . تذكر دائما فى هذا الصدد بصمات الأصابع . فهى نموذج فريد فى نوعه ولا يمكن أن توجد بصمتان متشابهتان » .

وموقف البورت فى أنه لا يوجد شخصان لهما نفس مجموعة السمات ، يشبه موقف الفيلسوف الإغريقى القديم هرقليطس الذى قال : إنك لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فإن مياها جديدة تجرى دائما من حولك . فرغم أن شاطىء النهر وقاعه والمنطقة المحيطة به ، قد تكون متشابهة جدا فى كل مرة ، إلا أن النهر فى المرة الثانية يختلف عنه فى المرة الأولى . وهذا ما عبر عنه هرقليطس بقوله إن مياها جديدة تجرى دائما من حولك . والأمر بالمثل بالنسبة للأفراد . فرغم ما قد يحيط بهم من أشياء متماثلة ، فإن كل فرد منهم يختلف عن الآخر اختلافا كبيراً .

وقد استخدم البورت استخداما واسعا المصطلحين « الدراسة الفردية Idiographic والدراسة الجمعية Nomothetic . وقد استعار هذين المصطلحين من كتابات وندلباند Windleband الذى كان أول من استخدمهما سنة ١٩٠٤ . وقد رحب البورت باستخدام المصطلح « الدراسة الفردية أو إيديوجرافى » ،

لوصف شخصية الإنسان . فهى تعنى « ذات الفرد » أو دراسة الفرد ، بينما تعنى الدراسة الجمعية البحث عن القوانين العامة .

ويعتقد البورت بوجود تشابهات بين الشخصيات المختلفة . ولكنه يرد هذه التشابهات إلى أثر الثقافة ومراحل النمو المختلفة والظروف الجوية المحيطة وغير ذلك من العوامل . ورغم ذلك ، فإن هذه التشابهات هى مجرد نواحى تقريبية وليست بمثابة قانون عام للجنس البشرى . إن الفردية هى الأساس فى نظره . وفرديه كل كائن حى إنسانى هى حجر الزاوية فى الإطار النظرى للشخصية عند البورت .

وفى ضوء ذلك ينتقد البورت بشدة الدراسات ذات الطبيعة الجمعية الكلية ، وبخاصة التحليل العاملى الذى يحاول استخلاص خصائص معينة لشخصية الإنسان من نتائج هذه الدراسات العاملية . فالفرد فى اللحظة التى يصبح فيها رقماً أو عدداً داخل مصفوفة معاملات الارتباط ، لم يعد فرداً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وضاعت معالم شخصيته . وقد وجه الكثير من النقد إلى أصحاب هذا الإتجاه العاملى الذين — فى نظره — لا يمكنهم أن يستخرجوا من مادتهم الإحصائية شيئاً أكثر مما هو موجود فى مصفوفة معاملات الارتباط .

ويذهب البورت أيضاً إلى القول بأن « جميع العلوم — بما فيها علم النفس — تميل إلى إغفال هذه الحقيقة الجوهرية وهى الفردية . ومع ذلك ، فنحن لا يمكننا إغفالها فى حياتنا اليومية . فالفردية هى العلامة المميزة للطبيعة الإنسانية . فنحن فى حياتنا اليومية نتعامل مع أناس كأفراد مستقلين متميزين كما نعلم أنهم يولدون ويموتون فى أوقات محددة ، وأن كل فرد منهم خلال دورة حياته يكشف عن أنماط جسمية وعقلية خاصة . وعلى ضوء فرديته ووراثته الخاصة وبيئته ، لا يمكن أن يتشابه أثنان تمام التشابه ، بل يكون لكل منهم فردية مميزة (البورت ، نمط ونمو الشخصية ١٩٦١) .

هذا الموقف الصلب الذى اتخذه البورت ونظرته الإنسان باعتباره فرداً متميزاً عن غيره من الأفراد، واتجاهه الواضح نحو ضرورة دراسة الفردية كأساس، قد بدأ يجذب إليه أنظار الكثيرين من علماء النفس فى الوقت الحاضر مما زاد موقفه قوة مع مرور الزمن .

ثانياً : مبدأ الدافعية :

ومشكلات الدوافع من المشكلات الهامة فى دراسة الشخصية ، بل إن البورت يذهب إلى أن ليس ثمة مشكلة فى علم النفس هى أكثر تشابكا وتعقيداً من مشكلة الدافعية . كما يذهب أيضاً إلى أن نظريات الدوافع — بما فيها نظريته — ناقصة فجميع نظريات الدوافع تعجز عن أن تمدنا بتفسير كامل (الشخصية والمحيط الاجتماعى (١٩٦٠) ، كما أكد هذا المعنى أيضاً فى كتابه نمط ونمو الشخصية ١٩٦١ فى قوله إن مشكلة الدافعية مشكلة رئيسية للدراسة السيكولوجية للشخصية .

ومن الواضح أن التغير الملحوظ فى نمو الفرد من الطفولة إلى المراهقة والشباب يتبعه بالضرورة نمو فى شخصيته ، كما يتضمن أيضاً تغيراً فى دوافعه . فطفل الثانية كائن حى غير اجتماعى ، كثير المطالب، لا يعرف تأجيلا أو تأخيراً أو إعاقة لدوافعه وحاجاته . وكل ما يهمه هو إشباع حاجته إلى الطعام والراحة وإشباع دوافعه الجسمية وحاجته إلى النشاط واللعب . وهو لا يهمه راحة الآخرين أو أن يتوافق سلوكه وسلوكهم . فالغير يجب أن يتخلى عن مطالبه من أجل إشباع مطالب الطفل ولو أن البالغ سلك مثل هذا السلوك الذى يسلكه طفل الثانية ، وما يتمركز به حول الذات ، لاعتبر سيكوباتيا . ذلك أن دوافع البالغ الناضج تتميز بأنها أكثر ضبطا واتصالا بالمجتمع ، وأنها أكثر تكاملا كما يدخل فى اعتباره نظرة الآخرين .

ورغم اختلاف دوافع الطفل ودوافع البالغ ، إلا أن عدداً كبيراً من النظريات الهامة فى تفسير دوافع السلوك البشرى ، تذهب إلى القول بأن دوافع السلوك البشرى واحدة فى أساسها من الولادة حتى الوفاة . فنفس الحوافز والحاجات والغرائز هى التى تسيرنا من المهد إلى اللحد .

وقد عرض البورت لنوعين من نظريات الدوافع : تلك التى تقول بوجود دوافع ثابتة غير متغيرة لدى جميع الأفراد ، وتلك التى تسمح بتقديم مبادىء إضافية تلقى الضوء على تنوع السلوك البشرى من الطفل إلى البالغ ، وتنوع دوافع السلوك عند الكبار وقد عرض البورت هذه النظريات بشكل يسمح له بوضع الأسس أو المتطلبات التى يجب توافرها لإقامة نظرية دافعية سليمة لتفسير الشخصية وفى ضوء هذه المتطلبات يقدم البورت نظريته .

وسوف نعرض باختصار لنظريات دوافع السلوك التى مهد بها البورت لنظريته

١ — اللذة والألم :

وقد ذهب الفلاسفة منذ وقت بعيد إلى محاولة الكشف عن بواعث السلوك وذهب بعضهم إلى القول بأن اللذة والألم هما السيدان اللذان يتحكمان فى سلوكنا على نحو ما يذهب جيرمى بنتام . وقد وجد هذا القول تأييداً كبيراً منذ أيام الأغريق القدامى حتى اليوم فالناس جميعهم تحركهم اللذة . وقد عبر أبيقور عن هذا المذهب بقوله إن الهدف الأسمى للإنسان هو تجنب الألم . وقد سار بعض المحدثين من علماء النفس فى اتجاه المدرسة الأبيقورية . فذهبوا إلى أن الهدف من السلوك هو خفض حدة التوتر أو تجنب الألم .

ويرى البورت أن مذهب البحث عن اللذة وتجنب الألم له جاذبية واضحة . فالطفل يبحث عن اللذة ويتجنب الألم . والبالغ كذلك . وكل إنسان يبحث

عن السعادة فى الحياة . ولكن ثمة صعوبات تواجه الأخذ بفكرة السعادة هذه كدافع . ذلك أن الفرد لا يمكنه الإتجاه مباشرة نحو بلوغ السعادة أو اللذة . فهى ليست دافعاً محسوساً . فهل السعادة هى فى حصول الفرد على درجة علمية كبيرة ، أو على زوجة جميلة أو كسب حياته بنجاح . إنه سوف يكون سعيداً ، ولكن هذه الأعمال المحسوسة هى أهداف ملموسة . والسعادة نتاج جانبى لألوان أخرى من النشاط الهادف . والفرد الذى يهدف إلى السعادة لا يهدف إلى شىء على الإطلاق .

ولكن رغم أوجه النقد هذه ، إلا أن هناك علاقة إيجابية معينة بين اللذة والدافع . حقيقة إن الشعور أو الإحساس السار يصحب عادة إشباع دافع الطعام أو الشراب أو النوم أو النشاط أو الإخراج أو النشاط الجنسى ، وحقيقة إن معظم سلوك الطفل يهدف إلى اللذة ، وكذلك بعض ألوان سلوك الشاب ، وحقيقة أن اللذة والألم هى بمثابة علامات الطبيعة وإشاراتها لنا ، بأن دوافعنا قد أشبعت أو أعيقت . ولكن مع تقدم النمو ، فإن علامات الطبيعة هذه تصبح أقل ثباتاً . فكثير مما قد يكون مصدر لذة للبالغ ، قد لا يتسق والمبادىء الأساسية فى حياته.

٣ — نظريات الغرائز :

وقد لعبت نظريات الغرائز دوراً كبيراً فى تفسير دوافع السلوك البشرى . وكان تأثيرها كبيراً على كثير من الباحثين فى هذا المجال . ومن السهل رد مظاهر السلوك إلى دوافع نظرية عامة توجد لدى جميع أفراد النوع . ومن ثم ظهرت العديد من نظريات الغرائز التى يمكن المصادرة على وجودها وفق سلوك الفرد . فالمربى قد يفسر سلوك الطفل وحبه للإستطلاع ، برده إلى غريزة حب الإستطلاع أو الحل والتركيب أو التدمير والهدم . وقد يخترع الكثير

من الغرائز حسب نوع السلوك الذى يقوم به الفرد . وقد أورد ل ل. برنارد فى كتابه « الغريزة : دراسة فى علم النفس الاجتماعى (١٩٢٤) » ، مايقرب من ١٤,٠٠٠ غريزة فى مجالى علم النفس والعلوم الإجتماعية .

ولكن مكدوجل يعتبر الممثل لنظرية الغرائز أو النظرية الغرضية فى العصر الحديث . وقد بنى مكدوجل دراسته على ملاحظة سلوك الحيوان والإنسان على حد سواء . وقال بوجود عدد محدود من الغرائز جعلها بمثابة المحرك الدينامى للسلوك . وقد قال مكدوجل بوجود ١٤ غريزة (ثم أضاف إليها بعد ذلك ٤ غرائز أخرى) وجعل لكل غريزة إنفعال خاص بها وهذا الإنفعال هو الجانب الثابت فى الغريزة والذى لا يقبل التعديل ، على الأقل من حيث النوع . فغريزة الوالدية إنفعالها الحنو ، وغريزة الهرب إنفعالها الخوف وغريزة المقاتلة إنفعالها الغضب والغريزة الجنسية إنفعالها الشهوة الجنسية .. وحين ترتبط الأشياء العادية بالغرائز وتتركز الإنفعالات حول موضوعات معينة تتكون العاطفة . ومن انتظام هذه العواطف تتكون العاطفة السائدة والشخصية . فنظرية الغرائز عند مكدوجل تقدم لنا فى نفس الوقت تفسيرا للدافعية والشخصية .

ولقد عصف النقد بنظرية مكدوجل من كل جانب ، فالبعض يعتبر الغرائز بمثابة قوالب جامدة ثابتة كتلك التى نلاحظها عند الحشرات والطيور والأسماك كما اعترض البعض الآخر عليها على أساس أن النفس وحدة متكاملة وأن نظرية الغرائز تقسمها إلى أقسام منعزلة . وكأن الغرائز ملكات مستقلة فى النفس ، كل ملكة منها تقوم بذاتها . وهذا التقسيم للنفس الإنسانية إلى ملكات قد أصبح غير مقبول لدى علماء النفس اليوم . كما ينقدها علماء النفس الأمريكان على أساس أنها تجعل من السلوك الإنسانى تبعية حتمية للشروط التى تثير الغريزة

فهى تجعل من الإنسان أشبه بالآلة التى تسيرها هذه الوحدات المستقلة التى سميت بالغرائز .

وثمة نظرية أخرى تندرج تحت نظريات الغرائز ، وإن اختلفت عنها فى نظرتها وتفسيرها للشخصية وديناميات السلوك . وهى نظرية فرويد لقد قسم فرويد النفس إلى نواحيها الثلاثة : الهو والأنا والأنا الأعلى . وقد حظى الهو بنصيب وافر من الأهمية فى تفسير دوافع السلوك ويذهب فرويد إلى أن تركيب الهو ثابت لا يتغير . فالهو يتكون من النزعات الغريزية التى نولد مزودين بها ، يضاف إليها الخبرات المؤلمة المكبوتة . وقد قال فرويد بوجود غريزتين يمكن بواسطتهما تفسير كل ألوان السلوك البشرى والشخصية وهما غريزة الحياة أو الجنس وغريزة الموت أو العدوان . الأولى تفسر كل مظاهر البناء والتكوين والإنشاء ، والثانية تفسر كل مظاهر الهدم والتخريب والقتال .

والسؤال الذى يوجه إلى فرويد — كما يوجه إلى أصحاب النظريات السابقة هو أنه إذا كانت الغرائز ثابتة غير متغيرة ، فكيف يمكن تفسير الاختلافات الواضحة بين الطفل والراشد . لقد لجأ فرويد فى تفسير ذلك إلى عمليتى الإبدال والإعلاء . « إن مصدر الغريزة وهدفها عند فرويد يظلان ثابتين طوال الحياة . ولكن يحدث أن يتباين الموضوع أو الوسيلة التى يحاول بها الشخص إشباع الحاجة تباينا ملموسا خلال حياته . وسبب هذا التباين يكمن فى قابلية الطاقة النفسية للإزاحة . فمن الممكن صرفها — أى الطاقة — بطرق مختلفة . ونتيجة ذلك ، أنه عندما يتعذر الحصول على موضوع ما ، سواء كان ذلك لغيابه أو لوجود عوائق داخل الشخص نفسه ، فإن الطاقة يمكن استثمارها فى

موضوع آخر . فإذا ما ثبت استحالة الوصول إلى هذا الموضوع هو الآخر ، فمن الممكن حدوث إزاحة أخرى وهكذا .

وبالإضافة إلى عمليـــة الإزاحة أو الإبدال يذهب فرويد إلى القول بوجود عملية أخرى هي عملية الإعلاء ، حيث يبحث الفرد عن موضوعات جديدة أكثر تقبلا من المجتمع تحل محل الموضوعات الغريزية الأولية .

وعن طريق عمليتي الإبدال والإعلاء ذهب فرويد إلى تفسير الاختلافات الواضحة بين سلوك الطفل وسلوك الراشد .

ويذهب البورت إلى أن هذه النظريات السابقة جميعها تتفق في أن جميع دوافع السلوك البشرى واحدة عند جميع الناس ، وأنها فطرية ، وأنها يمكن أن ترتبط بموضوعات متعددة . وباختصار فإنها جميعاً تتفق في أن دوافع السلوك الجذرية واحدة عند الجميع .

ويبدو هذا المنطق — في نظر البورت — غير سليم من ناحية تفسير الفروق النوعية الموجودة بين الطفل والبالغ ، مثل ظهور دوافع اجتماعية ، كدوافع تحمل المسئولية وغيرها ، وكذلك من ناحية تفسير التنوع فى دوافع سلوك البالغين والتى تبدو فريدة فى شخصية كل فرد .

وبالإضافة إلى نظريات الغرائز ، عرض البورت إلى نظريتين أخريين هما نظرية الحاجات ونظرية الحوافز . ونظرية الحاجات تفضل العمل بقائمة محددة من الدوافع الإنسانية الأساسية وهى على حذر فى القول بفطرية الدوافع فليس المهم أن تكون هذه الحاجات غريزية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وإنما المهم أنها دوافع أساسية وعامة . وأصحاب هذه النظريات لا يهمهم أن تسمى باسم الحاجات أو الرغبات أو الدفعات الفطرية ergs . وإن كان لفظ الحاجات هو أكثرها شيوعا واستعمالا .

وميزة هذا النوع من النظريات هو أن يتخلص من النقاش الذى يدور حول فطرية هذه الدوافع أو اكتسابها ، كما أنه يسمح للتعلم أن يقوم بدور ما ، كما أنه يسمح بدراسة دافع واحد أو مجموعة من الدوافع ، كما تسمح بنمو الحاجات إلى عواطف على نحو ما وجدنا عند مكدوجل ولكن رغم تنوع الموضوعات التى يرغب فيها الناس واختلافها من شخص إلى آخر ، إلا أن الأنواع الأساسية للرغبة فى نظر هذا البعض ثابتة لا تتغير . فالناس يرغبون فى أشياء كثيرة مختلفة ، ولكن دوافع أو أسباب تفسير ذلك قليلة . فنظرية الحاجات — كنظرية الغرائز — تبدو له أنها نظرية مجردة إلى حد بعيد ولا تفسر الدافعية الموجودة فى الفرد .

والأمر بالمثل بالنسبة لنظرية الحوافز . فالحوافز موجودة فى الفرد من الميلاد حتى الوفاة ، كما أنها تكمن وراء كل أنواع التعلم التى نكتسبها فى حياتنا المبكرة ورغم أن نظرية الحوافز تستدعى القول بنظرية التعلم ، إلا أن الحوافز ذاتها هى التى تعتبر بمثابة الطاقات الأساسية المحركة والدافعة للسلوك وبذلك يمكن النظر إلى هذا النوع من تفكير السلوكيين ، أعنى نظرية المثير والاستجابة — تحت قائمة الدوافع الثابتة غير المتغيرة .

ولقد وجه البورت النقد إلى هذا النوع من النظريات السابقة على أساس أنها ليست من المرونة والتغير بحيث تسمح بتفسير التنوع الواسع فى دوافع سلوك الكبار . والجدير بالإشارة ما ذهب البورت فى نقده لنظريات الدافعية فى علم النفس المعاصر ، من أن قدراً كبيراً منها يستخدم مصطلحات تبدأ بالبادئة re مثل reaction, regression, response, reward, reinforcement . ومثل هذه المصطلحات تشير إلى أن معظم النظريات

السائدة فى علم النفس المعاصر هى من النوع المستقبل الإستجابى ، وليس فيها ما يشير إلى وجود نشاط موجه نحو المستقبل فنادراً ما تظهر بين مصطلحات علم النفس . مصطلحات تبدأ بالبادئة « pro » . فيما تطرق أسماعنا بكثرة مصطلحات النكوص والرجوع إلى الوراء regression ، فقلما ما يقابلنا ما يشير إلى الاتجاه نحو المستقبل أو إلى التقدم progression ، وبينما يكثر حديثنا عن الـ reactive فنادراً ما نسمع كلمة proactive . ولكن أهم أوجه النقد التى وجهها البورت إلى هذه النظريات هو عجزها عن تفسير التحولات الواسعة والتنوع الكبير فى دوافع السلوك خلال انتقال الفرد من الطفولة إلى الرشد ، وكذلك التنوع الكبير فى سلوك الكبار أنفسهم .

غير أن بعض النظريات الحديثة تميل إلى القول بمبدأ إضافى دون الوقوف عند حد هذه النظريات التى تقول بدوافع ثابتة غير متغيرة فهناك النظريات التى ترجع دوافع السلوك إلى الميل إلى الاستكشاف وتحقيق الذات واستقلال الذات .

فكثير من ألوان النشاط التى نقوم بها فى حياتنا اليومية ، لا يتصل اتصالا مباشراً بإشباع حوافزنا الأولية ، وإنما يتصل بأنشطة تهدف إلى إستكشاف البيئة والتوافق معها . ولعب الطفل — الذى يستغرق عليه كل نشاطه — مثال طيب يوضح ما نقصده ففى عندما تكون الحوافز الأولية قوية إلى حد ما، فإن الطفل يستمر مع ذلك فى اللعب ، ولا يكف عن اللعب إلا إذا بلغ به الجوع مثلا مبلغاً ، يتوقف عنده نشاطه عن اللعب مؤقتا من أجل إشباع حوافزه الملحة ، ثم يعود بعد ذلك إلى اللعب . والأمر بالمثل بالنسبة لناحية تحقيق الذات فقد ذهب وجولدشتين إلى القول بأن جميع دوافع السلوك البشرى أيا كان

نوعها تشارك فى تحقيق الذات فتحقيق الذات يعتبر فى نظره هو الدوافع الوحيد لجميع الناس . وأهمية فكرة تحقيق الذات أنها تشير إلى الفردية النهائية للدافعية . فكل شخصية تختلف عن جميع الشخصيات الأخرى ، كما أنها تهدف إلى الاحتفاظ بتكاملها وتحقق وجودها وهدفها بطريقتها الخاصة. كما أن قيمتها ترجع إلى أن من الممكن أن نرى فيها ما هو أكثر من الضغوط والحوافز والحاجات ؛ فهى تتضمن فوق هذا كله مجالا أوسع من « النمو المتحرر من الصراع وتحقيق الذات » . وفكرة تحقيق الذات لا شك أنها تتجه نحو المستقبل ، على حين يتجه غيرها من الأفكار نحو الماضى أو نحو الحاضر المباشر .

أما بالنسبة للاستقلال الذاتى للأنا ، فقد ذهب الفرويديون المحدثون إلى أن منطقة الشعور الذاتى فى الشخصية ، ليست خاضعة تماما لدوافع الهو أو ضغوط البيئة . فهناك وظائف الأنا للتحرر من الصراع . فنحن نحيا حياتنا — على الأقل فى ناحية منها — تبعا لميولنا واهتماماتنا الشعورية وقيمنا وأفكارنا ومقاصدنا ، كما أن دوافعنا مستقلة على الأقل نسبيا عن الضغوط الصادرة عن الحوافز وعن الغرائز والمواقف البيئية المحيطة . والقول بوجود وظائف للأنا للتحرر من الصراع ، تقلب فكرة فرويد رأسا على عقب . والتصريح بها معناه أن جزءاً كبيراً من حياتنا نعيشه ونحياه على أساس مجموعة من القيم والأهداف الناضجة والمقاصد ، وليس على أساس الدفاع الناتج عن الصراع ضد القوى الغريزية الفطريه الأولية .

ويذهب البورت إلى القول بأن عزو قوة دينامية إلى الوظائف العقلية يعتبر خطوة بالغة الأهمية إلى الأمام . فهى تعنى أن الأهداف الإنسانية ليست محدودة أو قاصرة على قائمة محددة من الحوافز أو الغرائز الثابتة ، بل يمكن أن تتغير مع الزمن ومع تغير الظروف .

وقد تحدث «هارتمان» عن أجهزة ذات استقلال وظيفي ثانوى أى مشتقة وليست أولية. فمع تسليمه بأن الأنا تخدم الدوافع الغريزية على نحو ما يذهب فرويد، إلا أنه من خلال نمو نواحى نشاطها الوسيلي ونواحى اهتماماتها، فإنها تبتعد عن مصادرها الغريزية. فما يكون يوما ما وظيفة تقوم به الأنا، أو ما يكون يوما ما دفاعاً عن الذات، قد يطرأ عليه بعد ذلك تغير فى الوظيفة، وبعبارة أخرى إن ما كان يوما ما وسيلة لغاية، قد يصبح بعد ذلك غاية فى ذاته.

وفى ضوء نقده لهذه النظريات العديدة التى وضعت لتفسير دافع السلوك البشرى، شرع البورت فى بناء نظريته الدافعية وقد بدأ بيان المتطلبات الرئيسية لأية نظرية صحيحة فى الدافعية وقد حدد البورت متطلبات أربعة هى:

١ — أن تعترف بالطبيعة الحاضرة الراهنة للدوافع. فكل ما يدفع السلوك، إنما يدفعه الآن. ومن هنا، فإن أية نظرية دافعية يجب أن تنظر إلى الحالة الراهنة للكائن الحى وليس للماضى أهمية، إلا من حيث وجود نشاطه الدينامى فى الوقت الحاضر. أى أن الدوافع الماضية لا تفسر شيئا، ما لم تكن هى أيضا دوافع قائمة فى الوقت الحاضر.

٢ — أن تكون من النوع الذى يسمح بالقول بوجود دوافع من أنواع مختلفة متعددة فالنظريات التى تذهب إلى القول بنمط واحد كالحوافز أو البحث عن اللذة أو الرجوع إلى اللاشعور أو البحث عن القوة أو تحقيق الذات، إنما هى تمس جانباً واحداً فقط من الحقيقة. وكل ما يمكن قوله بالنسبة لألبورت، هو أن دوافع الإنسان تتضمن كل ما يمكنه عمله (شعوريا ولا شعورياً، منعكسا أو إرادياً).

٣ — يجب أن تكون من النوع الذى يسمح بعزو قوى دينامية للعمليات المعرفية — كالتفكير والقصد . فالنظريات القديمة التى فسرت الدوافع بالغرائز (مكدوجل) ،أو الطاقات الغريزية للهو (فرويد) ،أو الصراع من أجل الحياة (دارون) أو الإرادة العمياء (شوبنهور) قد أضعفت من دور العقل وجعلت الوظائف العقلية المعرفية مجرد خدم لغيرها من الوظائف . ولكن ظهرت اتجاهات جديدة ردت إلى الوظائف المعرفية أهميتها . فنذ أكثر من ٤٠ سنة اقترح « جراهام ولاس » إضافة غريزة أخرى إلى غرائز مكدوجل سماها « غريزة التفكير » . كما أضافت مدرسة الجستلت إلى العمليات المعرفية قوة دينامية . أما البورت فإنه لا يميل إلى الفصل فصلا تاماً بين الدوافع المعرفية وتلك التى يطلق عليها نزوعية أو وجدانية . فالناس يحاولون القيام ببعض الأعمال التى تشارك فيها النزعات والأفكار وتتعاون معا فى آدائها . وبدلا من النظر إلى العلاقة بينهما كالعلاقة بين سيد ومسود ، فإن الرغبة والعقل يمتزجان معا فى دافع واحد يسميه البورت باسم « القصد » .

٤ — يجب أن تسمح بالقول بوحدة عيانيه محسوسة للدوافع . فكما نقبل الدوافع فى صورتها المجردة النظرية على نحو ما تتضح فى النظريات المختلفة للدوافع ، يجب أن نقبل أيضا وجود الدوافع المحسوسة ، وتنظر اليها فى صورتها العيانية . وقد أشار البورت إلى ذلك فى تمييزه بين الدوافع العيانية والدوافع المجردة ببعض الأمثلة منها قولنا إن مارى لديها رغبة ملحة فى أن تصبح مربية محترفة (صورة عيانية للدافع) ،وقولنا أنها تقوم بعملية تفريغ لرغبة جنسية مكبوتة (صورة مجردة حسب تفسير فرويد)، أو قولنا إن إن فلانا يرغب فى أن يكون رئيساً للنادى (صورة عيانية للدافع) وقولنا إن الرغبة فى السيطرة هى الدافع لديه (صورة مجردة) .

ثالثا ـ مبدأ الاستقلال الوظيفي : Functional Autonomy

ولا يمكن أن نعرض للدافعية عند البورت دون أن نوجه اهتماما خاصا لقانونه الذى وضعه والذى عرف باسم « الاستقلال الوظيفى ». وقد حظى هذا المبدأ باهتمام كثير من الباحثين . وقد انتقده الكثيرون ، كما كان موضع مناقشة وبحث المشتغلين بدراسة الشخصية ومن هنا أصبح مرتبطا باسم البورت كباحث نظرى فى الشخصية .

ويذهب البورت إلى « أن قانونه هذا يسمح بالقول بالوحدة العيانية المحسوسة للدوافع ، كما يسمح أيضا بالقول بالمعايير أو المتطلبات الأخرى التى يجب أن تتوافر فى أية نظرية سليمة للدوافع ، كما أنه يفيد من ناحية أخرى هى التخلص من المشكلات التى تثيرها النظريات الجامده والمجردة والتى توجه نظرها دائما إلى الماضى . هذا بالإضافة إلى أنه يتوافر له الصفة العيانية التلقائية المتغيرة والنظرة إلى المستقبل والاهتمام بالقصد على نحو ما يتضح فى كثير من دوافع الكبار »

وتصور البورت لقانون الاستقلال الوظيفى يمكن توضيحه بقولنا إنه صوره مختصرة تمثل « السير » الراهن للميول والنزعات التى تبعث السلوك وتدعمه . والاستقلال الوظيفى على نحو ما يعرف عادة هو نزعة قوية لنمو نظام دافعى ما ، يصبح مستقلا لدرجة بعيدة عن الحافز الأول الذى أحدثه فى البداية . وعلى ذلك ، فنشاط ما قد يصبح غاية أو هدفا فى ذاته ، بعد أن كان وسيلة لغاية فالإنسان الآن يقوم بالنشاط حباً فى النشاط ذاته وليس كوسيلة لغاية فالصلة التى تربط النشاط الحالى ببواعثه القديمة ليست أكثر من الصلة التى تربط الشجرة الكبيرة بالبذرة . حقيقة إن حياة الشجرة متصلة بحياة البذرة ، ولكن البذره لم تعد تغذى أو تدعم الشجرة النامية التى اكتمل نموها الآن

وقد حدد البورت الصفات التى ينظر بها قانون الاستقلال الوظيفى إلى دوافع الكبار فهى :

(ا) دوافع متغيرة (ب) تؤكد ذاتها بذاتها .

(حـ) نظم راهنة قائمة .

(د) تنمو وتصدر عن نظم سابقة ولكنها تصبح الآن مستقلة وظيفياً عنها .

إنها تشبه تماما ذلك الطفل الصغير الذى ينمو ر تدريجيا معتمداً على والديه ، ولكنه يصبح بالتدريج مستقلا وظيفياً عنهما ومحدداً لذاته . فمع نمو الفرد ونضجه تنفصم الرابطة مع الماضى إنها رابطة تاريخية ولكنها ليست رابطة وظيفية .

ولقد قدم البورت العديد من الأمثلة لتوضيح فكرته : البحار الذى يحن إلى البحر بعد أن يكون قد هجره من وقت طويل ، والموسيقى الذى يحن إلى آلته الموسيقية بعد انقطاع عن العزف عليها لفترة طويلة . إن البحار ربما قد يكون بدأ صلته بالبحر من أجل كسب العيش ، وكان البحر فى هذه الحالة بمثابة التدعيم الثانوى لحافز الجوع ، ولكنه ربما أصبح الآن من الأغنياء الذين ليسوا فى حاجة إلى العمل لكسب العيش . ومع ذلك ، نجده يحن حنيناً واضحاً للبحر ، فالدافع الرئيسى قد زال وانتهى . ومع ذلك لا يزال هناك الحنين المتزايد إلى البحر . وبعبارة أخرى كما يقول البورت إن الدافع الذى كان وسيلة لغاية أصبح الآن غاية فى ذاته .

وبالمثل ، قد تحمل بعض الأمهات عن غير رغبة منهن ويردن التخلص من حملهن . ولكنهن يبقين على أجنتهن إما خوفاً على أنفسهن أو خشية ما يتقوله الناس عنهن أو نتيجة الخضوع لتأثير فكرة طارئة أن هذا الطفل ربما يكون فى حياته خيراً وأمناً لهن عندما يتقدم بهن العمر . وقد ترجع

كفة هذه الدوافع جميعها ويبقين على حياة ابنتهن . وبعد ولادة الطفل ونتيجة الخبرات السارة التى تمر بين الأم وطفلها تتكون عند الأم عاطفة حب الطفل وقد تقوى هذه العاطفة إلى درجة كبيرة نتيجة تراكم الخبرات السارة التى تمر بينهما مع تقدم الحياة بهما إن الدوافع القديمة سرعان ما تختفى وتزول من نفس الأم ولا يقوى إحدها على إحداث أثره بعد ذلك فى نفس الأم .

وهذان المثالان وغيرهما مما قد يستطيع القارىء التفكير فيه ، يوضح أن ميل الكبار الذى نصفه الآن ، قد بدأ فى أول أمره كشىء آخر تماماً . وأنه فى جميع الحالات ، نجد أن النشاط الذى أصبح فيما بعد غاية فى ذاته أو دافعاً مستقلا ، كان من قبل وسيلة لإشباع غاية (أى دافع سابق) . فما كان فى يوم ما خارجياً ووسيلة لغاية ، قد أصبح اليوم ذاتياً وغاية فى ذاته. والنشاط الذى خدم من قبل حافزاً أو حاجة أخرى ، يخدم اليوم ذاته أو بعبارة أخرى يخدم اليوم صورة الذات على نحو ما يكونها الفرد .

ويميز البورت بين مستويين اثنين من مستويات الاستقلال الوظيفى :(١)
الاستقلال الوظيفى المداوم أو المستمر
Perseverative Functional Autonomy
والاستقلال الوظيفى الجوهرى Propriate Functional Autonomy

أما النوع الأول المداوم فهو نظام مغلق أو شبه مغلق يستمر أولياً بقوته الذاتية دون تدعيم خارجى أو مع قليل من التدعيم الخارجى . وقد أوضح البورت هذا النوع ببعض التجارب التى تجرى على الحيوان . وكذلك بالميكانزمات الدائرية التى نلاحظها فى سلوك الإنسان وبخاصة عند الطفل . وسوف نشير باختصار إلى كل منها .

(1) Southwell, Eugene Acaid Merbaum Michael (eds) Personality: Readings in Theory and Research. Belmont, California, Books/cole Publishing Company 2nd ed, 1971.

فمن أمثلة التجارب التى تجرى على الحيوان ، أن الفأر الذى يتعلم إجتياز المتاهة تحت دافع الجوع ، سوف يقوم أيضاً باجتيازها اجتيازاً صحيحاً وهو فى حالة شبع . وفى هذه الحالة لا يكون الدافع هو البحث عن الطعام ، بل يبدو أنه من أجل التسلية فحسب فالعملية التى تبدأ تحت تأثير أحد الدوافع يبدو أنها تستمر — على الأقل لفترة زمنية — تغذى نفسها . وهذه صورة أولية من صور الاستقلال الذاتى .

أما بالنسبة للميكانزمات الدائرية، فليس من شك أن كل فرد منا قد لاحظ سلوك المداومة الذى يظهر فى مرحلة ما من مراحل نمو الطفل ، والتى أشار إليها بياجيه باسم « الحركات الدائرية » . فالأم التى تجلس إلى جوار إبنها تلتقط مرات عديدة المعلقة التى يداوم الطفل على رميها إلى الأرض ويجد الطفل لذة كبيرة فى القيام بمثل هذا السلوك . وقد يتعب الأب من مواصلة اللعب مع الطفل قبل أن يسأم الطفل اللعب بوقت طويل ، فكل نشاط يبدو أنه يحدث له نوع من التغذية الرجعية feedback وبذلك يدعم استمرار الفعل المنعكس الدائرى. وعلى الرغم من أن هذا المثال يشير إلى نوع من الاستقلال الوظيفى المؤقت ، إلا أنه له أهميته فى بيان أن ثمة نوعا من العملية العصبية تدعم أنماطاً من النشاط دون ما حاجة إلى تتبع كل فعل وإرجاعه إلى حافز أو دافع .

وثمة نواحى أخرى أشار إليها البورت لتوضيح هذا النوع من الاستقلال الوظيفى المداوم كالأعمال المكتملة والأعمال الناقصة على نحو ما يتضح فى تجارب زيجارنيك والتى أوضحت أن العمل الناقص الذى لم يتم ، يحدث توتراً يدفع الفرد إلى مواصلة التفكير والعمل فيه إلى أن يتم . وتذكر الأعمال التى لم يتم إنجازها يكون أكبر من تذكر الأعمال التى تم انجازها . فهناك نوع من الضغط لإستمرار العمل بالنسبة لأى عمل لم ينجز . فالدائرة — بالمفهوم الجشتلتى — لم تغلق بعد .

أما النوع الثانى من الاستقلال الوظيفى ، فهو ما أسماه البورت باسم « الاستقلال الوظيفى الجوهرى » . وهو نظام مفتوح وعلى مستوى أعلى من المستوى الأول . فالنظام الأول وإن فسر عمليات بسيطة تجرى عند الحيوان والإنسان ، إلا أنه لا يمكن أن يفسر لنا جميع دوافع الكبار ، ويمكن توضيح هذا النوع الثانى من الاستقلال الوظيفى ببعض الأمثلة التى نستمدها من البورت :

١ — تحول القدرة أحياناً إلى ميل : من المعروف أن الإنسان « يحب » عمل ما يمكنه عمله جيداً (ومعامل الارتباط بين القدرة والميل مرتفع) . ولكن قد لا يكون السبب الرئيسى الآن فى تعلم مهارة ما ، هو الميل على الإطلاق . مثال ذلك الطالب الذى يبدأ بدراسة مجال ما من مجالات الدراسة لأنه مفروض عليه أو مطلوب منه دراسته ، أو لأنه يرضى والديه ، ثم قد ينتهى به الأمر إلى الاستغراق كلية فى دراسة هذا المجال ، ربما لأسباب أخرى لا تمت بصلة الآن إلى السبب الأصلى الذى من أجله بدأ هذه الدراسة . فالدافع الأول قد اختفى الآن كلية . وحل محله دافع آخر . وبعبارة أخرى ، إن ما كان وسيلة لغاية ، أصبح الآن غاية فى ذاته .

٢ — الميول والقيم المكتسبة لها قوة اختيارية :

إن مايدركه الفرد ويتذكره يتحدد إلى درجة كبيرة بتكويناته الجوهرية . وحين ينمو ميل ما لدى الفرد ، فإنه يخلق لديه حالة من التوتر المستمر ويكون بمثابة عامل بارز لديه فى اختيار وتوجيه كل ما يتصل بهذا الميل . فالشخص الذى لديه ميول واتجاهات جمالية سرعان ما يستجيب للكلمات المتصلة بالفن أكثر من استجابته للكلمات التى تتصل بموضوعات أخرى بعيدة كل البعد عن مجال الفن والجماليات .

والنوع الثانى من الاستقلال الوظيفى يعتبر فى نظر البورت أكثر أهمية ؛ فبه تسير الشخصية تدريجياً نحو تحقيق مستويات أعلى من السلوك . وباختصار فإن فكرة الاستقلال الوظيفى تساعدنا فى التعبير عن وحدة الدوافع التى تميز التوافقات المميزة للفرد .

ومع ذلك فلم يدع البورت أن مبدأ الاستقلال الذاتى هو المبدأ الوحيد الصادق لتنمية الدوافع الإنسانية أو تفسير كل دوافع السلوك عند الإنسان . وإنما الشيء الذى أضافه البورت هو بيان أن شخصية الفرد ليست خاضعة كلية لحوافز نظرية أو خاضعة لتكوينات جامدة أو عقد مبكرة . فهو يختلف عن فرويد وأدلر فى أنه لا يذهب إلى أن الخطوط الأساسية فى الشخصية توضع بذورها فى سن الثالثة أو الخامسة .

ومع ذلك فليست كل دوافع الفرد مستقلة وظيفياً . فقد أشار البورت إلى ثمان عمليات ليست مستقلة وظيفياً هى :

١ — الحوافز البيولوجية : فالفرد منذ الولادة حتى الوفاة لا بد أن يخضع لمجموعة من الدوافع البيولوجية كالحاجة إلى النوم والهواء والطعام والإخراج .

٢ — الفعل المنعكس كرمشة العين وسحب الركبة . ورغم أنها تشير إلى فردية فى الوظيفة ، إلا أنها ليست مستقلة وظيفياً . إنها إستجابات آلية تقبل فقط التعديل البسيط فى ظل ظروف استثارة خاصة ، ولكننا لا يمكن أن نصنف كدوافع .

٣ — الزاد الجبلى أو التكوينى للفرد : فبعض القدرات أو التكوينات يحسن النظر إليها على أنها ثابتة نسبياً وغير قابلة للتغير خلال مجرى حياة الفرد . ومن ذلك النوع ما عبر عنه البورت باسم « المواد الخام » للشخصية ، والتى تتكون من الجسم والذكاء والمزاج .

٤ — العادات : ورغم أن العادة وهي في سبيل التكوين يمكن أن تتناسب وفكرة الاستقلال الوظيفي المداوم ، إلا أنه يحسن ألا نعتبر العادة بوجه عام دافعاً مستقلا وظيفياً . حقيقة إن كثيراً من العادات ليست دافعية إطلاقاً إنها أنظمة وسيلية تقوم بدورها في خدمة الدافع

٥ — التدعيم الأولى : جميع أنواع السلوك التي تحتاج إلى تدعيم أولى تخرج من نطاق فكرة الاستقلال الوظيفي . فإذا كان أحد العمال يعتمد على المديح أو الثواب من أجل الاحتفاظ بمستوياته العالية في العمل ، فلا يمكننا القول بأن العمل بالنسبة له دافع مكتسب فالمستوى المرتفع في العمل متوقف إذن على عوامل خارجية ، وأن هذا السلوك يمكن أن يتوقف بعد تحقيق الهدف . فليس هناك إذن دافع داخلي مستقل ذاتياً .

٦ — الطفلية والتثبيت : عندما يقوم شخص كبير بحل صراع طفلي أو صراع في مرحلة الشباب ، فإنه لا يمكننا أن نتحدث عن استقلال وظيفي . إنه يتتبع دافعاً لم يتغير أساساً من سنوات مبكرة

٧ — بعض حالات العصاب : إن الدوافع العصابية ليست دوافع مستقلة وظيفياً ، لأن الأفعال الراهنة للعصابي مثبتة أساساً باعتبارات ماضية . فبعض أصداء الماضي تتملك وتسيطر على سلوك المريض . والعصابي يبدو عاجزاً عن التركيز بصورة مناسبة على الحاضر أو المستقبل .

٨ — الإعلاء : إن إعلاء الحافز الأولى أو التثبيت المبكر ليس دافعاً مستقلا وظيفياً في نظر البورت .

رابعاً : مبدأ الأنا أو الذات :

يذهب البورت إلى أن البحث في النواحي الذاتية أو المشاعر المتصلة بذات

الفرد أو شخصه ، من الأمور العسيرة على الفهم لأسباب أهمها :

١ — أن لفظ الذات قد استخدم استخدامات كثيرة متعددة عند مختلف الباحثين . وقد استخدمه البعض مرادفاً للفظ « الأنا » . وطالما أن التفرقة بين اللفظين ليست محددة وواضحة ، فإن البورت سوف يستخدمهما مترادفين بمعنى واحد .

٢ — أنه على الرغم من أن لدى كل منا معرفة قاطعة عن الذات ، إلا أننا لا نستطيع أن نكشف تماماً عما لدينا من معرفة عنها . إن بعض الأفكار أو الأفعال أكثر كشفاً للذات من بعضها الآخر . ومع ذلك فليس هناك خط فاصل محدد بينها ولذلك فمن المستحيل وضع حدود تدعم تعريفنا للذات .

٣ — أن هذا الموضوع يفتح الباب أمام كثير من المشكلات الفلسفية العميقة التي تتصل بطبيعة الإنسان وطبيعة الروح ومشكلات الحرية والخلود الخ . . ولذلك فمن السهل علينا أن ندرك لماذا تحاول كثير من المناقشات السيكولوجية عن الشخصية تجنب الدخول في هذه المشكلة كلية .

ولكن رغم صعوبة هذه المشكلة ، إلا أن إغفالها غير مقبول لأسباب ثلاثة أيضاً :

١ — إن المعيار الوحيد الصادق لوجودنا الشخصي ووحدتنا ، يكمن في الواقع في إحساسنا بالذات . فترك هذا المحور الشخصي من الشخصية يعني أننا نستبعد جوهر المشكلة وندرس هوامشها .

٢ — إن نظريات التعلم والدوافع والنمو لا يمكن أن تكون كاملة أو صحيحة ما لم نميز بين ما يكشف عن « الذات » في الشخصية ، وما ليس كذلك .

٣ — أنه على الرغم من أن علم النفس لا يأمل في حل المشكلات الفلسفية

الكبرى ، إلا أنه مضطر مع ذلك لأن يقدم فكرة واقعية دقيقة عن المعنى المتطور للذات من أجل أن يساعد الفلسفة فى عملها

ويذهب البورت إلى فكرة الذات ربما كانت موضع اهتمام وتوكيد الباحثين . ومع ذلك فكثير من الناس يقضون يومهم دون أن تكون لديهم أية معرفة على الإطلاق بذواتهم فالفرد قد يقضى سحابة يومه منهمكا فى عمله وشئون حياته ، دون أن يتجه لحظة يتأمل فيها ذاته ، من هو ؟ ، ولماذا هو موجود ؟ ، وكيف وجد فى هذه الحياة ؟ .

ويصرح البورت أنه رغم صعوبة وصف طبيعة الذات ، فإن مفهوم الذات مفهوم جوهرى وأساسى فى دراسة الشخصية ويمكن أن يرجع ذلك — من الناحية التاريخية — إلى التأثير القوى الذى تركه فرويد . ويعتقد البورت أن فرويد قد مات قبل أن يتم بصورة كاملة نظريته فى الأنا . ومفهوم الأنا عند البورت هو أن الأنا يوجد بداخلها عملية ديناميه ذات قوة إيجابية كبيرة ، أكثر مما هو متمثل فى مفهوم الأنا عند فرويد والذى يتمثل فى صورة « رجل يقود حصاناً » . والأنا عند فرويد يتحكم فى الهو ويضبطها ،من حيث هى منفذة أو موجهة لاندفاعات الهو . أما الأنا أو الذات عند البورت فهى القوة الموحدة لجميع عادات وسمات واتجاهات ومشاعر ونزعات الهو .

وقد عنى البورت بصفة خاصة بتتبع نمو الذات وتطورها ابتداء من الطفولة المبكرة إلى الرشد ، وحيث تصبح الذات هى مصدر وحدة الكائن الحى ولب الشخصية بأكملها . وقد قام بمعالجة هذه النواحى — على وجه الخصوص — فى كتابه « نمط ونمو الشخصية (١٩٦١) . ولقد سبق لنا أن عرضنا باختصار لمراحل نمو الذات عند البورت فى حديثنا عن نمو الشخصية (الفصل السادس) . ويمكن أن نشير هنا إلى المظاهر المختلفة التى تمر بهما الذات على نحو ما أوضحها البورت

المظهر الأول : الإحساس بالذات الجسمية
المظهر الثانى : الإحساس بهوية الذات
المظهر الثالث : تقدير الذات
المظهر الرابع : اتساع الذات وامتدادها
المظهر الخامس : صورة الذات
المظهر السادس : الذات المنطقية العاقلة
المظهر السابع : الجوهر المميز أو الذات المميزة .

وفى كتابه « الصيرورة : اعتبارات أساسية فى سيكولوجية الشخصية (١٩٥٥) ،أشار البورت أيضاً إلى ما أسماه بالذات العارفة Knower . غير أن معظم مناقشـــة البورت للأنا أو الذات تدور حول الجوهر المميز الفرد . والجوهر المميز هو شىء أكثر من أسلوب الحياة . إنه يشير إلى أن الإنسان يريد أن يصبح شيئاً لذاته وليس بمجرد أن يعيش وفق مبدأ « خفض التوتر » وقد عرض البورت بمهارة فائقة وجهة نظره فى « الجوهر المميز » فى كتابه الصيرورة : اعتبارات أساسية فى سيكولوجية الشخصية . والجوهر المميز يحوى كل المظاهر المجتمعة لشخصية فرد ما ، والتى تعتبر فريدة ومميزة له . فتجعل منه فرداً مختلفاً عن بقيه الأفراد وتحقق له وحدة داخلية . فالجوهر المميز يشمل الإحساس الجسمى والتفكير المنطقى والكفاح الجوهرى ومفاهيم صورة الذات وامتداد الذات وتقدير الذات ، وهذا الجوهر المميز . لا ينمو بشكل آلى ، كما أنه لا ينمو سريعا .

ولعل البورت يتفق فى هذا الصدد ، ولو بصورة جزئية . مع يونج فى أن الإنسان لا ينمى الإحساس النامى الكامل بالذات أو الأنا حتى يبلغ سن الرشد ، فيكون قادراً على أن ينمى جميع الخصائص السابقة .ويميز الجوهر

المميز للفرد ميدنياً خلال عمليات التعلم المختلفة التي يمر بها الفرد . فابتداء من الطفولة المبكرة وما بعدها ينمي الإنسان جوهرة المميز عن طريق الإقتران الشرطي والتدعيم والعادات وغيرها من مظاهر التعلم الأخرى . ومع ذلك ، فالفرد في مرحلة الرشد ، يحتاج إلى أن ينمي صورة ذاته ، كما يكون لديه قدراً كبيراً من الاستبصار المعرفي بذاته . ويعتبر البورت الراشد الناضج بأنه « امتداد حقيقي » لكل مفاهيم الذات التي اكتسبها وهو في سبيل بلوغ مرحلة الرشد . والراشد الناضج يمكنه أن ينظر لنفسه نظرة موضوعية على مسرح الحياة .

خامسا : السمات والاستعدادات الخاصة :

وهذا المبدأ يمثل مرحلة هامة من النمو والتطور في تفكير البورت . والموضوع الرئيسي لهذا المبدأ هو ذلك هو موضوع السمات . لقد استعرض البورت العديد من الوحدات التي يمكن أن تتخذ كأساس في دراسة الشخصية منها : القدرات العقلية والدوافع اللاشعورية والإتجاهات الإجتماعية والميول والقيم والمزاج والسمات وغيرها . وبعد دراسة مستفيضة في قيمة كل منها من حيث هي وحدة للدراسة ، يبدو أن البورت قد استقر على اتخاذ مفهوم السمة كوحدة للشخصية . فهي الأسلوب الوحيد الممكن اتخاذه إذا أردنا مقارنة الناس . ومع ذلك فهو لم ينكر قيمة الميل أو النزعة ، وقد نماها بعد ذلك كاستعدادات شخصية . ويرى البورت أن المزاج يتخذ صفة وراثية قوية . كما يرفض إستخدام الأنماط كوحدة للدراسة باعتبار أن الأنماط يعزوها الآخرون ويحددونها . وفيها يفقد الفرد خصائصه الفردة . فالنمط نظام تصنيف أكثر منه وحدة أساسية للدراسة . وسوف نشير باختصار إلى أهم الوحدات التي استقر عليها البورت .

السمات :

ويرجع اهتمام البورت بفكرة السمات كوحدة لدراسة الشخصية إلى سنوات بعيدة . فقد ألقى فى مؤتمر دولى عقد عام ١٩٢٩ فى ييل مقالة بعنوان ما هى سمة الشخصية ؟ نشرت ١٩٢١ . أى أن اهتمامه بهذا الموضوع يرجع إلى حوالى خمسين سنة . ولم يغير البورت موقفه خلال هذه الفترة سوى إضافة بعض التفصيلات التى تجعل الصورة أكثر وضوحا .

وقد سبق أن أشرنا فى حديثنا عن السمات إلى المعايير الثمانية الآتية التى وضعها البورت لتحديد السمة هى :

١ — السمه لها أكثر من وجود أسمى (أى أنها عادات على مستوى أكثر تعقيدا) .

٢ — السمة أكثر عمومية من العادة (فعادتان أو أكثر تتظامان و تتسقان معا فى صورة سمة) .

٣ — السمة دينامية أو على الأقل تلعب دورا واقعيا محركا فى كل سلوك يقوم به الفرد .

٤ — وجود السمة قد يتحدد تجريبيا أو احصائيا (وهذا يتضح فى الاستجابات المتكررة أو فى المعالجة الإحصائية) .

٥ — السمات مستقلة نسبيا فقط كل منها عن الأخرى (وهى عادة ترتبط ارتباطا موجبا إلى درجة ما) .

٦ — سمة الشخصية إذا نظر إليها من الناحية السيكولوجية ، لا يكون لها دائما نفس الدلالة الخلقية . بمعنى أنهـــا قد تتفق أو لا تتفق والمفهوم الاجتماعى المتعارف عليه .

٧ - الأفعال والعادات غـــير المتسقة وسمة ما ليست دليلا على عدم وجود السمة (فقد تظهر سمات متناقضة لدى نفس الشخص كالنظافة والإهمال) .

٨ - السمة قد ينظر إليها فى ضوء الشخصية التى تحتويها أو فى ضوء توزيعها فى المجموع العام من الناس . أى أن السمات قد تكون فردية وهذا ما أسمـــاه البورت فيما بعد باسم « الاستعدادات الشخصية Personal Dispositions (P.D.) » أو قد تكون سمات عامة مشتركة .

ويقدم بيشوف الاعتبارات الأساسية التى يراها البورت ضرورية فى السمة من حيث هى وحدة ذات معنى فى دراسة الشخصية ، وهذه هى القائمة التى يقدمها بيشوف .

١ - السمات لها قدرة على تحريك وكف أو اختيار السلوك الإنسانى المناسب . فالسمة هى مجموعة دوافع وعادات .

٢ - السمات المتوافقة بعضها على بعض هى بمثابة العناصر الأساسية فى السلوك .

٣ - السمات تساعد على تفسير الثبات الذى نجده فى الشخصية . ورغم تقريره بتوافق السمات بعضها على بعض بدرجة كبيرة واتساقها فيما بينها، إلا أن هذا التوافق والإتساق ليس تاماً .

٤ - السمات لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر ، وإنما يجب أن يستدل عليها . ومن حيث هى كذلك ، فإن من الصعب جداً تصنيفها .

٥ - السمة تبدأ بنظام عصبى نفسى .

٦ - هناك نوعان من السمات : فردية وعامة والسمة الفردية هى السمة

الحقيقية . أما السمات العامة أو المشتركة فهى شبه حقيقية . إنها فحسب مقياس لعدد من السمات الفردية على نحو ما توجد لدى عدد من الأفراد .

٧ السمة — كما سبق القول — هى تركيب من عادتين أو أكثر . ومع ذلك ، فليس للعادات القدرة على السيطرة على السمات . إن السمات قد تدفع إلى خلق عادات جديدة وهذه العادات الجديدة يجب أن تكون متسقة إذن مع السمة . والسمات قد تكون أسلوبية Stylistic ودينامية . والسمة الأسلوبية تكشف عن كيف يسلك الفرد ، بينما السمة الدينامية توضح « لماذا يسلك الفرد على هذا النحو الذى يقوم به » . فالسمة الأولى تشير إلى الأسلوب ، بينما السمة الثانية تشير إلى العوامل الدافعة .

٨ — السمات تحفز كما قد توجه . فهى قد تدفع مثلما قد تملى على الفرد الطريق الذى يسلكه .

٩ — السمات لها دلالة قوية على « تزامن الأشياء أو حدوثها فى آن واحد » . فالسمات لا توجد مباشرة من الماضى .

١٠ — إن مشكلة تسمية السمات من الأمور الهامة التى أولاها البورت اهتماماً كبيراً . فقد قام هو وأودبرت (١٩٣٦) بالبحث فى القواميس وغيرها من الكتب وتوصلوا إلى ما يقرب من ١٧٫٩٥٣ إسماً للسمات .

وقد قدم البورت أربعة أقسام لأسماء السمات موزعة على وجه التقريب بين استعدادات حقيقية وأنشطة راهنة ومصطلحات تقييمية ومجازية وأسماء أخرى للسمات .

١١ — ورغم وجود مئات عديدة من السمات فقد وضع البورت تصنيفاً أوليا للسمات إلى : سمات رئيسية ومركزية وثانوية . وبعض الأفراد تبرز لديهم

سمة رئيسية أو كبرى تسيطر على سلوكهم . وهم يصبحون بذلك نموذجاً نصف الآخرين بالإشارة إليه . والقليل جداً من الأفراد هم الذين تسيطر على سلوكهم سمة واحدة كبرى . أما الأغلبية العظمى من الناس فتسيطر على تشكيل شخصياتهم مجموعة بسيطة من السمات تعتبر بمثابة حجر الأساس الذى تقوم عليه شخصية الفرد . وإلى جانب ذلك ، فإن كل فرد يتمتع بسمات ثانوية أو صغرى تثيرها مجموعة من المثيرات المحدودة . وينتج عن إثارتها مجموعة محدودة من الاستجابات. والسمات الثانوية لا تكون واضحة للآخرين . ويلزم أن نقوم بدراسة الفرد بعمق ودقة من أجل أن نعرف السمات الثانوية التي توجد لديه ويميل البورت إلى أن يسمى هذه السمات الثانوية بالاتجاهات وليس بالسمات .

١٢ — كل سمة موجودة قد لا يكون لها سمة مضادة . وباختصار لا يعتقد البورت فى قطبية السلوك .

١٣ — تجمعات السمات تسمى أحياناً باسم الزملات Syndromes عند البورت .

١٤ — السمات التعبيرية والسمات الأسلوبية هما وحدتان من الوحدات التى نبحث عنها عادة فى تقدير الشخصية فى المواقف الإكلينيكية . ومثال السمات التعبيرية : الإنبساطية والمثابرة والسمات التى تدل على درجات من الميل الإجتماعى ، أما السمات السلوكية فهى التى تتركز حول أساليب السلوك كالأدب أو التردد وغيرها .

١٥ — السمات يمكن أن تصبح وحدات واقعية أولية . وهذه مقدمة للقول بمفهوم الاستقلال الوظيفى عنده .

هذا وقد سبق لنا مناقشة موضوع ما إذا كانت السمات حقيقية أم أنها خيالية

وأوضحنا أن ألبورت يميل إلى النظر إليها كوحدات حقيقية ، كما ناقشنا أيضاً فكرة السمات المشتركة والسمات الفردية وأوضحنا أن السمات المشتركة هي هذه المظاهر للشخصية التي يمكن في ضوئها أن نقارن الكثير من الناس في ثقافة معينة ، وهي في نظره شبه حقيقية. أما السمات الحقيقية فهي السمات الفردية والتي يميل إلى تسميتها باسم الاستعدادات الشخصية . وقد عرف الاستعداد الشخصي بقوله أنه بناء عصبي نفسي عام (خاص بالفرد) له القدرة على رد الكثير من المثيرات المتكافئة وظيفياً . وأن يثير ويوجه الصور المتسقة للسلوك التكيفي والأسلوبي .

الفصل الثالث والعشرون

نظرية الذات عند كارل روجرز

الهدف من هذا الفصل هو عرض نظرية الذات عند كارل روجرز . ولكن الأمر يتطلب منا تقديم العديد من الأفكار التي تتصل بموضوع الذات وذلك لإلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع . وقد أخذ هذا العرض مظهراً تاريخياً نقدم فيه أولا الأفكار المختلفة التي قيلت عن الذات ، ثم ننتهي بعد ذلك إلى تقديم أفكار كارل روجرز نفسه .

النظريات القديمة للذات :

إن مصدر الكثير من الأفكار السائدة اليوم عن الذات قديم جداً . لقد كانت بعض هذه الأفكار واضحة في كتابات هوميروس حيث ميز بين الجسم الإنساني المادي ، والوظيفة غير المادية التي ترجمت فيما بعد إلى العديد من اللغات تحت اسم النفس أو الروح أو Soul, Spirit, Psyché (1) .

وقد قدمت الفلسفة اليونانية القديمة تأملات ملحوظة عن طبيعة النفس Soul . وأورد أرسطو أسماء بعض معاصريه أو السابقين عليه في عرض لهذا الموضوع وفي مناقشته للنفس النامية والحيوانية والعاقلة ، كانت فكرة النفس عند أرسطو تتفق إلى درجة كبيرة مع الأفكار الحديثة عن الوظائف العضوية . فوظيفة النفس النامية هي النمو والتناسل . والنفس الحيوانية تقوم بوظيفتها الخاصة — وهي الحس والحركة — مضافاً إليها وظيفة النفس النامية.

---

(1) Reeves, J. W. Body and Mind in Western Thought. Baltimore. Penguin Books 1958.

والنفس العاقلة تقوم بوظيفتها الخاصة — وهى التفكير والإختيار والتقييم — مضافاً إليها وظائف النفس الحيوانية والنامية. وفى كتابات أخرى، لم يكن أرسطو واضحاً عما يعنيه بالضبط بالنفس. وربما كان سبب ذلك هو أنه كان يغير فكره من وقت لآخر. وما يهمنا هنا، هو أن المفكرين الإغريق لم يكونوا على اتفاق فى الرأى حول طبيعة النفس على نحو ما هو حادث بين المفكرين اليوم.

ومع دخول المسيحية تراجعت الأفكار المتصارعة حول طبيعة النفس أمام العقيدة الدينية التى تؤمن بأن الإنسان مكون من جزئين متميزين هما الجسم والروح. أما الجسم فبينه وبين الطبيعة المادية غير البشرية، أشياء مشتركة فهو يمكن أن يسقط وأن ينكسر وأن يتحلل. أما النفس فلا تنطبق عليها مثل هذه الأمور المادية. ويمكن النظر إليها بأنها مركز الرغبة والتفكير والإختيار وهى جميعها أنشطة تميز الإنسان عن الحيوان، وأن خصائصها تشتمل على كل ما هو لازم وضرورى لتحديد الشخصية الفردية، وأن النفس تسكن الجسم، ومن الممكن أن تنفصل عنه بالموت. وقد انتشرت هذه الفكرة بين المفكرين فى العصور المسيحية.

ورغم أن التمييز بين الجسم والنفس كان واضحاً وعاماً خلال العصور الوسطى فى أوربا، ورغم أن الفلاسفة قد كتبوا حوله، إلا أنه لم يكن يمثل بالنسبة لهم مشكلة حقيقية. ولم تكن مشكلة العلاقة بينهما موضع بحث وجدال. حقيقة، إن نفراً قليلاً من المفكرين من أشار إلى وجود ارتباطات معينة ملفتة للنظر بين بعض الظواهر والأحداث الجسمية التى تصيب المخ مثلا، أو التى تكون نتيجة الإدمان على المسكرات، وبين ما يطرأ على النفس أو العقل من إضطرابات. ولكن مثل هذه الإشارات لم تكن ذات تأثير كبير على عادات تفكير الفلاسفة أو الرجل العادى.

وقد ظهرت مشكلة العلاقة بين الجسم والنفس بشكل واضح لأول مرة عندما نشر الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت كتابه «مبادىء الفلسفة» سنة ١٦٤٤. وقد صاغ ديكارت فكرته عن مبادىء المعرفة الإنسانية بوضوح بالغ فى الجزء الأول من كتابه، وعبر عن فكرته فى قوله: إذا أردنا أن ندرس الحقيقة، فمن الضرورى أن نشك — ولو مرة فى حياة الفرد — فى كل الأشياء كلما كان ذلك ممكنا». ولقد شك ديكارت فى حقائق الأشياء المحيطة به، ولكنه الشك البنّاء المؤدى إلى اليقين. ذلك أنه مهما بلغ بنا الشك، ومهما شككنا فى كل شيء، فإن ثمة حقيقة واحدة تبقى بمنجاة من الشك الأوهى «أنني أفكر». وهذه الحقيقة ذاتها تؤدى بنا إلى إثبات وجودى ككائن حى مفكر. ومن هنا جاءت عبارته المشهورة وهى «أنا أفكر» إذن أنا موجود، تلك هى الحقيقة الأولى التى يصل إليها كل من يفكر بطريقة سليمة منظمة. وهذه الحقيقة الأولى أدت إلى كشف طبيعة العقل أو النفس (وهى أنه يفكر) وتميزه عن الجسم (الذى هو مادى). وإذا شككنا فى وجود كل الأجسام، ولم نشك فى أننا نفكر، فإنه ينتج عن ذلك أن العقل والجسم يمكن أن يتمايز أحدهما عن الآخر بخصائص معينة فالعقل أو النفس خاصيته التفكير، أما الجسم فخاصيته الإمتداد (أى شغل حيز من الفراغ). والصلة بين النفس والجسم صلة تفاعل ميكانيكى يحدث فى الغدة الصنوبرية فى قاع المخ. وكان ديكارت يعتقد أن الكائن الحى — إنساناً أو حيوانا — ما هو إلا آلة معقدة ينشطها الضوء والصوت وغيرهما من المنبهات التى يحمل أثرها ما أسماه باسم «أرواح الحيوانات»، إلى الغدة الصنوبرية، ومنها إلى العضلات فى صورة دوافع تؤدى إلى حركة الجسم هذا بالنسبة للحيوان، أى أنه لا يحس ولا يشعر، ولكنه يستجيب للمنبهات بطريقة آلية. أما عند الإنسان، فأرواح الحيوانات حين تنتقل إلى الغدة الصنوبرية، فإنها تهز

المشاعر والإنفعالات والأفكار والصور الذهنية فالإنسان يختلف عن الحيوان بأن له عقلا . وهذا العقل هو الذى يوجه هذه الآلة الانسانية ويجعل الانسان يتصرف تصرفاً معقولا ، ورغم عدم دقة ديكارت فيما ذهب اليه وخاصة بالنسبة لفكرته عن الحيوان ، إلا أنه وضعنا أمام سؤال واضح ومحدد هو « كيف يمكن للمادة أن تحدث أثرها فيما هو غيرمادى ، والعكس؟ » .

وقد أثارت مشكلة علاقة التفاعل الميكانيكى بين العقل والجسم تفكير الفلاسفة بعد ديكارت . وليبينتز Leibnitz مثلا قبل ثنائية ديكارت بين العقل والجسم ، ولكنه رأى أن حل مشكلة العلاقة بين العقل والجسم عن طريق التفاعل الميكانيكى أمر مستحيل ، ذهب إلى إفتراض وجود عامل آخر هو الله . فالجسم والعقل متمايزان كل التمايز ولا يمكن أن يحدث بينهما تفاعل . فهناك عالمان : عقلى (أو روحى) ، وجسمى (أو مادى) . ووحدات العالم العقلى هى العقول ، بينما وحدات العالم المادى هى الأجسام أو الأشياء .

وفى القرن التاسع عشر أصبحت المناقشات التى دارت حول الذات أكثر تفصيلا وتمايزاً . وقد أصبح السؤال الملح أمام المفكرين جميعاً : ماهى الظواهر التى بدونها لا نعى أو نشعر بأنفسنا بأى معنى من المعانى ؟ بأن جيمس مل يقول إن تذكر الشخص بأنه قام بعمل ما وشعوره أنه هو هو نفس الشخص الذى أنجز هذا العمل ، هما طريقتان لتقرير هذه الحقيقة . ولا يمكن رد هذه الحقيقة إلى أشياء أخرى أبسط منها . والذاكرة هى ربط الحاضر بالماضى . وإذا اعتقدت أن فكرة ما راهنة تنتج عن إحساس سابق ، فإن ثمة اعتقاداً إذن أن هذا الإحساس .... هو إحساس ، وأنه حدث لى أنا نفسى . وهناك تتابع فى المشاعر يمتد من أبعد ما يمكن أن تصل إليه الذاكرة ، إلى الإحساسات

الراهنة وجميعها ترتبط برابطة من المتعذر تفسيرها ، وهذه الرابطة هى التى تميزها من أية سلسلة أخرى يفرضها الفكر ، كما يميزها عن تتابعات المشاعر التى حدثت للآخرين من الناس . فتذكر الماضى بهذا المعنى هو الأساس لتمييز نفسى أو ذاتى .

أما جون استيوارت مل ، فقد كان أكثر وضوحا من أبيه . فقد ذكر أن الرابطة التى لا يمكن تفسيرها والتى تربط الشعور الحاضر بالإحساس الماضى الذى يذكرنى به الحاضر ، هى أقرب إلى أن تكون مفهوما إيجابيا للذات ، (١) .

وإلى هذا الحد تكون الأفكار المتصلة بالذات أو الأنا قد صدرت كلها تقريبا عن تأمل للخبرات الشعورية المباشرة ، والتى هى فى الأغلب خبرات الباحث نفسه . وكان المنهج السائد فى علم النفس حتى ذلك الوقت هو منهج الاستبطان . غير أنه مع بداية ظهور المدرسة السلوكية فى أمريكا ، بدأت المعارضة للتأمل الباطنى باعتباره المنهج الوحيد فى علم النفس . وقد بدأت هذه المعارضة واضحة عند وطسن وتلاميذه (١٩١٩) ، وإن كان البعض من أمثال الفيلسوف ث . س بيرس C. S. Pierce قد سبقهم إلى ذلك (١٨٦٨) ، إذ ذهب إلى أن ليس ثمة ما يدعو لإفتراض قوة للإستبطان ، وأن الطريق الوحيد لبحث مشكلة سيكولوجية ، إنما هو بالاستدلال من الوقائع الخارجية .

وقد كتب وليم جيمس فصلا مطولا عن الشعور بالذات فى مجلديه « مبادىء علم النفس » (١٨٩٠) . وبالإضافة إلى الإفاضة فى معالجة الموضوع ، تعتبر كتابات جيمس نقطة انتقال بين الطرق القديمة والحديثة

---

(1) Mill. J.S. An Examination of Sir William Hamilton's Fhiosophy. London-Longmans, Green 1865.

للتفكير فى المشكلة . وفى معالجته للمشكلات السيكولوجية المتصلة بالذات ، فتح جيمس الطريق واسعاً أمام غيره من الباحثين الذين أتوا بعده . فالكثير مما يكتب اليوم عن الذات والأنا مستمد مباشرة من وليم جيمس . فالذات التجريبية empercial self فى أوسع معانيها هى «كل شىء يستطيع الإنسان أن يدعى أنه له — جسده وسماته وقدراته وممتلكاته المادية وأسرته وأصدقاؤه وأعداؤه ومهنته وهواياته الخ» . ولقد صنف وليم جيمس مكونات الذات التجريبية إلى الذات الروحية والذات المادية والذات الاجتماعية والذات الجسمية ، ويقصد بالذات الروحية القوى أو الإستعدادات النفسية العينية وهى تتكون من ممتلكات الفرد النفسية ونزعاته وميوله . أما الذات المادية فتتكون من ممتلكاته المادية ، بينما تتكون ذاته الاجتماعية من نظرة زملائه والآخرين له . ولم يحاول جيمس أن يقول ما إذا كانت الذات المادية أو الإجتماعية إحداهما أكثر أهمية من الأخرى ، لأن كليهما تقع بين الذات الجسمية والذات الروحية . وللفرد ذوات اجتماعية متعددة بقدر ما هنالك من جماعات يهتم بمعرفة آرائهم فيه . وبعض هذه الذوات الاجتماعية تدخل فى صراع مع بعضها الآخر . وأهم هذه الذوات الاجتماعية ، تلك التى ترتبط بالشخص الذى نحبه . فزوجة الفرد وأولاده ينتميان إلى الذوات الاجتماعية فقط لكونهم كائنات إنسانية ، وإلا فإنهم يتسقون مع مظاهر الذوات الجسمية.

وقد قام عالم النفس الدنماركى هارولد هوفدنج Harold Hoffding بدراسة الجوانب النمائية لمعرفة الذات التجريبية بصورة أكثر دقة مما نجده عند وليم جيمس . فقد تساءل كيف نصل إلى التمييز بين ذواتنا والأشياء المحيطة بنا؟ إن من المستحيل قبل الولادة أن تتباين بدرجة كافية مشاعر عدم الارتياح وإحساسات الحركة مع مشاعر وإحساسات المقاومة والتماس والمذاق لتكوين

بدايات الشعور بالعالم الخارجي ، مهما كان غموض هذا الشعور . والانفصال عن الأم عند الولادة هو الذي يمد الطفل بالتباين الأكثر تحديداً بين القطب الذاتي والموضوعي ، وذلك بسبب التباين الكبير بين مشاعر اللذة والألم والإحساسات العضوية المتقطعة والطاقة الكبيرة للإحساس بالحركة وما تزوده به الحواس الأخرى . ثم إن الطفل ليس سلبياً . فهو منذ البداية يأخذ فى القبض على الأشياء فى العالم الخارجي بحركات إرادية ، وبذلك يمكن أن يحصل على أفضل معرفة عن الحدود بين العالم الخارجي ونفسه . ويبدأ الطفل يحس بما ليس ذاته ، كلما واجهت حركته مقاومة ما ، وبخاصة إذا كانت هذه المقاومة مصحوبة بألم . فهو يحس بالألم مثلا إذا اصطدمت يده بشيء صلب جامد ، فيميز بين ذاته وما ليس ذاته فى العالم الخارجي .

وفى البداية تكون حدود الذات والجسم واحدة وغير متمايزة . ويبدأ الطفل يكتشف جسمه بالتدريج عن طريق حواسه . ويوجه الطفل إهتماماً خاصاً إلى الأطراف وإلى الحركة، لأن من الممكن رؤيتها وإدراكها . وهى — من حيث أنها تلقى مقاومة فى العالم الخارجي — يكون لها مظاهر مشتركة مع ما ليس ذاتا ، ولكنها — من حيث كونها تسهم فى الحركة الإرادية للطفل فإنها تخص الذات أيضاً . وهذه الجوانب المختلفة لخبرة الجسم هى التى تكون فكرة الذات كموضوع للتفكير والإحساس والإرادة ، كما تؤدى أيضاً إلى التمييز الرمزى بين الداخل والخارج .

وفكرة الذات أو أنا ليست مشتقة من الإدراك المباشر ، وإنما هى مستنبطة من الطبيعة العامة للشعور ، أى من النشاط التركيبي العام أو من الوحدة التى يفرضها الشعور مقدماً . ولكن هذه الوحدة المستنبطة من وقائع الذاكرة ومن النشاط التركيبي العام هى وحـــدة شكلية تماماً formal أما الفردية Individuality فإنها تتكون من الوحدة الحقيقية الواقعية للمحتويات الخاصة

المحاطة بالوحدة الشكلية . وبطبيعة الحال، فإن هذه الإحاطة هى بحسب تعبير منطقى ، لأن الوحدة الشكلية للشعور تتوقف على الوحدة الحقيقية . ويفقد الشعور حتى وحدته الشكلية إذا كانت التباينات بين عناصره كبيرة على نحو مايحدث فى حالة المرض العقلى .

والأنا فى نظر من سبق الإشارة إليهم من باحثين — تمثل جزءاً دقيقا من الذات (عند جيمس)، وهى الوحدة الشكلية للشعور (عند هوفدنج) . والأنا إذا قورنت بما تعنيه الذات عندهم . يكون لها أهمية قليلة جــداً فى نظرياتهم عن السلوك الإنسانى .

ولكن أعمال سيجموند فرويد قد غيّرت من هذا الاتجاه ، وركزت تركيزاً كبيراً جداً على الأنا وأغفلت تقريبا فكرة الذات ، ويهمنا أن نلقى نظرة خاطفة على فكرة فرويد لنرى ما إذا كانت هناك اختلافات بين الأنا والذات . وإلى أى مدى تكون هذه الاختلافات .

لقد حاول «دولارد وميلر» فى كتابهما الشخصية والعلاج النفسى (١٩٥٠) بيان التقارب بين نظرية التحليل النفسى وبين علم النفس التجريبى والتعلم . وكانت محاولتهما مثالا جيدا كشف عن تقارب كبير فى كثير من النواحى فى نظريات الدافعية عند فرويد وعند علماء النفس الأكاديميين . لقد أدت نظرية «دارون» إلى القول بوجود أصل مشترك بين الإنسان والأنواع الحيوانية الأقل مرتبة منه ، وإلى البحث ليس فقط عن تشابهات تشريحية بينهما ، بل وأيضا عن تشابهات وظيفية . وقد أدى ذلك إلى اعتقاد الكثيرين من علماء النفس فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين — مثل مكدوجل وغيره — إلى القول بأن الغرائز هى دوافع نشاط الإنسان والحيوان على حد سواء . وقد شارك فرويد غيره من المفكرين فى القول بوجود الغريزة كمحدد لسلوك الإنسان . وقد قال فرويد بوجود غريزتين هما غريزة الحياة أو الجنس

وغريزة الموت أو العدوان . وفى ضوء نظريته هذه فسر فرويد سلوك الإنسان العادى منه والشاذ على حد سواء .

وكل سلوك تستثيره الغريزة يتطلب القيام ببعض ألوان النشاط التى تؤدى إلى قمعه أو تخفيف حدته . وهذا من شأنه أن يدفع الكائن العضوى إلى تنمية أساليب فطرية أو متعلمة للتعامل مع الأشياء أو الموضوعات فى العالم الخارجى . وبالمثل قد تستثير بعض المنبهات الخارجية ذكريات غير سارة لدى الفرد . ولذا فإن الجهاز العصبى يكون بإزاء مشكلة مزدوجة بالنسبة للمثيرات الخارجية . عليه أن يميز الموضوعات والأشياء وأن يقوم بالإستجابات المناسبة تجاهها ، كما عليه أن يكبت مثيرات معينة مستثارة خارجيا ، وإلا فإنها تستثير لديه الذكريات غير السارة أو المؤلمة . وهذه الأجزاء من الجهاز العصبى التى تؤدى هذه الوظائف هى التى سماها فرويد باسم «الأنا» .

فالأنا عند فرويد هى الجهاز الإدارى للشخصية لأنه يسيطر على منافذ الفعل والسلوك ويختار من البيئة الجوانب التى يستجيب لها ، ويقرر الغرائز التى سوف تشبع والكيفية التى يتم بها هذا الإشباع . وعلى عكس الهو المندفع غير المنظم ، فإن الأنا المتسقة المنظمة تمثل كل ما هو سوى ومنطق فى الحياة العقلية للفرد

فالأنا يدرك ويفكر ويميز بين الأشياء المتخيلة والواقعية . وهو يتضمن الشعور ، ولو أن جزءاً هاماً منه لاشعورى ، وعن طريق النشاط الحركى وعن طريق الكبت والرقابة على الأحلام تحدد الأنا ما يسمح به لدخول الشعور . فالأنا تختار الأشياء والمناسبات لإشباع الغرائز الجنسية . فهو يسمح ويكبت النشاط الحركى ويحدث التناسق من جميع عملياته الخاصة . وثمة نظام فرعى للأنا ، يصدر عنه نتيجة لعملية التوحد ، وهو « الأنا المثل أو الأنا

الأعلى » والذى يعتبر بمثابة الممثل الداخلي للقيم التقليدية للمجتمع ومثله العليا. إنه مستودع المعايير المختلفة التى يغرسها الآباء والمربون ورجال الدين وغيرهم من مصادر السلطة أو بعبارة أخرى — المعايير التى يغرسها المجتمع . ورغم أن الأنا لا يمكنه أن يبلغ غالباً هذه المستويات التى يحكم بها عليه ، فان الأنا الأعلى تعتبر بمثابة الأساس لتقييم الذات ونقد الذات والشعور بالذنب . ويهدف التحليل النفسى بالإضافة إلى ماسبق هو تقوية الأنا وبخاصة قدرته على تحديد الفعل الذى يخدم الإشباع الغريزى للموضوعات ، والمناسبات الملائمة لهذا الاشباع . كما أن عملية التحليل تكون مستحيلة بدون تعاون الأنا .

وللإعتبارات السابقة جميعها والتى استخلصها فرويد نفسه ، فإن التحليل النفسى هو أولا وبصورة دائمة سيكولوجية الأنا . والأنا فى لغة فرويد تشير إلى نفس مجموعه المشكلات التى تندرج تحت «الذات» على نحو ما حددها جيمس وهو فدنج وبيرس وغيرهم .

وتكشف كتابات يونج عن اختلافات واضحة بينه وبين فرويد من ناحية ، وادلر من ناحية أخرى . ويتجلى هذا فى فكرته عن السبب الكامن وراء المرض النفسى ، وفى توكيده لفكرة اللاشعور الجمعى وكذلك فى مفهومه عن الذات والأنا .

أما أن السلوك الإنسانى يتحدد بقوى لاشعورية فهذا ما يتفق فيه يونج وفرويد وأدلر . بل قد اعتبر يونج تحليل الحلم عند فرويد كأعظم اكتشافاته ولكن فرويد أنهى اكتشافاته للاشعور بوقوفه عند اللاشعور الشخصى . أما يونج فقد ذهب إلى القول بوجود نوعين من اللاشعور: شخصى وغير شخصى (جمعى) . أما اللاشعور الشخصى فهو منطقة مرتبطة بالأنا ، ويتكون من خبرات كانت شعورية فيما مضى وكتبت أو قمعت ونسيت : ومن خبرات وكانت

بالغة الضعف فى المقام الأول بحيث لا تترك انطباعاً شعورياً عند الشخص . لكن هناك ما هو أكثر من ذلك — هناك اللاشعور الجمعى أو غير الشخصى والذى يبدأ يكشف عن نفسه فى مراحل متأخرة من التحليل بعد أن تكون غالبية اللاشعور الشخصى للفرد قد أصبحت معروفة ، واللاشعور الجمعى هو مخزن آثار الذكريات الكامنة التى ورثها الانسان فى ماضى أسلافه الأقدمين إنه المتخلفات النفسية لنمو الإنسان المتطور ، والتى تراكمت نتيجة الخبرات المتكررة عبر الأجيال ، وهذا اللاشعور الجمعى يبدو أنه أمر مشاع ومشترك بين البشر جميعاً .

وما يسميه يونج بالنفس يتضمن ليس فقط اللاشعور الشخصى والجمعى ، بل وأيضاً الأنا الشعورى . وكلا من الأنا الشعورى والأجزاء اللاشعورية للنفس تكون عادة نشطة مستقلة بعضها عن بعض . وتدخل أحياناً فى صراع ولكن العلاقة العادية بينهما هى علاقة تعويض متبادل . والأنا هو العقل الشعورى . وهو يتكون من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات فالأنا مسئول عن شعور المرء بهويته واستمراره وهو من وجهة نظر الشخص ذاته يعتبر فى مركز الشخصية .

أما الذات فقد اعتبرها يونج فى كتاباته الأولى معادلة للنفس أو الشخصية الكلية . فالذات هى نقطة الوسط أو المركز فى الشخصية تتجمع حولها جميع النظم الأخرى . وهى تجمع هذه النظم معاً ، وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات .

ومن الضرورى قبل أن تبرز الذات أن تحقق مختلف مكونات الشخصية نمواً كاملا وتفرداً ، ولهذا السبب لا يصبح النمط الأولى للذات واضحاً قبل

أن يصل الشخص إلى منتصف العمر . وفى هذا الوقت يبدأ فى القيام بمحاولات جادة لتغيير مركز الشخصية من الأنا الشعورى إلى مركز آخر فى منتصف الطريق بين الشعور واللاشعور . وهذه المنطقة الوسطى هى منطقة الذات . ومفهوم الذات يحتمل أن يكون أكثر اكتشافات ونج السيكولوجية أهمية . وهو يمثل قمة دراساته المتعمقة للأنماط الأولية (أنظر نظريات الشخصية ص ١١٩)

ويتميز القرن العشرين بظهور حمى النظريات والمذاهب فى علم النفس . فدرسة الجشتلت عارضت بشدة مذهب المدرسة التراكيبية ، وهذه عارضت أهداف المدرسة الوظيفية . والسلوكيون عارضوا المدارس الأخرى فيما يتصل بمنهج الدراسة وموضوعات الدراسة ، وثمة مجموعة أخرى وجدت من المبررات والأسباب ما يدفعها إلى إقامة ما يسمى باسم « علم نفس الذوات The Psychology of Selves . وتعتبر « مارى هديتون كاليز » من أبرز هذه المجموعة ، ولها أفكار معينة عن الذات . فقد ذهبت إلى أن الوعى بالذات أمر مستمر ومتصل وأن الأشخاص الذين ينكرون استمراره — على نحو ما ذهبت بعض تأملات تتشنر — قد أخطأوا فهم ما يبحثون عنه ، وبذلك خلطوا الشعور بالذات ببعض جوانبه أو صوره أو مراحله . وقد وافقت على وجهة نظر أوستريش التى تقول إن « أنا » يمكن أن تدرك مباشرة كأنا شاعرة ومريدة ومدركة أو مفكرة . وقد أوردت تقاريراً تبين أن الذات يمكن أن تدرك بالاستبطان ، أى أن الأشخاص كانوا قادرين عادة على التمييز بين « الموضوعى » و « الذاتى » على أساس أن الموضوعى يفرض عليهم بشكل مستقل عن إرادتهم ، وأن التعرف يتصف بالشعور بالألفة الذى يتحدد باعتباره مرتبطاً بمشاعر الذات ».

ويبدو أن الاعتقاد الأساسي بالنسبة لسيكولوجية الذات ، هو أن كل خبرة هي خبرة شخص ما ، وأن الأفكار والمدركات لا يمكن أن توجد مستقلة عن الشخص . وقد عرض ليرد Laird ووليم مكدوجل وشتيرن هذه الآراء . ولكن ما يؤخذ على أصحاب نظريات الذات الأول هو تمسكهم بمناهج قديمة (الاستبطان) وعدم ثقتهم بالمناهج الجديدة ونسيانهم كل ما تعلموه من وليم جيمس والمدرسة التجريبية الإنجليزية .

وعندما قامت ثورة السلوكيين ضد الاستبطان ، نجدهم يوجهون انتباههم فقط إلى المظاهر التي يمكن ملاحظتها وتداولها لدى الكائنات الحية وفي بيئاتهم أي إلى المثيرات والاستجابات ، وينسون كل ما هو « فكر » عقلي . كالذات والقصد والرغبة والأمل والتوقع وكل ما يمكن للاستبطاني أن يربطه بالشعور ، ولكن سرعان ما ظهر بين السلوكيين من أعاد تحديد معظم هذه المصطلحات وصياغتها في عبارات موضوعية . فقد أورد « تولمان » تعريفات موضوعية للقصد والتفكير والتوقع ، كما تحدث « هل » عن الذكاء والقصد والعمليات الرمزية والاستبصار .

وفي نفس الوقت الذي حدثت فيه ثورة السلوكيين في أمريكا ، قامت ثورة أخرى في أوربا تمثلت في مدرسة الجشتلت فقد ثاروا على نظرية الترابطيين الذين فسروا الإدراك بأنه تجميع العناصر الحسية البسيطة وربطها بعضها إلى بعض وتكوين المدرك . أما الجشتلت ، فقد اتخذوا النظرة الكلية أساساً لهم . فالكل في نظرهم أسبق في وجوده من الأجزاء المكونة له ، وهذه الأجزاء تستمد وجودها وخصائصها من الكل الذي تنتمي إليه . وقد صاغوا في ذلك مجموعة من القوانين الهامة التي تساعد في عملية الإدراك كقانون الشكل والأرضية وقانون التضارب والتجاور والمصير المشترك إلى غير ذلك من قوانين العوامل الموضوعية في عملية الإدراك ، وعندما وسعوا من مجال اهتمامهم

لتشمل الشخصية والدافعية وعلم النفس الاجتماعي ، نجد أن علماء نفس الجشتلت أخذوا يدعمون مبادئهم الأصلية بنظرية إلى الحاجات والدوافع . ووسعوا أفكارهم من المجال الإدراكي إلى المجال السلوكي . واستمد كفكا الكثير من أفكاره عن الدافعية والمجال السلوكي ، من كتابات ليفين وتلاميذه . وقد أدخل كفكا الأنا باعتبارها مركز النظام المكاني للمجال السلوكي . طالما أن الأنا تقع دائماً بين ماهو أمام وخلف ، يمين وشمال ، فوق تحت . والأنا في نظره جزء منعزل عن المجال الكلي فهي توجد داخل البيئة السلوكية المحيطة بها والتي تتفاعل معها . وتنفصل الأنا عن المجال الكلي نتيجة للخبرات ذات الطبيعة المتنوعة أو غير المتجانسة .

وقد ذهب كفكا — متسقا في ذلك مع ليفين — إلى أن الأنا تنتظم في مستويات أو طبقات . وفي داخل كل طبقة توجد تقسيمات فرعية تطابق الأفعال القصدية المتسقة العديدة . وفي الطبقات القريبة من السطح، فإن الأفعال التي تظهر هي تلك التي تتطلبها الخبرات البيئية الوقتية من الكائن العضوي ، وهذه تقابل عند ليفين « شبه الحاجات » quasi-needs . وبالإضافة إلى الأنا يعترف كفكا أيضاً بوجود « ذات » . والذات هي لب أو نواة الأنا والذات تمثل الأفعال التي تطابق الحاجات الحقيقية . أما بالنسبة لتأثيرها على السلوك، فإن الحاجات الحقيقية وشبه الحاجات ليست ثابتة في أي نظام متدرج ، وإنما يتغير تأثيرها النسبي مع مطالب الموقف . وفي البيئة الثابتة نسبياً ، فإن الفرد يعمل عادة استجابة للحاجة الحقيقية أعني يحاول عمل شيء يكون خاصاً به، شيء ينتمي إلى الذات .

وهكذا قوت نظرية الجشتلت من صوت علماء نفس الذات ، الذي كان قد بدأ يخفت قليلا ، فسيكولوجية الجشتلت عن طريق قولها « إن السلوك يتوقف على كل من الذات والبيئة » ، حلت بذلك كل المشكلات الأولية لسيكولوجية

الذات . فالذات تنمى إمكانياتها عن طريق التمثل من البيئة . وبذلك يتجمع أو يتركز العالم الكبير فى الذات .

ومعرفة الذات قد تصدر عن نفس المصادر التى تصدر عنها معرفتنا بالأشياء الأخرى . ولكن فرص معرفة الذات تتضح فى المواقف التى نكون فيها مشغولين ببعض ألوان الكفاح من أجل تحقيق أهداف الذات . وقد أكد جانب الكفاح من أجل تحقيق الأهداف ، علماء نفس الشخصية من أمثال البورت (١٩٢٧ ، ١٩٦١) وموری (١٩٣٨) ومیرفی (١٩٤٧) . وبنظرة إلى نظرية جوردون البورت فى نمو الذات والمراحل التى تمر بها ابتداء من الطفولة المبكرة حتى الرشد ، نجد أنه جعل على قمة هذه المراحل « الجوهر المميز للفرد » ، والذى يتميز بالإتجاه والقصد ، مما يساعد على تحديد أهداف الفرد . وقد اختار البورت لهذه المرحلة الأخيرة المميزة لنمو الذات إسم الذات الممتدة المميزة Proprium .

ومع ذلك ، فلا يزال الخلط قائماً بين الذات والأنا . لقد أشار الكتاب القدامى إلى الأنا باعتبارها الشخص العارف ، وإلى الذات باعتبارها الموضوع الذى يفكر فيه العارف . ولكن كفكا لم يقم بمثل هذا التمييز ، بل جعل الذات لب الأنا ومركزه ، وأنها أقل امتداداً من الأنا وتتضمن دوافع أكثر أهمية . أما البورت فقد استخدم اللفظين مترادفين ولم يميز بينهما بشكل واضح . وقد حاول شاين(١) صياغة نظرية موحدة للأنا والذات . فالذات ليست موضوعاً للوعى مثل الجسد ، بل إنها محتوى الوعى . وليس لها وجود واقعى خارج هذا الوعى : فهى ما نعنيه عندما نستخدم اصطلاح الوعى بالذات . أما الأنا فهى بناء واقعى ـ معرفى ينبنى حول الذات . وتخدم دوافع وأفكار الأنا أغراض

---

(1) Chein, I. The awareness of self aud the Structure of the Ego, Psychol. Rev. 1944, 51, 304-314.

الدفاع عن الذات وحفظها وتعزيزها . فعندما تتعرض الذات لخطر، تسارع الأنا إلى نجدتها .

ورغم كل الاختلافات فى الرأى حول معنى الذات والأنا، فالجدير بالذكر هنا هو أن الكثيرين من الباحثين قد أكدوا بطريقة أو بأخرى أن ما يقصدونه بكلا المصطلحين هو إلى حد ما وثيق الصلة بالسلوك الغرضى أو السلوك الموجه الذى تحركه الدوافع . وهذا يصدق بالتأكيد على ما قاله وليم جيمس (١٨٩٠) وهوفدنج (١٨٩١) وفرويد (١٩٤٠) والبورت (١٩٤٣) وشاين (١٩٤٤). وقد ذهب البعض الآخر إلى أبعد من ذلك ، حيث ردوا كل السلوك الإنسانى العادى إلى حافز واحد هو تحقيق الذات . ومن بين هؤلاء نذكر «كارل روجرز» و «إريك فروم» اللذين أكدا ما يمكن أن تحدث من مشكلات عندما تحبط البيئة دافع تحقيق الذات عند الفرد . فتبعاً لروجرز — الذى سوف نشير لنظريته فى الذات بشىء من التوسع — فإن العلاج لنفسى هو عبارة عن تزويد الشخص المضطرب وإحاطته بجو إجتماعى يتمكن فيه أن يعبر عن مشاعره ودوافعه ، وأن يصل إلى قبول هذه المشاعر وهذه الدوافع . وفى مثل هذه البيئة تتمكن الذات من أن تنمو تلقائياً نحو مزيد من الصحة والقوة ، كما تصبح أكثر كفاية وقدرة على تكوين علاقات أفضل مع الآخرين . أما إريك فروم فقد ذهب إلى أن صحة الإنسان النفسية تتوقف على الحرية الكاملة لتحقيق قدرته على العمل ، ولكن هذه الحرية ، حرية مشروطة . فما لم يكن الفرد منتمياً إلى مكان ما وما لم يكن لحياته معنى وإتجاهاً ، فإنه سوف يكون أشبه بذرة من التراب تذروها الرياح . إنه سوف يشعر بتفاهته الفردية . وقد لا يقدر على ربط نفسه بأى نظام يمكن أن يعطيه معنى وانجاهاً فى حياته. وسوف يملؤه الشك الذى يشل قدرته على العمل أعنى يشل قدرته على الحياة وفى مثل هذه المواقف يكون الفرد أمام مواقف معينة: إما أن يرتبط بالعالم على أساس « تلقائية المحبة وإنتاجية العمل » أو أن يختار جانب الخضوع للتسلطية

أو أن يساير الجماعة بشكل آلى . وأحد هذه البديلات هو مصير معظم الناس فى مثل هذه المجتمعات الراهنة، والتى هى مجتمعات مريضة ، ورغم أن المجتمع حرر أفراده من قيود التقاليد والطقوس والجهل وما إليه ، فإنه مع ذلك لم يحررهم من أجل المشاركة بأقصى إمكانياتهم فى تحقيق قدراتهم الشخصية(١) .

ويعتبر أنصار علم الظاهريات (الفينومينولوجيا) من أكثر الباحثين إنتاجاً فيما يتصل بفكرة الذات . ولقد لقى مصطلحهم « مفهوم الذات » اهتماماً كبيراً لدى الباحثين . وهذا المصطلح أدخله فيكتور ريمى Raimy, V.C. (٢) (١٩٤٣) ، ثم استخدم على نطاق واسع عنه سنيج وكومز(٣) (١٩٤٩) اللذين كانا من أنصار مذهب الظاهريات . وقد ذهب سنيج وكومز إلى أن السلوك كله بدون استثناء يتوقف على الإطار المرجعى الشخصى للفرد الذى يقوم بالسلوك ، أعنى على مجاله الظاهرى الذى هو الكون على نحو ما يبدو له فى لحظة معينة . فالمجال الظاهرى هو سبب السلوك . وإذا أمكننا الحصول على وصف للمجال الظاهرى ، أمكننا التنبؤ بالسلوك . والمجال الظاهرى يتغير بتغير الحاجات والأنشطة المتصلة بها . وتتوقف طبيعة هذا التغير على حالة المجال فى أية لحظة . وبهذا المعنى ، فإن المجال ينظم نفسه بنفسه وبطريقة آلية .

والذات الظاهرية هى جزء خاص متمايز من المجال الظاهرى وتشمل تلك الذات الظاهرية على كل أجزاء المجال الظاهرى الذى يخبره الفرد كجزء أو سمة مميزة لنفسه (سنيج وكومز ١٩٤٩ (ص ٥٨) . ومن هنا يبدو أن الهدف

---

(1) Fromm, E. Escape From Freedom. New York & Rinehart 1944.

(2) Raimy, V. C. The Self-Concept as a factor in Counseling and Personality Organization. Ph. D. Dissertation. Ohio State University: Columbus Ohio 1943.

(3) Snygg. D. & Combs, W. Individual Behavior New York, Harper 1949.

الرئيسي للسلوك هو استمرار وتقوية الذات الظاهرية التي هي الإطار المرجعي الوحيد للفرد أو هي حقيقته الوحيدة .

« وقد يبدو للوهلة الأولى أن الذات الظاهرية عند سنيج وكومز هي نوع من مفهوم الذات كموضوع ، إلا أن الفحص المدقق يكشف عن أنها موضوع وفاعل في الوقت نفسه . فهي فاعل لأنها جانب من المجال الظاهري الذي يحدد السلوك كله . إلا أنها موضوع أيضاً لأنها تتكون من خبرات الذات فالذات عند سنيج وكومز موضوع وعملية في آن واحد (نظريات الشخصية ص ٦٠٢) .

وفي ١٩٦١ قامت روث ويلي Ruth Wylie بعرض نقدي لما كتب حول مفهوم الذات ، كما ساهمت أيضاً ببعض أفكارها الخاصة حول الموضوع . وترى ويلي أن الظواهريين هم الذين يؤكدون . . دور مفهوم الذات الشعوري في تحديد سلوك الفرد . وقد افترض الباحثون النظريون — سواء بصورة صريحة أو ضمنية — أن مفهوم الذات ليس واقعياً كلية ، وأن هذا الإفتقار إلى الواقعية له دلالة نفسية دينامية ونتائج سلوكية هامة . وقد ميزت ويلي بين الجوانب الظواهرية لمفهوم الذات والتي تقع في موضع ما على متسلسلة من الوضوح الشعوري ، والجوانب غير الظواهرية والتي يكون الفرد — أو من المفروض أن يكون — على غير وعي أو شعور بها . وتذهب ويلي إلى أن أحداً من واضعي النظريات أو المذاهب لم يبحث مشكلة إلى أي حد يمكن لأي باحث أن يكون ظواهرياً بدرجة ثابتة وواضحة . . .

وبعد أن حللت ويلي الدراسات العديدة في ضوء صدق وثبات أدوات القياس ، وبعد أن بحثت ملاءمة تصميمات البحث ضد التحرز من الوقوع في الخطأ ، إنتهت إلى أن القيمة المرتقبة من كل هذه الأعمال ضئيلة إذا قيست بالجهد الذي

يبذل من أجل الوصول إليها ، ومرجع ذلك فى نظرها هو فى جزء منه ، إلى مواطن الضعف العلمية لكل نظريات الشخصية التى تؤكد المكونات المتصلة بالذات . وهذه المكونات اتسعت لتشمل الكثير من العمليات المعرفية والدافعية التى أمكن استنتاجها والتى أصبحت فائدتها للأغراض التحليلية والتنبؤية قليلة . وهذا يدعو إما إلى إغفال هذه المكونات والفروض باعتبارها جدباء علمياً أو تحسينها بالاهتمام بمكونات جزئية أكثر . فتحقيق الذات وتمايز الذات وثبات الذات لم تؤد إلى إلقاء الضوء على المشكلة ؛ ولكن تقبل الذات وتقدير الذات وبخاصة حين تشير إلى صفات نوعية أو خاصة ، يمكن أن تؤدى إلى بحوث مثمرة يمكن معالجتها (١) .

وقد يكشف هذا العرض الموجز للأنا والذات عند من تقدم الإشارة إليهم — وغيرهم كثير — إلى صعوبة مثل هذه المباحث المتصلة بالذات وقربها إلى مجال الفلسفة منها إلى مجال العلم ، وإلى أنه لا يوجد إتساق كبير فى الطريقة التى يستعمل بها مختلف الكتاب هذين المصطلحين .

وهذا ينقلنا إلى دراسة نظرية من النظريات الواسعة الإنتشار والتى تدور حول الذات ، وهذه النظرية هى التى وضعها كارل روجرز .

نظرية الذات عند كارل روجرز :

يعرف كارل روجرز عادة — بين علماء النفس المحدثين — بطريقته فى العلاج والتى لقيت رواجا كبيراً بين المعالجين النفسيين . وتعرف طريقته باسم « العلاج غير الموجه » أو العلاج المتمركز حول الذات » . وقد بدأت محاولاته الأولى لوضع نظرية فى الشخصية أو نظرية فى السلوك فى مقالة نشرها

(1) Wylie R.C. The Self-Concept. A critical survey of pertinent research literature. Lincolen Nebr. University of Nibraska Press .1961

(١٩٤٧)[1] وفى بعض كتبه (١٩٥١)[2] وكذلك فى المقالة التى نشرها تحت عنوان «نظرية فى العلاج والشخصية العلاقات الإنسانية المتبادلة على نحو ما تظهر فى إطار العلاج المتمركز حول العميل[3] (١٩٥٩).

ومع ذلك لا يعتبر كارل روجرز نفسه قد وضع نظرية محددة فى الشخصية. وإذا كان هدفنا هنا هو معرفة رأى روجرز فى الذات، إلا أن الأمر يتطلب منا أن نلق نظرة سريعة على نظريته فى العلاج وتغير الشخصية. يقول روجرز فى مقالته التى نشرها بكتاب كوخ (١٩٥٩): إن هذه النظرية هى من نوع نظريات «إذا حدث كذا، كان كذا (If - then)». فإذا وجدت ظروف معينة (متغيرات مستقلة)، إذن سوف تحدث عملية تتضمن عناصر معينة متميزة (متغير تابع). وإذا حدثت هذه العملية التى تصبح فى هذه الحالة متغيراً مستقلا، إذن فإن تغيرات معينة فى الشخصية والسلوك سوف تحدث (متغيرات تابعة). ولكى يحدث العلاج يلزم توافر شروط معينة: وجود علاقة شخص بشخص الأول وهو نسميه العميل، يكون عادة فى حالة من القلق، حساس غير متوافق. أما الثانى والذى نسميه المعالج فهو

---

(1) Rogers, C. R. Some Observations on the Organization of Personality, Amer. Psychologist, 1947, 2: 358 - 368.

(2) ———— . Client-centered therapy: its current practice, implications, and theory. Boston: Houghton, 1951.

(3) ———— . A theory of therapy: Personality and Interpersonal relationships, as developed in the Client-Centered Framework. In Koch, Sigmund: Psychology: A study of a Science Vol 3. Fromulations of the Person and the Social Context. Mc Graw-Hill Book Company Inc, New York 1959. pp. 184-256.

متلائم فى علاقته . إن المعالج يحس بأن هذا العميل شخص له قيمته فى حد ذاته بلا قيد أو شرط وبصرف النظر عن حالته وسلوكه ومشاعره . ويستطيع المعالج أن يطلق لنفسه العنان فى فهم هذا العميل . أما العميل فإنه يمر بخبرة يدرك فيها أنه مقبول بلا قيد أو شرط . وبذلك يمكنه أن يتعرف على عوامل فى خبرته أنكرت فيما مضى على الوعى باعتبارها مهددة ومدمرة لبناء الذات . وأثناء إحيائه ومروره بهذه المشاعر الواسعة التنوع بكل درجات شدتها يكتشف أنه يخبر نفسه وأنه هو كل تلك المشاعر . ومن ثم نجد سلوكه يتغير بطريقة بناءة وفقا لهذه الذات التى عاشها من جديد . ففى العلاج المتمركز حول العميل ، يساعد المعالج العميل أن يخبر ذاته ، وأن يحيا مشكلاته بشكل يساعد العميل على أن يضبط ويحل داخل نفسه مشكلاته السيكلوجية الخاصة .

وتمثل نظرية روجرز فى الشخصية تركيبه من علم الظواهريات (الفينومينولوجيا) كما قدمها سنيج وكومز ، ومن النظرية الكلية والعضوية على نحو ما تظهر كتابات جولد شتين وماسلو وأنجيال ، ومن نظرية سوليفان فى العلاقات الشخصية ، ومن نظرية الذات التى ترجع إلى روجرز أساسا والتى يعترف بأنه يدين فيها لفيكتور ريمى (١٩٤٣) (نظريات الشخصية ص ٦١٢) .

وهو فى وصفه لسلوك الإنسان ، كان على عكس فرويد ، متفائلا فى نظرته ، فروجرز يعتقد أن الإنسانية إيجابية تتحرك قدما إلى الأمام ، بناءة ، واقعية ، جديرة بالثقة . وهذا كله على عكس نظرة فرويد الذى يعتقد أن الإنسان عدوانى مضاد للمجتمع يميل إلى التدمير أو حتى إلى الشر .

وإذا انتقلنا إلى تحديد أكثر فيما يتصل بفكرته عن الذات ، نجد أن الذات عند روجرز تمثل النواة فى نظرية الشخصية عنده حتى ليمكن القول

بأن نظرية الشخصية المتمركزة حول العميل هي نظرية فى الشخصية متمركزة حول الذات ومن الممكن أن نوضح الذات عند روجرز بعرض اثنتين وعشرين قضية صاغها روجرز فى سنتى ١٩٥١ ، ١٩٥٩ حيث أورد التسعة عشر قضية الأولى فى كتابه العلاج المتمركز حول الذات (١٩٥١).

بينما وردت الثلاثة الأخيرة منها فى مقالته فى كتاب كوخ السابق الذكر (١٩٥٩). ولما كانت الذات هى بمثابة المركز لكل قضية من هذه القضايا ، لذا يمكن النظر إلى نظرية روجرز فى الشخصية ، بأنها نظرية فى الذات. وكل هذه القضايا تناقش الفرد أو الشخص أو الذات. وفيما يلى قضايا روجرز فى الشخصية ومناقشتها باختصار.

١ — يوجد كل فرد فى عالم من الخبرة دائم التغير ، هو مركزه. فكل فرد منا يحيا فى عالم من الخبرة خاص به ، عالم متغير باستمرار. فأنت لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فإن مياهاً جديدة تجرى دائما من حولك. ووجهة النظر هذه تؤكد بالطبع الإستبطان ، ولذا يطلق البعض على عالم الخبرة عند روجرز بأنه هو « مجال الظاهريات » عند سنيج وكومز ، ولو أن روجرز لا يفترض مثلهما أن تدرك جميع الخبرات شعورياً. فهذه الخبرات قد تكون قبشعورية subconscious وعندما تكون الخبرة شعورية فإنها تختص بعالم الرموز. والعالم الخاص بالفرد هو عالم لا يعرفه بمعنى أصيل وكامل إلا الشخص نفسه ومن هنا فإن الشخص يعتبر هو أحسن مصدر للمعلومات عن نفسه. ولذا فإن المعالج يفيد كثيراً فى معرفته لعالم الخبرة الخاص بعميله إذ هو أخذ يستمع إلى ما يقوله العميل عن خبرات مرت بعالمه الخاص به. ولذا فإن العلاج المتمركز حول العميل الذى يؤكد التسامح والقبول غير المشروط لكل ما يقوله العميل ، يوفر الجو المناسب لتعبير العميل عن خبراته الخاصة بطريقة حرة وصريحة.

٢ — « يستجيب الكائن الحي للمجال كما يخبره ويدركه » . والمجال الإدراكي هو واقع بالنسبة للفرد . والواقع قد يكون تجريداً بالنسبة للفيلسوف أو عالم الميتافيزيقا ، ولكنه بالنسبة للفرد ، فإن الواقع يخبره ويتقبله الفرد بجهازه الإدراكي الخاص . وإذا كان لدى الفرد جهازاً إدراكيا متسقاً بالنسبة له ، فإنه سوف يكون لديه درجة معينة من القدرة على التنبؤ يمكنه الاعتماد عليها .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يتمكن الشخص من أن يفرق بين الصورة الذاتية التي تمثل الواقع تمثيلا خاطئا ، وتلك التي تمثله تمثيلا صحيحاً . أي كيف يستطيع الإنسان أن يفصل الحقيقة عن الخيال في عالمه الشخصي . تلك هي المفارقة الكبرى في الفينومينولوجيا . ولكن روجرز يزيل هذه المفارقة بأن يتخلى عن الإطار النظري للفينومينولوجيا الخالصة . فليس كل ما يخبره الشخص ويعتقده هو الواقع بالنسبة إليه ، بل هو مجرد فرض عن الواقع موضوع تحت الاختبار ، قد يتحقق وقد لا يتحقق . ويعلق الفرد الحكم على هذا الفرض حين تعين له فرصة اختباره .

٣ — «يستجيب الكائن الحي إلى المجال الظاهري ككل منظم» . ويذهب روجرز إلى أن واحدة من أهم الخصائص الأساسية لحياة فرد ما هي نزعته نحو استجابات كلية أو منظمة ، تكون موجهة نحو هدف . والكلمتان « كلية » « ومنظمة » تشيران إلى أهمية دراسة الكائن الحي ككل على نحو ما تراه مدرسة الجشتلت . ومن هنا فإنه يرفض التفسير الذي تقول به نظرية المثير والاستجابة .

٤ — للكائن الحي نزعة واحدة أساسية هي تحقيق وإبقاء وتقوية الكائن الحي الذي يحيا الخبرة . وقد استمد روجرز هذه القضية من صنيع

وكومز . وتشير هذه القضية إلى أن الكائن الحى نظام واحد دينامى يعد الباعث الواحد فيه تفسيراً كافياً للسلوك بأكمله . كما تشير إلى أن الشخصية حين تفصح عن نفسها إنما تسير وفق الخطوط التى تحددها طبيعة الكائن الحى نفسه . فهناك من ناحية قوة دافعة واحدة ، وهناك من ناحية أخرى هدف واحد للحياة . وسوف نشير باختصار فى فقرات خاصة ما يعنيه روجرز بتحقيق الذات وإبقاء الذات وتقوية الذات .

٥ — السلوك فى أساسه محاولة موجهة نحو هدف هو إشباع الحاجات التى يخبرها الكائن الحى فى مجاله كما يدركه ، ويعتقد روجرز أن كل الحاجات مترابطة فيما بينها بشكل أساسى . فرغم وجود حاجات كثيرة متعددة ، إلا أنها جميعها تخدم النزعة الإساسية للكائن الحى لحفظ ذاته وتدعيمها . يضاف إلى ذلك أن الإستجابات ليست للواقع كما يراه الآخرون ، ولكن لإدراك الفرد لهذا الواقع ويذهب روجرز — على نحو ما ذهب البورت — إلى أن الدافعية توجد أساساً فى الحاضر . فليس ثمة سلوك سوى ما يواجه حاجة راهنة .

٦ — «يصاحب الانفعال السلوك الموجه نحو هدف ، ويسهل له مهمته بوجه عام ، فيرتبط نوع الانفعال بتلك النواحى من السلوك التى تجد فى الطلب ، وذلك مقابل النواحى الاستهلاكية للسلوك . كما ترتبط شدته بمدى الأهمية المدركة للسلوك فى الحفاظ على الكائن الحى وتدعيمه » . فالشخصية تحاول إذن إحداث التكامل بين نوعين من الإنفعالات غير السارة المهتاجة والانفعالات الهادئة والتى تحدث الإشباع والرضا للفرد . ويحدد الإدراك شدة الإستجابة الإنفعالية . فإذا تهددت حياة الفرد بخطر ما ، زادت شدة انفعالاته أما إذا كان الخطر تافهاً فسيقل الإنفعال بما يتناسب مع الموقف .

٧ — إن أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه . فالسلوك الذي قد يبدو غريبا أو لا معنى له في نظر الملاحظ الخارجي ، قد يكون سلوكا غرضياً وهادفاً إلى حد بعيد بالنسبة للفرد نفسه . وقد تكون هناك مآخذ كثيرة ومشكلات عميقة في الوصول إلى المشاعر الداخلية الاستبطانية لفرد معين . ولكن في حياة كل فرد منا نظائر في حياة الآخرين . ولذا فإن من الممكن أن نستدل من هذه النظائر على السلوك الاستبطاني . ومع ذلك فإن التحيز أو الفكرة المسبقة من جانبنا قد تحطم وتهدم قدرة الفرد على أن يرى داخل الشخص الآخر .

٨ — يتمايز جزء من المجال الإدراكي الكلي بالتدريج ليكون الذات . فالذات الظاهرية تتمايز من المجال الإدراكي الكلي . والذات هي وعي الفرد بوجوده ونشاطه . ويعتقد روجرز أن من المسائل الصعب دراستها معرفة كيف تنمو الذات . ويذهب أيضاً أننا حتى الآن لم نحرز تقدماً كبيراً في هذا المجال .

٩ — « نتيجة للتفاعل مع البيئة ومع الأحكام التقويمية للاخرين بشكل خاص يتكون بناء الذات من نمط تصوري منظم ، مرن ولكن متسق ، من إدراكات خصائص وعلاقات الـ « أنا » أو « ضمير المتكلم » مع القيم التي ترتبط بهذه المفاهيم » . فالخبرة مع الآخرين تساعد الفرد أن ينمي إحساسا بالذات . ويلعب تأثير الآباء في هذه المرحلة دوراً هاما في بناء الذات .

١٠ — « القيم المرتبطة بالخبرات والقيم التي تشكل جزءاً من بناء الذات هي في بعض الحالات قيم يخبرها الكائن الحي بصورة مباشرة . وفي بعض الحالات قيم يستدمجها أو يأخذها عن آخرين ، ولكن تدرك بطريقة مشوهة كما لو كانت قد خبرت بطريقة مباشرة » . فالخبرات لها قيم . وهذه القيم قد

تكون خبرات مباشرة ، أو يكتسبها الفرد من الآخرين أو معرفة . ولكن مهما كان مصدرها ، فإنها تنشأ عن الخبرات .

١١ - تتحول خبرات الفرد التي تحدث له في حياته (أ) إلى صورة رمزية تدرك وتنظم في علاقة ما مع الذات . (ب) يتجاهلها الفرد حيث لا تدرك لها علاقة ببناء الذات (ج) يحال بينها وبين الوصول إلى صورة رمزية أو تعطى لها صورة رمزية مشوهة لأنها لا تتسق مع بناء الذات » . ومرة أخرى تجد أن الذات هي حجر الزاوية للإدراك الشعوري أو الإدراك الذي هو دون المستوى الشعوري . وبناء الذات الحالي هو الذي يحدد نوع الخبرات التي يمكن للفرد قبولها .

١٢ - معظم طرق السلوك التي يتبناها الكائن الحي هي تلك التي تتسق مع مفهومه عن نفسه . فالذات تأمل في إبقاء السلوك الذي يتسق وصورة الذات . ولذا ، فإن أحسن طريقة لإحداث تعديل في السلوك يكون بإحداث تغيير في مفهوم الذات . وهذا هو ما تحاوله نظرية العلاج المتمركز - حول - العميل ، أو بعبارة أخرى العلاج المتمركز - حول - الذات .

١٣ - قد يصدر السلوك في بعض الحالات عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل إلى مستوى التعبير الرمزي » . ومثل هذا السلوك قد لا يتسق وبناء الذات ، ولكن في مثل هذه الحالات لا يكون السلوك « منتمياً » للفرد . فعندما لا يكون السلوك مقيداً أو مضبوطاً ، فقد ينظر إليه على أنه لا ينتمي إلى الذات .

١٤ - ينشأ سوء التوافق النفسي حين يمنع الكائن الحي عدداً من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي . ويؤدي هذا بدوره إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صور رمزية وإلى عدم

انتظامها فى مجملة بناء الذات ، ويسبب مثل هذا الموقف قدراً كبيراً أو أساسيا من التوتر النفسى » . فالشخصية لا يمكنها أن تحقق نفسها إذا لم تكن الخبرات حقيقية بالنسبة للذات الواقعية .

١٥ — يتوفر التوافق النفسى عندما يصبح مفهوم الذات فى وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن الحى بأن تصبح متمثلة فى مستوى رمزى وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات » . وعلى ذلك فإن التوتر الداخلى تقل حدته عندما يتكون لدى الشخصية إحساس جديد عن الذات .

١٦ — تدرك أى خبرة لا تتسق مع تنظيم أو بناء الذات كتهديد ، وكلما زاد هذا النوع من المدركات إزداد الجمود فى تنظيم بناء الذات حتى يتسنى له المحافظة على بقائه » . فالأحداث التى تهدد الشخصية غالبا ما تجعل الشخصية جامدة ومتصلبة .

١٧ — فى ظل ظروف خاصة تتضمن أساسا إنتفاء أى تهديد للذات ، يصبح إدراك الخبرات التى لا تتسق مع مفهوم الذات أمراً ممكنا ، كما يصبح من الممكن مراجعة بناء الذات بشكل يسمح بتمثل هذه الخبرات ، وجعلها متضمنة فى بناء الذات . والتغير الذى يحدث فى الشخصية ينشأ عن تقبل الشخصية لواجهة جديدة لذاتها إن الاطمئنان الذى يشعر به العميل خلال العلاج المتمركز — حول — الذات ، يسمح له بتنظيم مفهومه عن ذاته والإتساق مع خبرات واقعية ، وبذلك يتمكن من إحداث تعديل فى مفهومه عن ذاته .

١٨ — عندما يدرك الشخص ويتقبل فى جهاز متسق ومتكامل كل خبراته الحسية والحشوية ، فإنه يصبح بالضرورة أكثر تفهما للآخرين

وأكثر تقبلا لهم كأشخاص منفصلين . وهذه القضية إحدى نتائج العلاج فعندما تنمى الشخصية مفهوما متسقا عن الذات ، فمن شأن ذلك أن ينمى العلاقات الشخصية المتبادلة الطيبة مع الآخرين . وهذه نتيجة طبيعية لما يطرأ على الفرد من تعديل لفكرته عن ذاته وعن الآخرين .

١٩ — عندما يدرك الشخص ويتقبل فى بناء ذاته لمزيد من خبراته العضوية ، يكتشف أنه يستبدل جهاز القيم الحالى لديه — وهو قائم فى المقام الأول على ما استدمجه عن الآخرين وأعطى له صورة رمزية مشوهة — بعملية تقييم متصلة ومستمرة . وعندما يحرز الفرد تقدما ونجاحا وثقة فى عملية التقييم ، فإنه يجد أن الأجهزة القديمة لم تعد تثير التهديد ولا لزوم لها .

وفى مقالته التى نشرت بكتاب كوخ السابق الإشارة إليه ، أورد روجرز ثلاثة قضايا أخرى ولكنه لم يصغها بوضوح كاف فى صورة قضايا على نحو ما سبق أن رأينا بالنسبة للقضايا السابقة .

٢٠ — هذه القضية تتصل برغبة الفرد وحاجته إلى الاعتبار الاجتماعى . وفى بعض الأحيان تصبح هذه الرغبة أكثر إلحاحا من عملية التقييم العضويه بحيث يسعى الفرد إلى الحصول على تقدير الآخرين أكثر مما يسعى إلى الخبرات التى يقدرها الكائن الحى العضوى فعندما يصبح الاعتبار الاجتماعى مهما بالنسبة للشخصية ، فإنه قد يسيطر على الوظائف والديناميات الداخلية للذات العضوية .

٢٢ — وجد روجرز أيضا حاجة ملحة إلى اعتبار الذات تسير جنبا إلى جنب ، وبشكل متمايز مع الحاجة إلى الاعتبار الاجتماعى . فنتيجة لخبرات الذات باشباع أو إحباط حاجاتها إلى الاعتبار الاجتماعى ، يكتسب الفرد حاجة إلى اعتبار الذات . وتعمل هذه الحاجة مستقلة عن العلاقات مع

الآخرين بحيث يمارس اعتبار الذات فى العلاقة بأى نوع من أنواع خبرات الذات .

٢٢ — ونتيجة لقوى وحاجات ومطالب الاعتبار الاجتماعى ، واعتبار الذات . ينمى الفرد اتجاها نحو تقدير الذات . وشرط تقدير الذات أنه يساعد الفرد فى هرج ومرج الحياة اليومية . وإحساس الشخصية بأنها جديرة بشىء ما يساعدها على تدعم الحاجة إلى اعتبار الذات وقدرتها على الحصول على الشعور بالاعتبار الاجتماعى .

والنظرة الفاحصة للقضايا التسعة عشر الأصلية والثلاثة الأخرى المكملة من شأنها أن تعطى القارىء إحساسا قويا بالقيمة التى عزاها روجرز إلى الذات . فلفظ الذات أو ما يرادفه من ألفاظ أخرى كالفرد أو الشخص أو الكائن الحى ، كامن فى هذه القضايا جميعها . ورغم أن روجرز لم يضع قضية محددة يعرف بها الذات — على نحو ما فعل البورت مثلا فى تعريفه للشخصية — إلا أن من الممكن القول بأن روجرز يدرك اللفظ باعتباره « الوعى بالكينونة والوظيفة » . أو أن من الممكن تعريف الذات بأنها « الأفكار والمشاعر الوجدانية والاشتهاءات التى يدركها الفرد ويفسرها ويقيمها على أنها نفسه هو » .

موضوع تحقيق الذات :

وقد وجد روجرز أن « مصطلح » تحقيق الذات من المصطلحات المناسبة للديناميات التى تصف الإنسان من بدايته كالطفل حتى يبلغ مرحلة الرشد . كما رأى بعد ذلك فى تحقيق الذات ، كل العمليات التى يمايز بها الإنسان نفسه عن الآخرين ، ويمايز بها وظائفه العضوية عن وظائفه الاجتماعية ، ويسير فى اتجاه تحمل المسئولية الذاتية ولكن قبل أن تستطيع الشخصية القيام بأى شىء ،

عليها أن تبدأ فى الواقع وهذا ما يعنيه روجرز بقوله « تحقيق الذات » . وهذا التحقيق للذات يبدأ من البسيط إلى المعقد ، وقد وصف روجرز عملية تحقيق الذات بقوله «إنها الهدف الذى يريد معظم الناس تحقيقه . فالغاية التى يتبعها معظم الناس — عن معرفة أو غير معرفة — هى أن يحقق ذاته » .

والدافع للخلق يبدو فطرياً أو موروثاً . ويلتج عن ذلك أن أعظم شىء يمكن لإنسان أن يخلقه فى مدى حياته كلها هو نفسه . والذات هى نموذج الإبداع . ومن الذات التى يخلقها الإنسان من طفولته ، تبزغ كل الأشياء الأخرى التى تعتبر عادة مبدعة : أعمال فنية ، اختراعات ، أنظمة اجتماعية وغيرها . ولكن على الإنسان أن يخلق أولا ذاتا قبل أن يخلق أى شىء آخر

موضوع إبقاء الذات :

وما أن تحقق الشخصية ذاتها إلى أقصى ما تستطيع ، حتى يكون عليها أن تستمر فى الإبقاء على نفسها . فليس يكفى أن تكون شيئاً ، بل يجب أن تبقى شيئاً .

وفى مستوى إبقاء الذات ، فإن على الفرد أن يفهم ذاته إلى أقصى حد ممكن . فمستوى الإبقاء على الذات يؤدى إلى ثراء ونضج وتشعب الشخصية كلها .

وتعمل ديناميات إبقاء الذات من الضغوط أو التوترات السائدة . فعلى عكس ما يذهب إليه فرويد ، يرى روجرز أن السلوك لا يصدر مباشرة عن أشياء حدثت فى الماضى ، بل إنه ليس ثمة سلوك إلا ويواجه حاجة راهنة (العلاج المتمركز حول العميل ص ٤٩٢) .

ومع ذلك ، يحذر روجرز إلا تخلط بين الإبقاء على الذات وحفظ

التوازن الداخلى . فهو يرى أن الفرد يتحرك ،أعنى أن هناك « مجرى » فى رحلة الحياة . وباختصار إن الحياة عملية وليست موضعاً .

وكجزء من عملية إبقاء الفرد لذاته ، فإن الشخصية يجب أن يكون لها انفتاح على الخبرة . فالإنسان بترحيبه للقيام بأشياء جديدة . يمكنه أن يخلق تغذية رجعية بناءة للذات . أما إذا أغفلت الشخصية ثراء عملية الخبرة بالنسبة للذات ، فمن المحتمل أن يخلق لنفسه إطاراً مرجعيا خاطئا إلى حد بعيد .

موضوع تقوية الذات .

وما أن يرغب الفرد فى تحقيق ذاته والإبقاء عليها ، حتى يرغب فى تقوية ذاته. فالحياة هى أكثر من مجرد الحصول على ما لدينا والاحتفاظ به . فالفرد يريد أيضاً أن يتجاوز حدود الوضع الراهن . وقد استعار روجرز اصطلاح أنجيال Angyal فى تقوية الذات .

ولا تتحقق تقوية الذات بسهولة وبساطة ، وإنما تكون نتيجة الصراع والجهد والألم . إنها عملية تراجع وتقدم وتراجع وتقدم وهكذا ، إنها عملية فقد وكسب لأهداف الفرد .

ويذهب روجرز إلى أن من مزايا الفرد هو أن يقــوى ذاته . فالإنسان يجب أن يكون أكثر من إنسان آلى . وقد ركز روجرز فى مقالة له [١] (١٩٦١) على السعى القوى للفرد نحو الحرية ، وذلك من أجل تقوية ذاته أو شخصيته وهو يرى أن من الخطورة القول

---

(1) Rogers, C. The place of the person in the new world of the Behavioral Scinces, Personnel and Guidance Journal 1961. 39, 442-451.

بإمكان التنبؤ أو ضبط الشخصيات الإنسانية فى المستقبل . ويقول روجرز فى ختام مقالته هذه : « ... يمكننا تفضيل استعمال العلوم السلوكية فى الأساليب التى سوف تكون حرة ، وليست قيداً ، والتى سوف تؤدى إلى التنوع البناء ، وليست المسايرة ، والتى تنمى الإبداع وليس القناعة والرضا ، والتى تسهل لكل شخص عمليته توجيهه الذاتى لصيرورته ونموه ، والتى سوف تساعد الأفراد والجماعات ـ وحتى مفهوم العلم ـ أن يصبح أكثر سمواً وبأحدث الطرق التوافقية فى مواجهة الحياة ومشكلاتها (ص ٤٥١) .

المراجع العربيـــة

١ – أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦

٢ – أحمد عكاشه : علم النفس الفسيولوجى : القاهرة : دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

٣ – السيد محمد خيرى : الإحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والإجتماعية . القاهرة . دار الفكر العربى ١٩٥٦

٤ – أيزنك هـ . الحقيقة والوهم فى علم النفس . ترجمـــة قدرى حفنى ورؤوف نظمى . القاهرة . دار المعارف بمصر ١٩٦٩

٥ – رمزية الغريب . التعلم . دراسة نفسية تفسيرية توجيهية . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧

٦ – سيد محمد غنيم : اللغة والفكر عند الطفل . الكويت . عالم الفكر المجلد الثانى . العدد الأول ابريل- يونيو ١٩٧١

٧ – سيد محمد غنيم : النمو العقلى عنـد الطفل فى نظرية جان بياجيه . القاهرة . حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس . العدد ١٣ سنة ١٩٧٢

٨ – سيد محمد غنيم ومحمد عصمت المعايرجى . اختبار الشخصية السوية . القاهرة . مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤

٩ – سيد محمد غنيم وهدى عبد الحميد براده : الإختبارات الإسقاطيه . مكتبة النهضة العربيه ١٩٦٤

١٠ – سيد محمد غنيم وهدى عبد الحميد براده : التشخيص النفسى . دراسات فى إختبار رورشاخ القاهرة : مكتبة النهضة العربية ١٩٦٥

١١ — عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ .

١٢ — عبد العزيز القوصى : علم النفس . أسسه وتطبيقاته التربوية . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤

١٣ — فؤاد البهى السيد : علم النفس الإحصائى وقياس العقل البشرى . القاهرة . دار الفكر العربى ١٩٥٨

١٤ — لويس كامل مليكة : مقياس الفصام فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة . مطبعة دار التأليف ١٩٦٠

١٥ — لويس كامل مليكة : مقياس الانقباض فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه القاهرة مكتبة النهضه المصرية ١٩٦٦

١٦ — لويس كامل مليكة : مقياس الإنحراف السيكوباتى فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة مكتبة النهضه المصرية ١٩٦٦

١٧ — لويس كامل مليكة : مقياس الهستيريا فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧

١٨ — لويس كامل مليكة ومحمد عماد اسماعيل وعطيه محمود هنا : الشخصية وقياسها . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩

١٩ — محمد عماد اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسى . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩

٢٠ — محمد لبيب النجيحى : الأسس الاجتماعية للتربية . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢

٢١ — محمود الزيادى : علم النفس الأكلينيكى : التشخيص . القاهرة . مكتبه الأنجلو المصرية ١٩٦٩

٢٢ — مصطفى سويف : علم النفس الحديث : معالمه ونماذج من دراساته القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧

٢٣ — نجيب اسكندر ابراهيم ولويس كامل مليكة ورشدى فام منصور الدراسه العلمية للسلوك الاجتماعي . القاهرة مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١ .

٢٤ — هول . ك لندزى ج : نظريات الشخصية ترجمة فرج أحمد فرج وقدرى محمود حفنى ولطفى محمد فطيم . القاهرة . الهيـــئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١

Wenar, C. : Personality development from infancy to adulthood. Boston Houghtons Mifflin, 1971.

Whiting, J.W.M. and Child, I.L. Child training and Personality. New Haven: Yale University Press, 1953.

Wolpe, J. : Psychotherapy by reciprocal inhibition. Stanford. Stanford University, Press, 1958.

Wolpe, J. : Psychotherapy based on the principle of reciprocal inhibition. In A. Burton. (Ed) case studies in Counseling and Psychotherapy. Englewood Cliffs. New Jersey. Prentice Hall, 1959.

Wylie, Ruth. C. : The Self-concept. A critical survey of pertinent research literature. Lincolen. Nebr. University of Nebraska Press. 1961.

Wylie, Ruth, C. : The present status of self-theory. In E.F. Borgatta and W.W. Lambert. (Eds). Handbook of personality theory in research. Chicago : Rand-McNally, 1968.

Spranger S.T. Types of Men. Halle. Niemyer. 1928.

Spitzer, S.T. : The Sociology of Personality. New York. Van Nostrand Reinhold 1969.

Stagner, R. : Psychology of Personality. New York McGraw-Hill 3rd ed. 1961.

Storr, A. : The integrity of the personality, Penguin Books 1963.

Strong, E.K. and Campbell, D.P. Manual of Strong Vocational Interest Blanks. Stanford Calif. Stanford University Press, 1966.

Sullivan, H.S. : The Interpersonal Theory of Psychiatry. New York. Norton 1953.

Symonds. P.M. : Diagnosing personality and conduct. New York. Appleton Century 1931.

Thorndike, E.L. : Heredity and Environment. Engenical News 1944. 29. 39-45.

Thorpe, L.P. and Schmuller A.M. Personality : An interdisciplinary Approach. New Jersey, D. Von Nostrand. 1965.

Vandenberg, S.G. : Hereditary factors in normal personality traits (as measured by Inventories). In Wortis J. (Ed.) Recent advances in biological psychiatry, New York. Plenum 1967. pp. 65-104.

Warr, P.E. (Ed). Thought and Personality. Penguin Books 1970.

Warren, H.C. (Ed). Dictionary of Psychology. Boston. Houghton. Mifflin 1934.

Way, L. : Alfred Adler. An Introduction to His Psychology. Penguin Books 1956.

Welsh, G.S. and Dahlstrom, W.G. (Eds) Basic readings on the MMPI in psychology and medicine. Minneapolis : University of Minnesota Press, 1956.

Rogers, C.R. . The Place of a person in the new world of a behavioral Sciences. Personnel and Guidance Journal 1961. 39. 442-451.

Rogers, J.W. : The Biological Approach to the study of personality. In James A. Dyal. Readings in psychology : Understanding Human behavior. New York McGraw-Hill. 2nd ed. 1967.

Rorschach, H. : Psychodiagnostics (P. Lemkau and B. Kronenberg, trans). 2nd ed. Bern, Huber, 1942.

Sanford, N. : Personality. Its place in psychology. In Koch Sigmund (Ed). Personality. A study of a Science. Vol. 5. New York. McGraw-Hill, 1959.

Sarason, G.I. : Personality. An objective Approach. New York. Wiley 2nd ed. 1972.

Sears, R.R. : Maccoby, Elcanor, E. and Levin, H. Patterns of child rearing Evanston, Illinois : Row, Peterson 1957.

Semeonoff, B. (Ed). Personality Assessment, Penguin Books 1970.

Seward, J.P. : The structure of Functional Autonomy. American Psychologist. 18, 703-710.

Sheldon, W.H. : Varieties of Human Physique. New York. Harper. 1940.

Sheldon, W.H. : Varieties of Temperament New York Harper 1942.

Sheldon, W.H. : Constitutional Factors in Personality. In J. McV. Hunt : Personality and the behavior disorders. New York. The Roland Press Company Vol. 1. 1944.

Snygg, D. and Combs, W : Individual behavior. New York. Harper 1949.

Sontag, L.W., Barker, C.T. and Nelson, V.L. Mental Growth and Personality development a longitudinal study. Monogr. Soc. Res. child Development 1958. 23. No. 68.

Murstein, B.I. (Ed.) Handbook of Projective Techniques. New York. Basic Books, 1965.

Naccarati, S. : The morphologic aspects of Intelligence. Archives of psychology. 192. 6. 1-44.

Newman, H.W., Freeman, F.N. and Holzinger, K.L. : Twins, a study of heredity and enviroriment. Chicago. Univer. of Chicago Press, 1937.

Orlansky, H. : Infant care ans personality. Psychol. Bull. 1949. 46. 1-48.

Oss Assessment Staff : Assessment of Men. New York, Rinehart and Company, 1948.

Prince-Williams, D.R. : Cross-cultural Studies. Penguin Books 1969.

Reeves, J.W. : Body and Mind, in Western Thought. Penguin Books, 1958.

Rheingold, H.L. : The effect of environmental stimulation upon social and exploratory behavior in the human infant. In B.M. Poss (Ed). Determinants of Infant Behavior New York. Wiley 1961. pp. 143-171.

Ribble, Margaret, Infantile Experiences in relation to personality development. In McV. Hunt. Personality and behavior disorders. Vol. 1. New York. The Ronald Press. Company, 1944.

Rogers, C.R. : Some observations on the Organization of personality. Amer. Psychologist. 1947. 2. 358-368.

Rogers, C.R. : Client-centered Therapy; its current practice, implications and theory. Boston : Houghton, 1951.

Rogers, C.R. : A theory of therapy. Personality and interpersonal relationships as developed in the client-centered Framework. In. Koch Sigmund Psychology. Study of a Science. Vol. 3. Formulations of the Person and the social context. New York McGraw-Hill 1959.

Marlowe, D., and Gergen, K.J. : Personality and social interaction. In G. Lindzey and E. Aronson : The Handbook of Social Psycholoy (2nd ed). vol. 3. Reading. Mass. Addison-Wesley, pp. 590-665.

Maslow, A.H. : Motivation and personality (2nd ed). New York. Harper and Row, 1970.

Maslow, A.H. : Personality problems and personality growth. In C.G. Moustakas (Ed). The Self, Explorations in personal growth. New York. Harper. pp. 232-256.

McClelland, D. : Personality. New York. William Sloune Assoc. 1951.

Mead, G.H. : Mind, self and society. Chicago. Uinver. of Chicago Press, 1934.

Mill, J.S. : An Examination of Sir William Hamilton's Philosophy. London. Longmans, Green, 1865.

Miller, N.E. : Liberalization of basic S-R. Concepts : Extensions to Conflict behavior, motivations and learning. in S. Koch (Ed.) Psychology, a study of Science, Vol. 2. New York Mc-Graw-Hill 1959.

Mischel, W. : Personality and assessment, New York, Wiley, 1968.

Mower, O.H. : Learning theory and personality dynamics : Selected papers. New York, Roland, 1950.

Murphy, G. : Persnoality, A Biosocial Approach to origins and Structure. New York. Harper and Brothers Publishers 1947.

Murphy, G. and Jensen, E. Approaches to personality. New York. Coward-McCann. 1932.

Murray, H.A. : Explorations in personality. New York. Oxford Univer. Press, 1938.

Murray, H.A. : Thematic Apperception Test. Cambridge. Mass. Harward nUiver. Press, 1943.

Kuder, G.F. : Kuder General Interest Survey. Manual. Chicago. Science Research Associates 1964.

Lacey, J.I. and Van Leh, Ruth. Differential emphasis in somatic response to Stress. Psychosom. Med. 1952. 14. 71-81.

Lanyon, R.I. and Goodstein, L.D. Personality assessment. New York. John Wiley, 1971.

Lazarus, R.S. : Adjustment and Personality, New York. McGraw-Hill 1961.

Lazarus, R.S. and Opton Jr. E. (Eds.) : Personality. Penguin Books 1970.

Levy, L.H. Conceptions of personality : Theories and Research. New York, Random House 1970.

Lewin, K. : The Dynamic Theory of personality. New York. Mc Graw-Hill 1935.

Lewin, K. : Field theory in social Science. New York Harper. 1951.

Lindesmith A.R. and Strauss, A.L. A critique of culture personality writings. Amer. Social. Res. 1950. 15. 587-600.

Linton, R. : The cultural Background of personality, New York. Appleton, Century Crrofts, 1945.

Liversedge, L.A. and Sylvester, J.D. : Conditioning techniques in the treatment of writer's cramps. Lancet. 1955. 1. 1147-1149.

Lowe, G.R. : The Growth of Personality from Infancy to Old age. Penguin Books 1972.

Lyons, J. : Psychology and the measure of Man. New York, Free Press, 1963.

MacKinnon, D.W. : The Structure of personality. In McV. Hunt. Personality and the behavior Disorders. vol. 1. New York. The Ronald Press. Company, 1944.

Jones E. the Life and the work of Sigmund Freud. New York. Basic Books 3, vols. (1952-1957).

Jones, H.G. : The application of Conditioning and learning techniques to the treatment of psychiatric patient. J. abnorm. soc. Psychol. 1956. 51. 414-419.

Jones, Mary. A laboratory study of fear. The case of Peter. J. genet. Psychol. 1924, 31, 308-315.

Jung, C.G. Modern man in Search of a Soul. New York. Harcourt. Brace and World 1933a.

Jung, C.G. : Psychological Types. New York, Harcourt. Brace and World 1933 b.

Kardiner A. : The Individual and his society. New York Columbia. Univer. Press 1939.

Kempf, E.J. : Autonomic functions and the Personality. New ment. Dis. Monog 1919. no. 28.

Kessen, W. : Comparative personality development. In. E.F. Borgatta and W.W. Lambert. (Eds.) Handbook of personality theory and research. Chicago. Rand-McNally 1968. pp. 365-410.

Kimble, A.G. Hilyard and Marquis. Conditioning and Learning. New York. Appleton-Century Crofts Inc. 2nrd ed. 1964.

Kleinmuntz, B. : Personality Measurement. An introduction. Homewood, Illinois Dorsey Press. 1969.

Klopfer B. and Davidson H.H. : The Rorschach Technique. An introductory manual. New York Harcourt, Brace and World, 1962.

Kluckhohn C. and Kelly W. : The Concept of Culture. In Linton R. (Ed.) The Science of Man in the World Crisis. New York. Columbia Univer. Press 1945.

Kluckhohn, C., Murray H.A. and Schneider D.M. Personality in nature, Society and Culture. New York, Knopf, 1953.

Guilford, J.P. : Personality. New York. Mc-Graw-Hill. 1959.

Guilford, J.P. and Zimmerman, W.S. Fourteen dimensions of temperament. Psychological Monographs 1956, 70 No. 10.

Guthrie E.R. : Personality in terms of associative learning. In In McV. Hunt. Personality and Behavior disorders. New York. Ronald, 1944.

Hall, C.S. : Temperament : A survey of Animal studies. Psychol. Bull. 1941. 38. 909-943.

Hall, C.S. : A premier of Freudian Psychology. World Publishing Co. 1954.

Hall, C.S. and Lindzey G. Theories of personality (2nd ed). New York, Wiley, 1970.

Heidbreder, Edna. Intelligence and the height-weight ratio. J. of Applied Psychol. 1926. 10. 52-62.

Herzberg, F. and Bouton, A. A further study of the stability of the Kuder Preference Record. Educational and Psychological Measurement, 1954. 14, 326-331.

Horney, Karen : Neurotic personality of our times. New York, Norton 1937.

Horney, Karen : New ways in psychoanalysis New York, Norton, 1939.

Horney, Karen : Neurosis and human growth, New York. Nortan, 1950.

Hoskins, R.G. : Endocrinology, New York, Norton 1941.

Hull C. et al: Mathematico-deductive theory of rote learning. New Haven Yale University

Johada Marie and Warren N. (Eds) Attitudes Pengiun Books 1970.

Janoff, I.Z. et al. The relation of somatotype to reaction time, resistence to pain, and expressive movement. J. Personality, 1950. 18, 454-460.

Freud, Anna. : The Ego and the mechanisms of defense. New, York, International Universities Press 1946.

Freud S. : The ego and id. London, (1923), Hogarth. 1947.

Freud, S. : Beyond the pleasure principle. New York. Liveright, 1950.

Freud, S. : Psychopathology of everyday life. (1904) New York. New American Library 1951.

Freud, S. : The interpretation of dreams. (1900). London, Hogarth, 1953.

Fromm, E. : Escape from Freedom, New York, Rinehart, 1941.

Fromm, E. : Man for himself, New York, Rinehart, 1947.

Fromm E. : The sane society, New York : Holt, Rinehart and Winston 1955.

Ganz M. : The Psychology of Alfred Adler and the development of the child. Routledge and Kegan Paul, 1953.

Gergen K.J. : The Concept of Self. New York, Holt, Richart and Winston 1971.

Gilbert, G.M. : Personality Dynamics. A Biosocial Approach. New York, Harper and Row, 1970.

Goldfarb W. : Effects of early institutional care on adolescent personality. J. exp. Edn. 1943. 12, 106-129.

Goldman-Eisler, Frieda. The problem of orality and its origin in early childhood. J. ment. Sci. 1951. 97. 765-782.

Goodstein L.D. and Lanyon R.I. (Eds). Readings in personality assessment. New York, John. Wiley, 1971.

Gardner R.W. and Moriarty, A. Personality development at pre-adolescence. Seattle : University of Washington Press. 1968.

Guilford J.P. : Fundamental statistics in psychology and education New York, McGraw-Hill 1942.

Eysenck, H.J. . The Scientific Study of Personality. New York. Macmillan 1952.

Eysenck, H.J. : The Psychology of Politics. London, Routledge 1954.

Eysenck, H.J. : Cortical inhibition, figural after-effect and theory of Personality. J. abnormal. soc. Psychol. 1955-51, 94-106.

Eysenck, H.J. : The inheritance of extraversion-introversion. Acta Psychol. 1956, 12, 95-110.

Eysenck, H.J. : Handbook of Abnormal Psychology. New York. Basic Books 1961.

Eysenck, H.J. : Fact and Fiction in Psychology. Penguin Books 1965.

Eysenck, H.J. : The Biological basis for personality. Springfield, Illinois. Charles C. Thomas 1967.

Eysenck, H.J. : The Structure of Human Personality, London, Methuen 1970.

Ferguson W.L. : Personality Meaesurement, New York, Graw-Hill 1952.

Fillo, J.C. : La Personalité. Que sais-je ? No. 758. Presses Universitaires de France 1959.

Flavell J.H. : The developmental psychology of Jean Piaget. Princeton. Von Nostrand 1963.

Fordham, Frieda : An Introduction to Jung's Psychology. Penguin Books 1959.

Frank L.K. : Projective Methods. Springfieeld Illinois. Charles C. Thomas 1948.

Freeman G.L. : Energetics of Human Behavior. Ithaca. New York. Cornell Univers. Press. 1948.

Freeman S.F. : Theory and Practice of psychological Testing. New York. Holt, Rinehart and Winston 3rd ed. 1962.

Chein, I. : The awareness of self and the structure of the Ego. Psychol. Rev. 1944. 51. 304-314.

Child, L. : The relation of Somatotype to Self-Ratings on Sheldon's Temperament Traits. Journal of Personality 1949. 50. 440-453.

Cronbach, L.J. : Essentials of Psychological Testing (3rd ed.) New Yor, Harper and Row, 1970.

Darlington, C.D. : Genetics and Man. Penguin Books 1966.

Darrow, C.W. : Reaction tendencies relating to Personality. in K.S. Lashley : Studies in the dynamics of Behavior. Chicago. Univer. of Chicago Press. 1932.

Deutoch, M. Field theory in social Psychology. In G. Lindzey and E., Aronson (Eds.) Handbook of social psychology. Vol. 1. Reading, Massachusette.. Addison-Wesley, 1968. pp. 412-487.

Dewey, J. : Human nature and Conduct. New York. Modern Library 1950.

Dittes, J.E. Extinction during Psychotherapy of G.S.R. accompanying embrassing statements, J. abnorm. soc. Psychol. 1957. 54. 187-191.

Dittes, J.E. Galvanic Skin Responses as a measure of patient's reaction to therapist's permissiveness. J. abnorm. soc. Psychol. 1957. 55. 295-303.

Dollard, J. et al. Frustration and Aggression. New Haven. Conn. Yale Univer. Press. 1939.

Dollard, J. and Miller, N.E. Personality and Psychotherapy. New York. McGraw-Hill 1950.

Du Bois, P.H. A., history of psychological testing. Boston: Allyn and Bacon : 1970.

Erikson E.H. : Childhood and Society. New York. Norton 1950.

Eysenck, H.J. : Dimensions of Personality, London. Routledge 1947.

Bandura, A. : Principles of behavior modification. New York. Holt. Rinehart and Winston 1969.

Baughman, E.E. and Welsh, G. Personality : A behavioral Science. New Jersey Prentice-Hall Inc. 1962.

Bergin, A.E. and Garfield, S.L. (Eds) : Handbook of psychotherapy and behavior change. An empirical analysis. New York. Wiley 1971.

Berman, L. : The Glands regulating Personality (2nd ed.) New York MacMillan, 1928.

Berman, L. : New Creations in human beings. New York. Doubleday 1938.

Bischof, L.J. : Interpreting personality theories. New York, Harper and Row 1964.

Borgatta, E.F. and Lambert, W.W. (Eds.) Handbook of personality theory and research. Chicago. Rand. McNally 1968.

Brody, Sylira : Patterns of mothering : maternal influence during infancy. New York. International Universities, 1956.

Burks, B.S. and Roe, A., Studies of Identical twins reared apart. Psychol. Monogr. 1949. 63. No. 5.

Campbell, D.T. : The indirect assessment of social attitudes. Psychol. Bulletin 1950. 47. 15-38.

Cattel R.B. : Personality New York McGraw-Hill 1950.

Cattell R.B. : Personality and Motivation : Structure and Measurement. New York. Harcourt Brace and World 1957.

Cattell, R.B. : The Scientific Analysis in Personality. Penguin Books 1967.

Cattell, R.B, Ducan, B. Blewett, B., Beloff, J. : The inheritance of personality. A multiple variance determination of approximate nature-nurture ratios for primary personality factors in Q-data. Amer. J, hum. Genet. 1955. 7. 112-146.

المراجع الأجنبية

Adler, A. : Understanding Human Nature. New York. Fawcett Publications, Inc., Greenwich, Conn. 1965.

Adler, A. : The Science of Living. New York. Chilton, 1929.

Allport, F. : Social Psychology, Boston, Houghton Mifflin, 1924.

Allport, G.W. : Personality : a psychological Interpretation. New York, Holt, Rinehart and Winston 1937.

Allport, G.W. Becoming : Basic considerations for a psychology of personality New Haven. Conn. Yale Univers. Press 1955.

Allport, G.W. : Personality and social Encounter. Boston. Beacon Press 1960.

Allport, G.W. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt, Rinehart and Winston, 1961.

Anastasi, Anne : Psychological Testing. New York. The MacMillan Company 3rd ed., 1968.

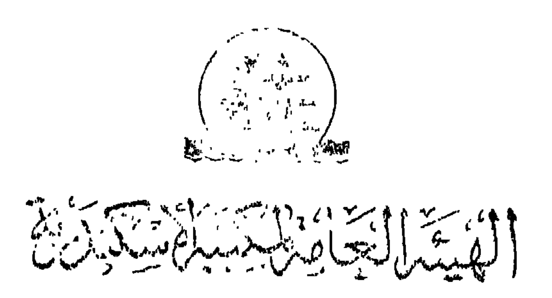
Angyal A. : Foundations for a Science of personality. New York Commonwealth Fund 1941.

Antony E.J. and Koupernik, C. (Eds.) The Child and his family. New York Wiley-Interscience. 1970.

Bachrach, J.A. : Some applications of operant Conditioning to behavior therapy. In Wolpe J., Joseph; Salter ; Andrew and Regna L.J. (Eds.) The Conditioning Therapies. New York. Holt. Rinehart and Winston 1964.

Bales. R.F. : Personality and Interpersonal Behavior. New York. Holt. Rinehart and Winston 1970.

Bandura, A. Psychotherapy as a learning Process. Psychol. Bull. 1961. 58. 143-159.


الهيئة العامة للكتاب المصرية